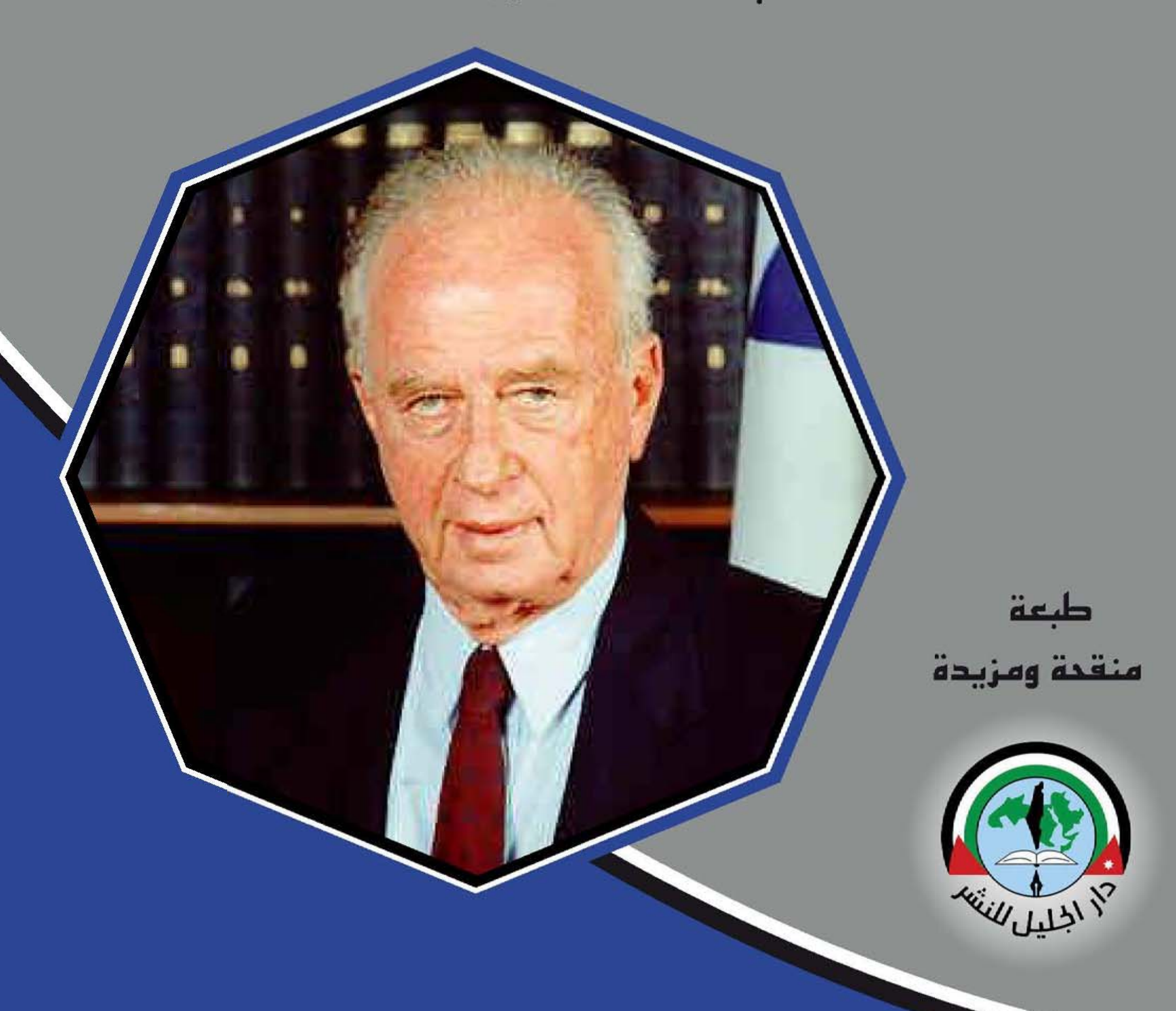
شخصيات صهيونية (١/١١)

القسم الأول

مذكرات اسحق رابين

ترجمة : دار الجليل



طبعة
منقحة ومزيدة

دار الجليل للنشر

شخصيات صهيونية (١/١١)

مذكرات

اسحـق رابيـن

القسم الأول

- عنوان الكتاب: **مذكرات اسحق رابين / القسم الأول**
- ترجمة: **دار الجليل**
- **الناشر: دار الجليل للنشر والدراسـات والأبحـاث الفلسطينـية**
- الطبعة:**الثالثة مزيدة ومنقحة**
- سنة النشر: **٢٠١٥م**
- رقم الإيداع لدى دائرة المكتبة الوطنية: **(2015/٣/١٣٣٣)**
- الواصفات: **/ التراجم // السياسيون // الصهيونية// إسرائيل/**
- **(ردمك) ٩-٢٥-٤١٥-٩٩٥٧-٩٧٨ ISBN**

- العنوان: **عمان**
- هاتف: **٥١٥٥٦٢٧ - ٥١٥٧٦٢٧**
- فاكس: **٥١٥٣٦٦٨ - عمان - الأردن**
- ص.ب ٨٩٧٢ - رمز بريدي ١١١٢١
- بريد الكتروني: **darjaleel@gmail.com**

شخصيات صهيونية (١/١١)

مذكرات

اسحق رابيـن

القسم الأول

ترجمة: دار الجليل



طبعة مزيدة ومنقحة / ٢٠١٥

المحتويات

تقديم

لعل الجانب الوثائقي، هو الأكثر أهمية، في مذكرات اسحق رابين، بجزأيها الأول والثاني، اللذين يغطيان فترة تنتهي بعام ١٩٦٧م، العام الذي سبق هبوط حزب العمل الإسرائيلي، عن سدةالحكم لصالح حزب الليكود اليميني، الأمر الذي أحدث تحولاً في المنهج السياسي الاسرائيلي.

مذكرات رابين هذه، تعتبر مادة تاريخية، لم تترجم لحياة الرجل فحسب، بل تعدت هذا الهدف إلى التأريخ لحقبة زمنية طويلة من الحكم العمالي، الذي تعرض للمد والجزر، واستسلم لغرور القوة، وأرسى قواعد الإحتلال، فأصيب بداء العظمة، وجاءت حساباته غير متطابقة مع الواقع، فهوى وجلس مترهلاً في كراسي المعارضة، حقبة طويلة من الزمن، قبل أن يلملم حزب العمل أجزاءه المبعثرة، وينهض من جديد، ولو على عصى من خشب.

مساحة زمنية واسعة تفصل بين عامي ٧٦ و ٩٣، انهار فيها الاتحاد السوفياتي، وتبددت دول أوروبا الشرقية، وأخذ زعماؤها يحجون إلى أعتاب البيت الأبيض، باعتبار ساكنه سيد العالم دون منازع، انتهت مرحلة الحرب الباردة، وأصبح زعماء العالم أداة طيعة في يد السيد الأمريكي، الذي يملك سلطة القرار في مجلس الأمن على حد سواء.

تبدلت الأحوال، اذن، وكان لا بد لاسحق رابين أن يتبدل هو الآخر، وقرر أن يقاوم الصدمات، وألا يسلم بمركز الرجل الثاني، حين تسلم بيرس الزعامة في حزب العمل، وقد تحقق له ذلك قبيل الانتخابات النيابية الأخيرة في إسرائيل عام ١٩٩٢، حين قرر أعضاء حزب العمل، ولأسباب انتخابية محضة، أن رابين الصقري الذي شغل حقيبة الدفاع في وزارة الوحدة الوطنية، هو الأقدر على الوقوف ندا لشامير، ذلك أن الرجلين اللدودين ينتميان إلى مدرسة التطرف، بفارق بسيط، هو أن رابين رجل دراماتيكي مرن قادر على التكيف مع الأحداث، وفق رؤى مستقبلية أقرب إلى الواقعية، فيما يقف شامير في الطرف

الآخر من المعادلة، مستمراً، بعقلية حركة "ليحي"، التي تطمع في أرض إسرائيل التي لا تنتظمها حدود، إلا بالقدر الذي يحدده بسطار الجندي الإسرائيلي.

صقرية رابين ليست موضع شك، ولعل خلفيته العسكرية، تقف وراء توجهه االسياسي، وهو قطعاً، من أنصار "أرض إسرائيل الكاملة"، ولا نعتقد أن أياً من الساسة الإسرائيليين يستطيع أن يزايد على وطنيته، بيد أن رابين ليس بقادر على الخروج عن نهجه العمالي، الذي يرى في بسط السيطرة على مليوني فلسطيني، قتلاً بطيئاً للدولة العبرية.

الانتفاضة الفلسطينية، شكلت عنصراً فعالاً في التحول الذي طرأ على أفكار وسياسة رابين، الذي عاصرها، كوزير للدفاع، منذ انطلاقتها، وظن على نحو العسكر الاسرائيليين، أن القوة هي السبيل إلى إخمادها، فأوعز إلى جنوده بالقتل وتكسير العظام والاعتقال والتعذيب، ومع ذلك، لم يغب عن ذهنه للحظة واحدة، أن الحل يمكن في السياسة والاعتدال بيد أنه كعسكري ضليع، يجلس على رأس السلطة العسكرية، ممثلة بالجيش وأركانه، لم يكن ليسلم بحقيقة أن ثوار الحجارة يقفون ندا "للجيش الذي لا يقهر".

مرتكزات أساسية، في مقدمتها صنع السلام، أدت إلى فوز حزب العمل في انتخابات الكنيسة الأخيرة، ذلك أن المجتمع الاسرائيلي خاض تجربة طويلة، مع دعاة التطرف بزعامة الليكود، فلم يظفر إلا بالتدهور السياسي والإقتصادي، وحتى العسكري، فضلاً عن تدني سمعة إسرائيل عالمياً، التي أسقطت مقولة الديموقراطية الوحيدة في الشرق الأوسط، وهكذا جاء في مقدمة البرنامج السياسي للحكومة الجديدة بزعامة رابين، السعي نحو تحقيق السلام، التصريحات التي أدلى بها رابين، وأعضاء حكومته، في أوائل عهد الحكومة، كانت مدعاة للتفاؤل، ذلك أنها تشكلت أساساً على أكتاف اليسار الإسرائيلي، ممثلاً بحركة "ميرتس" وخمسة من النواب العرب، فيما ظلت حركة شاس، المشاركة في الائتلاف، "كالخرزة الزرقاء" التي تدفع حسد اليمين المتربص، وعبثاً ذهبت في محاولات رابين، لتوسيع قاعدة الائتلاف الحكومي، بضم حركات يمينية أخرى أقل تطرفاً.

في ظل الوضع السائد، يتطلع حزب العمل برئاسة رابين، إلى نهاية فترة حكمة بعد أقل من ثلاث سنوات، بمنظار قائم، فثمة تساؤلات في الشارع الإسرائيلي تقول: ما الفرق بين حكومة شامير وحكومة رابين؟ ولهذه التساؤلات مبرراتها:

* الانتفاضة ما زالت قائمة، والسلاح أصبح الحكم الفصل، وأعداد كبيرة من الجنود والمدنيين والمستوطنين الاسرائيليين يتساقطون، ولم تفلح كل الوسائل العسكرية المتبعة لاخماد نارها، وحتى الحصار والتجويع، لم يحدا من عمليات المقاومة الفلسطينية، فالأمر إذن تعدى ما يسمى "الإرهاب الفلسطيني"، أنه ترجمة حقيقية لثورة شعب، لن تخمد إلا بتحقيق الطموحات الوطنية.

* حرب الخليج اثبتت، بما لا يقبل الشك، رغم نتائجها المريرة عربياً، والسعيدة اسرائيلياً، أن الدولة العبرية، وخاصة جبهتها الداخلية، ليست محصنة فالصواريخ التي دكتها، مرشحة لأن تستأنف، وليس مهما متى سيكون ذلك.

* وفي نفس السياق، فإن سباق التسلح ما زال قائماً على قدم وساق، ولعل الدول العربية، التي ستتوصل إلى استنتاج أن لا أمل في السلام، سوف تتبنى خيار الحرب لاسترداد ارض وكرامة الإنسان.

* والنظام العالمي الجديد، وهو أمريكي منحاز إلى جانب اسرائيل، لا يعدو كونه رهاناً آنياً، قد يندثر في أي لحظة تطل فيها قوة موازية جديدة في العالم، وهو أمر محتم وربما قريب.

* وحشد يهود العالم، في اسرائيل، يتطلب اقتصاداً متيناً، واستقراراً سياسياً، وهما أمران غير متوفرين، فمنذا الذي سيقنع اليهود بالهجرة، بالكم الذي ترغب فيه حكومة اسرائيل، ولعل تراجع أعداد المهاجرين دليل على ذلك.

* واسرائيل التي اعتبرت التفاوض المباشر مع العرب، مجرد حلم من الصعب تحقيقه، ها هو يترجم على أرض الواقع بدءاً من مدريد مروراً بواشنطن وانتهاء بما وراء الكواليس، وهذه فرصى ليس من السهل عدم انتهازها.

* وحتى تضطلع اسرائيل بدورها المرسوم اميركياً وغربياً في الشرق الأوسط، لابد وأن تعيش في جو مستقر، فحسابات المستقبل تقول بضرورة تثبيت القدم الأمريكية في المنطقة.

هذه الأمور وغيرها، لم تغب عن طاولة حكومة اسرائيل برئاسة رابين، وهي معنية بتحريك المسيرة السلمية خطوات إلى الأمام، وإذا كاننت اسرائيل حريصة على إخراج سورية من دائرة الصراع العربي- الاسرائيلي، فإنها مهتمة بنفس القدر بوضع حد، ولو أدنى، للصراع الاسرائيلي- الفلسطيني، خاصة وأن السلام لن يسود دون حل القضية الفلسطينية، الذي لن يتسنى له رؤية النور دون الحديث مع ممثل الفلسطينيين الشرعي، منظمة التحرير، وهكذا كان.... وهكذا بدأالحديث عن "غزة/ أريحا أولاً"...

هل وضع رابين نصب عينيه أن يتوج مراحل عمله العسكري والسياسي باتفاقيات سلام، تضمن لدولة العبرية فترة أطول من البقاء، في المنطقة العربية؟ ربما!!

من الصعب علينا أن نمر سريعاً، على التغييرات الرابينية الجذرية دون استعراض حقيقتين، ربما كانتا تقفان شاخصتين أمام تحولات رابين:

الأولى: هبوط حكومته من سدة الحكم، بعد فترة عشرين سنة، كان حزب العمل فيها سيج الموقف، وكان رابين آنذاك، رئيساً للحكومة، وربط اسمه بأسباب زوال الحكم العمالي.

الثانية: الانهيار الذي أصاب رابين كقائد عسكري عشية حرب ١٩٦٧، فقد بدا الرجل أضعف ممن أن يواجه حرباً شاملة مع العرب، وهذه حادثة تعتبر سبة في جبين رابين.

هاتان الحقيقتان، ما تزالان تطاردان رابين، ويبدو شبحاهما أمامه في كل نقلة أو سكنة، ولا سبيل إلى التخلص منهما إلا بإثبات الوجود من خلال إبداء القدرة العسكرية الفائقة، على غرار ما حدث في مواجهة الانتفاضة بقوة وعنف ودون رحمة، وضرب قرى الجنوب اللبناني، معملاً فيها تدميراً وتقتيلاً، ومن خلال ابداء قدرته السياسية، على اتخاذ القرارات المصيرية الصعبة، بعد فشل جميع محاولات التسويف.

شخصية رابين، والمنهاج السياسي لحزب العمل، شيء واحد، وهما إلى ذلك لا ينفصلان عـن جملة الأحداث التي تدور في العالم، وعلى الساحة الداخلية الاسرائيلية أيضاً.

- فالهجرة اليهودية الواسعة من الاتحاد السوفياتي سابقاً، أوجدت واقعاً جديداً، كان حلـماً يراود الدولة العبرية، وتحقيقه يتطلب مزيداً من الجهد والاسـتقرار، لاسـتقطاب أعـداد إضـافية من اليهود.

- والغاء قرار الأمم المتحدة الـذي يسـاوي بـين الصـهيونية والعنصريـة، أدخـل اسرائيـل في منظومة للدول، وأبعد عنها شبح العزلة. وقد تمثل هذا، في تهافت الـدول عـلى إعـادة علاقاتهـا مع اسرائيل، تجاوزها عددها الثلاثـين دولـة، بمـا فيهـا الـدول المسـتقلة عـن الاتحـاد السـوفياتي والصين والهند.

- حربـا الخلـيج الأولى والثانيــة، خلقتـا حقـائق موضـوعية، صـبت في قنـوات المصـالح الاسرائيلية، ذلك أنها أوجدت خلخلة واضحة في النظام العربي، وارست دعائم الوجـود الأمـريكي والغربي في المنطقة.

- وحرب لبنان عام ١٩٨٢، كانت درساً، ومجالاً واسـعاً لاسـتقاء العـبر والاسـتنتاجات، فقـد سعى رابين ابن تسلمه وزارة الدفاع في عهد حكومة الوحدة الوطنية، إلى جعل الانسـحاب مـن لبنان، باكورة أعماله.

كل هذه العوامل مجتمعة، أعادت صياغة شخصبة رابين، وأوجدت لديه تحـولات فرضـتها حقيقة الأوضاع، وبدت جلية في تعامله في الأحداث.

لعل من الصعب على رابين أن يعطي الكثير، ذلك أننا لا شك في صـدق وطنيتـه اليهوديـة، وانتمائه الصهيوني، فهو قد اسـتخدم صـديقه اللـدود شـمعون بـيرس، لادارة آليـة السـلام، ربمـا للدفاع عن نفسه مستقبلاً، في حـين سـيجلس عـلى كـرسي السـلام بفخـر إذا مـا تحقـق النجـاح للمسيرة السليمة.

بين المساحة الزمنية التي تغطيها مـذكرات رابـين، وبـين وقتنـا الـراهن، أحـداث وأحـداث، وتغيرات كبيرة فرضت نفسها ، وعلى أهمية هذه الأحداث والتغيرات، تظل مذكرات رابـين، كـما قلنا، تأريخاً لحياة الرجل، مثلما هي تأريخ للدولـة العبريـة، في حقبـة زمنيـة غاصـة، وتسـتحق قراءة متأنية، ذلك أنها ليست نصوصاً انشائية، بـل مفـردات في بنـاء "دولـة اسرائيـل"، لا يمكـن اغفالها.

مقدمة

بعد أن انتهت فترة عملي كرئيس للحكومة قـررت أن أؤلـف كتابـاً أدون فيـه أحـداث ٣٦ سنة قضيتها في خدمة اسرائيل. فقد اشتركت في المعارك التي خاضـتها اسرائيـل في فـترت خاصـة من حياة الاسرائيليين وفي هذه الفترة عملت في ثلاثة مجالات:

١- المجال العسكري

منذ أن تطوعت عام ١٩٤١ للخدمة كجندي في منظمة "البالمـاخ" وكقائـد للـواء هرئـب في الحرب الضارية من أجـل الاسـتيلاء عـلى القـدس أبـان حـرب الاسـتقلال وحتـى أن وصـلت إلى منصب رئيس أركان الجيش الاسرائيلي خلال انتصار في حرب حزيران ١٩٦٧.

٢- المجال الدوبلوماسي

عندما خدمت خمس سنوات كسفير لاسرائيل في الولايات المتحدة وكنت شريكاً في الكفـاح من أجل المحافظة على مكاسب حرب الأيام الستة.

٣- المجال السياسي

كرئيس للحكومة، وقد خدمت في هذا المنصب ثلاث سنوات وهي الفترة التي مهدت فيهـا الطريق للسلام مع مصر.

وقد دونت في هذه الفصول الثلاثة من حياتي، وصفاً لخليفة نموي الشـخصي بـين الوالـدين والطفولة والشباب.

وأنني لن أعطي نفسي صفة المؤرخ الذي يـدرس دومـاً الاحـداث ويطبـع عليهـا خطـووط الموضعية لقد وصفت الأمور من وجهة نظري ومن نقطة مراقبة الوظائف المتلفة التي شـغلتها طيلة هذه الفترة. وعلى الرغم من ذلك فإنني أجد نفسي ملزماً بقول كلمة عن الحقائق التي لا

يجب ظلمها، فمن أجل كتابة هذا الكتاب استعنت بوثلئق كثيرة. فبالنسـبة للحقبـة العسـكرية استعنت بسجلات، ومذكرات الحـرب عـلى المسـتوى القيـادي في الجـيش الاسرائـيلي وأرشـيفها. وبالنسة لفترة السفارة في واشنطن استخدمت مذكرات السفير، والبرقيات والوثائق وغيرها. كـما أن محاضر جلسات الحكومة ولجانها وتسجيلات المباحثات مع كل عنصر سياسي وضعت تحت تصرفي لكتابة الفصل الخاص برئاسة الحكومـة لقـد اشـظت الـذاكرة في مخيلتـي دوراً متواضـعاً ولكن الوثائق والملفات خدمتني باخلاص، وفي نهاية هذه المقدمة فإنني أقول بأنني سأبذل كـل ما في وسعي لكي لا تكون هذه المقدمة هي الأخيرة.

الباب الأول

الفصل الأول

كل شيء بدأ في القدس

أذيع يوم الأربعاء، السابع من حزيران ١٩٦٧، في ساعات ما بعد الظهر أن لـواء المظليـين قـد دخل عن طريق بوابة الاسباط إلى البلدة القديمة ووصـل إلى حـائط المـبكى وأنهـى السـيطرة عـلى البلدة القديمة من القـدس. وكنـت في تلـك السـاعة أجلـس في غرفتـي في موقـع القيـادة للجـيش الإسرائيلي كرئيس للأركان الإسرائيلي، وكان ذلك اليوم هو اليـوم الثالـث لحـرب حزيـران. ولم يحـن بعد وقت اجمال الموقف ما عدا تفكيرات اولية. اننـا لم نبـادر إلى هـذه الحـرب فلـولا أعـداؤنا لمـا اندلعت هذه الحرب ولكنها عندما اندلعت كانت هناك قيود سياسية تقيـد ايـدينا فـمصر كانـت هي المبادرة، والاردن وسوريا والعراق دخلـت الحـرب فمتـى حـدث ذلـك؟. ان تقـديرات الوقـت تشوش خلال الحرب. ففي اليوم الأول تم تدمير جميع أسلحة الجو العربية، وفي الجبهة الجنوبيـة تم تحطيم الجـيش المصري وأمـرت قواتـه بالانسـحاب نحـو القنـاة تحـت غطـاء الفرقـة المدرعـة الرابعة واصبح معظم اراضي الضفة الغربية بأيدينا. وتم احتلال القدس. ولكـن في الشـمال اسـتمر الازعاج المدفعي من قبل السوريين وقد طلـب منـي ان انضـم إلى وزيـر الـدفاع موشـة ديـان وان ادخل معه البلدة القديمـة مـن القـدس، وان نـدرس الخطـوات القادمـة للحـرب، سـافرنا جـوا إلى القدس، ووصلنا إلى موقع القيادة الوسطى، عـوزي نـركيس في مبـاني الامـة، وكـان الانفعـال كبـيرا، وكان عوزي احد القادة في لواء هرئيل التابع للبالماخ وحارب في القدس، في حرب «الاسـتقلال». لقـد كان احتلال القدس انتصارا كبيرا لي وله. في حرب الاستقلال اضطررنا إلى ترك القدس الشرقية بايـدي العدو، ومنذ اندلاع حرب حزيران كان صبرنا قصيرا يجب ان لا تضيع هـذه المـرة الفرصـة التاريخيـة توجهنا إلى بوابة الأسباط، ودخلنا عن طريق بوابة منـدلباوم المـدمرة، ومـن ثـم دخلنـا عـن طريـق

الشوارع الضيقة في البلدة القديمة، وكانت البلدة وكأنها هيتة. النوافذ محطمة، والابواب مغلقة وهنا وهناك كانوا يخرقون الهدوء عن طريق العيارات النارية من قبل القناصة أو الجنود الاردنيين الذين واصلوا القتال. سرنا في الازقة التي كنت اعرفها منذ طفولتي. ان ايام الصبا تثير الانفعال والحماس دوما. وكلما كنا نقترب من حائط المبكي ازداد الانفعال، حائط المبكى الذي يميز إسرائيل.

لقد كنت احلم دوما بان اكون شريكا ليس فقط في تحقيق قيام إسرائيل وانما في اعادة حائط المبكى إلى السيطرة اليهودية، والان عندما تحقق هذا الحلم تعجبت: كيف اصبح هذا هلك يدي؟ وشعرت بانني لن اصل إلى مثل سهو هذا المكسب طيلة حياتي، لقد تجمعت الأمور على النحو التالي: ان حقبات حاسمة في حياتي ترتبط بالقدس. فقد ولدت في القدس، وحاربت في القدس عام ١٩٤٨ وحلمت في القدس باقامة دولة يهودية.

كما ان والدي اجتمعا وتعرفا على بعضهما لاول مرة في القدس في ظروف صعبة، ففي عام ١٩٢٠ هاجمت منظمات عربية الحي اليهودي، وآبائها كانت والدتى قد وصلت في اجازة إلى بيت عمها مردخاي بن هيليل هاكومن، ولم تستطع البقاء بعيدا ووصلت بقواها الذاتية إلى البلدة القديمة فخدمت كممرضة وكعنصر ارتباط ومساعدة للعائلات اليهودية في الحي اليهودي. وقريبا من الوعد تسرح الشخص الذي كان سيصبح والدي من الخدمة كجندي في الكتيبة العبرية والتى في نطاقها وصل إلى فلسطين في نهاية عام ١٩١٨، واسرع ومعه مجموعة من الجنود المسرحين للمساهمة في حماية الحي اليهودي في البلدة القيمة، وهنا اجتمع الجندي والممرضة.

بعد ذلك بعاهين ولدت في القدس ولكن هذا الحق وصل إلي عن طريق الصدفة، فبعد ان تعرف والداي على بعضهما البعض في البلدة القديمة انتقلا إلى حيفا، فاشتغل والدي في خدمات التلغراف والهاتف التابعة لحكومة الانقداب ووالدتي اشتغلت كمديرة حسابات في مصنع لبيع الاخشاب. كان مرتبطا بمهنة ابناء عائلتها منذ اجيال قديمة. وعندما اقترب

هوعد الدولادة انتقلت والدتي إلى القدس، بالقرب مـن عائلتهـا، اذن لقـد صرخـت وصرخـت ليكون ظهوري الاول في القدس.

وصلنا إلى حائط المبكى وتوقفت انفاسي قليلا ولم اشـهد في حيـاتي مثـل هـذا الشـعور وأنـا اشك فيما إذا كنت سأشعر بهذا الشعور فيما بعـد. وقـام وزيـر الـدفاع كـما هـي العـادة لـدى اليهود وكتب رقعة من الورق وادخلهـا بـين حجـارة الحـائط، لم افعـل ذلـك، لقـد شـعرت بـان الوقت هو وقت انتصار نادر، وقام جنود اللواء المحهول جوا والمدنيون باقتحام الحائط وتجلت هنا وحدة الاشخاص الذين لا يصدقون ما تراه اعينهم، يضربدون انفسهم لازالـة الشـكوك مـن القلوب كي لا يكونوا عائشين في الاحلام انهم لا يعرفـون كيـف يعـبرون عـن المشـاعر المتفجـرة: فكل واحد منهم يريد ان يستمر في هذا المكـان ولا يـبرح هـذا الموقـف الجليـل ولكـن الوقـت ضيق، عدنا إلى موقع القيادة إلى مشاكل هواصلة ادارة الحرب.

لقد كانت الطريق بعيدة ومعقدة وصليئة بالعوائق حتى وصل ابواي إلى لقـائهما الاول في القدس، والى ان اصبحا شركاء فعالين في الكفـاح مـن اجـل انبعـاث الشـعب اليهـودي مـن جديد، لقد ولدت اهي في روسيا وترعرعت في بيت محافظ وكثير الاولاد يبلغ عددهم عشرة، وقد اصيبت والدتي باليتم من امها وهي فتاة، واسقدرجت إلى التربية العامة وخاضت حـوارا شديدا مع والدها ودرست في كلية مسيحية للبنات في هوصل، وانهت دراستها وانتقلـت مـع والدها إلى بتروغارد التي تسمى اليـوم لنينغـراد، وازدهـرت الاشـغال، لجـدي وشـاركته اهـي في اعمالـه. ومنـذ صـباها كانـت والـدتي تشـارك في النشـاطات السياسـية، ووجـدتها الثـورة الشيوعية كمديرة لمصنع عسكري لانتاج المواد المتفجـرة، وبعـد مـرور وقـت، عنـدما حـاولوا ابعادها، اضرب العمال وخضع النظـام الشـيوعي لـرغبتهم. وعنـدما قـررت مغـادرة الاتحـاد السوفياتي لم ترسم طريقها إلى فلسطين، وبصفتها واقعة تحت تأثير «البدونـد» الفكـري وهـو حزب سياسي يهودي اشـتراكي مضـاد للصـهيونية، قـررت السـفر إلى دولـة اسـكندنافية أو إلى الولايات المتحدة على الرغم من انه كان يقيم في فلسطين عمها الكاتب مردخـاي بـن هيليـل

هاكوهن ومردخاي هو من رجالات القدس، ومن رؤساء الاستيطان. ولكن المصير سار بوالدتي على طريق آخر، ففي اوديسا صادفت مجموعة من الصهاينة تريد الصعود على السفينة «روسلن» التي ابحرت من شواطئ روسيا إلى فلسطين وكانت اول رحلة لها بعد الحرب، ولاسباب لم ادركها مطلقا قررت الانضمام إلى هذه المجموعة، وهكذا وصلت في عام ١٩١٩ إلى كيبوتس كنيرت الواقعة على شاطئ بحيرة طبريا وجربت مآسي العمل الجسماني الذي لم تتعود عليه ومشاكل اللغة. لقد مرضت وتمسكت بالمكان باظافرها المتصلبة، لقد ارتاح عمها جدا عندما وصلت اليه، وبما ان اخوته لم يصلوا إلى فلسطين علق اماله على والدتي ومنحها كل حبه، وهكذا وصلت في عام ١٩٢٠ إلى القدس القديمة والتقت لاول مرة والدي.

اما قصة والدي فتختلف اختلافا كبيرا، فقد ولد في اوكرانيا لاسرة فقيرة في بلدة صغيرة بالقرب من مدينة يكترينوسولف، وتيتم من والده وعمره ١٤ سنة، واصبح يحهل اعباء معيشة العائلة وعهل في الافران، وكما هي الحال بالنسبة لوالدتي نشد منذ شبابه إلى الافكار الجديدة والثورية التي عمت روسيا في تلك الفترة. فقد اشترك في الاضراب الذي نظمه الحزب الاشتراكي الجمهوري الذي شكل خلايا سرية اشتهلت على شبان بسن الخامسة عشرة والسادسة عشرة. وفي عام ١٩٠٥ هرب خوفا من المذابح، وبعد معاناة كبيرة وصل إلى الولايات المتحدة حيث انتقل إلى نيويورك وشيكاغو.

اما الوظيفة الاولى التي شغلها والدي فكانت بائع جرائد، وتعلم اللغة الانجليزية وانتقل إلى مجال الخياطة، واشتاق إلى الدراسة وقبل في جامعة شيكاغو، كان يعهل ويدرس، ودخل في نشاطات في النقابة المهنية اليهودية الاميركية، وفي منظمة الخياطين اليهود. كما انضم إلى حركة عمال صهيون وهكذا وصل إلى الصهيونية الاشتراكية.

ان الحياة في الولايات المتحدة فتحت امامه نافذة نحو الثقافة. إلى عالم المصطلحات الديهوقراطية، والتعرف على القيم الانسانية كانسان وكيهودي. لقد اعجبتني قصصه عن امرمكا كان بامكانه ان يعيش هناك إلى الابد. ولكن وعد بلفور الذي مر في نهاية الحرب

العالمية الاولى ودعوة بريطانيا لليهود للالتحاق في الكتيبة العبرية والمساهمة في الحرب ضد الاتراك في فلسطين اعجبته. غادر الولايات المتحدة بعد ١٢ سنة وتجند في الكتيبة العبرية. في يوم من الايام قال لي دافيد بن غوريون: تعرف، لقد جندت والدك في الكتيبة العبرية ولهذا السبب ولدت في فلسطين «والدي لم ينف ولم يؤكد».

لقد كان اسمه روبتسوفه ولم يحاول تغييره لولا سبب واحد: ففي مكتب المتجنيد الاول فصل لسبب انبساط بكفي قدهيه، وجرب حظه في مكتب تجنيد اخر ولكنه ولكي يخفي شخصيته قدم نفسه باسم رابين، اذن فانني دعيت بهذا الاسم بسبب مكتب التجنيد البريطاني. ارسل إلى كندا، ومن هناك سافر بباخرة إلى بريطانيا إلى الكتيبة ٣٨ التي كانت مكونة كلها من متطوعي الولايات المتحدة وسميت «الكتيبة الاميركية» كما انضم اليها يهود من فلسطين مثل: بن غوريون وبارل كستنلسون وبن تسفي الذي اصبح فيما بعد زعيما لإسرائيليين معروفين. وبعد ذلك توجهت الكتيبة إلى مصر.

لقد كان احد قادة والدي، وهو زئيف جابوتنسكي هو معلمه الاول للغة العبرية، وكان والدي يكن له التقدير والاعجاب على الرغم من انه كان يعارضه في افكاره، وقد وصلت الكتيبة إلى فلسطين بعد نهاية الحرب ولم تشترك تقديريا في المعارك، لقد انتهت الحرب وبدأوا بتسريح الكتيبة وحصل والدي على وظيفة في خدمات البريد والتلغراف التابعة لحكومة الانقداب البريطانية. ان الأسلحة التي حافظ والدي وبعض زملائه عليها قد خدمتهم عام ١٩٢٠ عندما انضموا إلى المدافعين عن الحي اليهودي في القدس، وقد اقام والدي ثلاثة اسابيع في «القشلة» وهو السجن الانكليزي في القدس بتهمة حيازته أسلحة غير قانونية، وبعد ان افرج عنه توجه إلى منصة العرس حيث تزوج والدتي عام ١٩٢١.

وفي الاول من آذار ١٩٢٢ ولدت في القدس اقهنا مدة عام في حيفا وبعد ذلك انتقلنا إلى تل ابيب، اشتغل والدي في شركة الكهرباء التي كانت في بدايتها وعهلت والدتي كمديرة حسابات في شركة «سوليل بدونيه» وهي شركة تعهدات عهل. لقد كنا نقيم بالقرب من

شارع شبازي وهي منطقة حدود بين تل ابيب الصغيرة ويافا. وكانت صداقة الاولاد مختلطة يهودا وعربا، فما عدا الخصومات بين الاولاد كنا نعيش بسلام. وبعد ذلك انتقلنا إلى شارع تشالنوف، وبدأت دراستي في روضة الاطفال التي كانت انذاك مشهورة جدا في شارع يهودا هالفي لدى معلمة روضة الاطفال القديمة طوبا حبكين، لقد كنت طفلا منغلقا على نفسي خجولا، ويتههونني بان هذه الصفات مازالت هلتصقة بي حتى يوهنا هذا، ومرة افرى رحلنا وفي هذه المرة إلى شارع شادل، لقد ساد البيت جو البيت العاهل، لقد قالت غولده مئير بعد مرور سنوات طويلة انها كانت اهينة صندوق في سوليل بدونيه، وقالت لها حتى والدتي، وقلت: لا، كنت أنا اهينة الصندوق ووالدتك مديرة الحسابات، «بالاضافة إلى تعبهم من اجل توفير لقمة العيش كان ابواي مشغولين في النشاطات العامة، ولكن ليس من اجل تقاضي الاجور.

وبسبب الانشغال والاعمال الأخرى تجمدت تقدريبا الحياة النوجية بينهما، ففراغهما الوحيد كان مساء يوم الجمعة الذي كان مساء مقدسا للاسرة. المنزل لم يكن منزل مقدينين، وانما ذو طابع علماني، ولكنه هلئ بالافتخار باليهودية.

وقد تعودت أنا واختي التي ولدت بعدي بثلاث سنوات ونصف من الطفولة القيام بدور ما في المنزل وان نتناوب ترتيب الاسرة وغسل الصحون، ونفض الاثاث ومسح ارضية البيت وكان والدي يحضر وجبة الفطور، وكان يهلأ البيت دوما بشعور المسؤولية. لا يوجد انسان يعهل فقط من اجل ان يوفر لقمة العيش أو يرضي المستهلكين، ان العمل هو قيمة بحد ذاته والعمل الشعبي ليس اداة للحفز وتطوير مصلحة شخصية وانما هو القيام بالواجب لصالح الجمهور.

لقد تعلمت أنا واختي هذه القيم ولم يكن الا طبيعيا ان تؤدي طريقي من روضة الاطفال إلى مدرسة الاولاد العاهلين. لقد استقبلني كوخ بسيط مبني وسط منطقة قفراء، وكانت اشجار الصبير تبدو من بعيد والعرب يقودون جمالهم، ولم يكن امام والدتي وقت كاف

لتخفف علي مصاعب التأقلم للوضع الجديد، أو لربما كانت تعتقد بأنه يجب على ان اجابه المصاعب بقوتي الذاتية. وبين هذا وذاك وجدت نفسي واقفا حائرا مع ولد اخر وكانت رغبة البكاء تحدو كلا هنا، وكل هنا خجول. وهكذا بدأت لاول مرة العلاقات بيني وبين هوشيه نوسوبتسكي وهي العلاقات التي استمرت وقتا طويلا وصمدت امام اختبارات كثيرة، لقد كانت هذه المدرسة تتهيز بكونها مكانا للتربية قبل ان تكون مكانا للتعليم، وكنا في هذه المدرسة نعتمد في كل شئ على انفسنا، حيث كنا نقوم بتحضير الطعام وغسل الاواني وزرعنا حديقة خضراء وعهلنا في حقل التجارة، وكانت هذه المدرسة تعهل منذ الثامنة صباحا حتى الرابعة مساء وكأنها خلية نحل هليئة بالحياة والنشاط.

لقد كان قدخلى عاليا ومع هذا كنت لا اريد ان اكشف عن مشاعري، هكذا كان تصرفي انذاك ومازال حتى اليوم، وكنا نقوم مرتين في العام بنزهة كبيرة، انني اذكر النزهة التي قهنا بها إلى غزة، لقد سافرنا بسيارة باص عن طريق اشدود وعسقلان يوما كاملا لوعورة الطريق وصعوبة مسالكها. وفي غزة نهنا في مدرسة وسط المدينة، وفي الخارج كان يتجمع حولنا الاولاد العرب، وانزوينا في الداخل وكنا نشعر بالخوف، والنزهات إلى تبور، والقدس، وقيساريا اظهرت لنا فلسطين بانها رائعة حية.

في تلك الفترة كانت والدتى تعهل في مجالات عديدة، منها عضويتها في مجلس بلدية تل ابيب من قبل حزب «ماباي» على الرغم من انها لم تكن مطلقا في حزب فقد كانت تحبذ عدم الارتباط مع جبهة أخرى واما والدي فقد كان عضوا في نقابة عمال المعادن وعضوا في لجنة عمال شركة الكهرباء، وكانت جلسات النقابة تعقد في منزلنا، الضجة والصرخات في الجلات اذكرها حتى هذا اليوم.

عانت والدتى من مرض في القلب وكنت اشعر بمخاوف عهيقة من ان يقضي عليها هذا المرض فكلما اصيبت بجلطة كنت اركض مسرعا لاسقدعاء الطبيب وكنت اخشى ان اجدها هيتة قبل ان اعود، وقد عشت أنا واختى في ظل الخوف طيلة سنوات طفولتنا وكنا نحذر جدا

من اثارة غضبها، وفيما بعد ظهر لدى والدتي مرض السرطان، لقد كانت عضوا في القيادة القطرية لمنظمة الهاغناه وفي مرحلة معينة انفصلت وحتى النشاطات العامة لم تضئ لها الطريق في العاهين الماضيين لحياتهما، اجتماع مرض القلب ومرض السرطان كان الحدث الرئيس الذي في ظله دارت حياة البيت، لقد كانت والدتي واعية مدركة لوضعها، ولكن والدي لم يسلم بذلك، وقد بذل كل جهده وانغمس في الديون المالية الكبيرة من اجل علاجها أو على الاقل التخفيف من الضائقة التي تعاني منها.

ثماني سنوات في المرسة التربوية وعامان في مرسة اللواء في قبعات هاشلوشا والقلب يتجه إلى مدرسة خضوري النراعية وهي هدف الكثير في تلك الايام الذين اعدوا انفسهم للنراعة والاستيطان وتقدمت أنا وموشة نيتسر إلى الفحص ونجحنا على شرط ان نتقدم لفحص آخر، وتضرر شرفي الذاتي وركزت على اعادة الراسة تمهيدا للفحوصات في صيف ١٩٣٧، وتعهد جارنا المهندس، ان يدرسني الرياضيات وقد تهلكني المنطق الذي ينطوي عليه علم الرياضيات وفي الفحص الثاني حصلت على ١٠٠% ولم يكن لدي اي خط وتعلمت بان الفشل هو احيانا حافز قوي للنجاح، وكان هذا تحديا للتأقلم بالحياة التي سأعيشها، في كلية خضوري، فقد اقهنا في قاعة كبيرة تضم ٢٠ طالبا وكان السرير يلاصق بالسرير الاخر كأننا في ثكنة عسكرية. وكان الجو جيدا ولكن الخصوصيات مجمدة، وكانت قيمة احترام النفس مقبولة لدى الجميع، وحاولنا ان نستخلص من انفسنا افضل شيء وفي احد الايام اسقدعيت بسرعة إلى البيت وكانت عينا والدي تذرفان الدمع، وركضت إلى مستشفي هداسا في تل ابيب وطلبت من اللـه ان اجد والدتي على قيد الحياة ولكنني وجدتها قد انتقلت إلى العالم الاخر، بعد سبعة ايام عدت إلى مدرسة خضوري والشعور الذي يتهلكني هو بانني انسان صغير يجب ان يعتمد على نفسه، ويجب علي ان اقدرر طريقي بنفسي، وفي خضوري، انغلقت على نفسي، وتفرغت للدراسة والعمل والنشاطات الاجتماعية ولكن بشكل محدود، وانهيت العام الاول بانني افضل طالب في الصف، وقد أضفت إليَّ قرأ آخر من المسؤولية والنضوج

عندما اقتربنا من موضوع الامن، كانت الاحداث الدائرة في عام ١٩٣٦ في ذروتها، وقد هاجم العرب المدرسة عدة مرات، وكنا نحن الطلبة نقوم بوظائف الاتصال بين المواقع وعلهونا كيف نستخدم السلاح. وكان الشخص الذي يقوم بقدريبنا هو يجال الون وكان شخصية محبوبة ويسمى «بهلك الجليل» وهو من خريجي الدورة الاولى لمدرسة خضوري، وعلى الدروب الطويلة سرنا طيلة الوقت كعسكريين وسياسيين، بعد نهاية العام الدراسي الاول اغلقت المدرسة لمدة سنة بامر من سلطات الجيش البريطاني، وانتقلت أنا وموشة نيتسر إلى مستوطنة غينوسار وساهمنا مساهمة فعالة في الحراسة والكمائن، وقد تعرضت هذه المستوطنة إلى الهجوم ثلاث مرات وقد عهلت كناطور، وبعد مرور حوالى نصف عام انتقلنا إلى كيبوتس هاشرون (رمات دافيدا) وعلهنا بان الدراسة في خضوري ستستأنف في شهر اكتوبر، وفي ايلول ١٩٣٩ اندلعت الحرب العالهية الثانية، لقد كانت الحرب قريبة وبعيدة فالقدس حسب اعتبارات تلك الايام كانت بعيدة جدا، فاوروبا كانت بعيدة عن الوصول، ولكن جنيف كانت في اوروبا وكان والدي يعهل هناك كعضو في الكونغرس الصهيوني واصبحت اشك في امكانية عودة والدي إلى فلسطين، بسبب ان الحرب قد تقطع الطريق، عدت إلى تل ابيب لاكون إلى جانب اختي وبعد متاعب ومشقات استطاع والدي العودة.

كان من العسير الجلوس في مدرسة خضوري ومزاولة الدراسة في وقت تشتعل فيه اوار الحرب في العالم، ولكنني ارغمت نفسي على الانكباب على الدراسة وفكرت ادارة المدرسة باننى نجحت: وقام المندوب الساهي البريناني هارولد ماك مايكل ومنحني في حفل التخريج شهادة الدراسة المتفوقة وقال لى في الاحتفال بان حكومة الانقداب ستمنحني جانزة وهي ٧,٥ ليرة فلسطينية وكان الشرط لن تستخدم هذه الجائزة لشراء معدات زراعية ولانني لم اوف بالشروط فان حكومة بريطانيا مدانة لى بهذا المبلغ حتى يوهنا هذا. بعد نهاية الدراسة ارتبكت: اردت ان ادرس هندسة هياه، ولكن مدير المدرسة «فيات» وهو شخصية نادرة تعب وحصل من اجلى بعد جهود كبيرة على منحة دراسية من قبل حكومة الانقداب

البريطاني إلى جامعة بركلى في كاليفورنيا، والح هو والمعلم الدكتور روزنبرغ على بان لا اضيع هذه الفرصة الكبيرة، ولكنني رفضت الاقتراح، ففي وقت العرب لم استطع مغادرة فلسطين، وابتعد عن اغراء الخروج للدراسة بواسطة القول لنفسي اني سأخرج للدراسة بعد انقضاء الحرب ولكن بعد نهاية الحرب العالهية الثانية جاءت حروبنا في الشرق الاوسط حرب وحرب وحرب وقد انضم حلمى في الدراسة إلى الاحلام الأخرى من الممكن ان احققها. عدت إلى منزلي في اجازة وانضممت إلى زهلائي، إلى نواة الاعداد في رمات يوحنان في كانون اول ١٩٤٠، وقضيت هناك بعض الوقت، وفي إحدى الامسيات استعاني قائد المنطقة من قبل منظمة الهاغناه، وبادرني الحديث دون مقدمات فقال، ان دول الحلفاء وصلت إلى وضع مترد في الحرب، واصبحت اوروبا كلها في ايدي المانيا النازية، وبدا تعزيز التطورات الايطالية وانتفض العالم العربي يبدي تأييده وتعاونه مع المانيا النازية. والوضع في فلسطين صعبء صحيح ان القوات البريطانية قيدت ايدينا ووضعت العراقيل على طريق الاستيطان، ولكن طالما استمرت الحرب لا يوجد اماهنا خيار سوى ان نكون حلفاء للبريطانيين في حربهم للقضاء على الحيوان النازي، وعلى هذا الاساس فقد تقدرر تشكيل قوة خاصة من التطوعين يكونون مستعدين للعهل تحت امرة زعامة الاستيطان لاغراض تتقدرر طبقا للظروف المتطورة فهل ستوافق على التطوع؟ وافقت بدون تردد وطلبت ان اعرف، ماذا ستكون وظائف الوحدة وبماذا سأكلف ولكن طلبي رفض، والمح القائد إلى امكانية القيام بالقدريب، والمهام واهور غامضة أخرى. وشكرته منفعلا على اختياره لى، وقال لى انه بعد ان اقابل اشخاصا اخرين ويجدوني هناسبا سيضهونني إلى الوحدة، ولكنه لم يذكر اسماء الاشخاص، وهذه السرية والغهوض زادت من انفعالى، وسكت كما امرني لمدة اسبوع، وتساءلت هل الغي الموضوع ام رفض ترشيحي، وزاد التوتر لدي، وبعد مرور حوالى شهر دعيت مرة أخرى إلى غرفة القائد ووجدت هناك موشة ديان، ولم اعرفه من قبل سوى عن طريق المشاهدة، وسألني عن اسهي واهتم بان يعرض نوح السلاح الذي استطيع استخدامه

مسـدس بندقيـة، قنبلـة، فقلـت كـل هـذه الأسـلحة اسـتطيع اسـتخدامها ولم اعـرف اسـتخدام الرشاشات، وبعد عدة اسئلة قال انت هناسب، وانتهت المقابلة وبعدما مرت اسابيع ولم يحدث شيء، وفي شهر ايار وصـلت انبـاء ان قـوات المانيـا تصـل إلى سـوريا وحكومـة سـوريا والجـيش الفرنسي اصبحوا يساندونها. وكان الوضع صعبا في فلسطين، فقد استمرت عمليات القصف مـن قبل الجيش الايطالي على اهداف مختلفة في فلسطين ومن رمات يوحنان كنـا نشـاهد عمليـات قصف مصافي البترول في حيفا التي كانت تقع على مسافة قريبة من المستوطنة.

الفصل الثاني

العملية العسكرية الأولى

في نهاية أيار ١٩٤١ وصل الأمر المنشود: المسؤول في صباح اليوم التـالي في كيبـوتس عـين هامغراتس. وذهبت أنا وجابي وهو زهيل من دورة أخرى في رمات يوحنـان بواسـطة السـفر المجاني وفي فناء عين هامغراتس تجمع حوالى ٢٠ شخصا من الشبان، وبعد ذلك جـاء شـخص وفحص قائمة الاسماء، فركبنا في شاحنة وسافرنا إلى نهاريا، ومن ثم نقلونا بمدرعـة إلى حانيتـا، ووصلنا تتريبا عند المساء، وقاموا بإسكاننا في كوخ كانت ارضيته مغطاة بـالقش، واسـتلم كـل واحد هنا حراهين. وتناولنا عشاءنا في غرفة الطعام وذهبنا إلى النوم وبعد عدة دقائق طلـب هنا ان ننهض ونجتمع. وفي غرفة التربية تجمع جميع كبـار الحاخـاهين في منظمـة الهاغنـاه: وهم موشة ديان، واسـحق سـاديه، ويعقـوب دوري ودافيـد هـاكوهن، وماريكـا دافيـد زون من ايلون، ودان روم من حانيتا، وكان اول المتحدثين دوري حيث قال: في تـاريخ غـير معلـوم يريد البريطانيون ان يغزوا سوريا وان يسيطروا على سوريا الكـبرى بمـا في ذلـك لبنـان تحـت سلطة فيشي وذلك لاحباط خطر هلهوس من قبل الالمان الذين يريدون غزو فلسـطين ومصر من الشمال والجنوب، ان قـوات روصـل التـي وصـلت إلى حـدود مصر في الصـحراء الغربيـة وصدت الفيلق الثامن البريطاني وسلبته مكاسبه السابقة تهدد الآن مصر والقوة الالمانية التي اعدت للاحتشاد في سوريا من شأنها ان تهدد فلسـطين مـن الشـمال. ومـن خـلال الاسـتجابة للطلب البريطاني قررت الهاغناه التعاون معهم في ما يطلبدون منهـا. واننـي اتوقـع مـن كـل واحد مـنكم ان يثبـت في هـذا الاختبـار الصـعب الـذي نواجهـه. هـذا هـو اختبـار الهاغنـاه والاستيطان اليهودي في فلسطين. شعرت بانفعال كبير وعلو في النفس: انني ذاهب لان اكـون شريكا في امر مهـم. وذهـب خيـالى بعيـدا. الاشـتراك في حـرب عالميـة. بعـد ذلـك وزعونـا في مجموعات مكونة من اثنين أو ثلاثة اشخاص وحرثنا باقدامنا جميع منطقة الحدود مـن رأس

الناقورة حتى سعسع. ولم تعرف جميع العناصر البريطانية باننا نعهل بالتنسيق مع السلطات. وواجهنا أكثر من مرة مشاكل بل واعتقلنا في إحدى المرات وبعد سلسلة من التوضيحات سمح لنا بهواصلة طريقنا في يوم السبت الهوافق ٦ - ٤ - ١٩٤١. قيل لنا سيبدأ هذا المساء الغزو البريطاني لسوريا وان وحدتنا ستقوم بأدوار مختلفة في مجال مساعدة البريطانيين. وكانت الوحدة التي كنت احد اعضائها مكونة من اربعة اشخاص وهم القائد رحابنا بيرمان من كيبوتس الونيم الذي خدم في حرب الاستقلال كضابط ادارة في لواء هرئيل والذي قدته في الحرب على القدس وقد اصيب بجروح بالغة، عندما مرت القافلة الاخيرة قبل حصار القدس وتوفي متأثرا بجراحه اثناء الحصار في القدس والشخص الثاني في الوحدة كان يوسكا من الونيم والثالث أنا اصغرهم سنا والرابع كان مهربا عربيا افرج عنه من السجن وهو قديم في المنطقة ويعرف جميع المناطق، وكان يعرف كل شجرة، وكل حركة دورية سورية - فرنسية في المنطقة وكانت وظيفتنا هي التسلل إلى لبنان قبل الوحدات النمساوية وقطع خطوط الهاتف بين عيطرون وبين بنت جبيل، والى الشمال من هذه القرية، وذلك لمنع ارسال نجدات من القوات الفرنسية إلى المنطقة التي ستغزوها القوات النمساوية في لبنان. وقد شعرنا بتشنج كبير من الانذار التالي: انكم لستم جنودا وإذا ما وقعتم في الاسر فلن تطبق عليكم انظمة معاهدة جنيف. ولكن في الواقع لستم بحاجة إلى هذا القلق. لانه تعهل في المكان قوات سنغالية وهم لا يأخذون اسرى احياء. وهناك بشارة أخرى: انه لن يكون اي اتصال بينكم وبين القوات النمساوية وبعد انتهاء عهلكم عليكم العودة بسرعة إلى فلسطين وعليكم ان تبتعدوا عن محور تحرك القوات النمساوية إلى داخل لبنان، لان النمساويين تعودوا اولا على اطلاق النار وبعد ذلك يسألون عمن اطلقوا النار عليه. عندما خيم الظلام دخلنا الاراضي اللبنانية وكان اماهنا حوالي ٤٥ كلم حتى الهدف والعودة منه مشيا على الاقدام. وكان الطقس باردا جدا، انتعلنا احذية خاصة للمسير الليلي والهادئ. ووصلنا إلى الخط التلفوني، وبصفتي اصغر اعضاء المجموعة سنا طلبوا مني ان اتسلق العاهود ولم نتمكن من القدريب على جهاز

التسلق الذي استلهناه في ذلك اليوم. ولم انجح في استخدام الجهاز وقمت بغلع الحـذاء، وهكـذا تعودنا على التسلق. قمت بقطع السـلك الاول. وادركـت ان اسـتقدرار العـاهود كـان مـن شـد اسلاك الهاتف التي تصل بين الاعمدة. وتأرجح العاهود، حيث وجدت نفسي على الارض، ومـرة أخرى تسلقت وقطعت السلك، ثم نزلت وصعدت على العـاهود الثـاني، وقهنـا بقطـع الاسـلاك ودفناها في الارض. طريق العودة كان قصيرا وسريعـا. ومـع بـزوغ فجـر اليـوم التـالي وصـلنا إلى الحدود. «وفي تلك الليلة فقد موشة ديان عينه» عندما جرح في اشتباك وقع بـين الوحـدة التـي يقودها وبين قوة فرنسية. لقد رفعت عمليـة الغـزو البريطـاني إلى سـوريا ولبنـان المعنويـات في فلسطين، وانتشر خبر اشتراك وحدات من منظمة الهاغنـاه في الهجـوم بصـورة واسـعة، واضـاف مدى آخر للشعور بالارتياح من قبل السكان اليهود في فلسـطين. اننـي لم ابـالغ باهميـة المهمـة التي قمت بها ولكن اية عملية أخرى على عشرات السنين مـن العمـل العسـكري لـن تسـتطيع زحزحتها من مكانها. لقـد كانـت اول عمليـة عسـكرية اقـوم بهـا في حيـاتي. ان روصـل يواصـل تقدمه والهاغناه تحشد قواتها وأنا من ضمنها في بيت اورن. وهناك تريبات مكثفـة عـلى مسـتوى الحظائر والفئات والسرايا، وكان البريطانيون يظهرون بين الفينة والأخرى ويدربـدوننا عـلى رشـاش «برن» وعلى اعمال التخريب. واصبح الكرهل بيتنا. واصبحنا ندرس ونتعرف على كـل واد وهضـبة في النهار والليل. كنا في غابة بيت اورن. واشواك اللناب كانـت بالنسـبة لنـا كالفراشـات. فالشـعور بالراحة طرد جميع الصعوبات. خرجت إلى دورة قادة الحظـائر الاولى في البالمـاخ في الـونيم. وكـان قائد الدورة يفال الون. وكانت اول رتبة قيادية اتقلدها هي قائد حظيرة وكنـت مسرورا. وادركـت أعباءها. وكلفني يغال الون بمهمة مثيرة: مدرب مسدسات في «القسـم العـربي» في البالمـاخ. وهـي وحدة خاصة. واعضاؤها من السكان اليهود الـذين قـدهوا مـن الـدول العربيـة ويتكلهـون اللغـة العربية وهم معدون للقيام بالمهام الاستخبارية والتخريب في القرى العربية في فلسطين وخارجهـا. ففي عام ١٩٤١ اثناء الغزو البريطاني لسوريا الكبرى ساهم افراد هذه الوحدة في عمليات تجسـس

وتخريب في سوريا. وفي منتصف عام ١٩٤٢ انقلبت على رأس الاستيطان اليهودي في فلسطين حربة روصل. ودب الذعر في قلوب المستوطنين. فقد اصبحت دول الحلفاء في حرج. فغزو فلسطين قد ينقذ موقعها. ودعت مؤسسات الاستيطان اليهودي إلى التجنيد في الجيش البريطاني واستجاب الالاف من اليهود لهذه الدعوة. وبدأت تطرأ ما هي بمثابة معارضة. فنحن رجال البالماخ نؤمن بأنه يجب الالتحاق بالجيش البريطاني النازيين بشكل مشترك، ان لا يحل محل بلورة يهودية مستقلة في فلسطين تخضع لمؤمسات الاستيطان. لقد شعرنا بأنه بعد الحرب العالهية سيحين وقت اختبارات حاسمة في فلسطين، وان قوة يهودية مستقلة فقط هي التي سترجح الكفة لمالحنا. وفي الواقع كان ذلك قرارا شخصيا لقد كان هناك اغراء في الهلابس العسكرية البريطانية والاحذية اللامعة والخوذة العسكرية. فهنا يوجد مطهر يثبت نفسه، أنا جندي، أنا اقوم بواجبي. ومقابل الجند البريطاني فان رجل البالماخ المتهلهل الهلابس والمنطر لاصفة له ولا جمال فثلثهم مزارع، وثلث محارب، والثلث لاخر رجل سري. المفروض عليه ان يحتفظ بالكتمان حتى في مجال لمس كفيه، وكان هذا الشخص بحاجة إلى قوة للتمسك بهدفه: وهي حتهية بناء قواتنا الذاتية. وكان البالماخ الاختبار الصعب. انني مبسوط لانني اخترت الخدمة في البالماخ. بعد نهاية القدريب في القسم العربي خرجنا إلى معسكر عهلي في خضيرة لاعداد انفسنا من اجل اقامة مستوطنة جديدة ومستقلة وعهلت في مجال العتالة في معطة القطاع في خضيرة وحهلنا اكياس الغذاء ٤٠ - ٥٠ كلغم لاغراض الجيش البريطاني وتحت اشراف ضابط بريطاني كان يضايقنا، واعتقد الضابط بانني تبنيت الاحتجاج وطلب طردي. وفي بيارات خضيرة جاءت المجرفة بدلا من حهل الاكياس. هذا العمل لم يكن سهلا. ارسلونى للعهل في كيبوتس «جن شهونيل» وبصفتي خريج كلية خضوري كلفوني باعمال زراعية ذات مسؤولية. واكثر من مرة دعيت لالقاء محاضرات حول بعض الهواضيع في اماكن مختلفة.

في منتصف عام ١٩٤٢ بعد الانهيار الغطير الـذي طـرأ عـل قـوات دول الحلفـاء في العـرب استعينا إلى «مشمار هاعيمق» مع فئات الاسـتطلاع الثمانيـة التابعـة للبالمـاخ وكـل فئـة كانـت مكونة من ٢٠ - ٢٥ شخصـا وكانـت في المعسـكر وحـدات خاصـة وهنـاك تطـور طـابع الحيـاة الغاصة للبالماخ. ان الحياة في الغابة بـدون خيـام وكهربـاء وفي ظـروف مضـغوطة جـدا بلـورت النمالة الجيدة والشعور بالمشاركة والقصد مـن وراء ذلـك هـو اعـدادنا كمحـاربين وتوزيعنـا في جميع انحاء فلسطين. فاذا ما اقتحم الالمان الجبهة في الصـحراء الغربيـة وغـزوا الـبلاد سـنكلف بنسف المنشآت الهامة وتحطيم الجهد الحربي الالماني. وخـلال وجودنـا في مشـمارهاعيمق عقـد الاجتماع الاول لسرايا البالماخ مما جعلنا نشعر بالقوة في تلك الايام. فقد اجتمعت خمس سرايـا للبالماخ. وشعرنا بأنه طرأت هناك قوة جديـدة وهـي العهـود الفقـري للقـوة اليهوديـة في ايـام الضيق. في بداية النصف الثاني من عام ١٩٤٢ تم توزيعنا على جميـع منـاطق فلسـطين. وكنـت قائدا لفئة الاستطلاع التابعة للسرية الثالثة. وكانت قاعدتنا بالقرب مـن نهاريـا في بنايـة عربيـة قديمة قدعى «عين سـارة» وكانـت الفئـة تضـم حضـيرتين - وقهنـا بـاعمال الدوريـة عـلى طـول الحدود الشمالية للتعرف على المنطقة ومنشآتها والاستعداد لنسف الجسور والسكك الحديدية وكانت النشاطات مكثفة ليلا نهارا. وغرسنا المواد المتفجرة في اماكن مختلفة للتجربـة. لقـد كنـا قلائل ولكننا كنا نشعر بأنه إذا ما تم احتلال فلسـطين مـن قبـل الالمـان فاننـا سـننغص علـيهم عيشتهم. بعد مرور وقت قصير اسقدعيت إلى دورة قادة فئات في كفار فيتكين، ولكنني اصبت بمرض التيفوس عدة مرات وانتقلت من مستشفي إلى اخر، الامر الـذي انهـك قـواي وقـد زادت خطورة حالتى الصحية إلى حد انهم خشوا علي من الهوت. وبعد ان شـفيت بعثـوا بي إلى دورة انعاش لقادة فئات في جوعرة. وكنت من اصغر افراد الدورة.

في بداية ١٩٤٣ وفي اعقاب انتصار الفيلق الثامن على جيش روصل قـدهورت المصـلحة البريطانية في التعاون معنـا وسـاءت العلاقـات بـين الانكليـز واليهـود في فلسـطين. وفي اذار ١٩٤٣ اعتقل قائد فئة الاسناد التابعة للسرية السادسة دان روم وعينت بدلا منه وخرجـت

إلى كفار جلعادي. وكانت فئة الاسناد مكونة من المقدسيين وهـم قـادة الحظـانر مجموعـة غير عادية وهم: عمس حوريب ومتتياهوبيليد ويوحاي بن نون. وحاييم فانيشتاين من تـل يوسف. وهم نوعية خاصة من الاشخاص. لقد احدث انهاء المشـاركة مـع البريطـانيين جـدلا حول مصير البالماخ وتحولا عـلى طريقـة حياتـه. ومـع الوسـانل اعتقـد الكثـيرون مـن قـادة الهاغناه وزعامة الاستيطان بان البالماخ انتهى وانه يجب حلـه أو عـلى الاقـل الاحتفـاظ بـه كقوة مجندة. وفي مقابلهم كـان هنـاك يسرائيـل جلـيلي، واسـحق طبنكـين واسـحق سـاديه ويغنال الون ويعقوب حزان ومئير يعري وغيرهم بطريقته الخاصـة للبالمـاخ: جـيش خاضـع لامرة الاستيطان اليهودي، ولكنه يعتمد على حركة الاسـتيطان وابنائهـا. للكيبـوتس الهوحـد والكيبوتس القطري واتحاد الكيبوتسات. وهكذا قامـت هيئـة جديـدة فريـدة مـن نوعهـا: جيش عاهل يكسـب جنـوده خبـزهم بعـرق جبيـنهم. وانـتشرت معسـكرات عهـل البالمـاخ في الكيبوتسـات في جميـع ارجـاء فلسـطين مـن كفـار جلعـادي، ودان ودفنـه في الشـمال وحتـى روحما في الجنوب. من القدس مرورا بالسهل الساحلي والضفة الغربية وحتى جنـوب فلسـطين لم يكن مثل هذا التحدي في تـاريخ الجيـوش. وفي كـل شـهر كـان هنـاك اسـبوعان مـن العمـل الصعب. وعندما ازدادت الانبـاء عـن الكارثـة الخطـيرة التـي اصابت يهـود اوروبـا تجـدد بـين زعماء الاستيطان وبين الشـعب الحـوار حـول كيفيـة تهويـل جهـد تجنيـد اليهـود في فلسـطين. وكـم عـدد الجنـود الـذين يجـب تخصيصـهم للوحـدات العبريـة في الجـيش البريطـاني وكـم عدد الذين يجب تخصيمهم للقوة المستقلة في فلسـطين. لقـد بلـغ عـدد المجنـدين في الجـيش البريطاني أكثر من ٣٠ الفا. ولكن كان عدد المجندين في البالماخ اقل مـن ١٠٠٠ شـخص. واعتقـد بأنه من غير الممكن ان لا يساهم الاسـتيطان اليهـودي في الحـرب الكـبرى والاشـتراك في الحـرب ضد الوحش النازي. ولكنني كنت مقتنعا بأنـه في نهايـة الحـرب سـنحارب مـن اجـل مصـيرنا في فلسطين، وان القوة اليهودية المستقلة وحدها هي التي تستطيع الصـهود في هـذه الحـرب. ولم يتجاوز الحوار البالمـاخ ايضـا فهنـا وهنـاك بعـض الـنهلاء والقـادة الـذين تجنـدوا في الوحـدات

العبرية في الجيش البريطاني قد انهوا خدمتهم، وقد تغلغل الجدل في كل فئة في البالماخ ولم يكن من السهل رفع معنوية الشبان ومطالبتهم بهواصلة الخدمة في العمل الصعب وفي النراعة بأسلحة ودون هلابس عسكرية. ولكن الايمان والقناعة الذاتية حافظت على الاطار. وكالنار انتشرت في جميع معسكرات البالماخ تصة زيارة رئيس ادارة الوكالة اليهودية دافيدبن غوريون للبالماخ في نيسان ١٩٤٣. وقد استقبل بطابور مسلح من قبل سرية في اشدوت يعقوب. والتى كلمة امام الاشخاص قال فيها: انني آهل ان التقي بكم في نطاق الوحدات العبرية في الجش البريطاني.

في الوقت الذي اصبح فيه البالماخ يرسل ار دول البلقان مظيين لانقاذ بقايا اليهود، انتقلت مع فئتى إلى تل يوسف في مطلع عام ١٩٤٣. وعلى جو الضائقة في تلك الفترة قدلنا القضية التالية: لقد قهنا برحلات إلى مسادة. وفي سدم اجرينا هناورات بالذخيرة الحية وعندما وصلنا إلى عين جدي اصبحنا نشعر بالجوع فالجبنة والبيض وما ربطته رفكا المسؤولة من الارزمة في تل يوسف اصبح تالفا وله رائحة كريهة. وفوق هذا وذاك فانه كانت اماهنا طريق تستغرق يومين من مسادة إلى سدوم. وعندما كنا في الطريق صادفنا راعيا عربيا. فجمعنا ما لدينا من نقرد واشترينا عنزا منه بخمس ليرات.

وقد اتضح بان جميع القصص عن قدرة الماعن على المسير قد تبخرت، فقد رفض ان يخطو خطوة واحدة واضطررنا أي حهله على نقالة اصطناعية مكونة من عصاوين وحرام. وفي ام برق التي تسمى اليوم عين بركيك حان وقت هذا الجدي لرد الجهيل الينا. فقد طبخنا بقدر كبير فقهنا ناكل في المساء اللحم، وفي صبيحة اليوم التالي «المرقة». ولكن الجوع كان اكبر وتغلب على التعب وطيلة الليل كان. افراد الفئة يذهبدون إلى القدر سرا ليشربوا «المرقة» وسدينا نقص المرقة بعد ان اضفنا اليها الماء لتكفي الجميع. وفي المساء وصلنا إلى سدوم ورغم التحذيرات فقد تساقط الذباب الجائع على الأكل وضربت ارقاما جديدة في الكهية. وكانت النتيجة ان الجميع اصبحوا يعانون في اليوم التالي من «الاسهال» واخذوا يتلوون من الألم.

وبعد ان تماثلوا للشفاء قليلا قهنا باجراء القدريب باسناد مدافع الهاون والرشاشات وكنا نشعر بالقوة. وواصلنا المسير من سدوم مرورا بكورنوب وحتى رفيفيم. وعدنا إلى ناعن. وكنت امني النفس باجازة احصل عليها. ولكن عندما وصلنا إلى ناعن تلاشى الامل فقد وجه إلى امر آخر للعودة بفئة أخرى وتكرار نفس المرحلة إلى سدوم. وفي هذه المرة زودتنا فاتورة الارزاق بطعام مالح.

وفي مطلع عام ١٩٤٥ اجتاز البالماخ مرحلة جديدة من اعادة التنظيم. وتقدرر اقامة الكتائب. وهنا عينت مدربا في الكتيبة الاولى اي نائبا لقائد الكتيبة ووكيلا له في حالة غيابه. وكان قائد هذه الكتيبة يدعى ناحوم شريج. وكانت الكتيبة الاولى مكونة من ثلاث سرايا واقيمت قياداتها في الونيم. وبعد مباشرتي المنصب تقدرر عقد دورة قادة حظائر قطرية. للبالماخ في جوعرة وعينت قائدا لهذه الدورة. وتبني فترة الاعداد للدورة، والدورة نفسها اشخاص اخرون. اما أنا فقد تبنيت فترة بلورة النطرية العسكرية للبالماخ: وهي تشجيع الفكر العسكري المستقل، والعمل، والاختراع، والحل الفوري الذي تفرضه ظروف القتال وتفضلها على القدريبات الروتينية. ولم يكن بمقدور هذه النطرية ان تستمد من الكتب أو من تجارب الاخرين فقد تبلورت خلال الدورات، وفي الليالى الطويلة من المباحثات المضنية وقد خلقت التهيز الخاص بالبالماخ.

وفي ايار ١٩٤٥ انتهت الحرب العالهية الثانية. وضربت الهجرة غير الشرعية ارقاما قياسية. رغم رغبة البريطانيين الذين اغلقوا ابواب فلسطين وصلت سفن المغامرين، وكان يدور بين اوساط الاستيطان حوار شديد حول طريقة مكافحة البريطانيين وخلافا لوجهات نظر ايتسل «وليحي» وهما المنظمتان السريتان في إسرائيل اللتان انفصلتا عن امرة الاستيطان اليهودي اهنا بأنه يجب ربط الكفاح ضد البريطانيين بموضوعين وهما: حق الهجرة وحق الاستيطان اذ ان جوهر «الكتاب الابيض» يتضمن هذين البندين وقد نطمت مؤسسات الاستيطان المعروفة وقيادة الهاغناه والبالماخ وليس «ايتسل وليحي» الهجرة غير الشرعية.

صحيح ان منظمة ايستل.وهي المنظمة العسكرية الإسرائيلية قد احضرت عدة سفن ولكن معظم الاعمال كانت تنفذ من قبل الهاغناه. لم نؤيد اسلوب ضرب الجنود البريطانيين الذين يتنزهون في شوارع تل ابيب ونسف قطاع محهل بالجنود البريطانيين الذين اشتركوا في استنصال الوحش النازي. ان هذا الاختلاف كان جوهريا ليس فقط في مغزاه السياسي وانما ايضا في مغزاء التقليدي. لم نجعل من الجندي البريطاني هدفا للتصفية بسبب كونه بريطانيا ويرقدي هلابس عسكرية قلنا سنحارب ضد العناصرالبريطانية التي تعهل بصورة فعالة ضد الهجرة والاستيطان.

وفي اكتوبر ١٩٤٥ وفي قيادة الكتيبة في الونيم ابلغنا قائد الكتيبة ناحوم شريج بان مؤمسات الاستيطان وافقت على اول عملية في نطاق الكفاح المستمر ضد البريطانيين. ففي مخيم عتليت يوجد أكثر من ٢٠٠ مهاجر غير شرعى. وتلقينا علما بان البريطانيين ينورن طردهم إلى مكان بعيد عن فلسطين. وقد كلفت الكتيبة الاولى في البالماخ باقتحام المخيم والافراج عن المغامرين. وكان الهدف من العملية هو الافراج عن المهاجرين الجدد ونقلهم إلى بيت اورن وياجور ومن هناك نقوم بتوزيعهم على اماكن الاستيطان المختلفة. وقهنا باعداد العدة للعملية. فاختبار العملية كان احتمال الافراج عن المهاجربن وهم على قيد الحياة. وكانت المسؤولية كبيرة. وعلما بأنه إذا ما فشلت العملية فاننا لن نستطيع ان نعفي انفسنا من الذنب طيلة الحياة. وعين ناحوم شريج قائدا للعملية وعينت نائبا له وكانت القوة التي وضعت تحت تصرفنا تبلغ عددها ٢٠٠ جندي من خيرة المحاربين. وقد استغلينا حقيقة سماح البريطانيين بدخول معلهين واطباء إلى المخيم. وقهنا بحشد عدد من مدربي اللياقة البدنية الاشداء في البالماخ. ومن ثم تهويههم كمدربين ومعلهين ودخلوا المخيم بعلم البريطانيين وهوافقتهم وكانت وظيفتهم مزدوجة. اولا تنظيم اليهود من الداخل ثانيا: المخيم الذي كان محاطا بعدة اهلاك شائكة وبين الجدار الاول والثاني توجد منطقة دوريات نصبت فيها ابراج مراقبة. وكانت القيادة هناك بريطانية. والقوة البريطانية المكونة من ٢٠ شرطيا

كانت محشودة في احد الاكواخ بالقرب من المكان، وفي مركز شرطة عتليت توجد توة بريطانية أخرى كانت تشتهل على مدرعات ومهمتها نجدة الشرطة في مخيم عتليت عند الحاجة.

وكان دور معلهينا هو السيطرة من الداخل على اكبر عدد ممكن من الحراس العرب لتمكين القوة المهاجمة من اقتحام المخيم.

لقد كنت مسؤولا عن قوة الاقتحام. وتقدرر تنفيذ العملية في ٩ اكتوبر وتأجل لمدة ٢٤ ساعة. لقد واجهنا صعوبات شديدة في مجال توفير السلاح للمحاربين وفرجنا من بيت اورن في الليل وحصلنا على السلاح، ونحن في طريقنا إلى المخيم، اضطررنا في الظلام إلى اصلاح وتركيب الأسلحة وهي بنادق وستنات ورشاشات وقنابل يدوية ومعدات لاختراق الاسلاك الشائكة ولم يكن اماهي الوقت الكافي لقدريب القوة التي كنت مسؤولا عنها. وكان الانفعال كبيرا. وكان الجر السائد هو الشعور بالاختبار الاول. توقفنا عل مسافة حوالي١٠٠م عن الاسلاك الشائكة. كان الظلام دامسا. ما عدا المخيم نقد كان مضاء. وانتظرنا اشارة من المعلهين وقبل ان نصل إلى الجدار الثاني التقيت بالمعلهين الذين انهوا السيطرة على الحراس العرب. وقد جاءت الاشارة فقهنا بقطع الاسلاك.

واقتحهنا المخيم بسرعة ومررنا امام معلات مكن الهاجرين الجدد ووصنا إلى النطقة البريطانية حيث لا يوجد انذار. وقد نجحت الخطة أكثر مما كان متوقعا. وكان البريطانيون نائهين. وتم حشد المهاجرين ووصلت القوة المخصصة لعالجة المهاجرين وبدأت عملية الاخلاء بهدوء وصمت وقال لى ناحوم شريج هناك خوف شديد من هذا الهدوء لقد خرج جميع المهاجرين وعليك البقاء في المخيم مدة نصف ساعة إلى ان نصل إلى السيارات.

كان هناك هدوء غريب. فالمخيم خال ومضاء وهناك ناطور بريطاني واحد يتجول وتظاهر انه لا يرى شيئا. وعندما اصبحت الساعة الثانية الا ربعا قهنا باخلاء المخيم وركضنا باقصى سرعة للوصول إلى السيارات. وفي نفس الطريق واجهنا مهاجرين يجدون صعوبة في المسير.

هذا التخطيط الدقيق لم ياخذ بالحسبان مسألة نقل المهاجرين مع امتعتهم ولكننا تغلبنا في النهاية على هذه المشكلة. وقد تعرضت سيارة جيب بريطانية كانت في طريقها إلى بيت اورن إلى كهين حيث اطلق النار عليها وقتل رقيب بريطاني وكان هو القتيل الوحيد في العملية استيقظ البريطانيون. ومن اجل تضليلهم ارسل ناحوم الشاحنات في اتجاه واحد وهو نفسه تقدم مع مجموعة الهاجرين وقوة الحماية نحو ياجور. وفي ساعات الصباح المبكرة وصلوا إلى ياجور. وقد بدأت لحظات الصباح بالاقتراب وقلنا اننا لن نصل إلى بيت اورن الا في وضح النهار. وقد وصلنا خبر بان قوات بريطانية تستعد حول بيت اورن وتأهبنا في ساعات النهار داخل الغابة. فجمعت رجالي وقلت لهم انه يجب علينا ان لا نستسلم إذا ما هوجهنا بل علينا ان نحارب. وبعد فترة ارسلت عهوس حوريب ودبورتشك للتجول حول بيت اورن وكأنهما شخصان يتنزهان. عاد الاثنان وقالا: ان البريطانيين لم يطوقوا بيت اورن من جميع الاتجاهات وانما تركوا جهة واحدة مفتوحة. ومما يعتقدان باننا نستطيع الدخول. وقررت الدخول بسرعة إلى بيت اورن مع المهاجرين وبالفعل فقد دخلنا. ونقلنا الأسلحة إلى المخابئ الجاهزة. وتلقى البريطانيون تعزيزات وحاولوا اقتحام البوابة لكنهم تراجعوا بسبب مقاومة السكان وفي هذه الاثناء بدأ الاف السكان من حيفا والقرى المجاورة في القدفق على ياجور وبيت اورن. وقد اقام البريطانيون الحواجز لكنهم لم يطلقوا النار وقد واصل الاف المقدفقين في ساعات بعد الظهر إلى المنطقة. واختلط بحر من البشر بالمهاجرين فتراجع البريطانيون وازيل الحصار الذي كان مفروضا على ياجور وبيت اورن. بعد العملية في عتليت بشهر واحد تقدر مهاجمة حشود (Force F.M.F FULLY Mobile) التي كانت للقوة البريطانية المتحركة التي عهلت ضد الاستيطان اليهودي. وقد كلفت باعداد الهجوم على شرطة جنين، بل وقيادة هذا الهجوم. وكلفت قوات أخرى بضرب شرطة شفا عمرو، وجفعات اولجا وسارونا.

لقد كان والدي يعهل في شركة الكهرباء وبواسطته رافقت عمال الكهرباء الذين قاهوا بفحص الكهرباء في مركز شرطة جنيز. وفي ذلك الوقت حصلت على دراجة نارية. ولم اكن

احهل رخصة سواقة. فاستخدمت اختراعا خاصا بي. فقد ارمهلت رمالة مسجلة إلى مركز الترخيص في القدس وكنت اقدم إلى رجال الشرطة وصل ارسال واقول لهم انني انتظر رخصتي التي ستجدد وتعادلي. ولكن احد رجال الشرطة البريطانيين اظهر عدم اقتناعه وكمن لى ليمسك بي لكن دراجته قدهورت وانكسرت ساقه فارتحت.

كيف استطعت ان اتنبأ بما ينتظرني...؟ لقد تركت الدراجة الهوائية في شركة الكهرباء في العفولة وخرجت بسيارة جيب مع رجال الكهرباء لنيارة مركز الشرطة في جنين. مكثت داخل مركز الشرطة ثلاث ساعات ونصف. فدرست بناية المركز وجميع اجهزته وخرجت منه احهل خطة للهجوم. فتحدثت مع ناحوم شريج ويغئال الون لكى نجتمع في حيفا لنضع تفاصيل الخطة. وعندما كنت على دراجتي شاهدت شاحنة تابعة لمصنع «نيشر» امامى وفجأة. انحرفت إلى اليسار بزاوية ٩٠ درجة، واضبح واضحا لى انني لن استطيع التوقف ولااذكر أكثر من ذلك.

ان القصص التي قصوها هلي في مستشفي روتشيلد في حيفا والنكات المحببة لم تستطع تخفيف آلامي. وقد قام الدكتور فايزر المشهور باجراء عملية جراحية لى وعندما صحوت وجدت نفسي هلفوفا بالجبس. رافق الالام الشديدة، الشعور بالحيرة: ففي الوقت الذي حن فيه دور البالماخ وعملياته اصبحت عاطلا تماما عن العمل بعد ان امضيت ثلاثة اسابيع في المستشفي ارسلوني إلى البيت واصبحت اسيرا للكوابيس واتتبع نشاطات البالاخ والعن مصيري المر.

في يوم السبت ١٩ حزيران ١٩٤٦ صحوت على اصوات السيارات في الشارع قبيل الفجر. فقبل ذلك بيوم واحد اعلن نظام منع التجول. سمعت طرقا شديدا على الباب. وكان يقف على الباب ضابط بريطاني برتبة كابتن. فسأل: هنا تسكن عائلة رابين؟ وكان لدينا ضيف من كفار يحزقئيل يدعى اهارون جلبواع واقتحمت المنزل ثلاث مجهوعات من رجال الدرك البريطانيين وهي مسلحة برشاشات برن وبرشاشات صغيرة. لقد كانت تنفذ عملية عسكرية

مثيرة. فهناك قوة مكونة من فئتين قامت بمد الاسلاك الشائكة حول المنزل وقد قام البريطانيون بسحبي أنا ووالدي والضيف إلى سيارة شحن عسكرية بريطانية. وصعدت اليها بصعوبة. واخذونا إلى مدرسة قريبة من مستشفي شتراوس. وشاهدت «شاريت» حيث كان معتقلا هو الاخر. واجروا لنا طابور تشخيص آخر. وكانت كل المنطقة مطوقة. وقاهوا بتحهيلنا في مدرعة بريطانية وسافرنا إلى مركز الشرطة في بيت دجن. وقد احضروا شاريت وكنت متأسفا جدا عندما شاهدتهم يجلسونه على برج المدرعة. وكان الرشاش بين قدهيه والمجندات البريطانيات المسلحات برشاشات صغيرة من ورائه ومن هناك اخذونا إلى مخيم في اللطرون.

قسهونا إلى مجهوعات ووضعوا كل مجموعة في حظيرة من حظائر الخيل ومن حولنا اسلالئه شائكة وجنود بريطانيون. وبدأ التحقيق وأخذ البصمات وادخلونا في معسكر الاعتقال الدائم في اللطرون الذي معظم نزلائه من اعضاء منظمتي ايتسل وليحي. وقد المح ثبرانتسيك إلى ان زعماء الاستيطان اليهودي وهم دافيد هاكوهن وشاريت وغيرهم هوجوذون هناك.

وقد استقبلنا المعتقلون السابقون بحرارة. وكان من بينهم تسفيكا زهير ومجموعة من جنود البالماخ الذين عهلوا في تهجير اليهود سرا إلى فلسطين من سوريا ولبنان وتم اعتقالهم. ان الظروف في هذه الاكواخ مريحة جدا بالمقارنة مع معسكرات البالماخ. فقد حصلنا على فوط وادوات استحمام. وبعد مرور يومين حهلونا بسيارات شاحنة. واغلقوا الابواب علينا وسافرنا ولكن إلى اين؟ ادخلونا في مستودعات كبيرة في منطقة رفح. وفي غداة اليوم التالي، والايام التي تليه اصبح يقدفق على المعسكر معتقلون يهود من جميع انحاء فلسطين ويقدر عددهم حوالي ١٦٠٠-٢٠٠٠ شخص وكان هذا اول لقاء لي مع النهلاء منذ الجرح الذي اصبت به. واصبح ايضا يضايقني اعتقال والدي بسببي. وقد اصبح يعاني كثيرا لانه نسي ان يحهل معه اسنانه الاصطناعية وكان يتناول الطعام بصعوبة. وبعد اسبوعين افرج عنه وبعد

اربعة اسابيع افرج ايضا عن اهارونتسيك وهو ضيفنا من كفار يحزقئيـل. وبـدأنا ننـتظم لحيـاة المعسكر. وظهر شخص غير عادي وهـو الـدكتور حـاييم شـيفا وهـو طبيـب بهلابـس عسـكرية بريطانية واخذ يعالجنا بامر من الوكالة اليهوديـة. واجـرى فحصـا لي وقـرر ادخـالي المستشـفي المعسكر. وحاول طيلة الوتت ان يفرج عني. ولكن رجل المباحث البريطانية قال له: انه سـيظل في الاعتقال حتى ولو انكسرت قدماه، وبناء عـلى طلـب مـن الـدكتور شـيبا اخـذوني للمعالجـة الطيبة في المستشفي العسكري في غزة، وعلى ظهر نقالة داخل سيارة اسعاف مـع اربعـة جنـود بريطانيين مسلحين برشاشات استن كانوا يحرسونني. وكانت تسير سيارتا جيب عسـكريتان امـام وخلف سيارة الاسعاف بحراستي. انه على الرغم من هذه الظـروف فمـن بـاب اللــهو في هـذا الوضع سألت الرقيب البريطاني. لماذا كل هذا؟ فهل استطيع ان اهرب وأنا في مثل هذه الحالـة؟ فاجابني بصورة جدية: انه لا يمكن ان نعرف مطلقا ماذا تستطيعون عهله انتم اليهـود. وكانـت هناك جمهرة في مستشفي غـزة، وكانـت وحـدة عسـكرية أخـرى مرابطـة هنـاك كـانوا جميعـا ينتظـرون «الارهـابي اليهـودي» ادخلـوني غرفـة الاشـعة. وكـان يقـف عـل كـل نافـذة جنـديان بريطانيان مسلحان. وقالوا لي حسنا. بعد شهر تراجعنا. ان الحياة في معسـكر الاعتقـال خففـت قليلا الغربـة بـين رجـال ايتسـل وليحـي وبيننـا. شـكلنا هيئـة خاصـة للتفـاوض مـع السـلطات البريطانية. بالنسبة لي لم تكن لدي الفرصة قبل ذلـك لان اتعـرف عـلى رجـال منظمتـي ايتسـل وليحي. وفي المعسكر تعرفت على احدهم كان قائدا لهم في معسكر رفح يـدعى مئـير رويـتمان قتل بعد ذلك خلال معركة يانا. وعلى الرغم من انه كانت بيننا هوة فكرية واسة فقـد ارتحـت جدا لشخصيته.

بعد مرور حوالى شهر نقلوني مرة أخرى إلى غزة وهناك فحصوني وصوروني وازالوا الجـبس. واظهرت لي قدما ضـعيفة وهزيلـة. وعلمنـي طبيـب بريطـاني عـلي ان اقـوم بـتمارين لتشـغيل العضلات. وفي المعسـكر كبـت معنويـاتي واعتـبرت نـفسى نصـف معتـوه. وهنـا حـددت هـدفا جديدا لى فقلت إذا لم اعد صـالحا للحيـاة العسـكرية فـاننى سـأتجه إلى الدراسـة بعـد الافـراج

عني وعلي ان استعد لذلك. وطلبت كتبا دراسية كثيرة، فوروها لى وهكذا كنـت اهـلأ كـل فـراقي بالاحاديث من امكانية قيام قوات البالماخ باقتحام المعكر من جهة البحر لانني اعتقدت بـانهم قد لا يستطيعون اخذي.

ولكن اتضح لي بان يوحاي بن نون قائد العملية قد قرر حهلي هل نقالـة في الوتـت الـذي كنت فيه خجلا من ان اكون عبئا عل زهلائي قام البريطانيون وافرجوا عنا في شهر تشرين ثان.

انتهت الحرب العالمية. وتجـددت امكانيـات السـفر للدراسـة في بـاركلي. لقـد اردت ذلـك وتحدثت مع والدي في الموضوع. وتحدثت مع يغثال الون ولكنه قـال هـذا الوضـوع غـير وارد. لقد انتهت الحرب العاليـة، وبـدأت حربنـا. وعلمـت بـان يغئـال صـادق. وبعـد مـرور اسـبوع تسلمت قيادة الكتيبة الثانية في البالماخ التي كانت مكونة من ثلاث سرايا. وقـد اقيمـت قيـادة الكتيبة في كوخ في معسكر غلاوون بالقرب من نس تسيونا. وكانـت قيـادة الكتيبـة مكونـة مـن تسفي زهير نائبا للقائد ويوسكا ثاين ضابط لوازم وامرأة كعاهلة لاسلكي، ووضعت سيارة جيب تحت تصرفي وكانت السرايا فيئ الكيبوتسات واقيمت التريبات عـلى اسـاس الـدمج بـين الحيـاة العسكرية والعمل في المزارع. وكنت احهل وثيقة مزيفة باسـم اسـحق روزنـبرغ ووثيقـة أخـرى كنت احتفظ بها لوقت الضيق باسم روزنباوم. لقـد كانـت العلاقـات مـع البريطـانيين مشوشـة وكان علينا ان نعيش حياة سرية.

في مطلع عام ١٩٤٧ جرت أمور جديـدة. فقـد تقلـد بـن غوريـون منصـب الامـن في ادارة الوكالة. وعقد اجتماعا لقادة الهاغناه من قادة الكتائب فما فوق ولاول مرة دعـا إلى الاسـتعداد للحرب على نطاق واسع جدا. ودعا القادة الكبار اليه للتشاور معهم وقابله يغـال الـون فسـاله بن غوريون إذا كنا نستطيع الصهود امام غزو الجيوش العربية. فاجاب هناك اساس قـوي، وإذا ما زاد هذا الاساس بحجـم كبـير وتوفرتـه المعـدات المناسـبة فانـه مـن الممكـن الوقـوف بوجـه

الجيوش العربية - انني اشك إذا كان احد يعرف في تلك الفترة المغزى الدقيق للحرب ضد الجيوش النظاهية والمسلحة بأسلحة ثقيلة.

بعد ان تقلد بن غوريون منصب الامن بوقت قليل احصى السلاح الذي كان متوفرا في ذلك الوقت والذي كان تحت تصرف منظمة الهاغناه. على النحو التالي: فقد ورد في كتابه «ما قبل الدولة» دولة إسرائيل المتجددة في الصفحة ٦٩ ان هذه الأسلحة كانت ١٠,٧٣ بندقية، منها٧٨٢٠ بندقية للدفاع المحلي في حيازة المستوطنات،٣٣٦ بحيازة الوسط ٦٥٦ بحيازة اللواء (البالماخ) ٣٦١ بحيازة سلاح الهيدان، و ١٩٠٠ رشاش صغير منها ٧٨٥ بحيازة المستوطنات و ٤٢٤ بحيازة سلاح الهيدان و ١٣٠ بحيازة البالماخ و ٥٦١ بحيازة الوسط و ١٨٦ رشاشا ثقيلا منها ٣١ بحيازة المستوطنات و ٣٥ بحيازة سلاح الهيدان و ٥ بحيازة البالماخ و ١١٥ بحيازة الوسط و ٤٤٤ مدفع رشاش منها ٣٣٨ بحيازة المستوطنات و ٣٧ بحيازة سلاح الهيدان و ٣٣ بحيازة البالماخ و ٣٦ بحيازة الوسط. والمعدات الثقيلة كانت مكونة من ٧٦١ مدفع ٣ انش. ولم يكن كما هو مفهوم ولو مدفع ثقيل واحد ولا يرجد سلاح ضد الدبابات ولا سلاح ضد الطائرات. ولم تكن هناك مدرعات ولا اثر لأسلحة جوية وبحرية. ولم تكن ايضا وسائل هواصلات برية. وعلى ضوء هذه الهوجودات فان الاحاديث عن الصهود امام الجيوش العربية النطاهية قد تبدو وكأنها خيالية ولا اساس لها في الواقع.

لقد فرض بن غوريون طابعه الشخصي على النشاطاته الامنية. فقد اجرى تغييرات في زعامة الهاغناه فاسحق ساديه الذي كان حتى ذلك الوقت رئيسا للاركان نقل من منصبه وعين بدلا منه يعقوب دوري كما ان بن غوريون اخذ يفضل الضباط االذين خدهوا في اللواء العبري والمجيش البريطاني على بعض الضباط (من الانتاج المحلي).

ان تفصيل الضباط الذين كانوا قد خدهوا في الجيش البريطاني على البالماخ قد انزل ضربات قاسية في مجال نظرية القدريب والحرب وطرق التفكير العسكري وتنظيم القوات. ولكن البالماخ ظل متمسكا بتفكيره المستقل وكفاءاته وقدرته على اختلاف الأمور وفضلها

على التصلب الكامن بالقدريب على ظروف القتال التقليـدي التـي تـأثر منهـا خريجـو الجـيش البريطاني خلال خدمتهم، وحاولوا تطبيقها على قـوات البالمـاخ. وقـد ركزنـا الجهـود عـلى خلـق محاربه مفكر وليس آلة مدربة. انني اشك فيما إذا كان سيتعرف خريجـو اللـواء العـبري بـذلك ولكن معارك الحرب في فلسطين اثبتت سلامة الطريق التي سلكناها.

الباب الثاني

الفصل الأول

حرب الاستقلال / معركة القدس

«قائد لواء هرئيل»

في تشرين أول ١٩٤٧، عندما ازداد التوتر والانتطار لقرار الامم المتحدة الخاص بتقسيم فلسطين واقامة الدولة اليهودية والدولة عينت ضابط عمليات في البالماخ. وكان الجهد الرئيس منصا على زيادة حجم القوة: تخصيص المبالغ المالية، زيادة حجم التجنيد، وبذل الجهود من اجل المشتريات والانتاج الذاتي. وقد عملنا عملا شاقا داخل البالماخ. نقوم بالتجنيد ونعد القادة وندرب بجد ونشاط.

في ١ تشرين ثان ١٩٤٧ كما هو وارد في كتاب البالماخ المجلد الثاني صفحة ٨٦٢ كانت قواتنا على النحو التالي: عدد افراد القوة العاهلة بما في ذلك الفتيات غير الصالحات للحرب ٢١٠٠ شخص ومدد قوتنا الاحتياطية ١٠٠٠ شخص. وكان مجهوع الأسلحة التي نمتلكها في ذلك الوقت: ٧٠٠ بندقية، و ٤٠ رشاش برن و ١٠ رشاشات شاطو وآليتي رماية شفارتسلوزا و ٤٥٠ ستن و ٨٠ مسدسا و ٥ بنادق توتو و ١٠ مدافع هاون ٣ انش و ٣٠ مدفع هاون ٢ انش و ٢٠٠ الف طلقة بندقية و ١٠ الاف قنبلة يدوية. ونسوا ان يسجلوا قذيفتين...

لا مفر من النتيجة الكئيبة: على ضوء القرارات السياسية الكبيرة وامام خطر الغزو العربي لم نكن مستعدين كاللازم. فقد تم تبذير وقت كبير إلى ان توقف الاعتراف بضرورة بناء قوة عبرية مستقلة، وقد اصبح الجنون الخاص لقيادة البالماخ يعم الاستيطان اليهودي. ولم تكن هناك طريقة لاستعادة الوقت الضائع. ولكن الاحداث الكبيرة لم تتأخر حتى نجري حسابا

لنسب القوى. ففي ٢٩ تشرين ثان ١٩٤٧ عم فلسطين فرح عارم: فقد قررت هيئة الامم المتحدة تقسيم فلسطين واقامة دولة يهودية. ففي ساحة ماجن دافيد بتل ابيب احتفلت أنا وهيقتى ليئا شلوسبرغ مع الجماهير ولكنني لم اكن اشك! فبعد ان تكلل الكفاح السياسي بالنجاح جاء دور القتال، وبدون النجاح في المجال العسكري فانه لا معنى للمكسب السياسي.

وفي غداة اليوم التالي بدأت حرب الاستقلال وسقطت الضحايا الاولى من جراء الضربات العربية فالمبادرة هي بأيدي العرب وطيلة شهر كانون اول ١٩٤٧ وكانون ثان ١٩٤٨ قام العرب، بحرب صعبة. قدهير انبوب النفط حرق المتاجر في المدن. هجوم اولى على الحي اليهودي في البلدة القديمة. وبما انه يجب المرور عن طريق المناطق المأهولة بالسكان العرب من اجل الوصول إلى القدس والنقب وطبريا أو إلى حيفا وصفد والجليل الاعلى والغربي والمستوطنات وكانت البلدة القديمة في القدس احد الاهداف الاولى. والعرب لا يسحبدون ايديهم حتى من ماكور حاييم وتلبيوت وارنونا. وكان وسط القدس تحت سيطرة البريطانيين. مبنى جنرالي، والساحة الروسية، ومعسكر شنلر كل هذا هوجود تحت سيطرة الجيش البريطاني وكانت هذه المنطقة تسمى بافينجراد على اسم وزير الخارجية البريطاني بافن. وقد كلف البالماخ بحماية القوافل إلى القدس والنقب. كما كلف بمسؤولية حماية بعض المناطق مثل غوش عصيون وبيت هاعربا ومشاريع البحر الهيت وبصورة عامة منطتة النقب.

وقد كلفت بمعالجة موضوع القدس وحماية الطريق اليها اما يغئال الون فقلبه مشدود إلى الجليل على الرغم من انه يحهل مسؤولية جميع المناطق وناحوم شريج يقود الوحدات في النقب. ازداد حجم البالماخ واقيمت كتائب جديدة: الكتيبة الخامسة، كتيبة القدس والكتيبة السادسة في النقب الجنوبي، وبدا في فلسطين التجنيد العام واستقبل قسما من المجندين، ولكنه ليس كافيا، دائما ليس كافيا. ان مشكلة القوافل إلى القدس والنقب هي من اعقد المشاكل.

فقد ركز العرب جهودا خاصة في القدس. واعتبروا الحرب مهمة سياسية من الدرجة الاولى وحولوا الحرب من اجلها شعارا لحربهم ضد المستوطنين اليهود.

في مرحلة سابقة وصلنا إلى نتيجة وهي انه يجب تأمين حماية الهواصلات إلى القدس وكان التنظيم في المرحلة الاولى بدائيا: فبدلا من تسيير سيارات متفرقة اصبحنا ننظم قوافل إلى القدس والنقب تكون مصحوبة بالجنود الذين يضطرون لاخفاء اسلحتهم عن اعين المباحث وكانت الفتيات اللواتي يرافقن الفتيان يلعبن دورا هاما: فقد كن يخفين الأسلحة في ثيابهن وقد كان القانون البريطاني يمنع التفتيش في الاماكن الانثوية لدى الفتيات. ولكن الصعوبة كانت تكمن في سحب الأسلحة عند الحاجة.

ان ازدياد الهجمات على القوافل التي تتجه إلى القدس قد اجبرنا على اتباع اساليب حماية أخرى. فقد انتقلنا إلى تصفيح السيارات ففي المرحلة الاولى لحماية سائقي الشاحنات والباصات. وبعثنا عن طريق لتجاوز المراكز العربية. وكانت القوافل تمر عن طريق ريشون لتسيون، ورحوبوت، وناعن خولده وتصعد على طريق اللطرون والمسهية ومن هناك إلى القدس لقد كان مصير المرافق معبا وسرعان ما ازدادت الضائقة. فقد استمرت الهجمات على القوافل وسقط العديد من المرافقين للقوافل. واخذوا يعرفون: ان سائقى الشاحنات محهيون بواسطة التصفيح.. الا يمتلك الاستيطان اليهودي المال اللازم ليخترع لنا حماية مصفحة؟ وقد اجتمعت بهم لرفع معنوياتهم وانضممت اليهم في مجال مرافقة الشاحنات وقلت لهم اننا نطور في فلسطين مدرعات عن الانتاج المحلي ولكن القيادة تخشى استخدامها الآن خوفا من البريطانيين. في آذار ١٩٤٨ تعرض اسلوب حماية القوافل إلى ازمة على الرغم من ادخال مصفحات. من صنع محلي تسمى «الفرباريم» فقد ازداد حجم القوات العربية الهاجمة وتطورت اساليبهم. فقد قاهوا ببناء حواجز من الحجارة على الطرقات واخذوا يستخدهون العيارات النارية الخارقة للدروع. وازدادت نكساتنا: ففي معركة وقعت بالقرب من خولده قتل ١٦ من جنود البالماخ في محاولة لتمرير قافلة إلى القدس في ١٧ آذار. ولم يكن هناك شك

من انه يجب استبدال اسلوب الحماية: فبدلا من حمايـة هلاصـقة للقافلـة، يجـب الانتقـال إلى الهجوم وتصفية قواعد العمـل العربيـة. ولكـن الضـانقات في منـاطق مختلفـة وضرورة توزيـع قوات في مجالات مختلفة عرقلت تنفيذ الخطط.

كانت منطقة غوش عصيون هي إحدى المناطق الحساسة التي يسيطر عليها البالمـاخ وقـد قام قائد هذا الغوش بتنظيم المستوطنة ووحدات البالماخ وحرس الستوطنات الذين كانوا فيهـا، للدفاع ولغير الدفاع. لقد كانت غوش عصيون مشكلة للعرب حيث انها تقع في وسـط السـكان العرب الهناوئين، بين الخليل والقدس. وكانت تستخدم قاعدة لردود فعلنا التي عرقلـت الحركـة العربية بين الخليل والقدس.

في ١٤ كانون ١٩٤٨ وقع اول هجوم كبير على غوش عصيون واشترك في هذا الهجوم حـوالى ١٠٠٠ عربي. وفي البداية استطار المهاجهون تقسيم مستوطنات غوش عصيون إلى قسهين.

ان فشل حماية القوافل التي تسير إلى القدس المعاصرة دفع بـن غوريـون إلى اتخـاذ قـرار هام وجريء في تلك الايام. فقد كلف رئيس الاركان بحشد قوات كبيرة واقتحام الطريق المـؤدي إلى القدس وهكذا ولدت عملية «نحشون».

وكان هذا هو اكبر حشد للقوات استخدمته الهاغنـاه انـذاك تحـت سـيطرة واحـدة وكـان القائد شمعون افيدان. كجزء من العملية وقبل ان يبدأ الجهـد الـرئيس نفـذت عهليتـان. ففـي الثالث من نيسان تم احتلال جبل القسطل، وفي الرابـع منـه نفـذت اغـارة هـلى قيـادة حسـن سلامة التي كانت هوجودة في بيت منحنل في بيارة بالقرب من الرملة. وهاتان العمليتان مهدتا الطريق لنجاح عملية «نحشون». فقدهير قيادة حسن سلامة دفعه إلى حشد قواته للدفاع عـن الرملة وعن طريق ذلك توقفت مهاجمة القوافل في قسم الطريق بين خولده واللطرون.

كما ان المعركة التي دارت حول القسطل جمعت قوات عبد القادر الحسيني وهي القوات العربية الرئيسة. في منطقة القدس. وفي هذه المعركة قتل عبد القادر الحسيني. ان فقدان القادة ادى إلى تشويش القوات العربية التي عهلت في المنطقة بين القدس واللطرون وقد تم تدمير القرى العربية التي احقلت لئلا تستخدم ثانية كقاعدة لمهاجمة القوافل واحقلت قواتنا هواتع لمها هلى طول الطريق اثناء مرور القوافل التي الحقت بها حراسة مشددة من المصفحات.

* * *

ان نجاح عملية «نحشون» تسبب في حالة من الارتياح. وفي الواقع ان الراحة لم تكن الا مؤقتة وقد تمكنا من تمرير ثلاث قوافل فقط بدون ازعاج. ولكننا اضطررنا لاستخدام قوات كبيرة.

لقد تفرقت القوات العربية التي جمعت لهواجهة العملية. واستمرار مهمة المحافظة على الاتصال بالقدس القى على عاتق البالماخ. ولهذا السبب شكلت قوة هرئيل التي كانت مشكلة من الكتيبتين الرابعة والخامسة. وقد تسلمت قيادة هذه القوة بعد تشكيلها في ١٥ نيسان، وقصدت تنفيذ النطرية التي عملت بموجبها حملة «نحشون»: وهي تصفية نشاطات القواعد العربية على طول الطريق بين تل ابيب والقدس.

ان امكانية التفرغ لتخطيط العمليات وتنفيذها اصبحت محدودة بسبب الضغط المتتالى من جانب المستوى السياسى واستغلال فترة خفة التوتر التي جاءت بعد عملية نحشون ودفع الامدادات إلى القدس. ان القافلة الاخيرة في نطاق عملية نحشون مرت في ١٣ نيسان. واستعدت لتمرير اربع قوافل في ١٧ و ١٩ و ٢٠ و ٢٢ نيسان. وكانت القافلة الاولى بقيادتي واشتهلت على حوالى ٣٠٠ شاحنة. وكان طول هذه القافلة عندما سارت إلى القدس حوالي ٢٠ كلم.

سارت القافلة دون عراقيل. ومقابل ذلك نفذت عدة عمليات احتلال وضرب للقوات العربية. وفي ١٩ نيسان تم تسيير قافلة أخرى. وشعرت بأنه قد طرأت انتفاضة جديدة بين القوات العربية، التي اصبحت مستعدة للعودة إلى مهاجمة القوافل. ولهذا السبب اقترحت ارجاء تسيير القافلة، التي كانت مخصصة ليوم ٢٠ نيسان وذلك للعودة إلى النشاطات الهجوهية، ولكن اقتراحي رفض. وفي نيسان تلقيت امرا جديدا: وهو حشد اللواء كله في منطقة القدس. وهذا يعني اننا سنرحل إلى القدس قيادة اللواء والكتيبة الخامسة وذلك في نطاق قرار خاص بعملية «يبوسي» وهدفها احتلال القدس. وكان الافتراض هو ان البريطانيين سيخلون المناطق التي كانوا يحتلونها في وسط القدس. وكلف لواء هرئيل باحتلالها في المرحلة الاولى وبعد ذلك اكمال احتلال القدس العربية كما اعلن ان رئيس ادارة الوكالة دافيد بن غوريون واسحق ساديه الذي عين قائدا لعملية «يبوسي» سينضمان إلى القافلة. فوجئت واحتججت وقلت ان البريطانيين لا ينوون الانسحاب من المراكز التي يسيطرون عليها وانه بقي اماهنا وقت كاف لاحتلال بيت محسير واللطرون وقدهير جميع القواعد العربية الأخرى على طول الطريق. ولكن هذا الاحتجاج رفض. وفي مساء ١٩ نيسان تلقيت امرا قاطعا بارسال القافلة إلى القدس في غداة اليوم التالي.

ومع فجر ذلك اليوم توجهت القافلة إلى القدس. وكانت تسير في مقدمتها الحماية وبعدها في سيارة باص مصفحة يوجد فيها دافيد بن غوريون واسحق ساديه. وبعد ان مرت عدة سيارات بدون عراقيل بدأ الهجوم العربي وربما كان هذا هو اكبر هجوم ينفذه العرب على التافلة المتجهة إلى القدس فالمئات من رجال عبد القادر الحسيني تمركزوا في المنطقة بين اللطرون وباب الواد وسيطروا عليها. وقد دمرت بعض سيارات القافلة. وقد بلغني الخبر وأنا في مؤخرة القافلة، وازداد الوضع خطورة. ووصلت سرية الاحتياط المصفحة إلى المكان واحقلت مواقعها لمنع المهاجهين الذين كانوا على بعد يتراوح بين ١٠٠ - ٣٠٠ م من الطريق من الوصول اليه. وقد اصيب العديد من السيارات واشتعلت النيران فيها. واسرعت إلى

المكان في سيارة الجيب البيضاء التي كانت تحت تصرفي (لقد امر البريطانيون بـدهن جميـع سيارات الجيب المدنية باللون الابيض لتشخيصها).

في منطقة اللطرون كانـت المعركـة عـلى اشـدها وابلغنـي «اولي» القائـد الجـريح للسريـة المصفحة بما يحدث والقلق باد على وجهه. ولم استطع حشـد قـوات كبـيرة. فالكتيبـة الخامسـة كانت منتشرة بين السيارات وكانت تستخدم هدفا جيدا للقناصـين العـرب. قـررت الـذهاب إلى كريات عنافيم، وان امر الكتيبة الرابعة التي وصلت إلى هناك بعد ان عهلـت خـلال الليـل ضـد قريتي بدو، وسوريك، بان تعهل كقـوة محشـودة لانقـاذ القافلـة وافرادهـا. وفي اللحظـة التـي تحركت فيها. ركزت جميع الرماية على سيارة الجيب التي كنـت اسـتقلها. وبأعجوبـة لم نصـب. وفي كريات عنافيم امرت سرية عوزي نركيس ان تخرج فورا لمساعدة القافلة. وبسـبب خطـورة الوضع وافقت على اخـراج مـدرعتين كنـا قـد سرقنـاهما في حينـه مـن البريطـانيين، مـن المخبـأ واستخدامهما لانقاذ القافلة. وبعد معركة طويلة وصعبة تم انقـاذ معظـم القافلـة. وكـان عـدد القتلى أكثر من ٢٠ شخصا ما عدا الجرحى الكثيرين. وقد فقـدنا ٢٠ سـيارة، وفي القـدس تأهبنـا لسلسلة من المعارك الصعبة والمريـرة الثـي عرفنـا فيهـاا طعـم الانتصـار، وايضـا مـرارة الهزيمـة وكلفنـي اسـحاق سـاديه بوضـع خطـة لاحـتلال القـدس. وقيـل لي ان القـوة المحليـة متمسـكة بالمواقع وان معظم عملية الهجوم يجب ان يقوم بها لواء هرئيـل بكتيبتيـه الرابعـة والخامسـة اللتين كنت اقودهما.

وكانت خطتي مبنية على الافتراض بان مفتاح السـيطرة عـلى القـدس هـو شـمال القـدس: سلسلة التلال الممقدة من اوغستا فيكتوريا، الطور، جبـل سـكوبس - الشـيخ جـراح - شـعفاط حتى حي فاجي. وكان يجب احـتلال منطقـة النبـي صـهوئيل وبيـت حنينـا لخلـق اتصـال مـع عطروت والنبـي يعقـوب اللتـين صـمدتا في ذلـك الوقـت ومقابـل ذلـك اشـتهلت الخطـة عـلى التطويق من الناحية الجنوبية عن طريق احـتلال القطهـون التـي يوجـد في وسـطها ديـر سـان سيهون، والسيطرة على الارجاء اليونانية والالمانية والاتصال مـع حـي مـاكور حـاييم الـذي كـان

معنـولا منـذ عـدة اسـابيع وبعـد ذلـك كنـت افكـر في هوامصـلة الحركـة عـن طريـق المطبعـة الحكوهية ومحطة القطاع في القدس إلى تلبيوت وارنونا ورمات راحيـل وهكـذا نغلـق بحركتـي مقص منطقة القدس من الشمال والجنوب.

اما العمليات الرئيسة التي اقترحها فكانت: عملية اولية مشـتركة للكتيبتـين تقـوم الكتيبـة الرابعة خلالها في اول ساعة من الليل باحتلال بيت اكسـا والنبـي صـموئيل والكتيبـة الخامسـة تحتل شعفاط، والعملية الثانية السيطرة على شمال القـدس عـن طريـق احـتلال الشـيخ جـراح وفتح الطريق إلى جبل المكبر واحتلال سلسلة تلال جبل المكـبر. وفي الجنـوب احـتلال القطهـون وبعد ذلك هواصلة المسير نحو صور باهر.

وقد وافق بن غورهون واسحق ساديه عـلى هـذه الخطـط وتقـدرر تنفيـذ العمليـة الاولى خلال ليلتـي ٢٢ و ٢٣ نيسـان خرجـت سـيارة معنـزة مـن الكتيبـة الخامسـة بقيـادة يسسـكار شدهي من سنهدريا واجتازت واديا عهيقا وصعدت من اتجاه غير متوقع واحقلت شعفاط.

والكتيبة الرابعة خرجت لاحتلال بيت اكسا والنبي صـهوئيل. تـأخر احـتلال بيـت اكسـا بسـبب العـدد الاسـتخباري غـير الكـافي مـن قبـل الكتيبـة الرابعـة وتجمـع بعـض الاخطـاء مثل مهاجمة النبي صهوئيل في النهار بدلا من الليل، وباء الهجـوم بالفشـل. وبمـا ان الهـدف الرئيس «النبي صـهوئيل» لم يحتـل امـرت بالانسـحاب وامـرت قـوة الكتيبـة الخامسـة ايضـا بالانسحاب من شعفاط لمنع تطويقها. ولكن الفشـل لم يكمـن بـذلك: ففـي النبـى صـهوئيل اجرى المحاربدون قتال انسحاب صعبا ومن اجـل انقـاذهم امـر قائـد الكتيبـة الرابعـة قـوة مصفعة للخروج من معاليه هاحهيشا عن طريق الرادار نعو النبي صوئيل وفي منطقة الرادار كان يرابط جنود الجيش العربى الاردني الذين لم يقدخلوا حتى ذلك الوقت مباشرة في المعارك فقد تركوا القافلة تمر ومن ثم صبوا وابلا من النيران عليها بما في ذلك اطـلاق نـيران المدفعيـة نحو المصـفحات ودمـروا القافلـة كلهـا. وقـد تركـت المصـفحات وبـداخلها «دافيـدكا» وهـو اثقل سلاح كان تحت تصرفنا في القدس المحاصرة، وقد اسفرت المعركة عـلى النبـي صـموئيل

عن مقتل ٤٤ جنديا يهوديا وجرح أكثر من ١٠٠ جندي ولحقت اضرار جسيمة بالكتيبة الرابعة.

العملية القادمة كانت احتلال الشيخ جراح والاتصال مع الجامعة العبرية. وخرجت سريتان من الكتيبة الخامسة للعهل في ليلتي ٢٥ و ٢٦ من نيسان. وقد سيطرت احداهما على المنطقة المتصلة بالشيخ جراح والسرية الثانية قامت بعملية تطويق من شمال الشيخ جراح والمنطقة كلها. وقالوا ان هذه الطريق ضرورية لهم لضمان الانسحاب من القدس ولن يوافقوا على ان تحتفظ بها قواتنا. واضافوا إلى ذلك انذارا:

انه إذا لم ننسحب من المنطقة حتى الساعة السادسة مساء فان الجيش البريطاني سيعهل بكاهل قوته لطرد قواتنا من الشيخ جراح. وبالتشاور مع دافيد بن غوريون واسحاق ساديه وحاييم هرتسوغ الذين كانوا ضباط ارتباط مع البريطانيين سئلت عن رأيي واقترحت وأنا اعرف النتيجة. لقد كنت ادرك انه إذا ما نفذ الانذار البريطاني فان قوة الكتيبة الخامسة لن تستطيع الصهود امام القوات البريطانية ولكن على الرغم من ذلك فقد ادركت باننا لن نستطيع ان ننفذ مرة أخرى اية عملية بدون هوافقة البريطانيين. وقد قبل البريطانيون رأيي هذا. وأمرت قائد السرية في الشيخ جراح ان يحتفظ بالمبنى و إذا ما هوجم من قبل قوة بريطانية كبيرة يجب عليه ان يخلى سريته إلى بيت يسرائيل أو نحو جبل سكوبس الذي كان في ايدينا. وعندما حان وقت الاندار استعدت كتيبة بريطانية للهجوم وعندما انتهى الهوعد بدأ الانكليز بقصف المنطقة بمدافع الهيدان وتقدم الجنود البريطانيون تصحبهم الدبابات. وازدادت الالام في نفسي وخشيت ان تتكبد القوة اصابات في الارواح. وتوجهت أي هرتسرغ ليطلب من البريطانيين ان يرسلوا قوة إلى جبل سكوبس لاخلاء الشبان من هناك.

لم تكن هناك رتب في ذلك الوقت. وكنت ابدو اصغر من سني البالغ ٢٦ سنة وانضممت لهرتسرغ كخادم شخصي له أي قيادة الجيش البريطاني. واجرى المفاوضات

ووافق الضباط الانكليز. وكان الوقت العاشرة ليلا تقدريبا. فسرنا عن طريق الشيخ جراح بعد ان نظمت قافلة من الدبابات وحملة رشاشات البرن وركبت إحدى الدبابات. وقد وصلنا إلى جبل سكوبي واتضح ان معظم القوة ما عدا مجموعة واحدة ارسلت إلى بيت إسرائيل قد وصلت إلى جبل سكوبس وفرحت عندما سمعت بأنه لم يصب احد. وانزلنا البريطانيون من الجبل بل وسمحوا لنا ان نتأخر قليلا في المبنى في الشيخ جراح وان نجمع بعض قطع الأسلحة التي تركها جنودنا.

واضيف هنا بان الانكليز اوفوا بالتزامهم بعدم السماح للعرب بالعودة إلى الشيخ جراح. وخلال ثلاثة اسابيع اي من ٢٥ نيسان وحتى ١٤ ايار عندما انسحب الانكليز من القدس لم يدخل العرب منطقة الشيخ جراح. وفي ١٤ ايار سيطرت قوات الهاغناه على الشيخ جراح دون مقاومة.

وفي ٢٧ نيسان فشلت قوة من الكتيبة الرابعة في محاولتها احتلال دير سان سيهون ولكن في ليلة ٢٩ - ٣٠ نيسان استعدت قوة كبيرة جدا وتم احتلال الدير. وبذلك سقط في ايدينا الهدف الذي يسيطر على المنطقة الجنوبية ولكن بينه وبين الخط البلدي كان العرب يسيطرون عليه وكانت القوة في الدير معنولة - كما ان قوات عربية كبيرة من بيت لحم، وبيت جالا والخليل وكذلك قوات عراقية اسقدعيت وشنت عمليات شديدة جدا في الدير.

لقد تحول قتال الدفاع إلى قتال حاسمم واختبار الطرفين. ومثلما هي الحال بالنسبة للقتال الذي دار حول القسطل عندما جاء الحسم ليس عن طريق الاحتلال وانما من طريق الدفاع وكسر شركة القوة المهاجمة، قدرت بان القتال على جنوب القدس سيحسم من طريق قدرة القوة المدافعة عى الصهود. لقد حاولنا ان نرسل تعزيزات اليها عن طريق عيمق هامتسليبا. ولكن ثمن التعزيز كان باهظا. لقد استخدهنا كل ما كان لدينا. فقد كانت الذخيرة قليلة. وقامت طائرة خفيفة بالقوم من تل ابيب إلى عيمق هامتسليبا وبالقرب من المنطقة انزلت

قذائف الهاون المعدودة لمساعدة القوة المدافعـة. وقـد اقلعـت الطـائرة ثـلاث مـرات واحضرت قذائف اطلقت لمساعدة القوة المدافعة. ولكن في ساعات ما بعد الظهـر ازداد الوضـع خطـورة. فقد انتهت الذخيرة وازداد عدد القتلى وفي مرحلة معينة طلـب قائـد القـوة الدافعـة الهوافقـة عـلى الانسـحاب. وكنـت في طريقـي إلى قيـادة الكتيبـة وسـمعت بـان الانسـحاب معنـاه تـرك العشرات من الجرحى الذين لا يمكن انقاذهم مـن الـدير. واجـرى القـادة في المكـان مشـاورات افرى وكان بينهم بانى مرشك وهو شخص جريء وقوي الشخصية وكان هـو الـذي رجـح الكفـة ضد الانسحاب وازداد وضع الجرحى خطورة إلى حد انهم فكروا في القيام بعمليـة خطـيرة جـدا وهى: قتل الجرحى لئلا يسقطوا اسرى بايدي العرب ومهاجمة القوات المهاجمـة ليفتحـوا لهـم خطا نحو قواتنا.

وصلت انباء من سكان ماكور حاييم الذين كانوا في المؤخرة انهم بدأوا يشـاهدون مظـاهر انسحاب بـين العـرب المهـاجهين ومررنـا النبـأ فـورا لرجالنـا في الـدير لرفـع معنويـات الطـالبين بالاستمرار في الحرب. ولكن قوة المهاجهين لم تستنزف بعد. ففي الوتت الذي تقوم فيه القـوات العراقية تساندها المدرعات بهجوم شديد وجد البريطانيون الوقت هناسبا لنيـادة الاعبـاء. فقـد وجهوا انذارا لقواتنا باخلاء الدير. والجـواب كـان: كـلا. في مسـاء ذلـك اليـوم توقفـت المعـارك. ووصلت قوات نجـدة مـن جانبنـا إلى الـدير. وخلـق الاتصـال الحيـوي بـين مرحابيـا - الطالبيـة والقطهون. وكان هذا هو الحسم في القتال على جنوب القدس.

والاكثر من ذلك فقد كان هذا القتال هو الذي قرر مصير القدس بنسبة كبيرة. فمنذ هـذه اللحظة وحتى دخول الجيش الاردنى لم تقع ايـة محـاولات أخـرى مـن جانـب العـرب لمهاجمـة منطقة القدس بصورة كبيرة. وكانت البلدة القديمة محاصرة وقد خشينا هلى مصيرها.

في بدايـة شـهر ايـار، بعـد احـتلال القطهـون تقـدرر انهـاء عمليـة «يبـوسي». وتـم حـل قيادة العملية. وبقي اللواءان عصيوني وهرئيل خاضعين مباشرة للقيادة العامة. وفشلت العملية التي قصـد بهـا احـتلال القـدس كلهـا. فـافترض ان الانكليـز سـيخلون وسـط القـدس حتـى ٢٠

نيسان ويمكنوننا من احتلال معظم الهينة الجديدة قد تبدد. وهنا يمكن الاعتقاد انـه لـولا ذلـك لكانت القدس الجديدة قد سقطت كثمرة طازجة بايـدي قواتنـا حتـى قبـل الاعـلان عـن قيـام إسرائيـل وقبـل ان تقـوم الجيـوش العربيـة النظاهيـة بهجومهـا عـلى اليهـود في فلسـطين. ان البريطانيين لم يخلوا وسط المدينة في هوعد سابق فقط وانما في اللحطة التي احتللنا فيها الشـيخ جراح استخدهوا القوة لطردنا من هناك. ومنطقة العمل الوحيدة التي بقيـت حـرة مـن نفـوذ البريطانيين هي جنوب القدس. وبدون احتلال وسـط القـدس والسـيطرة عـلى الشـيخ جـراح لم تكن هناك امكانية للاستعداد للعهل ضد البلدة القديمـة. وبالاضـافة إلى ذلـك لم تكـن في بدايـة شهر ايار قوة ذات اهمية تمكننا من مواصلة القتال عـلى القـدس. ومـن اجـل هواجهـة هجـوم الجيوش العربية تلقيت في مطلع ايار للاستعداد مز جيد لفتح الطريق إلى القدس التي اغلقـت منذ ٢٠ نيسان وهو هوعد تمرير القافلة الاخيرة فقد اغلقت بصورة كلية بـالعواجز التـي بناهـا العرب في نقاط مختلفة على طولها. اسبوعان من الحصار والعنلة التامة تركت آثارمـا الواضـحة على القدس. وكان يعيش في هـذه المدينـة حـوالى ٨٠,٠٠٠ يهـودي في حالـة حصـار وعنلـة. وفي مطلع ايار دعيت لحضور الهناقشات في القيادة العامة. واقلعنا جوا من المطار الصغير في عيمق هامتسليبا وعندما وصلت إلى القيادة عرضت خططي على يجئال يدين رئيس قسـم العمليـات الذي كان يحهل الاعباء الكبيرة للحرب وعلى هوندك الـذي كـان مسـؤولا عـن منطقـة القـدس والجنوب في قسم العمليات. لقد كانت خطتـى لفـتح الطريـق إلى القـدس مبنيـة عـلى عمليـة تقوم بها كتيبتا لواء هرئيل الذي اقوده. الكتيبة الخامسة تحتـل جميـع الواقـع شـمال الطريـق ابقداء من النبى ايـلان وحتـى بـاب الـواد. والكتيبـة الرابعـة تحتـل الواقـع جنـوب الطريـق مـن منطقة سريـس وتحتـل بيـت محسـير. وكتيبـة ٥١ التابعـة للـواء جفعـاتي تحتـل اللطـرون. وقـوة أخرى من الكتيبة الخامسة تحتل يالو ودير ايوب. وفي ليلة ٨-٩ ايار فرجت كتيبتا هرئيـل للعمـل. الكتيبة الخامسة سيطرت على هـدفها ولكـن الكتيبـة الرابعـة تـأخرت في سـيرها بسـبب الضـباب الكثيف ولم يكن بالامكان تنفيذ العملية في ساعات الليل وعـلى ضـوء ذلـك تمـت اعـادة القـوات. وفي غـداة اليـوم التـالي فرجـت القـوات للعهـل ثانيـة ولكـن مـرة أخـرى بسـبب مصـاعب حهـل الأسلحة الثقيلة تأخرت الكتيبة الرابعة. وقـررت ان تبقـى الكتيبـة الخامسـة في مواقعهـا وتسـتمر

الكتيبة الرابعة في عهلها حتى ولو تحقق هدفها الرئيس وهو احتلال بيت محسير. وقد تم اكتشاف قواتنا في الصباح وهنا بدأت «الامدادات» الكبيرة من جانب القوات العربية في جبل الخليل لمساعدة بيت محسير. وتعرضت القوات التي رابطت في المواقع في منطقة سريس إلى هجوم شديد. وقامت بصد الهجمات المتكررة التي يقوم بها العرب. وقد تكبدت قواتنا خسائر فادحة. ومقابل ذلك وصلت قوات القاوقجي إلى منطقة اللطرون وبدات بشن هجوم شديد من الشمال. وقد استمر القتال وفي ليلة ١١ - ١٢ ايار تم احتلال بيت محسير واحقلت الكتيبة الرابعة في ١٣ ايار الرادار الذي انسحب منه الجنود الاردنيون.

الكتيبة الخامسة صمدت اياما عديدة في المعارك الصعبة تحت القصف المدفعي وتمسكت بواقعها. وكانت تقوم بقتال دفاعى مستمر. وقد طلب قادتها أكثر من مرة الانسحاب وكان الوضع صعبا. وتضاءل عدد جنود الكتيبة وازداد عدد المصابين. وادخلت في المعركة فنة غدناع من ذوي سن السادسة عشرة وعندما وصلوا إلى الموقع اصيب عدد كبير منهم بسبب القصف المدفعى. وبعد محادثات مطولة قررنا الصهود اربعا وعشرين ساعة أخرى. وقلنا انه إذا لم يشدد القاوقجي هجومه واندفاعه فاننا لن ننسحب.

ان قدرة صهود الكتيبة الخامسة فاقت قدرة مداومة قوات القاوقجي على العمل وفي ١٥ ايار توقف الهجوم الشديد. اخرجت كتيبة ٥١ في نفس اليوم واحقلت منطقة معسكر الاعتقال في شرطة اللطرون. ولكن هجوما عربيا معاكسا ارغم قواتنا على الانسحاب إلى منطقة خولدة، وبعد اكمال احتلال الطريق على طوله من ابو غوش وحتى باب الواد خرجت وحدة مدرعات من كتيبة ٥١ لفتح الطريق من منطقة خولدة نحو باب الواد. ولكن كهينا كانت تنصبه قوات القاوقجي قد الحق خسائر جسيمة بالمدرعات اليهودية. وفشلت محاولة فتح الطريق إلى القدس وحتى باب الواد. واما منطقة اللطرون فبقيت بأيدي العرب. وكانت هذه المعركة إحدى المعارك العصيبة والطويلة التي خاضها لواء هرئيل خلال حصار القدس.

لقد عانينا كثيرا من نقص في السلاح. وازدادت الخسائر بيننا. ففي كل ليلـة، وكـل محاولـة تسقط فيها خيرة شباب لواء هرئيل. وفي هذا الجـو المتـوتر والصـعب اعلـن بـن غوريـون قيـام إسرائيل في منصتف ليلة ١٥ ايار.

في يوم السبت الخامس عشر من ايار هاجمت الجيوش العربية اليهود في فلسطين وكانـت القدس معنولة. والقوات التي وضعت للـدفاع مـن شـمالي القـدس لم تصـمد. وقـد صـمدت في النبى يعقوب وفي عطروت(قلنديا) امام هجوم واحد ولكـن في ليلـة ١٦ ايـار وصـل مكانهـا إلى جبل سكوبس. وقد اخترقت كل منطقة شمال القدس ودخلت قوات الجـيش العـربي الاردني في مدينة القدس ووجهت نحو حـى «فـاجي» ووصـلت إلى البلـدة القديمـة. وهاجمـت قـوة مـن الجيش الاردني منطقة نوتردام وتوقفت هناك. وفي الواقع انسحب الانكليز اعتبارا مـن يـوم ١٤ ايار من جميع المناطق الوسـطى في المدينـة وسـقطت هـذه المنـاطق بـدون قتـال بايـدي لـواء عصيوني الذي سيطر هلى وسط المدينـة ومحطـة القطـاع والمطبعـة الحكوهيـة ولكـن الجـيش الاردني اقتحم من الجهة الشمالية واحتل شمال القدس والشيخ جراح.

وتقدرر تمرير تافلة إلى القدس امتمادا على مكاسب حهلة «مكابي» وكانـت خطتـي ترمـى إلى ان تقوم الكتيبة ٥١ باحتلال اللطرون والكتيبة الرابعة تعتـل يـالو وهكـذا تحقـق السـيطرة على جميع تلال اللطرون وتضمن الطريق إلى القدس حتى خولده. واتضح ان قوات القـاوقجي قد انكسرت قبل ذلك خلال هجماتها على الكتيبة الخامسة. وفي منطقة اللطـرون كانـت قـوات القاوقجي تحتل فقط الدير ومركز الشرطة. وفي ليلـة ١٥-١٦ ايـار تـم احـتلال قريتـى اللطـرون ويالو. وفتحتـا الطريـق ولكـن القافلـة لم تصـل بسـبب خلـل تنظمـى مـثلما قيـل. ولـيس مـن المستبعد ان منظهي القانلة لم يصـدقوا باننـا فتحنـا الطريـق واحتفظنـا بـالطريق مفتوحـة إلى القدس طيلة الليل. ليلة هادئة، ولا يوجد قافلة ما عدا مصفحة واحدة خرقت الهـدوء فضـابط استخبارات اللواء الذي كان في السهل الساحلى صعد إلى القدس.

كانت « قافلة اليتم» هكذا اسهينا تانلة تلك الليلة، سيارة واحدة. وفي تلك الليلـة اتصـلت لاسلكيا مع القيادة العامة واقترحت هواصلة الاحتفاظ بتلال اللطرون من قرية اللطرون وحتى دير ايوب. ولهذا السبب اردت ان ابقى في المنطقة الكتيبة ٥١ بالاضافة إلى لواء «هرئيل». وكان الجواب: ليس من حقك ان تشغل كتيبة ٥١. كان الجـدل ماخبـا. وفي الصـباح امـرت الكتيبتـين الرابعة و ٥١ بالانسحاب ولم يكن بمقدورنا الاحتفاظ بكل الطريق من القـدس وحتـى اللطـرون بقوات هرئيل فقط.

في ١٧ أيار ابلغوني انه في ليلة ١٨-١٩ ايار سينظهون قافلة. ومع هذا سـتبقى كتيبـة ٥١ في المنطقة وتشترك فيأ حماية الطريق من اجل مـرور القافلـة. ولكـن في سـاعات مـا قبـل الظهـر ابلغني «شألتيل» انه قرر مهاجمة البلدة القديمة وسألني فيما إذا كنت مستعدا لمساعدته عـن طريق ارسال قوة من هرئيل. وافقت ولكننى قلت لشألتيل انني سرأسل ضابط عمليات هرئيل ايتائيل عهيجاي وقائد الكتيبة يوسف طبنكين من اجل تنسيق العمليـة. لم اقـيم بشـكل خـاص كفاءات اللواء المتواجد في القدس ولم ارد ان تشترك قوات اللـواء في ايـة عمليـة دون ان نعـرف سلفا خطتها.

وعندما كنت مشغولا بالتحضـير لحمايـة القافلـة اتصـل بي ايتانيـل وقـال: اسـحاق هنـا مأساة! اريدك ان تأتي فورا إلى القدس. في قيادة اللواء المقدسي عرض شرلتيـل ورجـال قيادتـه الخطة: احتلال البلدة القديمة بحيث يكون الاقتحام الرئيس عن طريق بوابة يافا واحـتلال بـرج داود. واعدوا علما لرفعه على برج دواد ويريد من هرئيل ان يقوم بعمليات تضليل نحـو جبـل مهيون في نفس الوقت الذي يتم فيه اقتحـام البلـدة القديمـة. وفي الواقـع ذهلـت لمـا سـمعت. وعرفت انه لا يوجـد اي احـتمال لنجـاح هـذه الخطـة. وقلـت لشـألتيل لا تهـاجم ورأسـك إلى الحائط. سأضع قوات هرئيل تحت قيادتك المباشرة ولكن يجب وضع خطة أخـرى اننـا نسـيطر على نوتردام جيدا وكذلك بوابة مندلباوم وحتى بيت إسرائيـل سنحشـد قواتـك وقـوات هرئيـل وكقوة واحدة نندفع في منطقة منـدلباوم الكولونيـة الامريكيـة ونحتـل متحـف روكفلـر وهـي

المنطقة المسيطرة على بوابة نابلس. ونغلـق البلـدة القديمـة مـن جهـة وادي الجـوز وبـذلك تغلق الطريق إلى القدس من الشمال، المحور الرئيس للجيش الاردني إلى القـدس وبعـد ذلـك نشن الهجوم من هذا الاتجاه. وسنستطيع مسـاعدة قـوات مـن نـوتردام التـي تسـيطر عـلى السور عند مجيئك إلى بوابة نابلس. ويبدو انه يوجد لهذه الخطة احتمال معقول للنجاح.

ولكن دافيد شألتيل رفضها. وظل مصرا على رأيه ومتمسكا بخطته فقط. وهنا ثـار غضـبي وصعب علي السيطرة على اعصابي. وقلت له ان خطته خطة جنونية ستفشـل حـتما ومـع هـذا فاننا سننفذ عملية التضليل كـما اراد. وكنـا في ضـيق مـن الوقـت. فأبقيـت ايتائيـل في القيـادة المقدسية ونزلت إلى باب الواد لتحهل مهمة اللـواء وهـي ايصـال ٣٠ شـاحنة نقـل إلى القـدس. وبواسطة جهاز اللاسلكي ابلغني ايتائيل بان الهجوم على البلدة القديمـة لم يـنجح سـوى عمليـة التضليل. فجبل سـكوبس اصـبح في ايـدينا وفي فجـر اليـوم التـالي وصـلت إلى موشـة إلى قيـادة الكتيبة الرابعة وهناك اتضح لى حجم الفشل. فالقوات لم تصل مطلقـا إلى بوابـة يافـا. وتعرقـل الهجوم منذ بدايته. وفي جبل صهيون يقوم الجيش الاردني بمهاجمة قواتنا. وكانت قواتنا مكونـة من حوالى ١٠٠ عنصر ومم يقوهون بصد الهجمات. وبعد الظهر عقدنا اجتماعا اخر مـع قيـادة شألتيل. واقترحنا بان تقوم قوة البالماخ التي تحتغظ بجبل صهيون باقتحام البلدة القديمـة عـن طريق بوابة صهيون، وبصعوبة فائقة كنـت اخفـف مـن لهجـة اقـوالي. فسـالتهم بغضـب ايـن البالماخيون؟ ان ما يتراوح بين ٧٠-٨٠ رجلا من البالماخ كنت قد وافقت على اشتراكهم في عمليـة ثانوية هي كل القوة الهوجودة لـدى اليهـود لاحـتلال البلـدة القديمـة مـن القـدس؟ اجابـدوني باختار. ستكون هناك تعبئة. وستأتي نجدة بعد عملية الاقتحام. ولكن فان الذين يـدافعون عـن البلدة القديمة يسـتصرخوننا وقـوتهم آخـذة بالاضـمحلال ولا يوجـد هنـا مكـان للحسـابات ولا لـلـهناقشات التي تتعلق بالهيبة والصلاحيات.

وقام عوزي باعطاء الامر، وقامت القوة التي احقلت قبل ذلك بيـوم واحـد جبـل صـهيون وظلت مشتبكة طيلة اليوم مع القوات المعادية، جمعـت قواهـا واقتحمـت عـن طريـق بوابـة صهيون واتصلت مع الذين يدافعون عن البلدة القديمة... لقد اقتحم البلـدة القيمـة حـوالي ٢٥ عنصرا والبقية ظلوا في جبل صهيون لحمايته وينتطرون النجدة التي وعدوا بها لدعم الاحتفـاظ بالبلدة القديمة وجبل صهيون. قاد قوة النجدة مردخاي وينشتاين الذي اصبح يدعي فيما بعـد غزيت وعين سفيرا لإسرائيـل في بـاريس. واسـتطاع ان يجمـع تحـت قيادتـه حـوالى ٧٠ شخصـا. ومعظمهم من الشيوخ غـير المـدربين والـذين يفتقـدرون إلى الحـماس. وجلبـت النجـدة معهـا كميات قليلة جدا من الارزاق والذخيرة.

كانت هذه هـي التعزيـزات. وكانـت هـذه هـي القـوة التـي اسـتطاعت القـدس الهليئـة بالسكان اليهود ان تجندها لحماية وضمان احتفاظنا بالبلدة القديمة.

وقامت كتيبة من الجـيش الاردني بمهاجمـة قواتنـا في البلـدة القديمـة وجبـل صـهيون. ولم تستطع مجموعة المحاربين الوقوف في وجهها. وفجر يـوم ٢٠ ايـار اعتقـد دافيـد العـازار انـه لا هناص من الانسحاب. ووافق عوزي نركيس على الانسحاب. وكان هذا رأيي ايضا. وكـان واضـحا لي اننا نستطيع الاحتفاظ بجبل صهيون - البلدة القديمة لحماية الاتصال مع حماتها. وانسحبت قوة البالماخ. اما النجدة بقيادة غزيت فقد بقيت في البلدة القديمة.

كان ذلك اليوم، يوما مريرا بالنسبة لي. يومـا حاسـبت فيـه نـفسي. واخـذت اتسـاءل لمـاذا وصلنا إلى الحرب ونحن في حالة عدم اسـتعداد؟ فهـل كـان ذلـك محـتما؟ وهـل كـل مـن كـان يستطيع الحرب حارب؟ وهل هذا هو السلاح الذي يستطيع اليهود توفيره لجنودهم؟

بقيت البلدة القديمة محـاصرة، وعـدت إلى وظيفتـي لحمايـة الطريـق إلى القـدس. وازداد الوضع في القدس خطورة. وتعرضت رمـات راحيـل لـلــهجوم والقصـف. كـما تعرضـت القـدس للقصف حيث تساقطت القذائف في وسـطها وفي حـي رحابيـا. واصـبحت وكأنهـا مدينـة هيتـة

أو مدينة خربة. وسحبت كتيبة ٥١ التابعة للواء جفعاتي هنا. لان الوضع على الواجهة المصرية ازداد خطورة. في ٢٤ ايار ١٩٤٨ في القيادة الواقعة بالقرب من بيت الوكالة في القدس. بعد منتصف الليل ايقظوني. وجاء زياما اورن وموشة كول ودوف يوسف وباني مرشك. فتحدث زياما قائلا: ان جنوب القدس في خطر ورمات راحيل لن تصمد. وبدأ اليهود يهربدون من ارنونا وتلبيوت وإذا لم يدخل البالماخ المعركة فان جنوب القدس سيسقط. وهنا اعطيت الاوامر لقوات اللواء للاستعداد للعهل. وقمت في تلك الليلة ومعي قائدان بالتجول في الاحياء الجنوبية ونقلنا قوات إلى تلبيوت. وبالتنسيق مع القيادة المقدسية دعا يسسكار شدهي القادة في تلبيوت وتحدث اليهم قائلا: لقد احضرنا إلى هنا سريتين من البالماخ احدهما ستتحرك لساعدة رمات راحيل والثانية تبقى هنا وعلى جنودها ان يطلقوا النار على كل من يحاول ان يهرب من هنا ابلغوا ذلك جميع السكان. وقامت قواتنا بدخول رمات راحيل ومع القوات المتواجدة هناك قامت بدخول الكيبوتس الذي احتفظت القوات المهاجمة بقسم منه لمدة ٢٤ ساعة وخاصة قوات الاخوان المسلمين. وسرية أخرى توجهت للاغارة على دير مار الياس واحقلته وقضت على كل من كان هناك وانضمت إلى القوات التي عهلت على تهدئة الوضع في جنوب القدس.

في معاليه ماخهيشا ساعدنا الحظ: ففي الليلة التي عادت فيها إلى هناك الكتيبة الرابعة هاجم الجيش الاردني واحتل الرادار وواصل حركته الهجوهية نحو معاليه هاخهيشا وقامت الكتيبة الخامسة بصده وانقذت معاليه هاخهيشا وكريات عنابيم.

في ليلة ٢٧ ايار قهنا بهجوم اخر على البلدة القديمة عن طريق بوابة صهيون ولكن هذا الهجوم فشل. كذلك كان مصير هجومين آخرين في الشيخ جراح. واستمرت هجمات الجيش الاردني بدون توقف. وفي ٢٨ ايار صعدت إلى جبل صهيون. وشاهدت وفدا يحهل علما ابيض ولم افهم ما هو الامر واتضح لى فيما بعد ان هذا الوفد هو من الحاخاهين اليهود

وغيرهم وقد خرج من الحي اليهودي ليستوضح ما هي شروط الجيش الاردني من اجل استسلام الحي اليهودي وفي تلك الليلة استسلم الحي اليهودي وسقط بايدي الجيش الاردني.

في ذلك الوقت تم تحويل اللواء السابع بقيادة شلومو شهير إلى احتلال اللطرون. وقبل الهجوم بيوم واحد دخلت كتيبة من الجيش الاردني إلى منطقة اللطرون وحلت محل قوات القاوقجى التر تم اخلاؤها. وقد فشل هجوم اللواء السابع وتكبد خسائر جسيمة. كما فشل هجوم آخر ولكن ظهر اماهنا قاطع اراض متصل ببعضه البعض من جنوب طريق القدس بتل ابيب في منطقة اللطرون وهذا القاطع مكننا من اقامة «محور بورما» الاول. عندما اتفق على اعادة تنظيم جيد للقوات في منطقة القدس والطريق اليها تسلم القيادة على الواجهة كلها هيكى ماركوس الذي كان يلقب ب « ساطون» وهو ضابط يهودي امريكي جاء إلى إسرائيل وتطوع للحرب من اجل استقلالها. وبعد احتلال الجليل قررت القيادة العامة نقل قيادة لواء «يفتاح» إلى واجهة القدس. وتسلم يغئال آلون قيادة لواءي هرئيل ويفتاح كجزء من القوة الشاهلة تحت قيادة هيكى ماركوس.وعين هولا كوهن قائدا للواء يفتاح وأنا عينت نائبا ليجآل الون كقائد للواءي البالماخ ورئيس اركان قيادة هيكى ماركس في وظيفته الشاهلة. وعين يوسف طبنكين بدلا منى قائدا للواء هرئيل الذي نقل قيادته إلى دير ابو غوش على الطريق القديم إلى القدس. ووضعت تحت قيادة هيكي ماركوس بالاضافة إلى لواءي البالماخ اللواء السابع ولواء القدس بقيادة دافيد شالتيل. وكانت المهمة الرئيسة لقوة ماركوس فتح الطريق إلى القدس. وبدأت العملية في ليلة الثامن من حزيران. وقد قامت الكتيبة الاولى من لواء يفتاح بعملية تضليل شمال جيب اللطرون. والكتيبة الخامسة من لواء هرئيل هاجمت من المنطقة الواقعة شمال باب الواد التي تسيطر على الطريق المؤدي إلى القدس. اما طرمق الكتيبة الثالثة فقد تشوشت- فبسبب خطأ في الملاحة وصلت إلى موقع لم تحتله قواتنا بدلا من ان تصل إلى الموقع الذي احقلته الكتيبة الخامسة والبدء من هناك بهجوم نحو الشرق، باتجاه المواقع الممقدة إلى اللطرون وقد فاجأت الضربة النارية التي انزلتها القوة الاردنية على الكتيبة بصورة حاسمة واضطرت إلى الانسحاب. ومقابل ذلك هاجم الجيش الاردنى الكتيبة الخامسة التي اضطرت في ساعات الفجر إلى

الانسحاب من موقع هايد. وهكذا فشل الهجوم عل اللطرون. وفي الوقت الذي بـدأنا نضـمد فيـه جراحنا تلقينا امـرا مـن بـن غوريـون لاحـتلال الـتلال الهوجـودة عليهـا مواقـع المـدافع في ليلـة ٩ حزيران باي ثمن. وقد اتفقت أنا وهيكي ماركوس ويغئال آلـون عـلى عـدم تنفيـذ الهجـوم في تلـك الليلة. بل يجب تأجيله ولو على الاقـل لمـدة ٢٤ سـاعة. وفـوق هـذا وذاك اعتقـدنا اننـا يجـب ان نتجاهل كليا منطقة اللطرون وان نتجاوزها وان نجد طريقا بديلا(سهي فـيما بعـد طريـق بورمـا) كامكانية لتجيد الاتصال مع القدس وعدم العودة إلى تحطيم القوات في محاولات احـتلال منطقـة اللطرون. وكلفني الون وماركوس بمهة اقناع بن غوريون بصحة موقفنا. وقد ذهبت من ابو غـوش إلى تل ابيب عن طريق بورما وهكذا استطعت ان ابني ادعائي على تجربة شخصية وعـلى تجـارب سابقة. وفي صبيحة العـاشر مـن حزيـران مثلـت امـام بـن غوريـون واقترحـت عليـه ان لا نهـاجم اللطرون الليلة وانما هم سيطرتنا على التلال جنوب اللطرون ونفتح الطريق الذي يتجـاوز منطقـة اللطرون إلى القدس وشرحت لبن غوريون الذي كان يسجل كل كلمة في دفتره الاسود لماذا فشـلت محاولات احتلال اللطرون واقترحـت الحـل البـديل وهـو: ان نحتـل في ليلـة العـاشر مـن حزيـران سلسلة التلال جنوب طريق اللطرون عند مجيئك إلى بيت سوسين، وبيت جيز ونـرابط بهـا ونركـز الجهد لفتح طريق بورما التي تستطيع ان تستخدم للحركة دون ازعاج. واصبح بن غوريـون يغـلي من الغضب وضايقني بالاسئلة االكثـيرة فقـال: يمكـن أو لايكـن شـن هجـوم هـذه الليلـة عـلى اللطرون؟ فقلت نعم ولكن احتمالات النجـاح تقـارب الصـفر. ومـرة أخـرى ازداد غضـبه. لمـاذا لم تقولوا لى امس في البرقية بأنه لا توجد نية لمهاجمة اللطـرون؟ فقلـت: لا اعلـم. وقـد كلفـت بان انقل اليك اقتراح ساطون والون. ان اللطـرون لـيس مكانـا مقدسـا. لمهاجمـة هـدف واحـد وهو ضمان الاتصال بالقدس. وإذا كـان بالامكـان تحقيـق هـذا الهـدف بطريـق أخـرى فلـماذا تهدر الدماء من اجل اللطرون؟ ولم يهدأ غضب بن غوريون فقال: لماذا لم يبلغنـي يغئـال الـون بان الهدف هو عدم مهاجمة اللطـرون؟ وقـد بلغـت حـدة غضـبه ذروتهـا عنـدما قـال: يجـب اطلاق النار على يغئال الـون. فـدب الـذعرفي نـفسي وقلـت لـبن غوريـون، مـاذا تقـول؟ ولكنـه لم يتراجع فقال يجب قتل يغئال الون. وقد ضايقني مدة سـاعتين واخـيرا قـال: لقـد وضـعتهوني

امام خيار. لا يوجد اماهي هناص سوى قبول اقتراحكم. أنا هوافق وهنا ادخل يدين وجليلي واجهلنا العملية بروح الاقتراح الذي اثرته امامه في غداة يوم ١١ حزيران في الساعة العاشرة صباحا بات من المؤكد ان يبدأ سريان مفعول اول هدنة في حرب فلسطين وكنا نشك إذا كان العرب سيحافظون على تنفيذها. فخرجت من القيادة العامة واتصلت بابي غوش وابلغت القيادة بنجاح مهمتي وتوجهت إلى القدس. وفي صباح ١١ حزيران دخلت فترة الهدنة الاولى مفعولها ولكن اهتماهنا كان مشدودا للكارثة التي حدثت ليلة ١٠-١١ من حزيران. فقد قتل هيكي ماركوس من قبل احد حراسنا. ففي تلك الليلة شعر هيكي بالام في معدته فخرج «لقضاء حاجته» بعيدا عن المعسكر. وعندما عاد طلب منه الخفير ان يذكر له «سر الليل» ويبدو ان هيكي ماركوس نسى هذا السر واجاب باللغة الانكليزية وفي تلك الايام كانت هذه اللغة دارجة في الجيش الاردني. وبما انه كان مخلصا للاوامر المشددة من قبل هيكي نفسه والراهية إلى اظهار الحيطة والحذر من هذه الليلة اطلق الخفير النار عليه دون امهال وكما ان المصير يصبح وحشيا في مثل هذه الساعة فقد اصابته الطلقة الاولى وقتل على الفور.

الفصل الثاني

الجيش الإسرائيلي ينتقل إلى الهجوم

جاءت الهدنة الاولى في وقتها. فقد كانت القوات منهكة القوى وكان من الضروري اعادة تنظيمها. وفي ظل الهدنة شققنا طريق بورما وفتحت الطريق إلى القدس.

في اجتماع قادة الالوية ورئاسة الاركان الذي عقده بن غوريون ادلى القادة بتقارير عن الويتهم وتحدثت بدوري عن الحرب التي خاضها لواء هرئيل بقيادتي وقلت: تكبد هذا اللواء أكثر من ٢٠٠ قتيل والمئات من الجرحى وفي نهاية شهرين من الحرب فقد هذا اللواء حوالى ٧٠% من قوته المحاربة. كما تحدث القادة الاخرون عن خسائرهم الفادحة. وكان هذا هو الثمن الغالي للاستقلال.

استغلينا الهدنة لاعادة التنظيم وتحسين الأسلحة والذخيرة والقدريب واكمال القوات. وربط لواء هرئيل في معسكر صرفند للحرب من جديد. لم يكن هناك خداع للنفس. فقد عرف الجميع بان الحرب لم تنته بعد. وكان الدرس الذي تعلمته من تجاربي هو انه من اجل الانتقال إلى عمليات هجوهية واسعة واخذ المبادرة من ايدي العدو والاحتفاظ بها في ايدينا. فمن الضروري حشد قوات عسكرية كبيرة وضمان السيطرة عليها بواسطة قيادات وسط تقع بين القيادة العامة والالوية. لقد تم التخفيف من ضائقتين خلال الهدنة الاولى التي بدأت في ١١ حزيران: ضائقة السلام وضائقة الطاقة البشرية. ومنذ نهاية ايار ومطلع حزيران ١٩٤٨ بدأت جهود مشتريات الأسلحة تؤتي اكلها. فقد تم شراء البنادق والرشاشات وطائرات مسر شهيدت من تشيكوسلوفاكيا. ولولا السلاح الذي تسلهناه من تشيكوسلوفاكيا، طبعا بامر من الاتحاد السوفياتي، لما استطعنا الصهود في حرب عام ١٩٤٨ عندما اغلقت جميع الدول الغربية مخازنها بوجهنا. وعندما تلقينا البنادق والرشاشات ومدافع الهاون والطائرات اصبح بمقدور الجيش الإسرائيلي ان يمد في هذه المعركة العنيفة. واستطاع بعض اليهود ان يشتروا من الولايات المتحدة قاذفات معدودة من طرازB.17 وتهريبها إلى إسرائيل. اما الدبابات القليلة التي تم الحصول عليها فلم تكن كافية ولكنها اوجدت قدرا من الثقة.

ومقابل ذلك تحسنت عملية التجنيد وامتلأت الصفوف. وتركت الهدنة وقتا كافيا لاستيعاب المهاجرين من قبرص من خلال دمجهم في وحدات مكونة من اشخاص أكثر خبرة منهم. ولا نقيم اطارات مفصلة للمهاجرين الجدد من قبرص والذين تنقصهم الكفاءات والتجارب، كما اضطررنا ان نفعل خلال الحرب. كما وصلت إلى إسرائيل اعداد من المتطوعين اليهود من الولايات المتحدة ودول أخرى في العالم الغربي. وتم تحويل الكثير منهم للخدمة في سلاح الجو واشتركوا ايضا في الحرب التي خاضتها قوات المشاة. خلال فترة الهدنة خططت القيادة العامة عملية اطلق عليها اسم «لر-لر» اي اللد- الرملة، اللطرون رام الله. وكانت العملية الاولى بعد نهاية الهدنة التي اوكلت إلى مجموعة من القوات تحت قيادة

واحدة تهدف إلى احتلال هذه المدن الاربع وحماية منطقة القدس ولكن الازمة في قيادة الجيش الإسرائيلي ووزارة الدفاع خلقت وضعا غريبا: لم يكن لدى القيادة العامة عنوان لارسال امر العملية اليه. فبعد مقتل هيكى ماركوس انحل الاطار الذي كان يجمع لواءي هرئيل ويفتاح في قيادة واحدة. ولهذا كان من المحتم تشكيل القوة واعدادها لتنفيذ عملية لر-لر عن طريق اتصالات ومفاوضات غير رسهية. وقد خصصت لتنفيذ هذه العملية الوية هرئيل ويفتاح التابعين للبالماخ واللواء الثامن بقيادة اسحاق ساديه ولواء كرياتي ولواء تل ابيب الذي احتفظ بالخط الدفاعي عن تل ابيب وعدة كتائب من لواء اسكترونى. وبما انني ضابط العمليات في البالماخ فقد قمت بالاعداد للعملية تحت قيادة يغئال الون. ووافقت القيادة العامة على الخطة ووزعنا المهام على الالوية ولم نعرف بعد من سيقود العملية. وقبل العملية بيوم واحد عين يغئال الون قائدا للعملية. واتفق على ان الهدنة الاولى سوف تستمر شهرا ولهذا كان يوم ١١ تهوز هوعدها النهائى. ان عملية احتلال اللد والرملة واللطرون ورام اللـه التي سهيت عملية «داني» على اسم دانى ماس قائد في البالماخ الذي قاد فئة مكونة من ٣٥ عنصرا لمساعدة غوش عصيون المحاصرة وقتل جميع افراد الفئة اثناء قتال شديد خاضوه ضد المحاربين العرب، قلنا ان هذه العملية بدأت في ٩ تهوز قبل نهاية الهدنة بيوهين، ولاننا كنا متاكدين من ان الحرب ستجدد خلال اليومين القادهين بمبادرة من العرب لم يكن هناك سبب لترك المبادرة في ايديهم. واعتقد بان التسلح بأسلحة جديدة وفرت لدينا الثقة بالنفس واثرت على توقيت العملية.

فاستخدهنا عنصر المفاجأة، قام لواء يفتاح وهاجم من جهة - ابو غوش لعنل منطقة اللد والرملة من الشرق والاتمال مع بن تسهين التي كانت محاصرة فترة طويلة من النمن. اما لواء اسحاق ساديه المدرع الذي عنز بكتيبه من لواء اسكتروني فقد هاجم من جهة تل لطفنيسكي (تل هاشومير حاليا) نو يهودية - فيلهلما - مطار اللد. على طول الطريق إلى بيت نبالا. لقد كانت تلك بمثابة حركة مقص قام بها لواءان: لواء يفتاح من الجنوب واللواء الثامن المعنز من

الشمال. وكانت نقطة التقائهما المخططة في بن تسهين. وقد نفذ لواء يفتاح مهمته بسهولة نسبيا. فقد سيطر على كل المنطقة واغلق الطريق على منطقتي اللد والرملة. اما اللوا. الثامن فقد واجه مقاومة اشد وقامت كتيبة دبابات باحتلال المطار. ولم يواجه لواء اسكندروني صعوبة في احتلال يهودية وفيلهلما ولكن احتلال دير طريف وبيت نبالا انطوى على قتال عنيف وقد انتقلت القريتان من يد إلى يد خلال ٢٤ ساعة أو ثمان واربعين ساعة. وقد تشوشت القائمة النمنية ولم تستطع القوات مهاجمة اللد والرملة في العاشر من تهوز حسب الخطة. صحيح ان سريتين من لواء يفتاح بدأتا بالهجوم على اللد من الجهة الجنوبية الشرقية ولكنهما لم تنجحا في دخولها. وقد اتصل قائد لواء يفتاح مع قيادة العملية في كفار يازور على طريق يافا القدس واعلن ان قائد الكتيبة- موشة ديان من اللواء الثامن يقترح القيام باغارة على اللد والرملة من الداخل. وقررت أنا وقائد العملية يغئال الون الخروج إلى قيادة لواء يفتاح في النبي دانيال شرقي اللد. ذهبنا في سيارة الون. وعندما كنا في طريقنا هناك دخلنا في حقل الغام ضد الدبابات كانت قواتنا قد زرعته ولم نشاهد الحقل الا في اللحظة الاخيرة ولكن السيارة صعدت على احد الالغام الذي انفجر وحطم السيارة ورمانا فارجها. وقد اصبت بكسور في قدهي اليسرى ولكن الون نجا من الحادث. وعند سماع الانفجار وصلت الينا وحدة هندسة وانقذتنا من الحقل وفي سيارة جيب وصلنا مع المساء إلى النبي دنيال وهنا اتضح لنا بان كتيبة الاغارة في اللواء الثامن قد اغارت على الرملة واللد وحاولت الاحتفاظ باللد وكانت خسائرنا جسيمة. ولم تستطع هذه الكيبة الاحتفاظ باللد وعادت إلى بن تسهين واستغل لواء يفتاح الصدمة وبقتال خاطف احقلت اللد في يوهي ١١ و ١٢ من تهوز. وفي غداة اليوم التالي اكتسبت الكتيبة الاولى من لواء يفتاح اول تجربة لها في حرب احتلال فلسطين. وهي تجربة السيطرة على السكان العرب الذين يبلغ عددهم حوالى ٣٠,٠٠٠ هواطن عربي. ومن المحتهل ان معنويات سكان اللد قد ارتفعت ففي غداة اليوم التالي اي في ١٢ تهوز قامت اربع مجنزرات اردنية بالتجول في شوارع اللد وهي تطلق نيران المدفعية

والرشاشات في جميع الاتجاهات وزاد عرب اللد من مقاومتهم وعلى اهل ان منقذيهم قد اصبحوا قريبين منهم. ولكن لم تكن لدى الجيش الاردني قوات أخرى لاستغلال الصدمة التي احدثتها اغارة مرعاتهم. وحتى الرملة استسلمت يوم ١٢ تموز ومقابل ذلك وسعنا العملية في ذلك اليوم شمالا لخلق عمق سيطرة لمنطقة بتاح تكفا. كما قام لواء اسكندروني باحتلال رأس العين ومجدل جعبة في قتال شديد.

القسم الثاني من عملية داني كان يقصد به هواصلة العملية على محورين: احتلال اللطرون والتقدم من جهة اللد والرملة شرقا حتى طلعة الطريق إلى بيت عور وقد تم صد هجمات الجيش الاردني والعراقي وبدأ لواء يفتاح يتحرك شرقا وقد احتل لواء هرئيل «صوفة» لحراسة ممر القدس بالقرب من القسطل. كما ان عرطوف وصرعه سقطتا في ايدينا. وفي ليلة ١٥ بدأ هجوم هرئيل على الرادار وكانت تلك التلة محتلة من قبل كتيبة كاهلة من الجيش الاردني. وقد وقعت معركة ضارية ولم تنجح الكتيبة السادسة في هجومها. وبدأ الجيش الاردني بهجوم معاكس واسع النطاق على نقطتي بير ماعين والبرج وواجهت قوات يفتاح معارك شديدة جدا لكنها استطاعت صد الهجوم الاردني وبعد فشل الهجوم على اللطرون وسع الممر جنوب الطريق حتى عرطوف التي احقلت قبل ذلك وشرقي الطريق حتى سكة الحديد إلى القدس.

بات من المؤكد ان تبدأ الهدنة الثانية في ١٨ تموز وفي ١٧ تموز قررنا القيام بهجوم آخر على اللطرون الغربية من اللطرون ولم تستطع التقدم. وقد احتفظنا بمحطة الضخ ولكن بقية القوات انسحبت. وفي تلك الليلة سيطرنا على نقطة مراقبة «شيلتا» في شمال الواجهة ولكن الجيش الاردني شن هجوما معاكسا وتمكن من صد قوات لواء يفتاح التي تكبدت خسائر فادحة جدا واعلن عن ٤٤ جنديا منها كمفقودين. وقد قمنا باحتلال نقطة مراقبة بيت نوبا شرقي جبال اللطرون.

لقد استمرت الحرب عشرة ايام بين انتهاء الهدنة الاولى وبداية الهدنة الثانية ومسيت هذه الحرب «بحرب الايام العشرة». وفي الواقع ان الهجوم المصري تم صده ولكن النقب ظل معنولا. وفي واجهتين انتقل الجيش الإسرائيلي إلى الهجوم في عملية داني حيث ضهنا الطريق إلى القدس وفي الشمال تم احتلال منطقة الناصرة وتحسن موقفنا في منطقة الجليل الاوسط.

استغلينا الهدنة الثانية التي لم يتقدرر هوعد لنهايتها ايضا، للراحة واعادة التنظيم والاستعداد ولم يضمن تزويد الاسلحة للجيوش العربية بشكل منظم ولم تطرأ زيادة كبيرة على تسليحهم. ومقابل ذلك فقد زادت قوة الجيش الإسرائيلي وتحسن هيزان القوى لصالحه. وفي نطاق اعادة التنظيم الجديد تقدرر اقامة جبهات وهي جبهة: الجنوب، والقدس، والساحل والشمال، وعين يغئال الون قائدا للجبهة الجنوبية المقابلة للجيش المصري. وانتقلت مصر جنوبا، قيادة قوات البالماخ كما انني ذهبت معه.

وقد اجتزت أنا شخصيا اعادة تنظيم شخصية. ففي ٢٣ آب بعد ان انتقلنا إلى قيادة الجبهة الجنوبية بثلاثة ايام، وكانت هذه القيادة في الجديرة، قررت أنا و «لينة شلوسبرغ» ان نكلل صداقتنا الطويلة بالنواج. وقد اقهنا في منزل والدي ليئة إلى ان انتقلنا إلى منزلنا في تسهالا عام ١٩٥٢.

وفي الجبهة الجنوبية درسنا الوضع والمنطقة ونظهنا القوات استعدادا لتجدد الحرب بمبادرة هنا. وفي نهاية آب ١٩٤٨ لم نشاهد من جانب الجيوش العربية هيلا لاستئناف الحرب. واعتقدنا بان المصريين غير معنيين بتجديدها وانهم قد اكتفوا بما حققوه من مكاسب اذ كان النقب معنولا وكانت قواتهم منتشرة على طول طريق الساحل بين رفح وغزة واسدود وعسقلان ويبنا التي كانوا يحتفظون فيها بقوات صغيرة وغير نظاهية. وعلى طول الطريق من عسقلان وحتى بيت جبرين نصبوا قوات حاجزة فصلت النقب عن بقية اجزاء فلسطين. اما منطقة بيت جبرين وجبل الخليل فكانتا تحت سيطرة السكان المحليين مثل قوات الاخوان المسلهين التي قدعمها مصر. اما على طريق الخليل - الظاهرية - بئر السبع - عوجا الحفير

فكان هناك وجود مصري وكانت كل المنطقة الواقعة شرقي وجنوب طريق نيتسانا - بئر السبع - الظاهرية تحت السيطرة التامة للعرب. وقد قمنا باخلاء «لواء النقب» بعد فترة من الحرب الطويلة وفي ظروف حصار وعنلة عن بقية انحاء البلاد، من المنطقة لاعادة التنظيم واخذ قدر من الراحة. ومن اجل تخليص المستوطنات من الشعور بالحصار والعنلة فقد قمنا بعملية «اباك» اي (غبارا): فقد قامت طائرات النقل التابعة لسلاح الجو بالتعليق ليلا وبواسطتها تمكنا من تغيير الالوية فقد حل لواء يفتاح محل لواء النقب ونقلنا امدادات كبيرة من الارزاق والذخائر إلى المستوطنات.

وبصفتي ضابطا للعمليات. تعمقت في دراسة عبر الحرب ومحاولات رفع الحصار الذي كان مفروضا على النقب. لقد كانت حرب الجنود قاسية ولكن النظرية العملية محدودة في اهدافها. وركزت فقط على احتلال اهداف محدودة تمكن من اختراق الطريق.

ولكن هذه النظرية فشلت. وفي الوقت الذي كنا فيه نضع الخطة لتحرير النقب من الحصار ثارت ثورتنا بسبب تطور آخر: فقد قرر بن غوريون حل قيادة البالماخ وكان لهذا القرار تأثير عهيق كدر خواطرنا. وفي ١٤ ايلول في الوقت الذي كانت فيه الهدنة الثانية مستمرة دعى العشرات من قادة البالماخ للاجتماع ببن غوريون في ناعن. وقد افاض بن غوريون في امقداح البالماخ والدور الكبير الذي شغله والقيم الانسانية التر تهيز بها والتي يجب تطبيقها في جميع وحدات الجيش الإسرائيلى، ولكن... «قوله لكن هنا احرق القلوب»، لا يوجد مكان خاص لقيادة البالماخ. فقد شكل جيش هوحد لإسرائيل وعلى البالماخ ان يكون جزءا لا يتجزأ منه وعلى الويته الثلاثة ان تندمج باطار عام - الإسرائيلي وتوضع تحت المسؤولية المباشرة لقادة الواجهات ورئاسة الاركان العامة من خلال المحافظة على تكاهلها وفعلا تم حل قيادة الوية البالماخ. وبعد ذلك تفرغت إلى وضع خطة عهل، لضرب الجيش المصري الذي كان آنذاك اقل الجيوش العربية تعرضا للضرب وامم الجيوش العربية. نتيجة رئيسة: من اجل تغيير المعركة الاستراتيجية الإسرائيلية - المصرية بصورة اساسية يجب

استخدام خطة عملية، هدفها تحويل الجيش المصري من هيئة نهلي عليها ظروف الحرب إلى هيئة نهلي عليها ظروف الحرب. وفيما يلى بنود الخطة التي تمت بلورتها: في الليلة الاولى تسيطر كتيبة من لواء جفعاتي على التلال المطلة على قسم من الطريق يمقد بين الفالوجة وعراق المنشية وبيت جبرين في منطقة خربة الراعي وبذلك تفصل بيت جبرين من منطقة الفالوجة وعسقلان. وتنفذ عملية قطع طريق أخرى بين غزة وعسقلان بالقرب من بيت حانون، وتقوم بها كتيبة من لواء يفتاح تسيطر على تلال رهلية غربي طريق عسقلان - غزة وتعنل معطم القوات المصرية من قواعدها في غزة. اما الكتيبة التاسعة من لواء النقب فتغير على محور سكة الحديد والواصلات بين رفح وغزة. وفي الليلة الثانية تهاجم الكتيبة ٥١ من لواء جفعاتي مواقع المثلث بالقرب من عراق سويدان على الطريق الرئيسة من جنوب النقب والكتيبة ٥٢ تكون مستعدة لهجوم ليل وثالث على المنطقة الواقعة بين عسقلان واشدود لعنل الاخيرة. لقد قصد بالعملية المشتركة في المرحلة الاولى تقسيم الجيش المصري إلى ثلاثة قطاعات منحنلة عن بعضها البعض. وفي المرحلة الثانية قصدنا مهاجمة كل قطاع هلى انفراد وقدهير الجيش المصري وبعد ذلك ننتقل إلى احتلال بئر السبع.

بعد وضع هذه الخطة بكاهل تفاصيلها والمصادقة عليها من قبل رئاسة الاركان العامة تقدرر ان تكون مبادرة استئناف الحرب في الجبهة الجنوبية بايدينا. وكانت هناك ضرورة لايجاد حجة لفتح الحرب لكي لا نكون نحن المسؤولين عن خرق الهدنة. فقد جاء في اتفاقية الهدنة الثانية من قبل عناصر الامم المتحدة في الشرق الاوسط انه سيسمح بعبور القوافل إلى النقب. ولكن المصريين لم يحافطوا على هذا الاتفاق ولم تتحرك قوافل إلى النقب المحاصر. لهذا فقد قررنا ارسال قافلة امداد إلى الغرب من الفالوجة لكي يطلق المصريون النار عليها وهكذا نتوصل إلى حجة تجيد الحرب. ولكننا خشينا من ان يسمح المصريون بعبور القافلة ولن تكون هناك الحجة المطلوبة... وقد اصرت التوجيهات إلى قائد القافلة «شلوهو لاهط» رئيس بلدية تل ابيب الحالى بان يهتم بتوفير هذه الحجة باي ثمن. ونسقنا مع سلاح الجو ان تقوم طائراته

بقصف العريش وغزة وتمنع الطائرات المصرية من عرقلة عهليتنا. وكان ضابط الارتباط بين سلاح الجو وجبهة النقب «لولارط» من المتطوعين الاجانب. ونسقنا مع سلاح البحرية لمنع وصول تعزيزات مصرية من جهة البحر إلى منطقة غزة، خلال الحرب اغرقت السفينة المصرية «فاروق» من قبل القطعة البحرية ١٣ التي يقودها «يوحاي بن نون».

كانت القوات جاهزة ومستعدة للعهل، ولكن قبل ساعة الصفر ببضعة ايام اقترح اسحاق ساديه على يغنال الون ان يغير الخطة: بعد عملية الليلة الاولى ومع الفجر يهاجم اللواء الثامن مع كتيبة دبابات الهاون والكتيبة السابعة التي يقودما عوزي نركيس عراق المنشية هجوما مباشرا.

نحن ضباط القيادة، عارضنا تغيير الخطة بشدة. وقد اعتبرنا ذلك تشويشا على النظرية العامة التي وضعت في اساس العملية. وكان يغئال في وضع متردد: فقد كان اسحق ساديه قائدا له لسنوات طويلة والان وبعد ان استبدلت الاطارات واصبح يغئال قائدا لساديه اصبح يعيش في حيرة نفسية: وقد احتفظ يغئال بالفكرة الرئيسة التي تنطوي عليها خطة العملية ولم يقتنع من البررات «التى طرحت» ولكن خلال الحوار الشديد بين اسحق ساديه وبيني حسم يغئال الموقف ضدي، ولصالح اسحاق ساديه وهكذا غيرت الخطة.

بدأت الحرب عشية ١٥ تشرين اول. فالمصريون لم يفتحوا النار على القافلة التي يقودها «لاهط». وقد توترت اعصابنا: وكانت حجة الحرب مرتبطة بهذا المنع. واخيرا حدث ما حدث ولا توجد هنا ضرورة للخوض في التفاصيل - رماية من هنا ورماية من هناك، وتوفرت الحجة. وقام سلاحنا الجوي بالقصف وفي الليلة الاولى نفذت الخطة كما هو مخطط لها: فالكتيبة الاولى من لواء يفتاح دقت اسفينا بين غزة وعسقلان في منطقة بيت حانون وتمركزت هناك. والكتيبة الثالثة والخمسون من لواء جفعاتى رابطت في منطقة خربة الراعى ودقت الاسفين بين الفالوجة وعراق المنشية وبين بيت جبرين وفي غداة اليوم التالي بدأ مجرم

اللواء الامن على عراق المنشية. ومن موقع القيادة، في موقع يقع بالقرب من كيبـوتس جـت والى جانـب عـوزي نـركيس واسـحاق سـاديه كنـت اتتبـع القتـال ونتيجـة لتجـاربي لم افهـم الهجمات النهارية فقد كانت غريبة على. ففي النهار كان التفوق يعود لكثافـة النـار القويـة وكان المصريون هم الذين يتمتعون بهذا التفوق وكانوا جيدين في الدفاع. ولم يتحسـن مصـير هذا الهجوم فدبابتا الكروهوفال الاسرانيليتان اقتسمتا الواجب: فاحداهما تحركت ولم تطلق النار والثانية اطلقت النار ولم تتحرك. وفي النهايـة اسـتطاعت الدبابـة الاولى ان تجـر الثانيـة وتتقدم تحت غطائها، ومن الفالوجة اطلقت نيران كثيفة. واصبح واضـحا باننـا لـن نسـتطيع احتلال عراق المنشـية والفالوجـة والسـؤال كـان كيـف نسـتطيع انقـاذ القـوة المهاجمـة مـع معداتها. وقد تعرض جنود الكتيبة السابعة الذين تقدهوا فـوق الـدبابات إلى رمايـة كثيفـة. وكانـت الخسـائر فادحـة بـين قواتنـا. وتركنـا في المكـان اربـع دبابـات مـن نـوع هوشـكيس وانسحبنا. في صباح يوم ١٦ تشرين اول بعد ليلة القتـال الاولى واجهنـا وضـعا النهنـا باعـادة النظر في الخطة وصلاءمتها للواقع الذي طرأ عقب فشل هجوم اللـواء الثـامن وهـذه القـوة شهلت كتيبة الدبابات (دبـابتين مـن نـوع كروهوفـال وحـوالى ١٢ دبابـة هوشـكيس وسريـة مدرمات) والكتيبة السابعة من لواء النقب وقصد بهـا ان تكـون القبضـة المتحركـة والمدرعـة التي كان عليها ان تستغل نجاح فصـل وعنـل الجـيش المصري واصـبح الآن واضـحا ان هـذه القوة قد شلت عن العمل لعدة ايام.

قررنا التركيز على فتح الطريق إلى النقب. وخرجت الكتيبة ٥١ إلى الهجـوم في ليلـة ١٦-١٧ تشريـن اول عـلى منطقـة المثلـث طبقـا للخطـة الاصـلية. وفي حـرب صـعبة وعجيبـة احقلـت هـذه الكتيبـة مجهومـة الواقـع المحصـنة والمنظمـة تنطـيما جيـدا. وفي ١٧ مـن الشـهر نفسـه تقدرر هواصلة الجهد لفـتح الطريـق وان تقـوم الكتيبـة ٥٤ مـن لـواء جفعـاتي بقيـادة تسـفي صور باحتلال مواقع بيت تيما وكوكبـه. والكتيبـة الاولى مـن لـواء يفتـاح التـي يقودهـا اسـاف سمحوني تحتل مواقع حليقات. ومقابل ذلك تم تغيـير هـدف الكتيبـة ٥٢ مـن دق اسـفين بـين عسقلان واسود إلى احتلال عراق المنشية في ليلـة ١٨-١٩ تشريـن اول. وقامـت الكتيبـة الرابعـة

والخمسين باحتلال هدفها ولكن الكتيبة الاولى فشلت في مهمتها. فالطريق إلى النقب لم تفتح اذ ان مواقع حليقات مازالت تقف عائقا بوجه فتحها. وفي الاثناء قررت رئاسة الاركان دنع اللواء التاسع «عودد» الذي يقوده اسحاق فونداك إلى هذه الجبهة. وذلك بهدف احتلال المواقع بين الفالوجة ومعيبة لفتح طريق إلى النقب بين عراق سويدان والفالوجة. ولكن اللواء وصل متأخرا وشن هجومه لكنه فشل. وقد استمر الضغط بدون توف عل الكتيبة الثالثة من لواء يفتاح في منطقة بيت حانون. وقد مكنتنا هذه العملية من فصل معظم الجيش المصري عن قواعد امداده في غزة. وقد نقل المصريون مدافع ثقيلة وانزلوا قذاف وزنها ٤٥ كغم على مواقع الكتيبة ولم تصمد التحصينات في هذه المنطقة الرهلية وقد واجهت جنود الكتيبة الثالثة معركة ضارية مستمرة وتكبدوا خسائر فادحة وصدوا الهجمات المصرية.

وفي ١٩ من الشهر نفسه واجه يغئال الون قرارا حاسما: جميع الجهود الراهية إلى فتح الطريق إلى النقب باءت بالفشل وكانت القوة الوحيدة الصالحة للقتال هي الكتيبة ٥٢ التابعة للواء جفعاتى وهذه الكتيبة خصصت منذ البداية لان تحتل بقتال ليلي عراق المنشية. وبدأت تصل انباء عن ترب التوصل إلى وقف اطلاق نار خلال يوم أو يومين. وقد اثبت يغئال الون شخصيته القوية في ذلك اليوم. فقد حافظ على تفاؤله وثقته بنفسه وركز على ايجاد الهدف في الظروف التي طرأت وهو دق الاسفين وفتح الطريق إلى النقب في منطتة مواقع المثلث. وكان قراره هذا اصعب واشد قرار في معركة عملية «يوآب» هكذا سهيت العملية وفتح الطريق إلى النقب.

عدنا إلى القيادة ووجدنا ضابط العمليات في رئاسة الاركان العامة يغائيل يدين الذي حهل على كاهله اعباء ادارة العرب من نقاط المراقبة لرئاسة الاركان في جميع مراحل حرب الاستقلال. وبصفته رئيسا لشعبة العمليات كان يعتبر الشخصية البارزة في رئاسة الاركان العامة وقاد حرب الاستقلال. وقد استمع يدين إلى تقدرير من الون ومني. وقال انه يجب التمسك بالخطة الرئيسة وعدم تغييرها: اي ان تقوم قوة من يفتاح وجفعاتى بشق الطريق إلى

النقب واما الكتيبة ٥٢ لاحتلال مواقع حليقات. ووتعت هناك معركة ضارية وصعبة. وحارب جنود الكتيبة ٥٢ بكل شجاعة واحتلوا جميع المواقع وفتحت الطريق إلى النقب. وهنا اتضح صدق قرار الون. وقد صمد الاسفين الذي دق في منطقة بيت حانون. واصبح الجيش المصري في منطقة عسقلان- اسدود منحنلا عن قطاع غزة. وحوصرت قوات مصرية في جيب الفالوجة تسيطر على مركز شرطة عراق سويدان. وتقدرر تركيز جهد لواء النقب الذي عادت اليه الكتيبة السابعة والكتيبة المدرعة التابعة للواء الثامن، على احتلال بئر السبع. وانضمت إلى مسيرة هذا اللواء. وفي ٢١ من الشهر نفسه احقلت القوات بئر السبع. ودخلت الشرطة بئر السبع بعد احتلالها بساعتين واتصلت مع قائد الجبهة يغئال الون. وقال يغئال: اننا نستمع للمصريين بواسطة اجهزة اللاسلكي. ان قائد اللواء المصري يصف كيف يحارب ويحتفظ ببئر السبع. فماذا حدث؟ فاجبت: انني لا اسمع ولا طلقة صياد واحدة في كل منطقة بئر السبع. وصعدت إلى برج وشاهدت جميع المدينة. فلم يكن هناك اي قتال ولكن يغئال مازال يصر على انه يسمع القائد الصري يواصل ابلاغ قائده بأنه يقوم بصد الهجمات...

واتصلت بقائد الهجوم على بعد بضع كيلومترات جنوب بئر السبع وسألته: هل تتعرض للرماية؟ فاجاب: لا رماية ولا مصري قط. وتم ارسال سيارات جيب إلى الامام لسافة حوالى ٧ كم أخرى ولم يعثر حتى هناك على اثر للمصريين أو لاي قتال. وتقدرر وقف اطلاق النار. وقبل ان يصبح اطلاق النار هذا ساري المغعول احقلت الكتيبة ٨٩ التي نقلت الينا، بيت جبرين وضواحيها، وعندما اصبح وقف اطلاق النار ساري المفعول وجد الجيش المصري نفسه في حالة خطيرة: فقوة منه تقدر بلواءين اصبحت معنولة عن الجيش المصري والامداد في المنطقة الواقعة شمال اسفين بيت حانون وحتى يبنا. وهناك لواء آخر معنز مسجون في كيس الفالوجة معنول عن بيت جبرين واللواء الثاني في اسدود وعسقلان واضطر الجيش الصري إلى اتخاذ قرارات حاسمة. وقد قرر قادته اخلاء جميع القوات إلى الشمال من اسفين بيت حانون وترك جميع منطقة اسدود عسقلان بدون قتال. وبغطاء من الامم المتحدة وفي

نطاق وقف اطلاق النار نصب المصريون الشبك على الرمال على طول شاطئ البحر واخلوا جميع قواتهم إلى منطقة غزة. ولم يكن الجيش الصري قادرا على فعل ذلك في حالة الحرب. وتلقينا اوامر مشددة بعدم استئناف الحرب. وقد شاهدنا المدافع المصرية واللواء المصري بكاهل معداته وامداداته يتحرك نحو ساحل البحر.

على الرغم من الخطأ الكبير الذي ارتكبناه في محاولة احتلال عراق المنشية في ١٦ تشرين اول، حققت عملية يوآب اهدافها الرئيسة التالية: فتح الطريق إلى النقب. الحاق الهزيمة بالجيش المصري. وفقدانه المبادرة حتى نهاية الحرب وكل المنطقة بما في ذلك «يد مردخاي» إلى الشمال من اسفين بيت حانون سقطت في ايدينا بدون قتال نتيجة لانسحاب القوات المصرية. وكان هذا هو التغيير الحاسم في الحرب مثلما قصد بهذه العملية تحقيقه. وبعد ذلك قهنا باحتلال مركز شرطة عراق سويدان في وضح النهار وبعد ان دخل وقف اطلاق النار مفعوله.

وبعد ذلك قررنا القيام بعملية «لوط» وكانت هذه العملية عملية ادارية لم تكتنفها ظروف حقيقية فبعد نهاية عملية يوآب بشهر واحد خرجت قواتنا على محور بئر السبع-ديهونا واتصلت مع حتسيبا ووصلت إلى سدوم. وكانت هذه العملية البسيطة خلقت اتصالا بين سدوم وبئر السبع واعطتنا السيطرة على محور الحركة الرئيس من بئر السبع وحتى عربة. وبقي هناك ما هو بمثابة جيب مصري في منطقة غربي اوريم.

وهذا الجيب احتللناه في عملية «اساف» في ايام ٥ و ٦ و ٧ كانون اول ١٩٤٨ وعدلنا خط الجبهة الذي فصل بين إسرائيل وقطاع غزة حتى حرب الايام الستة في حزيران ١٩٦٧. لقد تسببت عملية يوآب في الواقع في تحطيم الوحدة العربية. فهذه هي المعركة الاولى في نطاق حرب الاستقلال التي حاربت فيها مصر وحدها ولم يهب لمساعدتها اي جيش عربي آخر.

ومقابل عملية يوآب نفذت عملية «حيرم» التي ادت إلى «تحرير» كاهل للجليل. ولم يحارب الجيشان الاردني والسوري. ومع نهاية عملية يوآب تحولت حرب الاستقلال في

الواقع إلى حرب إسرائيلية - مصرية. في ٢٢ كانون اول ١٩٤٨ بدأنا بعملية «حوريب» في الجبهـة الجنوبية بهدف قـدهير الجـيش المصري قـدهيرا كليـا وتطهـير جميـع فلسـطين الانقدابيـة مـن وجوده. وكان المصريون ما زالوا يحتفظـون بجيـب نيتسـانا - بـير عسـلوج وكـذلك قطـاع غـزة. وقررنا ان نترك قطاع غزة في المرحلة الاولى ونركز الجهد في المنطقـة الجنوبيـة. وخطـة العمليـة التي اشتركت فيها الوية جولاني وهرئيل والنقب واسكندروني كانت تنص على احتلال موقـع ٨٦ الواقع في التلال المطلـة عـلى كفـاردروم. وكـان هـذا الموقـع يسـيطر عـلى طريـق رفـح - غـزة. وان نطور بعد ذلك الجهد الرئيس بقوة من لـواءين للوصـول إلى نيتسـانا. وقـد عرقلـت بدايـة العملية نزول امطار غزيرة لم نشاهد مثيلا لها. فتبللت الذخيرة وقامـت كتيبـة ١٣ مـن جـولاني باحتلال موقع ٨٦ ولكن المصريين قاموا بهجوم معاكس خطير ونجحوا بعـد قتـال ضـار في صـد الكتيبة ١٣ ودحرها. واتضح فيما بعد ان القائد المصري الذي قـاد هـذا الهجـوم هـو «نجيـب» وقد اصيب بجروح خطيرة في صره وتركه جنـوده، وبعـد هجـوم آخـر، احتـل فيـه المصريـون الموقع اخذ إلى المستشفي وعولج. وقد اعطى هذا القتال نجيب شهرة واسـعة اسـتغلها عبـد الناصر وزهلاؤه الضباط الاحرار للقيام بالثورة في مصر عام ١٩٥٢. وقـد وضـعوا نجيـب عـلى رأس الانقلاب ولو انه كان محروما مـن الصـلاحيات. ان الامطـار الغزيـرة قـد عرقلـت حشـد القوات وجمع الامدادات في منطقة خلوصة وافطررنا إلى تأجيل العملية من ليلـة ٢٣ كـانون الاول إلى ليلة ٢٥ منه. وقـد بـرزت صـعوبة أخـرى عنـدما اعلـن ضـباط الهندسـة انهـم لـن يستطيعوا اعداد الطريق الذي سيسير عليه اللواء الثامن. فخرجت مع بعض ضباط الهندسـة لفحص الطريق في جولة ليلية. فتجولنا وضللنا الطريق وكانـت بالفعـل طريقـا صـعبة جـدا. وكلما اتجهنا جنوبا اصبحت التلال الرهلية أكثر صعوبة وعدنا مع الفجر. وقلت ليغئال الون. الطريق صعبة ولكن يمكن فتحها... وبدأ سلاح الهندسة العمل. بعد قتال شـديد احتـل لـواء النقب مواقع التهيله. وقوة أخرى من لـواء النقـب ارسـلت مـن منطقـة بـئر السـبع للقسـم الشرقي في عملية تطويق عهيقة للتسلل عبر طريق المدينـة البيزنطيـة شـيبطة والوصـول إلى

منطقة مواقع المشرفة. وقد تجاوزت هذه المنطقة جميع القوات المصرية في بير عسلوج واحقلت مواقع لها على الطريق أو بالقرب منه في المنطقة الواقعة بين مواقع المشرفة ومواقع التهيلة وبئر عسلوج. وفي ظروف باردة جدا وبجهد جبار تحرك اللواء الثامن على طريق صعب إلى وادي عبيد. وفي مناطق معينة من الطريق اضطر الجنود إلى بسط معاطفهم على التلال الرهلية لتمر السيارات فوقها. وخرجت الكتيبة ٨٩ للهجوم على عوجا الحفير نفسها. وقامت كتيبة دبابات بعملية تطويق عهيقة واحقلت مواقع جنوب غربي عوجا الحفير. وقد فشل الهجوم الذي قامت به كتيبة الاغارة التابعة للواء الثامن بقيادة «دوف» الذي قتل في هذا الهجوم. وعادت الكتيبة منكسرة إلى بداية الوادي. وخرجت أنا ويغئال للاجتماع بقيادة اللواء الثامن في وادي عبيد للتشاور. وكان وضع الكتيبة ٨٩ صعبا جدا. وتجولنا في الوحدات. وكان الجو بائسا. وحاول قائد الكتيبة ٨٢ رفع المعنويات وقال سنهجم ثانية وسنحتل عوجا الحفير. وئ غداة اليوم التالي اي في ٢٧ كانون اول تم احتلال عوجا الحفير وتورط المصريون في وضع حرج وهربوا تاركين وراءهم معدات غالية و ٦ مدرعات. وسيطرنا على الطريق من بئر السبع إلى الاسماعلية - نحو قناة السويس - طريق بير رحمة. ضمهنا كتيبة الدبابات بقيادة شاؤول يافه إلى لواء النقب. وقررنا الهجوم على الاراضي المصرية لاحتلال ابو عجيلة ومحاولة الوصول إلى العريش. وبما انه يوجد بذلك خروج على الخطة الاصلية ذهبت للاجتماع بيغائيل يدين في تل ابيب للحصول على هوافقة.

واستمع يين إلى الطلب الجيد ووافق. ولم افصل الخطة بكاهلها. واكتفيت بالقول باننا نريد الاغارة على «ابو عجيلة». وقد تحركت قوتنا في ٢٧ من الشهر قبل المساء. وقام الجنود الذنين تركوا وراءهم عاما كاملا من القتال باطلاق الابتسامات نحو اللافتة المكتوبة باللغة الانكليزية «العود بين فلسطين ومصر». انه شعور بنصر كبير. فلأول مرة في تاريخ العرب الإسرائيلية الجيدة تنقل فيها المعارك إلى ارض دولة عربية.

اصطدم رأس هذه القوات في موقع مصري على بعد حوالى ١٢ كلم قبل ابو عجيلة. وهذا الموقع عرف فيما بعد في الحروب الإسرائيلية بموقع «أم الكتف» وهناك اسس المصريون الخط الدفاعي الاصلى وقد اصيبت المدرعة التي كانت تقود القافلة واشتعلت النيران بها. واستخدمت طيلة الليل نقطة اضاءة لعرفة اماكن مواقع العدو. وقد تم احتلال الموقع في هجوم ليلي قامت به قوة مشاة من الكتيبة السابعة بقيادة «برن» وسقنت في ايدينا أسلحة كثيرة. وقبل الفجر واصلت القوة تقدمها. وهرب المصريون من ابو عجيلة واحتلها جنودنا بدون مقاومة تقدريبا. ومع الفجر، بدون التنسيق مع القيادة العامة قررنا هواصلة المسير نحو العريس. وقبل الفجر هاجمتنا طائرات إسرائيلية بسبب عدم وجود اتصال بين قواتنا وسلاح الجو. وقد قتل عدد من جنودنا واصيبت سيارات كثيرة. ووصلنا إلى مطار العريش الشرقي. ومرة أخرى هاجمتنا طائرات ولكن في هذه المرة كانت الطائرات مصرية. ولم نكد نصحو من هذه الاغارة حتى اغارت علينا مرة أخرى طائرات إسرائيلية. وقامت جميع اسلحتنا بالرماية نحوها. فاوقفت سيارة جيب تابعة لنا كان جنوده يطلقون النار على الطائرات بكثافة جنونية. وسألت جنديا انك لم تطلق النار بهذه الكثافة ضد الطائرات المصرية. الم تر انها طائراتنا؟ فاجاب نعم انني ارى ولكن طائراتنا اخطر مئة مرة.... وعندما اتضح الخطأ تلقينا برقية من القيادة العامة تقول: «ان طائراتنا تقول انكم تتقدهون نحو العريش فماذا يحدث هناك؟ يجب وقف هذا التقدم».

طلبنا ليلة أخرى لاحتلال العريش. وقد تعرض المطار الغربي الواقع بعد ٣ كلم عن المدنية إلى الهجوم. وقامت جميع المدافع المصرية المضادة للطائرات من عيار ٤٠ هلم بتوجيه ضماتها إلى دباباتنا وكأنها أسلحة مضادة للدبابات. وكنا نمتلك اربع دبابات. إحدى هذه الدبابات صعدت على لغم والثانية تورطت بالقرب من موقع مصري مهجور وتفكك جنزيرها. وتلقينا امر انسحاب من القيادة العامة، فطار الون إلى تل ابيب في ٣١ كانون اول ١٩٤٨ للاعتراض على هذا القرار وكانت الليلة باردة جدا. واخذنا نمني القلوب بآمال

نجاح مهمة الون. ولكن مكالمة لاسلكية من الون في منتصف الليل قد بددت الامال. المهمة لم تنفع ويجب الانسحاب من العريش. واتضح انه سافر إلى طبريا واجتمع هناك مع بن غوريون وتذرع بكافة الحجج ولكن دون جدوى.

قهنا بتنفيذ الانسحاب قدريجيا... وقد قال القادة انه لو استطاع الون اقناع بن غوريون فان العريش في متناول اليد ونستطيع احتلال معظم اراضي سيناء اذ ان الجيش المصري معنول ومحاصر فلو استمرت العملية فان حرب الاستقلال كانت ستنتهي بشكل آخر.

انسحبنا من العريش. وتقدرر احتلال رفح. فحشدنا لواء هرئيل وجولانى واللواء الثامن وبدأ الهجوم في ليلة ٣-٤ كانون ثان ١٩٤٩. وقام لواء هرئيل والكتيبة التاسعة بتطهير المواقع المصرية وتقدمت القوات على طول طريق نيتسانا - رفح بالقرب من مثلث رفح. وهاجم لواء جولانى «موقع المقبرة» من جهة مستوطنة نير اسحاق وموقع الكرم المسيطرين على رفح. وقد فشل الهجوم على موقع الكرم. اما الكتيبة الخامسة من لواء هرئيل فقد احقلت مواقع مثلث رفح في السادس من كانون ثان.

وثارت في المنطقة عاصفة رهلية خطيرة. وتقلص مجال الرؤية حتى الصفر ومع الفجر سمع جنود الكتيبة الخامسة ضوضاء ناجمة عن تحرك دبابات وجنازير ولم يشاهدوا شيئا واعتقدوا بان اللواء الثامن يتحرك نحو هدفه. ولكنهم وجدوا انفسهم مطوقين من مسافة قريبة ضمن هجوم مصري معاكس. وتم دحر هذه الكتيبة من مواقع المثلث وفشلت محاولة أخرى لاحتلال هذه المواقع ثانية. في ليلة ٦ كانون ثان كلفت الكتيبة الرابعة باغلاق الطريق جنوب «مواقع المثلث» في حين ان الكتيبة الخامسة كانت تقوم بمهاجمة هذه المواقع. وقد تمركزت الكتيبة الرابعة في مواقع المثلث وتعرضت لهجوم مدفعي ضخم ولكنها صمدت. ونجح لواء جولاني في توسيع سيطرته في منطقة رفح. وفي ذلك اليوم في الساعة الثانية ظهرا دخلت مفعولها اتفاقية وقف اطلاق نار أخرى. وتلقينا اوامر باخلاء قواتنا من الاراضي

المصرية. وانسحبت الكتيبة الرابعة من مواقعها وعادت إلى فلسطين وبقي قطاع غزة تحت السيطرة المصرية.

قبل ان تهدأ الحرب، وخلال عملية «حوريب» كلف لواء اسكندروني الذي طوق جيب الفالوجة بالقضاء على اللواء المصري المحاصر. وكان على هذه القوات ان تحتل قبل ذلك عراق المنشية وبعد ذلك تل إلى الفالوجة. وعشية الهجوم وصلت إلى شرطة عراق سويدان حيث توجد قيادة اللواء ووافقت على الخطة فقامت الكتيبة ٣٣ بدخول عراق المنشية ولكنها جوبهت بمحاربين مصريين كثيرين ودخلت في قتال مرير. ومع الفجر هوجمت الكتيبة من قبل قوة مصرية وصلت من الفالوجة بقيادة «الراند عامر» الذي اصبح فيما بعد من المقربين إلى عبد الناصر ووزيرا للحربية المصرية. فلماذا لم تنفذ القوة التي ارسلت لقطع الطريق وظيفتها واستغلت في تلك الساعة في تنظيف اسلحتها؟ لا يوجد جواب لهذا السؤال. وقد شن المصريون هجوما ناجحا والحقوا بقواتنا في عراق المنشية خسائر فادحة.

وقد صمد جيب الفالوجة. ولم يحاول المصريون اختراق الحصار المفروض حوله. وقد سجلنا اوامر تلقاها قائد القوة المصرية المحاصرة من المسؤولين عنه ان يقوم باختراق الجيب وقد ادرك بان ترك التحصينات سيجلب كارثة لقواته وتجاهل الاوامر. لقد كانت عملية «حوريب» العملية العسكرية الاخيرة ضد مصر. واعلن المصريون بعد عملية حوريب عن استعدادهم لاجراء مفاوضات منفردة مع إسرائيل حول التوقيع على اتفاقية هدنة وقد اصبح التفوق العسكري الإسرائيلي حقيقيا. وفي الواقع لم تتم تصفية جيب الفالوجة ولكن كانت إسرائيل هي المتفوقة فقد ضايق الجيش المصري والنعامة السياسية المصرية أكثر من كل موضوع آخر كما ان الرغبة الشديدة في انقاذ الجيش المحاصر في هذا الجيب والحيلولة دون هزيمة خطيرة (كان الجيب يضم حوالى ثلث القوة المصرية المحاربة) وقد جلبت المصريين إلى مائدة المفاوضات واعطت إسرائيل ورقة رابحة للمساومة.

بعد بدء محادثات رودس حول الهدنة بين إسرائيل ومصر بيومين ارسل يغائيل يدين طلبا من رودس لارسال مندوبه عن الجبهة الجنوبية إلى محادثات رودس. وتقدرر ان اكون أنا المندوب. فتسلحت بالخرائط وجلست مع يغئال الون لتقييم الامكانيات السياسية والعسكرية. ولاول مرة في حياتي احتجت إلى هلابس تمثيل.. فأرسلت إلى رزمة هلابس. وكانت هذه الهلابس التي تعود إلى الجيش الامريكي منذ الحرب العالهية الاولى قد تم شراؤها من دكان للهلابس المستخدمة في تل ابيب وقد استخدمها قبلي الياهو ساسون وقد غيرت اصحابها. وبسبب كوني انذاك ضعيفا ونحيفا جدا غصت بداخلها دون مشاكل. وفي القيادة العامة زودوني بعدد من النصائح الجيدة وقامت طائرة تابعة للامم المتحدة بعهلي مع روبين شيلواح إلى رودس.

وكان يترأس الوف الإسرائيلى للمفاوضات والتر ايتان المدير العام لوزارة الخارجية. وكان الياهو ساسون وروبين شيلواح عضوين في الوفد. وكان يترأس الوفد العسكري يغائيل يدين. وكان يين آنذاك برتبة عهيد واما أنا برتبة مقدم وكان الوفد يضم ايضا رائدين وهما يهوشفاط هاركابي واريبه سيهون. وقد جلست الوفود حول مائدة واحدة. واشرف على المباحثات بصورة حكيمة وواعية رالف بانش ومساعدة الجنرال وليام رايلى رئيس قيادة المراقبين الدوليين. وكان تكتيك المباحثات معقدا: فقد عقدت لقاءات ليست كثيرة للوفود حول مائدة المفاوضات وكان بانش وريلى يجريان اجتماعات منفصلة مع الوفدين. وعندما زال الشعور بالغربة جرت محادثات غير رسهية ومباشرة بين الوفدين. وكان المصريون والإسرائيليون يتحدثون بحرية. وكان في الوفد العسكري الصري العقيد محمد سيف الدين رنيس الوفد والعقيد الرحماني، قائد الكتيبة التاسعة واحد الضباط المتفوقين في الجيش المصري الذي احتل يد مردخاي ونيتسانيم. والمقدم شرين والقدم محهود رياض ضابط الاستخبارات في الجبهة وفيما بعد وزيرا للخارجية المصرية.

لقد كانت ابتسامات في رودس وكانت هناك ساعات للراحة ولكن كانت ههناك مساومات شديدة في المحادثات. وقد اعطى المصريون اهمية قصوى لاخلاء لوائهم من جيب الفالوجة بكاهل سلاحه كما ادعوا بان المحادثات تجري على اساس قرار الامم المتحدة الصادرة في ١٤ تشرين ثان. وبما ان هذا القرار قد دعا الطرفين إلى العودة إلى الخطوط التي كانت ما قبل عملية «يوآب» فانه يتحتم على الجيش الإسرائيلي ان ينسحب من المناطق التي احتلها في هذه العملية. ولكننا ببساطة قلنا. لقد ذهب هذا القرار من التاريخ. فقد طرأ وضع جديد. وعلى اساسه فقط يجب ان قدور المحادثات. وفي إحدى المراحل بدا وكأن المصريين قد قبلوا هذا الحكم ولكنهم تراجعوا وجددوا مطالبهم. وفي هذه المرة تحدث يغائيل يدين بشدة واعرب عن استنكارع لاسلوب المصريين وقد استاءوا وغادروا القاعة وساد الجهود... وحتى في موضوع التجريد في منطقة نيتسانا لم تتقارب مواقف الاطراف. وفي الوقت الذي وافق فيه المصريون على ان الخط من منطقة رفح يعني خط الحدود الدولية بين مصر وفلسطين بدأوا في إسرائيل باعداد العدة لعملية «عوبدة» وهدف هذه العملية هو الاثبات باننا نسيطر على جميع منطقة جنوب النقب بما في ذلك ايلات. وكنت افكر في هذه العملية أكثر من المفاوضات الدبلوماسية وطلبت ان يسمحوا لى بالعودة إلى البلاد والاشتراك في تخطيط وتنفيذ عملية عوبدة. وقد سمحوا لى وقبل يومين أو ثلاثة من توقيع الاتفاق مع المصريين عدت إلى البلاد، والفرحة تهلا قلبي!! اذن لم اشترك في حفل التوقيع على الاتفاقية في رودس في ٢٤ شباط ١٩٤٩... تحدث اتفاق رودس عن امكانية احلال السلام. والحق يقال اننا آمنا جميعنا بامكانية احلال السلام. وقد تعنز ايماني بعد ان وقعت الاتفاقية. فقد اشتركت في الجلسة الاولى للجنة الهدنة الإسرائيلية المصرية في عوجا الحفير. وطورنا مع الضباط المصريين علاقات ودية. وطلب محهود رياض من عهوس حوريب ان ينظم له جولة في إسرائيل. وقد استضافه عموس في منزله في مستوطنة «نطعيم». كما تمت استضافة ضباط مصريين اخرين في

إسرائيل. وربما لاننا كنا متلهفين للصلح اصبحنا نتغيل باننا نسـمع اجراسـه عـلى الـرغم مـن ان الاتفاق نفسه لم يلغ حالة الحرب.

عدت إلى البلاد ولم ارض عن خطة عملية «عوبدة» واعتقدت بانها معقدة ومشـوهة وقـد تم تخطيط الوضع بناء على عهل لواءين: جولاني والنقب بحيث يحشد لواء جـولاني في منطقـة كورنوب وينحدر عن طريق معاليه عقربيم ويتحرك بسرعة على طول عربة حتى ايلات.

اما لواء «النقب» فيتحـرك في وسـط النقـب ويصـل إلى مطـار ابراهـام وهـي منطقـة تـم تأشيرها واعدادها كمهبط للطائرات. ويتم تعزيز وتسليم اللواء ويتحرك عن طريق رأس النقب إلى ايلات. وكان على اللـواءين ان يصـلا إلى ايـلات في وقـت واحـد. ولكـن تنفيـذ العمليـة كـان يتطلب التقدم بحذر وحرية وليس بناء على امر القيـادة القـاطع الـذي كـان يـنص عـلى تقـدم القوات نحو ايلات طالما لم تواجه مقاومة من قوات العدو. وعـلى القـوات ان تتوقـف وتتراجـع عن تقدمها في اية لحظة تواجه فيها مقاومة وقبل ان يبدأ التقدم علهنا بان قوات اردنية عنزت موقعا بالقرب من رأس النقب ونزلت إلى منطقـة فلسـطين الانقدابيـة في عـين يـاهف فجنوبـا. وعلى الرغم من اننا لم نتأكد من ذلك فقد اقترحنا بان خططنا اصـبحت معلومـة لـديهم وانهـم ينوون منع تقدهنا عن طريق الحرب. وفي هذه الظـروف خطـط لـواء جـولاني تقدمـه: وكانـت الخطة تنص على ما يلى: الحيلولة دون الاشتباك مع العدو ويتجاوز اللـواء قـوات العـدو ولكـن إذا ما تعرض لـلـهجوم فانه سيرد على النار بالمثل. وهكذا نفذت العملية. وعندما وصلت اوائل قوة جولاني إلى منطقة عين ياهف فتح الاردنيون النار عليها ولكن هذه القـوة تجـاوزت الموقـع الاردني وردت بنيران ثيدة ارغمت الاردنيين على التراجع وبنـاء عـلى هـذا المبـدأ واصـلت القـوة تقدمها حتى هدفها.

كما تقدم لواء النقب دون مقاومة في منطقة صعبة وربما انه كان يتلهف لان يسـبق قـوة جولاني إلى ايلات قام عوزي نـركيس بهنـاورة سياسـية: فقـد اجتمـع مـع قائـد نقطـة الحراسـة المصرية في الجانب الثاني لرأس النقب واقنعه بان القوة قد انسحبت وانه سيعرض نفسه لخطر

العنلة والافضل له ان يـترك قواتـه عـوزي تعـبر عـن طريـق «حفـرة القمـر» وقـد مـرت القـوة ووصلت إلى الطريق المـؤدي مـن رأس النقـب إلى وادي الثمـد وسـارت مـن هنـاك عـلى طـول الطريق ووصلت إلى ايلات حوالى ساعة أو ساعتين قبل وصول لواء جولاتي.

هكذا انتهت حرب الاستقلال. وخلال عمليـة عوبـدة التـي كانـت تهـدف إلى الوصـول إلى ايلات نفذ لواء الاسكدنروني عمليـة توسـيع لمنـاطق النقـب التـي بحوزتنـا، ووصـل إلى منطقـة جنوب الخليل وتمسك بسفوح جبال القـدس غربـا وجنوبـا والتقـدم شـمالي سـدوم عـلى كلـول الشاطئ الغربي للبحر الهيت في منطقـة عـين جـدي. وضـم مسـادة في منطقـة دولـة إسرائيـل. وهكذا ضهنا امكانيـة انتـاج البوتـاس في البحـر الهيـت. وكانـت لمنطقـة مسـادة اهميـة كبـيرة بالنسبة لرجال البالماخ واحتلالها جلب لنا الارتياح.

بعد نهاية الحرب بوقت قصير في ربيع ١٩٤٩ قرر رئيس الحكومة ووزير الدفاع دافيد بـن غوريون القيام بزيارة خاصة لمنطقة مسادة - البحر الهيت. وكان ذلك ارتياحا كبيرا لنـا جميعـا. وقد استمرت الجولة حوالى ثلاثة ايام. وابحرنا بزورق تابع لمشروع البوتاس مـن سـدوم إلى عـين جدي. وعدنا إلى سدوم وواصلنا طريقنا في سـيارة عـلى طـول طريـق عربـة مـن سـدوم وحتـى ايلات. وهنا تحدث بن غوريون عن زيارته الاولى في اوانل الثلاثينات وقد ذكرتنا سيطرة الجيش الإسرائيلي على منطقة بعيدة جدا عن المراكز اليهوديـة السـكانية بالهلـك سـليمان الـذي احتـل عصيون جب. وذهب بنا الخيال بعيدا فقلنا ان هيناء ايلات سيكون بوابة إسرائيل نحو افريقيـا والشرق الاقصى. وفي إحدى محطاتنا وقف بن غوريـون قلـيلا والقـى نظـرة عـلى جنـوب جبـل الخليل فاشار بيده إلى هناك وسأل الون: كيف تستطيع احتلال هذه المنطقة؟ وبدأ الون يحلـل الوضع ويفصل وفجأة توقف عن الكلام وقـال يـا بـن غوريـون: هـل تريـد حقـا احـتلال هـذه المنطقة؟ وكأن شيئا لمع في عينـي بـن غوريـون وقـال «الان لا يمكـن.. ولكـن، وربمـا... نسـتطيع احتلالها فيما بعد...!».

الباب الثالث

بناء الجيش الإسرائيلي

الفصل الأول

انتهاء دور البالماخ

عندما انتهت الحرب كان علي ان اقدرر طريقي. فخلال الحرب، جمعنا قوة وتجربة، وبدون ان نقلل من اهمية بقية الاطراف المحاربة، فقد كان البالماخ العهود الفقري لللهاغناه التي كانت القوة المحاربة لليهود. وقد تعودت منظمتا «ايتسل» و «ليحي» ان تبالغا بدورهما في طرد البريطانيين من فلسطين وبدورهما في الساعات الحرجة من حرب احتلال فلسطين. ان زعامة الاستيطان برئاسة دافيد بن غوريون وعلى الاقل حتى عام ١٩٤٧ قد اخطأت في اعارتها اهمية غير مناسبة لبناء قوتنا الذاتية وبتحويلها معظم الجهود للتجنيد للجيش الانكليزي. ولهذا السبب كشفت المراحل الاولى من حرب الاستقلال ضعفنا حتى قبل ان تقوم الجيوش العربية النظامية بغزونا: فقد كنا نمتلك أسلحة قليلة، اقل جدا من الضروري واقل جدا مما كان بالامكان اعداده وكنا نعانى من نقص خطير في الطاقة البشرية المدربة. ولولا البالماخ، فانني لا اؤمن بان الحرب كانت ستنتهي بالشكل الذي انتهت عليه واننا استطعنا ان نصل إلى المكاسب التي حققناها.

وانا على مفترق طريق مستقبلي الشخصي، وفي اللحظات المأساوية في الحرب عندما شعرت بالضائقة الخطيرة ازاء المحاربين الذين واجهوا الهوت اخذت على عاتقي التزاما داخليا بانني سأكرس كل حياتي من اجل ان لا تواجه إسرائيل وضعا تكون فيه غير مستعدة لهواجهة الاعداء وانه إذا ما فرضت الحرب علينا ثانية فان المحاربين سيتدارسون ويتزودون بافضل السلاح. اذن لم احقق حلمي في دراسة هندسة الهياه. فقد بقيت في الجيش إلى جانب عدد من النهلاء القادة والمحاربين ووفيت بقسهي لمحاربي حرب الاستقلال: فقد بنينا جيشا عظيم القوة.

وفي الوقت الذي كنت فيه مقتنعا بـان روح البالمـاخ وقيمـه مـن الافضـل ان تظـل توجـه الجيش الإسرائيلي بعد حربه الاولى تعقبت بألم الرياح المضادة للبالماخ، والتي هبت بين اوسـاط السياسيين في إسرائيل: فقد بدأ قادة البالماخ يسرحون من خدمتهم العسكرية وليس فقـط بنـاء على اختيارهم الشخصي واننا لعدم الرغبة في مجابهة الرياح السيئة التـي هبـت ضـدهم. وقـد ذهب ناحوم شريج قائد لـواء النقـب إلى بيتـه. وتـم حـل اللـواء الثـامن. وفي جميـع المجـالات والرتب الكبيرة، والهيادين، فضل السياسـيون الـذين خـدهوا في الجـيش الانكليـزي عـلى رجـال البالماخ. انني لم اكن رجل حزب مطلقا، حتى عودتي مـن بعثتـي كسـفير في واسـنطن في مطلـع عام ١٩٧٣ حيث انضممت إلى حـزب العمـل. ان نظـرتي إلى البالمـاخ لم تتقـدرر مطلقـا بسـبب تغيرات سياسية. لقد آمنت بطريقة وتألمت كثـيرا عنـدما ادركـت بعـد الحـرب انهـم يعـاهلون افضل قادته وكأنهم زنوج قاهوا بدورهم وهم يستطيعون الآن العودة إلى منازلهم.

في ايلول - وتشرين اول ١٩٤٨ تم حل قيادة البالماخ. وفي شهري ايـار - حزيـران ١٩٤٩ تـم حل ألويـة البالمـاخ. وهنـا جلسـت الاوسـاط السياسـية واخـذت تفـرك ايبهـا بارتيـاح: الجـيش الإسرائيلي الجيد نقي من لعنة البالماخ....

طلبت من يغئال الون ان يعينني قائدا للواء الثاني عشر الذي كان شبه مـدرع. واعتقـدت انه في نطاق القوات البرية ستقوم الروح بدور حاسم وفي تلـك الايـام التـي كانـت فيهـا جميـع دروع الجيش الإسرائيلي كتيبة واحدة مزودة بعدة دبابات شيرمان قيمة. كـان الانسـان بحاجـة إلى قدر كبير من الخيال ليزمن بالوزن الحاسم لقوة الدروع. وعلى الرغم من انـه كـان للقيـادة العامة مرشح آخر لقيادة اللواء استجابوا ليغئال الون وتسلمت قيادة اللواء.

جيش نظاهي- مشاكل جيدة، لم نعرفها من قبل، مثل الرتب على سبيل المثال. وقد اسـهوا رتبتي «مقدم». وعندما تقـدرر حـل اللـواء الثـاني عشر ايضـا الـذي كنـت اقـود، كتبـت رسـالة إلى رئيس الاركان دوري. واعربـت عـن اسـتيائي وقلـت: اننـي قائـد في البالمـاخ واريـد البقـاء في الجيش ومن الصعب على ان اسرح من الخدمة العسكرية وأنا اثمر بـان الرغبـة السـيطرة عـلى

الجيش هي ابعاد جميع عناصر البالماخ. انني جندي. تلقيت الامر وسأنفذه. ليس هذا ما اعترض عليه. ولكنني اطلب من رئيس الاركان ان يعلمني لماذا حلوا اللواء الثاني عشر؟ وقد تلقيت ردا سريعا. فقد تحدث رئيس الاركان دوري مطولا عن ضرورة اعادة تنظيم الجيش وزعم انه لا توجد اية نية خاصة وراء حل الوية البالماخ الثلاثة. لقد كانت التقديرات شيئا آخر. وعلى اية حال فانك لن تستطيع البقاء كقائد لواء وستكون المرشح الاول للخروج في دورة إلى الخارج. ولم يفسر.

كان يغئال الون يتأهب للخروج وعينت مؤقتا قائدا للقيادة الجنوبية بالوكالة. وقد وصلت إلى الجبهة وأنا اشعر بالعنلة والشك بالنسبة لمستقبلى إلى ان قام حاييم لسكوف الذي عين فيما بعد رئيسا لاركان الجيش الإسرائيلي، وفي تلك الفترة رئيسا لقسم التريب بحل المشكلة، لقد كان لسكوف قبل ذلك رأس الحرية في النقاش الدائر ضد البالماخ. وبصفته من خريجي الجيش الانكليزي، ومن اكثرهم تفوقا -هاجم البالماخ بحزمه المعروف وايد بشدة الاساليب الانكليزية، فقد بعث لسكوف الي شرحي وطلب مني ان اتسلم قيادة دورة قادة الكتائب. وفي حديث استيضاحي قال لي لسكوف اقوالا لم اصدقها لاول وهلة: فقد قال عليك ان تجمع هناك جميع قادة البالماخ وكل من يريد البقاء في الجيش عليك ان تهتم بان تجعله مدربا أو طالبا في دورة قادة الكتائب. لقد كان هذا التعبير صادرا عن شخص يزيل من امامه كل تقدير شخصي، ويتجاهل كل خلاف سابق ويقترح على ان اعيد إلى الجيش جميع خصومه الذين كانوا يعارضونه في كل شأن وموضوع. وقال: احضرهم واهتم بان لا يفقدوا رتبهم. دعونا نبلور معا نظرية الحرب الجيدة للجيش الإسرائيلي.

لم اصدق ولكن لسكوف نفذ كل كلمة وكل حرف قاله. بدأت باجراء الاتصالات مع قادة البالماخ. فحاييم بارليف، الذي كان ي يوم من الايام رئيسا لاركان الجيش الإسرائيلي، على سبيل المثال، كان يقيم في القدس، في ابو طور وكان يشرف على التسريح من الخدمة العسكرية. وذهبت أنا وعوزي نركيس اليه للاجتماع به. فجلسنا معه وقتا طويلا واقنحناه

بعدم التخلى عن الجيش. لقد حول لسكوف دورة قادة الكتائب إلى «هلجأ» لرجال البالماخ. وقد وجد بعض افضل قادته في هذه الدورة مجالا لنشاطاتهم.

اما بالنسبة ليغئال الون فقد فرض عليه التخلي عن الجيش في ظروف سيئة: ففي الوقت الذي كان يحل فيه ضيفا على الجيش الفرنسي، اصدر وزير الدفاع سلسلة من المعيينات الجديدة: فقد عين يجائيل يدين رئيسا جديدا للاركان. هوشيه ديان قائدا للقيادة الجنوبية بدلا من الون وكان هذا التعيين يعد صفعة لم تترك لالون خيارا سوى الانسحاب من الخدمة العسكرية. وبصفتي قائدا للقيادة الجنوبية بالوكالة قمت بنقل مهام هذه القيادة من الون إلى هوشيه ديان. لقد كانت الوجوه يسودها الصمت. وربما لم يكن ديان يشعر بالارتياح في معية جميع هؤلاء البالماخيين.. وبالتيد لم يكن بمقدور الون ان يعرف بان هذه هي المرة الاخيرة التي يخلفه فيها موشة ديان: لقد اعتبر الاثنان مدة طويلة بانهما اقوى المرشحين لخلافة بن غوريون. وعشية حرب حزيران تقدرر تعيين الون وزيرا للدفاح في حكومة اشكول ولكن في اللحظة الاخيرة فضل ديان عليه حيث حصد مجد الانتصار. وفي حزيران ١٩٧٧ سلم الون لديان منصب وزير الخارجية بعد انتصار «الليكود» في الانتخابات العامة في إسرائيل. ان ابتسامة الون المريرة غطت على جانب فقط من العاصفة التي كانت تهب في نفسه. بدون احتفال أو مراسيم سلمت لديان منصب القيادة الجنوبية. وكنت اخشى من ان ديان سيبكر في التخلص مني ايضا.. وقد تعنز هذا الخوف في اول حديث لنا: فقد قال لي موشة ديان: بلهجة باردة، ومتحفظة، ومريحة وبعدم مبالاة: شكرا، لن اكون بحاجة اليك..

اذن، لقد ذهبت لتحقيق اقتراح حاييم لسكوف، فانتقلت إلى دورة قادة الكتائب. وعين نائبا لي اساف سمحوني (قتل اساف سمحوني في حادث طائرة بعد حهلة سيناء عندما كان قائدا للقيادة الجنوبية) وكان المدربدون في الدورة حاييم بارليف، وعوزي نركيس وتسفي زهير، وهوشيه كلمان، وايتائيل عميحاي واوري بن آري، ودافيد العازر وجميعهم من البالماخ واهارون يريف من خربجي اللواء العبري في الجيش الانكليزي.

لقد كانت دورة قادة الكتائب في تلك الفترة المدرسة التي تنتج نظرية الحرب للجيش الإسرائيلي بعد حرب الاستقلال، وحاولنا ان ندمج في هذه الدورة تجربة البالماخ، الهاغناه. واللواء العبري وان نستخلص عبر الحرب التي خضناها وان نبني نظرية حرب جيدة حسب الامكانيات التي كانت متوفرة لدينا في ذلك الوقت.

لقد عقدت الدورة في صرفند. وكانت مجموعة القيادة ممتازة، ومستوى الطلاب عاليا وفي جو يسوده التحدي اصبحت هذه الدورة الفرن الذي صهر وصب منه الهيكل القيادي للجيش الإسرائيلي لقد ايدنا حاييم لسكوف وقدم لنا جميع المساعدات، وبالقدرج خفت حدة التوتر بين خريجي اللواء العبري ورجال البالماخ وحل التعاون محل الخلاف. وعندما عين حاييم لسكوف قائد الدورة قادة الالوية عينني نائبا له. وبدأنا بالاعداد لهذه الدورة العليا ولكن رئيس الاركان الجديد اصدر امرا بتعييني رئيسا لشعبة الاركان للعمليات. وقد ايدني لسكوف وحاول الغاء الامر الا ان نائب رئيس الاركان مردخاي مكليف الذي كان ايضا رئيسا لشعبة الاركان قد وضع حدا للحوار. وباستيا، كبير غادرت دورة قادة الالوية وانتقلت إلى منصب اخر في نهاية عام ١٩٥٠ ه لاول مرة في حياتي كضابط في رئاسة الاركان العامة.

لقد كانت شعبة الاركان للعمليات مسؤولة عن ثلاثة هواضيع وهي: العمليات بما في ذلك التخطيط الفعال، والامن الدارج، وتنظيم الاحتياط وطريقة تجنيدهم. كما ان موضوع ترهيم الوحدات وقدريبها كان من مسؤولية شعبة الاركان للعمليات وكذلك استخلاص العبر من حرب احتلال فلسطين وكتابة التاريخ العسكري.

وبعد ان قضيت عامين كرئيس لشعبة الاركان للعمليات جاء دوري، مثلما وعدني رئيس الاركان دوري في مطلع ١٩٤٩، بان اسافر للدراسة في مدرسة عسكرية في الخارج لقد ترعرت من الناحية العسكرية في نطاق الهاغناه والبالماخ ولم اتعرف بعد على عالم الاصطلاحات وطرق

التفكير التي يتبعها جيش نظاهي ومجرب. لقد توجهت إلى كلية الاركان التابعة للجيش الانجليزي في كامبرلي في انكترا, وتوقعت ان اجد فيها مساعدة لحل المشكلة التي كنا مرتبكين بها في ذلك الوقت وهي تنظيم جهاز السيطرة في رئاسة الاركان العامة وبناء موقع قيادة اعلى في اثناء الحرب. وكان احد دروس الحرب هو ضرورة التنسيق بين أسلحة الجيش المختلفة: الجوية، البحرية، والبرية وخلق رسائل سيطرة حديثة أكثر تعطي القيادة العليا المعلومات في الوقت الهناسب والقدرة على اتخاذ القرارات بناء على معلومات صحيحة، لقد بنينا هذه النظرية خلال هناقشات حادة وخاصة مع قادة سلاح الجو. واجرينا تمرينين لموقع القيادة العليا واسلوب عهله التمرين الاول جرى عام ١٩٥١ فقد اقهنا موقع القيادة العليا في تل ابيب واشرفت على التمرين بحضور بن غوريون ورئيس الاركان وعمداء الجيش الإسرائيلي وقبيل مغادرتي إلى مدرسة كامبرلي اجرينا التمرين الثاني. وقد اقيم موقع القيادة هذه المرة في الرملة. وبناء على التمارين الاولى استخدهنا هذه المرة وسائل اسناد أكثر تقدما...

اردت الذهاب إلى المدرسة في انكلترا، ولكن صعب على ان اغادر بيتنا الجديد في تسهالا الذي رحلنا اليه قبل ذلك بشهرين فقط، لقد كنت أنا وليئا نقيم منذ ان تزوجنا في منزل والديها وولدت ابنتنا داليا هناك وكان راتب الجندي في الجيش الدائم لا يكفي الا لسد الحاجات الضرورية ولولا بنحاس سبير المدير العام لوزارة الدفاع في تلك الايام فانه من المحتهل ان نظل نقيم هناك حتى اليوم. فقد جاء سبير إلى تسفيكا زهير ولي وقال: متى تفعلان شينا من اجل نفسيكما؟ تعالا إلى حي اسكان رجال الجيش الدائم في تسهالا، وهنا اخذنا قرضا من البنك كما ان والدي زوجتي لم يكونا بخلاء. ولم نكد نرهي امتعتنا في بيتنا الجيد في تسهالا حتى ربطنا الحقائب في طريقنا إلى انكلترا. وفي الوقت الذي كنت فيه منفعلا وخائفا من مصاعب اللغة، حيث انني لم اكن اتكلم اللغة الانجليزية بشكل جيد جئنا إلى الجزيرة البريطانية واقهنا لمدة ثلاثة اسابيع في منزل ليؤون شليط وهو يهودي انكليزي

(اليـوم إسرائـيلي) تعرفـت عليـه في حـرب احـتلال فلسـطين عنـدما خـدم كمتطـوح في الجـيش الإسرائيلي.

وهناك في انكلترا انكب ضابط انكليزي على تعليهنا اللغة الانجليزية. وقد فتحت الدراسـة في مدرسة الاركان الانكليزية وخشيت من اللقاء مع الضباط الانجليز الذين خدم كثيرون مـنهم في فلسطين خلال فترة التوتر والصراع وحهلوا معهم ذكريات غير طيبة.

وكان قائد الدورة الجنرال لطبوري في حينه قائدا للواء المظلي الانكليزي الذي كـان منبـوذا في فلسطين وتم توزيع افراد الدورة وعددهم ١٨٠ طالبا إلى ثلاث مجهوعات وكـان يـترأس كـل مجموعة عقيد. وكان احدهم من الذين اعتقلوني وابي في يوم (السبت الاسود) وقد سـبقني إلى هذه الدورة مئير زورياع وهو الآن عهيد في قوات الاحتياط، وقـال لى زوريـاع في إحـدى قصصـه انه عندما مثل هو وافراد دورته في اجتماع تعارف مع قائـد المدرسـة مـر البريطـاني مـن طالـب إلى طالب، وكان يقف قليلا عند كل واحد منهم ويتبادل معه الحديث. وقال للطالب الاردني: انني اذكر في بلادكم مكانا لصيد الاوز! وعندما قدم زورياع نفسه وكان، يقف بجانب الاردني ابتسم الانكليـزي وقال: اوه! في فلسطين كنت أنا الاوزة التي حاولتم صيدها...

أقمنا في انكلترا في منزل مشـهور متعـدد الطبقـات وفي هـذا المنـزل اقـام عـدد مـن افـراد الدورة وكان من بينهم اردنيان وعراقي واحد. وكانت حلولهم لهـذه الاقامـة المشـتركة متغـايرة: فالاردنيان تجاهلا وجودي مطلقا وكانا يمران من اماهي وكانني لست هوجودا.

اعلمتني رسالة وصلتني من رئيس الاركان انذاك، مردخاي مكليف بان الوضـع في إسرائيـل معقد: ووصف ما يجري في زعامة الجيش الإسرائيلي، وقدهور العلاقات بينه وبين رئـيس شـعبة الاركان في قيادته، هوشيه ديان. واعتقدت بانني سأحصل عـلى اي منصـب اريـده ولكـن المهـم اولا ان اتوصل إلى تفاهم مع ديان. ولكن حدث ما لم يكن بالحسـبان فقـد اضـطر مكليـف إلى التخلي عن منصب رئيس الاركان قبل انتهاء فترة عهله واستعداد ديـان لان يعـين خلفـا لـه. ولم يكن لدي اي سبب يدعوني إلى الاسراح في العودة إلى البلاد...

اردت البقاء سنة أخرى في انكترا لادرس مادة الاقتصاد في (لندن سكول) ورد مكليف على طلبي: رئيس الاركان القادم هو الذي سيقرر. وكان رئيس الاركان القادم هو هوشيه ديان وقد عرج على لندن وهو في طريقه إلى إسرائيل من زيارة كان يقوم بها أي الولايات المتحدة. وطلبت من ديان ان يقرر فسألني: ما هو الامر الهوجه اليك من رئيس الاركان؟ فاجبته: فقال: اذن تعود إلى البلاد بعد اكمال العام الدارسي.

ودعت انكلترا. وتنزهت قليلا في اوروبا. وقضيت على جميع المدخرات. وفي مطار روما قبل الاقلاع إلى إسرائيل اجتمعت مع (افري اليعادا) (الرجل الثالث) في فضيحة لافون (العمل المخجل) وكنت اعرفه جيدا منذ الايام التي كان يعهل فيها قائدا لسرية القيادة في لواء هرئيل خلال حصار القدس. وقال لي افري انه جند من جديد للاستخبارات وانه متوجه الآن إلى بلد ما وفي تلك الايام لم اكن خبيرا بما يجري في هذا المجال. وتذكرت من فترة عهلي كرئيس لشعبة الاركان-العمليات بأنه قد تبلور قرار للقيام باعمال تحرشية في الدول العربية هدفها اثارة النزاع بين الدول العربية والغرب خصوصا الولايات المتحدة. ولم اعر الاجتماع مع افري اي اهتمام ولكن بعد سنوات، ندمت بعد انكشاف القضية الكئيبة (فضيحة لافون) التي فككت الجهاز السياسي في إسرائيل.

عندما وصلت أي إسرائيل دعاني رئيس الاركان ديان للاجتماع به وعرض لي ان يعينني رئيسا لقسم القدريب في شعبة الاركان، ووافقت لقد كان قسم القدريب يضم وحدة منفردة للمشاة تطورت فيما بعد إلى قيادة لكبير ضباط المشاة. وفيما بعد إلى قيادة قوات المشاة والمظليين. وقد قمت ببناء هذا القسم على اساس ثلاثة فروع: فرع الشاة، وفرع القدريب، وفرع نظرية الحرب الذي ضم ايضا قسم التاريخ. وهذا القسم اردت تطويره كعنصر لا يعهل فقط في مجال تعليم تاريخ حرب الاستقلال وانما يتتبع عن كثب كل النشاطات العسكرية الراهنة ويعطي الجيش الاسرانيلي وثائق صحيحة عن جميع النشاطات العسكرية التي تجري في نطاق الجيش. وقد وضعت في رئاسة هذه الفروع اشخاصا لهم وزنهم الخاص:

فعلى رأس فرع المشاة عينت تسفي زهير وعارض رئيس الاركان موشة ديان تعيين دافيد العـازار رئيسا لفرع نظرية الحرب ولكنني لم اتنازل عن هذا التعيين. واخـيرا قبـل ديـان بطلبـي ووافـق على تعيين (ددو) في هذا المنصب وعلى رأس فرع القـدريب وضـعت متـاي بيليـد وبعـد ذلـك خلفه يسرائيل طال. ان الجيش الإسرائيلي الذي ولد من خـلال ضوضـاء الحـرب وضـائقتها كـان بحاجة إلى نظرية حرب جديدة وخلال عمليات الاعداد لاقامة مدرسة القيادة والاركان تفرغـت كليا لبلورة نظريات الحرب، واعمال الاركان، والادارة على مستوى عـال جـدا يتمثـل في مدرسـة عسكرية تقام في نطاق الجيش الإسرائيلى وقد عينـت عـلى رأس هـذا الطـاقم اهـارون يريـف. وبعد ذلك عين متاي ببلد نائبا له. كانت النشاطات سريعة. وقد قاهوا بدراسة طـرق واسـاليب قدريب الجنود والضاط سواء كان في نطاق الجيش الدائم أو في نطاق الاحتياط.

وعندما توجـه رئـيس الاركـان إلى الولايـات المتحـدة لزيـارة المـدارس العسـكرية الأميركيـة ومنشآت الجيش الاهيركي قمت أنا ومتاي بيلـد بمرافقتـه. وكانـت هـذه اول فرصـة بالنسـبة لي ازور فيها القارة الامريكية الشمالية وان اتعـرف لاول مـرة عـلى الجـيش الضـخم الـذي تمتلكـه الولايات المتحدة.

قبل سفرنا إلى الولايات المتحدة اشتركت أنا ومتاي بيلد في القديبات الصـيفية للـواء مشـاة معنز بكتيبة دبابات جرت في غربي كندا في منطقة البرتا بالقرب من مدينة ادهونتون. وتوجهنـا إلى الولايات المتحدة قبل ديان باسبوع. ووصلنا إلى نيويورك ومن ثم واصلنا طريقنـا إلى تورنتـو للحاق بطائرة متوجهة إلى البرتا. ووجدنا انفسنا في قائمة المنتظرين ولم يضمن لنا مكان. وذهبنا إلى محطة سكة الحديد - فيما إذا توجد امكانيـة للسـفر في القطـاع. نعـم، سـيتوجه قطـاع إلى البرتا بعد ثلاث ساعات وسيصل إلى هدفه بعد... يوهين. هكـذا تعرفـت لاول مـرة عـلى اتسـاع مساحة الولايات المتحدة. وفي النهاية وجدت حججنـا اذانـا صـاغية لـدى مـدير شركـة الطـيران وهبطت الطائرة في ادهونتون بعد مرور ثماني ساعات فقط...

كانت ايام القدريب الثلاثة التي قضيناها مع اللواء الكندي بالنسبة لنا متعة جيدة. وفي نهاية القدريبات وخلال جولة قمنا فيها في ارجاء كندا ونحن في طريقنا إلى واشنطن زرنا شلالات نيغارا. واثارت فينا الهياه المقدفتة اشواقا واحلاما نائمة لم تتحقق. ان حلم دراسة هندسة الهياه رافقني مدة طويلة... وقد استضافنا الجيش الاهيركي باللطف والترحاب ولكن الهلحق العسكري الإسرائيلي حاييم هرتسوغ اضطر إلى رفض بعض المأكولات التي قدهوها لنا وكانت مكونة من بعض حيوانات البحر كسرطان البحر وغيره... وبعد ذلك جاء دور الجولات: فقد زرنا قاعدة سلاح المشاة في فورث بننج، وقاعدة القوات المظلية في نفس القاعدة، وقاعدة الدروع في (فورث نوكس) وقاعدة المدفعية في فورث سيل. كما زرنا حقلا تجاريا في فنسكولا وقاعدة القوات البحرية (المارينز) في كوانتيكو. واجتمعنا مع رؤساء الاقسام في وزارة الدفاع. لقد كانت هذه النيارة عجيبة جدا. ان بقد ما رأته اعيننا وسمعته اذاننا سيبرز في نطاق القيود الطبيعية والوسائل القليلة المتوفرة لدينا على طول طريق القدريب في الجيش الإسرائيلي، لقد نقلنا عن الاهيريكيين النطام الذي ينص على ان كل ضابط في القوات المحاربة يجب عليه بعد نهاية دورة الضباط ان ينتقل إلى دورة الهبوط بالمظلات أو دورة كوماندو. وقد ذهب اعضاء رئاسة الاركان العامة الإسرائيلية وعلى رأسهم رئيس الاركان للاشتراك في دورة الهبوط بالمظلات قبل افراد المعسكر. كما ادخلنا بعض التغييرات على اسلوب القدريب على السلاح وخصصنا ثلاثة رشاشات للحظيرة الواحدة بدلا من رشاش واحد لتتمكن المجهوعات الصغيرة المكونة من جنديين أو ثلاثة جنود ان تقدرب بشكل جيد على الرشاش الواحد. وبعد عودتنا من الولايات المتحدة وجدنا إسرائيل غير إسرائيل التي كانت عندما غادرناها. فقد تورطت البلاد في فضيحة لافون. وتحدث لى زهلانيفيرئاسة الاركان عن جوانب القصة واحداثها وعن التوتر الذي طرأ في زعامة وزارة الدفاع بين الاشخاص الاربعة وهم: وزير الدفاع ورئيس الاركان، ورئيس قسم الاستخبارات والمدير العام لوزارة الدفاع.

كنت قد تعرفت على وزير الدفاع (بنحاس لافون) عندما كنت اعهل رئيسا لشعبة الاركـان في رئاسة الاركان العامة. وقد اثار لدي الانطبـاع بأنـه شـخص لامـع ورجـل نقـاش مـن الدرجـة الاولى وذو كفاءة تعليل وتعبير عالية جدا. ولكن التحول الذي طرأ عليـه بعـد تسـلمه منصـب وزير الدفاع اثار لدي الاشمئزاز. فقبل ذلك كان يهيل بشكل واضح إلى المواقـف المعقدلـة عـلى الصعيدين السياسي والعسكري وحاول كثيرا الامتناع عن التطرف. ولكنه نزل إلى مسـتوى حـذاء بن غوريون وغير جلده: واتخذ مواقف متطرفة. واحيانا كانت هذه المواقف غـير مفهومـة. امـا بالنسبة للمسألة التي اثارت العواصف وغيرت الوجه السياسي لإسرائيل: من اصدار الامر لتنفيذ العملية في مصر؟ فانني لن اعرب عن رأيي فيها. فالتحضيرات لعملية من هذا النوع بدأت قبل سفري إلى الدورة في انكلترا وقبل ان يباشر بنحاس لافون مهام منصبه كـوزير للـدفاع. عـلى ايـة حال فقد ساءت سمعة لافون لدى رئيس الاركـان واصـحاب الهناصـب العليـا في وزارة الـدفاع. واعتبرت طريقة ابعاد بنحاس لافون من منصبه كوزير للدفاح عديمة الشرف والقت الظـل عـلى جميع وزارة الدفاع والنعامة الإسرائيلية. ان عددا من الذين شحذوا سكاكينهم ضد لافون ثبتـوا لانفسهم اساليب العمل السري واستخدهوا هـذه الاسـاليب للابتـزاز في سـنوات متـأخرة جـدا. وكانت نهايتهم بل وربما عقابهم انهم انزلوا في حركـة العمـل الإسرائيليـة ضربـة ١٧ ايـار ١٩٧٧ وساعدوا الليكود في الارتقاء إلى دفة الحكم.

عاد بن غوريون إلى منصبه كوزير للدفاع، وكان بعودتـه قـوة للجـيش ووزارة الـدفاع. وكان كل انسان مدركا ومتفهما للاهور يعرف بان بن غوريون لن يسـتمر في العمـل كـوزير في حكومة هوشة شريـت. وقـد هـدأت الخـواطر في الجـيش وعـدنا إلى مزاولـة النشـاطات الروتينية. وكانت ولادة ابننا يوفال في عام ١٩٥٥ قد سبقت احداثا أخـرى، لم تكـن مرتبطـة بها: وهي العمليات الانتقاهية التي قام بها الجيش الإسرائيلي في عـاهي ١٩٥٥ - ١٩٥٦. وفي عام ١٩٥٤ قرر رئيس الاركان موشة ديـان دمـج وحـدة المحـاربين «١٠١» بكتيبـة المظليـين.

وبهوجب اوامره نفذت دوري في عملية الدمج هذه لان المظليين كانوا تـابعين لقسـم القـدريب اما العمل الحقيقي فقام به ضابط شاب «اريك شارون» الذي لمع نجمه آنذاك كقائد لامـع. ان الروح الخاصة لوحدة «١٠١» قد اعادت للجيش الإسرائيلي ثقته بنفسـه التـي تقوضـت نتيجـة لانتكاسات عام١٩٥٣. ان نجاحات هذه الوحدة قد سارت سير الريح بـين النـاس وجعلـت منهـا «حجرا مغناطيسيا» للشبان.

في نيسان ١٩٥٦ عينت قائدا للقيادة الشمالية خلفا لموشة تسـادوك الـذي انهـى وظيفتـه. وكنت اعرف المنطقة الشمالية منذ خدمتي في قوات البالمـاخ، ولكـن السـنوات غـيرت المشـاكل وطابع الوظيفة كعهيد للقيادة حيث تغير حجم المسؤوليات. وكانت هنالـك ثلاثـة هواضـيع في مجال اهتماهي وهي: الحرب ضد عمليات الفدائيين سواء عـلى صـعيد الـدفاع أو عـلى صـعيد تبني القيام بعمليات انتقاهية وبنـاء قـوة تكـون مسـتعدة لكـل طـارئ في الشـمال. وموضـوع الحرب حول مصادر الهياه وقضية المناطق المجردة من السلاح على الحدود السورية.

ان حقيقة كون وجود مناطق لم تشهد وجودا إسرائيليـا مـدة طويلـة، كانـت تشـكل مصرا للقلق، في المنطقة المجردة الوسطى كانت توجد قريتان عربيتـان كانتـا تسـيطران عـلى منـاطق واسعة تشكلان قاعدة عهل للاستخبارات السورية.

كما ان العرب الذين يقيهون إلى الجنوب من بحيرة الحولة في منطقة جسر الفكـاك اثـاروا المخاوف بالنسبة لهواصلة العمل على تجفيف بحيرة الحولة والمسـتنقعات القريبـة. والى الشرق من بحيرة الحولة في منطقة «دردرة» كانت توجد منـاطق لم نصـل اليهـا رغـم انهـا مشـهولة في حدود إسرائيل. في صيف عـام ١٩٥٦ انتقلنـا إلى السـكن في حيفـا في منـزل منحنـل عـلى جبـل الكرهل. وفي صيف ١٩٥٦ كانت لى أكثر من مناسبة شككت فيها بالنسبة لنوعيـة الاوامـر التـي تصدر عن رئاسة الاركان.

وكانت هذه الاوامر كثيرة وكانت تنم عن الحيرة والتقدير الخاطئ. ومن هذه الأوامر، الامر الذي تلقيته هاتفيا من رئيس شعبة الاركان للعمليات يشيعيا هو جفيس: وجاء في هذا الامر ان قوة إسرائيلية هاجمت قلقيلية في الاردن وتكبدت خسائر فادحة. كما ان قوة أخرى كانت ترابط كقوة حماية شرقي قلقيلية قد اشتبكت مع قوات إسناد أردنية، ولم تنجح الجهود لانقاذها. وامرت بالعمل في منطقة جنين للفت انتباه الاردنيين وتمكين انقاذ القوة المحاصرة. ولكنني لم افهم سبب هذه العملية ولكن الامر يظل امرا. فمن خلال وحدة الدروع القيادية اخرجت عدة دبابات كان بالامكان تزويدها بجنود من قسم الصيانة في الوحدة. ولم اعرف اين ولماذا اهجم. ومع الفجر وقبيل الخروج في العملية بوقت قليل الغي الامر. القوة انقذت. وكان ثمن عملية قلقيلية باهظا. وهدفها كان مشكوكا فيه. لقد بلغ التوتر الإسرائيلي العربي احد ارقامه القياسية بسبب نشاطات الفدائيين وبسبب تصعيد عمليات الانتقام الإسرائيلية وقد دفع الجيش الإسرائيلي وإسرائيل ثهنا غاليا لهذا التوتر. لقد شعرنا باننا وصلنا الحد الاقصى من استخدام اسلوب العمليات الانتقاهية دون ان تؤدي هذه العمليات إلى أي تقليل من نشاطات الفدائيين.

في احد الايام استدعينا إلى رئاسة الاركان العامة وابلغت القيادة العامة بامكانية قيام الجيش الإسرائيلي بشن حرب ضد مصر، الدولة العربية الرئيسة التي قام زعيمها عبد الناصر ببث روح النشاطات المضادة لإسرائيل بين الفدائيين ووعد بتقديم الدعم الكامل لهم في عهلهم ضد إسرائيل. وابلغنا ايضا بان عملية الجيش الإسرائيلي ستنفذ بالتنسيق مع القوات البريطانية والفرنسية التي ستسيطر على قناة السويس وتحدث انقلابا في مصر. وعلى فرض ان سوريا والاردن لن تشتركا في الحرب امرت قيادتا الشمال والوسط بتجنيد وتخصيص قوات للقيادة الجنوبية وكذلك للاستعداد للدفاع في الجبهات من خلال مواصلة الحرب ضد الفدائيين. وقمنا بتنفيذ تجنيد القوات ونقلها إلى القيادة الجنوبية وتم الاستعداد للدفاع.

في «حملة سيناء» لم يشترك الجيشان الاردني والسـوري اذن كـان قـدخلى في هـذه الحـرب محدودا. وحللت مشكلة واحـدة في الشـمال مسـتغلا الحـرب مـع مصر وبالتنسـيق مـع الامـم المتحدة فقد نقلنا حوالي ٢٠٠٠ عربي كانوا يشـكلون مشـكلة امنيـة كبـيرة مـن مكـان سـكناهم في مثلث المنطقة المجردة من السـلاح «جنـوب بحـيرة الحولـة» إلى الجانـب الشرقـي مـن نهـر الاردن.

لقد تسببت حملة سيناء في رفع معنويات إسرائيل. ان الاشتراك مع فرنسا وبريطانيا الـذي خلق في نهاية الامر جبهة واحدة من دولتين عظهيين وهما الولايات المتحدة والاتحاد السـوفياتى ضد إسرائيل وارغمتاها على الانسحاب إلى خطوط الهدنة بين مصر وإسرائيل هذا الاشـتراك قـد ادى إلى نتائج ايجابية: فقد كانت هناك عشر سنوات من الهدوء على الحدود المصرية وصـلاحة حرة إلى ايلات. ولكـن في منظمـة القيـادة الشـمالية لم تهـدأ الخـواطر. فـالحرب حـول المنـاطق المجردة كانت ترفع في اوقات متقطعة بالمقياس الحربى. وكانت سيطرتنا في هذه المناطق وحقنا في فلاحتها مدار خلاف بيننا وبين سوريا. وخلال جهودنا مـن اجـل ضـمان سـيطرتنا عـلى هـذه المناطق ازدادت حدة الوقف السوري. وهناك عنصر آخر جديد في الكفاح سرعان ما ظهـر بأنـه مقلق ومزعج وهو قصف مستوطناتنا في المنطقة بالمدفعية السورية في اعقـاب حـوادث تبـادل النار التي تجري بسبب محاولاتنا المتصلة لفلاحـة المنـاطق المجـردة والقيـام بـاعمال تطـوير في المنطقة. وحتى وضع عدة نقاط مراقبة اولية على طول الحدود مـع سـوريا لم يسـاهم كثـيرا في تقليل عدد الحوادث. الجانب الاخر من عملنا في الشمال كان يدور حول حرية الصيد في بحـيرة طبريا. وعلى الرغم من ان منطقة البحيرة كلها معنا فقد تعود الصيادون السـوريون عـلى صـيد الاسماك في بحيرة طبريا في الوقت الذي كان فيه الجيش السوري يزعج صيادينا باستمرار.

في عام ١٩٥٨ طـرأ تحـول في العـالم العـربي. ان عمليـة سـيناء في عـام ١٩٥٦ لم تضر بهيبـة مصر وزعيمها عبد النـاصر. فقـد جمـع عبـد النـاصر هيبـة سياسـية وشخصـية ومهـد الطريـق

لتفويض مواقف الغرب في الشرق الاوسط. ونشاطاته السرية خارج حدود بلاد شجعت القوى الراديكالية في العالم العربي: ففي العراق وقع انقلاب قضى على النظام الهلكي ورفع إلى دفة الحكم ضباطا متطرفين. وفي لبنان عرفت العناصر المتطرفة النظام المعقدل والتوازن الحساس بين المسيحيين والمسلهين للخطر. ومن اجل الدفاع عن الواقف الغربية في الشرق الاوسط لم يعد الامريكيون يعتمدون على الدول المعظمى الاوروبية التي كشف ضعفها السياسي والعسكري في حهلة سيناء. واصبحت الولايات المتحدة مضطرة للعمل وحدها.

وقد نزلت قوات «المارينز» الامريكية في لبنان لمساعدة كهيل شمعون.

وفي القيادة الشمالية كانت هناك نشاطات متزايدة. فعن طريق المدفعية والوسائل الأخرى كنا نمنع تسلل الفدائيين أو القوات الاجنبية الأخرى إلى جبل الشيخ في المنطقة الواقعة بين الحدود الإسرائيلية واللبنانية وحتى سفوح جبل الشيخ. وقهنا بمساعدة اللبنانيين في حربهم في منطقة الخيام وخامة عن طريق عمليات القصف المدفعي ونصب المصابيح الهائلة على تلة بارزة فوق وادي مرجعيون.

خلال فترة عهلي كقائد للقيادة الشمالية خرجت مجموعة من كبار القادة برئاسة رئيس الاركان موشة ديان وأنا معهم في صيف عام ١٩٥٧ إلى صحراء سهارا الفرنسية. وشهدنا التجارب التي اجريت على أسلحة جيدة وسمح لنا بالاطلاع على خطط تطوير الجيش الفرنسي. وعندما كنا في طريقنا من سهارا إلى باريس للاشتراك في «الصالون الجوي» الفرنسي عرجنا على نيتسا وزرنا مؤسسات البحث والتطوير العائدة للجيش الفرنسي. هذا وفي مطلع عام ١٩٥٨ جرت تغييرات وتعيينات في رئاسة الاركان الإسرائيلية حيث عين لسكوف رئيسا للاركان وتسفي صور نائبا لرئيس الاركان ورئيسا لشعبة الاركان وعهيت قائدا للقيادة الوسطى اما أنا فبقيت قائدا للقيادة الشمالية.

الفصل الثاني

رئيس شعبة الأركان

كانت العلاقات بين لسكوف وبيني جيدة جدا وارتحت جدا لعملية تبديل رئيس الاركان. ولكن التعاون بين لسكوف وتسور لم يدم طويلا. ففي نهاية عام ١٩٨٥ تعمقت الازمة بينهما وتغلى تسور من منصه وساز إلى فرنسا للدراسة. وعين خلفا له كرئيس لشعبة الاركان العهيد مئير زورياع «زور».

وأيد لسكوف طلبى المجدد للسفر للدراسة في جامعة هارفارد وبدأت بالتحضيرات الضرورية وقبلتني جامعة هارفورد وتأهبت للسفر اليها في صيف ١٩٥٩ ولكن، كما يحدث احيانا فقد دارت العجلة إلى الخلف، وعلى الرغم من ان هذا الدوران لم يقصدنى أنا بالذات فقد كان بالنسبة لى حاسما جدا. في نيسان ١٩٥٩ وقع خلل في الجيش الإسرائيلي: فقد اعد للقيام بالتمارين للتعبئة العامة العلنية ولكن نتيجة لاجراءات رئاسة الاركان الخاطئة نسوا القيام بالترتيبات اللازمة لاطلاع الشعب والعالم على ان المقصود هو تمرين فقط. فالاصوات الدراماتيكية التي مرت من جميع اجهزة الراديو في العالم وفي جميع اللغات اسقدعت قوات الاحتياط الإسرائيلية وكان المقصود هنا هو وضع حربى خطير. ومسكت إسرائيل والعالم انفاسها. وفي تلك الليلة كنت اشهد حفلة هوسيقية اقيمت في هيكل الثقافة في تل ابيب على شرف هلكة بلجيكا التي كانت تقوم آنذاك بزيارة لإسرائيل. وفي الوقت الذي مازالت فيه انغام الهوسيقى الجهيلة تعم القاعة حضر مندوبدون والذعر باد على وجوههم واخرجوا رئيس الاركان من القاعة. وقام عدد من كبار الضباط بالخروج وراءه. إلى الحرب؟ تساؤل دار على السنة الجميع. وفي اعقاب ذلك عينت لجنة تحقيق حيث حققت وقدمت نتائجها. وقرر رئيس الحكومة ووزير الدفاع بموافقة رئيس الاركان المؤلمة ان ينقل رئيسا الشعبتين

المتعلقان بالامر مـن منصـبيهما وهـما: رئـيس الشـعبة الاركـان العهيـد زوريـاع ورئـيس شـعبة الاستخبارات يهوشفاط هاركابي. وقام رئيس الاركان بتعييني رئيسا لشعبة الاركان. وعين العميد زورياع قائد القيادة الشمالية. وقد باشرت مهام منصبي كرئيس لشـعبة الاركـان في ايـار ١٩٥٩. ورايت بذلك تحديا من الدرجة الاولى: فهذا هو المنصب الثاني في زعامة الجيش الإسرائيلي سواء من ناحية صلاحياته ووظائفه أو من ناحية كون من يشغله نائبا لـرئيس الاركـان في غيابـه. وفي هذا المنصب استطعت ان ابرز التجارب والخبرات والافكار التي اكتسبتها خلال سنوات خدمتي الطويلة.

فتحت اوامر رئيس الاركان لسكوف انتقلت لاول مرة في حياتي إلى معالجة القضايا العامـة للجيش الإسرائيلي من نقطة مراقبة تشهل كافة القضايا العسكرية الإسرائيليـة في اوسـع مفهـوم لها. وبعد الدراسة، والمحادثات الاساسية مع رؤساء الاقسام في شعبة الاركان وهم: رئـيس قسـم القدريب تسفي زهير، ورئيس قسـم التخطـيط «هونـداك» حصرت المشـاكل الرئيسـة واخـذت ابحث عن طريقة لبلورة موقف من وجهة نظر رئيس شعبة الاركان في اربعة مجـالات مركزيـة: وهي:

أولا: بناء قوة عسكرية وماذا يجب ان يكون حجـم القـوات في الاطـارات المحتهلـة. وكـان يجب بلورة نطرة عملية نستطيع ان نبني عليها هيكل القوة العسكرية. وما هو حجـم تعـاظم القوة وما هو قسم القدريب الذي سيعد الجيش الإسرائيلي بافضـل صـورة لهواجهـة اختبـارات محتهلة في المستقبل.

ثانيا: هواضيع الامن الروتيني. وهنا كان يجب حصر المشاكل واقتراح افضل الحلول.

ثالثـا: الهواضـيع السياسـية سـواء في مجالهـا المحـدود جـدا المتعلـق باتفاقيـات الهدنـة، والاتصالات مع الامم المتحدة مثل الاتصالات مـع الجـنرال فـان هـورن رئـيس قيـادة المـراقبين

الدوليين أو في مجالها الاوسع الـذي يوجـد لـه تـأثير عـلى التطـورات السياسـية مثـل احـتمالات المشتريات العسكرية لإسرائيل.

رابعا: مجال جديد تلقى اندفاعة جديـدة بعـد حملـة سـيناء وهـو تطـوير العلاقـات مـع جيوش مختلفة في العالم.

ان رئيس شعبة الاركان لايستطيع ان يعمل على الوجه الاكمل الا في نطـاق علاقـات جيـدة مع رئيس الاركان. فلسكوف الذي اعد زورياع للعمل كرئيس لشـعبة الاركـان وعيننـي فقـط في هذا المنصب بسبب الظروف التي طرأت بعد تمرين التعبئة العامة منحني ظروف عمـل سـهلة جدا واولاني ثقته وحاولت ان اكون مخلصا لاكون عند حسن ظنه.

لقد كانت فترة عمل لسكوف كرئيس للاركان تختلف عـن فـترة سـلفه موشـة ديـان لـيس فقط بسبب الفوارق الشخصية البارزة بين الاثنين. لقد تخلى ديان عن الجيش الإسرائـيلي وهـو في نشوة الانتصار الذي حققه في عمليـة سـيناء. امـا لسـكوف فقـد عمـل خـلال فـترة جافـة لا حروب فيها، ان فترات الهدوء المستمرة في حياة الجيش تسبب في تخفيض نسبة التوتر وتخلـق مشاكل في مجالات مختلفة. فعلى سبيل المثال حدث الانقلاب الذي قام به عبـد الكـريم قاسـم في العراق عام ١٩٥٨، واقيمت الجمهورية العربية المتحدة بين سوريا ومصر برئاسة عبد النـاصر في مطلـع عـام ١٩٥٨، وارتفـاع الهوجـة الوطنيـة في الـبلاد العربيـة والاسرار بصـفقات الأسـلحة الروسية إلى الجيوش المصرية والسورية والعراقية، وزيادة المسـاعدات القدريبيـة وزيـادة عـدد المستشـارين السـوفيات، وخاصـة في مصر وسـوريا والاتجـاه الـروسي لنقـل الجيـوش المصريـة والسورية إلى النظريات السوفياتية، كل هذه الأمور انذرت الشرق الاوسط بامكانية التعرض إلى ايام غير هادئة وغير مستقدرة.

لقد كان احد المواضيع الرئيسة والجديدة يتعلق في تلك الفترة بجهود دافيد بـن غوريـون الراهية إلى تطوير العلاقات الخاصـة مـع الـدول غـير العربيـة التـي يعنيهـا تطـوير مثـل هـذه

العلاقات مع إسرائيل. وفي عام ١٩٥٨ طار بن غوريون سرا إلى تركيا واجتمع مع رئيس حكومتها بقصد تطوير العلاقات مع تركيا امام الاخطار التي خلقها حلف العراق - سوريا - مصر بايحاء من السوفيات وتحويل سوريا إلى قاعدة كبرى للسوفيات لتطويق حلف شمال الاطلنطي وتعريض الصالح الامريكية في المنطقة للخطر. وقد حظي اجتماع بن غوريون هذا بتشجيع من الولايات المتحدة.

كما ان نشاطاتنا في اثيوبيا اخذت بالازدياد. وكان بن غوريون الروح الحية من الناحية السياسية. ودخل الجيش الإسرائيلي الصورة في وقت متأخر عندما نقل هذا الموضوع إلى وزارة الدفاع ومنح رئيس الاركان لسكوف هذا الموضوع الاولوية وطلب من الجميع ان يخصصوا لهذا العمل الطاقات البشرية والمالية المناسبة.

ان اثيوبيا كدولة مسيحية في معظمها، مطوقة بدول اسلامية ما عدا كينيا. وكانت تتعرض في ذلك الوقت إلى تهديد مستمر من العمليات السرية التي تنفذ ضد نظام حكمها في منطقتين: فالمسلهون الذين استعانوا بقواعد في جنوب السودان وتلقوا منها أسلحة للقيام بحرب العصابات مددوا نظام حكم الحبشة في ارتيريا في شمال الدولة. وفي منطقة اوغادين استعان رجال العصابات بالعناصر الاسلامية في الصومال وهي دولة اسلامية لم تسلم بسيطرة اثيوبيا على هذه المنطقة وكان هدف المسلمين عنل اثيوبيا عن مخرجها إلى البحر الاحمر وتحويل هذا إلى بحر اسلامي- عربي.

ولم يكن بامكان إسرائيل ان تكون غير مبالية في الاحداث العسكرية والسياسية التي تجري في المنطقة التي لها علاقة بالسيطرة على خط مائي حيوي لها في الطريق إلى ايلات وفي بداية ١٩٦٠ قمت باول زيارة لى إلى الحبشة. وفي ذلك الوقت كنا نجري اتصالنا مع هذه الدولة بواسطة طائرات النقل «داكوتا» التابعة لسلاح الجو الإسرائيلى التي كانت تطير من مطار إسرائيل في الجنوب على طول خليج ايلات وشرم الشيخ وعلى طول البحر الاحمر فوق

مصوع. وفي اغلب الاحيان كان علينا ان نهبط في اسمرة للتزود بالوقود. وقد وصلت إلى اديس ابابا ومعي تسفيكا زهير الذي كان رئيسا لقسم القدريب. وكان يوجد في اثيوبيا ممثل عن الجيش الإسرائيلى. والهدف من سفرنا إلى هناك كان لدراسة امكانية تطوير العلاقات مع اثيوبيا. وقد استقبلنا امبراطور اثيوبيا وهو يرتدي ملابس الفيلد مارشال الجميلة في قصره. وكان يقف خلفه كرسي العرش «طاووس حي» كما شاهدنا ونحن ندخل القصر «اسدا حيا» وكنت اشك في انه لا يمكن ترويض هذه الحيوانات الكاسرة حتى النهاية. لقد كان الحديث مع الامبرطور الاثيوبي مثيرا للانتباه. فقد كان يسمع إلى حديثنا باللغة الانكليزية. وكان يفضل الاجابة باللغة الفرنسية. وكان وزير بلاطه يترجم ما يقوله إلى اللغة الانكليزية. وقد تحدث الامبرطور عن الاهمية البالغة في تطوير العلاقات بين إسرائيل واثيوبيا كما اعاد الامبراطور الماضي السعيد ووصف الجذور العهيقة المشتركة التي ساعدت هلكة سبأ والملك سليمان على تنهيتها. وتحدث عن المستقبل وعن ضرورة تطوير علاقات مركبة وهامة في المجال العسكري والاقتصادي ولكنه قال انه يجب جعل هذه العلاقات متواضعة من اجل عدم زيادة خطورة نشاطات العالم العربي والاسلامي ضدنا. فعرضت عليه طرقا مختلفة. واجهلت هذه الطرق والاقتراحات فيما بعد مع رئيس اركان اثيوبيا ووزير دفاعها.

وقد زرت اثيوبيا مرة أخرى عام ١٩٦٢ ومرة ثالثة في ١٩٦٣ وقد تطورت العلاقات بالتريج وضربت رقمها القياسي عندما تعهدنا بالقيام بجميع شؤون القدريب في اثيوبيا بما في ذلك مدرسة القيادة والاركان. وكان الاثيوبيون يستشيروننا في كل موضوع عهلي يتعلق بحربهم. ومن اجل ان اقوم بتوجيههم التوجيه الصحيح قمت بزيارة جميع المناطق الاثيوبية: في ارتيريا، واسمرة، ومصوع وعلى طول الحدود السودانية مع ارتيريا وفي اقسام كبيرة من منطقة اوغادين وهرر وجيجيا وجنحة. وتعرفت شخصيا على جميع قادة الفرق والأسلحة. وعلى قائد سلاح البحرية، حفيد الامبراطور وطورت علاقات شخصية وخاصة معه. وقد قتل هذا الشخص فيما بعد.

بنينا للجيش الاثيوبي، جهاز قدريب كاملا، يعتمد على نظـرة مهنيـة وطـرق تفكـير عمليـة تتناسب وظروفهم. ولو ان الولايات المتحدة قدمت لاثيوبيـا الوسـائل الضروريـة لكـان بامكـان اثيوبيا ان تصمد امام اعدائها. ففي تلك الفترة كانت اثيوبيا تهلك القوة العسكرية التي ردعـت اعدائها عن التحرش بها. ولكن الولايات المتحدة بخلت عليهـا. ومقابـل ذلـك تـزودت الصـومال بأسلحة روسية وزادت قوتها ومئهيتها. كـما ان رغبـة السـكان في اثيوبيـا للـتخلص مـن النظـام المطلق والـدكتاتوري للامبراطوريـة قوضـت الاسـتقدرار السـياسي والاجتماعـي في هـذه الدولـة واضعفتها.

وقد طورت علاقات وطيدة مع الجنرال «عمن» الـذي تـرأس الانقـلاب الـذي وضـع نهايـة لنظام حكم الامبراطور وقد قتل هذا الجنرال فيما بعد من قبل الضباط الشبان الـذين اسـتغلوا اسمه ورتبته الكبيرة على غرار ما حـدث في مصر بالنسـبة (للـواء نجيـب). لقـد كانـت هـوانئ اثيوبيا على البحر الاحمر هـي المـوانئ الصـديقة لنـا الوحيـدة في هـذه المنطقـة. وكنـا في ذلـك الوقت ننظر إلى ضرورة التواجد في منطقة مضائق باب المندب. وقـد ضـهنا امكانيـة الاسـتعانة بالهوانئ الاثيوبية إذا ما دارت حرب حول حرية الملاحة في البحر الاحمر.

في مرحلة معينة استعتني غولدا مئير بصفتها وزيرة للخارجية، بعد ان ابلغت بن غوريون، وكلفتني بالسـفر إلى الكونغـو لسـاعدتها في اعـادة تنظـيم جيشـها وبنـاء قـوات خاصـة. وكـان من المقرر ان بقوم ببناء جيش الكونغو بحيـث يصـبح قـادرا عـلى هواجهـة النوايـا السـوفياتية للسيطرة على الكونغو طـاقم دولي: ايطاليـا كلفـت باعـادة تنظـيم القـوات الجويـة، وبلجيكـا، القوات البرية، وكندا تقوم بترتيـب الأمـور الاداريـة، امـا الاهيركيـون فـدورهم هنـا هـو تزويـد الكونغو بالوسائل والمال، مرة كـان هوبوتـو يريـد ان يؤكـد لي المصـلحة المشـتركة بـين إسرائيـل والكنغـو فقـص عـلي القصـة التاليـة: في نطـاق القـوات الدوليـة التـي رابطـت في الكونغـو لمنع الحروب الداخلية كانت توجد كتيبة مصرية بقيادة الشاذلى قائـد القـوة المدرعـة المصريـة التي اشتهرت في حـرب حزيـران ورئـيس اركـان جـيش مصر في حـرب يـوم الغفـران. ولم يخـف

الشاذلي نواياه في قتل هوبوتو ووصفها بانها المهمة الاولى للمصريين في الكونغو. وقد علم هوبوتو بهذه المؤامرة وبناء على طلبه الشديد تم ترحيل الكتيبة المصرية من الاراضي الكونغولية. وقد سافر معي إلى الكونغو العقيد مردخاي غور الذي اصبح فيما بعد رئيسا لاركان الجيش الإسرائيلي، بصفته خبيرا بالقوات المظلية. وقد وصلنا إلى ليوبولدفيل التي قدعى حاليا كينشاسا. واقهنا في منزل المندوب الإسرائيلي وطلب هوبوتو تشكيل وحدتين: وحدة كوماندو ترقدي «لبريهات» الخضراء ووحدة مظليين ترقدي البريهات الحمراء. ولم يفهم الامريكيون بالضبط المنطق من تشكيل هاتين الوحدتين. اما أنا فقد ادركت بان هوبوتو يريد تشكيل وحدتين منفردتين ليتصرف بهما حسب المثل القائل «فرق تسد» فاذا ما نهضت واحدة منهما لتعويض وجوده للخطر يحبط هوبوتو مؤامرة هذه الوحدة بواسطة الأخرى. وقد واجه السفير الاهيركي مصاعب جمة في مجال فهم العقلية الافريقية. ولكننا نحن الإسرائيليين قد ادركنا هذه العقلية وعهلنا كما ارادوا...

لقد كان بناء قواتنا العسكرية يقع دائما بين ضائقتين: قيودنا المالية والظروف السياسية التي تسود علاقتنا مع الدول الغربية التي فتحت اماهنا مستودعات اسلحتها، أو اغلقتها، وكان كل شيء يدور حسب الظروف وحسب تغيرات هذه الدول. وكغيري، اعتقدت أنا ايضا، بان اعتمادنا المطلق تقدريبا على الأسلحة الفرنسية امر مرخوض بالنسبة لنا لسببين وهما: يجب علينا ان لا نعتمد على مصر واحد فقط للأسلحة لان هذا الطرف إذا ما غير سياسته فانه قد يعرض امننا للخطر. كما ان فرنسا لا تستطيع بالنسبة لانواع الأسلحة التي تنتجها وحجم القروض التي تقدمها لنا ان تكون «الرد الإسرائيلي» على تزويد الأسلحة السوفياتية المكثفة للدول العربية. فعشية سفر دافيد بن غوريون للاجتماع بالجنرال ايزنهارو كنت أنا ورئيس الاركان لسكوف مقتنعين بأنه يجب بذل اكبر جهد من اجل تحطيم «الطوق الامريكي» الذي يغلق امامنا مصدر الأسلحة من الولايات المتحدة. وبصورة مستقلة، وخلافا لرأي نائب وزير الدفاع شمعون بيرس، اعد رئيس الاركان قائمة مطولة من العدات

العسكرية وعلى رأسها مطالبة الولايات المتحدة بتزويدنا باجهزة انذار من الـرادارات المتطـورة. وخلال اجتماع عقدنا، مع بن غوريون طلبنا منه ان يطالب بالحصول عـلى مثـل هـذه الاجهـزة واعتبارها بالدرجة الاولى من الاهمية. وكانت الولايات المتحـدة قـد وافقـت آنـذاك عـلى بيعنـا أسلحة دفاعية بشكل محض وجهاز الانذار شمل في قائمـة هـذه الأسـلحة. لم يـتحمس شـمعون بيرس وقال انه يوجد في فرنسا تطور تكنولوجي كبير وهي تستطيع ان تسد حاجاتنـا. وقـد ايـد قائد سلاح الجو عيزر وايزمن الموقف المبني لشمعون بيرس. وقد كان ذلك تعبيرا لوجهتي نظر: الوجهة الاولى تؤيد الاعتماد عـلى اوروبـا (فرنسـا وبريطانيـا) اللتـين زودتـا إسرائيـل بالأسـلحة. والثانية طالبت بالسعي للتـوازن وبـذل جهـود مكثفـة للحصـول عـلى هـوطئ قـدم في اسـواق أسلحة الولايات المتحـدة. ان المخـاوف الناجمـة عـن امكانيـة ديغـول الـرئيس الفـرنسي بتغيـير سياسة فرنسا ويفرض حظرا على تزويد الأسلحة لإسرائيل قد جعلتني ورئيس الاركـان نصر عـلى موقفنا. وقد ادرك بـن غوريـون اهميـة الولايـات المتحـدة. وفي الولايـات المتحـدة اسـتطاع بـن غوريون ان يحصل على هوافقتها لبيعنا محطات الانـذار المبكـر الحديثـة. ولكـن طريـق هـذه المحطـات إلى إسرائيـل واجهـت عراقيـل مـن جانـب بـيرس بمسـاعدة وايـزمن. ولحسـن حظنـا استطعنا ان نقيم محطتي انذار حتى قبل حرب حزيران. واعطتا سلاح الجـو السـيطرة الممتـازة في تلك الايام وساعدتاه في تنفيذ دوره الكبير في الحرب. بذلك لم ينته الحوار بين وجهتي النظـر. وقد اشقد هذا الحوار في عاهي ١٩٦٣، ١٩٦٤ ولكن جهـودا جبـارة ومسـتمرة حولـت الولايـات المتحدة في نهايـة الامـر إلى مسـتودع لأسـلحة الجـيش الإسرائـيلي. وقـد برهنـت حـرب رمضـان بوضوح على اهمية هذه الجهود. ولو ان هذه الجهود باءت بالفشل لكـان مصـير إسرائيـل قـد تقدرر إلى الاسوأ.

ان عمليات التعقيب الاستخبارية المستمرة كشفت في تلك الايام بـان النظريـة السـوفياتية اخذة بالسيطرة على الاجهزة العسكرية في الدول العربية الرئيسـة. ومـن هنـا اتضـحت ضرورة اعداد الجيش الإسرائيلي إلى محاربة النظرية السـوفياتية. وقـد قهنـا في إسرائيـل ببنـاء اهـداف

ومواقع حسب هذه النظرية وتم قدريب وحدات مختلفة ومتنوعة في إسرائيل على مهاجمة الاهداف والمواقع. ان المدربين العسكريين في الجيش الإسرائيلي بدأوا اعتبارا من عام ١٩٦٠ فصاعدا بدراسة النظرية السوفياتية والبحث عن افضل الحلول للتغلب عليها. ولقد بذلت في هذا المضمار جهودا كبيرة: وجعلت من المثل القائل: «اعرف عدوك» حديث اليوم في الجيش الإسرائيلي. وكانت نتائج حرب حزيران ١٩٦٧ بمثابة تعويض كبير جدا لجهودي التي بذلتها...

ان التوتر في الشمال لم يخف، بل ازداد خطورة وقد دفعتنا اعمال التحرش السورية المتكررة للمناطق المجردة من السلاح ان نقوم في ليلة ٣٠ كانون ثان ١٩٦٠ بعملية تطهير في قرية التوافيق السفلى. وكانت هذه العملية بالنسبة إلى حجمها اكبر عملية تنفذ بعد حهلة سيناء قبل حوالى ثلاث سنوات ونصف. وقد حققت هذه العملية هدفها ولكنها اثارت لدى الجمهورية العربية المتحدة (سوريا ومصر) المخاوف من ان إسرائيل قد تتطلع إلى تحويل هياه نهر الاردن، وبما ان الاتحاد السوري - المصري الوالى للسوفيات بطابعه قد سبب القلق للعرب، خشي السوريون والمصريون من ان تكون إسرائيل قد عهلت بايحاء من الحلف الغربي لتقويض الجمهورية العربية وتحطيم الاطار السياسي المشترك. كما ان النيارات المخطط لها التي قام بها رئيس الوزراء، إلى الولايات المتحدة ووزيرة الخارجية غولده مئير إلى فرنسا وبريطانيا قد استطاعت ان - حجما اكبر للمخاوف التي تساور النعماء العرب. وبين هذا وذاك حدث في الشرق الاوسط، ان الاحداث بدآت قدور بحجم وقوة اخرجتها من اطار سيطرة العرب عليها. وفي اعقاب حادث تبادل رماية على الحدود السورية زدنا من استعدادنا العسكري على الحدود الشمالية. وحتما شاهد السوريون التحركات العسكرية الإسرائيلية وبعد ذلك بايام اي بين ١٤و ١٩ كانون الثاني ١٩٦٠ قام عبد الناصر بزيارة لسوريا. وقام النعيمان بتقييم الوضع. وزادت مخاوفهما وبلغت السحاب بعد حصولهما على معلومات قالا انها وثيقة، من السوفيات تفيد بوجود حشود عسكرية إسرائيلية في الشمال. وتحدثت هذه

المعلومات من نوايا إسرائيـل في نطـاق مـؤامرة امبرياليـة - صـهيونية القيـام بعمليـة عسـكرية واسعة ضد سوريا. وتطرق عبد الناصر إلى البيان الذي اصدرته السـفارة السـوفياتية في القـاهرة يوم ١٥ كانون الثاني بجدية كبيرة. وبعـد مـرور يـومين اي في ١٧ كـانون الثـاني اعلـن مـن حالـة طوارئ قصوى في جيش الجمهورية العربية المتحدة. ومـرر عبـد النـاصر بيانـا إلى قـوات الامـم المتحدة حول امكانية حدوث مجابهة عسكرية.

في ١٩ كانون الثاني بدأت القـوات المصريـة في اجتيـاز القنـاة سرا، نحـو سـيناء. في المرحلـة الاولى اجتازت القناة قوات سلاح المشاة. وبعد ذلك تحركت قوات الدروع. وخلال وقـت قصـير اصبحت معظم قوات الجيش المصري داخل سيناء.

وكان النبأ الاول الذي وصل الينا قد تحـدث مـن تحـرك الفرقـة الرابعـة المدرعـة المصريـة وانتشارها غربي القناة. وفي ١٧ كانون الثاني قهنا بطلعة جوية فوق القناة وكانت هذه هـي اول طلعة جوية من نوعها بعد فترة طويلة ولم نكتشف القوة المصرية. وافترضنا بان الفرقة الرابعـة المدرعة قد اجتازت القناة شرقا نحو سيناء، وفعلا اكتشفنا الجيش المصري. وكانت معظم قواتـه محشودة بالقرب من الحدود مـع إسرائيـل. ففـي منطقـة جبـل النبـي - العـريش اكتشـفنا مـا يتراوح بين ٤٠٠-٥٠٠ دبابة وهي قوة مدرعة ضـخمة جـدا في تلـك الايـام. وكانـت فرقتـان مـن سلاح المشاة منتشرتين في منطقة ام كتف- العريش وفي المناطق القريبة من رفـح. ولـكي لا يضر المصريون بانتشار قوات الامم المتحدة لم يدخل المصريون قواتهم إلى رفح نفسـها وقطـاع غـزة. وهناك جانب آخر من قواتهم رابط في منطقة بئر جفجفة نحو إسرائيل. وفي منطقة القنـاة وفي مصر نفسها بقيت قوة مصرية قليلة.

لقد فوجئنا من تحركات القوات المصرية. فلم تكن لنا في منطقـة القيـادة الشـمالية سـوى ٢٠ أو ٧٠ دبابة. خلال الاجتماع الذي عقد في مكتب رئيس الاركان مساء يـوم ٢٤ كـانون الثـاني تحدث رئيس قسم الاستخبارات العسكرية عن الطلعة الجوية وعن اكتشافاتها. فكتبـت رسـالة

إلى عيزر وايزمن قلت فيها: لقد مسكونا ونحن عراة. فخلال الاربع والعشرين ساعة القادمة كل شيء مرتبط بسلاح الجو. وكان واضحا انه إذا كان المصريون يريدون مهاجمة إسرائيل فاننا سنكون بحاجة إلى ٢٤ ساعة حتى نتمكن من تحريك قوات الدروع إلى الجبهة وحتى ذلك الوقت تستطيع فقط طائرات سلاح الجو ضد المصريين. ولدى تسلهي للخبر الاول اتصلت بقائد اللواء السابع العقيد يسرائيل طال وامرته بتحضير لوائه فورا (وهذا اللواء كان هو اللواء المدرع الوحيد المنظم الذي يمتلكه الجيش الإسرائيلي آنذاك). كما بدأت ألوية مشاة بالتحرك نحو الجنوب بأسرع وقت ممكن. وقد ارسلنا إلى تلك المنطقة ما يتراوح بين ١٠٠ - ١٣٠ دبابة وفي صباح يوم ٢٦ كانون الثاني طرنا جوا إلى القيادة الجنوبية لنيارة القيادات والوحدات. وقد ذهبنا إلى هناك اربعة عمداء في طائرة هيلوكوبتر. وفي منطقة حتسور حلقت اماهنا طائرتان مقاقلتان إسرائيليتان. ولم يشاهدنا طيارا هاتين الطائرتين وقد شاهدهما عيزر وصرخ بالطيار اوري ياروم قائلا: انزل نحو الارض. وبما ان الاصطدام الجوي لم يقع أخذنا نمزح فيما بعد قائلين: ما هو التقدم السريع الذي سيطرأ في الجيش الإسرائيلي بدوننا الاربعة...

ان الحرب لم تندلع في هذه المرة. فالجيشان رابطا امام بعضهما البعض ولم تطلق المدافع نيرانها. وفي نهاية شهر آذار عادت القوات المصرية إلى قواعدها خلف القناة غربا. وفي السادس من آذار حصد عبد الناصر ثمار انتصاره. فقد تحدث اعلام الجمهورية العربية المتحدة عن ان العملية الجريئة التي قام بها الجيش المصري قد ردعت إسرائيل عن مهاجمة سوريا وهذا يعد دليلا واضحا على الجدوى المتوخاة من الاتحاد السوري- المصري وتبين بشكل لا يراود ادنى شك بان امن سوريا مرتبط بحلفها مع مصر.

وحتى بدون حرب كان علينا ان نستخلص العبر وان نستنتج النتائج: فعلاقات الرئيسين المصري والسوري مع الاتحاد السوفياتي ضربت احد ارقامها القياسية وقد امتلأت مستودعات الأسلحة المصرية والسورية بالأسلحة الحديثة. وهناك حقيقة لا تقل اهمية وهي اننا لم نكتشف القوات المصرية بهذا الحجم الكبير حتى وصلت إلى سيناء، وفي وقت متأخر

جدا. اضيئت «الانوار الحمرا» لدينا. وبشكل خاص برزت الضرورة الهلحة لتحسين اجهزة الانذار المبكر في اعقاب احداث «عملية روتم» (كان هذا الاسم هو الذي اطلق على عملية انتشار الجيش الإسرائيلي امام الخطر المصري الملموس). وقهنا بدراسة دقيقة لجميع جوانب موضوع الانذار المبكر والكشف، وحسنا قدرة التصوير لدى طائرات سلاحنا الجوي. وعهلنا على تحسين نشاطات الاستخبارات ووسائلها في جميع المجالات لكي نتلقى اي خبر عن تحركات الجيش المصري باسرع وقت ممكن.

وكرئيس لشعبة الاركان «ظلت روتم» منقوشة في ذهني جيدا. وقد برز جانب من العبر التي استخلصتها في مرحلة متأخرة اي عشية حرب الايام الستة.

على الرغم. من اننا بنينا طيلة السنوات، امننا وقدرتنا الدفاعية على تعاظم قوة الجيش الإسرائيلي والتطوير الذاتي للأسلحة، فاننا لم نستهن بضرورة اقامة علاقات سياسية - عسكرية حتى مع الدول الاوروبية. وكان هدفنا مزدوجا: وهو ان نطور مصادر تزويد الأسلحة، وان نتعاون مع جيوش الدول الاوروبية للاستفادة من مساعدتها ونظرياتها العسكرية. لقد بلغت علاقاتنا مع فرنسا ذروتها في حهلة سيناء عام ١٩٥٦ ولكنها استمرت بعد ذلك ايضا. وكرئيس للطاقم الإسرائيلي اشتركت في لقاءات عسكرية في باريس. وفي الايام التي ازدهرت فيها الصداقة الإسرائيلية - الفرنسية بحثنا مع الفرنسيين موضوع ايجاد تعاون إسرائيلي - فرنسي شرط ان تنفذ فرنسا وعدها وتسرح إلى مساعدتنا إذا ما تعرضنا إلى اي هجوم. وقد وضعنا خططنا كما هو مفهوم لقرار السلطة السياسية وكان دورنا هو وضع خطط مفصلة حول كيفية قيام فرنسا بمساعدة إسرائيل في مجال التزويد وتعزيز الوسائل الجيدة والمعدات العسكرية. بمناسبة اللقاءات المتتالية تعرفت على جميع اعضاء القيادة الفرنسية: رئيس الاركان بول ايلى، ومساعده هوريس شال وقائد سلاح الجو الفرنسي جوهر، وقائد سلاح البحرية وغيرهم. وانني اعترف هنا انه بالرغم من الحفاوة والصداقة والتأييد الذي كنت الاقيه من جانب الفرنسيين كان يوجد بين الفرنسيين ما قوض ثقتي بهم.

وربما آنذاك بدأ تحولى نحو الامريكيين. في ذلك الوقت لم تكن هناك فترة محـددة لعهـل رئـيس الاركان وكان بامكان حاييم لسكوف ان يخدم سنة أخرى وربما سـنتين لـو لم تسـؤ علاقاتـه مـع نائب وزير الدفاع شمعون بيرس (وهي تجربة مر بهـا عـدد مـن رؤسـاء الاركـان)، وكـذلك مـع بعض رؤساء الاقسام مثل حاييم هرتسوغ وجدعون شـوكن. وقـرر بـن غوريـون تعيـين تسـفي سور (تثارا) رئيسا للاركان وكما هو مفهوم تأثير من شمعون بيرس. وكانـت لـبن غوريـون نظـرة خاصة إلى لسكوف. وقد اعتبره جنديا حقيقيا. وقد احبـه واحترمـه وكـان قـرار اسـتبداله صـعبا بالنسبة لبن غوريون. وقد تضرر لسكوف جدا ليس فقط من قـرار اسـتبداله وانمـا مـن طريقـة هذا الاستبدال: فقد علم بقرار استبداله في ساعة واحدة فقط قبل ان ينتشر القـرار عـلى الهـلأ. وقد ثار لسكوف... وكانت له آراء خاصة به بالنسبة للقطاعين المدني والعسكري.

أنني لم انف هنا انني اعتبرت نفسي مرشحا لمنصب رئيس الاركان خلفـا لحـاييم لسـكوف. ولكنني لم اتحدث مع اي شخص عن ترشيحي ولم اقم بأيـة نشـاطات مـن اجـل هـذا الترشـيح. وبعد انفضاض جلسة رئاسة الاركان الاولى التي عقدت بعد اذاعة قرار استبدال رئـيس الاركـان قال لى بن غوريون: «اسحق، ابق هنا» وسألني: هـل اسـتأت مـن حقيقـة تعيـين تسـور رئيسـا للاركان ولم تعين انت؟

اجبته: لا توجد هنا مسألة اساءة. انني مقتنع بان رئيس الحكومة ووزير الدفاع يحق لهما ان يعينا من يرياه هناسبا. انني اعتقد بان لك اسبابا وتغيرات ولا يجب ان تشرحها لي.

بن غوريون: انني اريد ان اشرح لك لماذا قررت تعيين تسفي تسـور. صـحيح انـك خرقـت مرة ما الامر وذهبت لحضور اجتماع البالماخ.. وانت حـذر ايضـا... ولكـن لـيس هـذه التغـيرات التي اثرت على ان تسـور اقـدم منـك في الخدمـة العسـكرية. وكـان نائبـا لـرئيس الاركـان. ولـو عينتك لانفصل تسـور عـن الخدمـة العسـكرية ولا اسـتطيع ان اطلـب منـه البقـاء في الجـيش. ان تذكير بن غوريون لي بكلمة «خرقت امرا» قد جعلني اغلي. فقلـت: بـن غوريـون: لم اطلـب منك حديثا وتفسيرات ولكن طالما بقينا هنا وشرحـت لي بمبـادرة منـك ارجـو ان تسـمح لى بـان

اسالك: انني اخدم في الجيش من خلال الشعور بالواجب. فاذا كنت تعتقد بأنه يجب على ان اترك الجيش، فسافعل ذلك بهدوء وبدون احتجاج... لم يتركني بن غوريون ان اكهل كلاهي فقفز من مكانه قائلا: اين.. اين سمعت مثل هذا القول؟ لا توجد صحة لذلك. اريد منك ان تبقى في الجيش. فماذا يمكن ان افعله... ان تقتنع بانني اريدك ان تظل في الجيش الإسرائيلي؟

قلت: يوجد لي طلب: ان تعينني نائبا لرئيس الاركان بالاضافة إلى منصبي كرئيس لشعبة الاركان. انني ادرك بانك ستتشاور مع رئيس الاركان الجيد ولا اريد منك جوابا فوريا.

ولكن بن غوريون قال فورا: لا توجد مشكلة.. ستكون نائبا لرئيس الاركان.

وقلت اريد ان يكون تعييني بموافقة تسفي تسور. وكان رده صادرا عن حركة يده المعروفة والتي تعبر عن الضيق وقال: ستكون نائبا لرئيس الاركان.

وفي ختام الحديث ابلغت حاييم لسكوف كعادتي عما جرى ....

باشر تسفي تسور مهام منصبه كرئيس للاركان واعترضت علاقاتنا عدة مصاعب. اولا قال انه يؤيد تعييني نائبا له ولكنه يريد تأجيل التعيين لمدة شهر. ووافقت. ان تسور محارب ومنظم جدا وكنت ارغب ان اقوم بوظيفتي بمعيته وتحت امرته التامة. ومرت ثلاثة اسابيع دون تعيين. واخيرا عينني نائبا له بعد ان قدخل بن غوريون في الموضوع بعد بضعة اشهر اسقدعاني «تشارا» لمقابلته وزعم انه غير راض عن وضع علاقاتنا. فاجبت: انني لا افعل شيئا لا يوافق عليه وانني انقل جميع نتائج المباحثات اليه واضفت: إذا كنت تعني ما تقول: فانني لا ارى اي مبرر لمزاعمك. ولكن توجد هناك أشياء لا تقاس فقط بالحقائق التي يمكن تحديدها بدقة. فاذا كنت تشعر بانك لا تستطيع العمل معي وتريد مني ان اذهب، فتفضل انني مستعد للذهاب. فلنذهب معا إلى بن غوريون ولنقل له اننا لا نستطيع العمل معا. وساقول له بأنني مستعد للتخلي عن الوظيفة.

فأجاب تسور: ليس الآن، سنبحث عن طريق لتسوية الخلافاته. وقد سويت الأمور لفترة معينة من الوقت. وطرأ خلاف آخر بحيث اثر على علاقتنا: فقد طلب حاييم بارليف

السفر لهواصلة دراسته وكان عليه ان يوصي بالشخص الذي سيعين خلفا له كقائد لسلاح الدروع. وقد اوصى بارليف بتعيين دافيد العازار «ددو» اما أنا فقد اوصيت بتعيين يسرائيل طال «طليك» وامام بن غوريون كان تسور منطقيا جدا. فقال له يوجد هناك مرشحان ورأيان وانه ينضم إلى التوصية بتعيين «ددو» في حين كنت اؤيد طليك. فاسقدعيت لمقابلة بن غوريون وقلت: ان كلا منهما قائد ممتاز وكل منهما صديق لي. والسؤال هو ماذا يتوقعون من القائد الجديد؟ انني اعتبر موضوع هذا المنصب بناء قوة، للعنصر التكنولوجي فيه اهمية كبيرة ولهذا فانني اوصي بتعيين «طليك». قد تستغرب هذا الامر لانني اوصي بشخص خدم في اللواء العبري وليش في البالماخ. ان تقديراتي معفية من هذا التأثير. ان طليك يتمتع بقدر اكبر من المعطيات والادراك التكنولوجي. ولو كان المقصود هنا هو تعيين قائد لقيادة لربما اوصيت بتعيين «ددو» وبعد الاجتماع مع بن غوريون اسقدعيت «ددو» و «طليك» وابلغتهما بما قلته لبن غوريون. وقال «ددو» الذي كان غير راض عما قلت: انني آسف لهذا الرأي ولكن تسور قرر تعيين «ددو» خلافا لرأيي. وتضررت علاقاتي مع «ددو» ولكن دافيد العازار كان شخصية غير عادية وعرف بحكمة وذكاء كيف يتغلب بهما على الاوضاع غير المريحة. فعادت علاقاتنا إلى طبيعتها السابقة. وخرج طليك من الجيش لدراسة الفلسفة في الجامعة.

في منتصف عام ١٩٦٢ اسقدعاني رئيس الاركان ثانية وكرر مزاعمه بخصوص علاقتنا. وحتى أنا كررت موقفي وقلت: اننا قهنا معا بعهل جيد وانني نفذت جميع اوامره. واستمع تهور لي ولم يجب. وكان لدي الاساس الكافي الذي يجعلني افترض بأنه كان ينوي اعادة بارليف من دراسته وان يعينه خلفا لي. كما كانت هناك توقعات مشابهة في مخيلة عيزر وايزمن، قائد سلاح الجو ولا استطيع القول بان علاقاتي معه ايضا كانت جيدة.

ان الشخص الذي عهل من اجل هذا التغيير لم يكن الا نائب وزير الدفاع شمعون بيرس. لقد كنت مكروها لديه واراد مني ان اتخلى عن هذا المنصب الرئيس. ودار جدل بين رئاسة الاركان ووزارة الدفاع. واعتقدت بان رئاسة الاركان العامة، وشعبة الاركان من ضمنها هي التي يجب ان تقدرر الافضلية في مجال المشتريات وتطرمر الأسلحة وفي الواقع ان

الوقف الحاسم بالنسبة لبناء القوة العسكرية لا يكمن في وجهتي نظر المشتري والمنـتج وانمـا في وجهة نظر المستخدم، وهي القوة المحاربة. وقد رأى بيرس في مـوقفي خطـرا يهـدد مركـز قواه ودار بيننا كفاح على طول الخط. انني كرئيس لشـعبة الاركـان اصبح فـيما بعـد رئيسـا للاركان، ورئيسا للحكومة، قد آمنت بأنه يجـب ان نعـثر عـلى نقطـة التـوازن بـين الانتـاج في الـبلاد والمشـتريات مـن الخـارج. فالاسـتعدادات الدائمـة للجـيش الإسرائـيلي تلنهنـا بالتسـلح بأسلحة من الاسواق الاجنبية. ومع هذا يجب ان نؤيد الرغبة في ان نكون مستقلين أكثر واقل ارتباطـا بـالتزود مـن الخـارج، وذلـك مـن خـلال تطـوير قـوة الاخـتراع في الـبلاد وابـراز القـوة التكنولوجية ومساعدة الاقتصاد الإسرائيلي. ولم افكـر مطلقـا بـان اخلـط في الهواضـيع المصـيرية هذه تقديرات تتعلـق بـالمركز الشـخصي. غـير ان بـيرس، كعادتـه، اخـذ يحفـر في الخفـاء حتـى استطاع ان يخلق مؤثرات بين هذا وذاك واستغل كـل ضـعف شـخصي ليكشـف هـذا الشـخص للضغوط. وعلى الرغم من ان رئيس الاركان تسفي تسور اراد ان يعنلنـي فـانني لم اتحـول عـن رأيي لان هذا الرأي كان يستحق الاحترام. انه كرئيس للاركان ساهم تسور كثيرا في تطـوير الجـيش الإسرائيلي خلال فترته الهادئـة. وخلـق شـبكة مـن العلاقـات الهادئـة وعهـل بـذكاء. والصـحيح ان نشاطاته كانت تستحق الاحـترام: فقـد تمكـن مـن تطـوير هواضـيع المشـتريات وتنظـيم الجـيش. وكانت قراراتـه بالنسـبة لمعالجـة الامـن الروتينـي جيـدة. وكـان مـما يؤسـف لـه انـه تعـود عـلى مجابهتي: فقد قال لى مرة: ان كل رئيس اركان تقدريبا عهل مع أكـثر مـن رئـيس لشـعبة الاركـان. فلماذا يجب على ان اعهل مع رئيس واحد فقط لشعبة الاركـان؟ ربمـا كـان يتوقـع منـي ان اقـدم استقالتي اليه، وبما انني لم احاول القيـام بـذلك اضـطر إلى القيـام بمبـادرة مكشـوفة، ففـي مطلـع عام ١٩٦٣ بعد تعيينه كرئيس للاركان بعـاهين اسـقدعاني إلى منزلـه وقـال اسـمع يـا اسـحاق لقـد اتفقنا على ان اعهـل رئيسـا للاركـان مـدة اربـع سـنوات. وهـذا مـا يريـده بـن غوريـون. وقـررت بأنني اريد رئيسا آخـر لشـعبة الاركـان وابلغـك بـانني طلبـت مـن بـن غوريـون ان يتبـدلك. اننـا رجال ولسنا صغارا. فهيا بنا ننهي الموضوع بصورة محترمة. ان من حقي كرئيس للاركـان ان اعهـل مـع رئـيس آخـر لشـعبة الاركـان واريـد الاصرار عـلى هـذا الحـق. فقلـت: تشـارا: اننـي لا

استطيع هناقشتك. سأقبل برأي بن غوريون. اريد منك ان تسمح لى بمقابلته... فاذا قال انه يقبل برأيك. فانني سأتخلى... وفي بداية آذار ١٩٦٣ قبل توجهي إلى الكونغو بيومين استقبلني بن غوريون في مكتبه في القدس. وقال رئيس الحكومة: اسحاق، لقد وعدتك بانك ستصبح رئيسا للاركان وستكون الرئيس القادم للاركان.. تذمرت.. لانني لم اذكر انني سمعت من بن غوريون مثل هذا الوعد. وواصل بن غوريون قائلا: هناك نية لتمديد فترة عهل تسور مرة أخرى. وكنت يوما ما تريد اكمال دراستك. فهذه فرصة مناسبة. فاذا قررت انك تفضل الخدمة الآن وعدم الخروج للدراسة فالقرار بيدك.

فشكرته بانفعال وقلت: سأفعل بقدر ما استطيع كرئيس للاركان. ومع كل رغبتي في الدراسة فان الطروف غير مؤاتية الان. اننا نقترب من هوعد تشغيل الناقل القطري، في نهاية ١٩٦٣ ومطلع عام ١٩٦٤. انني اتوقع ان نواجه مشاكل في المجال الامني واريد البقاء الآن في الجيش وعدم الخروج للدراسة. وقال بن غوريون كل ما تقدرره ابلغه لرئيس الاركان واهتم بان يطلع حاييم بن دافيد رئيس مكتبه على مجهل هذا الاجتماع. عندما كنت في طريقي إلى الكونغو عرجت على باريس وانتطرني بيرس الذي كان آنذاك في العاصمة الفرنسية. فاجتمعنا، وتحدثنا حول هواضيع مختلفة. ولم يستطع اخفاء ضيقه من الموضوع الذي نغص عليه راحته. وقررت ترك المبادرة اليه. واخيرا قال: انني افهم بانك اجتمعت بن غوريون: فكيف كان الاجتماع؟

اجبته: جيد جدا

سأل: ماذا كان؟

قلت: قال لى بن غوريون انني سأكون الرئيس القادم للاركان.

شمعون بيرس: وهل قال لك هذا بصراحة؟

انا: نعم بصراحة.

سأل: ومن سيكون نائب رئيس الاركان ؟

قلت: لم فتحدث عن هذا الموضوع ولكن من جانبي لا ارى اي مانع بان يكون عيزر وايزمن نائبا لرئيس الاركان. انني لن اعارض ذلك. حتى ولو لم توجد سابقة بالنسبة لتعيين قائد سلاح الجو نائبا لرئيس الاركان، فانني اوافق على تعيينه. ولكن الاحداث تطورت بشكل آخر. ففي حزيران ١٩٦٣ قرر بن غوريون ان يستقيل من منصبه كرئيس للحكومة ووزير للدفاع. وكعادته فعل ذلك بشكل مفاجئ. وهذا النبأ اصاب الجميع بالصدمة. وكان شمعون بيرس وتسفي تسور ايامها في باريس لحضور الصالون الجوي. واسقدعي بيرس فورا إلى البلاد. وتأخر تسور في فرنسا. وبصفتي رئيسا للاركان بالوكالة اسقدعيت مئير عهيت رئيس شعبة الاستخبارات العسكرية وقررنا الاجتماع ببن غوريون. وخلال اجتماعنا به تحدثنا عن شعورنا الصعب بالنسبة لقرار، بالتخلى عن رئاسة الحكومة. وحاولنا التأثير عليه من اجل ان يبقى في منصبه لصالح الامن والجيش الإسرائيلي. وقلنا له ان الجيش الإسرائيلي يعتبره الوحيد في تاريخه. وتحثت له باسهاب عن الوضع الامني. وقلت ان فرنسا تبتعد عنا والعالم العربي يتعاظم. فهل هذا هو الوقت الذي يتخلى فيه بن غوريون عن النعامة ويهجر الجيش الإسرائيلي؟! وكنت منفعلا جدا. وحتى بن غوريون انفعل. وتحدث عهيت بقدر كبير من الكفاءة والانفعال وطال الحديث. ولم يدخلنا بن غوريون في سر تقديراته التي دفعته إلى الاستقالة وقد تحدث بانفعال عن الجيش الإسرائيلي وعن حبه للجيش وجهازه البشري ولكن لم ينفع الكلام ولم يقبل بن غوريون بأرائنا على الرغم من انها كانت مؤثرة جدا حسب اعترافاته فيما بعد.

عملية التبديل جرت بسرعة. فقد عين ليفي اشكول خلفا لبن غوريون كرئيس للحكومة ووزيرا للدفاع. وفي نهاية الجلسة الاخيرة التي عقدتها هيئة رئاسة الاركان مع بن غوريون قبل تخليه بيومين أو ثلاثة ايام طلب مني ان ابقى لديه مرة أخرى. فقال انني اذكر بانني

وعدتك بمنصب رئيس الاركان القادم. وقد مررت إلى اشكول هذا الوعد. وأنا واثق وآهل بأنه سينفذه. ولا استطيع ان افعل أكثر من ذلك. فشكرته.

لقد سما اشكول قليلا إلى الاعالي، لكنه ظل مرتبطا بارضية الواقع. وكان ذا كفاءة من الدرجة الاولى في مجال معالجة كل موضوع مهما كان صغيرا. كان دائما يريد ان يستوعب ويفهم.. وكان اكبر قرار تاريخي اتخذه هو الكفاح الكبير الذي شنه من اجل شق الطريق إلى سوق الأسلحة الامريكية. ففي عام ١٩٦٣ وافقت وزيرة خارجية إسرائيل غولده مئير، ودالاس وزير الخارجية الاميركية لعقد اجتماع في شهر نوفمبر من ذلك العام لتقييم الوضع الاستراتيجي وان يشترك في هذا الاجتماع ممثلون عن إسرائيل والولايات المتحدة. وفي ذلك الوقت طرأت عدة تغييرات: فقد قرر اشكول انهاء خدمة تسفي تسور بعد قضانه مدة ثلاث سنوات فقط وان اعين أنا رئيسا للاركان وربما من اجل ارضاء بيرس وافق اشكول على تعيين عيزر وايزمن نائبا لرئيس الاركان. واتفق على ان اسافر إلى الولايات المتحدة ومعي اهارون يريف الذي سيعين رئيسا لشعبة الاستخبارات العسكرية عندما اعين رئيسا للاركان. وكان وفدنا يضم عددا من رجال الاستخبارات. ومن الجانب الامريكي اشترك مساعد وزير الخارجية ورئيس الاستخبارات العسكرية ونائب رئيس وكالة المخابرات المركزية وخبراء مختلفون من أسلحة الجيش الاميركي. وعين السفير الإسرائيلي في الولايات المتحدة ابراهام هيرمان رئيسا لوفدنا. وفي الباحثات الاولية في إسرائيل تقدرر ان نطلب هذه المرة الحصول على أسلحة هجوهية لم نتلقها حتى ذلك الوقت من الولايات المتحدة. ففي عام ١٩٦١ وعد بن غوريون بان تزود إسرائيل بصواريخ هوك للدفاع ضد الطائرات. ولكن عيزر وايزمن عارض ذلك. واما أنا فقد ايدت. ورجح رئيس الاركان الكفة إلى جانب تسلم الصواريخ. والان قررنا المطالبة بالحصول على طائرات هجوهية من نوع سكايهوك ودبابات من نوع باتون. ولكن من مؤيدي اوروبا في إسرائيل لم يخففوا ضغطهم. فقد حاولوا أكثر من مرة ان يردعونا عن توجيه هذا الطلب إلى الولايات المتحدة خوفا من ان تنفد الستودعات الاوروبية

ولكن اشكول كان حازما في قراره: يجب علينا ان نحاول شق الطريق إلى مستودعات الأسلحة الامريكية وان نفتح امام الجيش الإسرائيلي امكانية التسلح الجاد بالسلاح الامريكي.

وعندما كنا في طريقنا إلى واشنطن عرجنا على المانيا الغربية ليوم واحد للاطلاع على الدبابة الالمانية ليوبارد في قاعدة الدروع الالمانية في منستلرجار بالقرب من هانوفر.

خلال ثلاثة ايام من المحادثات مع الامريكيين اجرينا بحثا اساسيا للوضع في الشرق الاوسط ودرسنا هيزان القوى العسكرية ومتطلبات إسرائيل. وعرضنا حجم قواتنا ونظريتنا العملية التالية. ووضعنا اساسا اوليا لبناء قوي من المحادثات الجادة مع الامريكيين. وخلال السنوات التالية حصدت إسرائيل ثمارا كثيرة من الغرسة الأولى التي غرست.

اما في فلسطين فقد اعد لى عيزر وايزمن مفاجأة: نقد قرر، هكذا غردت العصافير، تعيين مردخاي هور قائدا لسلاح الجو. واعتبرت هذا القرار شاذا ويخلق سابقة خطيرة...

الباب الرابع
رئيس الاركان
حرب الأيام الستة

الفصل الأول
أمام تهديدات جديدة

تقدر ان اتسلم منصب رئيس الاركان في اليوم الاول من شهر كانون ثان ١٩٦٤. فأجريت محادثات مع عيزر وايزمن وليفي اشكول. واوضحت لوايزمن بان منصب نائب رئيس الاركان محجوز له، ولكن تعيين قائد سلاح الجو هو من صلاحية رئيس الاركان، بهوافقة وزير الدفاع، ويجب عدم المساس بهذه الصلاحية.

لقد اردت ان اعين «جعون الروم» قائدا لسلاح الجو وكانت لى تقديرات هي نفس تقديرات بن غوريون عندما قرر تعيين تسور وليس انا، كرئيس للاركان. لقد كان «الروم» وهود ضابطين ممتازين وهناسبين لاشغال منصب قائد سلاح الجو، ولكن «الروم» كان اقدم وتعيينه لا يلنم هود بالاستقالة في حين ان تعيين «هود» قبل«الروم» لا يترك امام الروم خيارا سهوى الاستقالة. واردت ان يبقى الاثنان في سلاح الجو. واوضحت تقديراتي لليفي اشكول واكدت بانني لن اوافق على ان تهلى على خطوات من قبل الشخص الذي بات من المقرر ان يكون نائبا لى. وقلت انه يجب ان يمنحني الدعم الكاهل بصفته رئيسا للحكومة ووزيرا للدفاع، وانني لا استطيع مباشرة عهلى بدون ان يكون تأييده معروفا للقيادة الكبيرة والجيش الإسرائيلي كله.

وقد قبل اشكول بموقفي. فاسقدعيت عيزر وايزمن وقلت له: ان منصب نائب رئيس الاركان بيدك. وتعيين قائد سلاح الجو بيدي. وأنا استطيع ان اقبل وارفض اقتراحك. أنا الذي ساقدرر وليس انت.

وقال عيزر وايزمن: ان سلاح الجو بالنسبة له يعد طريقة حياة. فبعد فترة طويلة من الخدمة في سلاح الجو وقيادته لمدة ٨ سنوات فانه يشعر بمسؤولية خاصة عن السلاح وإذا ما خير بين تسليم سلاح الجو إلى قائد ويعتبره هو وايزمن بأنه الشخص الانسب، وبين منع تقدمه الشخصي نحو منصب نائب رئيس الاركان، فانه سيفضل البقاء في سلاح الجو، وانه يأهل في ان لا اعارض ذلك. وقلت ان الخيار بيده. وقرر وايزمن بعد مرور وقت قصير البقاء كقائد سلاح الجو، من اجل ان يمنع بذلك تعيين الروم في هذا المنصب. وتنازل عيزر عن تعيينه كنائب لرئيس الاركان.

عاد حاييم بارليف وعين رئيسا لشعبة الاركان. واردت تعيينه نائبا لرئيس الاركان، ولكن اشكول عارض ذلك.

وعينت اهارون يريف رئيسا لقسم الاستخبارات العسكرية. وفي المجال الشخصي كان لى ما هو بمثابة التزام شخصي نحو بن غوريون. ففي الحديث الاخير الذي جرى بيننا قبل تخليه عن هناصبه وعندما قال انه نقل إلى اشكول وعده بتعييني رئيسا للاركان، فتح قلبه وقال: انك تعرف بان لى نظرة خاصة نحو ارئيل شارون. انني اعتبره احد القادة المتفوقين جدا، وكأحد المحاربين الممتازين الذين برزوا في إسرائيل. فلو على الاقل قالوا الحقيقة لكان ذلك قد ساعد ارئيل شارون على التقدم. انني اطلب منك ان لا تعاهل شارون كما عاهلوه في الماضي. ولم يفصل بن غوريون. ولكنني فهمت قصده على النحو التالي: ان رؤساء الاركان ديان ولسكوف وصور لم يرفعوا ارئيل شارون منذ حهلة سيناء. واعتقد بان بن غوريون يريد ان ادرس فيما إذا يمكن ترفيع ارئيل شارون.

لقد قررت ترفيع شارون ليس من اجل بن غوريون. كرئيس لشعبة الاركان خرجت بانطباع جيد من نشاطات ارئيل كقائد للواء الاحتياط: تنطيم اللواء وقدريبه واعداد قادته وتطوير القوة المحاربة بنجاح منقطع النظير، كل هذه الأمور ابرزت قدرة شارون. ففي الاسبوع الاول الذي مر على عهلي كرئيس للاركان اسقدعيت ارئيل وقلت له: انك رجل عسكري جيد. وهذه ميزة يعرفها الجميع. وان مشكلتك ان هناك من يدعي بانك لست انسانا. انني لا اعرفك جيدا من هذه الناحية من الصورة العامة. سأعينك لمدة عام واحد كرئيس لشعبة الاركان في القيادة الشمالية، وإذا قال قائدك المباشر في نهاية هذا العام بانك تصرفت كأنسان فانك سترفع إلى رتبة عهيد، اذن فالاختبار الذي تواجهه هو تعاونك مع قائدك. واعرب عهيد القيادة الشمالية ابراهيم يافه عن استعداده لقبول ارئيل. وصمد شارون بهذا الاختبار بصورة لا يراودها ادنى شك وبعد مرور عام عينته رئيسا لشعبة القدريب بعد ان رفعته إلى رتبة عهيد. ومع مرور النمن عينت عددا من العمداء وهم: متاي بيليد كرئيس لشعبة اللوازم، وإسرائيل طال قائدا لسلاح الدروع ودافيد العازار عهيدا للقيادة الشمالية. بالاضافة إلى حاييم بارليف كرئيس لشعبة الاركان واهارون يريف كرئيس للاستخبارات العسكرية وعيزر وايزمن قائدا لسلاح الجو وتسفي زهير عهيدا للقيادة الجنوبية الذي استبدل فيما بعد بيشيعياهو جفيش وغيرهم. وشعرت بأنه توجد لدي قيادة عامة ممتازة استطيع ان اعهل معها بتنسيق وتعاون.

****

في نطام الحكم الصحيح لا يتخذ رئيس الاركان قرارات في المجال السياسي. وكغيري لم تكن لدي اية رغبة كهذه، ولكن على قائد الجيش الإسرائيلي ان يطرر حساسية عالية نحو كل موضوع سياسي وعليه ان يفهم بصورة اساسية الخارطة السياسية المحلية والعالية التي تؤثر احداثها على الوضع السياسي في إسرائيل وعلى استعداد ومهام قواتها المسلحة.

في الشهر الاول الذي مر على عهلي كرئيس للاركان، في كانون ثان١٩٦٤ عقد مؤتمر قمة عربي كان له تأثير بعيد المدى على تطور العلاقات بين الدول العربية وإسرائيل. وربما كان هذا اهم مؤتمر قمة عربي يعقد منذ حهلة سيناء. وعلهنا من المعلومات الاستخبارية التي كانت لدينا ان العالم العربي راى بتشغيل الناقل القطري للهياه اضافة قوة، وتحقيق تفوق اقتصادي هائل لإسرائيل. ومنذ مطلع الخمسينات كافح العرب ضد كل معاولة إسرائيلية لتحويل هياه نهر الاردن. لقد اردنا ان ننقل عبر الناقل القطري حوالى ٣٠٠ هليون متر مكعب من الهياه سنويا ونسب العرب له اهمية سياسية مؤثر جدا. وفي شهر كانون ثان- شباط ١٩٦٤ كان المشروع جاهزا للعهل. وقد جعل عبد الناصر من مقاومته للناقل القطري رافعة ليظهر بواسطتها زعامته في العالم العربي وخاصة لنيادة نفوذه في سوريا بعد ان كانت الوحدة بين الدولتين قد انحلت واصبح الاقليم الشمالى مستقلا. خلال هذا المؤتمر اتخذ العرب قرارا يقول: ان العرب غير قادرين على شن الحرب على إسرائيل، بسبب تشغيل الناقل القطري ولكن يجب عليهم احباط مشروع التحويل. ومن ناحية أخرى يجب عليهم ان يتقووا من الناحية العسكرية استعدادا لخوض مجابهة شاهلة مع إسرائيل. كما قرر العرب في مؤتمرهم الذي عقدوه في القاهرة، تنفيذ مشرور تحويل عربي لاحباط مشرورع التحويل الإسرائيلي.

هناك قرار اخر اتخذه هذا المؤتمر يتعلق بالقضية الفلسطينية. لقد بدأ الفلسطينيون ييأسون من تأييد العالم المنظم والنعماء العرب ادركوا انهم قد فقدوا احد الأسلحة الهامة في المعركة السياسية ضد إسرائيل. واتخذت قمة القاهرة ايضا ثلاثة قرارات عملية وهي:

أ- اقامة قيادة عربية مشتركة وتعجيل تعاظم القوة العسكرية في الجيوش العربية من خلال التنسيق فيما بينها بواسطة القيادة العربية المشتركة.

ب- تنفيذ مشروع تحويل عربي لمصادر نهر الاردن في المناطق التي توجد فيها المصادر خارج المجال السياسي «لسيادي» لإسرائيل. وهذه المصادر هي الحاصبانى وبانياس اللذان يزودان ما بين ٤٠ – ٥٠% من هياه مصادر نهر الاردن سنويا وبذلك اراد العرب احباط مشروع التحويل الإسرائيلي وبدون اجتياز خطوط الحدود وبدون

التورط من جهتهم بهجوم عسكري اذ انه إذا توقفت مياه الحاصباني وبانياس من الوصول إلى فلسطين فان مشروعنا لن يستطيع الصهود.

ج- احياء اساس الكيان الفلسطيني وبناء وسائل يمكن بواسطتها ايجاد تعبير سياسي وعسكري له.

ان اصطلاح منظمة التحرير الفلسطينية قد خلق في مؤتمر القمة العربية الذي عقد في كانون ثان ١٩٦٤ كما تقدرر في هذا المؤتمر اقامة سر التحرير الفلسطيني. ولاول مرة يقام اطار سياسي فلسطيني برئاسة احمد الشقيري على المستوى السياسى واقيمت قيادة عامة لجيش التحرير الفلسطينى وتقدرر ان تشكل وحدات هذا الجيش في نطاق كل دولة من الدول العربية وتكون جزءا من جيش الدولة تحت اشراف القيادة الرئيسة للجيش الفلسطيني وتنسق معها.

في هذا المؤتمر وبعده لمع نجم الرجل الذي كثر ذكر اسه بامتعاض: ياسر عرفات. فقد كان عرفات يعتبر الشقيري بأنه معقدل أكثر من اللازم. وقد شكل منظمة فتح وقال بان على وحدات القاومة الفلسطينية ان تحارب إسرائيل يوهيا وان تبرهن للعالم اجمع بان القضية الفلسطينية حية بواسطة الكفاح المستمر. وقال عرفات انه يجب عدم التهييز بين الاهداف العسكرية والدنية في إسرائيل. فالكل هدف، سواء كان عسكريا ام مدنيا، ويستحق الهجوم عليه... في مجال الامن الدارج كانت سوريا وبقيت اصعب مشكلة. ففي حين ان مصر لا تريد استئناف النشاطات وبذلت كل ما في وسعها لمنع تحويل قطاع غزة وسيناء إلى قاعدة للعهل الفدائى ضد إسرائيل، استمر السوريون خلال عام ١٩٦٤ في تسخين الجبهة الشمالية في سياستهم المتصلبة: اطلاق نيران المدفعية، واستخدام الدروع، ولو بصورة محدودة وتشجيع منظمة فتح على تنفيذ عملياتها الاولى. وفي ١٦ كانون ثان ١٩٦٥ عثر لاول مرة على عبوة ناسفة بالقزب من عبارة هياه منصوبة فوق قناة الناقل القطري ولم تنفجر. وخلال عام ١٩٦٥ نفذت فتح حوالي سبع عمليات أخرى.

في رئاسة الاركان العامة قهنا بوضع سياسة ردود الفعل للجيش الإسرائيلي اعتمدت على مبدأين: هلاءمة العملية في كل حالة مع طابع تصرف الحكومة والسكان في الواجهات المختلفة وتخطيط وتنفيذ العملية باقل ثمن ممكن من ناحية الخسائر في جنودنا. وقد هيزنا بين سوريا من جهة، وبين الاردن ولبنان من جهة أخرى. ففي سوريا لا يمكن تنفيذ النشاطات ضد إسرائيل بدون تشجيع ودعم كاهل من قبل الحكومة على المستويات السياسية والعسكرية العليا. فاقهنا في الشمال وحدة خاصة للعهل ضد الفدائيين. وبواسطة اجهزة متطورة من اختراع الإسرائيليين ومن المشتريات من الولايات المتحدة حاولنا تحسين وسائل الكشف والانذار المسبق ضد تسلل الفدائيين. ولكن الاعمال الوقائية فقط لم تكف مطلقا. وكان يجب علينا ان ننفذ الاعمال الانتقاهية ضد سوريا، ضد اهداف حكوهية عسكرية أو مدنية.

ولكن هواطني سوريا والاردن في مناطق الحدود قد ساعدوا الفدائيين وآووهم، وهناك عمليات بالاخص ضد اهداف مدنية وليست حكوهية. من اجل ردعهم عن التعاون مع الفدائيين ومنع المساعدة للذين يعقدون على إسرائيل، وخلال سلسلة من العمليات الانتقاهية التي نفذت ضد الاردن ولبنان والتي بلغت ذروتها في عملية «السهوع». وانني لا استطيع القول بان العمليات الانتقاهية قد منعت العمليات الفدائية. ان المشكلة التي كانت أكثر تعقيدا في ذلك الوقت هي مشكلة الحدود الشمالية. ففي شهر نوفمبر ١٩٦٤ اي اقل من عام بعد انعقاد مؤتمر القمة العربي بدأ السوريون بحفر نفق وقناة هدفهما حجز هياه نهر الحامباني في لبنان وتحويلها إلى نهر اليرموك. ومقابل ذلك اراد العرب رفع هياه بانياس وتوجيهها بواسطة تلك القناة إلى نهر اليرموك. وقد وضعت هذه الخطة من قبل شركة هندسية وكانت معقولة من الناحية الهندسية. ودار في إسرائيل جدل صاخب حول كيفية التصرف. فقد صرح رئيس الوزراء ليفي اشكول علنا بان إسرائيل لن تسلم بنوايا العرب لحرمانها من الماء وانها ستعهل على احباط مشروع التحويل العربي. وكان هناك من اعتقد بان

الطريقة الوحيدة لمنع السوريين من تنفيذ مشروع التحويل هي ان تسيطر إسرائيل على المناطق التي ستمر فيها قناة التحويل وعلى الاقل منطقة البانياس وسفوح جبل الشيخ. وإذا لم نتصرف كذلك فانه لا يمكن منع السوريين من تنفيذ مشروع التحويل. وحتى موشة ديان الذي كان آنذاك عضو كنيست من الدرجة الاولى نشر مقالا في صحيفة «هارتس» زعم فيه انه لا مفر من الحرب إذا كانت إسرائيل تنوي منع تنفيذ مشروع التحويل. لكنني اعتقد شيئا آخر وبحثت عن طرق لمعالجة الموضوع دون ان يترتب على ذلك شن حرب. وقد تناسيت نيتي ونية المستوى السياسي: عدم جر إسرائيل إلى الحرب، في الوقت الذي كنا فيه منكبين على بلورة هذه الطريقة، تحول انتباهنا، بقلق إلى حادث رماية وحيد كشف ضعف الجيش الإسرائيلي الهذهل. ففي الثالث من تشرين ثان ١٩٦٤ وخلال اشتباك وقع في منطقة تل دان اطلقت دباباتنا لمسافة ٧٠٠ - ٨٠٠ م كهيات هائلة من الذخيرة واخطأت ولم يكن دافيد العازار قد مضى عليه في ذلك الوقت كقائد للقيادة الشمالية سوى اسبوع واحد فاسقدعيته، هو ورئيس شعبة الاركان حاييم بارليف وقائد سلاح الدروع يسرائيل طال إلى عقد احد الاجتماعات الكئيبة والهوجعة. وكنا نشعر جميعنا بان هناك شيئا غير سليم في الجيش. وعندما قلت لا يمكن ان يكون هذا هو مستوى الجيش الإسرائيلي علمت بانني اؤلم نفسي وزهلائي بالكلمات دونما ضرورة. لقد كنا متألهين بدون الكلمات. وقام العهيد طال بتعيين لجنة تحقيق قبل ان يسقدعى الى: لقد كان قلقا جدا لكنه طمأن نفسه لبحث اسباب الفشل. وقد خيبت آمالنا ايضا قدرة المدافع المضادة للدبابات: لقد كادت هذه المدافع ان تصيب دباباتنا واكتفت باصابة اهداف إسرائيلية في المنطقة. ولكن لا توجد شركة تأهين في العالم تضمن عدم وقوع نكسات كهذه. فالجيش الجيد والقيادة المناسبة يختبران في مجال قوتهما على اصلاح الاخطاء. وقد تم استخلاص العبر بكاهلها. والقدريبات الاساسية، وادخال التحسينات الفنية رفعت بنسبة عالية جدا مستوى مدافع الدبابات ووضعتها في افضل المراتب في العالم. وبعد مرور عشرة ايام اي في ١٣ تشرين ثان انزل السوريون ضربة مدفعية شديدة بالمستوطنات دان، وشآريشوف. وفي محادثات مطولة مع ليفي اشكول، قبل هذا القصف، اقنعته بأنه يجب علينا

اعتبار سلاح الجو سلاحا ضروريا لاسكات المدافع السورية. وقد وافق على شرط ان اطلب منه الموافقة على عملية سلاح الجو عندما يزداد الوضع خطورة.

يوم ١٣ تشرين ثان ١٩٦٤ اخذ السوريون يطلقون النار بصورة عشوائية. واصيب العديد من المستوطنات. وأخذت ابحث عن اشكول. فوجدته يتناول طعام الغداء عند السيدة فاره وايزمن في بيت الرئيس الراحل وايزمن في رحوبوت. فاتصلت به هاتفيا وسرحت له الوضع وطلبت منه الموافقة على استخدام سلاح الجو. وسألني اشكول فيما إذا كانت لا تستطيع مدفعيتنا اسكات المدفعية السورية. واجبته بالنفي وساد الصمت عدة ثوان وارتبك رئيس الوزراء وقال أنا موافق فاتصلت مع قيادة سلاح الجو وقالوا لى ان عيزر في البيت. وابلغته بأنه توجد موافقة لاستخدام سلاح الجو، فاسرع عيزر إلى موقع القيادة فمرر امرا قصيرا وشديدا. اطلق الطائرات الإسرائيلية في عهليتها الاولى لاسكات المدفعية السورية في هضبة الجولان. منذ الآن فصاعدا سيدرس السوريون بحذر كبير استخدام مدفعيتهم ولكنهم لن يتنازلوا عن مواصلة نشاطاتهم لتحويل مياه نهر الحامباني والبانياس لاحباط تشغيل الناقل القطري الإسرائيلي.

بلورت خطتي العملية. فاسقدعيت رئيس شعبة الاركان وقائد سلاح الدروع وقائد القيادة الشمالية وسألتهم: هل تستطيع مدافع دباباتنا على مسافة ابعد من ١٢٠٠ م ان تصيب المعدات الهندسية الثقيلة السورية في سفوح جبل الشيخ شمالي تل دان؟ لقد كانت الفكرة بسيطة: وهي تنص على وضع دباباتنا في مواقعها في تل دان واستغلال اي حادث عادي لضرب المعدات الهيكانيكية السورية التي تقوم باعمال التحويل. وقد علم اشكول بكافة تفاصيل خطتنا ووافق عليها. وفي ذلك الوقت كان يوجد في إسرائيل «اورال ماريما» و «روبرت كومر» بمهمة من قبل الولايات المتحدة لاجراء محادثات سياسية. ورأى رئيس الحكومة في زيارتهما هذه فرصة أخرى لاقناع الضيوف بان تفتح الولايات المتحدة مستودعات اسلحتها امام إسرائيل.

اقترحت على اشكول ان اطير جوا مع الامريكيين لاطلاعهما على منطقة التحويل العربية وبهذه المناسبة، ما هو بمثابة اختبار للرد الامريكي، اقول لهما باننا قادرون على احباط مشروع التحويل العربي عن طريق ضرب المدفعيات الثقيلة بدون ان نجتاز الحدود مطلقا. وقد ارتاح اشكول جدا عندما قلت له ان هاريما وكومر لم يردا مطلقا... وعرض الخطة بكاهلها على اللجنة الوزارية لشؤون الامن للمصادقة عليها. في اليوم المخصص للعملية توجهت إلى كفار يوفال وراقبت من على برج للــهياه منطقة الهدف. وقد وضعنا في الدبابات التي كلفت بضرب المعدات السورية افضل مدافع وضباط سلاح الدروع. وقد قهنا بالقضاء على المعدات السورية خلال وقت قصير وانزلنا بها ضربات دقيقة واستخدهنا ضدها انواعا من الذخيرة المسببة للحرائق. وقد وصفنا العملية بانها حادث تبادل رماية. واصيبت خلاله المعدات السورية. وقد انتهت محاولة سورية أخرى لاستخدام هذه الاليات بنتانج مشابهة. وقد فهم السوريون الاشارة ونقلوا عمليات التحويل إلى مناطق ابعد. وقهنا بتنفيذ سلسلة من العمليات الأخرى ضد المعدات الهندسية الخاصة بمشروع التحويل وكانت آخرها في تهوز ١٩٦٥. ان قدرة الدبابات على الاصابة الجيدة على مسافة أكثر من ٤ كلم، بالتعاون مع سلاح الجو اقنعت السوريين بأنه قد حكم على عمليات التحويل بالفشل وفي عام ١٩٦٥ نفسه توقفت محاولات تنفيذها. وفي لبنان قهنا بتنفيذ عملية واحدة ضد محاولة لبناء سد شمالي منطقة الحاصباني. وفهم اللبنانيون الاشارة واوقفوا العمل. وقد تم اسكات عمليات التحويل دون ان تكون هناك ضروة لغلق تصعيد حقيقي للقتال على الجبهة الشمالية.

ولكن السوريين لم يهدأوا ولم يستريحوا. فقد اشقدت نشاطاتهم حتى حرب حزيران في ١٩٦٧ شهدنا تصعيدا مستمرا في حجم القوات المشتركة في الحوادث وانوار نشاطاتها. و-بلغت المعارك الجوية ذروتها في السابع من نيسان ١٩٦٧ في اشتباك وقع مع طائراتنا اسقطت خلاله ٦ طائرات سورية في منطقة تل كتسير وهاون وقد راقبت هذه المعركة الجوية من موقع القيادة. وقد سمحت سياستنا آنذاك لطائراتنا وحسب الحاجة بمطاردة طائرات العدو التي

تهاجم اهدافا في إسرائيل داخل الاراضي السورية حتى دمشق. وجميع هذه العمليات المتمثلة بمنع تسلل الفدائيين والقيام باعمال انتقاهية ضد تسللهم، والنشاطات لاحباط مشروع التحويل السوري، والنشاطات المدفعية والجوية منحت الجيش الإسرائيلي تجربة عملية وقتالية وحسنت من مستواه، ولكن بدون تعاظم في القوة كما ونوعا فانه من المشكوك فيه ان نكون قد احرزنا الانتصار في حرب حزيران.

خلال زيادة قوتنا العسكرية اعطينا حق الاولوية بالمال والوسائل لسلاح الجو: فقد زودنا، بطائرات جيدة واقامة جهاز انذار ودفاعات جوية من صواريخ هوك ومدافع تعهل بواسطة الرادار وزيادة قوة النقل الجوي.

كما اننا لم نوفر جهدا في مجال دعم سلاح الدروع: فقد اشترينا دبابات حديثة ووصلت الينا اوائل دبابات الباتون والسنتوريون. وقهنا بتحديث للدبابات الهوجودة في ايدينا وحسنا نوعية اجهزة الصيانة واعطينا الاولوية للمدفعية المتحركة واستخدهنا اجهزة اتصال جديدة ووسائل مساعدة لنيادة حركة اجهزة الدروع.

وفي عام ١٩٦٥ قررنا بعد بحث معقد تغيير شكل سلاح البحرية: ان نتخلص من المدمرات القديمة والانتقال إلى شراء النوارق الحاهلة للصواريخ. وفي ذلك الوقت لم يصل الصاروخ جبرئيل إلى عملية التحديث النهائية. وكان واضحا انه لا يوجد اهل امام المدمرات للصهود امام سفن الصواريخ الروسية التي زودت لمصر وسوريا. ان مصادر المشتريات لم تكن متنوعة. فقد استطعنا شراء الطائرات من فرسا. ولكن فرنسا لم تكن تمتلك دبابات ما عدا MX_13 وهو نوع متأخر جدا ولم يتناسب ومتطلباتنا خاصة وان السوفيات زودوا مصر وسوريا بدبابات حديثة من نوع تي ٥٤ وتي ٥٥. وقد استطعنا شراء دبابات سنتوريون من بريطانيا ولكن بعدد قليل جدا.

وهنا ازداد الشعور بأنه بدون مصادر مشتريات امريكية لن نستطيع توزين تعاظم القوى العسكرية لدى العرب. عندما اسقدعي ليفي اشكول لنيارة واشنطن في حزيران ١٩٦٤فياول زيارة رسهية يقوم بها رئيس حكومة إسرائيلى إلى الولايات المتحدة للاجتماع بالرئيس جونسون ركزنا مطالبنا على نوعين رئيسين: وهما طائرات سكايهوك وهي طائرات مهاجمة تقل سرعتها عن سرعة الصوت ولكنها ذات قدرة فائقة على حهل القنابل وهذه القدرة تصل إلى اربعة اضعاف قدرة طائرات الميراج الفرنسية، ودبابات من نوع باتون م ٤٨. اننا لم نؤمن في ذلك الوقت باننا سنحصل على الدبابة الاهيركية المتقدمة جدا باتون م - ٦٠ وقد حظي اشكول بنجاح واستطاع ان يبشرنا بعد عودته بان الرئيس جونسون وعد بدراسة مطالبنا بالايجاب. ولكن الولايات المتحدة اضافت شرطا آخر لهوافقتها وهو: ان الولايات المتحدة لا تنوي ان تصبح الهورد الرئيس للأسلحة إلى إسرائيل وانها ستزود إسرائيل بهذه المعدات فقط إذا ما اتضح انها لا تهلك مصر تزويد آخر. وعليه فقد استطعنا ان نستمد الارتياح من احتمال الحصول على طائرات سكايهوك التي لم يكن لها مثيل في اي بلد من البلدان وقصد بها ان تمنح سلاح الجو قدرة قصف مكثفة وان تحل محل طائرات الاوروجان والفوتور الفرنسية القديمة.

وعلى الرغم من الهوافقة المبدئية للرئيس جونسون فانه مازالت تقف اماهنا حواجز غير قليلة ولكن عبد الناصر النعيم المصري قد ساعد في ازالة هذه الحواجز: ففي نطاق القيادة العربية المشتركة تقدرر زيادة التسلح العسكري في الدول العربية، وقد ضغط الاردن على الولايات المتحدة لتزويده بطائرات في ١٠٤ ودبابات باتون.

وقرر جونسون الرجل السياسي ان يربط هذا بذاك اي تزويد الأسلحة لإسرائيل والاردن وان يزيل بذلك معارضة إسرائيل واصدقائها في الولايات المتحدة لتسليح الاردن وكان التسلح في البداية نقطة، نقطة ولكن مع مر النمن اصبح بحجم زائد باستمرار وفتحت امام إسرائيل مصادر المشتريات الاهيركية إلى حد ان الولايات المتحدة تعهدت بصراحة وعلنا بالتزام بعيد الاثر وهو توزين القوى بين إسرائيل وجاراتها في الشرق الاوسط.

ان مفترق الطرق التاريخي منح الولايات المتحدة في تلك الفترة دورا هاما وحاسما في هـذا القسم من العالم وهو الشرق الاوسط: فالمحاولة اليائسـة التـي قامـت بهـا الـدولتان العظهيـان سابقا فرنسـا وانكلـترا لتسـتعيدا لنفسـيهما في حهلـة سـيناء ١٩٦٥ المكانـة والنفـوذ في المنطقـة وضعت امامهما جبهة هوحدة مكونة من الدولتين العظهيين في الوقت الحاضر وهما: الولايـات المتحدة والاتحاد السوفياتي. ولكن بناء على طبعها فقد كان هذا التحالف مؤقتا. فتعزيز مكانـة الاتحاد السوفياتي في منطقة الشرق الاوسط فرض على الولايات المتحدة مهمة المجابهة من اجل ضمان موقعها في الشرق الاوسط ومن اجل عدم اباحته للسيطرة الروسية.

ان المصالح الاستراتيجية للولايات المتحدة في الشرق الاوسط واعتمادهـا عـلى الـنفط الـذي تنتجه دول هذه المنطقة، منعت سلفا الولايـات المتحـدة، هـذه الدولـة العظمـى ان تضـع كـل ثقتها في إسرائيل وتهجر نفوذها في الدول العربية. وعـلى الـرغم مـن اننـا كنـا نهيـل احيانـا إلى التمسك بالاوهام الحلوة، فقد عرف على الاقـل الواعـون بيننـا بـان هـذه الاوهـام مصـيرها إلى النوال. ان إسرائيل لا تستطيع ان تكون «بنتا وحيدة» للولايات المتحدة في الشرق الاوسط.

هنـاك ناحيـة أخـرى، خيمـت لسـنوات طويلـة كظـل يعكـر صـفو العلاقـات الاهيركيـة الإسرائيلية وهي «الموضوع الذري». وبشكل خاص في عهدي كنـدي وجونسـون. وخـلال فـترات متأخرة جدا اخذت الادارات الحكوهية الاهيركية تشـك وتشـتبه بإسرائيـل وبهواضـيع البحـث، الذري الإسرائيلي سواء كانت في ناحال سوريك أو ناحال ديهونا. لقد ازداد اهتمام إسرائيل بفتح طريق لها إلى مستودعات الأسلحة الاهيركية منذ اللحظة التي اصبحت منبوذة في نظـر الـرئيس الفرنسي ديغول ومنذ اصبحنا نخشى بأنه لا يمكن ان نعتمد على المـدى الطويـل عـلى الصـداقة الفرنسية.

فخلال محادثات اشكول - جونسون في حزيران ١٩٦٤ اراد اشكول ان يجـس النـبض: فـاذا ما تعرضت إسرائيل إلى هجوم من جانب جميع الـدول العربيـة فهـل تهـب الولايـات المتحـدة مستعدة لمساعدتها بواسطة الاسطول السادس وطائراته؟ وعـلى الـرغم مـن انـه كـان بالامكـان

الخروج بانطباع من خلال رد الاميركيين على هذا النوال، بأنه في حالات معينـة يمكـن ان نتوقـع الحصول على مساعدتهم فانهم امتنعوا بشدة عن الالتزام علنا. وفي اعقاب زيارة اشـكول اتفـق على اجراء اتصالات بين إسرائيل والاسـطول السـادس. وفي ٢ تشريـن ثـان ١٩٦٤ هبطـت طـائرة امريكية اقلعت من على حاهلة الطائرات «اند بندنس» في احد المطـارات في إسرائيـل. وعنـدما اقلعت هذه الطائرة من إسرائيل حهلت معها نائب وزير الدفاع شـمعون بـيرس ورئـيس قسـم الاستخبارات العسكرية العهيد يريف، وقائد سلاح الجو العهيد وايـزمن، وقائـد سـلاح البحريـة العهيد بن نون وعددا آخر من كبـار الضـباط وأنـا مـن ضـمنهم. وعـلى بعـد عـدة مئـات مـن الكيلـومترات في البحـر الابـيض هبطنـا عـلى ظهـر حاهلـة الطـائرات الذريـة التابعـة للاسـطول السادس. واستقبلنا هناك قائد الاسطول السـادس. واقهنـا عـلى ظهـر السـفينة مـدة ٢٤ سـاعة. وشهدنا استعراض قوة قامت به القطع البحرية التابعة للاسطول السادس بما في ذلك الـعشرات من الطائرات. وكانت قوة هجوهية سواء على مستوى المهام الدولية أو عـلى مسـتوى القـدخل في عملية محددة هذهلة جدا. لم فتحدث خلال تلك الليلة مطلقا عن هواضـيع عمليـة أو عـن خطط مشتركة بين الجيش الإسرائـيلي والاسـطول السـادس ولكـن مـن الواضـح ان النيـارة بحـد ذاتها، والمحادثات، والاستعراض البحري، والاجتماعات مع قادة الاسراب، ومشاهدة عرض خـاص لانواع الطائرات المختلفة ومهاجمة اهـداف مختلفـة مـن حاهلـة الطـائرات، كـل هـذه الأمـور جاءت لتطلعنا على القوة الكامنة في الاسطول السادس وقدرته إذا ما اتخذ فعلا القرار السياسي والرامى إلى جعل الاسطول السادس عنصرا ذا وزن رئيس في القدخل والـذي يمكـن لهـذه القـوة العسكرية ان تنفذه في حالة وقوع حرب بين الدول العربية وإسرائيل.

لقد كانت كل حاهلـة طـائرات تحهـل معهـا أكـثر مـن ٨٠ طـائرة نصـفها مـن طـائرات الفانتوم. وهناك حاهلتان للطائرات هوجودتان باسـتمرار مـع الاسـطول السـادس وفي حالـة الطوارئ يمكن تعزيزها بحاهلة طائرات ثالثة، خـلال عـدة ايـام. ان ١٦٠ أو ٢٤٠ طـائرة مـن

نوعية لم تكن مثلها في تلك الايام لدى اطراف النزاع قد ابرزت قوة الولايات المتحدة ووزنها في هذه المنطقة.

انه من غير المستبعد ان يكون الاميركيون قد خصصوا لنيارتنا للاسطول السادس هدفا آخر: وهو اقناع إسرائيل بان تزويد الطائرات لسلاحنا الجوي لم يكن الطريقة الوحيدة لحماية إسرائيل من هجوم مشترك عليها بدعم من السوفيات. وبصورة التلهيح فقط ولكن ليس بطريقة واضحة وصلنمة قال لنا الامريكيون انه حتى بدون تزويد إسرائيل بالطائرات فانهم يمتلكون الوسائل الكافية لحمايتها.

منذ حهلة سيناء وبتأثير محض من بن غوريون وحتى حرب الايام الستة عام ١٩٦٧ اعتمدت إسرائيل على النظرية القائلة انه يجب على إسرائيل ان لا تكون هي المبادرة إلى مجابهة شاهلة مع العرب دون ان تضمن سلفا تأييد ومساعدة إحدى الدول الكبرى. وحتى الدرس السياسي السلبي الذي ترتب مراحة على نتائج الاشتراك البريطاني - الفرنسي - الإسرائيلي في حهلة سيناء، لم يردع إسرائيل عن الاعتماد على الاشتراك مع قوات دولة عظمى.

ان محاولات الامريكيين لاقناعنا بعدم معارضة تزويد السلاح الامريكي للاردن، لم تجد لدينا اذانا صاغية فرجل مجلس الامن القوهي في الولايات المتحدة روبرت كومر وصاحب المكانة الكبيرة السفير المتجول افريل هاريمان حبذا خلال زيارتهما لإسرائيل في مطلع ١٩٦٥ كل تفسير ممكن. وقد رفضنا. ولم نعر تهديدات هاريمان بان الولايات المتحدة سوف لا تعير الشرق الاوسط اي اهتمام. وعندما استمرينا في التمسك في آرائنا باننا سنسلك كافة الطرق ضد تسليح الاردن حتى ولو ان هذا معناه ان الاردن سيتحول إلى المصادر السوفياتية غير هاريمان سياسته وسحب من جعبته اقتراحات مغرية: فقال ان الولايات المتحدة مستعدة لتغيير سياستها وان تبيع إسرائيل طائرات ودبابات ومدافع ومن انواع أسلحة هجوهية.

اذن ستلغى القيود المفروضة على بيع إسرائيل أسلحة ما عدا الدفاعية فقط. ولكـن هنـاك عدة شروط: اولا تمتنع إسرائيل عن تجنيـد اصـدقائها في الولايـات المتحـدة ضـد تزويـد السـلاح الامريكي للاردن على الرغم من انها لا تستطيع ان تعلن هوافقتها فانه يدرك بأنه مـن الضروري التوكل إلى تفاهم استراتيجي بين الولايات المتحدة وإسرائيل مبني على ثلاث نقاط وهي:

١- امتناع إسرائيل عن القيام بحرب وقائية ضد العرب.

٢- عـدم قيـام إسرائيـل بعمليـة عسـكرية شـاهلة ضـد مشـاريع التحويـل العربيـة لهيـاه الحاصباني وبانيـاس، وتحـول تحقيـق مآربهـا بـالطرق السياسـية بمـا في ذلـك تقـديم شكوى إلى الامم المتحدة.

٣- تلتزم إسرائيل بان لا تصبح دولة ذرية ذات سلاح نووي. وإذا ما قبلـت إسرائيـل هـذه الشروط والقيود سيتوجه وفد منها إلى الولايـات المتحـدة لبحـث متطلبـات إسرائيـل من الطائرات والدبابات والمدافع.

وقد رحبنا بالتغيير الذي طرأ على السياسة الامريكية وبهوافقة الولايات المتحدة على بيعنا أسلحة من جميع الانواع. واضفنا انه يجب عدم المماطلة ونحن نريد ردا عـلى طلباتنـا خـلال ٦ اسابيع ولكننا لسنا على استعداد للالتزام بمسألة الحرب الوقائية. اننا سنبذل كل جهد من اجـل تسوية النزاع بالطرق السليمة ولكن ان نقيد ايدينا سلفا وبصورة التـزام بالامتنـاع عـن الحـرب الوقائية مهما كانت الظروف فان هذا له معنى واحد وهو: سلبنا حقنا في الـدفاع عـن الـنفس. وعلى هذا لا نستطيع الهوافقة وهنا قمت بالحديث بالتفصيل عن الفجـوات في هيـزان القـوى بين إسرائيل والعرب. فقفز كومر من مقعده وقـال باسـتغراب إذا كـان الامـر كـذلك، فلـماذا لا يهاجهونكم فورا؟! وهنا هدأه ماريان المجرب: وقال لست عسكريا ولم نـأت لنبحـث التفاصـيل في هذه المرحلة وانما لبحث تقييمات شاهلة للوضع.

وعن موضوع المياه قلنا لهم: انه يمكن ان نجد حلا بالطرق السلمية ولكن إذا اصر العرب على تصلبهم وقرارهم لعرقلة عهل الناقل القطري للمياه الحيوي لنالا وفي هذه الحالة لا نجد بدا من استخدام القوة العسكرية، فاننا سنعهل بطريقة لن تجر الشرق الاوسط إلى مجابهة شاملة. ونتيجة للحديث مع المبعوثين الاهيركيين استطعت أنا واشكول ان نأتي إلى اللجنة الوزارية لشؤون الامن وان نقنع اعضاءها بالموافقة على عملياتنا لتدمير المعدات السورية.

لقد كان كومر وهاريمان متشددين في مجال السلاح الذري. فلم يخففا الضغط علينا. وقولنا: ان رئيس الحكومة ليفي اشكول قال في زيارته الاخيرة للولايات المتحدة ان إسرائيل لن تكون الدولة الاولى التي ستدخل السلاح الذري إلى منطقة الشرق الاوسط لم يكن كافيا. وطلب كومر عقد اجتماع خاص بي، فحضر إلى مكتب الاركان واستخدم لغة شديدة تضمنت بعض التهديد: فقال إذا سارت إسرائيل بهذا الاتجاه فانها قد تتسبب في اخطر ازمة تسود العلاقات الاهيركية الإسرائيلية في يوم من الايام. وحاولت تخفيف قلقه وقلت ان تصريح رئيس الحكومة هو السياسة التي نسير بهوجبها. وقلت ان مندوبيكم يقوهون بزيارة الفرن الذري الإسرائيلي في ديهونا. وانتم تعرفون جيدا ما يحدث هناك، واما الفرن الذري في سوريك فهوجود تحت رقابة الوكالة الدولية للطاقة الذرية في فينا. وهناك اتفاق مكتوب اختتهنا المحادثات الطويلة (في حرب الايام الستة اجتازت حوالى ٢٠٠ دبابة نهر الاردن لمساعدة مصر وسوريا في حربهما ضد إسرائيل) ووعدنا بالحصرل على طائرات سكايهوك وما يتراوح بين ٢٠٠ - ٢٥٠ دبابة نتسلم بعضها من اوروبا.

والتزم الامريكيون بتزويدنا باجهزة تحويل من محرك بنزين إلى محرك ديزل ومن مدفع ٩٠ هلم إلى مدفع ١٠٥ ملم وذلك من اجل اطالة وقت عهل الدبابة بدون التزود بوقود وتحسين نوعية المدفع. كما تحدثنا عن امكانية تزويدنا بدبابة متطورة أكثر من طراز M.48_A2C ولم فتحدث بعد عن الدبابة الاحدث M.60 واتفقنا على اننا نفضل الدبابة من نوع A.2.c التي توفر لنا الاستعداد الفوري بسبب محركها المحسن وامكانية تحويل المدفع والمحرك في هوعد

لاحق. وفي نهاية الامر اعطونا دبابات من انواع مختلفـة: حـوالى ٦٠ دبابـة مـن نـوع A.I الاقـل جودة منها وانضـمت إلى التسـعين دبابـة التـي حصـلنا عليهـا قبـل ذلـك. وكانـت بعـض هـذه الأسلحة بحاجة إلى الاصلاح الكاهل بما في ذلـك تركيـب اجهـزة التحويـل وهـي عمليـة تسـتمر حوالى عام في مشغل سلاح التسليح. وقد استخدمت الدبابات التي وصلت اولا لقـدريب رجـال الدبابات ورجال الصيانة. ولسوء الحظ اننا لم نتمكن ان نشكل من هذه الدبابات بشكل عهـلي سوى كتيبتين من دبابات A.2.C وسرية دبابات أخرى بعد التحويل من دبابات باتون الامريكية عندما وصلنا إلى حرب الايام السـتة. ان الحـل الامـريكي، في تلـك المرحلـة، خفـض تعـاظم قـوة الجيش الإسرائيليي. على الرغم من ان الجهد الرئيس في تلك الفـترة كـان مركـزا عـلى بنـاء قـوة دروع متحركة وخاصة عن طريق زيادة عدد الدبابات، عرضت في شهر كـانون ثـان ١٩٦٤ عـلى رئاسة الاركان خطة لنيادة القوات المنقولة جوا. وقد اعتمدت هذه الخطة على الافتراض القائل انه يجب بناء قوإت مظليين كبيرة. وقوة كهذه، التـي لا يعتمـد اشـتراكها في القتـال فقـط عـلى النقل في الطائرات والهبوط بـالمظلات سـتكون قـوة نوعيـة وعـلى مسـتوى تريـب عـال... وقـد خصصت الوية الدروع والالوية الاليـة، إلى جانـب الالويـة المنقولـة جـوا ولـواء جـولاني، كقـوة هجوم للجيش الإسرائيلي. وغيرت بناء الجيش الإسرائيلي وشكلت الويـة اقليهيـة اهـم وظائفهـا هي المهام الدفاعية. وبصورة فعلية قسمت القوات البرية إلى مستويين: قوات الهجـوم، وقـوات الدفاع من خلال التهييـز في مجـال اختيـار الطاقـة البشريـة وتخصـيص الطاقـات والمخصصـات المالية لكل قوة من هذين المستويين.

وفي سـلاح الجـو كـان الهـدف الـرئيس: تحقيـق التفـوق الجـوي بسرعـة لـكي يسـتطيع هذا السلاح الانتقال بكاهل قوتـه إلى مسـاندة القـوات البريـة والبحريـة. وقـد اسـتعد السـلاح باسلوب واضح، لتطوير قوته عـلى ضرب الطـائرات العربيـة، وقـدهيرها وضرب طـائراتهم عـلى الارض. كما طـور سـلاح الجـو بالاضـافة إلى ذلـك قدرتـه الاعتراضـية مـن اجـل حمايـة الاجـواء الإسرائيليـة في جميـع الحـالات. وقـدرب الطيـارون بشـكل مكثـف. وقـام الطيـارون بطلعـات

منخفضة وهاجهوا مطارات صورية من اجل التمرن. وطورت وسائل حربية لابطال مفعول مدارج المطارات وتحسنت القوة الاعتراضية بواسطة صواريخ ارض - جو متقدمة. وجرت تمارين مشتركة كثيرة مع القوات البرية لضمان اشتراك القوة الجوية في الحرب البرية. كما ان النشاطات الاستخبارية الكبيرة والقوية جدا هلأت الهلفات بالمعلومات الدقيقة عن جميع المطارات العربية ومدارجها، ومنشآتها واماكن وقوف الطائرات. وعندما يحين الوقت الهناسب سنستطيع القول بان تصورات الجيش الإسرائيلي في تلك الايام ظهرت بانها صحيحة في حرب الايام الستة. والاشخاص الذين يتحلون ببعد النظر سيضيفون بأنه ليس من المحتم ان يكون كل تصور سلبيا، وإذا كان من حقي ان امقدح نفسي هنا فانني اقول: انه في جميع الحروب التي خاضتها إسرائيل، منذ حرب الاستقلال وحتى حرب يوم الغفران، لم يعد الجيش الإسرائيلي للحرب القتادمة بصورة متكاهلة كما اعد لحرب الايام الستة.

في نهاية عام ١٩٦٦ وعندما خدمت عاهين في منصب رئيس الاركان اتخذ رئيس الحكومة ووزير الدفاع قرارين وهما:

١ - تهيد فترة عهلي لمدة ٤ سنوات.

٢- بما انه يوجد هناك مرشحان لرئاسة الاركان بعدي وهما حاييم بارليف وعيزر وايزمن، فانه يريد ان يعين دافيد العازار في منصب رئيس شعبة الاركان ليختبر، في هذا المنصب وليقف على قدرته. اما أنا فقد اعتبرت بارليف الشخص الهناسب لان يكون رئيس الاركان القادم للجيش الإسرائيلي وذلك ليس بسبب تقديرات شخصية أو بسبب الخلاف في طابع الشخصين وانما لسبب فني: انه سيصعب على شخص لم يتخرج من القوات البرية ان يعهل كرئيس للاركان في الوقت الذي تعتبر فيه رئاسة الاركان قيادة للقوات البرية ورئيس الاركان مضطر لان يكون ذا خبرة واسعة بالحرب البرية. فوايزمن بصفته قائدا لسلاح الجو لا يستطيع ان يتحهل هذا العبء.

شرحت تقديراتي إلى ليفي اشكول وقلت انني اوصي بترشيح حاييم بارليف لنصب رئيس الاركان بعدي. ولهذا طلبت ان يطل بارليف في منصبه كرئيس لشعبة الاركان. وطلب رئيس الحكومة امهاله ليفكر وبعد ذلك بايام استدعاني وابلغني بأنه سيعين عيزر وايزمن رئيسا لشعبة الاركان. وقال انني لا اقبل بتوصيتك. فقلت: سيدي رئيس الحكومة ووزير الدفاع انني اؤدي التحية العسكرية لك. فاسمح لى فقط ان اتحدث مع بارليف ووايزمن قبل ان تسقدعيهما. اجد لناما على ان اقول لعيزر وايزمن لماذا اوصي به، ولبارليف لماذا سيغير من منصبه وسمح لى. وقلت لبارليف ان هذا هو قرار اشكول وعلى الرغم من انني لست راضيا عنه فانه يتوجب على ان اقبل هذا القرار. وقلت له عليك ان ترشح نفسك امام اشكول. وقلت لوايزمن لماذا اوصيت ببارليف. ولكن الوزير قرر عدم قبول توصيتي وانني اتوقع بأنه هو كرئيس لشعبة الاركان وأنا كرئيس للاركان ان نجد طرقا للعهل والحياة معا من خلال التعاون التام.

وقد نفذت التغييرات. فبارليف خرج لهواصلة دراسته في فرنسا. وبقيت مسالة رئيس الاركان القادم بدون حل نهائي وتقدر بان يتخذ هذا القرار في نهاية عام ١٩٦٧. ان زيادة حجم الاطارات العسكرية قد تطلبت عددا كبيرا من الضباط. واهتمهنا بتحسين ظروف الخدمة في الجيش الدائم ففتحنا كلية عسكرية بالتعاون مع كلية هرتسليا واخذنا نخرج منها سنوبا ١٠٠ ضابط شاب. ان تطوير الدروع اكد ضرورة تطوير الكفاءة المهنية والسلك الفنى في الجيش: فقد قهنا بتوسيع مدرسة سلاح الجو الفنية وكلية سلاح التسليح. واقهنا كليات جديدة تابعة لسلاح اللاسلكي. واصبح الجيش الإسرائيلي يكتسب شخصية حديثة أكثر تكنولوجية. واحدثنا تغييرات كبيرة في الجهاز الاداري. وحسنت بصورة بارزة الخدمات التي تمنح لوحدات الهيدان.

ان سفر عيزر وايزمن إلى الولايات المتحدة ومحادثاته مع هوظفي وزارة الدفاع الاهيريكية في عام ١٩٦٦ دعمت مطالبتنا بالحصول على طائرات فانتوم وهي الجيل الحديث من الطائرات الطويلة في الهواضيع الجوية والقدرة على ادارة المفاوضات ساعدت وايزمن على عرض قضيتنا بشكل ناجح...

الفصل الثاني

عبد الناصر يخلع القفاز

طيلة الفترة التي سبقت حرب حزيران، تمسكت مصر بسياسة التعاظم العسكري وتوطيد التعاون العسكري مع سوريا ولكن من خلال الحذر التام، بناء على نظرية زعيمها عبد الناصر. خوفا من الانجرار إلى مجابهة عسكرية مع إسرائيل طالا لم يصبح جيشه مستعدا للمجابهة الكبرى. وقد عاد عبد الناصر واكد سياسته حيث قال اننا لن ننجر إلى الحرب مع إسرائيل بسبب تراكتور في المنطقة المجردة أو حادث على الحدود الشمالية على الرغم من ان زهلاءه العرب لم يضيعوا اية فرصة باتهامه بأنه عدل عن القيام بدوره الحاسم ضد إسرائيل وانه يختبئ تحت اجنحة قوة الامم المتحدة المرابطة على الحدود المصرية - الإسرائيلية. وهكذا اتهمه الهلك حسين بلغه مهينة بعد عملية الجيش الإسرائيلي في قرية السهوع في الاردن في ١٣ تشرين ثان ١٩٦٦ .

وقد تبلور اعتقاد يقول، انه يسود مصر الاعتقاد انه في ظروف مشابهة لعملية الجيش الإسرائيلي ضد السهوع سيتوجب على مصر ان تعهل بواسطة ادخال معظم جيشها المصري إلى سيناء مع ابعاد قوات الامم المتحدة واغلاق مضائق تيران. ان عملية كهذه تقوم بها مصر ستلغي جميع مكاسب حهلة سيناء عام ١٩٥٦. واعتقد بان المصريين يفكرون بان الجيش الإسرائيلي لا يستطيع ان يخترق الجهاز المصري المعنز في سيناء وإذا استطاع ان يدخل اماكن معينة في سيناء، فان الجيش الإسرائيلي لن يستطيع كسر شوكة الجيش المصري وبضغط من الدول الكبرى سيفرض وقف لاطلاق النار. وسيضطر الجيش الإسرائيلي إلى الانسحاب إلى خطوط الهدنة، وبذلك تحقق مصر انتصارا. اما الوضع الإسرائيلي فسيزداد خطورة. وحتى في نيسان ١٩٦٧. قبل وقت قصير جدا من حرب حزيران مازال المصريون يتمسكون بسياستهم هذه: فبعد اسقاط الطائرات السورية الست في قتال جوي مع الطائرات الإسرائيلية اسقدعي

وفد عسكري مصري إلى سوريا. والح السوريون المصابدون بالصدمة على المصريين وطلبوا منهم توجيه ضربة مصرية لإسرائيل. ولكن الجواب المصري القاطع لم يترك مجالا للشك: ان العدو لن يكون هو الذي سيهلي علينا هوعد الحرب واسبابها. لا تعتمدوا علينا ان نهب لنجدتكم بسبب حادث محدود. فطالما لم يحدث هجوم إسرائيلي شاهل على سوريا، فان مصر لن تنجر إلى حرب ليست في اوانها.

ان زيارة رئيس اركان الجيش المصري إلى سوريا ١٣ و ١٤ ايار واشارات قدل على اعلان حالة الطوارئ في الجيش المصري قد زادت من يقظتنا واتضح ان الخطط السورية وضعت من قبل السوفيات: فبين يوهي ١١ و ١٣ ايار ١٩٦٧ زود الاتحاد السوفياتي سوريا بمعلومات كاذبة تقول ان إسرائيل تقوم بحشد ما يتراوح بين ١١ و ١٣ لواء على حدودها الشمالية وان الجيش الإسرائيلي سيقوم بشن هجوم شاهل على سوريا وقام السوريون بنقل هذه المعلومات بقلق إلى مصر. وهنا اسقدعي رئيس اركان الجيش الصري إلى سوريا. وبدات عجلات حربه الايام الستة تتحرك بسرعة. في ١٤ ايار ١٩٦٧ عاد رئيس الاركان المصري من سوريا إلى بلاده. وفي الوقت الذي كانت متحمسة فيه لتوضح انها تستطيع ردع إسرائيل عن نواياها العدوانية ضد سوريا اتخذت مصر عدة اجراءاته ففي تلك الليلة وصلت الي معلومات غامضة تقول انه تجري في مصر احداث غير واضحة. وفي غداة اليوم التالي، في الساعة التاسعة صباحا اجتمع في فندق الهلك داوود في القدس الاشخاص الذين من المقرر ان يجلسوا على منصة التحية خلال العرض العسكري في ذلك اليوم. ومن مصر وصلت انباء أخرى غامضة ايضا. ولكني تلقيت انباء اكيدة عن تحركاته الجيش المصري عندما وقفنا على منصة التحية لاستعراض العرض العسكري في القدس: الانباء تقول ان جيشا مصريا يتحرك في شوارع القاهرة شرقا نحو قناة السويس. فاجريت مشاوراته اولية مع رئيس الحكومة ووزير الدفاع. واقترحت ان نستعد مع قواتنا النظامية فقط بدون تجنيد قوات الاحتياط.

وعلى الرغم من انني لم اعتقد بان مصر تتجه إلى الحرب فقد امرت قائد سلاح الدروع، العهيد طال بتحضير قوات الدروع وحشد القوات النظاهية في منطقة بئر السبع، وقطاع غزة،

ونيتسانا. وامرت القيادة الجنوبية بتعزيز الدوريات، والمراقبات والكمائن وارسال اكبر قدر ممكن من المعلومات عن النشاطات المصرية. واما القيادة الشمالية فقد امرتها بالامتناع عن القيام بنشاطات زائدة، وذلك من اجل عدم زيادة الانطباع باننا نستعد للهجوم ولكن يجب تعزيز نقاط الضعف لهواجهة امكانية محاولة السوريين القيام بنشاطات هجوهية.

في مساء ١٥ ايار قامت إسرائيل بخطوات في المجال السياسي فقد اطلعت السفير الامريكي في إسرائيل «باربور» على ان جميع المعلومات التي تتحدث عن تحشدات إسرائيلية على الحدود الشمالية هي معلومات كاذبة. وقهنا بخطوة مشابهة مع الهلحق العسكري الفرنسي. واعتقد المسؤولون في قسم الاستخبارات في رئاسة الاركان العامة اننا نواجه الآن امكانية تكرار عملية «روتم» التي نفذت في شباط ١٩٦٠ وان المصريين سيسحبدون قواتهم إلى قناة السويس بعد مرور وقت.

في ١٦ ايار في الساعة الثامنة صباحا اعلن قائد سلاح الدروع خلال اجتماع عقده رؤساء الشعب والقادة الكبار في مكتبي انه توجد في المنطقة الجنوبية الآن أكثر من ٢٠٠ دبابة إسرائيلية. قهنا باختبار عملية انتشار قواتنا. وقررنا اتخاذ عدة خطوات أخرى من اجل زيادة الحذر وفي نفس اليوم، وبدون اية صلة مع التطورات غير المتوقعة استضاف الجيش الإسرائيلي رؤساء اركانه السابقين. وقد ارتاحوا جدا لقوة سلاح الجو وقوة الاصابة لدى مدافع الدبابات. هناك معلومات أخرى، اوضحت بان القوات المصرية في سيناء ومنطقة قطاع غزة مازالت محدودة: الفرقة الثانية المعنزة وقد احتفظت بالخط كله من العريش وحتى منطقة بئر الثمد. وهناك وحدات ثانوية أخرى كانت في مناطق مختلفة. وفي السادس عشر من ايار نشرنا ظهر ذلك اليوم امر انتشار خاصا. وكان اسم الشيفرة «روجل». وهذا الامر زاد من استعدادات الجيش الإسرائيلي في الجنوب والوسط وكذلك في أسلحة الجو والبحرية. واستعدت قوات نظاهية أخرى للانتشار في الجنوب وفي ليلة ١٦ - ١٧ ايار. لم نعلن رفع درجة الاستعداد ولم نجند قوات الاحتياط. وتقدررت درجة تجنيد عالية جدا للواءي دروع

احتياط ولبعض كتائب المدفعية وبعض وحدات الخدمات. وكانت توجيهاتنا تنص على عدم القيام بتحركات بارزة من اجل عدم اثارة الحماس في النفوس. كما امرت بزرع حقول الالغام وخاصة في منطقة نيتسانا. وخلال بحث آخر في ساعات المساء اعلن رئيس شعبة الاستخبارات العسكرية ان الفرقة المصرية الرابعة التي اولينا لتحركاتها اهمية قصوى من اجل تقييم النوايا المصرية لم تتحرك بعد من موقع انتشارها في الجانب الغربي لقناة السويس. وقام المشير عبد الحكيم عامر بزيارة المطار المصري في جبل لنبي وقامت القيادة الشرقية للجيش المصري وهي القيادة المسيطرة على منطقة القناة وهيناء بارسال قيادة اماهية لها إلى بئر الثمد اما سورية فقد كانت صامتة.

بعد الاجتماع مع رؤساء الشعب اجتمعت مع رئيس الوزراء ووزير الدفاع. واستعرضت انتشار القوات: وقلت يجب علينا ان نكون مستعدين وجاهزين لكي لا نحيي ثانية محاولة «روتم» عندما ادركتنا العملية المصرية ونحن غير مستعدين لها. ويجب ان يكون -يينا رد هناسب على اي تطور. يجب اعلان التعبئة العامة. ولكن إذا كان التجنيد يؤثر من الناحية السياسية فانني مستعد لتأجيله. وإذا ما اتجهت الفرقة المدرعة المصرية الرابعة إلى داخل سيناء فانه لا يجب تأجيل اجراء تجنيد جزئي لقوات الاحتياط ويجب ان تكون لهذا التقدير الاولوية حتى على المصاعب السياسية. لقد وجدت لدى رئيس الوزراء تفهما كبيرا. وبهوافقته جندنا لواء دروع من قوات الاحتياط.

بحث اخر على المستوى العسكري. ما هي نوايا المصريين؟ وكان الاعتقاد السائد انه في هذه المرحلة لا توجد ليهم نوايا هجوهية. ولكن رئيس قسم الاستخبارات العسكرية العهيد يريف الذي يقبل بهذا الاعتقاد اشار إلى وجود دلائل اولية على وجود نوايا عدوانية من جانب مصر. وقد اعطى مثالا على ذلك اذ قال ان المصريين نقلوا قاذفات خفيفة من نوع ايل ٢٨ إلى منطقة بئر الثمد.

كما ان الخبر القائل ان السوريين استجابوا لطلب العراق ارسال طائراته إلى المطارات السورية، حول الاهتمام مؤقتا بالجبهة الشمالية: ان طائرات ميغ ٢١ لا تستطيع العمل من قواعدها في العراق ضد الاهداف الإسرائيلية ولكن من قواعدها في سوريا تستطيع ذلك. وقهنا بتعزيز جهاز المقاومات الجوية ببطاريات صواريخ هوك حول اهداف حيوية في إسرائيل. وفي ١٧ ايار صباحا لاحطنا تصعيدا على النشاطات المصرية. فقد اعلن راديو القاهرة عن تعيين مرتجى الذي كان قائدا للقوات البرية في مصر، قائدا عاما للقوات المصرية في الجبهة مع إسرائيل. كما اعلن الراديو ان مصر طلبت سحب قوات الامم المتحدة من مواقعها في سيناء وحشدها في غزة. ومقابل «روتم» كان هذا تعبيرا عن قدهور الوضع: فدخول القوات المصرية إلى سيناء لم يكن آنذاك مصحوبا بطلب مصري لاخلاء قوات الامم المتحدة.

ان عبد الناصر يعمل ولكن بقدر كبير من الحنر: فهو يطالب بسحب القوات الدولية فقط من على الخط الممقد بين رفح وايلات. وهذا يعني انه ستبقى القوات الدولية في شرم الشيخ وغزة ان النعيم المصري يعتقد بأنه طالما لا يأمر القوات الدولية بالانسحاب من قطاع غزة وشرم الشيخ فان إسرائيل لا تجد نفسها مضطرة لشن الحرب.

١٧ ايار الساعة الثامنة والنصف صباحا. اجتماع لرؤساء الشعب. واستمرار التعزيز المصري في سيناء برا وجوا. ورئيس شعبة الاستخبارات العسكرية يقيم النوايا المصرية ويقول: ان مصر تريد ردع إسرائيل عن النية المنسوبة اليها وهي مهاجة سوريا. والتأثير على الدول العظمى من اجل الضغط علينا في سبيل الامتناع عن الهجوم في الشمال. وكان التحليل الاستخباري للانتشار المصري مرتبطا بالافتراض القائل ان مهذا الانتشار ما زال دفاعيا. فالفرقة المصرية الثانية ترابط على الخط الامامى العريش- القصيمة - ام كتف ابو عجيلة - بير حسنة. وماذا بعد؟ ان الصورة ما زالت غامضة.

وقام رئيس شعبة الاركان باستعراض انتشار قواتنا وفي اجتماع آخر مع رئيس الوزراء اعربت عن مخاوفي من تصعيد الوضع على الجبهة السورية مفترضا ان السوريين يريدون

تصعيد الوضع عمدا. ولم اطلب تجنيد قوات احتياط أخرى. بعد الظهر استعرضت الوضع امام اعضاء لجنة الخارجية والامن التابعة للكنيست واسرت إلى نوايا محتهلة من جانب مصر ولا اعرف ايا منها صحيحة

أ- استخدام الضغط العام على إسرائيل على غرار «روتم».

ب- اغلاق مضائق تيران.

ج- ضرب اهداف حيوية. تقرير من قائد سلاح الجو قاطعني اثناء حديثي. التقرير يقول: ان طائرتي ميغ ٢١ حلقتا على ارتفاع عال من الاردن إلى مصر فوق النقب ويبدو انهما قامتا بذلك لاغراض التصوير. ابلغت هذا الخبر إلى رئيس الحكومة والحضور. وإذا لم اخطئ فان هذا هو اول تسلل جوي مصري إلى الاراضي الإسرائيلية منذ عام ١٩٥٦. وفي هذا اليوم اعلنت حالة الطوارئ القصوى في سلاح الجو وفي هذا اليوم ايضا اعلن ان السكرتير العام للامم المتحدة «او ثانت» قد ابلغ عبد الناصر بأنه توجد امكانيتان لافاصل بينهما: اما ان تبقى الامم المتحدة في اي مكان أو انها ستنسحب من جميع الاماكن. ولم يتأخر رد النعيم المصري: سحب قوة الطوارئ الدولية من جميع الاماكن. وكان موقف اوثانت هذا من بين الاسباب التي ساهمت في دفع عبد الناصر خلافا لرغبته في الانجرار إلى الحرب.

وفي هذا اليوم ١٧ ايار قهنا بتجنيد لواء آخر من قوات الدروع واعلان حالة الطوارئ القصوى في جميع وحدات الجيش الإسرائيلي. كما طلبنا من فرنسا الاسراع بتزويدنا بالطائرات ولو من احتياطي سلاح الجو الفرنسي. وفي هذا اليوم ولاول مرة غير رئيس شعبة الاستخبارات رايه السابق وقال ان نية مصر قد بدت واضحة الآن وهي نية هجوهية وليست دفاعية بعد ان طلبت مصر سحب جميع القوات الدولية.

١٨ ايار: الثامنة صباحا

رئيس قسم الاستخبارات العسكرية يتحدث عن هتافات النصر التي انطلقت من العاممـة المصرية حتى قبل ان تطلق الرصاصـة الاولى. امـا رئـيس شـعبة الاركـان فقـد اسـتعرض عمليـة التجنيد وانتشار القوات. واصبحت أكثر من ٤٠٠ دبابة إسرائيلية في الجبهـة الجنوبيـة. وتحـدث قائد سلاح الجو عن الجهاز الجوي وعن النشاطات السريعة التي قامـت بهـا وحـدات الصـيانة التابعة للسلاح والصناعات الجوية لاعـادة اكـبر عـدد مـن الطـائرات للخدمـة الفعليـة وكـذلك هلاءمة طائرات القـدريب «فوجـا» لاسـناد القـوات البريـة وذلـك عـن طريـق اعـدادها لحهـل الصـواريخ. واتفقنـا في الاجـتماع عـلى انـه لا يجـب ان يقـوم سـلاح الجـو الإسرائـيلي بمهاجمـة المطارات المصرية الا إذا قاهوا بمهاجمة المطارات الإسرائيلية. وفي هذه الحالة يقوم سـلاح الجـو الإسرائيلي فورا بمهاجمة الطائرات المصرية. وفي ساعات مـا بعـد الظهـر ازيلـت الشـكوك نهائيـا بالنسبة لمسألة قوات الامم المتحدة: فقد اعلن وزير خارجية مصر رسهيا الاخلاء الكاهل لقوات الطوارئ الدولية من الاراضى المصرية وبدأ جنود قوات الامم المتحدة بمغـادرة مـواقعهم. وحـل محلهم جنود مصريون. وقدر رئـيس شـعبة الاسـتخبارات بـان المصريـين لم يقصـدوا مثـل هـذا التطور السريع ولكن جواب «اوثانت» النمهم بالتصرف هكذا خوفا من ان يـتهم العـالم العـربي مصر بانها قد خافت من إسرائيل والجيش الإسرائيلي.

طلبت من رئيس الوزراء هوافقته على اجراء تجنيد آخر لقوات الاحتياط وخاصـة لحمايـة منطقة القطاع التي توجد فيها فرقة فلسـطينية مـع ٤٤ دبابـة. ولم يوافـق رئـيس الـوزراء عـلى تجنيد اللواء المحـلى. وابلغـت رئـيس الحكومـة بـان الجـيش السـوري وضـع كلـه تحـت اهبـة الاستعداد. ووافق رئيس الحكومة على تجنيد كتيبة واحدة من اللواء المحـلى التـابع للمطلـة في الجليل. ورأينا انفسنا باننا بحاجة إلى قدر كبير من الحـذر واليقظـة اذ ان التعبئـة العامـة أكـثر من المتطلبات الضرورية قد تؤدي إلى تصعيد الوضع واردنا الامتناع عن ذلك. وخـلال الحـديث وصل نبأ ان الفرقة المصرية السادسة قد اجتازت القناة ودخلت إلى سيناء.

اجتمعت مع اشكول مرة أخرى في الساعة التاسعة مساء واعربت عـن مخـاوفي في اعقـاب انباء وصلتنا من الجبهة السـورية ان السـوريين ينـوون اتخـاذ خطـوات لتسـخين الواجهـة عـن

طريق المبادرة إلى القيام بحوادث في المنطقة المختلف عليها وعمليات فدائية. ولكن الخبر الهام جدا وصل خلال الاجتماع من الجبهة المصرية. فالمصريون قد سيطروا على شرم الشيخ بعد حادث مع قوات الامم المتحدة (من الجنود اليوغسلافيين) وانسحب الجنود الدوليون من جميع مواقعهم. كما علم ان الجيش اللبناني الصغير قد انتشر هو الاخر على طول الحدود مع إسرائيل.

عقدت اجتماعا آخر مع رئيس الوزراء في الساعة الحادية عشرة ليلا. فاعتقدت بان المصريين قد يغلقون مضائق تيران خلال يومين أو ثلاثة ايام وعندما ستواجه إسرائيل وضعا يجبرها على الخروج إلى الحرب. وأضفت على ذلك، انه حتى ولو لم تقم مصر باغلاق المضائق فان وضعنا معقد. اننا لا نستطيع المحافظة على قوات الاحتياط المجندة لوقت طويل مثلما يترتب على وجود قوات مصرية كبيرة في سيناء. وحتى ولو لم توجد لمصر في هذه المرحلة نوايا هجوهية فان الوضع يقدهور نحو الحرب.

القوات المصرية تواصل قدفقها على سيناء. وقررنا استخدام موقع القيادة الاعلى بصورة كاهلة وجميع مكاتب رئاسة الاركان العامة انتقلت إلى الموقع المقام تحت الارض.

١٩ أيار ٨:٠٠- صباحا-

عقد اجتماع لرؤساء الشعب. الصورة اصبحت أكثر وضوحا. وقد قدهور كليا الواقع السياسي والعسكري الذي كان قائما حتى الان. لا توجد قوات دولية. وفي سيناء حشدت قوات مصرية ضخمة، على الرغم من ان الفرقة الرابعة لم قدخل المنطقة بعد. واعتقد رئيس شعبة الاستخبارات بان صورة الانتشار المصري تمكن من القيام بعمليات هجوم. وقررنا تعزيز القوات مرة أخرى في الجنوب والوسط والشمال. في مساء ذلك اليوم عقد اجتماع في رئاسة الاركان. وقال رئيس شعبة الاستخبارات في هذا الاجتماع: مما لا شك فيه ان الخطوات المصرية الاخيرة تشكل تغييرا خطيرا في السياسة التي كانت متبعة في مصر حتى

الان. واضاف العهيد يريف: بأنه لم يطرأ حتى الآن تعاون عسكري عربي ولم تتغلغل جميع القوات المصرية بعد في سينا. وانه من الصعب الاعتقاد بان المصريين تخلوا عن اعتقاداتهم الاساسية القائلة بان الوقت غير هناسب لخوض حرب مع إسرائيل. ومع هذا فان الخطوات المصرية الاخيرة تشير إلى استعداد مصر للتطرف أكثر نحو هذه المجابهة وربما استعدادهم لبدء الحرب.

لقد كان حجم القوات المصرية في سيناء في ذلك اليوم مؤثرا أكثر من اي حجم لقوات شهدته هذه الصحراء في يوم من الايام. واعتقد يريف بان التعزيز المصري سيستمر وانه بعد اكماله ستواجه مصر اربعة احتمالات وهي:

١- عدم القيام باية مبادرة أخرى وجني ثمار النصر. وتعلن مصر انها ردعت إسرائيل عن نواياها العدوانية واكدت زعامتها في العالم العربي.

٢- القيام بعمليات تحرش، لجر إسرائيل إلى الرد، على فرض ان يفشل الرد الإسرائيلي وتحقق مصر مكسبا استراتيجيا عظيما.

٣- قيام مصر بهجوم دون اي تحرش مسبق من خلال استغلال عنصر المفاجأة العسكرية. وإذا ما سلك المصريون هذه الطريقة فستكون اهدافهم، نقاطا حيوية ومطارات عسكرية في إسرائيل.

٤- حرب استنزاف طويلة من مواقع سهلة هدفها ارغام إسرائيل على الاحتفاظ لمدة طويلة بقوات الاحتياط من خلال انتظار الوقت الهناسب للقيام بالهجوم بعد اخلاء قواتهم من اليمن وحشدها في سيناء.

وفي كل واحد من هذه الاحتمالات الاربعة يجب توقيع قيام سوريا بعهل مقابل العمل المصري وقد تقوم سوريا بعملية خاصة ضد اهداف حيوية. قلت: ان على الجيش الإسرائيلي ان يعلم باننا سنخوض الحرب القادمة وحدنا. ولن تكون هناك عودة إلى حهلة سيناء

١٩٥٦. وكل افتراض حول قيام طرف ما بمساعدتنا ما هو الا غباء. وان التطورات في المستقبل القريب ستوضح ايا من الاحتمالات التي عددها يريف والتى يمكن ان تلجأ اليها مصر. انني سأبحث هذه الاحتمالات ليمر من ناحية حجم الخطر الذي يشكله كل واحد منها على إسرائيل. فالخطر الكبير هو القيام بشن هجوم شاهل مصري - سوري - اردني على إسرائيل يبدأ بضربة جوية منسقة. اننا سنستعد لهواجهة هذا الخطر العظيم دون ان نعير نسبة معقولية اي اهتمام.

ان العمليات المحدودة، قد تضعنا امام واقع حرج ولكنها ليست خطيرة اذ انها تمكن إسرائيل من اخذ زمام المبادرة والانتقال إلى الهجوم الشاهل. انني لا اتجاهل الاخطار الكامنة في امكانية قيام مصر بمهاجمة اهداف حيوية في إسرائيل مثل اغلاق المضائق أو القيام بعمليات محدودة أخرى. ولكن في اية حالة كهذه، وبعد ان تتخذ القيادة السياسية قرارها، فاننا نستطيع العمل بصورة مخططة. وامرت بان يقوم جميع القادة بابلاغ جنودهم باننا نستعد للحرب وليس لحالة طوارئ مؤقتة. انني لا اؤمن اننا نستطيع العودة من الوضع الحالى إلى الواقع الذي سبق التطورات الاخيرة. وعلى الجيش ان يعلم بأنه مستعد للحرب ولهذا السبب قهنا باسقدعاء الاشخاص من بيوتهم وودعوا عائلاتهم واماكن عهلهم. وقد زج بإسرائيل في اخطر وضع تواجهه منذ حرب عام ١٩٤٨.

قهنا ببناء نظرية عسكرية شاهلة لاستخدام قوات الجيش الإسرائيلي. هذه النظرية مناسبة لامكانيتين اساسيتين، الاولى: قيام الدول العربية بشن حرب شاهلة جوا وبرا وبحرا ضد إسرائيل والثانية: إسرائيل تكون هي المبادرة إلى شن الحرب.

لقد علهنا بان الاهمية القصوى خلال الحرب هي سلاح الجو. فكل جانب يبدأ الحرب بضربة جوية يحقق لنفسه مكسبا بارزا. والجانب الذي يحقق تفوقا جويا سيتمتع بالتفوق البارز في كل ما يتعلق بالحرب البرية، والبحرية. ومن جهة إسرائيل فان تحقيق التفوق الجوي كان حيويا جدا لمنع العدو من تمكنه من ضرب المجال الحساس جدا وهو قصف المراكز

الاملة بالسكان. ومن هنا فان تفكيرنـا العسـكري كـان منصبا اولا وقبـل كـل شيء عـلى ضـمان التفوق الجوي وذلك عن طريق القيام بهجوم حاسـم لقـدهير القـوات الجويـة التابعـة للـدول العربية وعلى الاخص قدهير المطارات وعلى رأسها مدارج الطيران وبعـد ذلـك تـدمير الطـائرات على الارض ومنشآت المراقبة والصيانة. كما ان توقيت استخدام القوات البرية والبحريـة منسـق وصلائم لمتطلبات الحرب الجوية. والاكثر من ذلك فان تحقيق تفوق جوي كاهل وسريـع يمكـن من توجيه طائرات سلاح الجو إلى الاشتراك في المعارك البرية والبحرية. وعرفنا بان عملية جويـة - بحرية مشتركة واسعة النطاق سـتؤدي إلى كسر شـوكة العـدو بصـورة حاسـمة وسريعـة. امـا بالنسبة للحرب البرية. فانه بسبب عدم وجود عمق استراتيجى فكان على الجيش الإسرائيلي ان ينقل الحرب بسرعة إلى اراضي العدو وقهره باسر ع وقت ممكن. ان هيزان القـوى بـين إسرائيـل والدول العربية لم يمكن من تطبيق هذا المبدأ الا عـن طريـق تركيـز جهـد هجـوهي في واجهـة واحدة. ومن اجل تطبيق هذا المبدأ يجـب حشـد معظـم القـوات المتحركـة والمتفوقـة جـدا في القوات البرية وهي الالوية المدرعة والالية والالوية المحهولة جوا وجولاني. واثناء تنفيذ الهجـوم البري الرئيس يجب على القوات في الجبهتـين الاخـريين ان تسـتعد للـدفاع المسـتهيت وصـد اي هجوم جوي. وحتى هذا الـدفاع يـتم باسـلوب هجـوهي مـن خـلال القيـام بعمليـات خاطفـة لاحـتلال منـاطق أخـرى. ان هـدف هـذه العمليـات المحـدودة هـو تحسـين الجهـاز الـدفاعى الإسرائيلي وتحسين وضعه الامنى. ولهذه العمليات اهمية بالغة في حالة انتهاء الحرب، لاسـباب دولية، قبل ان ينقل الجهد الهجوهي الرئيس للجيش الإسرائيلي إلى هذه الواجهات...

لقد كانت في ملفات رئاسة الاركـان الإسرائيليـة طيلـة الوقـت خطـط عمليـة كانـت تمثـل ترجمة النظرية العملية الشاهلة إلى جميع الامكانيـات المتوقعـة خـلال الحـرب. وقـد اطلعـت مستويات القيادة المختلفة على هذه الخطط ليكونوا مستعدين فكريا وعهليا لهواجهة الحـرب. ان الخطة الدفاعية الاساسية التي كانت هي المنطلق لكل واحدة من الامكانيات الأخرى كانـت خطة «سدان» التي قـررت طريقـة انتشـار جميـع قـوات الجـيش الإسرائـيلي. ونقطـة المنطلـق

كانت هي اسوأ الاحتمالات من جانب إسرائيل وهي ان نواجه حربا شاهلة ضد جميع الجيوش العربية وان تكون هذه الحرب ثمرة لمبادرة تلك الجيوش. وبناء على خطة «سدان» اعدت الخطط الهجوهية في الجو والبر والبحر. وقد افترضت خطة الهجوم الجوية انه إذا كانت المبادرة بايدي الدول العربية ستتلقى الضربة اولا وبعد ذلك ينتقل الجيش الإسرائيلي بصورة سريعة إلى الهجوم بقصد قدهير أسلحة الجو العربية. اما الخطة البحرية فكانت خطة دفاعية بشكل محض اي: حماية شواطئ إسرائيل والسفن البحرية التي هي في ضيافة إسرائيل مقابل ذلك القيام بعمليات هجوهية ضد قواعد بحرية لمصر وسوريا.

اما الخطط الهجوهية البرية فقد بنيت على افتراض تنفيذ الجهد الرئيس فقط في واجهة واحدة وقد وضعنا خططا هجوهية رئيسة فقط لكل واحدة من الواجهات.

في الجنوب: لحسم الجيش المصري - خطة «كلشون».

في الوسط: لحسم الجيش الارني - خطة «فرجول».

في الشمال: لحسم الجيش السوري - خطة «مكبات».

وهذه الخطط الهجوهية اخذت بعين الاعتبار الخطط العملية العسكرية للجيوش العربية. وقد كانت لدينا الخطط العملية الدفاعية لمصر التي سهيت «القاهر» والخطط العملية الدفاعية للاردن التي سهيت «الحسين» وسوريا التي سهيت «الجهاد». ولم تكن لدينا خططهم الهجوهية إذا كانت لديهم مثل هذه الخطط. وقد درسنا بامعان هذه الخطط كما تعقبنا طريقة التفكير العسكرية لدى كل جيش من الجيوش العربية. في يوم ١٩ ايار ١٩٦٧ كان واضحا لى باننا نواجه حربا حقيقية. هذا الشعور بالتأكيد، والقائل ان الواقع الجديد لا يمكن تغييره الا بقوة السلاح كان المصباح الذي اضاء لى الطريق في جميع نشاطاتى. ومع هذا عرفت انه في ذلك الوقت كانت تقف بوجه كل عملية لنا عقبة سياسية صعبة: المصريون لم يخلقوا بعد الوضع الذي لا مفر منه، والذي يمكن إسرائيل من اخذ زمام المبادرة لشن حرب شاهلة

وكانت توجيهاتي إلى رئاسة الاركان العامة، وتوجيهات رئاسة الاركان العامة للقيـادات والأسـلحة قدور كلها حول الاستعداد للدفاع والتأهب لاخذ زمام المبادرة لـلـهجوم...

وخلال اجتماع عقدتـه مـع رئـيس الـوزراء بحضـور رئـيس شـعبة الاركـان ورئـيس شـعبة الاستخبارات، طرح اقتراح لنشر بيان نقول فيه انه إذا مـا قـام المصريـون بـاغلاق المضـائق فـان إسرائيل ستجد نفسها مضطرة للخروج إلى الحرب. وقلت انه يجب عدم نشر هذا البيان الـرادع إذا لم نكن مصرين على تنفيذه. وقلت اننا إذا ما نشرنا بيانا كهذا ولم ننفذه عن طريق الخـروج إلى الحرب في حالة اغلاق المصريين للمضائق فاننـا سنضـع في ايـديهم انتصـارا عظـيما ونسـبب لانفسنا ضررا معنويا وسياسيا كبيرا جـدا. وخـلال الاجـتماع ورد خـبر مـن مصر اسـتخباري عنـز الاعتقاد بان مصر تتجه إلى الحرب. وبناء على طلب مني وافق رئيس الوزراء على تجنيـد واسـع لقوات الاحتياط. فقهنا بتجنيد الوية أخرى وارسلنا قوات إلى الجنوب والشمال.

٢٠ ايار - صباحا

قمت أنا ورئيس الـوزراء بـالتجول بـين وحـدات القيـادة الجنوبيـة. واعلـن رئـيس شـعبة الاستخبارات بان الفرقة المدرعة الرابعة المصرية لم تصل بعد إلى سـيناء ولكـن المصريـين اعـادوا من اليمن ثلاثة الوية مشاة ويبو انهم يريدون ارسالها إلى سيناء. لقد كانت التحركـات المصريـة تجري بصورة متسرعة وخوضوية الامر الذي شوش انطمتها سواء في مجال حركـة القـوات أو في مجال الجهاز الاداري. وخلال الجولة قلت لـرئيس الـوزراء انـه توجـد هنـاك امكانيتـان للعهـل العسكري الإسرائيلي سواء في مجال الرد على عملية مصرية أو في مجـال قيـام إسرائيـل بعمليـة مخططة من قبل الجـيش الإسرائـيلي واحـدى هـاتين الامكـانيتين هـي تحطـيم القـوة المصريـة الرئيسة عن طريق تنفيـذ خطـة «كلشـون» التـي اسـتبدلت فـيما بعـد باسـم خطـة «كـردوم» والثانية احتلال قطاع غزة. وفي كل واحدة من هاتين الحالتين تسبق العملية البرية ضربة جويـة شاهلة لتحطيم قوة سلاح الجو المصري.

بعد عودتي من زيارتي للقيادة الجنوبية، عرض رئيس الاركان ورئيس قسم العمليات الخطط النهائية للهجوم على الجبهة المصرية، والتي هدفها تحطيم جميع القوة المصرية في مشارف سيناء، التي اصبحت الآن اكبر مما كان مخططا لها في الخطط المصرية الاملية. فأمرت شعبة العمليات باعداد خطة هجوم ثانية، محددة لاحتلال قطاع غزة. وكانت عملية سلاح الجو محددة لساعات الصباح. لكي يكون امام الطيارين ساعات نهارية كثيرة لاكمال مهامهم. وكانت جميع الخطط للهجوم البري تابعة لساعة الهجوم الجوي. ولكن السؤال الذي بقى دون حل هو متى تقدرر القيادة السياسية القيام بعملية عسكرية إسرائيلية. اما بالنسبة لى فقد كان واضحا انه إذا ما قرر المصريون اغلاق المضائق، وسكتت إسرائيل فاننا سنفقد كليا كافة قوة الردع. ولهذا فقد اعتقدت بان الجيش الإسرائيلي سيتلقى الاوامر بالهجوم، عندما يغلق المصريون المضائق.

٢١ ايار يوم الاحد

مثلما هي الحال في كل يوم احد اجتمعت الحكومة في جلستها الاسبوعية. وقبل الجلسة وبعدها، اجتمعت اللجنة الوزارية لشؤون الامن. وفي هذه الجلسات استعرضت الوضع واجبت على اسئلة الوزراء. بعد اكمال عمليات التجنيد قلت اننا نمتلك قوة عسكرية قوية جدا من اجل الدفاع عن إسرائيل ومن اجل القيام بهجوم على اعدائنا إذا ما دعت الحاجة إلى ذلك.

وعلى الرغم من ان الوزراء كانوا يشعرون ان الواقع السياسى والعسكري قد تغير كليا فقد اعتقدوا بأنه يجب بذل كافة الجهود السياسية وانه لم يحن الوقت بعد للقيام بعملية عسكرية. ومع هذا فانه يجب على الجيش الإسرائيل ان يكون مستعدا وجاهزا، لان تطور الأمور ينطوي على مفاجآت يصعب علينا تقديرها سلفا.

بعد جلسة الحكومة عقد اجتماع آخر لرؤساء الشعب في رئاسة الاركان اعلن رئيس الاستخبارات العسكرية انه قد اعلنت في مصر التعبئة العامة. وتوجه رئيس اركان الجيش

الاردني إلى القاهرة. ان ازالة حاجز الامم المتحدة بين مصر وإسرائيل لم تخلق وضعا يصعب على إسرائيل العيش معه. ومع هذا فان التعبئة العامة في مصر ومحاولة مصر ربط الاردن في عجلة الحرب اضافتا قدرا جديدا من القلق من المشكوك فيه ان تتمكن النشاطات السياسية الامريكية تخفيفه: وما زال الامريكيون متمسكين بموقفهم القاطع القائل بأنه يجب المحافظة على حرية الملاحة في المضائق على الرغم من طرد قوات الامم المتحدة. واخذوا يجرون اتصالات مع الدول الغربية وخاصة مع بريطانيا. وارسل الرئيس جونسون رسالة إلى رئيس الاتحاد السوفياتى ليونيد بريجينيف. وعادت الولايات المتحدة واكدت انها تعترف بالتزاماتها نحو حرية الملاحة التي قطعتها على نفسها في عام ١٩٥٧ بعد حهلة سيناء. ولكنها طلبت هنا عدم القيام باية مبادرة عسكرية طالما استمرت الاتصالات والجهود السياسية. وحاولت الولايات المتحدة تخفيف التوتر حتى عن طريق اتصالات مع مصر. ولاحظوا عند المصريين اعياء وعصبية زائدة. اما الولايات المتحدة فانها تعتقد ان اصل القدهور في الشرق الاوسط هو نشاطات الفدائيين التي ايدتها سوريا والعم السوفياتى الذي يقدم لهذه العمليات. قلت: ان العناصر السياسية تعتقد بانها تستطيع حل القضايا بطرق سياسية. ويجب ان نترك لهم المجال لاختبار مثل هذا الاحتمال على الرغم من انني لا ارى طريقة لاعادة الوضع إلى سابقه. فاذا ما اغلق المصريون المضائق فانه لن يكون هناك مفر من الحرب. وإذا ما اندلعت هذه الحرب فاننا سنضطر إلى خوض الحرب ضد جبهتين. لم نكن نشعر بان الوقت ضيق. وقد اعتقدت العناصر السياسية بان المصريين لن يسارعوا إلى اغلاق المضائق. ولم يكن لدي اعتقاد مضاد. وقد اعتقد رجال وزارة الخارجية ان المصريين سيستغلون حشد قواتهم في سيناء لدعم موقفهم العسكري والسياسي واضعاف قدرة إسرائيل على المساومة. اذن ستعطى سهلة طويلة للجهد السياسي وعلى الرغم من ذلك فقد دخلت التحضيرات الحربية في رئاسة الاركان العامة، والقيادات مرحلة جادة. إذا ما تغيرت تقديرات المستوى السياسى وتضاءلت احتمالات الجهد الدبلوماسى فان الجيش الإسرائيلي سيكون مستعدا للعهل... إلى

مثل هذا التحول الممكن اشار تقدرير رئيس شعبة الاستخبارات في ٢٢ ايار الذي قدمه في الساعة السابعة صباحا.. فقد جا، في التقدرير انه في غداة اليوم التالي ستنتهي مرحلة من مراحل بناء القوة المصرية في مشارف سيناء وستنهي القوات عملية انتشارها. ووصلت إلى منطقة شرم الشيخ قوات أخرى أكثر مما كان متوقعا في تقديراتنا السابقة وعنز المصريون قواتهم في الغردقة وهي قاعدة جوية، وبحرية واقدرب قاعدة إلى قلب مصر. وارسلوا إلى هناك اسراب الطائرات وقوة بحرية ومدفعية. وجميع هذه الاجراءات تشير إلى نوايا المصريين في اغلاق مضائق تيران وفي نفس الوقت يكهلون انتشارهم العسكري في مشارف سيناء. توجهت إلى القيادة الجنوبية للاطلاع على الخطط الهجوهية لهذه القيادة. وبعد ان عرضت الخطط بحثنا امكانية مختلفة لدعم القوة المخصصة لاختراق المحور الشمالي. كما درسنا الخطة المحددة جدا خطة «عصمون» التي تنص على قيام الدروع باحتلال قطاع غزة خلال بضع ساعات، واحد الوية الدروع يقوم بحماية الجناح الجنوبي نحو العريش في ذلك المساء ابلغني وزير الخارجية ابا ايبان بتطور النشاطات السياسية. وقد ازعجتني مسألة فيما إذا سيغلق عبد الناصر المضائق وتقوم الحكومة بأمر الجيش الإسرائيلي بمهاجمة مصر، ما هو الوقت الذي سيعدد لنشاطاتنا حتى ينتهي قدخل الامم المتحدة والدول العظمى. وعاد ابا ايبان واكد الوضع السياسي الذي تورطنا فيه. اننا معنولون ولن تقوم اية دولة عظمى بمساعدتنا. وإذا ما امر مجلس الامن بوقف اطلاق النار فانه لا يوجد اي تأكيد من ان حق النقض الفيتو سيستخدم ضد هذا القرار واعتقد بأنه منذ اللحظة التي ستخرج فيها إسرائيل إلى الحرب ستكون امام الجيش الإسرائيلي بين ٢٤ و ٧٢ ساعة للعهل قبل ان يمنحنا القدخل الدولى من التقدم. اذن كانت هناك اهمية بالغة لعنصر الزمن. انه لا يوجد جيش يخرج إلى حرب شاهلة بدون ان يكون شاعرا بالثقة مسبقا بأنه يستطيع تحقيق اهدافه ولا يوجد شعب وخاصة مثل الإسرائيليين يخرج لهدر دماء ابنائه في الوقت الذي ينتهي فيه الوقت بسرعة. ان الخطة العملية الإسرائيلية في الجبهة المصرية كانت مبنية على تمرين عهيق لتطويق معظم الجيش المصري في

مشارف سيناء ومهاجمته من الجناح والخلف. وكان الوقت الكافي لتنفيذ هذه الخطة يزيد عن ٤٨ أو ٧٢ ساعة. ولم يكن اي شخص هنا يستطيع ان يلتزم بان الجيش الإسرائيلي سينجح في تنفيذ المهمة في اطار الوقت الضيق الذي يعتقد السياسيون بأنه سيكون امامه.

بعد ذلك وفي ساعات المساء عقدنا اجتماعا لاعضاء رئاسة الاركان العامة. وتحدث رئيس شعبة الاستخبارات في هذا الاجتماع عن الهواضيع السياسية. وقال انه يجب ان نتوقع ضغطا أمريكيا من شأنه ان يقيد حرية عهلنا. وعلى الصعيد العربي: فقد عرضت العراق تقيم مساعدتها لمصر. والسوريون قاهوا بعهل تخريبي في الاردن وتصاعد التوتر بين سوريا والاردن وعدت وطلبت اتمام جميع الوسائل الادارية لكي نكون مستعدين لعملية هجوهية في اقصر وقت ممكن للانذار الذي نتلقاه من الحكومة. وفي نطاق الخطة للهجوم على الجبهة المصرية قررت بان الاولوية الرئيسة لاستخدام القوات المنقولة جوا تكون مهمتها مساعدة سلاح الجو في تحقيق اهدافه: وهي قدهير سلاح الجو المصري، وضرب مطاراته وعرقلة وسائل الاتصال ومحاور حركته. وعندما قام قائد القيادة الجنوبية بعرض الخطة تحفظ قائد القيادة الشمالية وقائد القيادة الوسطى من الخطة المحدودة «عصمون» قالا ان الخطة الهوسعة «كردوم» فقط هي التي ستحقق الاهداف السياسية والعسكرية. واما رئيس شعبة الاستخبارات وقائد سلاح الروح فقد رأيا بتنفيذ خطة عصمون اسوأ الاحتمالات. وقلت انه من الافضل تنفيذ خطة كردوم وسنعهل في نطاق قرار الحكومة. وعلى اية حال يجب ان نرى بالخطة المحدودة ادنى حد سينفذه الجيش الإسرائيلي إذا لم يسمح له بتنفيذ الخطة الهوسعة.

وقام قائد القيادة الشمالية بعرض خطة قيادته.

وعرض قائد القيادة الوسطى خطته واهمها القيام بالاعمال الخاطفة داخل القدس.

ان وصف الاحداث يوم ٢٢ ايار سيظل ناقصا إذا لم اتطرق إلى الاجتماعين الذين عقدتهما مع دافيد بن غوريون وموشة ديان واللذين من الصعب ان اصفهما بانهما حهلا طابعا سياسيا

أو عسكريا محضا. وقد بادرت إلى عقد هذين الاجتماعين لانني كنت مضطرا، لانني اردت ان استمع إلى رأيهما وربما استمد منهما التشجيع. فقد تزايدت الاعباء علي. فقد حهلت على اكتافي عبء ذلك الوقت الحرج. فقد واجهت إسرائيل اخطر الاوضاع في تاريخها. فمن الناحية العسكرية فانه من المحتهل ان يضطر الجيش الإسرائيلي إلى خوض الحرب في جبهتين وربما في ثلاث جبهات في آن واحد. ومن الناحية السياسية فان إسرائيل تعيش في عنلة وتلاقي صعوبة كبيرة في العثور على اصوات مؤيدة بين النعماء في الدول الغربية.

وحسب ما هو متبع، ونتيجة لتجارب الماضي، فان رئيس الاركان سيقوم بتقسيم اعبائه مع رئيس الحكومة ووزير الدفاع. وفي الايام التي يزداد فيها التوتر وكل ساعة تمر تجلب معها نذرا جديدة فان هذه الاعباء هي اثقل من قدرة الانسان على حملها.

لقد شعرت بالعنلة. واحترمت رئيس الوزراء ووزير الدفاع ليفي اشكول كشخص يهودي ورجل استيطان.... وقدرت اعماله كوزير دفاع حتى فترة الانتظار عشية حرب حزيران. ولكن اشكول ايار ١٩٦٧ لم يكن اشكول ١٩٦٣ عندما تخلى بن غوريون عن منصبه وكلفه بمهمة النعامة. لقد اخذت العلاقات تسوء بيننا. ان الذين ساروا على طريق بن غوريون أو الذين اعتقدوا بانهم ينفذون رغبته قد انتظروا بفارغ الصبر اليوم هؤلاء الذين سيخلفون فيه اشكول. وهؤلا. الاشخاص لم يألوا جهدا طيلة السنوات ان يقصروا من اجنحة ليفي اشكول وعرضه وكأنه اداء فارغة. والان وفي هذا التوتر المتصاعد حانت الفرصة المناسبة لهم. فقد قاموا بالتهكم عليه واضعفوا شخصيته ونشروا جميع نقاط ضعفه ونشروا عنه القصص والاكاذيب وقالوا انه لا يوجد لإسرائيل في هذه الاوضاع الحرجة وزير دفاع. وقد اصبح اشكول منهك القوى. فاعباء الساعة وحهلة التشهير ارتبطتا معا لتقويض مكانته. وساءت صلاحيته حتى في نظر بعض الوزراء الذين تأثروا بالروح السيفية لرجال حزب «رافي» وكذلك حتى في نطر بعض كبار القادة. واود القول هنا بأنه قد ادرك وشعر بالاحداث. ومنذ اللحظة التي قرر فيها عبد الناصر اغلاق المضائق قال اشكول انه لا مفر من

الحرب. وفي الوقت الذي كان فيه بدون اجنحة وبدون صلاحية لم يستطع فرض سيادته على الحكومة.

ان الذنب ليس ذنبه، ولكنه بسبب الظروف المؤسفة لم أعد اجد به الدعامة لاقتسام العبء.

وكنت اقدر بن غوريون كغيري من ابناء جيلي. كما كنت اقدر موشه ديان كرئيس اركان، وكرجل عسكري.

٢٢ ايار ١٩٦٧ شعرت بضرورة تبادل الحديث مع بن غوربدون. وشعرت بان الحكومة وهي في وضعها المرتبك قد توقعت مني ان لا اعرض امامها فقط الامكانيات واحللها من ناحيتها العسكرية وانما انقذها من الام الشك وان اقول لها بصراحة ما هو القرار الذي يجب عليها اتخاذه. وهذا التوقع ناقض بشدة وجهة نظري القائلة انه بعد ان يعرض رئيس الاركان الامكانيات العسكرية وتوصياته فان الحكومة هي التي تقدرر الامكانية التي ستنفذها. وبعد مرور عدة سنوات وعندما اصبحت رئيسا للوزراء طبقت نظريتي هذه فعلا. فلم اطلب من رئيس الاركان في يوم من الايام ان يقوم هو باتخاذ القرارات بدلا من الحكومة.

وقد استقبلني بن غوريون بحرارة وود. ولكن بدلا من ان يدعمني زادني مرارة. فقد قال لقد تورطنا في وضع خطير جدا. وأنا اشك جدا فيما إذا اراد عبد الناصر شن الحرب. اننا في ضائقة كبيرة. واصبحنا نعيش في عنلة لم يسبق لها مثيل. اهتم بالوضع العسكري، وبهيزان القوى. فاستعرضت له الوضع باختصار. ويؤسفني ان اراه بهذا الشكل. فلم يكن فقط بعيدا عن المعلومات وانما ما زال يعيش في عالم المصطلحات القديمة التي أكل عليها الدهر وشرب. فقد اخطأ في تقدير قوة الجيش الإسرائيلي وكان يعتقد بان إسرائيل موجودة في ضائقة عسكرية خطيرة وانه يشك جدا فيما إذا تستطيع إسرائيل الصمود امام اعدائها. وبعد ذلك اخذ يؤلم الحكومة ورئيس الوزراء بكلام اقوى من ضرب السياط فقال: ان الجيش تمام،

والقادة تمام، وانت تمام. ولكن لا يوجد من يقـول لكـم مـاذا تفعلـون ان عـلى رئـيس الـوزراء، والحكومة ان يتحهلوا مسؤولية القرار فيما إذا ستخرج إسرائيل إلى الحرب ام لا.

وهذا ليس من شأن الجيش الإسرائيلي ان يقـرر.... ان القيـادة السياسـية لا تقـوم بواجبهـا وهكذا يعجزون عن العمل في ايام التـوتر. واضـاف بعـض الانتقـادات إلى اشـكول شخصـيا... لم اشعر في يوم من الايام بخيبـة اهـل وضـائقة شـديدة كهـذه. ولم اكـن افكـر بـان بـن غوريـون سيتهجم على الحكومة ورئيسها امام رئيس اركان الجيش. وقد كنت آهل بأنه سيوفر على هذه التجربة وهي سماع هذه الانتقادات من فمه.

واضاف بن غوريون قائلا: لقد اقدمت عـلى خطـأ وقصـد بـذلك تجنيـد قـوات الاحتيـاط. وقلت: لقد اوصيت باعلان التعبئة العامة لكي نكون مستعدين. فقال: لذا اخطأ مـن وافـق لـك على تجنيد هذا العدد الكبير من الاحتياط. لقد وضعتم إسرائيـل في اسـوأ الاوضـاع. انكـم انـتم الذين تتحهلون المسؤولية. يجب علينا ان لا نخرج إلى الحرب اننا في عنلة.

خرجت من عنده والاسى يؤلمنى. وشعرت بعظيم العبء الملقى على عـاتقي. وظلـت تـرن في مسمعي اياما طويلة اقواله: لقد وضعتم الدولة في اسوأ الاوضاء. انكم انـتم الـذين تحهلـون المسؤولية. وتأثرت من هذا الاجتماع كثيرا فقلت للوزير يسرائيل جليلي: يجب عـلى الجـيش ان يتلقى توجيهات واضحة من القيادة السياسية انه يصـعب علينـا جـدا ان نعـيش في مثـل هـذا الضباب. فقال لى جليلى: سأبذل كل ما في وسـعي لـكي تتلقـوا توجيهـات واضـحة. فـذهبت إلى اشكول. فوجدته حائرا بين اعترافه العهيق بأنه يجب العمل ولا مناص من الحرب وبـين الواقـع الذي يعيشه وهو انه لا يستطيع توحيد الحكومة ودفعها على اتخاذ قرارات حاسمة وواضحة.

في تلك الليلة، وبعد اجتماعى بوزير الخارجية ابا ايبان اجتمعت بمبادرتي مع موشة ديـان. وبالنسبة للموضوع السياسي لم ارتح لاقوال ديان. وهـو ايضـا لم يخفـف مـن انتقـاده للطريقـة

التي جرت بها الامور خلال العاهين الماضيين. على الرغم من انه لم ينتهج لغة الاتهام الشخصي. وقال لقد اخطأنا بسبب وضعنا لعبد الناصر امام محك النعامة في العالم العربي واجبرناه عن طريق نشاطاتنا ضد سوريا والاردن إلى موقف اللاخيار. وبذلك دفعناه للدفاع عن هيبته في بلده والعالم العربي وتسببنا في تصعيد الوضع في الشرق الاوسط. وقال ديان انه منذ الآن فصاعدا سيقوم عبد الناصر بعمليات خطيرة أخرى. ومقابل ارائه عن الموضوع السياسي فقد استمديت التشجيع من اقواله عن الجيش الإسرائيلي فعرضت امامه الافكار العسكرية وخططنا. ولم يرض عن خطة «عصمون» المحدوده. واعتقد انه يكون بهذه الخطة رد كان للوضع الذي طرأ. وقال لي ديان انه ارتاح جدا لقوة الجيش الإسرائيلي، خلال ندوة رؤساء الاركان السابقين التي نظمت في ١٦ ايار. وقال ان تعاظم قوة سلاح الجو كان معروفا لديه، أكثر أو اقل، ولكن تعاظم قوة الروح كان مريحا له بنسبة كبيرة. وتحدث بتقدير كبير واحترام عن الجيش الإسرائيلي. واعترفت له بالجهيل على ذلك. فاذا اتهموني بانني أنا الذي تسببت في اعلان التعبئة العامة وعن طريق ذلك نقلت إسرائيل إلى الخطر الكبير، فانهم لن يتهموني لانني لم اعد الجيش الإسرائيلي الاعداد السليم لمواجهة الاختيار الصعب.

في الساعة الثالثة والدقيقة الاربعين من صباح يوم ٢٣ ايار بشرونا بان مصر قد اغلقت المضائق. وجاء في البيان الرسهي الذي اعلنته مصر ان المضائق قد اغلقت بوجه السفن التي ترفع العلم الإسرائيلي وبوجه اية سفينة تحهل شحنات ومواد استراتيجية إلى إسرائيل.

ولدى ورود هذا النبأ قمت بعقد اجتماع لرؤساء الشعب. وامرت قائد القيادة الجنوبية بعدم تحريك القوات طالا لم يتخذ قرار حول طريقة العمل. وخلال انعقاد الجلسة اي في الساعة الرابعة صباحا ورد خبر مكهل للبيان المصري بان الحصار المصري يسري على كل سفينة تنقل النفط إلى ايلات وهذا يعني ان عبد الناصر قصد بقوله المواد الاستراتيجية «البترول». وخلال هذا الاجتماع اعربت عن مخاوفي مما سيفعله الروس. وكنت اشعر بان الولايات المتحدة لن تتخذ هذه المرة مواقف واضحة يكون بها ما يردع السوفيات عن التدخل فيما سيجري.

ووردت انباء مقلقة أخرى: فقد اغلق محور القنيطرة - دمشق وامر المراقبـدون الـدوليون بعدم السـير عليـه. وعـلى هـذا المحـور توقفـت عـن الحركـة جميـع العنـاصر الاجنبيـة. واخـذ امسوريون يعنزون قواتهم في هضبة الجولان.

وفي الساعة ٨,١٠ صباحا وصل رئيس الوزراء ووزير الدفاع إلى موقـع القيـادة العليـا وقـال ان رئيس الولايات المتحدة بعث برسالة إلى إسرائيل طلب فيها عدم اطلاق الطلقة الاولى وعـدم العمل بدون التشاور مع بلاده. وكنا نعتقد بان عبد الناصر اطلق أكثر من طلقة ولكن الولايـات المتحدة كانت تفكر بشكل آخر.

فتحدث هنا رئيس شعبة الاستخبارات وقال: لقـد انتهـت فـترة معركـة سـيناء. ان الامـر لم يعد هنا حرية الملاحة فقط. وقال يريف انه إذا لم ترد إسرائيـل عـلى اغـلاق المضـائق فانـه لـن تبقى اية اهمية لقدرة الردع التي تمتع بها الجيش الإسرائيلي. وسـتقوم الـدول العربيـة بتفسـير ضعف إسرائيل كفرصة ممتازة لضرب امنها ووجودها بالذات.

وقال رئيس شعبة الاركان عيـزر وايـزمن ان الوقـت يعهـل لغـير صـالح إسرائيـل سـواء في المجال السياسي أو على الصعيد العسكري ولهذا يجـب انـزال ضربـة في السـلاح الجـوي المصري فورا وبدون تأخير وفي وضح النهار. وقد اقترح عيزر وايزمن مرتين يوهي ٢٣ و ٢٤ ايار قائلا انـه إذا لم نستطع القيام بعملية هجوم مشتركة وكاملة فانه يجب ان نهجـم بـدون تـأخير بواسـطة طائرات سلاح الجو على سلاح الجو المصري.

قلت: الجيش الإسرائيلي سيضطر إلى خوض الحـرب في جبهتـين وربمـا في ثـلاث، في الجبهـة الاردنيـة ايضـا. سنضـطر إلى العمـل وحـدنا. وسـتكون هـذه الحـرب حربـا مصـيرية كحـرب «الاستقلال» انني لا اشـك في ان المسـتوطنات الشـمالية سـتتعرض إلى قصـف شـديد مـن قبـل السوريين وانني واثق من قدرتنا العسكرية للتغلب على العرب ولكن المشكلة سـتزداد خطـورة إذا ما قدفل السوفيات في الحرب.

وافق رئيس الوزراء على تقديراتي. وطلب دعم القوات في الشمال. وقلت له انه مـن اجـل تحقيق نصر جوي حاسم وهو المفتاح للنصر الشاهل يجـب علينـا ان نخصـص جميـع طائراتنـا لانزال الضربة الجوية في أسلحة الجو العربية ولا نستطيع ان نكلف طائراتنا بمعالجـة المدفعيـة السورية التي ستقصف المستوطنات في الشمال. وتحدث اشـكول بقلـق وحـرارة عـن السـطوح الحمراء للمستوطنات في الشمال.

مكالمة هاتفية من قائد القيادة الجنوبية اعادتنا إلى الجبهة الرئيسة. لقد طـرأت تغيـيرات على مرابطـة الجـيش المصري. يجـب تغيـير خططنـا الهجوهيـة. لقـد كشـف المصريـون قـواتهم الامامية. وهناك دلائل اولى على ان الفرقة الرابعة تستعد للتحرك نحو سيناء.

واشكول الذي ادرك تماما بان الوقت اصبح ضيقا اعرب عن رأيه بسرعـة: انـه قـد لا تكـون هناك فائدة من الانتظار. وربما يجب العمل الان. ولكن يجب علينا ان نرسل رسالة إلى الـرئيس الامـريكي. ويجـب علينـا ان لا نعهـل مـن خـلال الجابهـة مـع الولايـات المتحـدة التـي تطالـب باستمرار بان لا نطلق الطلقة الاولى وان نتشاور معها قبل ان نقرر القيام بعمليات حاسمة.

لقد رأى رئيس الوزراء بتحذيرات الولايات المتحدة تهديدا خطيرا يتضح منه مـاذا سـيكون موقف الولايات المتحدة إذا ما اندلعت حرب: اننا سنظل وحدنا في الساحة الدوليـة والسياسـية ولا نستطيع الاعتماد على تأييد الولايات المتحدة. وإذا لم تقـم الولايـات المتحـدة بـردع الاتحـاد السوفياتى عن قدخله في القتال فان إسرائيل ستنجر وتتورط في وضع خطير جدا على الصعيدين السياسى والعسكري. ولهذا فـان حتهيـة قيـام إسرائيـل بالتفـاوض مـع الولايـات المتحـدة حـول التخفيف من حدة معارضتها لامكانية قيام إسرائيل باطلاق الطلقة الاولى كانت حيوية جدا...

الفصل الثالث

الانتظار- «عبد الناصر ينتظر رابين»

في ٢٣ ايار وعند الظهر اجتمعت اللجنة الوزارية لشؤون الامن وكان الوزراء مازالوا يؤمنون بان الولايات المتحدة لم تتراجع عن التزاماتها نحو حرية الملاحة وانها بحكم هذا الالتزام ستعهل على فتح المضائق المغلقة. ولكنني اعربت عن شكي في امكانية ان يفعل الامريكيون ذلك.

وفي هذه الجلسة اشترك اعضاء الكنيست غولده مئير، التي كانت تعهل آنذاك سكرتيرة لحزب العمل ولم تكن عضوا في الحكومة، وهناحم بيغن، وموشه ديان ومندوبون عن المعارضة. وقد قمت بشرح الوضع الذي طرأ بعد اغلاق المضائق. وتحدثت اليهم عن معلومات وتقديرات من مصادر مختلفة تقول انه اصبح من شبه النكد ان مصر لن تطلق النار على السفن الإسرائيلية أو غيرها التي تنقل البضائع إلى إسرائيل إذا ما رافقتها سفن حربية اجنبية. ومن هنا يبدو ان عبد الناصر لا يتبعد بان الولايات المتحدة ستنفي باقوالها، بصدد حرية الملاحة وستحاول اختراق الحصار المصري. فسألت: هل ان إسرائيل مستعدة للتسليم باغلاق المضائق أو انها ستشن الحرب على مصر؟ لم اقم بعهل بصورة سهلة. فقد أسرت إلى المصاعب الكبرى. وقلت اننا سنضطر إلى خوض الحرب على الاقل في جبهتين، مصر وسوريا، ومن الممكن ايضا الجبهة الاردنية. وقلت انه لم يوضع على كفة الهيزان. فقط حرية الملاحة في مضائق تيران وانما الاكثر من ذلك: صدق إسرائيل، واصرارها وقدرتها على تطبيق حقها في الدفاع عن النفس.

واكدت ان العرب ليست نزهة، فالحروب ليست سهلة حتى ولو كانت نتائجها بسيطة. ان امن إسرائيل معرض للخطر الداهم، وإذا لم نرد فاننا سنفقد قدرة الردع للجيش

الإسرائيلي. فالنتانج ستكون اخطر على المدى البعيد. وكما هو مفهوم كان من حق المشتركين في الاجتماع ان يعرفوا ماذا يقترح الجيش الإسرائيلي عهله ومن واجبهم أن يسألوا. فقلت ان لا توجد امكانية عسكرية للحرب من اجل شرم الشيخ فقط أو نبدأ الحرب هناك، فهذا هو اصعب وأسوأ مكان بالنسبة لنا. ان الضربة الفعالة التي نستطيع انزالها بمصر، هي تدهير سلاح الجو المصري في مطاراته. وعلى الرغم من انه توجد في مصر حالة استعداد قصوى، فاننا نستطيع مفاجاة المصريين بطريقة تنفيذ الهجوم الجوي. وبالقرب من موعد هذا الهجوم تقوم قواتنا المحشودة باقتحام سيناء. وهناك امكانية أخرى وهي شن هجوم جوي واحتلال سيناء وإذا ما فعلنا ذلك فان السوريون سيردون على الاقل بواسطة سلاح الجو والمدفعية التابعة لهم. اننا لسنا بريطانيين أو فرنسيين، اننا لوحدنا.

وسئلت فيما إذا انتظرنا مرة أخرى لمدة ٤٨ ساعة سيكون الامر حاسما أو ستعرض احتمالا العمليات الإسرائيلية للخطر. فأجبت أنه من الافضل العمل بأسرع وقت ممكن ولكنني لا اقول بأن الانتظار لمدة ٤٨ ساعة هو مصيري.

وكان تقديري هذا ما يريده المشتركون. ومال وزاء الحكومة ومندوبو المعارضة إلى عدم اتخاذ قرار فوري بشن الحرب لانهم ما زالوا يؤمنون بامكانيات النشاطات السياسية وبتأثير رسالة الرئيس الامريكي بدون أن تمنحها مغزاها الكاهل. ولو قلن ان الانتظار لمدة ٤٨ أو لمدة ٧٢ ساعة ينطوي على أخطار جسيمة لكان الوزراء ومندوبو المعارضة قد اصيبوا بخيبة أهل، انني اشك جدا فيما إذا كانوا مستعدين لتحهل الممسؤولية. والان بعد ان اتفقت واياهم على الرأي، اعتمدوا على اجوبتي واتخذوا القرار التالي:

أ- ان اللجنة الوزارية تعتبر اغلاق مضائق تيران بوجه الملاحة الإسرائيلية عهلا عدوانيا موجها ضد إسرائيل.

ب- تأجيل اتخاذ قرار بصدد الرد على العمل الآنف الذكر لمدة ٤٨ ساعة. وخلال هذه الفترة يستوضح وزير الخارجية موقف الولايات المتحدة من الوضع الذي طرأ.

ج- تفويض رئيس الوزراء ووزير الخارجية أن يتخذا قرار بصدد سفر وزير الخارجية للاجتماع بالرئيس الامريكي إذا دعت الحاجة إلى ذلك.

ويبدو من التناقض بين البندين الاخيرين في القرار، ان التأجيل لمدة ٤٨ ساعة لا يحدد قائمة زمنية محددة. فاذا ما توجه وزير الخارجية إلى الولايات المتحدة فسنكون بحاجة إلى عدة ايام، وبالتأكيد أكثر من ٤٨ ساعة للاستماع إلى تقدرير الوزير، وتحليله قرار آخر بموعد وطريقة الرد.

واقترح بعض المشتركين أن تتوجه غولده مئير لعقد اجتماع مع رئيس الولايات المتحدة. وفي وقت لاحق علم بان ابا ايبان قد اعلن صراحة: إذا ما سافرت غولده مئير فانه سيقدم استقالته الفورية. توجه وزير الخارجية في طريقه. إلى فرنسا وانكلترا والولايات المتحدة. ومرة أخرى لم يراودني الشك بان فترة الانتظار أكثر من الموعد الوارد في قرار اللجنة الوزارية لشؤون الامن.

بعد الظهراجتمعت مع رئيس الوزراء، ووزير الدفاع. واشرت إلى التوتر الشديد وتعاظم القوات المصرية في سيناء وطلبت موافقته على تجنيد ٣٠,٠٠٠ رجل احتياط آخرين لاكمال القوات المدرعة، وألوية الظليين والمشاة، والمدفعية والهندسة.

اجرينا نقاشا بعد نقاش... ولكن القرار الصريح الذي اتخذته اللجنة الوزارية لشؤون الامن لم يمنع عيزر وايزمن خلال اجتماعه مع اشكول من ان يعود ويطلب ان يقوم سلاح الجو بانزال ضربة جويو فورا وبدون تأخير. وقلت انه الآن وبعد ان قررت اللجنة الوزارية- دخلنا في عملية سياسية تتطلب عدة أيام وطالما لم تكتهل هذه العملية لن يكون هناك قرار بشن عملية إسرائيلية. ولكن وايزمن لم يرتح لهذا الرأي...

وبعد ذلك، وخلال اجتماع حضره رؤساء الشعب وعمداء القيادات، وقادة الأسلحة، قدم رئيس شعبه الاستخبارات استعراضا مفصلا للاستعدادت المصرية. ولم تكن هناك

امكانية للشك في مغزى هذه الامور: ان قوة مصرية ضخمة حشدت في سيناء وهي في حالة استعداد قصوى... وسارعت موسكو إلى الاعلان عن العدوان الإسرائيلي بدون ان تذكر اغلاق المضائق. والاهيركيون يعتقبون بشدة النشاطات السوفياتية. ويبدو ان الولايات المتحدة قد أبلغت الاتحاد السوفياتي، بأنها لن تستطيع منع عملية إسرائيلية ردا على اغلاق المضائق. وتحدثث عن قرار اللجنة الوزارية لشؤون الامن وعن سفر ابا ايبان إلى فرنسا، وانجلترا والولايات المتحدة. وتحدث قائد القيادة الجنوبية عن تعزيز القوات المصرية في المحور الجنوبي والمحور الشمالي على حساب محور الوسط. وهذا الامر يتطلب اجراء تغيير معين على صورة انتشار قواتنا المهاجمة.

وقد بحثنا خططا مختلفة، موسة ومحددة. عدت وقلت ان الشرط الرئيس لكل عملية، مهما كان حجمها، هو تحقيق التفوق الجوي.وأكدت انني لا اقصد احتلال سيناء وانما انزال ضربة قاصمة بسلاح الجو والروح المصريين واحتلال قطاع غزة وبعض المناطق إلى الجنوب منها بدون ان نعدد في هذه المرحلة عمق تقدمنا.

لقد كان تفاؤل قائد سلاح الجو في محله: فقد قال انه بعد ثلاث ساعات من عهل طائراتنا سيكون وضعنا العسكري مختلفا تماما. ولكنه أعرب عن قلق واحد يساوره: وهو ان القاذفات المصرية قد تضرب الخطوط الخلفية الإسرائيلية. وأضاف ان طائراتنا ستضربها في المرحلة الاولى في قواعدها وتبطل مفعولها. كيف تجرؤ... كيف تجرؤ؟ ان بن غوريون لم يجرؤ.. ولكنك تجرأت.. يجب ان تتمركز بل وعليك ان تتمسمر! ان الحرب ستعرض وجود إسرائيل إلى الخطر! هذه الاقوال الخطيرة أخذت تترك صداها في اذني في ذلك اليوم الصعب ٢٣ ايار ١٩٦٧. اردت ان ازيلها من مخيلتي اردت ان اخفف من وطأتها. وعلمت بأنه يجب على ان لا اترك للكلمات الصعبة ان تسيطر على وان تصفعني هزيمتها من الذاكرة ولكنها عادت مرارا وتكرارا وترن في اذني بقوة.

لقد استمعت إلى هذه الكلمات بعد الجلسة التي عقدتها اللجنة الوزارية لشـؤون الامـن. فوزير الداخلية موشة حاييم شابيرا، وزعيم الحـزب الـديني الـوطني كـان شـديدا في معارضـته لقيام إسرائيل بشن الحرب أكثر من جميع المشتركين. لقد كنـت احـترم شـبيرا كأنسـان وكـزعيم. وبعد نهاية الجلسة انزويت أنا واياه في إحدى الغرف وكأنني اوهيت لـنفسي بضـائقة الـنفس.. فسألت الوزير لماذا يكون موقفه متصلبا هكذا ضد محاولة إسرائيل لافـتراق الحصـار المفـروض على الضائق وطرد الجيش المصري من سيناء ذلك الجيش الذي يهدد إسرائيل؟

فتحدث الوزير... وهو يزداد انفعالا قائلا: قل لى انت: هل تعتقد حقا بان الطاقم اشـكول - رابين يجب ان يكون أجرأ وأشجع من الطاقم بن غوريون - ديان؟ لماذا؟ في عـام ١٩٥٠-١٩٥١ اغلقوا المضائق فهل تسرعت إسرائيل إلى الخروج إلى الحرب؟ وحتـى عـام ١٩٥٦ كانـت مغلقـة فهل هذا الامر عرض وجود وأمن إسرائيل للخطر؟ كلا لم يعرضه للخطر ابـن غوريـون لم يخـرج إلى الحـرب عـلى الـرغم مـن ان مصر شـجعت النشـاطات التخريبيـة ضـد إسرائيـل وصـلحت الفدائيين وغطت عليهم. فمتى اتجه بن غوريون إلى الحرب. هل فعل ذلك في عام ١٩٥٦؟ لقـد ذهب ولكن فقط عندما توفرت الشروط المناسبة. ان إسرائيل لم تذهب إلى الحرب وحـدها. ان فرنسا وبريطانيا اللتين على الرغم من انهما قـد تنازلتـا عـن عظمـتهما فـانهما مـا زالتـا دولتـين عظهيين ذاتا وزن عالهي. وهما اللتان تعهدتا بالقضـاء عـلى سـلاحي الجـو والبحريـة المصريـين. الجيش المصري حشد في منطقة القناة ولم ينتشر، مثلما هي الحال الآن في سيناء. أسراب طـيران فرنسـية هبطـت في الـبلاد لحمايـة الاجـواء الإسرائيليـة مـن هجـوم مصري. وأسـلحة البحريـة البريطانية الفرنسية قامت بحمايـة السـواحل الإسرائيليـة. وضـهنا سـلامة السـكان المـدنيين. ولم يذهب بن غوريون قبل ان يضمن بان العرب ستكون فقط ضد مصر وان تقف سـوريا والاردن موقف المتفرج. ولم يذهب إلى الحرب الا بعد ان ضمن بـان الـدولتين، عـلى الاقـل، قـد التزمتـا باستخدام حق الفيتو في مجلس الامن ضد اي قرار مضاد لإسرائيل.

فكيف تجرؤ على الذهاب إلى الحرب وجميع الطروف الآن هـي ضـدنا؟ كيـف تجـرؤ؟ ان اية دولة عظمى لن تؤيدنا. ان مصر ستضطر لخوض الحرب في جبهة واحدة.

امـا نحـن فسنضـطر لخـوض الحـرب في جبهتـين وربمـا اكـثر. وحتـى الولايـات المتحـدة لا تؤيدنا... انها تطلب هنا ان لا نقوم باطلاق الرصاصة الاولى. وسنكون معزولين تماما في الحـرب. ولن تكون لنا موارد أسلحة إذا ما تورطنـا في الـنقص خـلال الحـرب. اننـي مـدرك بـانهم إذا مـا هاجمونا فاننا سنخرج لخوض الحرب دفاعا عن انفسنا. ولكـن ان نتبنـى الحـرب؟! وان نجلـب على انفسنا هذه اللعنة بأيدينا؟! انكم تريدون ان تكونـوا مسـؤولين عـن الخطـر الـذي يتهـدد إسرائيل! انني سأعارض ذلك طالما ظل الدم يسري في عروقي!

لقد عبر الوزير شبيرا باقواله هذه عن النفسـيات التـي كانـت رائجـة لخـوض في الاوسـاط السياسية والقائلة: هل يعتبر اشكول نفسه بطلا وطنيـا وأشـجع مـن بـن غوريـون؟ وهـل هـو ورابـين يسـتطيعان حمـل المسـؤولية المصـرية وتـوريط إسرائيـل في الحـرب الخطـيرة، وحيـدة ومهجورة؟ ان هذا الامر لهو جنون وهراء...

بعد هذا الحديث الطويل والصعب مع وزيـر الداخليـة شـبيرا شـعرت بالضـعف جسـديا ومعنويا واصبحت افكر جديا بهذه الـتهم.. ازداد ضـعفي ورجعـت إلى البيـت منهـك القـوى... ازداد تدخيني على الرغم من انه سبب لى امراضا قوية في الماضي... اردت ان اتحدث مع شخص ما لربما خفف عني وطأة التفكير والشعور بالمسؤولية.. فاستدعيت عيزر وقلت له هل أنا عـلى غير صواب.. وهل ان طريقتي غير سليمة... انني اريد التخلى عن منصبي إذا دعت الحاجـة إلى ذلك. ولكن عيزر وايزمن نهاني عن ذلـك وذهـب. ولكـن شـعوري لم يتحسـن فقامـت زوجتـي باستدعاء الطبيب ففحصني ووجدني مرهقا وبحاجة إلى الراحة.

لكن عيزر وايزمن ذهب وأبلغ رئيس الـوزراء وجميـع المسـؤولين بالوعكـة الصحية التـي ألمت بي... ربما خاف على مصير الزعامة العسكرية لكنني اعتقـد بأنـه تسرع.. في يـوم ٢٥ ايـار

عدت إلى مزاولة نشاطاتي الكاملة واثقا من قدرتي على قيادة المعركة... وعندما رجعت علمت انه في غيابي اجتمع رؤساء الشعب وعمداء القيادات ووضعوا خططا عملية.. وفي ذلك الاجتماع الذي لم يشترك فيه حاييم بارليف الذي وصل في ذلك اليوم من فرنسا ففي ٢٢ ايار تلقيت رسالة مؤثرة من حاييم بارليف. وقد طلب مني ان استدعيه من دراسته في فرنسا وان اسلمه اي منصب اراه هناسبا له. واضاف ببساطة: انه إذا لم توجد وظيفة لى الآن يجب ان تتذكر بانني اعرف بان اقود دبابة. فاجبت حاييم ببرقية: عليك ان تبقى الآن في فرنسا ولكني وعدته بأنه إذا ما اقترب موعد الحرب فانني سأستدعيه بسرعة.

وفي ٢٣ ايار، بعد ان اعلن عبد الناصر اغلاق المضائق قلت لرئيس مكتبي ان يأمر حاييم بارليف بالعودة إلى إسرائيل ولم استشر اي شخص. ولم اختر المنصب الذي سأسلمه لحاييم بارليف آنذاك. فقد كنت اقدر بارليف كرجل دروع ممتاز واعتقدت بان الجيش الإسرائيلي سيكون بحاجة اليه في هذا الوقت العصيب. وبعد مرور بضعة ايام عينته نائبا لرئيس الاركان. وبقي عيزر وايزمن في منصبه كرئيس لشعبة الاركان. ولم يرشح لهذا القرار الذي جعل بينه وبين رئيس الاركان شخصا ثالثا. ولم يعد عيزر يشغل منصب الرجل الثاني في الجيش الإسرائيلي. انني لم اقصد باي حال من الاحوال الاساءة إلى عيزر. وكان تقديري الوحيد هو الدور الذي يستطيع بارليف تقديمه للجهاز..

وفي ٢٣ ايار امرت رئيس شعبة الاركان بعدم ارجاء اكمال تجنيد الاحتياط، على الرغم من انه كان واضحا من ان الجيش الإسرائيلي لن يخرج إلى الحرب على الاقل خلال ٧٢ ساعة القادمة. ومقابل ذلك امرت بتأخير عملية الخداع المخططة والتي هدفها ان تخلق لدى المصريين الانطباع باننا نريد ان نهجم على منطقة شرم الشيخ لجر قواتهم إلى هذه المنطقة في حين اننا نريد ان نوجه هجوهنا إلى مشارف سيناء. وبالنسبة لخطة الهجوم قلت اننا سننفذ في المرحلة الاولى الخطة المحدودة «عصمون» التي تنص على احتلال قطاع غزة والتقدم نحو العريش ولكن الأخذ بعين الاعتبار امكانية توسيع العملية العسكرية لتشمل اطار عملية

«كردوم» حسب الظروف العسكرية والسياسية التي ستتطور وخاصة بعد ان يتضح فيما إذا حققنا فعلا تفوقا جويا كاملا على المصريين.

في الاجتماع الذي عقده عيزر وايزمن والذي لم اشترك فيه غير المشتركون الخطة التي امرت بها من قبل ذلك. فبناء على اقتراح من رفائيل ايتان تبلورت خطة «عصمون» الموسعة. وهي احتلال القطاع والعريش والاستعداد للتحرك نحو قناة السويس. وان تتم الحركة على محور الساحل فقط، المحور الشمالي من سيناء.

وقبل ان اعود إلى مزاولة النشاطات الكاملة في ٢٥ ايار خفف اشكول من حماس العمداء. فقد ابلغهم انه قبل يوم السبت ٢٧ ايار لا يوجد اي احتمال للقيام بعملية، وفي هذا الموعد إذا ما وصل حتى ذلك الوقت تقدرير وزير الخارجية حول اجتماعاته مع الرئيس جونسون ستعود الحكومة لبحث الوضع من جيد ولم يمل وايزمن ويريف إلى قرار ارجاء العملية العسكرية. وفي صباح يوم ٢٥ ايار دعوتهما إلى الاجتماع بي في منزلي في تسهالا. وقد نظرا إلى نظرات شديدة وكأنهما يتساءلان: هل شفي من وعكته؟ هل تغلب؟ لم نتحدث كلمة واحدة عن أزمتي وقال وايزمن انه يجب على الجيش الإسرائيلي ان يعمل فورا. وقال يريف ان الوضع خطير وآخذ بالتدهور واقترح تجنيد جميع القوات التي لم تجند بعد اي اجراء تعبئة عامة شاملة. وطلب الاثنان مني ان استوضح ثانية فيما إذا توجد امكانية لقيام الجيش الإسرائيلي بالهجوم حتى قبل ان يجتمع وزير الخارجية ابا ايبان في واشنطن مع الرئيس جونسون فقلت انه لا توجد امكانية كهذه ولكنني مستعد لان ابحث الامر مع رئيس الوزراء لازيل من قلوبنا كل شك. طلبت من اشكول ان اجتمع به على انفراد. وبدأت الحديث عن موضوعي الشخصي فقلت: لقد حدث معي خلل شخصي وأنا اسف لذلك. انني اعتبر نفسي صالحا للعمل ولا اعير الخلل الشخصي اية اهمية ولكنني لا اتجاهل حقيقة انني تعرضت لخلل. فاذا كنت تعتقد بأنه من الافضل ان اتخلى عن المنصب فانني سأتقبل بدون تردد اي قرار منك. واعفاني اشكول من التفكير بجملة قصيرة قال فيها: لا توجد مشكلة وعدنا

لمزاولة النشاطات الروتينية. وكما هو متوقع كرر اشكول موقفه المتفق عليه الذي تبلور خلال جلسة لجنة الخارجية لشؤون الامن والقائل انه قبل ان يقرر القيام بعملية عسكرية، سيجتمع وزير الخارجية ابا ايبان مع الرئيس جونسون ويستوضح منه ماذا تنوي الولايات المتحدة عمله لحل الازمة؟

بعد ذلك طلبت من وايزمن، ويريف، وبارليف الانضمام إلى الاجتماع برئيس الوزراء.. فقال يريف ان الوضع يزداد خطورة وانه تتبلور لدى عبد الناصر فكرة عسكرية لشن الحرب على إسرائيل. ان استعدادات العدو توضح ان عنصر الزمن هو الحاسم. وستنتظرنا مجابهة شديدة مع مصر بل ومع بقية الدول العربية وكلما مر الزمن، يقوى التضامن العربي ويتعزز الحلف العسكري - العربي.

وقرر اشكول ان يبرق إلى وزير الخارجية ابا ايبان ويقول له ان وقت النشاطات السياسية آخذ بالتلاشي. وقد اقتنع رئيس الوزراء اننا قد وصلنا نهاية حدود اختبار وقت النشاطات السياسية. وقال رئيس الوزراء في البرقية التي بعث بها إلى وزير الخارجية ابا ايبان انه طرأ تغيير كبير جدا على وضع القوات المصرية والاستعدادات العسكرية العربية وان مشكلة المضائق لم تعد تتصر سلم المشاكل المثيرة للقلق وانما هناك خطر على أمن إسرائيل من الحشد العسكري الضخم.

ففي هذه المرحلة كانت في سيناء فقط اربع فرق مشاة وقوة مدرعة تقدر بفرقتين. ومع دخول القوة الرابعة إلى سيناء اصبح عدد القوة المصرية أكثر من ٨٠٠ دبابة واستمرت قوات مصرية أخرى في التحرك من اليمين إلى سيناء واتضح الهدف المصري بأنه جهد حاسم وشاهمل ضد إسرائيل. وقد اوضحنا لوزير الخارجية، ان عليه خلال اجتماعه بالرئيس جونسون ان لا يثير مسألة المضائق المحاصرة على أنها الشكلة الرئيسة وانما يجب عليه ان يؤكد بان العالم العربي يشن حرب ابادة ضد إسرائيل: فالجيش السوري حشد على الحدود مع إسرائيل. ووافق السوريون على استقبال قوات ارضية وجوية من العراق. واقترحوا نقل

وحدات مشاة عراقية جوا من العراق إلى مصر لتعزيز قواتها في سيناء. وتوجه وزير الحربية المصري إلى موسكو، وهذا دليل على ان السوفيات والعرب يعملون من خلال التنسيق بينهم. اذن كان من الواضح ان وقت السياسة قد انتهى وعلى الرغم من ان العرب ليست الا طرفا من اطراف السياسة فانها تستخدم وسائل ولغة أخرى. وقمت أنا ورئيس الحكومة والوزير الون، وحاييم بارليف بالتوجه إلى القيادة الجنوبية. وبحضور قادة الفرق عرضت علينا ثانية الخطط الهجومية. وعرض قائد المجموعة العميد يسرائيل طال صورة الدروع ونسب القوى بين مصر وإسرائيل. فالجهود التي بذلت بدون توقف منذ ١٦ ايار والقاضية باعادة اكبر عدد من الدبابات إلى قواتنا المدرعة قد حظيت بتقدير جيد. وزعم قائدا المجموعتين «يافه» وشارون ان خطة عصمون الموسعة هي خطأ ولن تحقق اهدافها: اذ ان الحركة على المحور الشمالى فقط نحو العريش بعد احتلال قطاع غزة لن تنزل ضربة قاصمة بالجيش المصري في سيناء وانما ستكشف قواتنا في المحور الثاني - الشمالى إلى خطر هجوم مصري معاكس وتعرضها للخطر. ومقابلها فان قائد القيادة الجنوبية العميد «يشعيا هو(شايكا) جفيش» وقائد المجموعة العميد طال لم يرفضا الخطة المحدودة وعددا فوائدها بالنسبة لخطة «كردوم» التي كانت تهدف إلى قهر الجيش المصري كله.

والحقيقة انني لم أعر في هذه المرحلة اهمية كبيرة للتحديد والتدقيق لحجم العملية الهجوهية التي نخطط لها. وكان اهتمامى منصبا على مسألة متى تقرر الحكومة انه قد انتهت المحاولات السياسية ولا مفر من الحرب وتأمر الجيش الإسرائيلي بالهجوم. وافترضت انه منذ اللحظة التي يباشر فيها الجيش العمل، سيستقرر حجم هذا الهجوم بناء على التحركات البرية في مراحلها الاولى واستمرار توسع عمليات الاقتحام والهجوم أكثر من الحركة على المحور الشمالى فقط، لتدمير الجيش المصري في سيناء.

تحدثت مع يجال الون فقال: اسحق، انني واثق من ان الحكومة ستتخذ قرارا بخروج الجيش الإسرائيلي للهجوم. ولكن مثل هذا القرار لن يتخذ قبل يوم السبت ٢٧ ايار وليس

قبل ان يجتمع ايبان مع الرئيس جونسون. ولهذا لم استطع سوى الانتظار إلى قرار الحكومة. وحتى ادعاء رئيس مشعبة الاستخبارات اهارون يريف يوم ٢٥ ايار قبل المساء، عندما قال انه يخشى من انه إذا لم نعمل يوم غد ٢٦ ايار فان من شأن المصريين ان يهاجمهونا ويصبح وضعنا خطيرا. لم يكن به ما يغير اساس هذا الواقع.

وسالت: ماذا يستطيع سلاح الجو المصري عمله فأجاب قائد سلاح الجو مردخاي هود يعتقد انه في ليلة ٢٥ - ٢٦ من ايار ستقوم القاذفات المصرية بمهاجمة مطارات واهداف حيوية في إسرائيل. واضاف اننا لا نستطيع منع مثل هذا الهجوم إذا امر المصريون فعلا على تنفيذه ومن هنا يجب الانتظار حتى صباح غد.

واما رئيس الاستخبارات العسكرية فقد اضاف انه يعتقد بان المصريين قد علموا بخططنا بمساعدة الاستخبارات السوفياتية الرامية إلى مهاجمة مطاراتهم العسكرية وتدمير طائراتهم وهي مازالت جاثمة على مدارجها ولهذا فانهم قرروا احباط خططنا عن طريق القيام بهجوم هذه الليلة.

واجملت النقاش قائلا: انه يجب علينا ان نتحمل مخاطرة انتظار عملية مصرية هذه الليلة. وامرت بان يظلوا في قياداتهم بحالة دفاع وتحت الانذار الفوري كما امرت اكمال التجنيد الكاهل لقوات الاحتياط خلال ساعات الليل.

نسبة من الشكوك مازالت تخيم على مناقشات رؤساء الشعب وقادة الأسلحة في صباح يوم ٢٦ ايار. ولم تتضح بعد نتائج محادثات ابا ايبان مع وزير الخارجية الامريكي «دين راسك» وتبنت وزارة الدفاع الامريكية على مايبدو، تقديراتنا القائلة بان الجيوش العربية تستعد لشن هجوم شامل. اما وزارة الخارجية الامريكية فقد تحفظت من تقديراتنا. وراجت شانعة غير اكيدة عن نية الولايات المتحدة لاصدار تصريح اخر يقول ان الولايات المتحدة ستعمل على ضمان حرية الملاحة. وإذا كان هذا ما سيحدث فانه يوجد هنا تجاهل للقضية

الرئيسة جدا وهي: حشد الجيوش العربية على حدود إسرائيل وتعريض امننا للخطر. في الساعة التاسعة من صباح يوم ٢٦ ايار وخلال اجتماعي برئيس الوزراء تحدث سكرتير اشكول السياسي عن اجتماع ايبان راسك فقال ان الدول العظمى البحرية بزعامة الولايات المتحدة سترسل دوريات إلى المضائق لضمان حرية الملاحة. وخلال جلسة عقدتها مجموعة من الوزراء بعد ظهر ذلك اليوم وصف «ابيعاد يافه»السكرتير السياسي لرئيس الوزراء برقية وصلت من الولايات المتحدة بانها ذات اهمية دراماتيكية. البرقية تقول: الاسطول الامريكي سيشترك في فتح المضائق. وقيل للسفير المصري في العاصمة الاميركية انه إذا ما شنت مصر هجوما على إسرائيل فان الولايات المتحدة ستطبق التزاماتها نحو الحفاظ على وجود إسرائيل وحذر الرئيس الامريكي السفير المصري بان الهجوم على إسرائيل يعتبر جنونا من قبل مصر. ولكن تأثير هذه الكلمات المشجعة ازيل عن طريق تقرير آخر: فقد تلخص بيان راسك لايبان باربع نقاط: لا توجد للولايات المتحدة معلومات عن نوايا عدوانية من قبل مصر. الرئيس الامريكي لا يستطيع ان يأخذ على عاتقه اي التزام كان نحو امن إسرائيل بدون قرار من الكونغرس. إذا ما بدأت إسرائيل الحرب فان الولايات المتحدة ستواجه مصاعب شديدة في مجال تقديم المساعدات لإسرائيل حتى على الصعيد السياسي. ان الرئيس يعمل على تشكيل قوة بحرية دولية لاختراق الحصار المصري المفروض على مضائق تيران.

وخلال الجلسة علم ان طائرات مصرية حاولت التغلغل داخل الحدود الإسرائيلية لاغراض التصوير وهزمت من قبل طائراتنا. وبعد ذلك تغلغلت طائرات «ميج» مصرية في الاراضي الإسرائيلية وحلقت فوق النقب على طول الحدود حتى ايلات ولم ينجح سلاح الجو في اعتراضها. وفي نهاية الجلسة الوزارية قرر الوزراء انه إذا ما تعرفنا للهجوم فانه من حق وزير الدفاع ورئيس الاركان ان يقررا الرد المناسب. ولكن القرار بشأن حرب نبادر اليها نحن لن يتخذ الا بعد عودة وزير الخارجية ابا ايبان. وفي الساعة العاشرة ليلا اجتمعت مع رئيس الوزراء اشكول والوزير الون. فقد بلغنا بمعلومات موثوقة من مصر انه قيل لمصر

صراحة أو عن طريق التلميح بان الولايات المتحدة لن تتورط في حرب مـن اجـل فـتح المضـائق. فوجهت أنا والون السؤال التالي إلى اشكول: ان الولايات المتحدة تريد البقاء على الحيـاد فلـماذا ننتظر حتى الان؟

اقترحنا على رئيس الحكومة ان يأمر بعقد جلسة للحكومة في تلك الليلة (يوم الجمعـة ٢٦ ايار) للموافقة على شن حرب في غداة اليوم التالي، يوم السـبت. ولكـن اشـكول اصر عـلى رأيـه بعدم اتخاذ اي قرار حتى يعود ايبان ويقدم تقديرا عن محادثاته مع الرئيس جونسون.

عن سبق عمد أو عن طريق الصدفة تأجيل اجتماع ايبان جونسون وعقد اخيرا مساء يـوم الجمعة. وكان لدي شعور واضح بان اشكول قد اصر بان الحكومة ستقدرر يوم السبت غدا ٢٧ ايار الخروج إلى الحرب. وبات من القـرر ان يصـل وزيـر الخارجيـة ايبـان إلى جلسـة الحكومـة مباشرة من الطائرة التي ستعيده مـن اجتماعـه مـع الـرئيس جونسـون. وقـد انتظـرت اشـكول حادثة صعبة وكأنه لم تكفه التـوترات التـي كانـت في هـذا اليـوم المـليء بالمتاعـب: ففـي ليلـة السبت وبعد منصتف الليل سارع السفير السوفياتي ديميـتري تشـوباحين وطلـب عقـد اجـتماع عاجل مع رئيس الوزراء وفي الساعة الثانية بعد منتصف الليل استقبله رئيس الـوزراء في غرفتـه في فندق «دون» بتل ابيب وتحدث السفير بلغـة شـديدة، وحـذر رئـيس الـوزراء بـان إسرائيـل ستتحمل المسؤولية الخطيرة لسفك الدماء في الشرق الاوسط. ولم تنفع اشـكول ادعاءاتـه (التـي قالها باللغة الروسية على ما اعتقد) بان إسرائيل لا تتبنى الحـرب ولا تريـد مثـل هـذه الحـرب. وقد وجه اشكول الدعوة إلى السفير الروسي لمرافقته في المنطقة الشمالية وان يطلـع بنفسـه إذا كانت إسرائيل تحشد قوات لمهاجمة سوريا. ولكن السفير رفـض هـذه الـدعوة بشـدة وقـال: لا حاجة بنا إلى التأكد من معلومات تصل من موسكو...

استدعيت لمقابلة رئيس الوزراء خلال الليل بعد ان غادر السـفير وتحـدث لى اشـكول عـن العبارات الجارحة التي سمعها من «تشو باحين» والتي انطوت على نغمة تهديد واضـحة حـول كيفية رد الاتحاد السوفياتي إذا ما بدأت إسرائيل الحرب.

قمت أنا ورئيس الوزراء ببحث خطة لتمرير سفينة إسرائيلية في المضائق. على فرض ان يطلق المصريون النار عليها وبذلك يكونون هم البادئين بالحرب. وقلنا اننا سنخرج إلى الحرب ولا تستطيع الولايات المتحدة الادعاء بان إسرائيل هي التي بدأتها. وقلت لاشكول انني اعارض هذه الطريقة: فانه في اللحظة التي نقوم بها بمثل هذا التصرف فاننا سننذر مصر بنواياها الحربية وبذلك نضعها في حالة تأهب ونفقد نحن عنصر المفاجأة التكتيكية. واتفقنا حسب اقتراحي على ان تمتنع سفينة الصيد الإسرائيلية التي كانت تنوي العبور في المضائق في طريقها إلى ايلات عن ذلك وتعود لاحدى الموانئ البحرية الصديقة في البحر الاحمر: فالقوة التي كان يقودها الشاذلي وهي لواء دروع معزز بالمدفعية والمشاة قد امرت خلال الليل بالانتقال من مكانها بين رفح والعريش، في وسط الصحراء، والمرابطة في المنطقة الواقعة في شمال «متسبيه رمون» مقابل المحاور التي كنا ننوي استخدامها في هجوهنا على الجيش المصري حسب خطة كردوم. كما امر الشاذلى بالاستعداد للهجوم الذي يقصد به فصل النقب عن إسرائيل والاتصال بالاردن وخلق قاطع ارضي متصل بينه وبين مصر وهو هدف مصر منذ قديم الزمان، وفي الساعة السابعة صباحا وخلال اجتماع حضره عمداء الشعب اقترح عيزر وايزمن اقناع المستوى السياسى بان يوافق على انزال ضربة جوية بمصر ولو قررت الحكومة عدم المصادقة على العملية البرية في قطاع غزة وسيناء. وخرجت بانطباع بان عيزر وايزمن يفترض بأنه بعد انزال الضربة الجوية التي هو واثق من نجاحها الكامل، ستبدأ ايضا الحرب البرية بحجمها الكامل ومن هذه الناحية يسهل على الستوى السياسى اتخاذ القرارات في ضوء النتائج الممتازة للضربة الجوية.

وقد اتفقنا على ان اقتراح وايزمن هو اسوأ الاحتمالات وانه من الافضل ان تقرر الحكومة القيام بعملية شاملة وإذا ما امتنعت سنؤيد انزال الضربة الجوية.

وفي ذلك الاجتماع قال رئيس شعبة الاستخبارات العسكرية أهارون يريف: ان عبد الناصر متجه إلى العرب التي تعتبرها إسرائيل حياة أو موتا. واعتقد العميدان بارليف ويريف

بأنه على الرغم من تعزيـز المحـور الشـمالى بواسـطة قـوات مصريـة كبـيرة، فـان الويـة الجـيش الإسرائيلي السابع والمظليين تستطيع شق طريقها في هذا المحور. وبعد ذلك اجتمعت ثانية مـع رئيس الوزراء. لدراسة الرسالة السوفياتية واقوال السفير تشـو بـاحين التـي خففـت مـن وطـأة هـذه الاقـوال. وكشـفت تقـارير مـن الولايـات المتحـدة ان وكالـة الاسـتخبارات الامريكيـة قـد اعتقدت بانها لا تؤيد إسرائيل بالنسبة لتقديراتها لنوايا عبد الناصر. قالت الوكالـة ان العـرب لا ينوون مهاجمة إسرائيل كما اعتقدت وكالة الاسـتخبارات الامريكيـة انـه حتـى في حالـة انـدلاع حرب فان المصريين سيمتنعون عن استخدام الغازات السامة الموجودة في حوزتهم.

وبين هذا وذاك كان الراي العام الإسرائيلي مشدودا في ذلك السبت إلى اجتماع

وزير الخارجية ايبان مع الرئيس جونسون الذي عقـد في مسـا الليلـة الماضـية في واشـنطن (اي صباح السبت حسب توقيت إسرائيل) تلقينا تقريرا اوليا عن هذا الاجتماع، ولكن كالعـادة، مع غمـوض بعـض تفاصـيله، في سـاعات الظهـر ان مـا سـمعنا، كـان شـديدا جـدا. ان الـرئيس جونسون لا يفكر بان إسرائيل ستعمل وحدها. ولكنها إذا ما فعلت ذلك فانها سـتظل وحـدها، بكل ما تنطوي عليه الكلمة من معنى ولن تستطيع الولايات المتحدة ان تقدم لها اي نوع مـن المساعدة سرا. كانت المساعدة عينية أو سياسية.

ذهبت إلى القيادة الجنوبية. فاذا كان هذا هو رد الولايات المتحدة، فانـه لـن يكـون امـام إسرائيل خيار سوى الحرب. اذن من الافضل ان اكون في معية القـادة في الميـدان. وفي مجموعـة «طال» التي تنص الخطة على انها ستقوم بعملية الاختراق الاول قمنا بعقد اجتماع للقـادة مـن رتبـة قائـد كتيبـة فـما فـوق. وسـمعت مـن قائـد المجموعـة وقـادة الويتهـا إلى تقـارير عـن الاستعدادات الاخيرة. واراد الجميع ان يعرفوا متى ستقرر الحكومـة. ولم اسـتطع ان اقـول لهـم سوى انني آمل بان الحكومة ستتخذ قرارها باسرع وقت ممكن.

عدت إلى تل ابيب. وعقدت اجتماعا آخر مع رؤساء الشعب وقـادة الأسـلحة قبـل جلسـة الحكومة. واجملت الحديث بالقول: ان الجيش الإسرائيلي كلـه مسـتعد للعمـل غـداة غـد. لـن

يفرض منع التجول في اية منطقة الا حسب موافقتي المسبقة. ان البيان بخصوص بدء الهجوم سيصدر عن مكتبي حسب الصيغة التالية:

اجتماع «سفاخ» سيعقد يوم.. الساعة..

ان التقدرير الاخر والمكمل لمحادثة وزير الخارجية ايبان مع الرئيس جرنسون والذي وردني - التشاور بيني وبين رئيس الوزراء، والوزير الون، قبل جلسة الحكومة مساء يوم السبت لم يكن يختلف كثيرا عن التقرير الاول الذي ورد في صباح ذلك اليوم. وقد ورد في هذا التقرير شرح للشروط التي عرضها عبد الناصر لتخفيف التوتر، خلال اجتماعه مع السكرتير العام للامم المتحدة اوثانت: وهذه الشروط هي: الاعتراف بالمضائق وخليج العقبة بانها مياه اقليمية مصرية. تجديد شرط اتفاقية الهدنة الموقعة عام ١٩٤٩ وتطبيق فترات هذا الاتفاق التي اعلنت إسرائيل رفضها منذ حملة سيناء عام ١٩٥٦. ارسال قوات دولية لتقوم باعمال الحراسة على جانبي الحدود بين إسرائيل ومصر، وإسرائيل وسوريا. عدم قيام القوات الإسرائيلية بالعمل في المناطق المجردة من السلاح سواء في الجنوب أو في الشمال. اذن اخذ عبد الناصر يتصرف وكأنه المنتصر حتى قبل ان تطلق الرصاصة الاولى ويحاول دعم مكاسبه بخلق ظرف سياسية جيدة تلغي كليا نتائج حملة سيناء وتعيد اتفاقية الهدنة إلى مكانها السابق. وهكذا ستتبع حركة السفن إلى ايلات، سيادته الكاملة، وبصفته حاكما على المياه الاقليمية المصرية فانه سيفعل ما يريد ويمنع من يريد وهكذا...

في جو مشحون بالتوتر اجتمعت الحكومة مساء السبت في مكتب رئيس الوزراء في تل ابيب. واشترك في هذه الجلسة ايضا رئيس شعبة الاركان عيزر وايزمن ورئيس شعبة الاستخبارات اهارون يريف والعميد بارليف وفي هذه الجلسة تحدث المدير العام لوزارة الخارجية «ارييه لنبي» عن اجتماع ايبان - جونسون بروح النص الذي علمناه سابقا وعن رسالة شديدة من رئيس الحكومة السوفياتية التي سلمت لاشكول من قبل السفير تشوباحين

وعن رسالة شديدة من الرئيس ديغول طلب فيها من إسرائيل عدم اطلاق الرصاصة الاولى وترك الجهود السياسية لتحل المشكلة.

وخلال هذه الجلسة وصل وزير الخارجية ابا ايبان مباشرة من المطار. ولم اكن اشك انه في الظررف التي طرأت في اعقاب حديثه مع الرئيس جونسون والتوقف على نفسيات المسؤولين في البيت الابيض، سيكون لموقف ايبان وزن خاص.

لقد عارض ايبان الحرب بشدة. وقال ان الرئيس جونسون قد ابلغه بشكل قاطع: بأنه يجب على إسرائيل ان لاتكون البادئة في الحرب: واضاف انني بحاجة إلى اسبوع أو اسبوعين لاتمكن من تطبيق خططنا السياسية التي ستؤدي إلى حل العقدة.

جلسة طويلة. بدأت في الساعة التاسعة مساء... الساعات تزحف ببطء.... وتنهك الاعصاب. الساعة الثانية عشرة ليلا. الواحدة صباحا. الثانية. الثالثة... غيوم من الدخان. وعيون حمراء، واكوام من فناجين القهوة.. تبريرات مؤيدة.. وتبريرات معارضة. لا جديد. عمداء الجيش يؤيدون موقفي. ويضيفون لونا خاما بهم حسب مزاجهم الشخصي. الوزراء مختلفون في الاراء وبصورة شديدة. على رأس معسكر المؤيدين: اشكول، الون. كرمل. وجليلى. وعلى رأس المعارضين ايبان ووزراء الحزب اليدني الوطني الثلاثة: موشة ثبيرا ويوسف بورغ وزيرح فارهافتيح. لنحارب، لنتمركز، لنترك لجونسون ان ينفذ وعوده، لنخترق الطوق الخانق. يجب علينا ان لا نبقى وحدنا. وحتى الانهيار والانهماك. وقد اصبح واضحا لى بأنه كلما طال النقاش ابتعدت امكانية قيام الجيش الإسرائيلي بالهجوم صباح يوم الاحد ٢٨ ايار ١٩٦٧ قام اشكول بتمرير ررقة صفيرة إلي قال فيها: ان الوزراء المتدينين قد ابلغوه بأنه إذا ما اتخذ قرار حول الحرب فان حزب المتدينين الوطني سينسحب فورا من الحكومة. انهم سيقدمون استقالاتهم. فهل هذا ما ينقصنا الان... ازمة ائتلافية مع حوالى ١٠٠٠ دبابة مصرية في سيناء! التصويت. تسعة وزراء مؤيدون وتسعة يعارضون لا توجد

اغلبية ضد شن الحرب. ولا توجد ايضا اغلبية إلى جانب الحرب. تعادل... حكومة بدون حسم. وهذا ما جعلني اتذكر اقوال بن غوريون..

٢٨ - ايار ١٩٦٧: يوم الاحد. اختطفت بعض النوم بعد ان تفرق الوزراء إلى بيوتهم في الساعة الخامسة صباحا. مشاورات مع رئيس شعبة الاستخبارات، والاركان، والعميد بارليف. رئيس شعبة الاستخبارات العميد يريف يقول: إذا ما علمنا غدا يوم الاثنين التاسع والعشرين من ايار فان وضعنا سيكون جيدا. ان قوات الشاذلى تتحرك الآن إلى مكانها الجيد. الفرقة السابعة لم ترابط بعد على المحور الشمالى. وهذا هو الوقت المناسب. لقد صدق في الواقع، اما أنا فلم استطع سوى القول ان الحكومة ستعقد جلسة لها بعد عدة ساعات وتحاول الوصول إلى قرار حاسم. ولكن عندما اجتمعت الحكومة ثانية، في الساعة الثالثة بعد الظهر مالت الكفة ضد البد، بالحرب وضعفت قوة المؤيدين لها. وبين جلستي الحكومة وصلت رسالة خطيرة وشديدة اللهجة من الرئيس جونسون إلى رئيس الوزراء: تحذير شديد. على إسرائيل ان لا تبدأ الحرب، وطلب واضح، ان تترك للولايات المتحدة المجال لاختبار الاجراءات السياسية.

وبتأثير هذه الرسالة قررت الحكومة الانتظار مدة اسبوع أو اسبوعين، طبقا لطلب الرئيس جونسون وان تعود لبحث موقفها بعد ان تختبر نتائج الجهود السياسية.

لقد كان هذا القرار في نظري خطيرا. ونسبت اهمية بالغة لظهور رئيس الوزراء امام عمداء الجيش وطلبت منه ان يشرح قرار الحكومة وسياستها. واستجاب اشكول فورا ودعانا إلى عقد اجتماع في ذلك المساء، في موقع القيادة العليا.

وفي ساعات ما قبل الاجتماع، اجتمعت مع نائب وزير الدفاع «تسفي اينشتاين» وطلبت منه ان يعمل على الحصول على طائرات أخرى من فرنسا، كذلك على دبابات وذخيرة من بريطانيا.

وبعد ذلك اطلعت رؤساء الشعب وعمداء القيادات على مضمون رسالتي الرئيسين الامريكى والفرنسي وعلى قرار الحكومة حول تمديد فترة الانتظار.

ساد استياء وتوتر شديد بين القادة. وقال العميد متاي بيلد رئيس شعبة الطاقة البشرية ان إسرائيل لا تستطيع الصمود مدة اسبوعين أو ثلاثة اسابيع أخرى في وضع تسوده التعبئة العامة. ومن جهة أخرى يجب علينا ان لا نسرح قوات كبيرة لاننا سنكشف انفسنا إلى هجوم مصري مفاجئ. وقد امرت بتسريح سلاح المشاة الهرم واختبار الطرق لتسريح عدة الوية مشاة أخرى غير ضرورية للاجهزة في الجبهتين المصرية والسورية.

وقد حضر اشكول إلى الاجتماع مع عمداء الجيش الإسرائيلي ومعه الوزير يجآل الون. وتحدث رئيس شعبة الاستخبارات بشدة وبلهجة جارحة: فقال: ان رياح الوطنية تهب في مخيمات اللاجئيين في الاردن، انهم ينوون العودة إلى منازلهم في فلسطين، وناصر يزداد حماسا ويكاد يتفجر من كثرة انتصاراته. فاذا عمل الغرب على فتح مضائق تيران فان عبد الناصر سيغلق قناة السويس وتقوم الدول العربية بفرض مقاطعة بترولية ضد الغرب. هذا ما قاله الزعيم المصري للصحفيين. واضاف عبد الناصر انه لن يطلب مساعدة السوفيات. وإذا ما تدخل الاسطول السادس الامريكي في الازمة الشرق اوسطية، فانه لن تكون حاجة إلى اللجوء إلى مساعدة السوفيات لان الاتحاد السوفياتي سيتدخل بدافع من رغبته وليس حسب طلب يوجه اليه. وقال عبد الناصر للصحفيين ان إسرائيل مستعدة للهجوم.

وقال العميد يريف لرئيس الحكومة انه يجب على إسرائيل ان لا تجعل الاخرين يقومون بما يجب ان تقوم به. انها هي وحدها التي تستطيع اختراق الطوق الخانق الذي يحيط بها.

وكان رئيس الوزراء هادئا ومحافظا على اعصابه وقال: ان مصر تتصرف تصرفا عدوانيا. ربما هذه الاقوال ليست مريحة للعمداء ولكن الظروف السياسية تملي تأجيل اتخاذ قرار الخروج إلى الحرب وترك المجال مفتوحا امام النشاطات السياسية التي تقوم بها الولايات المتحدة.

وتحدث رئيس الوزراء عن رسالة كوسيجن وعن اجتماعه الليلى مع تشوباحين. وقال انه اجرى اتصالا مع خروتشوف في محاولة لايجاد حل سياسي للازمة بل وعرض على السفير ان

تصل شخصية سياسية سوفياتية رفيعة المستوى لتسوية جميع الخلافات بين الـدولتين. واضـاف اشكول انه تلقى رسالة سرية من الـرئيس الامـريكي جـاء فيهـا: ان الـروس وجهـوا إلى الولايـات المتحدة وابلغوها بانهم حصلوا عـلى معلومـات تفيـد بـان إسرائيـل تعـد هجومـا ضـد العـرب. وطلب الروس من الامريكيين منع تنفيذ هذه الخطـة واكـدوا، بـان العـرب لا يريـدون الحـرب. وحذر السوفيات من انـه إذا مـا شـنت إسرائيـل هجومـا فـانهم سـيقوهون بمساعدة العـرب. واقترحوا على الولايات المتحدة ان تقـوم بتهدئـة إسرائيـل وانهـم سـيفعلون بصـورة مشـابهة في الجانب العربي. واكد الرئيس جونسون، لرئيس الوزراء ان بلاده، وبريطانيا، ودول أخـرى تعمـل على ضمان حرية الملاحة في مضـائق تـيران. وقـال الـرئيس الامـريكي لـرئيس الـوزراء ان عمليـة حربية من جانب إسرائيل ستسبب كارثة.

واضاف اشكول انه واثق من ان البريطانيين والامريكيين، والهولنـديين، والكنـديين وغـيرهم يعدون قوة بحرية دولية لتمر في مضائق تيران وتخترق الحصار المصري. وقـال انـه متأكـد بنـاء على اقوال سمعها من احـد مستشـاري الـرئيس جونسـون انـه إذا لم تنفـذ عمليـة دوليـة، فـان الولايات المتحدة ستعمل بقوتها الذاتية. ولهذا، قال اشكول، قررت الحكومة قبل بضع سـاعات، بالاجماع تقريبا، الانتظار وترك الولايات المتحـدة لتنفـذ التزاماتهـا حـول ضـمان حريـة الملاحـة. وستقرر الحكومة العمل إذا ما اتضح بان الالتزامات الامريكية لم تنفذ.

استمرت الاستعدادات. والان لم نعد الفترة الزمنية المحددة للانتظار. وكـان علينـا ان ناخـذ بعين الاعتبار امكانية فرض الحرب علينا من قبل المصريين ولـيس نحـن الـذين سـنبدأما وقمنـا باخلاء المستشفيات الدنية من المرضى وتحضيرها لاستقبال الجرحى، جنودا من الجبهة ومـدنيين من الخطوط الخلفية إذا ما تعرضت للقصف.

ان اجتماع عبد الناصر - الحسين في ٣٠ ايـار انـنر بتحـول وتطـور مثـير للقلـق في العـالم العـربي: فقـد وقعـت بـين مصر والاردن اتفاقيـة دفـاع مشـترك. شـبيهة بالاتفـاق المصري - السوري الذي وقع عام ١٩٦٠. وفي اطار هذه الاتفاقية التزم الاردن بالتدخل عسـكريا في ايـة

معركة تقع بين مصر وإسرائيل. واعطت مصر ضمانا عسكريا للاردن بانها ستهب لنجدتها إذا ما عملت إسرائيل ضدها. وستشكل اجهزة خاصة لتنسيق سياسة الدولتين. وخلال الحرب ستخضع القوات المسلحة الاردنية للقيادة المصرية وسحب قواته المرابطة على الحدود السورية وحشد الحسين قوات على الحدود مع إسرائيل وافرج عن السجناء السياسين من السجون الاردنية وتصالح مع زعيم منظمة التحرير الفلسطينية احمد الشقيري. وقامت الكمرات التلفزيونية بتخليد حفل التوقيع على الاتفاقية في القاهرة. اذن اصبح الخطر من الشرق أكثر قربا وملوسا. وهذا الخطر اجبرنا بتغيير درجة الافضلية في استعداداتنا العسكرية ووضع التهديد الاردني في المرتبة الثانية، بعد مصر، اما سوريا فقد ازيحت إلى المرتبة الثالثة...

اكثر من التجول في وحدات المجيش الإسرائيلي. وفترة الانتطار الطويلة لم تتجاوز اعصاب الجنود. فعلامات نفاذ الصبر، والشعور بالتذمر، بل والاستهانة بقدرة حكومة إسرائيل على اتخاذ القرار الحاسم اثارت قلقي الشديد.

في ٣٠ ايار كانت القوة المصرية في سيناء مكونة من حوالى سبع فرق، انه جيش ضخم من ناحية الحجم. والى جانب الاستعدادات امام الجيش المصري، بلورنا خططا عسكرية للاستيلاء على القدس والضفة الغربية.

طالت الايام. وكانت الساعات، المليئة بالاجتماعات والمباحثات تزحف وتتلف الاعاب. واصبحت اتخيل بان كل شيء قد انتهى. فقد قمنا بتقييم الاوضاع، مرارا وتكرارا، وتوقعنا احتمالات ونشرنا قوات، وبلورنا خططا، ومازال المستوى السياسي اسيرا للامال المضللة والقائلة انه ربما يكون بالامكان الامتناع عن الحرب.

في ٣١ ايار اجتمعت مع رئيس الوزراء ووزير الدفاع بعد ان عدت من زيارة أخرى إلى وحدات القيادة الشمالية. وكانت هناك قضايا شخصية موضوعة على مائدة البحث. ولا مفر من هذه القضايا حتى في اوقات التوتر الصعب وعشية اتخاذ قرارات حاسمة. واحيانا - مثل هذه القضايا في مثل هذه الساعات.

رئـيس الـوزراء مرتبـك: ان موشـة ديـان يريـد المحصـول عـلى منصـب قيـادي في الجـيش الإسرائيلي، ويريد ان يعين قائدا للقوات في الجبهة الجنوبية، عارضت ذلـك. قلـت لاشـكول انـه على الرغم من انني احترم ديان، فانني لا ارى سببا لالحاق الضرر بالعميد (جفيش) انني اؤمـن بقدرتـه عـلى القيـام بـدوره عـلى احسـن وجـه خـلال الحـرب وخرجـت بانطبـاع بأنـه ليسـت التقديرات لقدرة ديان العسكرية والقيادية هي التي تقف من وراء دوافع اشكول، وانما اسباب سياسية واضحة: ازالة التأييد من جانب ديان ومؤيبه على منصب وزير الـدفاع، فكلـما تـرددت الحكومة وارتبكت لم تستطع الوصول إلى قـرار حاسـم نهـائي وقـد اخـذ اشـكول ينهـار في نطـر طبقات واسعة على الساحة السياسية والعسكرية، ما زلت اتمسك برأيي بأنـه قـد ظلـم ويمكـن ان التاريخ سيصلح هذا الظلم. ولكن مما لا شك فيه انه لم يعتـبر في تلـك الايـام بأنـه الشـخص المناسب لزعامة إسرائيل في معركتها الصعبة وقد ازداد الضغط على اشكول لاخلاء مكانه كـوزير للدفاع وتعيين موشة ديان في هذا المنصـب واشـكول في إحـدى محاولاتـه الاخـيرة للـدفاع عـن مركزه، اراد تعيين ديان قائدا للجبهة الجنوبية من اجل ان يرضي الذين يضـغطون عليـه لتعيـين ديان في منصب وزير الدفاع وطلبـت مـن رئـيس الـوزراء ان لا يتخـذ قـرارا نهانيـا وان يتركنـي ادرس الموضوح ويعطيني فرصة للحديث مع موشة ديان، واجريت أنا وديان الحديث باشـتراك اشكول وكرر ديان اقتراحه الرامي إلى تعيينه قائدا للجبهة الجنوبية، وسألت: هل انـت مسـتعد لاخذ صلاحيتي كرئيس للاركان؟ ربمـا لم تكـن كلمـة نعـم التـي قالهـا متحفظـة بلهجتهـا ولكـن المقارنة التي اضافها اليها اثارت المخاوف فقد قال: انني اتصور بأن توزيع المناصب بيننـا يجـب ان يكون على الشكل التالي: ان الجنرال الامريكي ماكسويل تايلور هو قائد القوات الامريكيـة في فيتنام وهو قائد المنطقة وكما هـو مفهـوم فاضـع لـرئيس اركـان القيـادات المشـتركة المقـيم في واشنطن... انني اعتقد بان العلاقـات بيننـا سـتكون عـلى هـذا الشـكل وقلـت لـديان: ان هـذه المقارنة لا تمثل بدقة الواقع الإسرائـيلي وميـادين القتـال ومواضـيع السـيادة والتبعيـة القياديـة المتبعة بين رئاسة الاركان العامة وعمداء القيادات، وسألته بصراحة: هل تريـد ان تكـون رئيسـا للاركان بدلا مني؟

ديان: كلا، انت رئيس الاركان وسأقبل بكل امر يصدر عن القيادة العامة. انني اريد الاشتراك في الحرب وان لا اقف لمشاهدتها من الخارج، انني ادرك بأن اشكول يؤيد طلبي.

وبذلك صدق ديان: فقد اكد اشكول اقواله وامرني بتعيين ديان قائدا للقوات المحاربة في الجنوب، وبقي القسم الاصعب امامي. فاستدعيت يشعيا هوجفيش، وقلت له: يؤسفني بانني كقائده لم استطع الدفاع لتعيين ديان بدلا منه. وعلمت بأنه لن يجد عزاء في اقوالى، ءن الجميع يكنون له الثقة الشخصية الكبيرة، ان الكلمات لا تستطيع تخفيف وطأة الاعمال، وسألته فيما إذا سيوافق على العمل كنائب لموشه ديان. فأجاب بدون تردد: كلا: انني سأتخلى عن القيادة الجنوبية ولن ابقى هناك دقيقة واحدة بعد تعيين موشة ديان. -نقل له الامور حسب النظام وعليك ان تبلغني اين ستضعني. وقد تألمت كثيرا عندما شاهدت شايكا جفيش نادما.. في اذاعة لجنود الجيش الإسرائيلي مساء يوم ٣١ ايار تحدثت عن الدمج بين العملية السياسية والعسكرية والعلاقة بينهما. ودعوت إلى التحلي بالصبر والاستعداد لانني اعلم بان الصبر والاستعداد لن يتفقا معا على طول الايام. وفي ساعات الليل قامت مجموعة البحث في رئاسة الاركان بعقد جلسة لها وتعودنا على تقارير رئيس شعبة الاستخبارات المثيرة للقلق: هناك معلومات حول تحركات عراقية إلى الاردن. وان العراق ارسل كتيبة منقولة جوا إلى مصر وكذلك لبنان اضطرت إلى الارتباط بعجلة عبد الناصر. وارسلت الكويت كتيبة إلى مصر. وهناك غليان كبير بين الفلسطينيين واقبال شديد على الالتحاق بالمنظمات الفلسطينية. اذن فان العالم العربي «يفرك يديه» ولا توجد دولة واحدة تريد الغياب عن الاحتفال باقتسام الغنائم ومقابل ذلك فان رئيس شعبة الاستخبارات يعتقد بان الانطباع السائد هو ان الامريكيين لا يريدون العمل من اجل خرق الحصار.

وفي تلك الجلسة عرضت ايضا خطة «مزغول» التي تهدف إلى احتلال الضفة الغربية. فالى جانب الخطط في الجبهة الجنوبية والشمالية، كانت لدينا في هذه المرحلة خطط مبلورة خاضعة للتطورات المختلفة في المراحل الاولى من الحرب، للجبهات الحربية الثلاث المحتملة.

اجلت النقاش: بقيت مصر العدو الرئيس ويجب ان لا ندع لاحدى الجبهات الأخرى بتحويل جهدنا ضد الجبهة المصرية. ويجب ان نعد مرابطة القوات في الجبهة الاردنية على اساس نقل مجموعة طال ولواء دروع من الجبهة المصرية لاحتلال الضفة الغربية. يجب التخطيط للاستيلاء على الضفة بواسطة القوات المخصصة للقيادة الشمالية والجنوبية التي سينضم اليها على أكثر تقدير، لواء دروع واحد وقسم من القوات المنقولة جوا. ويجب احتلال الضفة الغربية بواسطة القوات الصغيرة المرابطة لاغراض الدفاع ضد مبادرة هجومية من قبل الاردن. وفي هذه الجلسة اعلنت عن تعيين حاييم بارليف نائبا لرئيس الاركان. وكان هذا التعيين من صلاحية رئيس الوزراء ووزير الدفاع ولكن بعد ان ابلغني اشكول بأنه يفضل منح هذا المنصب إلى بارليف وليس إلى وايزمن قمت بالاعلان عن التعيين. وفي ساعة متأخرة من الليل، اجتمعت مع بارليف ووايزمن للوصول إلى تقسيم المناسب والوظائف بينهما. وقلت ان نائب رئيس الاركان سيقوم بالتنسيق بين الاقسام في شعبة الاركان العامة ويعالج موضوع سلاح الجو على مستوى رئاسة الاركان. ولم اعلن عن تعيين موشة ديان في منصبه كقائد للجبهة الجنوبية على فرض انه في هذا الموضوع لم تقل الكلمة الاخيرة: فالاحاديث عن امكانية قيام حكومة ائتلاف وطني قد ازدادت وراجت الشائعات عن امكانية تعيين موشة ديان وزيرا للدفاع.

وعلى الرغم من انني ملت إلى الشك الزائد في امكانية قيام الولايات المتحدة بالنهوض إلى خلاصنا من حتهية شن الحرب فوجئت كغيري من اقوال رئيس الوزراء التي ادلى بها خلال اجتماعي به في ١ حزيران في الساعة الثانية ظهرا. فقد تحدث إلى عن وصول برقية من افرايم عبرون مندوب إسرائيل في واشنطن. تقول البرقية: ان وولت روستوف يوضح باسم الرئيس جونسون بان الرئيس لم يفهم بالشكل الصحيح. انه لا يستطيع الايفاء بالتزاماته كما عرضها وزير الخارجية ابا ايبان. وقد فهمنا من هذه الاقوال بصراحة بان تقدرير وزير الخارجية ابا ايبان الذي قال فيه ان الولايات المتحدة بحاجة إلى مهلة مدتها اسبوعان أو ثلاثة

اسابيع لتنظيم قوة بحرية لاقتحام الحصار المفروض على مضائق تيران قد عبر عن رغبة وزير الخارجية ابا ايبان نفسه والذي قرر وزراء الحكومة بسببه تمديد فترة الانتظار، أكثر مما عبر عن وعد صريح من رئيس الولايات المتحدة. وعلى الرغم من انه في رسالة إلى رئيس الحكومة لم يكرر الرئيس جونسون وعدا مريحا باختراق الحصار المفروض على المضائق فقد فسرنا الرسالة على النحو التالي: ان الرئيس الامريكي لا يريد ان يعبر عن هذا الالتزام خطيا ولكن عن التقرير الذي ادلى به ابا ايبان والقائل ان الولايات المتحدة تعترف بالتزامها بالحفاظ على حرية الملاحة، وستعمل على اختراق الحصار لا يمكن ان ترى في مضمون الرسالة تراجعا عن الالتزام الرئاسي الامريكي. اذن لقد صدقنا عندما قررنا في ٣٠ ايار ارسال رئيس «الموساد» مئير عميت بمهمة سرية إلى الولايات المتحدة للتأكد من صحة تقرير ابا ايبان حول محادثته مع الرئيس جونسون. وقد اتخذ قرار ارساله من قبل اشكول بتأييد مني ومن رئيس شعبة الاستخبارات العسكرية ورئيس «الموساد» نفسه.

ولكن قبل ان يعود عميت اصبنا بصدمة من برقية افرايم عبرون المندوب في واشنطن. ولم تكن هناك امكانية لعدم فهم البرقية القائلة: انه يجب عدم انتظار الافعال من جانب الولايات المتحدة والولايات المتحدة لا تفكر باقامة وحدة بحرية دولية، والوقوف على راسها من اجل اختراق الحصار المفروض على مضائق تيران.

لقد اصيب اشكول بالذعر. فقال إذا كان لا يوجد هناك احتمال امام النشاطات السياسية لتنجح فلماذا علقنا الامال على الوعود؟ وما هو سبب تأجيل العملية العسكرية الإسرائيلية؟ انه عندما يتضح لعبد الناصر بان الاستعداد الامريكي لن يخرج عن اطار الكلام غير الملزم فالى اين سيصل به الصلف والغطرسة؟

وفي هذه الظروف، فان المعتدلين الاقوياء وجدوا صعوبة في الحفاظ على ضبط النفس فها هو عيزر وايزمن قد جاء الي بنفسه وابلغني، بأنه بمبادرة منه وحده وبدون موافقتي توجه إلى

رئيس الوزراء بحضور وزير العدل يعقوب شمشون شابيلا وتحدث امامه بصررة جارحة وقال. يجب ان نعمل! لقد دفعتنا الحكومة إلى وضع خطير جدا! وتلقيت تقدريرا آخر عن الحديث التوتر بين وايزمن واشكول من يسرائيل ليؤور السكرتير العسكري لرئيس الوزراء. ان ذهاب وايزمن إلى اشكول بدون موافقتي أو التنسيق معي اعتبرته عملا شاذا اذ ان فحوى الاقوال التي ادلى بها وايزمن امام اشكول كان معروفا لدي. كما ابلغني ليؤور بأنه قد انتهت التحضيرات والاتصالات حول اقامة حكومة ائتلاف وطني، وانه خلال جلسة لجنة الخارجية والامن، باشتراك رئاسة الاركان التي ستعقد غدا ٢ حزيران سيشترك ديان وبيفن. ان اشكول لم يحدثني عن الاجراءات السياسية لاقامة حكومة ائتلاف وطني ولم يستشرني وهذا ما يجب: لان رئيس الاركان لا يحق له ان يشترك في الشؤون السياسية الداخلية. ولكنني كنت اشعر بأنه بعد قيام حكومة الائتلاف الوطني سيتحسن احتمال قيام الحكومة باتخاذ قرار لوضع نهاية لفترة الانتظار وان تأمر باختراق الطوق المصري. في النقاش الذي اجراه رؤساء الشعب قلت انني اعتقد بان الحكومة ستوافق على عملية الجيش الإسرائيلي في اسرع وقت ممكن. وأمرت ان يقوموا ثانية بتفحص جميع تفاصيل خططنا العسكرية. وقام قائد سلاح الجو مرة أخرى باداء دوره التقليدي وبقدر كامل من التفاؤل: حيث قال «ان قنبلة واحدة لن تسقط في الاراضي الإسرائيلية» وفي ساعات مساء الاول من حزيران ابلغني اشكول لاول مرة بان موشة ديان سيعين على ما يبدو، وزيرا للدفاع. وعلى سبيل المجاملة فقط سألني عن رأيي في هذا التعيين؟ ربما لو قلت انني اعارض لكان رأيي قد اثر على تقديرات اشكول. وبما انني فكرت في انني لا اتدخل في الشؤون السياسية كنت معيا من هذه الاسئلة. ولكنني لم اكن معفيا من مشاعري نحو اشكول. فمرة أخرى شاهدته في حالة نفسية متردية. وقد شعر بانهم الآن يطلبون منه بصورة وحشية - وهي التي تتميز بها الحياة السياسية - الثمن الكامل لتقويض صلاحيته، في نظر الجهاز السياسي والعسكري وفي نطر الشعب كله. لقد كان لاشكول سبب جيد للاحتفاظ بالجميل لزميله ابا ايبان: فهذا الشخص الذي

اعتبره في نظر عدد من الوزراء بأنه يمثل «الحنكة السياسية» هدده قبل عدة ايام بأنه سيستقيل من الحكومة إذا لم تقبل الحكومة برأيه القائل بأنه يجب الانتظار للمبادرة الامريكية. انني اعتقد بان اشكول ما كان ليرتدع من التهديد باستقالة الوزراء المتدينين لولا تهديد ابا ايبان. فلو اتخذت الحكومة قرارا بالحرب في موعد سابق لما كانت نتائجها تختلف عما كانت عليه فعلا. ولكان اشكول هو الشخص الذي سيحظى بالتبجيل والتقدير، ولكان الشعب قد حمله على الاكف. كما انه لما كانت هناك حاجة لضم رافي و«جاحال» إلى الحكومة. وقد خرجت من الاجتماع بحالة نفسية صعبة. واتصلت هاتفيا بيشيعا هوجفيش وقلت له: انك ستظل قائدا للجبهة الجنوبية. في ذلك اليوم اجتمعت مع وزير الخارجية ابا ايبان وقلت له ان

الجيش الإسرائيلي مضطر للعمل، وان الانتظار ارقدى طابعا خطيرا. ولاول مرة سمعت منه انه قد غير رايه، وانه مقتنع الآن بعد ان استمع إلى اقوالي، انه لا فائدة من الاستمرار في الانتظار للتطورات السياسية. وهنا ازلت من على الطريق حجر عثرة. وفي جلسة الحكومة التي عقدت في تلك الليلة اشترك الوزراء الثلاثة الجدد: موشة ديان، وزير الدفاع، ومناحم بيفن ويوسف سبير وزرا، دولة. وقدم رئيس شعبة الاستخبارات في الجلسة استعراضا للوضع. ولم يتخذ قرار واضح ولكن لم يكن هناك ادنى شك بان الحسم اصبح قريبا.

وفي الساعة الواحدة والنصف بعد منتصف الليل عقدت اول اجتماع مع وزير الدفاع الجديد. وعرضت عليه الخطوط الرئيسة لخططنا العملية. وكان ديان مطلعا على معظم الامور. وكان قبل ذلك قد تجول في الجبهات المختلفة.

٢ حزيران ١٩٦٧: الساعة التاسعة صباحا. عقدت اللجنة الوزارية لشؤون الامن اجتماعا مشتركا مع رئاسة الاركان في غرفة العمليات الكائنة في موقع القيادة. عرض الجيش الإسرائيلي على الوزراء وجهة نظره: يجب حسم القوة العسكرية المصرية في عملية نبادر اليها نحن. وقال رئيس شعبة الاستخبارات: ان الولايات المتحدة لا تنوي العمل بجدية لاختراق الحصار البحري بالقوة أو ان تتخذ خطوات حقيقية لحل العقدة التي طرأت بين إسرائيل

ومصر. اننا نعتقد بان الولايات المتحدة ترك بأنه يجب على إسرائيل ان تعمل وعلى الرغم من انها ستواصل قول غير ذلك. ومطالبتنا بعدم اطلاق الرصاصة الاولى، فعلينا ان نعمل..

وقد دعم العميد يريف هذه النتيجة بتحليل المتناقضات بين تقرير وزير الخارجية ابا ايبان حول اجتماعه مع الرئيس جونسون وبين برقية روستوف. وقد اتضح ثانية بان الرئيس الامريكي طلب من روستوف ان يبلغ عبرون انه هو اي الرئيس قلق من فحوى رسالة رئيس الوزراء التي بعث بها اليه. وكان اشكول قد صاغ في هذه الرسالة التقرير الذي قدمه ايبان إلى الحكومة والذي في اعقابه قررت الحكومة اطالة مدة الانتظار. واكد روستوف ان الرئيس غير مسموح له بالالتزام بالقيام بعملية ذات طابع عسكري، دون موافقة الكونغرس الامريكي، وان النص لا يتناسب بالضبط مع اقواله لايبان. وقال روستوف ان الرئيس يتصارع مع نفسه ولكنه لا يستطيع ان يترك مكانا للشكوك. وقال مستشاره الكبير روستوف، ان جونسون يعيش هذه المشكلة ليلا نهارا، ويريد ان لا يفسروا اقواله بانها التزام امريكي بالقيام بعملية عسكرية. ان الولايات المتحدة لم تنسحب من مواقفها التي تؤيد بشدة حرية الملاحة ولكن الرئيس لا يستطيع ان يوافق على النص الذي قرأه في رسالة اشكول بصدد الالتزامات التي اعطاها لوزير الخارجية ابا ايبان.

تحدثت عن المشكلتين اللتين تشكلان في الواقع مشكلة واحدة: وهما اغلاق المضائق، والوضع السياسي. ان الوقت لا يعمل لصالحنا، وحولنا يشتد الطوق الخانق العسكري والسياسي. انني لا اؤمن بان اي احد غيرنا سيزيل هذا الطوق عن رقابنا. ان العرب يهددون بان هدفهم السياسي هو العودة إلى حدود عام ١٩٤٨ قبل اقامة إسرائيل انه لا يجب علينا ان ننتظر حتى يطرأ وضع يجعلنا غير قادرين على احباط نواياهم. ان هدفنا الرئيس هو انزال ضربة قاصمة بالجيش المصري وبعبد الناصر. اننا سنفعل ذلك وحدنا وسنغير كل الوضع العسكري والسياسي في الشرق الاوسط. اننا قادرون على فعل ذلك ولكن توجد هناك اهمية مصيرية لمسألة فيما إذا كانت المبادرة بايدينا. ان للقتال الجوي والمبادرة في بدء الحرب ستكون

اهمية حاسمة لنتائج القتال في البر والبحر. اننا لا نستطيع ان نهاجم في جميع الجبهات. ففي الواجهتين الاردنية والسورية سنضطر إلى تحمل الضربات وضد الهجمات، في المرحلة الاولى حتى نتمكن من توجيه قوات نسبية كافية في الواجهة المصرية لحسم القتال حتى في حدودنا مع سوريا والاردن. وعلينا ان نعمل الان. فبعد اسبوع أو اسبوعين فان الوضع سيكون صعبا وسنخسر المزيد من الضحايا.

ان سلاح الجو مستعد للعمل فورا. هذا ما صرح به قائده واضاف اننا حتى ولو هاجمنا في وقت متأخر فاننا نستطيع ان نحقق اهدافنا ولكننا سندفع الثمن غاليا. وعرض عميد القيادة الجنوبية صورة الوضع ومرابطة الجيش المصري واكد على السؤال التالي: في اي وضع سيكون الجيش المصري عندما يشن الجيش الإسرائيلي هجومه؟ انه كلما استطاع الجيش المصري الانتظام والمرابطة بشكل جيد كلما ارتفع ثمن الدم الذي سيضطر الجيش الإسرائيلي إلى دفعه كما ايد العميدان يانه وشارون باقوالهما، اقوال العمداء الذين تحدثوا قبلهما وعندما جاء دور وزير الدفاع الجديد موشة ديان في اول خطاب له وهو في منصبه الجديد. وقد وجدت أنا والعمداء باقواله تأييدا ودعما لمواقفنا. فقد قال: ان عملية التحصين التي يقوم بها الجيش المصري ستفرض على الجيش الإسرائيلي خسائر فادحة في الارواح، ولكن ليس من هنا فقط تنبع حتمية الهجوم. ان السؤال هو كم من الوقت نستطيع ان نعمل حتى يتمكن التدخل الدولي من وضع نهاية للحرب. انه من شبه الؤكد اننا سنضطر للعمل في نطاق ثلاثة أو اربعة ايام. وطالما ان الجيش المصري غير منتشر بشكل مناسب في سيناء فاننا نستطيع اختراق قواته بسرعة وان نكمل مكاسب الحرب. وإذا ما تأخرنا فستطول مرحلة الاختراق. وإذا لم ننه خططنا فاننا لن نحظى الا بمكسب جزئي فقط اي ان عدم الانتصار بشكل كامل على المصريين سيعتبر فشلا لنا وهكذا ستعرضه دعايتهم. ان احتلال شرم الشيخ يجب ان يكون احد اهداف الحرب، ولكن يجب علينا ان لا نصل إلى وضع يفرض علينا فيه وقف اطلاق النار قبل ان نحتل شرم الشيخ التي هي سبب الحرب وقبل ان نضمن حرية الملاحة في مضائق تيران.

اما رئيس الوزراء فقد دافع ثانية عن قرار الحكومة بصدد الجهود السياسية الممكنة وتحدث عن تعاظم قوة الجيش الإسرائيلي في السنوات الاخيرة، التي لم تكن ممكنة لولا اننا اظهرنا حساسية مناسبة في المجال السياسي واخذنا بعين الاعتبار رغبة اصدقائنا في العالم. وعندما حلل جواب جونسون لوزير الخارجية ايبان قاطعه العميد متاى بيليد قائلا: إذا كان الامر كذلك فاننا نطلب تفسيرا... لماذا ننتظر حتى الان. ولاحظنا ان اشكول قد غضب وقال: إذا لم اشرح ذلك حتى الآن فانني لن اشرح. اننا سنظل بحاجة إلى مساعدة وتأييد جونسون ويا حبذا اننا لن نحتاج له في وسط الحرب. ولكن بالتأكيد سنحتاج له إذا ما حققنا النصر من اجل الحفاظ على ثماره. اننا نريد ابلاغ الرئيس الامريكي باننا لم نضلله واعطينا الاحتمال السياسي، من اجل منع الحرب، الوقت الكافي. ان يومين قبل أو يومين بعد لن يقررا مصير الحرب. وفي ٢ حزيران وفي الساعة ٣٠,١٢ ظهرا اتخذ قرار سري ببدء الحرب ولكن ليش قبل يوم الاثنين الخامس من حزيران ١٩٦٧. واجتمع الوزراء ايبان، والون، وديان ويعقوب هرتسوغ وأنا عند رئيس الوزراء وقررنا هذا الموعد الخاضع كما هو مفهوم لقرار الحكومة..

خرجت من هذا الاجتماع متشجعا. انني لم اصب إلى القتال والحرب. فافتراض، انني قائد في الجيش، فما بالك بقائد الجيش كله المتحمس والذي يوضح ان الجيش قد اعد للحرب ويريد ان يجذب لنفسه الهالة الشخصية بسبب انتصاراته، لم يمثل موقفي. فكلما طرأ احتمال ما بان الولايات المتحدة قد تنجح في منع ضرورة الاتجان نحو الحرب كنت اؤيد واجبنا في الانتظار. ولكن منذ اللحظة التي اتضح فيها انه لم يوجد في الواقع مثل هذا الاحتمال، اردت ان تتخذ الحكومة قرارها الحاسم بالخروج إلى الحرب لانني عرفت بأنه كلما عجلنا، وفرنا حياة الاشخاص.

والان وبعد ان اصبح رئيس الوزراء، ووزير الدفاع متفقين في الراي تحسن جدا الاحتمال بان تتشجع الحكومة وتقرر. ان الشعور بالثقة لدى الطيارين ونوعية استعداداتهم كان مصدا

اخر للتشجيع بالنسبة لى. فخلال زيارتى لقواعد سلاح الجو في ذلك اليوم قلت للضباط الطيارين: لقد تعود اليهود على القول ان خلاصهم يأتي من السماء في الاوقات الحرجة. ولم اعرف انهم صدقوا حتى الان..

في الساعة ٧,٣٠ مساء عرضت على الخطط الحربية للقيادة الجنوبية في محاور الهجوم المختلفة بصورتها النهائية وخلال النقاش وصل وزير الدفاع إلى موقع القيادة الاعلى وطلب ان يعرضوا الخطط عليه. وقال وزير الدفاع انه بناء على الافتراض القائل بان الوقت الذي سيكون امامنا لن يزيد على ٧٢ ساعة فان مكاسبنا وانتصاراتنا لن تختبر فقط حسب كمية القوة المصرية التي نستطيع تدميرها وانما حسب اتساع المساحة في سيناء التي سنحتلها في هذا الوقت. وعليه فاننا لن نفشل إذا لم نتمكن من تدمير كل الدروع المصرية ومع هذا يجب ان نحتل منطقة على الاقل حتى العريش.

في هذا الحديث الاول حول خطط الهجوم واهدافه حدد موشة ديان تحفظين صريحين دار حولهما فيما بعد نقاش حاد. لقد قال ديان انه يجب باي شكل من الاشكال عدم الوصول إلى قناة السويس. فالقناة هي هدف دولي وليس مصريا. والشيء الثانى: يجب عدم احتلال قطاع غزة في المرحلة الاولى من العرب لكي لا نكلف بمعالجة السكان اللاجئين في مراحل الحرب الاولى. وإذا دعت الحاجة إلى احتلال القطاع، فاننا سنفعل ذلك في المرحلة الثانية من العرب. واضاف وزير الدفاع انه يجب ان نسهل في امر العملية احتلال شرم الشيخ. اما رايى فكان يختلف عن راي الوزير: فقد تمسكت برأيي القائل اننا إذا نجحنا في تدمير سلاح الجو المصري والدروع المصرية في مشارف سيناء ووسطها بصورة سريعة وحاسمة، فان شرم الشيخ لن يعود مشكلة عسكرية.

على اية حال، وحسب امر ديان تترر عدم احتلال قطاع غزة في المرحلة الاولى. ولواء الدروع وللقوات الأخرى التي كانت مخصصة لهذا الهدف ستخلى الآن للقيام بمهام أخرى. ووضعنا خطة أخرى اطلقنا عليها اسم «تخشونيم» ولكنها لم تكن تختلف كثيرا عن الخطة

السابقة ولكن حذف منها هدفان وهـما: احـتلال قطـاع غـزة وقنـاة السـويس. وكلفـت شـعبة الاركان للعمليات اعداد الخطة المفصلة يوم غد.

٣ حزيـران - ١٢ ظهـرا. مادتـت أنـا اولا، وبعـد ذلـك وزيـر الـدفاع عـلى الخطـة. القيـادة الجنوبية أ- تحتل مشارف سيناء حتى خط العريش- جبل لنبي- بير حسنة، القسـيمة. ورفـح - العريش ونيتسانا- وابو عجيلة.

ب - تدمير معظم قوات الجيش المصري في هذه المنطقة وتفتح محاور التقدم.

الاسلوب: هجوم القيادة الجنوبية يعتمد على حركـة درور في اربعـة محـاور ١- مجموعـة طال في محورين نحو رفح - العريش ٢- مجموعة شارون لاحتلال مواقع ام كتف - ابـو عجيلـة ٣ - مجموعة يافه في الوسط بين المجموعتين تتجه نحو بير لحفان.

يبدأ هجوم الدروع بعد بدء العملية الجوية بثلاثين دقيقة ويبدأ الهجوم نحـو ابـو عجيلـة في الساعة الثانية بعد الظهر ويتم احتلالها في هجوم ليلى بمساعدة قوات محمولة جوا.

ويجـري الجـيش الإسرائـيلي قتـالا حاسـما مـع معظـم الـدروع المصريـة بجهـد متعـدد المجموعات في واجهة جبل لبني - بير حسنه - القسيمة.

وفي ذلـك المسـاء وصـلنا خـبر ان كتيبـة مـن الكومانـدوز المصريـة قـد وصـلت إلى الاردن وهدفها العمل ضد مطاراتنا.

على الرغم من اننا اصبحنا قريبين من موعد الهجوم، فقد كـان هنـاك بعـض الاشـخاص يريدون تأجيل الحرب. ففي ليلة السبت اجتمعنا في منزل رئيس الـوزراء في القـدس. واقـترح رئيس «الموساد» مئير عميت الانتظار مدة ثلاثة أو اربعة ايـام. وسـفيرنا في واشـنطن هرمـان طلب تأجيل موعـد شـن الحـرب لمـدة اسبوع زاعـما انـه لم تـنقض مـدة اسـبوعين بعـد عـلى اجـتماع ايبـان بـالرئيس جونسـون وان هجومـا إسرائيليـا سـيفسر عـلى انـه تضـليل واسـاءة للولايات المتحدة ولكن الون وديان رفضا بشدة هذه الاقتراحات وقالا ان تأجيل العملية معنـاه

الانتحار وان حل المشاكل السياسية يجب تأخيرها إلى وقت لاحق، اي إلى ما بعد الانتصار في الحرب. وقد قبل رئيس الوزراء بهذه الاقوال وفي ذلك الاجتماع الليلى تعزز القرار السابق: مهاجمة الجيش المصري في الخامس من حزيران.

يوم ٤ حزيران ١٩٦٧. الجيش الإسرائيلي مستعد كالزنبرك الضخم وبالامس فقط امرت بان يقوم قائد لواء المظليين مردخاي غور وضباطه براسة واجهة القدس ويشتركوا في التخطيط لاحتلال القدس الشرقية. وذهب غور وعدد من كبار ضباطه إلى القدس وتجولوا وتعلموا. وكان القصد الاساسي هو انزال لوائه غربي العريش كاسناد لمجموعة طال ولكن على ضوء التطورات في الاردن واشتراك الحسين في المجهود الحربي العربى اعتقدت انه بالاضافة إلى اللواء المظلي الذي يقوده دانى ماط يستعد ايضا لواء مردفاي هود للعمل في منطقة القدس. وقلت للعمداء انه لا يراودنى ادنى فيك في ان الحكومة ستقرر مساء اليوم بان الجيش الإسرائيلي سيهاجم غداة غد. فنزلت إلى الجبهة الجنوبية واطلعت للمرة الاخيرة على الخطط. وكانت كل مجموعة، وكل لواء، وكل كتيبة تعرف واجباتها ومحاورها وساعات عملها. وامرت قادة المجموعات بان يكونوا مستعدين لتعجيل موعد الهجوم إذا ما اتضح بان الهجوم الجوي قد نجح واختراق اللواء السابع نحو العريش يجري كما هو مخطط له.

ومن القيادة الجنوبية طرت إلى مطار دوف في تل ابيب ووصل وزير الدفاع إلى هناك من جلسة الحكومة. وكما توقعت ابلغني ديان بان الحكومة قد صادقت:

الجيش الإسرائيلي يهاجم مباع غد.

الساعة السابعة مساء. خلال البحث مع عمداء الجيش الإسرائيلي قررنا نهائيا التوقيت النهائي «ساعة الصفر» لعملية سلاح الجو. وكان هذا التوقيت هو الساعة السابعة والدقيقة الخامسة والاربعين من صباح يوم الاثنين حسب طلب قائد سلاح الجو العميد هود. فقد قال: لقد تتبعنا طيلة الاسبوعين الماضيين التحركات الدقيقة لسلاح الجو المصري. وكانت

طائرات سلاح الجو المصري تقلع مع الفجر في دورة جوية تستمر ساعة. وبعد ذلك يهبطون و يذهبدون لتناول طعام الافطار. والوقت بين الساعة السابعة والساعة الثامنة هو «هو وقت ميت».

وبالنسبة لنا فان الساعة ٧,٤٥ صباحا هي الساعة المثالية. سنبدأ بتحريك الطائرات على مدارجها في الصباح وخلال عملية التحريك والاقلاع يكون هناك صمت لاسلكي. لا خطر من ضباب الصباح لا في إسرائيل ولا في مصر. ومن الافضل ان يأخذ الطيارون قدرا كافيا من النوم قبل خروجهم للحرب، ولن نوقظهم في وقت مبكر...

الفصل الرابع

الحرب

٤ حزيران. ليل غريب: كنت قبل الاختبار الكبير بعدة ساعات هادئا. وكأن بجبلا كبيرا من الارتباكات والمخاوف والشكوك والتخبطات التي حملتها على اكتافي في الاسابيع الثلاثة الاخيرة قد زالت الآن واستقام الظهر. ذهبت إلى البيت لاخذ عدة ساعات من النوم. لقد آمنت بأننا قد احسنا صنعا في اعداد الجيش من ناحية التعزيز والتريب حتى في فترة الانتظار، وانتشار عشية الحرب والخطط الهجومية التي بلورناها. لقد واجهت الجيش الإسرائيلي قوات ضخمة في صباح الخامس من حزيران. ففي الجبهة المصرية انتشر امامنا جيش كبير وقوي: يساوي سبع فرق تضم أكثر من ٩٠٠ دبابة منتشرة في سيناء وحوالى ٣٠٠,٠٠٠ مصري. وكذلك المئات من المدافع وعشرات المئات من جنود المشاة. وكانت القوة البحرية المصرية كبيرة جدا: سبع مدمرات و ١١ غواصة و ١٨ زورق صواريخ وفرقاطتان و ٢٥ زارعة الغام و ٨٠ رجل ضفادع وحوالى ٧٠٠ جندي من كوماندو البحرية. وكان سلاح الجو المصري يضم ٢٤٢ طائرة مقاتلة وقاذفة نصفها من طائرات هيج ٢١ وبالاضافة إلى طائرات النقل والهيلوكوبتر لقد كان سلاح الجو المصري مكونا باجماله من ٤١٩ طائرة.

سبعة ألوية من بين ألوية المشاة التسعة في الجيش الاردني كانت ترابط في توزيعة دفاعية في الضفة الغربية. وكان للجيش الاردني لواء ان من الدروع بالاضافة إلى كتيبتي دبابات. وقد اجتاز اللواء المدرع - ٦٠ في الخامس من حزيران نهر الاردن وانتشر في منطقة اريحا-كاليا. وكان اللواء المدرع «الاربعين» منتشرا بعضه غربي نهر الاردن والبعض الاخر شرقي النهر في منطقة غور الاردن وكانت كل واحدة من كتيبتي الدبابات الاردنيتين في الجبهة تضم ما يتراوح بين٤٠-٥٠ دبابة سنتوريون وباتون. وقد وضعت الكتيبتان في الخط الامامي احداهما في شمال الضفة ابتداء من منطقة نابلس شمالا حتى جنين والثانية في منطقة الخليل.

وعلى العموم رابطت في الجبهة الاردنية حوالى ٣٠٠ دبابة. وحضر لمساعدتها اللواء العراقي الالى الثامن وكذلك كتيبة من جيش التحرير الفلسطيني. ورابط لواء المشاة السعودي الحادي عشر بالقرب من الحدود الاردنية في الاراضي السعودية وكان على اهبة الاستعداد للتحرك نحو الاردن.

صحيح ان سلاح الجو الاردني كان مكونا فقط من ٢٤ طائرة مقاتلة من نوع «هنتر» و ٧ طائرات نقل واربع طائرات هيلوكوبتر، ولكن سلاح الجو العراقى بما يضم من ١٣٠ طائرة مقاتلة وقاذفة و ٢١ طائرة قاذفة و ٢٣ طائرة نقل و ٥٠ طائرة هيلوكوبتر يستطيع الاسراع لنجدة الاردن أو العمل ضدنا من مطارH.3 القريب من الحدود الاردنية.

واما الجيش السوري فكان مكونا من حوالى ٥٠٠ دبابة وحوالى ٦ الوية مشاة رابطت خمسة منها في الخطوط الامامية مع إسرائيل. وقد ابقيت الدروع السورية في الخلف ولكن كل لواء مشاة سوري كان يضم حوالى ٢٠ أو ٣٠ دبابة في الخط الامامي. وكان سلاح الجو السوري يمتلك ١١٢ طائرة منها ٩٥ طائرة مقاتلة وقاذفة ومن ضمنها أكثر من ٦٠ طائرة من نوع ميج ٢١. ولكي لا انسى اللبنانيين فانني سأذكرهم ايضا. فالجيش اللبناني كان يمتلك حوالى ١٠٠ دبابة وعدة الوية مشاة وحوالى ٣٠ طائرة مقاتلة من نوع منتر «وفامبير» وعددا من طائرات الهليكوبتر.

مقابل هذه القوات جميعها وقف الجيش الإسرائيلي وكعادته كان «صغيرا جدا» ولكنه مدرب ومنظم جيدا. ففي الجبهة مع مصر كان لنا: أكثر من ٧٠٠ دبابة. ولواءي مشاة ولواء مظليين، ولواءي مظليين آخرين وكذلك وحدات مدفعية وهندسية. ووضعنا امام الجيش الاردني حوالى ١٠٠ دبابة وثلاثة الوية مشاة. ووضعنا امام الجيش السوري في الشمال حوالى ٢٠٠ دبابة وثلاثة الوية مشاة. وكان سلاحنا الجوي يمتلك ٢٠٠ طائرة. يضاف اليها حوالى ٤٠ - ٥٠ طائرة تدريب من نوع «فوجا» تمت ملاءمتها للاهداف الهجوهية عن طريق تركيب قواعد اطلاق صواريخ منها. ان هذه الطائرات لا تستطيع الصمود في المعارك الجوية ولم

تخصص للاشتراك في تصفية الجيش المصري. وقد وضعت في احد المطارات في الجنوب لمساعدة مجموعة طال في مهاجمة الاهداف الارضية مع بداية الحرب إذا ما اتضح بان سلاح الجو المصري قد تم شله ولم بعد قوة محاربه بعد الضربة الاولى التي ستنزلها به طائراتنا. ان اجراءات الحرب في حزيران ١٩٦٧ قد نشرت بشكل مفصل واثارت الحماس في نفوس العالم. لقد كان ذلك انتصارا كاسحا لم يشهد تاريخ الحروب في العالم مثله الا القليل. جيش «صغير» نسبيا، مدرب جيدا معبأ بالروح القتالية ويقوده قادة متفوقون في الميدان ويعمل حسب خطط حربية ممتازة، هزم خلال ثلاثة ايام من الحرب جيوش مصر، والاردن، وسوريا. وابعد الخطر عن إسرائيل وحطم العصار المفروض عليها. وحل الطوق الذي ربط حول عنق إسرائيل وفتح مضائق تيران امام الملاحة الحرة «وحرر» القدس،«ومناطق ارض إسرائيل الغربية». انني لن اصف بكتابى هذا الاجراءات الكاملة لعملية الاختراق والقتال والاحتلال والنصر. فهذا النصر الذي حققته إسرائيل. والذي يعد اكبر انتصاراتها حتى الآن قد وصف بالتفصل مرارا كثيرة. وسأكتفي بالحديث عن بعض الجوانب التي تصف المشاكل والمشاعر من وجهة نظري كرئيس للاركان.

كان يبدو اننا لم نستطع الا ان نفاجئ في هذه الحرب. ان كلمة «ناصر ينتظر رابين» كانت فقط تعبيرا لنشيد الجنود حول الواقع العسكري الذي ساد على طول الحدود. وهذا التعبير اكد استعداد الجيش المصري لواجهة الرد الإسرائيلى. انني لا اشك في ان عبد الناصر آمن بأنه على ضوء استعداد جيوشه لمواجهة الهجوم الإسرائيلي فان الجيش الإسرائيلي لن يستطيع التغلغل سوى في مناطق معينة داخل سيناء واعتقد بان العرب ستكون ضارية وستستمر عدة ايام. وعندما سيتدخل الاتحاد السوفياتى بواسطة - الامن التابع للامم المتحدة لوف اطلاق النار وانسعاب الجيش الامم انيلى إلى خطوط الهدنة. وهذه هي التقديرات العسكرية التي سادت ليس في مصر فقط وبقية الدول العربية، وانما ايضا في اوروبا الغربية والشرقية ان الخطأ الذي ارتكبه عبد الناصر، والعالم كله هو انه لم يفكر في انه خلال بضع ساعات سيقضى

على سلاح الجو المصري وسيحول التفرق الجوي الإسرائيلي جيشه في سيناء إلى فريسة للدورع الإسرائيلية التي تساندها كافة قوة سلاح الجو.

هنالك ثلاث مسائل تعرضت للاختبار في اليوم الاول من الحرب.

- تصفية سلاح الجو المصري كقوة محاربة خلال وقت قصير(عدة ساعات) وتفرغ سلاح الجو لمقاتلة أسلحة الجو في سوريا والاردن والعراق إذا قامت هذه الأسلحة بالهجوم.

- اقتحام الدروع الإسرائيلية بدون الاعتماد على الاسناد الجوي وتحقيق الاهداف الرئيسة: مجموعة طال - احتلال العريش - مجموعة يافه - منع تحرك الدروع من بير حسنة إلى العريش. مجموعة شارون - احتلال مواقع ام كتف وابو عجيلة. لكي تستطيع هذه المجموعات في اليوم الثاني من العرب الاستعداد لمقاتلة بقية الدروع المصرية في بير حسنه ولهواجهة امكانية زج الفرقة الرابعة إلى القتال في هذه المنطقة.

- الاستعداد امام عملية برية تقوم بها الجيوش الاردنية والسورية في حالة قيام هاتين الدولتين بالانضمام فورا لمساعدة مصر.

لقد كانت خطة العمل الجوي جريئة جدا. ارسال جميع الطائرات المقاتلة والمهاجمة التابعة لسلاحنا الجوي ما عدا ١٢ طائرة (٦% من القوة الجوية) في ثلاث موجات لمهاجمة المطارات المصرية، واجهزة المراتبة المصرية والاجهزة المضادة للطائرات التي من شأنها ان تعرقل هذا الجهد وكلفت إلى ١٢ طائرة المتبقية بمهمة حماية الاجواء الإسرائيلية ضد كل مهاجم خلال الساعات الثلاث أو الاربع الاولى من الحرب. وكان العميد هود مليئا بالتفاؤل والثقة بانتصار سلاح الجو وتحقيق اهدافه وافتراض انه ستتم تصفية سلاح الجو المصري حتى قبل ان تستطيع أسلحة الجو العربية الأخرى القيام بالهجوم على إسرائيل. واعترف هنا بانني كنت اشك في امكانية تحقيق هذه المهمة خلال الوقت الذي حدده العميد هود ولكنني افترضت انه حتى ولو عملنا مدة اربع وعشرين ساعة من اجل تحقيق التفوق الجوي فان ذلك سيعتبر

مكسبا كبيرا. فسلاح الجو الإسرائيلي ا يكتسب خبرة حتى ذلك الوقت في مثل هـذه الهمـة. في صباح يوم الاثنين الخامس من حزيران كنا جميعنا مجتمعين حول موقع القيادة لسلاح الجو.

كان الانفعال كبيرا لدى استماعنا إلى نتائج الهجوم التي قامت به الموجة الاولى. وقد فوجئ سلاح الجو المصري تماما. ودمر ثلث طائراته على الارض. واصبحت معظم الدارج في المطارات الرئيسة غير صاحعة للاستخدام. والموجه الثانية لم تترك مصر تصحو والموجة الثالثة اغلقت القبر على سلاح الجو المصري كقوة عملية ذات اهمية وفي الساعة ٧,٠٠ اعلن العميد هود ان ١٨٠ طائرة على الاقل دمرت واصبحت جميع منشآت سلاح الجو المصري غير صالحة للساعات القريبة القادمة. وخلال هذه الساعات الثلاث كنت اتنقل بين موقع القيادة الجوي وموقع القيادة لرئاسة الاركان لا تتبع تقدم مجموعة طال. القيت نظرات إلى موطاهود. وكان يبدو وكأنه صخرة صماء، منغمسا كله في ادارة القتال الجوي ولا يدلي باية كلمة زائدة... ويشرب كميات هائلة من الماء.

تفرغ سلاح الجو لامكانية القيام بهجوم جوي من واجهات أخرى. لقد وجهت الحرب في المرحلة الاولى ضد مصر، اما بالنسبة لبقية الدول العربية فان الاوامر السياسية كانت تنص على الرد فقط. اننا لم نرد خوض الحرب مع الاردن. وقد مرر بيان رسمى من قبل حكومة إسرائيل إلى حكومة الاردن بثلاث طرق: عن طريق الارتباط العسكري بين المقدم ش. جات والعقيد محمد داوود وبواسطة الجنرال اود بول رئيس قيادة المراقبين الدوليين وبواسطة السفارة الاميركية في إسرائيل. وكانت هذه الرسالة تنص انه على الرغم من ان الاردن قد فتح النار على القدس وعلى طول خط الهدنة، فانه إذا ما اوقف النار، وامتنع عن الحرب، فان إسرائيل سلتزمة باحترام اتفاقية الهدنة بكاملها. ولو قبل الاردن باقتراح إسرائيل لبقيت القدس الشرقية، والضفة الغربية بيديه. وقد اختار الملك حسين العرب.

وبدأت أسلحة الجو السورية، والاردنية، والعراقية بمهاجمة اهداف في إسرائيل في الساعة ١١,٥ وخلال ساعتين تم القضاء على أسلحة الجو الاردنية والسورية وقاعدة سلاح الجو العراقيH-3 القريبة من الحدود العراقية - الاردنية.

٤٠٠ طائرة من انواع مختلفة دمرت في اليوم الاول للحرب من قبل سلاح الجو الإسرائيلي. ان النتائج الهذهلة التي ترتبت على عملية سلاح الجو الإسرائيلي حسمت بنسبة كبيرة مصير العرب كلها. واصبحت مدن إسرائيل وقراها آمنة من عمليات القصف الجوي. وقام سلاح الجو بالقاء كامل ثقله في مجال مساعدة القوات البرية منذ اليوم الثاني للحرب.

في الواجهة الجنوبية تقدمت مجموعة طال من خلال معارك صعبة ومريرة. ومع المساء وصلت إلى العريش. ومجموعة يافه تقدمت جيدا خطوة خطوة نحو اهدافها. وبدأت مجموعة شارون تركها حتى قبل الموعد المحدد، بعد مصادقة رئيس الاركان واستعدت حتى يخيم الظلام للقيام بهجوم راجل على مواقع ام كتف.

ان تقدم مجموعة طال السريع، ودخول الاردن العرب جعلنا نقوم بتقييم جديد للوضع. ان دخول الاردن وسوريا العرب، في الوقت الذي يظهر فيه الاردن اندفاعا أكثر من سوريا وضع علامة استفهام كبرى امام المستويين السياسي، والعسكري. وقد اتخذ المستوى السياسي القرارات التالية: احتلال القدس بدون البلدة القديمة. احتلال الممر الشمالى إلى القدس وبما في ذلك منطقة اللطرون. احتلال منطقة جنين بدون المدينة نفسها. وكل هذه (ماعدا القدس) من اجل الحيلولة دون تعرض المطارات ومنطقة تل ابيب إلى القصف المدفعى. وقام لواء «هرئيل» (الان، خلافا لما كان عليه ابان حرب الاستقلال، هو لواء إلى ويقوده خيرة جنود هرئيل في عام ١٩٤٨، اوري بن آري) بالهجوم على منطقة الرادار والنبي صموئيل لتطويق القدس من الشمال ومواجهة الدروع الاردنية المتجهة إلى القدس من جهة اريحا. كما قام لواء المظليين بقيادة موخاغور بالتوجه على مراحل إلى منطقة القدس لاحتلال شمالي القدس

وغربها. ويواصل لواء القدس المحلي قتاله في جنوب القدس بعد احتلال قصر المندوب. وتوجه لواء موشة لنتست إلى اللطرون ومن ثم عن طريق بيت حورون إلى رام اللـه

وتقدمت القيادة الشمالية بواسطة لـواء افنـون ولـواء الـدرو بقيـادة «بريـل» بالتقـدم في منطقة سهل دوتان وحتى جبل جلبواح نحو نابلس لمواجهة لواء الدروع الثاني الـذي يتقـدم في محور الجفتلك إلى منطقة نابلس وشمالها.

وفي ليلة ٥، ٦ حزيران كانت جميع الالوية تخوض حربا ضارية لم تشـهد مثيلا لهـا، وكـان اصعب قتال خاضته هذه الالوية هو القتال الذي خاضه لواء المظليين من اجل احـتلال متحـف روكفلر، وتلة الذخيرة وجبل المكبر. وكان الجهد الجوي منصب على منـع تقـدم الـروح الاردنيـة نحو القدس. ونجح سلاح الجو في اصابة الدروع والمدفعية وعرقل تقدمها بصورة كافية ليتمكن لواء هرئيل من الوصول إلى ظهر الجبل قبل ان تصل إلى هناك الروح الاردنية.

وفجر يوم القتال الثاني، السادس مـن حزيـران، احتـل لـواء المشـاة بقيـادة موشـة يطبـات اللطرون وكان مستعدا للتحرك على محور اللطرون - بيت حورون نحو رام اللـه. ووصـل لـواء هرئيل إلى تل الغول، بعد احتلال الرادار والنبـي صـهوئيل، وبيـت حنينـا. وبيـت اكسـا. وتقـدم لواؤء موشة بريل نحو سهل «دوتان» في شمال الضفة. وقام لـواء اخـر بـاحتلال جنـين واسـتعد للتحرك نحو الطريق إلى نابلس.

والسوريون - صامتون....

ليلة حزينة جدا مرت على عبد الناصر انه لم يعلم في احلامه السوداء بان هذه هي صـورة القتال التي ستكون في نهاية اليـوم الاول. واصر جميـع المعلقـين العسـكريين والـؤرخين ان عبـد النـاصر كـذب عـن سـبق عمـد واصرار خـلال حديثـه الهـاتفي مـع الملـك حسـين في ليلـة ٦,٥ من حزيران ١٩٦٧ وقد التقطت المخابرات الإسرائيلية فحوى بيـان عبـد النـاصر الحسـين الـذي قال فيه، ان طائرات امريكية من الاسطول السادس وطـائرات بريطانيـة قـد اشـتركت في اليـوم

الاول للحرب في الدفاع عن اجواء إسرائيل وفي مهاجمة وتصفية أسلحة الجو العربية. وتقرر الاعلان عن هذه الرواية. وفي الساعة السادسة صباحا نشرت القيادة العربية الوحدة للقوات المسلحة هذه الرواية الطائشة التي لم يصدقها اي عنصر جدي في العالم. وطلب عبد الناصر من جميع الدول العربية قطع علاقاتها مع الولايات المتحدة وبريطانيا. وطلب من الدول المنتجة للنفط وقف تدفق البترول إلى الغرب. وفي ذلك الوقت، وحتى في المراحل التي قلت الحرب لم اكن اصدق الرواية القائلة بان عبد الناصر كان يعلم بان اية طائرة امريكية كانت ام بريطانية لم تشترك في الحرب وان الكذب كان ضروريا له ليغطي على هزيمته. ربما هذا هو الصحيح، وربما انه في تلك الليلة المرة لم يؤمن بان سلاح الجو الإسرائيلي الذي كان يعرف حجمه يستطيع ان ينفذ هذه المهمة الجبارة خلال بضع ساعات. وإذا لم تستطع الطائرات الإسرائيلية ان تفعل ذلك وحدها فما هي الطائرات التي ساعدت إسرائيل في تدمير أسلحة الجو المصرية والاردنية والسورية إذا لم تكن طائرات امريكية وبريطانية؟

الجيش الإسرائيلي يحقق الانتصارات - وما زال وزير الدفاع مصرا على السيطرة الفورية على شرم الشيخ. ففي يوم الثلاثاء السادس من حزيران وهو اليوم الثاني للحرب وفي الساعة ٨٠٢. استعاني وقال لى والضيق باد عليه: هناك معلومات عن البدء بنشاطات سياسية عاجلة يقوم بها السوفيات لانهاء الحرب. فماذا سيكون بالنسبة لشرم الشيخ ؟ قد تنتهي الحرب بدون ان تحتل الحجة التي كانت من وراء فتح هذه الحرب وهي شرم الشيخ. وامرني ديان بان نصل إلى شرم الشيخ وان نتواجد هناك بغض النطر عن التطورات العسكرية في سيناء. واتفقنا على ان نحتل شرم الشيخ في ليلة ٨،٧ من حزيران بواسطة انزال قوات من الجو وانزال قوة بحرية من ايلات. ونعد ايضا قوة برية تتوجه إلى شرم الشيخ. وامرت وحدة مطليين بالاستعداد لهذه المهمة. وفي ذلك الحديث نفسه عاد الوزير واكد امره بعدم مهاجمة البلدة القديمة من القدس.

وكأنهم كانوا يريون تكذيب المزاعم القائلة بان السوريين هم الذين اشعلوا نيران الحرب وانهم سيحاربون حتى... المصري الاخير - اطلق الجيش السوري في صباح السادس من

حزيران الساعة ٦,٣٠ صفارات الحرب: فقد وجه قصفا مدفعيا على طول الواجهة مصحوبا بهجوم دبابات ومشاة نحو تل دان وكيبوتس دان ومنطقة دردرة. وتم صد جميع هذه الهجمات وانسحب السوريون ومازالوا يتركون اخوتهم الاردنيين والمصريين يضمدون جراحهم بانفسهم. غير وزير الدفاع رأيه وسمح باحتلال قطاع غزة. وواجهت قواتنا مقاومة عنيفة وحربا ضارية من قبل الوحدات الفلسطينية ولحقت بنا خسائر فادحة.

وكان الوضع في الجبهة الجنوبية في صباح السادس من حزيران على النحو

التالي: مجموعة طال احتلت العريش وتغلبت على القوات المتواجدة في المنطقة بين خان يونس - رفح - العريش. ووصلت مجموعة يافه ومعها لواء الدروع بقيادة يشكا شدهي إلى المنطقة الواقعة بين العريثش وبين حسنه ومنعت جميع تحركات الدروع نحو العريش. وقامت مجموعة شارون باختراق الطريق من نيتسانا وحتى إلى ما بعد ابو عجيلة في الوقت الذي كان فيه اللواء الثاني المدرع التابع لمجوعة يافه (لواء الحنان سيلع) يمر في هذا المحور ليصل إلى المنطقة المخصصة لجموعة يافه.

خرجت في الساعات الباكرة من صباح السادس من حزيران للاجتماع مع العميد جفيش لتقرير استمرار الحرب في الجنوب. وكان امر الحرب يتضمن فقط تفصيلا للمرحلة الاولى من الحرب. والان اصبح لزاما علينا ان نبحث استمرار العمليات. وبعد تأخير بسيط وصل شايكا جفيش إلى مكان الاجتماع في ام كتف. واتفق على ان تتقدم المجموعات في المحاور التالية:

مجموعة طال: على محور العريش (بعد ان اصبح موقع بير لحفان في المراحل الاخيرة من التصفية) على طول محرر جبل لبني نحو بير جفجفة.

مجموعة يافه: نحو بير حسنه ومن ثم على طول المحور باتجاه ممر المتلا. مجموعة شارون: على محور القسيمة نحو نخل. وعلى طول طريق الساحل تتحرك قوة جرانيت التابعة للعميد طال. وبذلك تتحرك جميع قوات الدروع بسرعة وباسناد كبير من سلاح الجو نحو الممرات.

وكان متوقعا بان انتشار القوات بعد القتال الليلى سيستمر طيلة يوم الثلاثاء السادس مـن حزيران وانه يجب ان نتوقع التحـرك السريـع فقـط في ليلـة ٦،٧ مـن حزيـران. وكانـت الخطـة واضحة وبسيطة، وفي مساء يوم الثلاثاء بعد مرور ٣٦ ساعة من الحرب امـرت القيـادة المصريـة الجيش المصري بالانسحاب نحو القناة، ما عدا الفرقة الرابعة وقوات قيـادة القنـاة التـي امـرت باقامة خطوط دفاعية على الداخل الشرقية لممرات الجدي والمتلا. وفي ليلـة ٦، ٧ مـن حزيـران انسحب المصريون من شرم الشيخ.

وفي صباح السابع من حزيـران امـر مجلـس الامـن الـدولى بوقـف اطـلاق النـار في معـارك الشرق الاوسط. وبدأت ساعة المرحلة السياسية التي خشينا منها قبل بدء الحرب بدأت تتفـرع. وكان من الضروري تعجيل العمليات. وامرت تعجيل السـيطرة عـلى شرم الشـيخ. وسـبق سـلاح البحرية القوات الأخرى وبعث قائده بتقرير يقول: لا يوجد من نقاتلـه! وسـقطت شرم الشـيخ بدون قتال، وبدون اطلاق طلقة واحدة كما اعتقدت قبل بدء المعـارك بأنـه بعـد حسـم القـوة المصرية الرئيسة في سيناء فان المصريين لن يقوموا بالدفاع عن شرم الشيخ.

وفي الساعة السادسة من صباح السابع من حزيران حضر وزير الدفاع إلى غرفة العمليـات وامر باحتلال القدس القديمة باسرع وقت ممكن. لقد بدأت مؤشرات الساعة الرملية بالتوقف. وسقطت البلدة القديمـة في ايـدينا في ذلـك الصـباح، بعـد معـارك ضـارية وصـعبة. اذن لم يبـق ادنى شـك في ان المعـارك في جبهتـي مصر والاردن قـد حسـمت وان الجـيش الإسرائـيلي حقـق نصرا كبـيرا في هـاتين الجبهتـين لم نكـن نتوقعـه ولكـن مازالـت هنـاك شـكوك تراودنـا. حـول ماذا سيحدث في الجبهـة السـورية؟ وهـل ان سـوريا المتطرفـة جـدا في عـدائها لإسرائيـل فقـط ستهرب مـن المصـير الـذي لحـق بـالاردن ومصر وتخـرج مـن الحـرب دون اضرار؟ ان المخـاوف من مغبة الرد السوفياتي خيمت ليس فقط على وزير الدفاع. فلم يكـن هنـاك احـد في الزعامـة السياسـية والعسـكرية يسـتطيع ان يضـمن ان هجومـا شـاملا عـلى سـوريا لـن يـؤدي إلى

تدخل سوفياتي على مستوى عال. ولم يكن هناك شخص يستطيع ان يضمن بان تطورا كهذا، وهو الخطير جدا من ناحيتنا سيستدعي الامريكيين إلى صد التدخل السوفياتي.

وقال وزير الدفاع انه مسموح للجيش الإسرائيلي على أكثر تقدير ان يجتاز الحدود الدولية الإسرائيلية - السورية لمسافة ٢ أو ٣ كم. لكنني لم ار جدوى في التسلق على عدة هضبات في تل عزيزات، وهضبة البانياس بدون ان تحدث تغيرا جوهريا في الوضع... وطلبت دراسة موقف الامريكيين وردهم المحتمل على هجوم واسع ضد سورية. وقد تم التأكد من الوضوع وخرجنا بانطباع بأنه لا يوجد لنا ما نخشاه من جانب الجناح الامريكي.

ولكن في الساعات المتأخرة من ليلة السابع من حزيران كان وزير الدفاع لا يزال متمسكا بالامر الصريح القائل انه لا يجب التقدم في الجبهة السورية أكثر من ٢ أو ٣ كم خلف الخطوط الدولية، وترك بيدي القرار حول ما إذا سنهاجم ام لا. فاستشرت قائد القيادة الشمالية دافيد العازار. وكان يشاركني الرأي انه في هذه الظروف لا جدوى من الهجوم وقمت بابلاغ وزير الدفاع بذلك.

وفي نفس الليلة، في الساعة العاشرة، اقترب وقف اطلاق النار من دخوله حيز التنفيذ، ذلك الوقف الذي قرر، مجلس الامن. ولم أتأسف عندما سمعت في الساعة التاسعة ان عبد الناصر قرر عدم الاستجابة لامر مجلس الامن لانه لم يأمر

بانسحاب القوات المصربة. فخططنا في الجبهة المصرية لم تنفذ كليا، ورفض النعيم المصري قبول وقف اطلاق النار ضغط علينا من الناحية السياسية.

وبعد مرور اقل من ٢٤ ساعة، وفي مساء الثامن من حزيران غير عبد الناصر رايه ووافق على قبول وقف اطلاق النار بدون شروط. اننا لسنا بحاجة إلى ان نضرب شوطا طويلا في التخمينات لنفهم السبب: ان توقعه بان الاتحاد السوفياتي سينجح في ان يفرض على مجلس الامن اتخاذ قرار يربط بين وقف اطلاق النار وبين الانسحاب الإسرائيلي من سيناء مثلما

حدث عام ١٩٥٦ قد خاب. وقد تقدمت قوات الجيش الإسرائيلي نحو القناة، ولم يعد الجيش المصري عنصرا يستطيع ايقافها.

اننى اشك فيما إذا كان عبد الناصر قد علم في تلك الليلة بأنه ليس الوحيد الذي غير رأيه، وانما ايضا وزير الدفاع موشة ديان. فطيلة ايام الحرب، امر على عدم الوصول إلى الضفة الشرقية لقناة السويس. ودعم ادعاء بثلاثة اسباب: ان المجموعة الدولية لن توافق على وجودنا هناك. وطالما رابطنا هناك ستظل القناة مغلقة. ان القناة هي هدف حيوي لمصر من الناحية القومية ويجب علينا باي حال من الاحوال ان نتحرش بها بمثل هذه الصورة الخطيرة. ان مرابطتنا على القناة ستقضي على امكانية الموافقة على وقف اطلاق النار ولكي تحول دون تعرضها للاهانة التي لا يمكن تحملها، فان مصر متضطر إلى مواصلة الحرب. ويجب علينا ان لا ندفع مصر إلى موقف اللاخيار الذي سيطيل عمر الحرب.

عرفت حجج ديان ضد الاستيلايء على القناة ولم امل إلى الموافقة عليها. ولم اعرف لماذا غير رأيه في منتصف ليل الثامن من حزيران بعد ان اعلن عبد الناصر عن موافقته على اتفاق وقف اطلاق النار بدون شروط.

والان وبعد ان رفع ديان معارضته لم يكن هناك اي عائق: فاحتل الجيش الإسرائيلي كل سيناء وعدل الخط على طول قناة السويس، وخليج السويس.

كان انهيار الجيش المصري نهائيا. وامتلأت الصحراء بالجنود المصريين الفارين انه منظر محزن، حفاة عراة، مذعورين هعاربين إلى بيوتهم متروكين لرحمة العدو المنتصر. ومن اجل الحيلولة دون الوقوع في الاخطاء اصدرت اوامري الصريحة: يجب عدم اطلاق النار على الجنود المصريين الذين يريدون الاستسلام والوقوع في الاسر. ومن بين الذين يقعون في الاسر في ايدينا يجب ان نحتفظ فقط بالضباط وان نترك الجنود يجتازون القناة والعودة إلى بلادهم. وفي ذلك الوقت كان في ايدينا ما يتراوح بين ٥٠٠٠-٦٠٠٠ اسير مصري. فبدون

ذلك، فقد واجهت قواتنا البعيدة عنا، مصاعب اعداد كثيرة ولا يوجد سبب لان نثقل كاهلها بالاف الاسرى. وقد الحقت الحرب بالجيش المصري ما يقارب ١٥,٠٠٠ قتيل.

وبدون ان نقلل من خطورة الحدث المآساوي الذي نجم عن مهاجمة سفينة الاستخبارات الامريكية «ليبرتي» فاننا نجد عزاء معينا بالافتراض القائل ان المأساة كادت ان تكون اكبر واخطر...

ففي السابع من حزيران، وفي ساعات ما قبل ظهر اليوم الثالث من حرب الايام الستة كنت جالسا في غرفتي في موقع القيادة وتلقيت نبأ بدا وكأنه غريب ولا اهمية له: اصوات انفجارات تسمع من جهة العريش. ففي تلك الساعة كانت قواتنا في المحور الشمالى على بعد يتراوح بين ٨٠-١٠٠ كم عن العريش التي وقعت في يدنا.

كان اول افتراض هو: ان قوات مصرية تقوم بتنفيذ عملية بحرية نحو قواتنا التي تسيطر على العريش في فأمرت سلاح البحرية وسلاح الجو بالتأكد من الامر.

التقرير النهائي وردني بعد مرور حوالى ساعة وقد غير اتجاه الاعتقاد: توجد امام العريش سفينة. وبناء على الاوامر القاضية بمهاجمة كل سفينة مشبوهة تقترب من الساحل، من الجو، والبحر اصبحت السفينة فورا هدفا لهجوم جوي وبحري وقد اصيبت السفينة. من هذه السفينة؟ لمن هي؟ هل انها سفينة مصرية؟ لم نعرف بعد.

اما التقرير الثالث فقد ازال الشكوك، ولكنه رفع درجة القلق حتى نهاية «البارومتر». لقد اصابت قواتنا سفينة استخبارات سوفياتية. فأبلغت رئيس الحكومة اشكول ووزير الدفاع ديان. وعقدت اجتماعا لكبارعمداء رئاسة الاركان: يجب علينا ان نستعد ولكن لواجهة من؟ لقد رفض القلب ان يكشف للسان: ربما لهواجهة تدخل سوفياتى مكثف في المعارك؟

خلال فترة التوتر منذ١٥ ايار ١٩٦٧، وحتى بعد اندلاع الحرب عزز الاسطولان السوفياتي، والامريكى قواتهما البحرية في البحر الابيض المتوسط، وزاد عدد السفن

السوفياتية في البحر الابيض عن ٢٠ سفينة. والان وبعد ان تحطم الجيشان المصري، والاردني وحسمت المعركة في الجبهتين هل سيستغل السوفيات حادث السفينة ويدخلون العرب، لترجيحها إلى جانب العرب؟

وفي الوقت الذي كنا نبحث فيه الموضوع وصل تقرير آخر: ان السفينة امريكية وقد هاجمتها اربع طائرات إسرائيلية. وحلق طيارونا على ارتفاع منخفض وحاولوا تشخصيها. ولم يشاهدوا اية علامات تشخيص واعتقدوا بان السفينة هي مصرية. وابلغوا سلاح البحرية بالهجوم. وقامت إحدى سفننا بارسال طوربيدات إلى السفينة الامريكية. وقد اصبح وضع السفينة الامريكية صعبا. انه ليس من السهل الاعتراف بان شعورين اصطدما عندنا، الشعور بالاسى العميق لضرب الاصدقاء والشعور بالارتياح. انه يمكن الحديث مع الاصدقاء. وللاصدقاء يمكن الشرح. ويوجد هناك من نعتذر امامه، وزال الخطر الكبير الذي نخشاه من عملية انتقامية سوفياتية. وبعد التشاور مع رئيس الحكومة ووزير الدفاع ابلغنا السفارة الامريكية والملحق البحري الامريكى بالحادث. واقترحنا نقل رجالهم إلى السفينة بطائرة هيلوكوبتر وتقيم اية مساعدة ممكنة لاخلاء الجرحى ومعالجة السفينة.

وقبل الامريكيون باقتراحنا. وتم نقل الملحق البحري بطائرة هيلوكوبتر إلى ظهر السفينة. واتضح بان الصورة كئيبة جدا: فهناك العديد من المصابين داخل السفينة، وكان في السفينة حوالى ٣٢ قتيلا من بينهم عدد من اليهود الامريكيين الذين استخدموا على ما يبو بسبب سيطرتهم على اللغة العبرية في السفينة التي كان هدفها التنصت لاجهزة اللاسلكي الإسرائيلية وتوضيح ما يجري في ميدان القتال بسرعة حسب الاتصالات بين القيادات المختلفة، ورفض الاسطول السادس الامريكى الاستعانة بخدمات إسرائيل. فقد استدعى قواته واخلى الجرحى. وتم جر السفينة بواسطة وحدات الاسطول السادس إلى نابولى، في ايطاليا، وهي إحدى الموانئ التي يستخدمها الاسطول الامريكى وهناك تم اصلاحها وترميمها.

وبذلك انتهت في الواقع الاحداث المؤلمة الناجمة عن الاساءة إلى صديق في وقت الحرب، ولكن فقط في وقت متأخر جدا، وعندما خدمت كسفير لإسرائيل في الولايات المتحدة علمت بتفاصيل أخرى، تسلط الاضواء على المأساة من وجهة النظر الامريكية: ان الامريكيين لم يعرفوا هوية الطائرات المهاجمة التي هاجمت السفينة. وكان انطباعهم الاول ان طائرات سوفياتية هاجمت سفينة للاسطول الامريكى. وحتى الرئيس جونسون وصف في كتابه هذا الحادث بأنه احد اللحظات الحرجة جدا في حياته وقال انة كان على شفا اتخاذ قرار خطير بامر الطائرات الامريكية بمهاجمة السفن السوفياتية في البحر الابيض وهنا اكتشفت مقارنة مثيرة: انه مثلما اننا ارتحنا عندما علمنا بان السفينة هي امريكية وليست سوفياتية، هكذا ارتاح الرئيس جونسون وقادة الجيش الامريكى عندما علموا بان المهاجهين ليسوا سوفيات بل إسرائيليين.. سقطت الضحايا ولم تقل حدة المأساة الانسانية، ولكن الحرب العالمية لثالثة لم تندلع.

عندما خدمت كسفير لإسرائيل في الولايات المتحدة اتضح لى خطأ آخر في سلسلة الاخطاء المأساوية التي كادت ان تغمر العالم بشلالات من الدم: عندما اندلعت حرب حزيران في الخامس من حزيران ١٩٦٧ توجهنا للملحق العسكري الامريكي في إسرائيل وقلنا له: اننا سندافع عن سواحل البلاد ضد اعتداءات الاسطول المصري وذلك من خلال التنسيق بين سلاح البحرية وسلاح الجو. ولن نستطيع تأخير ردنا على وجود قطع بحرية مصرية بالقرب من حدودنا. اننا نطلب منكم ان تبعدوا جميع سفنكم عن الشواطئ الإسرائيلية أو ان تبلغونا بمكانها الدقيق في المناطق الغريبة من شواطئنا.

ولكن في ضوضاء الحرب لم نتفرغ لمعرفة فيما إذا استجاب الامريكيون لطلبنا. وقد علمت في الولايات المتحدة انه صدر امر من واشنطن إلى الاسطول السادس في البحر الابيض لابعاد السفن عن السواحل الإسرائيلية ولكن بسبب اخطاء بيروقراطية لم يصل الامر إلى السفينة «ليبرتى» التي ضربتها قواتنا.

وفي تلك السلسلة المأساوية من الاخطاء لم نعر اهمية لمسألة ما هو مصدر اصوات الانفجارات التي وصلت من جهة العريش ولكن من اجل اكمال صورة الاخطاء اقول انه انفجرت في العريش عدة مستودعات ذخيرة. وكانت قيادتنا المحلية تعتقد بان المصريين يهاجهون. وكشفت القوات التي استدعيت، سفينة ليبرتي غير المشخصة حيث حسم مصيرها.

وظهرت العقدة الشرق اوسطية مرة أخرى بكل اخطارها الكبيرة. لقد دفعت حكومة إسرائيل ١٣ مليون دولار كتعويض لاسر القتلى والجرحى الامريكيين. وكان التقدير هنا انسانيا. ورغم ضغوط متكررة رفضنا تحمل نفقات اصلاح السفينة اذ اننا لم نعتبر انفسنا مسؤولين عن سلسلة الاخطاء.

في ساعات المساء من الثامن من حزيران حولت جميع الانظار إلى الجبهة السورية. واستدعيت قائد القيادة الشمالية العميد دافيد العازار للاجتماع بي. ولم يخف غضبه وخيبة امله. ولم يكن مندوبو المستوطنات الشمالية اقل منه صرامة عندما بسطوا مزاعمهم امام اشكول وبحضوري: لقد ضرب الجيش الإسرائيلي اعداءه وانتصر عليهم وحرر إسرائيل من الكابوس في الجنوب والشرق، اما نحن فتريدون ابقاءنا تحت الهضبة السورية، فريسة لمدافع اعدائنا السيئة؟

لقد كان موقفي ولا زال انه في نطاق القيود التي فرضها رزير الدفاع لافائدة

من الهجوم على هضبة الجولان. وطلبت من اشكول ان يستجيب لطلب دافيد العازار ويتحدث معه، وقد برز للعيان، ان حجج سكان المستوطنات ومزاعم دافيد العازار قد قبلت من قبل ليفي امفيكول ولكن العين بصيرة واليد قصيرة: ففي الواقع الذي طرأ اصبح القرار بيد وزير الدفاع موشه ديان.

ومع هذا قرر اشكول عقد جلسة للجنة الوزارية لشؤون الامن، في الساعة السابعة مساء، وطلب من ممثلى المستوطنات الاشتراك في الجلسة. فعرضت خطة العمل التي اوصيت

بها: شن هجوم في الشمال وعندما تحشد قوة أخرى تقوم بمهاجمة جنوب الجبهة السورية بدون التمسك بالقيد الذي فرضه وزير الدفاع وهو منع الجيش الإسرائيلي من التقدم أكثر من ٢-٣ كم عبر الحدود الدولية.

ولكن صرخة مندوبي المستوطنات مثلها مثل الخطة التي بسطتها، لم تحول ديان عن موقفه. وكرر الحجة السوفياتية وبث في القلوب الرعب. وقبل الوزراء رايه القائل بمنع العمل في الواجهة السورية في هذه المرحلة. وفي حوالى منتصف الليل اتصلت بدافيد العازار هاتفيا وابلغته بالقرار. وكان الرد من الجانب الثاني لسلك التلفون مذهلا: ماذا جرى لهذه الدولة؟! كيف بعد كل العذاب، وعمليات القصف، واقلاق الراحة يظل هؤلا، المبتزون فوقنا ونحن نرابط تحتهم؟! انهم راكبون علينا؟! وتذكرت بان هذا هو التعبير الدقيق لما قاله ممثلو المستوطنات امام الوزراء. ان السوريين راكبون علينا، وإذا كانت دولة إسرائيل لا تستطيع الدفاع عنا فانه من حقنا ان نعرف ذلك. عليهم ان يقولوا لنا باننا لسنا قسما من إسرائيل ولا يحق لنا ان يدافع عنا الجيش الإسرائيلي مثل بقية انحاء الدولة: عليهم ان يقولوا لنا نهجر منازلنا ونهرب من هذا الكابوس: اقوال مرة، تصر عن قلوب مليئة بالضيق.

وطلب مني العازار ان اسمح له على الاقل باخلاء السكان غير المحاربين من مستوطنات الخط الامامى. ومنعته من ذلك. فقد كان امر وزير الدفاع ولجنة الخارجية والامن ينص على المنع الصريح وليس من صلاحيتي الغاء هذا الامر. وامرته فقط باخلاء الاولاد من مستوطنات الخط الامامى.

ولكن موشة ديان، غير المتوقع، وغير المتسرع الخطوات عاد وفاجأ....

ففي يوم الخميس الثامن من حزيران بعد ان قررت اللجنة الوزارية لشؤون الامن عدم شن هجوم على سوريا انتهت الحرب فعلا. فالمصريون والاردنيون اصبحوا محنين واعلنوا عن موافقتهم على وقف اطلاق النار. وحتى سوريا نشرت هوافقتها وبدا اذن ان الدافع قد صمتت بعد اربعة ايام من الحرب.

لاول مرة منذ الرابع من حزيران سمحت لنفسي بالقيام بعمل زائد... لقد ذهبت إلى البيت. وفي الساعة الثانية بعد منتصف الليل عندما كنت منهك القوى تمكنت من تبادل عدة كلمات مع زوجتي ليفيه ومع ولدي اليا ويوفال ثم توجهت إلى السرير. انني اعتقدت بانني نمت حتى قبل ان يمس رأسي المخدة...

ان من ايقطني في الساعة السابعة من النوم العميق كان عليه ان يكون واثقا بان لديه سببا جيدا ليفعل ذلك. فليعزر وايزمن كان سبب ممتاز: فقد قال لى عيزر ان ديان اتصل قبل ١٥ دقيقة مع عميد القيادة الشمالية دافيد العازار وامره بمهاجمة سوريا بدون ابطاء!

اسرعت إلى موقع القيادة العليا. واتضح بان وزير الدفاع قد وصل إلى هناك في الساعة السادسة صباحا تقريبا، وطلب الاستماع إلى تقييم للوضع من رجال الاستخبارات. وسمع عن الانهيار التام للجيش المصري، وما زال مصرا على عدم مهاجمة سوريا. ولكن في حوالى الساعة السابعة ولاسباب لم افهمها حتى الآن امر «العازار» بشن الهجوم.

ان الفكر لم يكن متفرغا لبحث دقائق المسؤولية والعلاج آت ان رئيس الاركان هو الذي يأمر عميد القيادة بالهجوم - هذه حقيقة. ولكن من يتجه إلى بحث صغائر الامور عندما حان وقت السوريين لنيل عقابهم بسبب اعتداءاتهم وغطرستهم، وخلال البحث مع رجال رئاسة الاركان العامة مررنا على الخطط في الجبهة السورية. وأمرت قائد القيادة الوسطى بارسال االهواء العاشر إلى الشمال واستدعاء قوات أخرى باسرع وقت ممكن لمساعدة القوات في الجبهة السورية. فاتصلت مع دافيد العازار هاتفيا. وقال لى انه سقط عن الكرسي عندما سمع صوت ديان ولم يستطع ان يفهم سبب هذا التحول. واضاف ان ديان قال له، ان الجهاز السوري منهار والجنود يفرون حتى قبل ان يشن الجيش الإسرائيلي هجومه.

والان قلقت: فمن تجارب الحروب السابقة تعلمنا بان الافتراض إذا كنت تهاجم جيشا منهارا هو خطير وفاشل. فقلت لالعازر: ان الجيش السوري لم ينهزم مطلقا. فاهجم على فرض ان الجيش السوري سيحارب بضراوة وبكامل قواه.

وطرت بطائرة هيلوكوبتر، مع عيزر وايزمن إلى القيادة الشمالية. وبدأت القوات في عملية الاختراق في المحور الشمالي للهضبة. ولم يكن هناك اي جيش سوري منهار في هذه المرحلة. وكانت العرب صعبة، وصلبة، ويترتب عليها وقوع العديد من الضحايا. وطلبت المحاور الصخرية من جنودنا استنفاد كامل قواهم، وكل تمسكهم بالهدف.

ومن موقع القيادة في الجبهة الشمالية شاهدت أنا وعيزر وايزمن طائراتنا وهي تهاجم الاهداف السورية. ولم اكن من قبل قد شامدت عيزر وايزمن وهو في هذه الحالة من الحماس والانفعال. فقد كان يذكر اسماء الطيارين وكأنه كان يوجه الاوامر اليهم. وكان يدعو لهم بالنجاة. وقامت إحدى طائراتنا بمهاجمة تل عزيزات واصيبت واشتعلت النار فيها. وكان الطيار هو المقدم بيطون احد الكثيرين الذين احبهم عازر. وقد لاحطت على وجهه هلامح الحزن العميق...

مساء يوم الجمعة عدت إلى موقع القيادة الاعلى. وامرت «ددو» هاتفيا ان يستغل كامل قدرة محاور الحركة وان يدفع قوات ضخمة نحو القنيطرة. ولكن في ختام المكالمة الهاتفية ابلغني وزير الدفاع ان النشاطات العسكرية يجب ان تنتهي على أكثر تقدير يوم السبت غدا ولهذا يجب عدم تحريك لواء «داني ماط» المنقول جوا من منطقة التوافيق. وكان امر وزير الدفاع ينص على موقف الحركة في هذه المنطقة. وقلت ليان انه قبل الآن بعدة دقائق امرت قائد القيادة الشمالية ادخال اللواء المظلي في المعركة. كرر ديان امره وباستياء اتصلت بدافيد العازار. ونقلت له تعليمات موشة ديان. وكان جواب قائد القيادة الشمالية: آسف... بعد الامر الاول الذي تلقيته منك بدأوا يتحركون ولا استطيع ايقافهم..

في يوم الجمعة. التاسع من حزيران كان السوريون مازالوا يحاربون وارغموا قواتنا على دفع ثمن غال مقابل انتصاراتها. وفي الليلة الواقعة بين يوم الجمعة والسبت بدأ الانهيار في صفوف الجيش السوري، على الرغم من انه لم يصدر للجنود السوريين الامر بالانسحاب. وحتى خيم القلق على القيادة السورية بالنسبة لمصير دمشق وامرت قواتها بالمرابطة شمالى

القنيطرة. وفي تلك الليلة طلب السوريون من المصريين ان يرسلوا لهم كتائب الكوماندوز المصرية المرابطة في الاردن. كما طلب السوريون نجدات من العراق واستدعوا إلى الجبهة لواء آليا لهم كانوا قد بعثوا به في السابق لمساعدة الاردن. ولكن المصريين انهوا الحرب. ولم يرسلوا لسوريا اي جندي كوماندرز ومقابل ذلك كان عبد الناصر سخيا بالوعود: إذا لم تحافظ إسرائيل على وقف اطلاق النار فان مصر ستستأنف الحرب: ان من كان يعرف وضع الجيش المصري في تلك اللحظة لن يكون بوسعه الا ان يضحك...

اخذ وقت الحرب في الجبهة السورية يقصر... وفي ساعاتها الاخيرة سادت حيرة معينة: متى بالضبط ستنتهي؟ في الظهر؟ بعد ذلك بساعة؟ قبل ذلك بساعة؟ القوات اصبحت منهكة القوى. ان معارك الاختراق الصعب جعلتنا ندفع ثمنا غاليا. وقد وصلت صباح يوم السبت رسالة من وزير الخارجية الامريكي حيث دفعت موشة ديان ان يأمرني: الحرب البارزة يجب ان تنتهي حتى الساعة الحادية عشرة قبل الظهر، وليس حتى الظهرء مثلما اعتقدنا سابقا. ويجب على النشاطات الجوية ان تنتهي على ابعد تقدير في الساعة الثانية بعد الظهر ومنذ هذا الوقت فصاعدا لاتوجد لديك الصلاحية لاستخدام سلاح الجو.

اذن فقد امرت دافيد العازار بالتنازل عن احتلال القنيطرة واقامة خط إسرائيلي مبني على المكاسب ولكن بدون المدينة الاولى في هضبة الجولان. ولكن -خطأ سوريا غير سير الحرب: ففي الساعة ٨٣٠ مباحا اعلن راديو دمشق ان القنيطرة قد احتلت وسقطت بايدي إسرائيل. فما الذي دفع السوريين إلى نشر هذا البيان الكاذب، لا يعرف بالتأكيد. ربما ارادوا خلق الانطباع بان إسرائيل تهدد دمشق لكي توجه علينا ضغطا سياسيا أو لارغام السوفيات على تهديد إسرائيل صراحة بالتدخل في المعارك إذا لم يتوقف الجيش الإسرائيلي. وربما يكون البيان ناجما عن البلبلة والذعر دون ان تعرف نتائجه وعلى اية حال فقد كان للبيان السوري نتيجتان فوريتان: هروب الجنود السوريين اصبح مصحوبا بالفوضى والذعر وسمح وزير الدفاع تحت تأثير هذا التطور بمواصلة الهجوم المكثف حتى الساعة الثانية بعد الظهر.

وفي الساعة الحادية عشرة ظهرا ادرك السوريون خطأهم الفاضح وصححوا بيانهم السـابق على النحو التالي: القنيطرة لم تسفط وجنودنـا يحـاربون. وكانـت هـذه محاولـة متـأخرة لانفـاذ القنيطرة.

وبما ان الامريكيين خشوا ان إسرائيل باندفاعاتها العسكرية لـن توقـف الجـيش الإسرائـيلي حتى ان يحتل دمشق كان رئيس الحكومة بحاجة إلى كفاءة اقناع واسعة لتهدئتهم بان دمشـق لم ولن تكون، هدف الجيش الإسرائيلي. طالت الحرب. وحوالى الساعة السادسـة مسـاء وصـلت القوات إلى القنيطرة. ولم يكن بينها وبين دمشق قوة سـورية تسـتطيع ان تحـارب وكـان سـلاح الجو يصب جام غضبه على ضواحي دمشق. فصوت الطـائرات وصـفارات الانـذار والانفجـارات احدثت فوضى عارمة في العاصمة السورية. واسـتعدت حكومـة سـوريا لاخـلاء دمشـق وامـرت السفارات الاجنبية بالخروج منها.

ودخل وقف اطلاق النار حيز المتنفيذ في الساعة ٦٣٠ من مساء يـوم السـبت العـاشر مـن حزيران. وفي يوم الاحد الحادي عشر من حزيران قمنا بتعديل الخط بما في ذلك تحركاته اداريـة لم تكن مرتبطة بالحرب. ووصلنا إلى مثلث الرفيد وسيطرنا على تل الفرس.

وفي يوم الاثنين، الثاني عشر من حزيران، ذهبت قوة محمولـة جـوا وسـيطرته عـلى موقـع جبل الشيخ. لم تكن هناك قواته سـورية. وبهـذه العمليـة انتهـى تعـديل الخـط عـلى الحـدود السورية الإسرائيلية الذي استمر من حرب الايام الستة وحتى حرب رمضان. لقـد كـان بامكاننـا ان نوسع مناطق سيطرتنا هنا وهناك. فلم تكن في الواقع قوة مصرية تسـتطيع ايقـاف الجـيش الإسرائيلي لو قصد احتلال القاهرة وهذا ينطبق على عمان ايضا. ولقـد كـان باسـتطاعة الجـيش الإسرائيلي يوم ١١ حزيران احتلال دمشق - بدون جهد كبير.

الفصل الخامس

بعد الانتصار

انتهت الحرب، وبدأت المشاكل. ولكن هذه المشاكل مختلفة في جوهريا: فلـم يعـد هنـاك الخوف على مصير وجود إسرائيل. ولم يعد هناك التوتر النفسي الذي عشناه ايام الحرب، وحتـى لم تعد هناك ضائقة النفس التي رافقتنا طيلة ساعات الحرب بسبب سقوط خيرة ابناء إسرائيل. ولكن حتى المنـتصر في الحـرب بجـب عليـه ان يواجـه ويعـالج مشـاكل كثـيرة، لم يعرفهـا قبـل الانتصار ولم يتفرغ لاعداد الحلول لها.

اربع مشاكل واجهت إسرائيل: ما زلنا نعالج ثلاثا منهـا حتـى يومنـا هـذا ولم نتوقـف عـن معالجتها منذ حرب حزيران.

المشـكلة الاولى: اصـبحنا فجـأة نمتلـك اراضي واسـعة، ان المنطقـة التـي اضـيفت لسـيطرة إسرائيل والجيش الإسرائيلي اصبحت اكبر بثلاثـة اضـعاف تقريبـا مـن الاراضي الإسرائيلبـة قبـل العرب. وهناك مشاكل في تثبيت الخط الدفاعي في الجبهات الثلاث وخاصة قناة السويس. كـما تغيرت المسافات ولم نكن متعودين مطلقا على التكلم بلغة مئات الكيلومترات كأبعاد وعشرات المئات من الكيلومترات المربعة في المنطقة. وكان علينا كعادتنا طيلة السنوات، ان نتغلـب عـلى المشاكل الادارية والمواصلات مـع قـوة بشريـة مقلصـة، ويجـب اعـادة جماهـير المجنـدين مـن الاحتياط إلى الحقول، والمصانع والمدارس والمكاتب.

الشكلة الثانية: لا يكفي ان تنتصر فقـط. يجـب ان تـدرس الحـرب وتفهمهـا، وان تتعـرف على كل صغيرة وكبيرة وكل نجاح وفشل والاستعداد للحرب القادمة التي لن تكون نسخة طبق الاصل عن سابقتها.

المشكلة الثالثة: لـن يتركـوا إسرائيـل ان تحـتفظ بمكاسـبها. الكفـاح السـياسي بـدأ قبـل ان تسكت اصوات المدافع وسيستمر دون توقف يوما بعد يـوم وسـاعة بعـد سـاعة، وبعـد وقـف اطلاق النار.

المشكلة الرابعة: مليون عربي، في الصفة الغربية وقطاع غزة انضـموا للعـيش تحـت حكـم إسرائيل. مدنيين ام غير مدنيين ولكـنهم بشر. مـن حقهـم ان يعيشـوا وان يـأكلوا وان يسـافروا. وهم يحقدون علينا. وهم مصدر لا بأس به من العداء وسيحاولون دوما ضربنا.

مز الاف الجنود اعتصرنا نقطة العرق الاخيرة بعد الحرب. من اجل ان نخـلى مـن الصـحرا، الأسلحة التالفة والأسلحة التي اكتسبناها غنيمة من مصر بكميات هائلـة واعادتهـا إلى صـورتها القديمة باقصر وقت ممكن. ووضعنا صورا جديدة لطريقة الاحتفاظ بالخطوط وانتشار الجيش الإسرائيلي على الحدود الجديدة. استخلاص عبر هذه الحرب كانت عملية طويلة جدا ومعقـدة. وفي الوقت نفسه تؤثر على هذا الجهاز مبررات شخصية بشكل محض. اننـي اعتقـد بـان وزيـر الدفاع موشه ديان لن يعترف بان تعليقه وتصريعاته في جلسة لجنة الخارجيـة والامـن التابعـة للكنيست في ١٣ حزيران، مع نهاية الحرب كانـت متـأثرة مـن مـبررات شخصـية. لقـد واجهـت صعوبة في ان افهم باية صورة كانت جدوى الانتقاد الـذي وجهـه إلى تصرف الحكومـة ورئاسـة الاركان في الراحل التي سبقت فترة التوتر والانتظار قبل ٥ ا ايار ١٩٦٧. لقد اتهم باننا لم نتسـلح بصورة جيدة وخاصة في المجال الجوي. لقد رفضت اذناي تصديق ما يقوله. انـه لم يكـن هنـاك شـبيه للانتصـار الكاسـح الـذي حققـه الجـيش الإسرائـيلي في حزيـران ١٩٦٧. وان سـلاح الجـو الإسرائيلي لم يعد هذا الاعداد الصـيحح لتحقيـق اهدافـه وتطبيـق نظريتـه الشـاملة واسـتغلال قدرته بصورة مؤثرة كما فعل وحدث هذه المرة.

سكت. كنت اؤمن بقدرة الحكم لـدى اعضـاء لجنـة الخارجيـة والامـن. وكنـت اعلـم بـان نتائج الحـرب تنـاقض انتقـاد ديـان بصـورة اكـبر مـن اي كـلام وحـديث. وحتـى ملامـح وجـوه الحاضرين دلت بان القول ان الجيش الإسرائيلي لم يكن مهيئا للحرب يعـد تهمـة في نظـرهم، لا

اساس له من الصحة. لم استطع ان اقول هذا قبل حرب رمضان بست سنوات ونصف. ولكن بعد حرب يوم رمضان بخمس سنوات يجب على ان اقول: ياحبذا لو ان الجيش الإسرائيلي كان مهيئا لحرب رمضان مثلما كان مهيئا لحرب حزيران.

ان الحرب ونتائجها احدثت تحولا كبيرا على إحدى النظريات الرئيسة للجيش الإسرائيلي. فحتى حرب حزيران كنا نعتقد بأننا في ظروف معينة نستطيع خوض الحرب في جبهتين أو ثلاث جبهات ولكن الجيش الإسرائيلي لا يستطيع ان يحقق حسما كاملا الا في جبهة واحدة في حين اننا في الجبهتين الاخريين نتلقى الضربات، ونـدافع وننتظر وصول القوات التي ستتفرغ بعد حسم المعركة في الواجهة الاولى لكي ننتقل إلى هجوم معاكس وتحقيق الحسم.

في حرب حزيران حقق الجيش الإسرائيلي حسما كاملا في الجبهتين المصرية والاردنية في آن واحد. اما في الجبهة السورية فقد القينا قوات اشتركت قبل ذلك في الحرب في الجبهتين الاخريين. هذا المكسب تحقق بفضل الاعداد التابعة للقوات البرية، وبفضل المكاسب العجيبة التي حققها سلاح الجو الذي تفرغ بسرعة، بعد تدمير أسلحة الجو المصرية والاردنية والسورية، للاشتراك في النشاطات المكثفة في الحرب التي خاضتها القوات البرية وانزال ضربة قاصمة بقوات الدروع والمنشآت العينية للجيوش المعادية. ان المكاسب الضخمة، والنتائج المذهلة للحرب يجب ان لا تنسينا المعارك الضارية والحروب البطولية التي خاضها جنودنا. لقد قلت في مباحثات كثيرة قبل اندلاع الحرب ان هذه العرب لن تكون حربا سهلة. وحتى المكاسب المؤثرة لم تفند هذا الافتراض. لقد واجه سلاح المشاة مصاعب شديدة في اربع هجمات شنها: هجوم لواء جولانى على تل الفخار في الجبهة السورية. والمعارك التي خاضها لواء المظليين بقيادة موطاغور في القدس وخاصة في الليلة الاولى من الحرب وغداة اليوم التالي. واحتلال مواقع ام كتف بقيادة «يكوتئيل (كوتي) ادام» من مجموعة شارون. والمعارك التي خاضها لواء المظليين بقيادة رفائيل (رفول) ايتان في الفرقة السابعة لمنطقة العريش والقتال الذي خاضه لواء البرت مندلر في الصعود إلى هضبة الجولان.

بعد انتها، المعارك بعدة ايام توجهت إلى الجامعة العبرية في القدس بمبادرة مـن البرفسـور يجائيل يين وطلب منى الموافقة على منحي شهادة الفلسفة الفخرية وان يتم هذا الحفـل عـلى جبل المكبر. وقد وافقت على ذلك.

في الوقت الذي مازال فيه السياسيون يكافحون في الامم المتحـدة ضـد النشـاطات المكثفـة لسلب إسرائيل مكاسبها فرض الواقع في الجبهة المصرية جهدا حربيا آخـر وصـعبا عـلى الجنـود الإسرائيليين: فبسبب ضيق الوقت لم يصل جنودنا إلى إحدى الملاحـات شـمال القنطـرة وشرقـى بور سعيد في القسم الشرقى من قناة السويس. وفي قطاع الساحل الضيق اقام المصريون موقعـا عل بعد ١٠ - ١٢ كم من بور فؤاد ودعوا المراقبين الدوليين ليروا ويشـاهدوا بـان هـذه المنطقـة واقعة تحت سيطرتهم. وقد خاضت وحدات اسـتطلاع إسرائيليـة قتـالا مريـرا في المنطقـة التـي تدعى «الرش». في الوقت الذي كانوا فيه مكشوفين للجانب الاخر من القناة والواقع تحت السيطرة المصرية. وقررت رغم صعوبة الحروف تعديل الخط ليصل حتى مداخل بور فؤاد.

وفي شهر تموز ١٩٦٧ وفي إحدى المعارك الضارية في هذه الواجهة تورطـت قواتنـا في وضـع خطير. واردت استخدام سلاح الجو. فبحثت عن وزير الدفاع. وكان مشغولا بحفريات أثريـة ولم استطع العثور عليه. وكان الوقت ضيقا. وزاد وضع قواتنا خطورة فـامرت سـلاح الجـو ان يقـوم باسكات المواقع في الجانب الغربي للقناة التي كانت تطلق نيرانا مكثفة.

وقد غضب وزير الدفاع. ورد على قولي: انه بسبب انعدام الاتصال معه لم استطع التصرف بشكل آخر من اجل توفير حياة الاشخاث قـال ديـان: عنـدما اكـون غائبـا عليـك ان تتوجـه إلى رئيس الوزراء وتطلب منه الموافقة. في احد ايام السبت وعندما كان هناك قتال شديد يدور بين إحدى قواتنا، والقوات المصرية حضر وزيـر الـدفاع إلى موقـع القيـادة وامـرني بالانسـحاب مـن منطقة المختلف عليها حتى المنطقة الواقعة شـمالي القنطـيرة. وحاولـت معارضـته وقلـت هـذا خطأ. ولكن الوزير قال: هذا امر! نفذه!

ولكن عميد القيادة الجنوبية يشيعا هوجفيس عارض ذلك بشدة وقال: لماذا!؟ وقلت له: شاكيا: لقد عارضت ذلك قبلك. وهذا هو امر من وزير الدفاع. عليك بتنفيذه. وقال شايكا ان الانسحاب في وضح النهار سيزيد من الخسائر وطلب الانسحاب في الليل. وطلبت من ديان تأجيل الانسحاب حتى ساعات الليل.

وفي الساعة الرابعة بعد الظهر اعلنت مصر انها مستعدة لمرابطة مراقبيين دوليين عيزر وايزمن وقال لي: ان وزير الدفاع موشه ديان يعتقد بانه طالما ان مصر مستعدة الآن لمرابطة المراقبين الدوليين فانه من الافضل ان نحتفظ بالمنطقة التي امرك بالانسحاب منها. والغى الوزير أمر الانسحاب.

حظ... لواخر المصريون اعلانهم بصدد موافقتهم على مرابطة المرابقبين الدوليين ونشروه بتأخير يوم واحد لكانت قواتنا قد انسحلت في ساعات الليل وكانت السيطرة المصرية على هذه المنطقة مضمونة تماما. اذن كان ذلك هو تسرع المصريين الذي ابقى هذه المنطقة تحت سيطرتنا.

الباب الخامس
سفير إسرائيل في واشنطن
في عهد عبد الناصر- حرب الاستنزاف

الفصل الأول
تقلبات في أمريكا

قبل حرب الايام الستة، في اذار ١٩٦٧، تحدثت مع رئيس الحكومة اشكول، حول مستقبلي الشخصي. لقد كنت مصرا على انهاء خدمتي بعد انتهاء فترة عنلي كرئيس للاركان التي ستغرق اربع سنوات. وعندما قلت لاشكول، انني اريد ان اعمل كسفير لإسرائيل في الولايات المتحدة، كان بحاجة إلى عدة ثوان ليصحو ويجيب بلغته الشعبية: «امسكني يا اسحق، أنا سأسقط عن الكرسي.. هذا آخر شيء افكر انك تريده.. دعني افكر... انني بحاجة لبحثه مع وزير الخارجية ابا ايبان... ولكنني استطيع ان اقول لك، حسب السمعة الاولى بانك لست دبلوماسيا. فلماذا تريد الاشتراك بحفلات الكوكتيل المضنية، وتداعب كاس الويسكي وتجلس في حفلات الفساد المملة وتلعب جميع الادوار الدبلوماسية؟ فهل انت قادر على كل هذا؟!

اجبت «نعم انني اعتقد بأنه يجب أن تكون وظيفة سفير إسرائيل في الولايات المتحدة لست حفلات كوكتيل ولا حفلات عشاء. انني سأعرف كيف اتعامل مع هؤلاء.. انني اؤيد خط الاعتماد على الولايات المتحدة والتنسيق معها. واعتبر إسرائيل هو التحدي الكبير لنا وشرط اساسي لتعاظم قوة الجيش الإسرائيلي وبهذا الموضوع اريد ان اساهم بكل ما استطيع. وانني واثق من ان خليفتي العسكرية والسياسية كرئيس للاركان ستغطي على النقص الكبير المتمثل بافتقاري إلى الخلفية الدبلوماسية.

وعلى الرغم من انه لم يقل ذلك صراحة فقد شعرت بان هذه الفكرة قد اعجبته وفي شهري تهوز وآب بعد الحرب. تحدثت مع اشكول ثانية فقال لى: توجد لابا ايبان عدة اعتراضات.. سنرى. وفي ذلك الوقت لم يكن ايبان من المؤييدن المتحمسين لى ومن اجل التوزين الهناسب، فان معاملته لى لم تكن معاملة من طرف واحد.

مساعدة كبيرة تلقيتها من غولده مئير التي تعمل لخوض سكرتيرة عامة لحزب ماباي، ومن الوزيرين جليلى والون. وفي شهر ايلول وربما في تشرين اول رضي ايبان ايضا. وشعرت انه بعد الحرب طرأت في الشرق الاوسط ظروف جيدة: اصبحت إسرائيل تمتلك قوة كبيرة وعمقا استراتيجيا لم تشهد مثيلا له من قبل. وكان علينا ان نعتبر المناطق التي احتللناها اوراقا للمساومة ولكنني اعتقدت آنذاك، كما اعتقدت اليوم، بامكانية التفاوض مع جيراننا لتحقيق السلام أو لتطوير اهداف سياسية، لتخفيف حدة النزاع العربي الإسرائيلي، وفي حالة غياب السلام التوصل إلى عمق استراتيجي للدفاع عن إسرائيل. وعرفت انه في واشنطن سيتركز الكفاح السياسي. فهناك ستستمر حرب إسرائيل من اجل ضمان مستقبلها.

وكأعداد لوظيفتي اجريت عدة محادثات مع موظفي وزارة الخارجية، ومن ضمنهم وزير الخارجية الذي عرض على المشاكل بشكل عام. ووجهت بعض الاسئلة. وكما هو معروف من الصعب اجراء حوار مع ابا ايبان ومن يحدثه يعتبر مستمعا فقط. واجريت محادثات مثمرة أكثر مع جدعون رفائيل المدير العام لوزارة الخارجية ومع موشة بيتان رئيس دائرة شمال امريكا الذي قدرت تجاربه وادراكه. فسالته سؤالا ساذجا: ماذا بالذات تتوقع الحكومة، ان يحقق لها السفير الإسرائيلي في واشنطن؟ وما هي الاهداف؟ وبعد ذلك اكثرت من القراءة والاطلاع على الامور بصورة اساسية وقدمت إلى وزارة الخارجية وثيقة تدعو إلى ضمان تزويد الولايات المتحدة لإسرائيل متطلباتها الامنية بالأسلحة. وتقدريب المواقف السياسية بين الدولتين استعدادا لمفاوضات محتملة حول السلام أو حول تسوية سياسية في الشرق الاوسط أو على الاقل خلق فجوة واسعة في المواقف الامر الذي من شأنه ان يؤدي إلى قيام

قوة الردع الامريكية بمنع تدخل عسكري سوفياتي مباشر ضد إسرائيل إذا ما اندلعت حرب أخرى في منطقتنا. كما رسمت خطوطا عريضة للمحافظة على النفوذ الإسرائيلي داخل الادارة الامريكية. ومجلس النواب والشيوخ ووسائل الاعلام وقدمت الوثيقة المكتوبة. وكلما كان بمقدوري ان افرج بانطباع فان اقتراحاتي لم تحط بانتباه زائد ولكنهم اعفوني بكلمة قصيرة: تمام - هذا جيد. وكأنني سمعتهم يقولون: سنراك.

لقد حان وقت الانفصال عن الجيش الإسرائيلي. ياله من موقف صعب. ٢٠ سنة من الخدمة والحياة في نطاق الجيش الإسرائيلي منذ تشكيله مع قيام إسرائيل وعدة سنوات أخرى في نطاق البالماخ تقلصت وكأنها اقتصرت على عدة حفلات وداع خلال شهر كانون ثان ١٩٦٨. احاديث منفعلة وعبارات تمجيد وتبجيل لا تخلو احيانا من التلون والمداهنة طارت من جميع الاتجاهات. وفي ذلك الوقت مازلت منكبا على اعداد كتابي الذي وضعته عن فترة عملى كرئيس للاركان كتاب كان بالنسبة لمضمونه وحجمه بمثابة تجيد في الجيش الإسرائيلي. في نطاق اعدادي للكتاب لم اضع ايضا الفرصة الجيدة للحديث مع البروفيسور هنري كيسنجر الذي كان في ذلك الوقت في إسرائيل. لقد كان آنذك يعمل كبروفيسور في جامعة هارفارد بدون وظيفة رسمية في الادارة الامريكية، ولكن بعد ساعتين في معيته وربما ثلاث شعرت بان الحديث كان مثيرا وجذابا مما جعلني لا اشعر بمرور الوقت واستطعت ان اقدر اهمية هذا الحديث. فبسعة الاطلاع الكيسنجرية التي يتميز بها بسط امامي المواضيع على مستوى دولي: تدخل الولايات المتحدة في حرب فيتنام له تأثير بارز على تصرفها في مناطق نزاع أخرى وعلى معاملتها لاصدقائها التقليديين. وحرب فيتنام قلصت بنسبة كبيرة مدى حرية عمل الولايات المتحدة ازاء الاتحاد السوفياتي. كما ان اوساطا ليبرالية أخرى في الولايات المتحدة تتسبب في نواياها الانغزالية. وهناك رغبة بارزة في عدم المخاطرة في سياسة الخارجية لئلا يؤدي الامر إلى تورط اخر. وتزداد النفسيات التي تطالب بالتراجع وتقليص الالتزامات الامريكية نحو مصير بعض الدول في العالم الغربي.

هذه الميول لم تغب عن انظار زعـماء الولايـات المتحـدة. ان كيـسنجر كـان باسـتطاعته ان يخرج بانطباع من احاديثه مع زعـماء النظـام الـسوفياتي ان ضـعف الولايـات المتحـدة وازديـاد الميول الانغزالية لديها يشجعان الاتجاهات العدوانية لـدى الاتحـاد الـسوفياتي. وعـلى فـرض ان الولايات المتحدة تتعرض للضعف كلما استمرت حرب فيتنام فان السوفيات غير مهتمـين بانهـاء الحرب وانما باطالتها. ولا توجد في الاتحاد السوفياتي الرغبة في التوصل إلى تسويات مع الولايات المتحدة حول مواضيع الحد من سباق التسلح.

لقد كانت صورة العالم كما رسمها كيسنجر مظلمة وكئيبة. كما ان تنبؤاته عـن إسرائيـل لم تكن اقل كآبة. ان النتيجة المترتبة عن التراجع الامريكي، والنوايا التقدمية الـسوفياتية، تكفـي ان تزيل النوم من عين كل إسرائيلي وخامة من يشرف على انهاء اعداداتـه للخـروج في بعثـة بـلاده إلى عاصمة الولايات المتحدة ليخوض هناك حرب الوجود بالنسبة لإسرائيل.

في مطلع شباط ١٩٦٨ غادرنـا الـبلاد في جولـة اوروبيـة وقـد اشرقـت هـذه الـبلاد بوجهنـا وقدمت لنا الاحترام الكبير بسبب الانتصار الكبير.

وفي ١٩ شباط، في لندن، حان وقت الانفصال: فولدنا يوفال الذي كان في الثانية عـشرة مـن العمر سافر معنا إلى واشنطن. وابنتنا «داليا» عادت إلى إسرائيل لانهاء عامها الـدراسي الاخـير في المدرسة الثانوية. وعلى الرغم من ان داليا ستقيم في منزل شقيقة ليئا - افيفا يافه - كانـت تلـك اللحظة حرجة جدا. فقد انهمرت الدموع من اعين ليتا وابنتها داليا اما أنـا فقـد شـعرت بـضيق في الصدر.

من مطار دالاس في واشنطن نقلونا إلى منـزل الـسفير الإسرائـيلي الخـالى. اننـي لم اعـش في هذا النزل الضخم من قبل. وفي غداة اليوم التالي عقدت اول اجتماع مـع وزيـر الخارجيـة ديـن راسك. فاستقبلني بقوله: حتى أنـا كنـت ضـابطا برتبـة كـابتن في المدفعيـة، في الحـرب العالميـة الثانية. اذن توجد لنـا خلفيـة مـشتركة ويمكـن بـدء الحـديث بتحليـل الفـوارق ونقـاط الـشبه

المباشر والهادف. وبدون تلاعب بالالفاظ قال: يجب عليكم ان تقرروا ما هي إسرائيل التي تريدونها. وعندها فقط نعرف فيما إذا يوجد حل سياسي ام لا.

قمت بالخطوات الاولى من اجل التعارف حتى قبل تقديم اوراق الاعتماد إلى الرئيس جونسون وحاولت في محادثات اجريتها مع نائب وزير الخارجية نيكولاس كتسبناخ، ويوجين روستوف ولوشيوس بائل من وزارة الخارجية وموظفين اخرين، التعرف على نظرة وزارة الخارجية الامريكية لإسرائيل ونشاطات السفير يارينغ الذي قام بخطوات اولية في ساحة الشرق الاوسط، بعد ان كلفته الامم المتحدة في نهاية عام ١٩٦٧ لتنفيذ القرار المشهور رقم ٢٤٢. وكنت قد اجتمعت مع السفير يارينغ حتى قبل سفري إلى واشنطن.

ان التعرف الاولي على نفسيات الشعب الامريكي والانطباعات التي خرجت بها، اقنعني بان كيسنجر قد قلل من احاديثه السابقة الكئيبة: فهجوم الفيتكونغ وفيتنام الشمالية قد ترك تأثير، السئ على عام الانتخابات للرئاسة - ١٩٦٨ وكان هبوط هيبة الادارة الامريكية إلى الدرك الاسفل ناجم عن فقدان الثقة بقوتها، وبالنوعية المعنوية لنظام حكمها، و «بعدالة» طريقها في حرب فيتنام. فمنذ سنوات خلت عاد رؤساء الادارة الامريكية ووعدوا بأنه حتى عيد الميلاد القادم سيعود الشبان إلى

بيوتهم لانقاذ بلد منحط، ونظام مبتز ومنهار من مصير من لم يهتم به رجل الشارع الامريكي. وعلى الرغم من انني ابتعدت عن اي نشاط قد اعتبر بسببه في نظر الامريكيين خبيرا عسكريا في حرب فيتنام (عندما زرت الشرق الاقصى في عام ١٩٦٦، كرئيس للاركان منعتني حكومة إسرائيل من زيارة فيتنام لفيلا تلصق بإسرائيل تهمة التدخل) استطعت ان ادرك ان الامريكيين في حربهم هذه، يطلبون المساعدة من فم من قاد الجيش الإسرائيلي الصغير في حرب النصر الكبير في حزيران ١٩٦٧. ويبدو انهم كانوا يتساءلون، لماذا امريكا العظمى لا تستطيع التغلب على جيش شعب صغير وفقير.

لقد فتح امامي الصحفي المشهور جو السوب منزله الذي كان يعتبر شقة سكنية مقبولة لدى رجال المجتمع والسياسة الامريكيين، ودليلا على سمو المركز. لقد كان «السوب» رجلا غريبا. فقد كان يتمتع بعادات ارستقدراطية وكان يمثل الامريكي المتقدم والمثقف والاصيل في الولايات المتحدة وفي بلاده وشعبه. وحتى طريقته المؤيدة لإسرائيل كانت تنطوي على قدر من الاستغراب. فهو يقول انه ينتمي إلى الذين يعارضون اقامة إسرائيل خوفا من ان تكون اداة طيعة بايدي السوفيات الذين يكرههم بصورة متطرفة. وفي عام ١٩٥٦ ء قبل عملية سيناء، زار إسرائيل وطلب اشراكه في دورية ليلية في الجيش الإسرائيلي. فارسلوه إلى ايلي زعيرا، الذي كان يعمل انذاك قائدا لكتيبة في منطقة نيتسانا. وارتاح «السوب» كثيرا من حديثه مع زعيرا، الذي سمح له بالانضمام إلى دورية ليلية على الحدود المصرية - الإسرائيلية. وبالتدريج غير طبعه واصبح من مؤيدي القضية الإسرائيلية.

وفي اول يوم زرت بها واشنطن استدعاني إلى مأدبة غداء. وفي الحديث جرى بيننا الاثنين فقط اهتم «السوب» بالشرق الاوسط. فأجبت على اسئلته. وبعد ذلك جاء دوري لان اسال: انني لا اعرف الحرب في فيتنام ولكن هناك شيئين اعرفهما بانهما صحيحان في كل حرب وفي كل ساحة: لا يمكن الانتصار في الحرب بدون ان يحدد للمستوى العسكري بدقة ووضوح، ما هو هدف الحرب وماذا يجب على الجيش ان يحقق. ولا يمكن الانتصار في الحرب إذا لم تكن للمستوى العسكري نظرية عسكرية شاملة حول كيفية الانتصار في الحرب. فهل تستطيع ان تشرح لى من وجهة نظر سياسية وعسكرية ما هي اطماع الولايات المتحدة في فيتنام؟ وماذا سيعتبر في نظركم بأنه نصر وكيف سيحقق جيشكم هذا النصر؟

ان «السوب» لم يكن بحاجة إلى أكثر من هذا السؤال المثير. فأجاب: يجب تدمير الطاقة البشرية المحاربة للفيتوكونغ وشمالى كوريا! ولا توجد طريقة أخرى.

فقلت له: لقد سمعت قبل هذا القول في عام ١٩٦٠ من بعض القادة الفرنسيين الذين حاربوا ضد جبهة التحرير الوطنية في الجزائر. فاذا كنتم ترون بان هذه هي الطريق لتحقيق

النصر فانكم ستخسرون الحرب في فيتنام. انه لا يمكن ابادة القـدرة القتاليـة والرغبـة في القتـال لدى شعب مكون من عشرات الملايين والذي يؤمن ايمانا اكيدا بقدامة هدفه.

لقد اثرت غضبه فقال: اسمع انني اصدق القـادة الامـريكيين الـذين يقولـون «اننـا نشرف على حافة الانتصار في فيتنام. وان الانهزاميين فقط في الولايات المتحـدة هـم الـذين سـيحرموننا من الانتصار».

حتما لم يكن يقصـدني ولكنـه اثـار حـب الاسـتطلاع لـدي. وبـدأت ادرس بجـد الحـرب في فيتنـام. وطلبـت توجيهـات مـن خـبراء امـريكيين ودعـاني «السـوب» لمقابلـة رئـيس وكالـة الاستخبارات المركزية الامريكية ريتشارد هولمز وجنرالات من وزارة الدفاع الامريكيـة وصـحفيين بارزين. ومرة أخرى خرجت بانطباع بأنه لا توجد للولايات المتحدة خطة ونظرية شـاملة حـول كيفية الانتصـار في الحـرب بـل ولا اهـداف واضـحة ومحـددة. ان العلاقـة بـين وضـع الولايـات المتحدة في هذه الحرب والمواقف التي ستتخذها في مناطق أخـرى اسـتمرت لتزيـد مـن قلقـي. لقد تعرفت على هيوبرت في اذار ١٩٦٨ عنـدما كـان يعمـل نائبـا للـرئيس. فقـد ظهرنـا معـا في اجتماع لفرض التطوير الإسرائيلي (البدونز) ومن حديث قصير معه عرفت انه عـلى الـرغم مـن انه يكثر الحديث عن تأييده للرئيس جونسون في حرب فيتنام، فانه غير مقتنـع مطلقـا بضرورة تدخل الولايات المتحدة في هذه الحرب. وهكذا لمست، جانبا سلبيا آخر للحـرب. فحتـى داخـل الزعامة الامريكية لم تكن هناك وحدة في الاراء حول هذا الموضوع الهام للسياسة الاميركية.

ان حفل تقيم اوراق الاعتماد إلى الرئيس جونسون لم يكن ذا بهجة. فـالامريكيون يفعلـون ذلك ببساطة وبدون مراسيم. وحتـى السـفيران الهنـدي والبنمـي قـدما اوراق اعتمادهـا معـي الواحد تلو الاخر. وبعد ذلك وكما هي العادة جلسنا لنتحدث مع الـرئيس لـيس عـن الهنـد ولا عن بنما، وانما عن الشرق الاوسط. وهنا سنحت امامي فرصة أخرى لاتأكد بأنه على الـرغم مـن ان الموضوع الفيتنامي يتصـدر اهتمامـات الادارة والشـعب في الولايـات المتحـدة ومقـر حملـة

الانتخابات التي كانت في اوجها، فانه لا يوجد هناك عـدم مبـالاة نحـو موضـوع الشرق الاوسـط والعلاقات الإسرائيلية - الامريكية ولو انها لاسباب مفهومة نحيـت قلـيلا إلى الزاويـة. ان البيـان الذي القاه الرئيس جونسون في ظهوره المشهور في التلفزيون بصدد قرار، بعـدم تقـيم ترشـيحه للرئاسة عن حزبه سمعناه عندما كنـا في منـزل ايـلى ايفـل الـذي كـان في ذلـك الوقـت الراسـل السـياسي لمحطـة التلفزيـون آيـه. بى. سي وكـان معنـا اعضـاء مـن مجلـس الشـيوخ الامـريكي وموظفون وصحفيون كبار. وقد سـاد الاسـتغراب العـام وصـدرت تعليقـات تقـول: مـرة أخـرى يكذب، ياله من بيان مناسب للثقة المحطمة بالرئيس في غروب ايام حكمه في البيت الابيض.

وكان جونسون يقصد ما قاله بجدية كاملة مـثلما برهنـت الاحـداث. وقـد حـاول ان يـزج داخل الفراغ الذي طرأ كلا من هيوبرت هامفري، وروبرت كندي الذي اغتيـل برصـاص سرحـان سرحان. وكان الحزب الديموقراطي يسود، الارتباك. كما ان اغتيال الزعيم الزنجي المعتدل مـارتن لوثر كينج في ٢٢ نيسان أثار موجه من القلاقـل واعـمال الشـغب العنصريـة في انحـاء الولايـات المتحدة.

ومن وجهة نظر السفير الجديد، قليل الخبرة بـدت الامـور بانهـا خطـيرة إلى حـد الشـعور بالكآبـة وكـان واشـنطن التـي اصـبحت محلاتهـا التجاريـة تنهـب وتلتهمهـا النـيران وتنـتشر في شـوارعها المجموعـات الشـاغبة وقـوات الشرطـة والجـيش الكبـيرة تحـرس البيـت الابـيض، قـد اصبحت منحلة وراكعة تحت اعباء الحقد والعداء بين العنصريين.

ان الانفعـالات لم تتجـاوز حتـى المراكـز البلديـة الأخـرى مثـل نيويـورك، ولـوس انجلـس، وديترويت ومدن أخرى. فقط في هذا الجو المليء باعمال الشغب يستطيع رئيس بلدية شيكاغو ريتشارد ديلى اخر الاسياد غير المرتدعين، في السياسة الامريكيـة ان يـأمر شرطتـه: بـاطلاق النـار من اجل القتل ولم يكن رجال الشرطة بحاجة إلى التوجيـه. فقـد نفـذوا الامـر. وثـارت الولايـات المتحدة بالاحتجاجات الصاخبة ولكن شـيكاغو فـرض القـانون والنظـام الـذي كـان هـو الرغبـة

الصريحة لامريكيين كثيرين واحد شعارات ريتشارد نيكسون الجمهوري في حملته الانتخابية ومن خلال الشعور بالقلق الزائد اكثرت من الاجتماع مع اعضاء مجلس الشيوخ، والسياسيين واعضاء الكونغرس وكبار الصحفيين. فقد جئت إلى الديموقراطية الضخمة، ولكنني وجدت.. عالما منحلا. فهل ستكون هذه الدعامة منهارة. داخل هذا العالم الهائج سقط اغتيال السناتور روبرت كندي في الخامس من حزيران ١٩٦٨ (وهي الذكرى الاولى لحرب حزيران) كقنبلة مثيرة للرعب واضاف بعدا جديدا للتوتر في هذا الشعب الكبير. ان صلة إسرائيل بهذا الحدث نجمت عن حقيقة كون قاتله الفلسطيني سرحان بشارة سرحان. وقد كان لموعد الاغتيال، الخامس من حزيران مغزى خاصا. ولكن الصلة بين إسرائيل وهذا الحدث مأساوي كان ربما أكثر دراماتيكية لو انني استجبت قبل اغتياله بيوم واحد، في الرابع من حزيران لطلب رجال قيادة روبرت كندي: السناتور يريد الحضور إلى فندقك لالتقاط صورة معك. فقد كان هدفهم واضحا. فهذا السهم كان يقصد به ان يوجه إلى اليهود الكثيرين في نيويورك. فأجبت: انني لا اريد ازعاج السناتور من اجل التصوير فقط. انني اعلم بأنه سافر إلى لوس انجلوس وعندما يعود إلى واشنطن، بعد بضعة ايام فانه سيسرني ان احضر إلى مجلس الشيوخ وان اجتمع معه لاجراء حديث مطول. ولاسفي الشديد ان هذا الاجتماع لم يعقد ولكن لو كانت صورنا تزين الصفحات الاولى من الصحف الامريكية في يوم الاغتيال، فانني لا استبعد ان تكون قد لحقت اضرار بإسرائيل عن طريق التأكيد الاخر على اصل الفلسطيني القاتل والدولة المتهمة بطرد الفلسطينيين من ارضهم.

مما لا شك فيه ان الجرح الذي اصاب الحزب الديموقراطي قد عزز احتمالات فوز المرشح الجمهوري بالرئاسة، فقد تنافس على ترشيح الحزب الجمهوري للرئاسة اشخاص وهم: نيكسون، وروكفلر حاكم نيويورك وريجن حاكم كاليفورنيا وسعى هامفري إلى الحصول على ترشيح الحزب الديموقراطي. وبصفته نائبا للرئيس واجه مصاعب في انتهاجه مواقف مستقلة، بسبب العلاقة بينه وبين الرئيس جونسون. وجونسون نفسه لم يخرج عن اطاره لتأييد هامفري ومساعدته في تحقيق ترشيح الديمقراطيين له كمرشح للرئاسة.

في تلك الايام التي كانت فيها الولايات المتحدة مشغولة في قضاياها وصراعاتها الداخلية، لم يكن الوقت مناسبا للنشاطات السياسية لاحلال السلام في الشرق الاوسط. وبالفعل كان العام الاول من خدمتي في واشنطن، ١٩٦٨، غنيا بالملذات الشخصية ولكنه كان ضعيفا في مجال النشاطات السياسية الحقيقية المتعلقة بشؤون إسرائيل. لقد شككت بل وتحفظت من محاولات اليهود اصدقاء جونسون الذين ارادوا اقناعي بأنه لن يكون هناك اي رئيس افضل من جونسون. وحتى بعد ان اعلن بأنه لن يطلب من الحزب الديموقراطي الموافقة على ترشيحه ولن يقبل بهذا الترشيح لم يخفف بعض اصدقائه من جهودهم: انهم كانوا يعتقدون بأنه إذا ما اظهرت إسرائيل مرونة كبيرة وتوافق على تنازلات بعيدة المدى في الشرق الاوسط فانها ستضع في ايدي جونسون مكسبا من الدرجة الاولى وانه سيوافق على البقاء في الساحة السياسية ويتنافس على الرئاسة. ولكن الامور لم تبد جدية.. ليس من المستبعد ان يكون ضعف الولايات المتحدة، والقلاقل التي كانت تسود اجهزتها الداخلية، وانغماسها كليا في الحملة الانتخابية وضعف ثقتها بالنفس، قد قررت مصير تشيكوسلوفاكيا وشجعت السوفيات على القضاء بوحشية على المسيرة الليبرالية، التي بدأت تظهر ملامحها في دولة دوبشك التشيكي. انني استطيع ان اثبت بناء على تجربتي الشخصية بان الولايات المتحدة قد فوجئت واصيبت بالذهول نتيجة للغزو السوفياتي لتشيكوسلوفاكيا. فقد توجه إلى وولت روستطوف الذي كان مستشارا لرئيس الامن القومي والسياسة الخارجية في آب ١٩٦٨ وقال: ان قضية القدس تبدو وكأنها عقبة كبيرة في وجه اي احتمال لتحقيق تسوية سياسية في الشرق الاوسط. لقد ولدت في القدس، وحاربت في القدس وانت تعرف المشاكل عن كثب. واريد ان نتحدث عن القدس بصورة هادئة. انني اريد ان ادرس الموضوع بصورة عميقة واساسية.

احضرت الخرائط الدقيقة، وصورا جوية جيدة، وتخطيطات تصف التقسيم السكاني في القدس، وبرفقة المندوب الإسرائيلي شلومو ارغوب، اجتمعت مع روستطوف في مكتبه في

البيـت الابـيض، لحـديث موسـع دون ان نكـون مقيـدين بالوقـت. فقمـت ببسـط الخـرائط والمخططات وبدأت بعرض الحقائق. وفجأة رن جرس التلفون. دين راسك وزير الخارجيـة كـان على الخـط. فاقترحـت عـلى روسـتطوف ان اخـرج ليسـتطيع ان يتحـدث دون ازعـاج. فاجـاب روستطوف: لا، لا ابق. وتبادل هو وراسك بضع كلمات. وعدنا إلى الحديث عن القـدس. وخيـل إلى بان ذهن روستطوف لم يكن معنـا. فبالاضـافة إلى القـدس فـان الولايـات المتحـدة مشـغولة بعدة قضايا أخرى لا تقل اهمية.

وبعـد مـرور ١٥ أو ٢٠ دقيقـة رن جـرس التلفـون ثانيـة فارتفعـت حـدة التـوتر لـدى روستطوف. فاجاب «نعم سيدي». هكذا يتحدثون مع الرئيس. ومرة أخـرى اقترحـت بـادب ان اخرج وانتظر حتى انتهاء المكالمة. وفي هذه المرة قبل روستطوف اقتراحي، وطلب من مسـاعده اندرسون والمندوب ارغوب وأنا ان نواصل حديثنا في الغرفة القريبة، وسينضم الينا فورا.

بسطنا الخرائط، وتحدثنا، ولكن روستطوف لم ينضم. فبعد ان سمع من الرئيس ما سـمعه واجه صعوبة في الاهتمام بالقدس وبالتركيب السكاني لمواطنيها. وبعد ذلك في وقـت متـأخر، اي في تلك الليلة نشر الخبر بان الاتحاد السوفياتي قد غزا تشيكوسلوفاكيا..

الاتحاد السوفياتي غزا، وهمر العالم دمعة افرى عـلى مصـير الحريـة. الولايـات المتحـدة، ذلك «العملاق» المتساقط، اخذ يتمرمر وينتحب.. كنت قد تعرفت على ريتشارد نيكسون في عام ١٩٦٦: فبصفتي رئيسا للاركان دعيت إلى حضور -دبة عشاء اقيمت عـلى شرف نيكسـون في منزل المفوض الامريكي في السفارة الامريكية في تل ابيـب. وكـان نيكسـون يتجـول في تلـك الفترة في مناطق مختلفة من العالم ووصل الينا بعد زيارة قام بها إلى فيتنام. وكنت معنيا بان استمع منه عن انطباعات وتقديرات للحـرب الفيتناميـة. اننـي لم اشـك بـان تـدفل الولايـات المتحدة في هذه الحرب من المحتم ان يؤثر على علاقاتها مع العالم. جئت وفوجئت: فوجدت

نـفسي بـانني الإسرائـيلي الرسـمي الكبـير والوحيـد في تلـك المأدبـة. وزادت مفاجـأتي عنـدما اكتشفت انه قـد وجهـت دعـوات إلى بعـض الـوزراء وكبـار المـوظفين الإسرائيليـين للترحيـب بنيكسون ولكنهم لم يعيروا الموضوع اهمية تستوجب الاستجابة لهذه الدعوات.

فهل انه لم يصدق اي شخص نية نيكسون لخوض الانتخابات للرئاسة الاميركية عام ١٩٦٨؟ (فسالته إذا كان سيرشح نفسه حقا؟ فتهرب مـن الاجابـة الصريحـة. فاقترحـت عليـه ان يكـون ضيفا في اليوم التالي على الجيش الإسرائيلي. وتبين من ملامح وجهه ان هذا الاقتراح منحه بعـض الارتياح. وقد منحنا له في جولته اهـتمام (السـجادة الحمـراء). ورافقـه في هـذه الجولـة «بـات بيوكنن» الذي اصبح فـيما بعـد مـن المقـربين اليـه وكاتـب اسراره بعـد توليـه رئاسـة الولايـات المتحدة. ان زيارته لإسرائيل عام ١٩٦٧، بعد حرب الايام الستة، حملـت طابعـا مختلفـا، فيبـدو ان نيكسـون قـد نجـح في اقنـاع المتشـككين في نوايـاه السياسـية الجديـة، والـدليل عـلى ذلـك، ان رئيس الحكومة، وبعض الوزراء قد استقبلوه استقبالا حافلا عندما كان يصـل إلى مكـاتبهم... انه يجـدر بنـا ان نـذكر الخلفيـة، ذلـك لـيس مـن اجـل الاسـاءة إلى سـمعة جونسـون كـرئيس صديق لإسرائيل وانما من اجـل الدقـة: بعـد حـرب حزيـران، جمـدت الولايـات المتحـدة ارسـال صفقات الأسلحة لإسرائيل، بما في ذلـك قطـع الغيـار والـذخيرة. وكانـت خطـورة هـذا التجميـد تكمن ليس فقط في رفض الموافقة على صفقات جديدة، وانمـا في رفـض ارسـال صـفقات كانـت مرقعة بين الدرلتين إلى إسرائيل. ربذلك خرقت الولايات المتحدة اتفاقيـات موقعـة، عـلى فـرض، ان هذا الامـر سـيدفع الاتحـاد السـوفياتي إلى التقليـل مـن حجـم صـفقات الأسـلحة إلى الـدول العربيـة ولـيس فقـط، ان الاتحـاد السـوفياتي لم يسر عـلى هـذه الطريـق فحسـب، وانمـا فسر التجميد كضعف امريكي وزاد مـن صـفقات الأسـلحة إلى مصر وسـوريا مـن اجـل ان يعوضـهما عن خسائرهما واستعادة الجيش السـورى والمصرى كفـاءتهما الحربيـة، ولم يسـمح الامريكيـون باخراج ولـو برغـي واحـد وذلـك في فـترة كنـا فيهـا بـامس الحاجـة إلى قطـع الغيـار مـن اجـل اصـلاح المعـدات الامريكيـة التـي كنـا نمتلكهـا، كانـت هنـاك اهميـة بالغـة للوقـوف عـلى اراء

ووجهات نطر نيكسون، الذي اعتبر بأنه ذو احتمالات جيدة للفـوز بترشـيح الحـزب الجمهـوري لانتخابات الرئاسة الامريكية.

في آب ١٩٦٨ طلبت الاجتماع بنيكسون، فاسـتجاب راضـيا. فاجتمعنـا في احـد الفنـادق في واشنطن. وكان مع نيكسون بات بيـوكنن مسـاعده الشـخصي الـذي رافقـه في زيارتـه لإسرائيـل عامي ١٩٦٦-١٩٦٧ ورافقني شلومو ارغوب الذي كان مرافقا لنيكسون خلال زيـارات نيكسـون وتصريحاته المشهورة التي ادلى بها بعد زيارته لهضـبة الجـولان والتـي قـال فيهـا: انـه لـو كـان إسرائيليا فانه سيرفض النزول من هناك باي حال من الاحوال.

ان الهدف الرئيس لهذا الاجتماع لم يكن في نطري نقاشـا سياسـيا شـاملا، بـل بحثـا لمسـألة الامدادات العسكرية لإسرائيـل. فوسـع نيكسـون نطـاق الحـديث هنـا وهنـاك، عـن الوضـع في الشرق الاوسط، ومهمة يـارينغ ومواقـف الولايـات المتحـدة، والاتحـاد السـوفياتي، فسـألته عـن موضوع تزويد طائرات الفانتوم، التي وعدت بهـا إسرائيـل. وكـان مـن السـهل عليـه ان يكـون شريكا لي في التذمر من تجهيد ارسال الأسلحة لإسرائيل الا ان هذا الامـر تـم عـن طريـق رئـيس ديمقراطي. اما بالنسبة للمستقبل فقـد قـال بصراحـة: إذا مـا اختـارني الشـعب كـرئيس، فـانني اعدك بانني سأويد إسرائيل قوية وستحصلون على الطائرات. وعلى الرغم من انـه يجـب اعـارة وعود المرشحين للرئاسـة بنسـبة مـن الشـكوك فقـد خرجـت بانطبـاع بـان وجهـة نطـره حـول هذا الموضوع تتناسب على الاقل من ناحية خطوطهـا العريضـة مـع وجهـة النطـر الإسرائيليـة. ولم يعف نيكسون الرئيس جونسون من حدة لسانه. فقد تحدث بألم عن انحلال نظـام الحكـم في الولايـات المتحـدة، وعـن الظـواهر الانعزاليـة وعـن عجـز الـرئيس في ادارة سياسـة خارجيـة حاسمة، وعن الانقاص في الـداخل مـن ثقـة الولايـات المتحـدة بقوتهـا ودورهـا القيـادي، وعـن اعمال الشغب الشديدة، وعـن تـدهور اسـس القـانون والنطـام. وفي ذلـك الاجـتماع اسـتمعت منه لاول مرة إلى تعبير كان محببا لديه وكان روتينيـا عـلى لسـانه حتـى عنـدما عمـل كـرئيس: هـذا التعبـير هـو: «الاغلبيـة الصـامتة». في الولايـات المتحـدة، الامريكيـون الجيـدون الـذين لا

يجعلونهم يعيشون حياتهم حسب العادات الامريكية الاصيلة. وقد استعرضنا في هذا الاجتماع نواحي مختلفة للنزاع الإسرائيلي العربي. وكان نيكسون يتمتع بقدرة فائقة على الاستماع وعرض الاسئلة والادراك. وكان حذرا جدا من ان يأخذ على عاتقه التزامات، الا في الظروف، التي يعتقد بانها كانت تستوجب تصريحات ملزمة. وكان في حديثنا معفيا من هذه الضرورة. وقال فقط: انني اقبل كمبدأ بان النطرية الصحيحة بالنسبة للمعركة السوفياتية - الامريكية تنطبق ايضا على المعركة الإسرائيلية - العربية. واستطيع ان اعدك بشيء واحد: انكم ستجدون عندي تفهما كبيرا في كل ما يتعلق بضمان قوة إسرائيل بما في ذلك طلبكم الحصول على طائرات فانتوم. ولم ينس نيكسون الاستقبال الحار الذي اقامه له الجيش الإسرائيلي عام ١٩٦٦ تلك الايام التي لم تكن فيها اسهمه السياسية في ذروتها. وعاد وشكرني قائلا: لم انس ولن انسى.

خرجت متشجعا: وآمنت بأنه إذا اختير نيكسون للرئاسة فاننا سنحصل على طائرات الفانتوم الخمسين مثلما طلبناها، وانه بالنسبة إلى المحافظة وتعزيز القدرة العسكرية الإسرائيلية سيكون رئيسا سهلا لنا حتى أكثر من صديق إسرائيل القديم، هيوبرت مامفري.

في السابع من آب ١٩٦٨ توجهت إلى مؤتمر الحزب الجمهوري في ميامي لاشاهد والذهول يتملكني ذلك المهرجان الضخم الذي اختير فيه نيكسون مرشحا عن الحزب للرئاسة. لقد كان المؤتمر عيدا بالنسبة للمشاهدين وعقابا للمستمعين: فتيات جميلات، والوان كثيرة، وقبعات، واعلانات، وبالونات، و «طائرات» «وسفن جوية» وسماعات: انني لم اشاهد مثل هذا الحادث من قبل في الحياة السياسية في اية دولة من العالم. لقد كان هذا مؤتمر امريكا المنطمة، الرتية حلتها القشيبة، والمتهندمة والتربعة على القانون والنظام. والمتمسكة بالقيم القديمة والجيدة للتقاليد الامريكية، امريكا التي وضعت مصيرها بايدي ريتشارد نيكسون مرشحها للرئاسة. لقد عشت في ظل هذا الحدث الجميل ٢٠ يوما، وفي السابع والعشرين من آب وفي المؤتمر الديمقراطي عشت منظرا اخر. لقد كان لتاريخ الاجتماع معنى

رمزي معين: فقد صادف يوم عيد ميلاد الرئيس جونسون واختلفت الاراء: فهناك من يقول انـه لا يريد الا توديعا مشرفا للرئاسة وهناك من يقول انه على الرغم من جميع ارائه السـابقة فانـه مازال يأنل في ان يظهر الحزب تضامنا كبيرا معه ويلح عليه بعدم ترك الرئاسة وانـه سيسـتجيب لمؤيديه. ولكن جونسون فند الافتراضين: فقد تغيب عن حضور المؤتمر واظهر حزبه ازاءه جميع التذمر الذي تجمع في صدره.

لقد ساد مؤتمر الديمقراطيين توتر ثيد في شيكاغو. فقد حافظ رئيس البلدية ريتشارد ديلي، على سياسة القبضة الحديدية التي انتهجها وحاول خارج القاعة المنعقـد فيهـا المـؤتمر تحطـيم ظهر الليبراليين واليساريين الذين ملت نفسـه مـنهم ومـن مـاهراتهم. وفي القاعـة نفسـها التـي كانت في الاصل «مطبخا» وتمـت ملاءمتهـا خصيصـا لخدمـة الحـزب في مـؤتمره صرخ السـناتور ابراهام ريفكوف بمكبر الصوت: ان ديلي ينفذ مذبحة بالقرب مـن فنـدق هيلتـون في شـيكاغو! انني اطالب بوقف المؤتمر إلى ان تتوقف مذبحـة الشـبان. وسـمعت ديـلى وهـو يصرخ باتجـاه ريفكوف قائلا: «بلادي جو». إذا لم يكن ذلك كافيـا لاسـكات السـناتور اليهـودي ومؤيديـه فـان الوسيلة الثانية التي استخدمها رجال ديلى كانت انجع: فقد قاموا بقطع جميـع المايكروفونـات الوضوعة على طاولات الوفود التي توبخ ديلى وضاعت صرفاتهم داخل الضوضاء التي قامت في المؤتمر.

ارتبكـت: هـل ابقـى في المـؤتمر ام اسرح إلى منطقـة اعـمال الشـغب بـالقرب مـن فنـدق هيلتون حيث كنت اقيم بمناسبة انعقاد المؤتمر؟ بقيت. وانتخب اليمقراطيون هـامفري مرشـحا عنهم للرئاسة. فأحداث مؤتمرمم بالمقارنة مع الهدوء والنظام اللذين سادا مؤتمر الجمهـوريين لم تعط هامفري الحظ الجيد لمواصلة طريقه الصعب.

عـلى الـرغم مـن ان الموضـوع الإسرائـيلي في انتخابـات عـام ١٩٦٨ كـان ثانويـا فلـم يغب مكان إسرائيل. فالافتراض السائد هو ان تصويت اليهـود في الولايـات المتحـدة متـأثر مـن سياسة المرشـحين نحـو إسرائيـل وقـوة تأييـدهم لهـا. فقـد افـترض الـديمقراطيون بـان الصـوت

اليهـودي موضـوع في صـندوقهم بنـاء عـلى التقليـد المتبـع بالنسـبة لتأييـد اليهـود للمرشـح الديمقراطي. والاخطر من ذلك كان الافتراض الذي سـاد المعسـكر الجمهـوري هـو ان الجماهـير اليهوديـة تؤيـد المرشـح الـديمقراطي وبمـا انـه لا يوجـد احـتمال لتحويـل قلـوبهم إلى المرشـح الجمهوري، فانه لا فائدة من بذل الجهود في هذا المجال. اننـي اشـمك فـيما إذا كـان نيكسـون نفسه قد تبنى لنفسه هذا الافتراض. وعلى اية حال ففي ظهوره امام اجـتماع مغلـق للمنظمـة اليهودية «بني بريت» لم يترك شكا بالنسـبة لتأييـده لإسرائيـل، بـل ووعـد صراحـة بأنـه سـيأمر بتزويدها بطائرات الفانتوم الخمسين التي طلبتها.

وفي ذلك كشف ظهر هامفري في اجتماع هستدروت الصهاينة الامـريكيين، وخيـب الامـال. فقد أكثر من الحديث عن اهمية التوصل إلى اتفاق لمنع انتشار الأسلحة الذرية، وكان حنرا جدا بالنسبة للالتزام الامريكي ازاء إسرائيل وتجاهل تماما موضوع طانرات الفانتوم.

وعبثا حاول بعضهم ان يشرح لهامفري انه إذا لم ينجح بصفته نائبـا للـرئيس بـدفع الادارة الامريكية الحالية إلى الاعلان عن قرارها المبني ببيع إسرائيـل طـائرات الفـانتوم الخمسـين فانـه ستتلاسى احتمالاته للفوز بتأييد واسع من قبل اليهود وغير اليهود ممن يؤيـدون إسرائيـل. وقـد علمنا بان هامفري ورؤساء الحزب اليمقراطي يضغطون على جونسون بهـذا الصـدد. كـما كـان للرسالة التي بعث بها ٧٠ سناتورا إلى الرئيس وتتضمن دعوة لتزويـد إسرائيـل بالطـائرات تـاثيرا كبيرا. وبالفعـل فانـه في العـاشر مـن اكتـوبر اي قبـل بـدء الانتخابـات بثلاثـة اسـابيع اسـتجاب جونسون واعلن عن القرار المبني ببيع الطائرات لإسرائيل.

لقد كانت الحملـة الانتخابيـة بالنسـبة لى درسـا شـاملا عـن اسـلوب الحيـاة السياسـية في الولايات المتحدة فهي دولـة مهـاجرين، وحـق كـل مجموعـة ان تعمـل لصـالح بلـدها الام وان تعبر عن صلتها التاريخية بل هو حق معترف به ومحترم من الجميـع، ولا يعتـبر موقفـا مضـادا للامريكيين ومـن هنـا جـاء حـق يهـود الولايـات المتحـدة في العمـل لصـالح إسرائيـل في نطـاق دفع المسؤولين الامريكيين عـلى الايفـاء بالتزامـاتهم لامنهـا وان يقـووا في قلـوبهم الاعتقـاد بـان

تصويتهم في الانتخابات للرئاسة الامريكية والكونغرس متأثر هو الاخر من سياسة المرشحين المنتخبين لإسرائيل.

اما أنا فقد امتنعت كما هو مفهوم عن اية تصريحات علنية بامكانها ان تفسر كاتخاذ موقف لصالح مرشح واحد وضد مرشح آخر على الرغم انني انكر بانني آمنت بان التغيير المرتقب في السياسة الامريكية، سيطرأ إذا ما اختير نيكسون للرئاسة، ونظريته الشاملة حول المسائل السياسية العالمية تجعل منه رئيسا مرغوبا لدى إسرائيل على الرغم من انه لم يكن مشهورا بتأييد لإسرائيل، بالمقارنة مع هامفري الصديق القيم لإسرائيل.

ان يهود الولايات المتحدة لم يكونوا يعتقدون مثلى ولا يوجد من يعترض على حقهم في استخدام قدرتهم على الحكم. ان ٨٨% أو ١٢% من بينهم قد وضعوا ثقتهم بهامغري وان ٨% أو١٢% فقط قد اختاروا نيكسون. ان المخاوف القائلة بان نيكسون الذي لم يكن مدينا للصوت اليهودي قد يتأثر شعوره للاسوأ نحو إسرائيل قد تلاشت مع مرور الزمن.

وفي الفترة الانتقالية، من ناحيته كرئيس جيد في مطلع تشرين ثان وحتى مباشرته مهام منصبه في العشرين من كانون ثان من العام التالي قام الرئيس المنتخب بملء الشواغر الكبيرة في حكومته. وكان السفير في واشنطن يواجه مصاعب في مجال تنفيذ وظائفه. فقد قل وزن الرئيس السابق وحكومته. والزعماء الجدد لم يتخنوا القرارات والمحاولات التي يقوم بها السفير لنسج علاقات مع الاشخاص الجدد تبو احيانا بانها غير مرغوبة في نظرهم واعلن نيكسون انه حتى مباشرته مهام منصبه لن يجتمع مع النواب الاجانب، والسفراء المعتمدين لدى الولايات المتحدة. ولكن الرئيس السابق جونسون «احبط نيته»: ففي كانون اول ١٩٦٨ وصل إلى الولايات المتحدة احد الامراء السعوديين. وطلب جونسون من نيكسون ان يستقبله. واستفاد من استجابة نيكسون وزير دفاع إسرائيل موشة ديان. فقد حضر إلى الولايات المتحدة بمهمة من الجباية اليهودية الموحدة. وعندما اخترق الحاجز النيكسوني بواسطة «التسلل» السعودي، مهدت الطريق امام ديان للاجتماع بنيكسون. التوزان، التوازن

- نفط إسرائيل... واستقبل نيكسون ديان ببيان قال فيه: انه قد استجاب لعقد الاجتماع مع الامير السعودي وسيتصرف كما تصرف مع السعودي: يستمع ولن يسمع. وبالفعل فقد تحدث ديان ونيكسون كان يسأل ويستمع. اما الدكتور كيسنجر الذي عينه نيكسون مستشارا لشؤون الامن القومي فقد تخبط، وتردد قبل ان يستجيب لاستقبالى لاجراء حديث معه. في نهاية كانون اول قبل وقت قصير من دور الاستلام والتسليم في البيت الابيض. امتنع كيسنجر علنا عن اي التزام صريح ولكن بعض تصريحاته اراحتني ومن ضمنها ان إسرائيل ستجد رغبة طيبة في موضوع تزويد السلاح وان الحكومة الامريكية الجمهورية ستكون مريحة وسهلة جدا بالنسبة لمسألة المراقبة الامريكية على موضوع البحث الذري في إسرائيل.

لكي تفهم الصراعات السياسية الإسرائيلية في الولايات المتحدة بما في ذلك نشاطاتي كسفير، ينفذ كما هو مفهوم سياسة حكومته ولكنه يتمتع بمجال مناورة معين في اتصالاته مع رؤس» الادارة الامريكية والكونغرس ووسائل الاعلام فمن الاجر بنا ان نذكر ما وضع في صميم سياسة إسرائيل والولايات المتحدة قبل ان اصل إلى واشنطن.

فيوم ١٩ حزيران بعد انتهاء حرب حزيران بعدة ايام جمع حدثين سياسيين ذوي

وزنين كبيرين عن طريق الصدفة ولم يكونا منفصلين ولكنهما كانا مكملين لبعضهما البعض: ففي واشنطن قرر الرئيس جونسون المبادئ لتحقيق السلام في الشرق الاوسط وجوهرها: يجب على اطراف المجابهة ان يكونوا من اطراف السلام. فان عاجلا أو آجلا يجب عليهم التوصل إلى تسوية في المنطقة. وانه من الصعب جدا الافتراض بأنه من الممكن، ان الدول التي يجب ان تعيش في سلام، لا تستطيع تعلم البحث عن التسوية. وقد قرر جونسون البادئ المقبولة لدى الولايات المتحدة لتحقيق تسوية في الشرق الاوسط:

١- الحق المعترفه به في الحياة الوطنية.

٢ - حل قضية اللاجئيين بشكل عادل.

٣- تحقيق حرية الملاحة.

٤- تحديد سباق التسلح التبذيري والمدمر.

٥- تمتع جميع الدول بالاستقلال السياسي والتكامل الاقليمي.

ومن هذا التاريخ فصاعدا اصبحت المبادئ الخمسة التي وضعها جونسون هي الخط الموجه الرئيس لسياسة الولايات المتحدة في المنطقة.

وفي ذلك اليوم تبنت حكومة إسرائيل باشتراك رئيس الوزراء انذاك مناحم بيفن توصية لجنة وزارية واتخذت قرارا دراماتيكيا: وهو ابلاغ حكومة الولايات المتحدة فقط بقرار مكون من اربعة بنود: مقابل اتفاق سلام، والعلاقات الدولية بين مصر وإسرائيل من خلال تجريد شبه جزيرة سيناء واتخاذ وسائل مناسبة لضمان حرية الملاحة في مضائق تيران وقناة السويس. كما ان إسرائيل مستعدة مقابل تلك الشروط للانسحاب إلى الحدود الدولية بين إسرائيل وسوريا. ومن خلال تجريد هضبة الجولان وضمان تدفق روافد نهر الاردن في سوريا إلى النهر. اما مصير الضفة الغربية وقطاع غزة فسيبحث على انفراد، وكذلك قضية اللاجئين الفلسطينيين وقيام وزير الخارجية ابا ايبان بابلاغ هذا القرار إلى وزير خارجية الولايات المتحدة دين راسك في ٢٢ حزيران ١٩٦٧.

والغريب في الامر: ان قرار حكومة إسرائيل كان مصحوبا بدرجة كبيرة من السرية إلى حد انه اخفي حتى عني. ففي البداية لا يكشفون السر لرئيس اركان الجيش الإسرائيلى وبعد ذلك ارسلت سفيرا إلى واشنطن ولم يكن هناك من يكلف نفسه عناء تزويدي بهذه المعلومات الهامة. ولكن في امريكا فقط علمت من مصادر امريكية بتفاصيل القرار. وعندما جئت في زيارتي الاولى لإسرائيل في ايار ١٩٦٨

استدعاني رئيس الاركان بارليف لالقى محاضرة امام كبار الضباط عن العلاقات الإسرائيلية - الامريكية. وافترضت ان هؤلاء الضباط اصبحوا الآن على علم بقرار الحكومة

قمت بشمله خلال محاضرتي. واصيب المستمعون بالصدمة. فهم لم يعرفوا شيئا عن هذا القرار وفي اعقاب المحاضرة قفز رئيس شعبة الاركان وايزمن عن كرسيه واختفي بسرعة. وفيما بعد اتضح انه طلب عقد اجتماع عاجل مع وزير الدفاع موشة ديان ليسأله لماذا قررت حكومته بهذا السخاء. وطلب رئيس الاركان بارليف من وزير الدفاع موشة ديان ان يشرح موقف الحكومة امام عمداء رئاسة الاركان. وقد استجاب وزير الدفاع وشرح الموقف، واضاف انه بعد ان اتخذ قرار الحكومة ونقل إلى الادارة الامريكية في تشرين اول ١٩٦٧ تراجعت الحكومة عن قرارها وطلبت تغيير،. وكما اعلم فانه عندما كنت في إسرائيل في ايار ١٩٦٨ لم تكن الولايات المتحدة تعلم بهذا التغيير. وفي هذه المرة حوفظ على السر ولم يبلغ إلى الامريكيين.

انني لا اشك، في ان قرار الحكومة الذي اتخذ في ١٩ حزيران ١٩٦٧ قد اثر هو الاخر على سياسة الولايات المتحدة ازاء تفسير القرار ٢٤٢ الصادر في ٢٢ تشرين ثان ١٩٦٧ فالولايات المتحدة حالت فعلا دون اتخاذ الصيغة: «الانسحاب من المناطق» ولكن بالنسبة لتفسير القرار كان موقف الولايات المتحدة انه يجب على إسرائيل ان تنسحب من سيناء والجولان حتى الحدود الدولية، فقط في الصفة الغربية يوجد مكان لادخال تغييرات طفيفة على الحدود.

وحسب التفسير العربي السوفياتي فان قرار ٢٤٢ لا يتطلب اجراء مفاوضات بين اطراف النزاع وانما القرار مطبق بحد ذاته وان ممثل السكرتير العام للامم المتحدة سيجري اتصالات مع الاطراف لتطوير الاتفاق بينهم. وعليه فانه لا يتوجب على الممثل سوى تحديد قائمة زمنية للانسحاب الإسرائيلي والترتيبات المترتبة على التسوية. واما نحن بدعم من الامريكيين فقد ادعينا بان تفسير الاصطلاح لتطوير الاتفاق وصيغته الانكليزية « Promate Agreement» يلزم باجراء مفاوضات بين الاطراف للتوصل إلى اتفاق.

ولم ير العرب والسوفيات ضرورة في التعبير عن الاتفاق بتوقيع وثيقة مشتركة وملزمة بين الاطراف وفي مجال فوارق الصياغة زعم الإسرائيليون والامريكيون انه توجد ضرورة في

وضع وثيقة معاهدة بين الاطراف يلتزم بها كل طرف نحو الطرف الاخر. وكانت التفسيرات المختلفة للمواضيع الثلاثة حجر الخلاف في جميع المهناقشات بين الولايات المتحدة والاتحاد السوفياتي في عشرات الاجتماعات، والمحادثات وتبادل الرسائل. كما ان التعليقات المختلفة كانت موضوعا دائما للتصريحات الامريكية والسوفياتية والعربية والإسرائيلية.

لقد كان اكبر قلق لى هو الخوف المستمر من نجاح الاتحاد السوفياتي في فرض موقف الولايات المتحدة وجعلها توافق على التفسير السوفياتي - العربي الداعي إلى الانسحاب التام إلى حدود الرابع من حزيران ١٩٦٧، عن طريق تنفيذ قرار مجلس الامن رقم ٢٤٢ الذي يعفي العرب من المفاوضات ومن التوصل إلى اتفاق معاهدة بين الاطراف. فالكفاح ضد هذا امهيل وضد كل دلالة خطيرة لدى اي ميل امريكي للتفسيرات السوفياتية - العربية قد اخذ كل وقت خدمتي كسفير في واشنطن والتي استمرت خمس سنوات.

وقبل ان يتخذ القرار رقم ٢٤٢ في مجلس الامن في تشرين ثان ١٩٦٧ طوق العرب انفسهم بحزام الوانع الامر الذي لن يفكر فيه اي زعيم عربي بان ينتهج سياسة معتدلة ومنطقية. فمؤتمر الخرطوم الذي عقد بين ٢٩ آب وحتى ١ ايلول ١٩٦٧ قيد الدول العربية بكوابل اللاءات الثلاثة المشهورة: لا سلام، ولا اعتراف بإسرائيل، ولا مفاوضات مع إسرائيل. وبالاضافة إلى ذلك تمسكهم بالكفاح من اجل المحافظة على حقوق الشعب الفلسطيني اي اقامة دولة فلسطينية ليس فقط إلى جانب إسرائيل في الضفة الغربية وقطاع غزة وانما في جميع المنطقة حسب مشروع التقسيم الصادر عام ١٩٨٤. وعلى هذا الاساس رفض الاردنيون والمصريون (سوريا لم تقبل بقرار مجلس الامن رقم ٢٤٢ حتى حرب رمضان) في آذار ١٩٦٨ مسودة رسالة السفير غوناريارينغ، ممثل السكرتير العام للامم المتحدة، الذي اراد دعوة الاطراف إلى قيادته في قبرص. اذ انه إذا كان القرار مطبقا بحد ذاته فانه لا ضرورة للمفاوضات بين الاطراف وعلى إسرائيل ان تنسحب من جميع المناطق المحتلة. ولكن إسرائيل لم توافق. فقد كان في جعبتها العديد من الشروط الغريبة: مثل:

السلام والمفاوضات بين الاطراف واتفاقية مكتوبة وموقعة يلتزم بها كل طـرف نحـو الاخـر. وفي هذه الظروف جنحت سفينة يارينغ إلى الشاطئ حتى قبل ابحارها. وواشنطن كما هـو مفهـوم كانت مشغولة بمشاكلها ولم تتفرغ إلى اذابة الجمود في الشرق الاوسط. وقد ارسـل إلى إسرائيـل جورج بول المندوب الامريكي الجديـد لـدى الامـم المتحـدة خلفـا لارنـور غولـدبرغ، وجوزيـف سيسكو مساعد وزير الخارجية للشؤون الدولية وكان الهدف من بعثتهما اعادة بعثة يـارنغ إلى طريقها ولكن النجاح لم يكن حليفهما وعادا بخفي حنين.

في الرابـع مـن ايلـول ١٩٦٨، اي قبـل الانتخابـات في الولايـات المتحـدة، سـلم السـفير السوفياتي في واشنطن اناتولى دوبرينين، رسالة من حكومته إلى وزير الخارجية ديـن راسـك. وقد تم اطلاعى على فحوى الرسالة بعد مرور بضعة ايـام. وكـان الوصـف المزيـف لعنـاصر النزاع في الشرق الاوسط واردا طبقا للتقاليد السوفياتية. ولكن الوثيقة اشـتملت ايضـا عـلى اقتراحات حقيقية وعلى الاقل من وجهة نطر السياسة السـوفياتية: تعلـن إسرائيـل والـدول العربية عن اعترافها بقرار٢٤٢ وعن استعدادها لتطبيق القـرار. بواسـطة السـفير يـارينغ أو بايـة طريقـة أخـرى مثـل المحادثـات في مجلـس الامـن يتحـدد البرنـامج الزمنـى لانسـحاب إسرائيل. والى جانب الانسحاب توضع خطة لتطبيق بقية بنـود القـرار: إسرائيـل تعلـن عـن استعدادها للبدء بالانسحاب من الناطق العربيـة المحتلـة في تـاريخ محـدد. وتشرف الامـم المتحدة على عملية الانسحاب. وتضح الـدول التـي اعترفـت بقـرار ٢٤٢ بايـدي الامـم المتحـدة اعلانا عن انهاء حالة الحرب وتلتزم باحترام السيادة والملاحة الاقليمية والاعتراف بهـما. واحـترام الاستقلال السياسي لكل دولة في المنطقة وحقها في العيش بسلام في نطاق حدود آمنـة ومعـترف بها. في المرحلـة الاولى تنسـحب القـوات الإسرائيليـة مـدة شـهر كامـل مـن قسـم مـن المنـاطق العربية إلى حدود يتفق عليهـا سـلفا في سـيناء والضـفة الغربيـة. وبعـد اخـلاء المنـاطق تنتقـل إلى ادارة وشرطـة عربيـة. وعنـدما تصر القـوات الإسرائيليـة إلى الخـط المتفـق عليـه سـلفا في سـيناء والـذي يبعـد عـلى سـبيل المثـال بـين ٣٠-٤٠ كـم عـن القنـاة، توضـع قـوات مصريـة في

المنطقة التي تخلى من منطقة القناة وتبدأ مصر باعمال تنظيف القناة وفتحها امام الملاحة الدولية. وبعد مرور شهر أو مدة زمنية أخرى متفق عليها تواصل القوات الإسرائيلية انسحابها إلى خطوط ما قبل حرب حزيران وفي اليوم الذي يبدأ فيه الانسحاب في هذه المرحلة تعلن الجمهورية العربية المتحدة (مصر) عن موافقتها على مرابطة قوات الامم المتحدة في مشارف شبه جزيرة سيناء وفي شرم الشيخ، وفي قطاع غزة. ويتخذ مجلس الامن قرارا يصادق على هذه العملية.

بعد ان ينتهي الانسحاب الإسرائيلي إلى خطوط ما قبل حرب حزيران توقع اتفاقية متعددة الاطراف بواسطة مجلس الامن تشمل البيانات التي تسلمها الدول المعنية للامم المتحدة في اليوم الاول من الانسحاب. وهذه الوثيقة الشاملة تلزم جميع الاطراف باحترام بنود قرار ٢٤٢ اي حود معترف بها وآمنة والاستقلال السياسي لجميع الدول في الشرق الاوسط.

لقد كانت تلك وثيقة سوفياتية - عربية متمسكة برغبة حرمان إسرائيل من مكاسبها في حرب حزيران بدون قاعدة اتفاق معاهدة بين الاطراف تلزمهم بشكل متبادل وبدون ذكر كلمة «سلام».

وكانت تلك اول خطوة سوفياتية في سلسلة من المحاولات التي قاموا بها من اجل حرمان إسرائيل من مكاسبها.

بعثت نص هذه الرسالة السوفياتية إلى إسرائيل وانتظرت الاوامر. واستدعاني وزير الخارجية راسك للاجتماع به بعد ان تم اطلاعنا على فحوى الوثيقة السوفياتية بعدة ايام. فقال انه منذ الآن سيبحث النزاع في الشرق الاوسط بصورة عاجلة وعن طريق الاتصالات بين الولايات المتحدة وحكومات أخرى. ويهمنا ان نعرف بصورة محددة ما هو موقف إسرائيل من موضوع الحدود وما هو رأيها في طريقة اجراء المفاوضات بينها وبين جاراتها، مع جميع

جاراتها في آن واحد أو مع كل دولة عربية على حدة وهل توجد هناك فائدة حسب رأينا في التوصل إلى تسويات منفردة مع دولة عربية واحدة أو مع دولتين أو ان التسوية يجب ان تكون مع جميع الدول العربية ضمن صفقة واحدة؟

فعلا، اسئلة تستحق الاجابة. وسررت بهذه الفرصة لعرض مواقفنا بصورة واسعة: فقلت - يبو لى انه يجب التفريق بين الناحية البرلمانية في ساحة الامم المتحدة وبين الواقع في الشرق الاوسط. فخلال زيارته الاخيرة للاتحاد السوفياتي اتفق عبد الناصر على تنسيق المواقف بشكل تام مع السوفيات، وعلى استراتيجية كاملة للشرق الاوسط والوثيقة السوفياتية هي اول تعبير لهذه الاستراتيجية. ان الهدف الاول لهذه الاستراتيجية. هو اعادة الشرق الاوسط إلى الوضع الذي كان سائدا في الرابع من حزيران ١٩٦٧ عينيا وسياسيا. ان عبد الناصر والسوفيات غير معنيين بالسلام ومازال المصريون يصرون على عدم الاعتراف بإسرائيل. ان الانسحاب الإسرائيلي الشامل سيمهد الطريق امام القضاء على إسرائيل بالوسائل العسكرية وفي ظروف سهلة للعرب ولهذا الغرض يجب زيادة قوة العرب ولهذا وقع عبد الناصر والسوفيات على اتفاقية لتزويد الأسلحة بكميات هائلة: ١٠٠ طائرة حديثة حتى اواسط ١٩٦٩ و ٥٥٠ دبابة أخرى. وارسال ١٠٠ طيار سوفياتي إلى مصر.

وطلبت من راسك ان ترفض الولايات المتحدة الشروع السوفياتي الذي يفتقر إلى جميع العناصر التي تتفق إسرائيل والولايات المتحدة على ضرورة وجوها في تسوية سياسية ´في الشرق الاوسط: فلا يوجد به سلام، ولا يوجد به تسليم بوجود إسرائيل واعتراف به. ان إسرائيل تسعى وتستحق السلام الكامل المبني على التسليم بوجودها وعلى الحود المفتوحة وعلى تعبيرات جيدة لواقع جيد. ومرة أخرى زاد راسك من مضايقته فسأل: هل جمع إسرائيل والعرب في توقيع مشترك على مشروع واحد متعدد الاطراف، لا يكفي؟

وبتصلب زائد قلت: اننا نريد اتفاق سلام مبنيا على معاهدة متبادلة بين إسرائيل وبين كل دولة عربية. ان راسك ادرك ما يوجد في هذا التصرف وقال: في الجمعية العمومية التابعة

للامـم المتحـدة التـي سـتنعقد قريبـا هـل سـتوافق إسرائيـل عـلى الاعـلان علنـا بقبولهـا لمبـدأ الانسحاب انني لا اقصد بان تعلنوا عن نيتكم بالانسحاب مـن الحـدود الحاليـة لوقـف اطـلاق النار...

اجبت: ان موقف إسرائيل معروف. اننا نشترط استعدادنا للانسـحاب مـن خطـوط وقـف اطلاق النار باستعداد العرب لاحلال السلام. ويجب علينا ان نعرف ما هو السلام الذي يقصـده العرب. سأنقل اسئلتك إلى حكومتي. وسيحضر وزير الخارجية ابا ايبان إلى اجتماعات الجمعيـة العمومية ومن الممكن انه سينقل الاجوبة على هذه الاسئلة.. وقال راسك ان معارضـة الولايـات المتحدة للمبدأ القائل انه يتوجب على إسرائيل الانسحاب إلى حدود ٤ حزيران ١٩٦٧ نـابع مـن اعترافها بأنه لا توجد هناك سوى الحدود الآمنة والمعترف بها ولكـن الولايـات المتحـدة لا تؤيـد ادخال تغيرات اقليمية بعيدة المدى في الشرق الاوسط.

وقلـت ان الولايـات المتحـدة تعلـم بـان إسرائيـل لا تصـبو إلى ضـم منـاطق الا في نطـاق تقديرات امنية وسلام حقيقي. كما طلب راسك ان يعرف فيما إذا ستوافق إسرائيل على مرابطة قوات من الدول العظمى الاربع لضمان حرية الملاحة في مضائق تيران. وقلـت انـه توجـد لكـل واحدة من الدول الاربع مصالحها الخاصـة بهـا. وحتـى حريـة الملاحـة في مضـائق تـيران يجـب بناؤها على اتفاق متبادل بين مصر وإسرائيل.

وهنا اطلق راسك صاروخا خارجا عن نطاق موضوع مدار البحث فقال: انني الوم إسرائيل على انها لم تمكنا في حزيران ١٩٦٧ قبل ان تبـدأ الحـرب مـن ايجـاد حـل للقضـية. لقـد عملـتم حسب رأيكم على الرغم من انكم لن تتصرفوا هكذا.

ولم يقل راسك بصراحة ولكنني فهمت ذلك مما قاله: لولا انكم هاجمتم في حزيران ١٩٦٧ أو على الاقل لو انكم لم تحققوا هذه المكاسب الكبـيرة فاننـا مـا كنـا نواجـه الآن مشـكلة اراض عربية بايدي إسرائيل المنتصرة، ولا كنا مضطرين للبحث عـن صـيغ ترضـيهم ولا يجعلنـا نفقـد العالم العربي.

وبعد ان اجبته بانني لا اعلم فيما إذا كان هناك وعد باننا لن نفعل اتفقنا على ان لا نغوض في بحث مسألة ماذا سيحدث لو اننا لم نبدأ الحرب. لقد كان راسك يكتفي بالوخز فقط اما أنا فلم يكن امامي سوى وضع النقاط على الحروف.

وفي نهاية الاجتماع قال دين راسك: اسمع، انني اريد ان يحضر وزير الخارجية ابا ايبان إلى هنا ومعه مواقف صريحة بالنسبة للمواضيع التالية: كيف يمكن ان نعالج في الفترة القريبة الموضوع السياسي وتطوير، نحو الاتفاق. وموقف إسرائيل واضح بالنسبة لموضوع اتفاق عدم انتشار الأسلحة الذرية.

في اليوم الاول من تشرين اول علمت بالرد الامريكي على الوثيقة السوفياتية: ان الولايات المتحدة ترفض التحليل السوفياتي بالنسبة لعناصر النزاع في الشرق الاوسط والادعاء بان الولايات المتحدة تساعد إسرائيل على الاحتفاظ باحتلالها. ان حكومة الولايات المتحدة مصرة على سياستها مثلما برزت في خطاب الرئيس جونسون في التاسع عشر من حزيران ١٩٦٧ حول المبادئ الخمسة التي تتحدث عن التسوية في الشرق الاوسط. وفي ايلول ١٩٦٨ وخلال خطابه امام اجتماع منظمة «بني بريت» ومع جونسرن الاطار واضاف عدة اسس: ان من الواضح ان العودة إلى حدود الرابع من حزيران ١٩٦٧ لن تؤدي إلى احلال السلام ومن الضروري ان تكون الحدود معترف بها وآمنة. ومع هذا فانه من الواضح ان الحدود المتفق عليها بين الاطراف في الشرق الاوسط لا يمكن ان تمثل وزن الاحتلال الإسرائيلي في الحرب. وكل تغيير يجب ان يعتمد على حل منطقي في المفاوضات السلمية. ويجب على العرب ان يقنعوا إسرائيل والمجموعة الدولية بانهم قد تخلوا عن مبدأ ابادة إسرائيل ولكن بنفس المدى يجب على إسرائيل ان تقنع جيرانها العرب بانها لا تريد ضم اراضيهم. وقالت الولايات المتحدة في ردها على الوثيقة السوفياتية ان التوقيع على وثيقة متعددة الاطراف لا يكفي وان السلام يجب ان يكون مبنيا على اتفاق يلزم الاطراف مباشرة. كان هذا الجواب غامضا يتحدث عن التزام متبادل لكنه لم يوضع نوع هذا الالتزام. واضافت

الولايات المتحدة بان اتفاقية الهدنة بين الاطراف ستستبدل فقط عـن طريـق ايجـاد السـلام. ان قرار ٢٤٢ يدعو إلى الانسحاب إلى حـدود آمنـة ومعـترف بهـا ولكنـه لم يـذكر ان هـذه الحـدود يجب ان تكون بالتحديد خطوط الرابع من حزيران ١٩٦٧.

هذه المواضيع وغيرها طرحت على مائـدة المناقشـات في ٢٢ اكتـوبر ١٩٦٨ خـلال اجـتماع راسك وايبان. حاول وزير خارجية إسرائيل تهدئة زميلـه بـان إسرائيـل لـن تكـون الدولـة الاولى التي ستدخل السلاح الذري إلى ميدان الشرق الاوسط وهو قول تعـودت إسرائيـل عليـه آنـذاك واليوم.

وطلب ايبان من راسـك ان يطبـق تصريـح الـرئيس جونسـون الـذي قالـه في التاسـع مـن اكتوبر١٩٦٨ حول بيع ٥٠ طائرة فانتوم لإسرائيل، وهذا التصريح يتأثر بنسبة كبيرة مـن مطالبـة مجلسي الكونغرس الامريكيين في نيسان ١٩٦٨ التي تحققت بفضل جهـود عـاموس عـيران. اذن المهمة ليست سهلة. فإسرائيـل تحـاول تقصـير الطـرف نحـو المسـتودعات الامريكيـة للأسـلحة، والوقت عند الولايات المتحدة ليس ضيقا. وإسرائيل تطالب دائما في جميع المجـالات، والظـروف بعدم توجيه الضغوط السياسية عليها عن طريق تأخير وتجميد تزويـدها بالأسـلحة. والولايـات المتحدة تدعي بان هذا الادعاء الإسرائيلي مقبول لديها، وانها لا تستخدم الأسلحة كـأداة لفـرض سيطرتها على إسرائيل ولكن الواقـع بعكـس هـذا الـتصريح: حـتى بعـد ان اعلـن الـرئيس وقـرر تزويدنا بالسلاح، كان علينا ان نكد ونتعب لدى الاوساط الادنى من اجل التنفيـذ الفنـي للقـرار وتجرعنا المرارة أكثر من مرة.

وبموافقة من ايبان وراسك بدأت باتصالات مع باركر مارت مساعد وزير الخارجية لشـؤون الشرق الاوسط (رجل متصلب) ومع بول فارنيكـا، مسـاعد وزيـر الـدفاع الامـريكي حـول تنفيـذ قرار تزويد إسرائيل بطائرات الفانتوم. وفي هـذه الاثنـاء وردت إلى مسـامعنا شـائعة تقـول: انـه خلال اجتماعهما في الجمعية العموميـة نقـل راسـك إلى وزيـر الخارجيـة المصري فـوزي، وثيقـة امريكية سميت باسم «نقـاط راسـك السـبع». انـني لا اسـتطيع تجاهـل الاسـاءة التـي لحقـت

بإسرائيل: فعلى الرغم من انـه لا توجـد علاقـات دبلوماسـية بـين الولايـات المتحـدة ومصر فقـد سـارعت الولايـات المتحـدة إلى اطـلاع مصر عـلى مشروع امـريكي مفصـل للتسـوية في الشرق الاوسط، ليس فقط بدون ان تستشيرنا وانما ايضا قبل ان تطلعنا على هذا المشروع.

وعندما طلبت معرفة مضمون هذه الوثيقة شرحـوا لى النقـاط السـبع: انسـحاب إسرائيـل من اراضي الجمهورية العربية المتحدة (مصر). انهاء حالـة الحـرب رسـميا. فـتح قنـاة السـويس امام سفن جميع الدول. حل قضية اللاجئيين، مبني على اختيارهم الحر والشـخصي. يسـأل كـل لاجئ فيما إذا يريد العودة إلى مكان اقامته قبـل قيـام إسرائيـل. وجـود دولي في شرم الشـيخ لا يمكن ازالته الا بموافقة مجلس الامن أو الجمعية المومية التابعـة للامـم المتحـدة. اتفـاق شـامل حول مستوى التسلح في المنطقة. توقع الجمهوريـة العربيـة المتحـدة عـلى وثيقـة توقـع عليهـا إسرائيل ايضا.

اقمنا ضجة عارمة. وخلال الاجتماعات مع الوظفين الامريكيين عارضت بشدة مضـمون الوثيقة والصورة التي عرضت بها على مصر. وتذرع الامريكيون بتبريرات مختلفـة. وزعمـت وبرهنت بأنه لا توجد للسوفيات اية نية لاحلال السلام والهدوء في الشرق الاوسط. وطلبـت مـن الولايـات المتحـدة ان تتشـدد في مواقفهـا وان لا تنجـر وراء المواقـف العربيـة - السوفياتية. وفي ١٥ كانون ثان ١٩٦٩ قبل موعد تبـادل الرؤسـاء في البيـت الابـيض بخمسـة ايـام (وربمـا لان جونسـون اراد ان يظهـر في نظـر اليهـود بأنـه رئـيس كـان يعمـل لصـالح إسرائيل...) تنغفت الصعداء: فقد سلم راسك إلى تشارنيكوف المفوض السوفياتي في واشنطن، والذي يقوم مقام السفير دوبرنين الذي يقضي اجـازة في بـلاده رسـالة هامـة جـدا جـاء فيهـا: انه يمكن التوصل إلى سلام فقط عن طريق التفاوض بين الاطراف في الشرق الاوسـط. ويجـب عـلى الاطـراف ان يتفاوضـوا ويمكـن ان يفعلـوا ذلـك تحـت اشراف طـرف ثالـث. ويجـب ان توقع بين الاطراف معاهدة يلتزم بها كـل طـرف نحـو الاخـر. ولا يوجـد التـزام لانسـحاب إسرائـيلي شـامل. اذن: لقـد قبلـت الولايـات المتحـدة في هـذه المرحلـة بجـوهر المواقـف

الإسرائيلية. وعلى الرغم من انها تحدد بدقة ماهية السلام، ولم تفصل عناصره الحقيقية فانهـا لم تبق ادنى شك حول ضرورة الانتقال من حالة وقف اطلاق النار إلى حالة السلام.

وخلال حديثي مع نائب وزير الخارجية الامريكية نيكولاس كتسنباخ، الـذي اطلعنـي عـلى نص الرسالة الامريكية سمعت منه لاول مرة تعبيرا تردد فيما بعد بكـثرة في العـالم السـياسي وفي مجال العلاقات الإسرائيلية - الامريكية: انه عندما تعفي الولايات المتحدة إسرائيل من انسـحاب شامل إلى حدود ما قبل حزيران فانها تقصد ادخال تغييرات طفيفة جدا وهذا يعني: ان حـدود السلام لا يمكن في اي حال من الاحوال ان تكون حدود وقف اطلاق النـار، وان حـدود إسرائيـل لـن تمثـل وزن مكاسـبها واحتلالهـا في حـرب حزيـران وفي احـد الاجتماعـات قـال لى يـوجين روستطوف من وزارة الخارجية الامريكية انه استمع مـن السـفير السـوفياتي دوبـرنين قولـه: ان تغييرات في حدود ١٠ حتى ١٢ ميلا بالمقارنة مع حدود ما قبل حـرب حزيـران عـام ١٩٦٧ هـي تغيـيرات ممكنـة ولكـن لا يوجـد اي تلمـيح لاسـتعداد سـوفياتي كهـذا في الوثـائق السـوفياتية الرسمية التي تكرر الطالبة بالانسحاب الشامل والتام.

الفصل الثاني

الكفاح من أجل «طائرات الفانتوم»

شعرت بان الامريكيين يماطلونني بالنسبة لموضوع تزويدنا بطائرات الفانتوم: اجريت احاديث كثيرة، وقدمت العديد من الاسئلة. ولاحظت ان مركز الثقل قد نقل إلى وزارة الدفاع واجريت عدة اتصالات مع فارنيكا. لقد كان وقتهم بايديهم: فقد طلبوا مني ثانية ان افصل خطيا لماذا تقول إسرائيل انها بحاجة إلى طائرات الفانتوم في ضوء ميزان القوى في المنطقة. فمرة أخرى قدمت وثائق: واحتججت قائلا: الرئيس جونسون قرر البيع فلماذا تطلبون مني ان اشرح مرة أخرى؟!

وبعد ذلك خلع فارنيكا، مساعد وزير الدفاع القفاز الحريري وتسببت ملامح وجهه التي ظهرت امس، في تثبيتي إلى الكرسي وفي غليان دمي: فكشرط لتزويد طائرات الفانتوم تطالب الولايات المتحدة بان توقع إسرائيل على وثقة مثيرة لم يحدث ان طلب من دولة ذات سيادة من قبل ان توقع على وثيقة مثلها. فخلال سنوات خدمتي الخمس كسفير في واشنطن لم اواجه مثل هذه الطائرة وهذه الوثيقة تنص على ان إسرائيل توافق على مراقبة امريكية ووجود امريكي في كل منشأة من منشأت الصناعات العسكرية، والجوية الإسرائيلية وفي كل منشأة عسكرية لها صلة بالبحث والتطوير أو الانتاج الإسرائيلي بما في ذلك جميع مراكز المبحث المدنية، مثل معهد وايزمن والجامعات في إسرائيل. وهذه الوثيقة، التي هي تعبير لمخاوف إسرائيل رفضتها رفضا قاطعا على الرغم من انني وعدت فارنيكا بنقلها إلى حكومتي في القدس لدراستها. وقلت لفارنيكا، انه إذا وافقت إسرائيل على التوقيع على الوثيقة فانها ستتنازل عن سيادتها، انها وثيقة مخجلة.

وارسلت إلى الرئيس جونسون الذي ينهي خدمته رسائل بواسطة الاصدقاء اليهود، وغير اليهود. ولم اخفش ان يتنكر الرئيس لوعود، الصريحة التي اطلقها قبل الانتخابات.

ونيكسون مرشح الجمهوريين لم يخف وجهة نطره القائلة انه بين الولايات المتحدة والاتحاد السوفياتي لا يكفي ان يكون هناك تعادل رادع في القوى ولكن من الضروري ان تكون الولايات المتحدة اقوى من الاتحاد السوفياتي. وخلال كلماته التي القاها امام اجتماع بني بريت في الثامن من ايلول وفي ٢١ اكتوبر امام مؤتمر الرؤساء اليهود. نقل نيكسون نظريته الشاملة إلى المجال الشرق اوسطي فقال: لا يكفي الحفاظ على توازن القوى بين إسرائيل والدول العربية (وهي النظرية التي كانت مقبولة لدى الرئيس جونسون) وانما يجب ضمان االتفوق الإسرائيلي على جاراتها الدول العربية لردعها عن محاولات ابادتها.

وقد المحت إلى الاصدقاء الديمقراطيين لإسرائيل بشكل واضح انه إذا ما اختير الرئيس الجيد سيأمر بتزويدنا بطائرات الفانتوم مع مباشرته مهام منصبه وان الفضل سيعود له كله. وسيعرف كل واحد انه حتى ولو صرح الرئيس جونسون باستعداد الولايات المتحدة لبيع الطائرات لإسرائيل، فان الصفقة لم تنفذ في عهد الرئيس الدميوقراطي. ويعتقد بان السامعين اسرعوا إلى البيت الابيض. وقبل ان يودع البيت الابيض بثلاثة أو اربعة ايام، وضع الرئيس جونسون نهاية لهذه القضية: فقد امر بشدة التوقيع على صفقة تزويد إسرائيل بخمسين طائرة فانتوم رغم ارادة بعض الموظفين في وزارتي الخارجية والداخلية الذين لم يتنازلوا عن نيتهم لاستخدام الطائرات كوسيلة لارغام إسرائيل على الموافقة على مراقبة امريكية كاهلة على مؤسسات البحث ومصانع الانتاج العسكري فيها.

انه من الصعب معرفة الدور الذي لعبه في قضية طائرات الفانتوم وزير الدفاع في ادارة جونسون «كلارك كليفورد». ففي نطري كان هذا الشخص لغزا. انني لم استطع معرفة التناقض: ان الياهو ايلات اول سفير لإسرائيل في واشنطن، وهو الشخص الذي مثل هناك شؤون إسرائيل حتى قبل قيام إسرائيل، قال في مناسبات مختلفة عن الدور الرئيس لكليفورد في الفترة التي خدم فيها مستشارا للرئيس ترومان للشؤون الداخلية انه على على ترغيب الرئيس ترومان في ضرورة اعتراف امريكا بإسرائيل في ايار ١٩٤٨. وفي تلك الفترة اشتهر

كليفورد بأنه صديق حميم لإسرائيل. ولكنه عندما قدم كوزير للدفاع في ادارة جونسون طوق نفسه بجدار مغلق، لم استطع اختراقه على الرغم من انني بذلت جهودا جبارة من اجل ذلك: فقد رفض بشدة الاجتماع مع اي ممثل إسرائيلي رسمي وان يتحدث معه حول القضايا الإسرائيلية ومطالبها في مجال الأسلحة وقالت الشائعات، انه في ميزان الضغوط على الرئيس جونون لا تستطيع إسرائيل الاستفادة من موقفه. لقد كان كليفورد عنيدا ومتصلبا في رفضه الاجتماع مع المندوب الإسرائيلي. وعندما اجتمع وزير الخارجية ايبان مع الرئيس جونسون، في اكتوبر ١٩٦٨ قال له الرنيس: ستجتمع في وزارة الخارجية مع راسك وكليفورد اعتقدت بان الجليد قد ذاب. وجئنا إلى وزارة الخارجية. فانتطرنا راسك وقال لنا... ان كليفورد لا يستطيع الحضور وقد ارسل إلى الاجتماع ممثلا عنه. كما ان جهودي التي رمت إلى عقد اجتماع بين الون وديان مع كليفورد لم تثمر. والحقيقة: ان كليفورد قد اثار حب الاستطلاع عندي كلما استمر عناده. كما ان هناك موظفين كبارا آخرين في الحكومة الامريكية اتخذوا مواقف غير سهلة بالنسبة لإسرائيل، ولكن الخلافات لم تمنع اقامة علاقات ودية على الصعيد الشخصي. فعندما استدعاني فارنيكا مساعد كليفورد لحضور حفلة كوكتيل لم يكن امامي سبب للاعتقاد بانها ستكون مختلفة عن النموذج الروتيني: يتجولون، يحملون كؤوس المشروبات يتبادلون الكلمات، يتنقلون من مجموعة إلى أخرى. ويتسمعون. ولكن حفلة الكوكتيل هذه كانت تختلف. فجميع الضيوف في منزل فارنيكا كانوا امريكيين ما عداي. وبعد انقضاء وقت قصير لاحظت ان الضيف يحاول دفعي وكليفورد إلى احضان بعضنا ويتركنا وحدنا. وعلى طريقتي الخاصة تعاونت معه. وعندما انفردنا في مكان واحد بعيدين قليلا عن انظار الضيوف تبادلنا بعض كلمات المجاملة. لقد كان باردا، وغير مبال وندمت على انني تعاونت مع فارنيكا.

وفجأة نظ إلى كليفورد فقال: هيا بنا لاحدثك عن شيء ما. انك تعرف انه في ايار١٩٤٨ ارتبك الرئيس ترومان هل سيعترف بإسرائيل أو لا. وكان مصير إسرائيل بدون اعتراف الولايات المتحدة بها متأرجحا. وقام ترومان باستدعاء وزير خارجيته الجنرال مارفيمال ونائبه

روبرت لوت وانا. وطلب هنا ان نعرض مواقفنا ضد والى جانب الاعتراف بإسرائيل وقال بأنه بعد ان يستمع إلى آرائنا سيقرر نهائيا. وقال الرئيس انني سأكون الحكم. وعرض مارشال ونائبه مبرراتهما ضد الاعتراف بإسرائيل: فقالا ان العرب يمتلكون اراضي واسعة جدا وجماهير مكانية كبيرة بالمقارنة مع إسرائيل الصغيرة. والعرب يمتلكون نفط العالم. والاعتراف بإسرائيل معناه تأييد حالة مفقودة فالجزيرة اليهودية لا يوجد لها احتمال للصمود امام امواج العداء التي تصر عن البحر العربي الضخم الذي يطوقها. ان إسرائيل لن تستطيع البقاء. فلماذا علينا ان نورط انفسنا في تأييد عنصر لا احتمالات له وان نثير ضدنا عداء وحقد الاقوياء المنتصرين الحقيقيين؟!

وهنا صمت كليفورد. ربما اراد ان يتفحص تأثير هذه الاقوال بعد صدورما بعشرين سنة. وسأته: ماذا كانت مبرراتك التي اقنعت ترومان للاعتراف بإسرائيل رغم مبررات مارشال ونائبه القوية؟

وعاد كليفورد وغلف بغلاف من الصمت. واستطعت ان الاحظ بأنه ندم حتى على القليل الذي قاله. وابقى مبرراته الحاسمة إلى جانب الاعتراف بإسرائيل سرا في نفسه.

وقد ضايقني حب الاستطلاع. فتحدثت مع المطلعين واتضحت لى مبررات كليفورد التي ادلى بها خلال حديثه مع ترومان. فقد كان هناك ما هو مميز للطابع السياسي الامريكي في دعوة مارشال وكليفورد إلى الرئيس ترومان. فقد كان مارشال يمثل الضرورات ووجهات النطر للسياسة الخارجية الامريكية كما كانت تراها وزارة الخارجية الامريكية. اما كليفورد فقد كان لخوض مستشارا للشؤون السياسية الداخلية فقد مثل الواقع الامريكي الداخلى. فالسياسة الامريكية تتأرجح طيلة السنوات بين وجهتي النطر، الخارجية والداخلية، وتتورط أكثر من مرة في التناقض بينهما.

في ايار ١٩٤٨ مثل ترومان امام حملته الانتخابية الاولى للرئاسة بعد ان ورث كرسي روزفلت. وكان ينافسه الجمهوري توماس فيدوي حاكم نيويورك وهو شخصية مقبولة جدا

في الولايات المتحدة والذي اشتهر بفضل محاربته الشجاعة «للمافيا» والاجرام المنظم في نيويورك. وكان ترومان بحاجة إلى التأييد اليهودي في الولايات المتحدة وللصوت اليهودي وللمال اليهودي. ولو انه ترك الاتحاد السوفياتي ان يكون الدولة العظمى الوحيدة التي تزيد بصورة حماسية قيام إسرائيل وتنوي الاعتراف بها حالا يعلن عن استقلالها لكان من الممكن ان يتغلب فيدوي عليه. وعلى اية حال فقد خشي ترومان من هذه الامكانية وسقطت بالنسبة لشؤون الشرق الاوسط والى اين تهب الرياح. فقد عاد نيكسون من اوروبا بعد ان اجرى محادثات مع الدول الحليفة للولايات المتحدة. بصفته معجبا جدا بالرئيس ديغول تساءلت: هل ينتظرنا خطر بسبب تأثر مواقفه من مواقف الرئيس الفرنسي؟

فطمأنني كيسنجر قائلا: ان الرئيس لم يطلع النعم» في اورربا على خطط امريكية لحل ازمة الشرق الاوسط ولكنه قال لديغول وغيره: ان الولايات المتحدة تعارض الحل المفروض ومتمسكة بالتزاماتها لحماية أمن إسرائيل.

وابتسم كيسنجر عندما قال: ان الرئيس ديغول شرح للرئيس نيكسون بان جميع مواقف فرنسا في الشرق الاوسط لا يقصد بها سوى.. جلب الخير على إسرائيل.

انني لم اتنازل مطلقا عن اية فرصة لشرح المواقف الإسرائيلية ولم اشعر بالتعب مطلقا. فكنت اجرب المرة تلو الأخرى. عشرات المرات، مئات المرات، الاف المرات: السعي إلى السلام. ضرورة كون إسرائيل قوية - اصل المشكلة: هو رفض العرب الاعتراف بعحقنا في الوجود والعيش ضمن حدود آمنة ومعترف بها. ونحن مستعدون للانسحاب لمثل هذه الحدود التي حتما لن تكون حدود الرابع من حزيران ١٩٦٧. اجمل كيسنجر موقف الولايات المتحدة وقال: ان الهدف هو احلال السلام وهذا هو الامر المقبول لدى الولايات المتحدة، وقرار ٢٤٢ هو صفقة واحدة. اذ لا يجب فصل الامر بالانسحاب عن الثمن السياسي الذي يجب على العرب دفعه. ولا بديل لمعاهدة موقعة بين الاطراف في المشرق الاوسط وان اية مفاوضات للسلام يجب ان تنتهي بالتوصل إلى معاهدة صريحة وملزمة. ان للولايات المتحدة

وجهة نظر تختلف عن وجهة النظر الإسرائيلية حول مسألة الحدود التي ستشمل في التسوية السلمية. وكانت الصيغة التي تحدث عنها كيسنجر نموذجية استمعت لمثلها مرات لا تحصى. يقول كيسنجر: انكم ستضرون للعيش ضمن حدود يتفق عليها. ولهذا لا اجد نفسي ملزما بان انصحكم حول المكان الذي يجب ان تمتد فيه هذه الحدود. انكم انتم الذين ستتضررون ولكن... (ان لكن هذه هي الكلمة الرئيسة في فز المفاوضات التي يجريها هنري كيسنجرا لقد درست الامور وتوصلت إلى اسلوب كيف ان اقول شخصيا بطريقة لا تلزم إسرائيل. انني اعتقد بأنه يجب عليكم ان تهتموا بالعناصر العملية للامن وبالحقائق في الطبيعة التي تضمن لكم امنكم أكثر من التحديدات السياسية وبالثمن المعلن لجيرانكم العرب.

وبصورة متواضعة قال كيسنجر: صحيح انني مبتدئ فقط في المواضيع السياسية ولكن مقابل ذلك فانني كمؤرخ فانني اعرف شيئا من تاريخ الحروب في العالم. ان الواقع في الشرق الاوسط فريد من نوعه: فجميع الحروب في العالم اندلعت من حالة السلم. ما عدا في الشرق الاوسط حيث تندلع الحروب، المرة بعد الأخرى. من حالة العرب. انه يصعب على ان افهم صيغا كلامية ووثائق دبلوماسية. ان الاهم من ذلك هي الترتيبات الامنية والحلول الحقيقية التي تخلق واقعا من الامن. فحتى لو توصلتم إلى سلام موقع تماما وبكل الطرق القانونية فانه سيظل المجال مفتوحا امام اندلاع حرب مثلما يحدث في العالم. ومن اجل مواجهة مثل هذه الامكانية فانه يجب عليكم ان تحققوا ترتيبات امنية على الطبيعة.

واضاف كيسنجر: لقد انقضى عام وربع العام على تجوال السفير يارينغ ولم يحقق شيئا. ان عربته غائصة في الوحل ولن تتحرك بقوتها الذاتية. ان الولايات المتحدة ستشترك بمباحثات الدول العظمى الاربع، مع الاتحاد السوفياتي، وفرنسا، وانكلترا بهدف ايجاد طريق لانقاذ مهمة يارينغ من الجهود. وسيتوجب على هذه الدول الاربع ان تقوم بدور فعال في مجال توجيه مبادرة يارينغ. وعندما يصل الينا وزير الخارجية ابا ايبان فانه من الضروري ان يحضر معه افكارا إسرائيلية مبلورة حول التسوية السياسية في الشرق الاوسط.

في هذه الاثناء طرأ التغيير السياسي في إسرائيل: ففي ٢٦ شباط ١٩٦٩ توفي رئيس الحكومة اشكول. وعينت غولده مئير رئيسة للحكومة. وتأهب وزير الخارجية ابا ايبان إلى زيارة الولايات المتحدة والاجتماع مع الرئيس نيكسون ووزير الخارجية روجرز ومساعده سيسكو ومع الدكتور كيسنجر. إلى جانب استعدادها لاستئناف محادثات الدول الاربع قررت الولايات المتحدة السعي إلى امكانية التفاوض بينها وبين السوفيات بقصد تمهيد الطريق امام تسوية مصرية - إسرائيلية.

وقبل ان يصل وزير الخارجية ابا ايبان إلى الولايات المتحدة اعلن عبد الناصر خلال زيارة قام بها إلى القوات المصرية في منطقة القناة في شباط ١٩٦٩، البدء في مرحلة جديدة من الحرب ضد إسرائيل: نشاطات عسكرية مستمرة على طول جبهة القناة وقام عبد الناصر بزرع بذروع حرب الاستنزاف التي ستحدث خلالها وفي مراحلها المتقدمة تطورات حاسمة في الشرق الاوسط، وتزيد من التدخل السوفياتي بشكل لم يسبق له مثيل.

وصل وزير الخارجية ايبان إلى واشنطن وشرح بالتفصيل المواقف الإسرائيلية. وكان الجو لطيفا. واعرب وزير الخارجية الامريكي روجرز عن موافقته على اهم بنود اقوال ايبان: فقال ان الولايات المتحدة لا تسعى إلى حل مفروض وهذا هو ليس هدف محادثات الدولتين والدول الاربع وانما الهدف الوحيد هو توجيه يارينغ. ان اطراف الالتزام في الشرق الاوسط هي المكلفة بحل الازمة في منطقتهم. لا انسحاب للجيش الإسرائيلي بدون اتفاق. وحدود الرابع من حزيران ١٩٦٧ ليست حتما هي حدود السلام، ولكن اي تغيير يطرأ عليها يجب ان يكون له ما يبرر، حسب متطلبات الامن الضرورية لإسرائيل ويجب ان تكون مقبولة لدى الطرفين.

ان مشروع «الون» الخاص بالضفة الغربية غير مقبول لدى الولايات المتحدة وكذلك رغبتنا في الاحتفاظ بشرم الشيخ. ان على الاتفاق بين الطرفين ان يكون مشمولا بمعاهدة ملزمة بصورة متبادلة وطلب روجرز من وزير الخارجية ابا ايبان ان تتعاون إسرائيل مع

يارينغ وتتحدث بصورة أكثر عملية عن ماهية السلام وعن الحدود. كما اعد الامريكيـون وثيقـة وسلموها لنا وردت اهم بنودها في حديث روجرز مع ابا ايبان. تقول الوثيقة: انه يوجد للسـلام بين الطرفين عنصران: وهما الغاء حالة الحرب واقامة وضع رسمي من السلام. وبالنسبة للقـدس تقول الوثيقة: انه يجب ان تكـون لـلاردن مكانـة مدنيـة واقتصـادية ودينيـة في القـدس والتـي ستطل مدينة موحدة. وتوضع ترتيبات لضمان المصـالح العائـدة لجميـع مـزاعم كليفـورد عـلى ارض منتجة. وعلى اية حال فان إسرائيل يجـب ان تعـترف بالجميـل لكليفـورد بسـبب دوره في ضمان التأييد لها عام ١٩٤٨ وان ترتـاح للحقيقـة القائلـة بـان الـرئيس جونسـون لم يسـتمع إلى نصائحه عام ١٩٦٨. فقد وقعت صفقة طائرات الفانتوم نهائيا. وكان الجـواب الامـريكي للاتحـاد السوفياتي ايجابيا من وجهة نطر إسرائيل. وعلى اي حال فان مصر قد رفضـت «مشروع النقـاط السبع» الذي وضعه راسك لانها اعتبرته سخيا جدا لصالح إسرائيل. واعتمادا على وعـود الـرئيس نيكسـون ونظريتـه الشـاملة القائلـة: ان الولايـات المتحـدة تريـد ان تكـون اقـوى مـن الاتحـاد السوفياتي وان تدير سياستها من مركز قوة. فكذلك يجب ان تكون إسرائيل ازاء جاراتهـا الـدول العربية، فقد استطعت ان انتظر عام ١٩٦٩ بنسبة لا باس بها من التفاؤل.

وقمت بزيارة خاطفة لإسرائيل في ٢٦ كانون اول عام ١٩٦٨ للتشاور حول موضوع طائرات الفانتوم. فقد اظهرت حكومة جونسون في ايامها الاخيرة وللاسـف حساسـية لا تحتهـل بالنسـبة للابحاث العسكرية في إسرائيـل وحاولـت جاهـدة ربـط صـفقة طـائرات الفـانتوم مـع الاشراف الامريكي على جميع مؤمسات البحث ومصانع الانتاج الامني في إسرائيل. وكانـت هنـاك ضرورة لرفض هذا الميل الامريكي.

وقد كان ذلك اجتماعي الاخير مع رئيس الحكومة اشكول الذي كنت اقدره كثيرا. وعنـدما عدت إلى واشنطن قلت لزوجتي ليئا: انه يصعب على جدا ان اقول... بانني رايت ملامح المـوت بادية على وجه اشكول.

الفصل الثالث

حرب الاستنزاف ومحادثات

بين الولايات المتحدة والاتحاد السوفياتي

٢٠ كانون ثان ١٩٦٩. رئيس جديد في البيت الابيض. اشخاص جدد يوجهون له نصائح جديدة. إسرائيل تجابه مشاكلها القديمة. وقد وصف نيكسون في اول تصريح له، الشرق الاوسط بأنه برميل من المواد المشتعلة، من شانه ان ينفجر وان يحدث حريقا عاليا الا إذا فصلوا فتيل التفجير عن هذا البرميل. ان هذا الحديث غير مريح له. فقد كانت لنا تجارب في هذا المجال: فكلما قلقوا من الاخطار الجسيمة الكاملة في برميل المواد المشتعلة فانه حتى اصدقاء إسرائيل، فما بالك باعدائها يكلفونها بواجب فصل الفتيل لئلا تحمل مسؤولية اندلاع الحريق في العالم. وفصل الفتيل لا يمكن الا عن طريق قيام إسرائيل بتخفيف حدة مواقفها، وبتقيم التنازلات، وتصبح أكثر مرونة وترضي اعداءها لانه لا يوجد هناك من يفكر بان البرميل مربوط بفتيلى تفجير والفتيل الموجود بايدي العرب يشتعل باستمرار.

وفي عام ١٩٦٨ اشعل عبد الناصر الفتيل الذي يمسك به العرب، ففي شهر نيسان اعلن الحرب ضد إسرائيل على ثلاث مراحل: وهي اعادة تنظيم الجيش المصري والصمود والدفاع الوقائي ثم الانتقال إلى التحرير. وفي ٨ ايلول ١٩٨٦ جرب قوته في توجيه قصف مدفعي مكثف على خط القناة. وقد اشتعل الفتيل حتى في شهر تشرين اول. ولكن الغارة التي قامت بها إسرائيل في عمق الاراضي المصرية في ٣١ تشرين اول ١٩٦٨ اقنعت عبد الناصر بأنه لم يحن الوقت لتفجير البرميل، وساد الجبهة هدوء نسبي لمدة طويلة جدا. وقد اشتعل عبد الناصر هذه الفترة في نهاية كانون ثان ١٩٦٩ لكي يتوجه إلى موسكو والتوصل مع الكرملين إلى تنسيق مواقفه معها استراتيجيا وتكتيكيا بمناسبة دخول نيكسون في البيت الأبيض.

وبسط الفدائيون نشاطاتهم إلى ما وراء حدود الشرق الاوسط: فقد نفذوا عمليات فدائية ضد اهداف إسرائيلية في اوروبا. كما اخذوا يقومون بمحاولات لاختطاف بعض طائرات العال الإسرائيلية. في الرابع من آذار. ١٩٦٩ وفي حديث مع الدكتور هنري كيسنجر مستشار نيكسون للامن والسياسة الخارجية حاولت ان اعرف فيما إذا تبلور موقف امريكي حول الاديان في القدس واما بالنسبة للحدود فقالت الوثيقة الامريكية الاولى ان التغييرات التي تطرأ على حدود ما قبل حرب حزيران يجب ان تكون نابعة من متطلبات امنية ولا يجب ان تبرز وزن الانتصار الإسرائيلي. ويتم تجريد النطقة التي تنسحب منها إسرائيل ويتوصل إلى اتفاق خاص حول شرم الشيخ. كما اعد الامريكيون وثيقة ثانية وثالثة وسلمت الصيغة النهائية لابا ايبان في ٢٤ آذار ١٩٦٩ لم يكن في المواقف الامريكية اي شي جديد مثير أكثر من المواقف التي كانت تتمسك بها الادارة الامريكية السابقة. وكان مصدر قلقنا يكمن انه في محادثات سيسكو - دوبرنين لم يأل الامريكيون جهدا من اجل التوصل إلى اتفاق مع السوفيات. ومن هنا تعرضت إسرائيل للخطر: صحيح ان روجرز اكد لايبان باننا لا نريد ان نكون المحامين عنكم ولا نريد ان يكون السوفيات محامين عن العرب. ولكن الامريكيين فقط هم الذين كانوا مستعدين للحفاظ على هذا الالتزام. فالسوفيات كانوا المحامين الاوفياء للمصريين. ففي اية مرحلة من محادثات الاثنتين لم يتخذ السوفيات موقفا لم يكن مقبولا سلفا من قبل المصريين، في حين ان الموقف الرئيس للولايات المتحدة لم يتفق عليه سلفا معنا وكان يمثل مصلحة ووجهة النطر الامريكية التي طلب هنا بهذه الصورة أو تلك ان نتبناها.

اذن طرأ وضع غير متزن سلفا بحيث كانت كل تسوية سوفياتية امريكية محتملة تخبئ في طياتها خطرا على مصالحنا الحيوية.

اقد كان شهر آذار وتموز ١٩٦٩ خطيرين وغير مريحين بالنسبة لنا. فقد أكثر سيسكو ودوبرنين من عقد الاجتماعات بينهما. ولم يكلف سيسكو نفسه عناء مشاورتنا سلفا حول الموقف الذي سينتهجه في اجتماعه القادم. وعلى أكثر تقدير كانوا يبلغوننا بنتانج المحادثات.

وقد ازدادت خطورة التراجع في الموقف الامريكى إلى حد ان الموقف الإسرائيلي «شلومو ارغوب» اخذ يشعر بالقلق فقال في نهاية نيسان ١٩٦٩ ان هذه التصرفات من جانب الولايات المتحدة ستؤدي إلى دمار إسرائيل. وطلب مني ان اسمح له بان يرسل برقية إلى البلاد يعرض فيها موقفه الشديد والتطرف ويقترح شجب التصرف الامريكى بشدة حتى ولو تسبب الامر في احداث ازمة خطيرة في العلاقات الإسرائيلية - الامريكية. وكاد ارغوب يشرف على الهستيريا. واستطعت ان ادرك قلقه الكبير وقلت له انني لن امنعه من ارسال برقية يصيغها هو ولن اغير كلمة واحدة فيها ولكن اريد ان اضم إلى البرقية موقفي. وقبل ارغوب ذلك. وقام بارسال برقية تضمنت وصفا مظلما وخطيرا للوضع. وكان هناك اساس لشعوره ولم اكن باستطاعتي تجاهله. وفي برقيتي لم اناقض الحقائق ولم اقلل من حجم الخطر. ولكنني اعترضت فقط على النتيجة: فاقترحت الكفاح بشدة ضد الاتجاه الامريكي ولكن يجب الامتناع في هذه المرحلة عن توجيه اي شجب للولايات المتحدة. وعدم التسبب في احداث ازمة خطيرة في العلاقات معها. وفي تقييمي للوضع الذي بعثت به إلى القدس قلت ان ان مريكيين يريدون التوصل إلى اتفاق مع الاتحاد السوفياتي، وسيواصلون التلويح بشعار «لا حل مفروض» ولكن هذا الشعار غير حقيقي. فاذا ما تم التوصل إلى الاتفاق فان معنى ذلك سيكون ان كل دولة عظمى ستدفع «زبونها» إلى قبول الحكم. وقلت انه يوجد امام الولايات المتحدة والاتحاد السوفياتي احتمال جيد للتوصل إلى اتفاق بينهما حول طبيعة التسوية بين مصر وإسرائيل. وقد تصرفه الاتحاد السوفياتي بعدم المبالاة نحو الاردن، وبما ان سوريا اصرت على رفضها قبول قرار ٢٤٢ فان الاتحاد السوفياتي لم يستطع شمل قضيتها في محادثاته مع الولايات المتحدة. وخلال شهر ايار وحزيران ١٩٦٩ قرات صورة حرب الاستنزاف المصرية. وكانت هذه الصورة تنطوي على نواح واهداف تتعدى نية عبد الناصر لاستنزاف إسرائيل والكساس بها. فقد اوضح التنسيق العسكري - السياسي بين مصر والاتحاد السوفياتي هدفه بتقويض المواقف الامريكية وتعريض مصالح امريكا في العالم العربي إلى

الخطر. كما ان منظمة فتح تحتل مواقع في الاردن. وكذلك فنظام الملك ادريس في ليبيا قد انهار واصبحت عناصر متطرفة تسيطر على بلد النفط. وهناك خطر يخيم في الاجراء على النظام الملكي في السعودية وكذلك فان جميع النواحي العسكرية مرتبطة بمحادثات الاثنتين: فالسوفيات ينوون اضعاف قوة الولايات المتحدة في معارضة تحركات الاتحاد السوفياتي وزيادة الشعور الامريكي بأنه حتى التأييد المتصالح لقسم من المطالب الإسرائيلية سيكون باهظ الثمن: فالعالم العربي بكل خزائنه النفطية قد سلب من ايدي الغرب وسقط في احضان الاتحاد السوفياتي. اذن كانت حرب الاستنزاف المعزوفة الصوتية للجهد السياسي المنسق بين عبدالناصر والسوفيات. وقد اثرت اصداؤها على محادثات سيسكو - دوبرنين.

لقد قلت آنذاك ولم يضعف رأيي هذا مع مرور الزمن: ان إسرائيل قد خيبت امال الولايات المتحدة. فهي لم تمتلك الرد على حرب الاستنزاف ولم تكن تمتلك حلا لوضع نهاية لها. والامريكيون لم يعترفوا بذلك علنا ابدا ومن المشكوك فيه ان يعترفوا به الآن ايضا: لقد افترضوا بان قوة إسرائيل تمكنها من انزال ضربة بمصر تستأصل من قبلها كل رغبة في الاستمرار في حرب الاستنزاف. اذ انه كلما طالت الحرب ازداد انقراض الموقف الامريكى في الشرق الاوسط. وكلما ازداد الانقراض كانت الولايات المتحدة تبدي استعدادا أكثر للتوصل إلى اتفاق مع الاتحاد السوفياتي وحتى استخدام سلاح الجو الإسرائيلي في ٢٠ حزيران ١٩٦٩ في منطقة معارك الاستنزاف لم يغير بعض الامور. فعبد الناصر لم يرتدع. فقد تحمل الضربات وضمد جراحه ولكنه لم يأمر بوقف الحرب. وفي شهر تموز سافر سيسكو إلى موسكو. ورأيت بذلك دليلا آخر على مواصلة التراجع في الموقف الامريكى. فسيسكو هو الشخصية الرئيسة في النشاطات الامريكية. وهو الذي يتفاوض مع السوفيات. وهو الذي يجري الاتصالات الدائمة معنا في مجالين ثابتين: اجتماعات رسمية مع مندوبينا، يبلغنا فيها عن اهم الامور والمحادثات غير الرسمية التي تجري بينه وبينى على الغالب في حفلات الغداء. وقد قدرت هذا الاتصال الشخصي. ولم نتعود على اجراء تسجيلات. وكان الجو معفيا من الوف من

مغبة تسريب ما يجري خلال هذه الاجتماعات واعتقدت بان سيسكو يتحدث بصراحة. بدون غلافات مهمة وبدون محاولة للتخفيف من حدة خطورة الامور تبلورت لدي من اقوال سيسكو صورة صعبة عن خوف وسياسة الولايات المتحدة بالنسبة للشرق الاوسط: ان الوضع في الشرق خطير جدا. واستمرار الحرب مز خلال توطيد العلاقات بين مصر والاتحاد السوفياتى يضع الولايات المتحدة امام وضع خطير في مجال العلاقات بين الدول العظمى. ان حرب الاستنزاف تخدم المصالح السوفياتية وتفوض مركز الولايات المتحدة في العالم العربى. وقد قيل لى في إحدى المحادثات ان مصلحتنا في الشرق الاوسط لا تتركز في إسرائيل فقط. ان المشكلة التي نواجهها هي انه يوجد لنا التزام ادبي وعملى نحو إسرائيل ولكن باية حال من الاحوال، لا يشمل هذا الالتزام جميع ما تريده إسرائيل أو نحو كل ما تفعله. ان إسرائيل مستقلة، وتعيش بامن وسلام وهذه مصلحة أمريكية. ولكننى اقول لك بجد ولكر لا يكون ليك ادنى شك ان كل شيء صريح وواضح: فاذا كان كل ما تبقى لنا في الشرق الاوسط هي الصداقة الإسرائيلية فان ذلك سيكون فشلا للسياسة الامريكية. وفي مثل هذه الحالة فاننا نشك فيها إذا سنتهم الولايات المتحدة ببذل جهود في الشرق الاوسط. انه يجب علينا ان نسعى إلى حل سياسى. فهذا الحل وحده هو الذي سيضمن لنا مصالحنا المتشعبة في منطقتكم. فاذا كنتم لا تدركون بأنه يجب عليكم ان تساعدونا في هذا المجال فانكم ترغموننا على اتخاذ مواقف نراها حيوية، حتى ولو كانت كثيرة الاستياء لديكم.

قلت: انه لا يوجد تناقض بين مصالحكم ومصالحنا. فحتى نحن مثلكم نريد السلام في الشرق الاوسط. ولكن للسلام توجد مطالب وضروريات واحكام خاصة به. يجب عليه ان يخلق واقعا جديدا، يزيل شحنة العداء والكراهية والتشكيك التي تجمعت في الشرق الاوسط. ويجب على الاطراف ان يتوصلوا إلى اتفاق ملزم يتحهل في نطاقه كل منهما المسؤولية نحو الاخر. وفي هذا الواقع الجيد يجب ان تكون مركبات السلام: الحدود المفتوحة للتجارة وحركة الاشخاص، والعلاقات الدبلوماسية.

سيسكو: هذا ما نصبو اليه، حتى الولايات المتحدة ترغب في ذلك. ولكن لنفترض ان العرب سيرفضون ذلك رفضا قاطعا فالسؤال الذي يطرح نفسه هو: ما هو ادنى حد سنكون بحاجة اليه لتصفية النزاع؟ فبين مصر وبينكم تربض الصحراء. فلن يكون خطيرا إذا ما تعانقتم مع المصريين. فبالنسبة لي فانه حتى السلام الذي هو اقل مما وصفته. يكفي في الواقع الحالي ان نجد انفسنا مضطرين لان نكون واقعيين.

اذن كانت تلك هي الواقعة التي غذت الوثيقة الامريكية بمبادئ اساسية للتسوية بين إسرائيل ومصر. وقد قدمها سيسكو للسوفيات في ١٥ تموز ١٩٦٩. ولم تتطرق الوثيقة للقضية الفلسطينية وفي تلك الفترة، كانت هذه القضية تعتبر بانها قضية لاجئيين ولم يتحدثوا عنها في المصطلحات السياسية. ولم يفكر اي شخص مطلقا بالوجود الفلسطيني المستقل. ففي محادثات الدولتين، والدول الاربع دار الحديث عن القضية الاردنية، وعن تسوية على الحدود الشرقية لإسرائيل، ولكن ليس عن الفلسطينيين.

كانت بنود المشروع الامريكي الرئيسة تنص على ما يلي: تجتمع مصر وإسرائيل تحت اشراف السفير يارينغ لوضع اتفاقية متبادلة حول طرق تنفيذ قرار مجلس الامن رقم ٢٤٢ واقامة سلام عادل ودائم. اذن كان هذا هو الهدف وبعده -تأتي البنود. بعد ان توضع هذه الاتفاقية بايدي الامم المتحدة يبدأ انسحاب الجيش الإسرائيلي من اراضي الجمهورية العربية المتحدة (مصر» التي احتلت في نزاع ١٩٦٧، إلى حدود تحدد في الاتفاقية. ويتفق الطرفان على مكان الحدود الامنة والمعترف بها بينهم والتي ترسم على خارطة. وسيكون ذلك جانبا من الاتفاق.

وتوافق إسرائيل على انه يجب استبعاد ان تكون الحدود الدولية بين مصر وإسرائيل هي الحدود الامنة والمعترفه بها بين الدولتين. وقد اعتبرنا هذا البند اخطر البنود. فقد كانت هذه اول محاولة لتقرر فعلا بان الانسحاب في الجنوب إلى حدود آمنة ومعترف بها مثلما ينص على ذلك قرار ٢٤٢، يعني التخلي عن جميع صحراء سيناء والانسحاب إلى الحدود الدولية

القديمة. لقد ربطت الوثيقة الامريكية الحل بقطاع غزة مع الاتفاق مع الاردن. صحيح ان الامريكيين عبروا بذلك عن وجهة نظرهم القائلة بان القطاع ليس ملكا لمصر ولكن بنفس المدى فان القطاع ليس اراضي إسرائيلية. وقد كانت هذه الصياغة مريحة لمصر. ويتعلق المبدأ السابع بحرية الملاحة في مضائق تيران ولكن حتى هنا ظهرت بوضوح بوادر التراجع في الموقف الامريكي: يقول البند: يلتزم الطرفان بان مضائق تيران في ممر مياه دولي ويلتزمان بان الملاحة الحرة في مضائق تيران وخليج العقبة تسري على سفن جميع الدول.

وحتى تقديم هده الوثيقة تحدث الامريكيون بصراحة عن سفن جميع الدول بما في ذلك إسرائيل (التاكيد على إسرائيل هنا خاص بي). ان حذف اسم إسرائيل في صياغة الوثيقة، والحديث بلغة عامة عن (جميع الامم)، كان فيهما ما يشكل تراجعا آخر من قبل الامريكيين عن موقف ايجابي. ومقابل ذلك اشتمل البند الخاص بحرية الملاحة في قناة السويس على ذكر صريح لاسم إسرائيل.

لقد عاد سيسكو من محادثاته في الاتحاد السوفياتي وهو يشعر بأنه حقق من السوفيات تنازلين هامين: لقد اصبحوا الآن يدركون العلاقة بين الانسحاب الاسرانيلى والثمن السياسي، وان الجانبين يتحملان التزاما متبادلا نحو بعضهما البعض. وعلى الرغم من الخلافات فقد قررت الدولتان العظميان الاستمرار في محاولات التفاوض. وقبل ان يعود سيسكو من زيارته للاتحاد السوفياتي بيوم أو بيومين خصنا السوفيات بتوجه مباشر تقديبا: فبواسطة السفارة الفنلندية في إسرائيل تلقينا رسالة منهم، كانت على الرغم من لهجتها المعتدلة نسبيا بالمقارنة مع رسائل أخرى، تنطوي على تحذير واضح: لقد قالوا انه خلال هجوم طائراته سلاح الجو الاسرانيلى على منطقة بور سعيد في العشرين من تموز، اصيبت سفينة سوفياتية وهم يريدون ان يضمنوا عدم تكرار هذا الحادث في المستقبل.

اجبنا بواسطة الامريكيين وبواسطة الغاء الفنلدية في تل ابيب بان لدى قواتنا اوامر واضحة تنص على عدم التسبب في اشراك اطراف غير محاربة في النزاع الدائر على قناة

السويس. وقوات الجيش الاسرانيلى تخوض حربا لان مصر غير مستعدة للمافظة على وقف اطلاق النار. ان الامريكيين لم يتوقفوا من محاولات التفاوض مع السوفيات حول حل متفق عليه في الشرق الاوسط وبنفس الوقت كانوا منشغلين في الموضرع الذي في إسرائيل. فقد طلب اليوت ريتشارد سون نائب وزير خارجية الولايات المتحدة جوابا واضحا من جانب إسرائيل حول موقفها من اتفاق عدم انتشار الأسلحة الذرية. وهذا المثقف الذي هو من ولاية بوسطن كان مثيرا للاهتمام وكان متشككا دائما ويكثر من الاسئلة. وسجل «فضلا» آخر له: فقد كان من الاوانل الذين اظهروا حساسية خاصة للموضوع الفلسطيني حتى في الايام التي كان فيها هذا الموضوع «نائما» حتى في وزارة الخارجية الامريكية. ولم يكن جوابنا هذه المرة يختلف عن جوابنا التقليدي: ان إسرائيل لن تكون البادئة في ادخال السلاح الذري إلى منطقة الشرق الاوسط. اما بالنسبة لاتفاقية عدم انتشار الاسحة الذرية: فاننا ندرس الموضوع بجدية. ولكننا لا نستطيع في هذه المرحلة ان نلتزم بموعد انهاء هذه الدراسة، وبالنتيجة التي سنتبناها في نهاية دراستنا للموضوع. وفي ٢٩ تموز اتضح بان الامريكيين متصلبون في مجال انضمام إسرائيل إلى اتفاقية عدم انتشار هذا السلاح ولا يميلون إلى الاكتفاء باجوبة تهربية. فقد دعاني نائبا وزيري الدفاع والخارجية الامريكيين إلى الاجتماع بهما واظهرا قدرا كبيرا من حب الاستطلاع. وبالفعل فان الامريكيين هم احيانا من كبار محبى الاستطلاع ولا يترددون عن توجيه الاسئلة. ولكن الوعد الإسرائيلي بان إسرائيل لن تكون البادئة في ادخال السلاح الذري إلى الشرق الاوسط، لم يرضهم فقالا: ماذا يعني القول: لن ندخل السلاح الذري؟ هل ان إسرائيل تمتلك القدرة على انتاج السلاح الذري ولكنها ممتنعة الآن عن منعه؟! لم يكن الموقف الإسرائيلي مريحا لريتشاردسون. فقد عاد وقال لى ان الولايات المتحدة معنية جدا بان توقع إسرائيل على اتفاق عدم الانتشار (N.P.T) فاقترحت الفصل بين المسألتين: التفسير لعبارة ان إسرائيل لن تكون البادئة في ادخال السلاح الذري، وهوضرر توقيع إسرائيل اتفاقية عدم الانتشار. وقلت ان رئيسة الحكومة غولده مئير تنوي زيارة

الولايات المتحدة، وعلى ما يبو في شهر ايلول ١٩٦٩. اننا مشغولون جدا في مشاكل حرب الاستنزاف في قناة السوس. دعنا نؤجل بحث القضايا الأخرى حتى زيارة رئيسة الحكومة التي باشرت منصبها هذا لتوها.

في بداية عام ١٩٦٩ كان بالامكان ان نلاحظ التطور الملموس الذي طرأ على العلاقات بين الولايات المتحدة ومصر. فعلى الرغم من ان العلاقات الدبلوماسية بين الدولتين التي قطعها عبد الناصر في حرب الايام الستة لم تستزنف بعد، فقد عين اشرف غربال مفوضا لمصر في سفارة الهند في واشطن. ومن هنا طرأ تحسن على العلاقات المصرية- الامريكية. وبدأ الحوار ومحاولات التفاوض بينهما. وتدريجيا مالت كفة التأييد الامريكية نحو نقطة التوازن في علاقاتها مع إسرائيل ومصر حتى لبست في آذار ١٩٨٧ بزعامة كارتر طابعا خطيرا من الوقوف ضد إسرائيل والى جانب مطالب الرئيس السادات.

ان الامور لم تصل إلى هذا الحد في الثلث الاخير من عام ١٩١٦ ولكن خلال اجتماعي الشخصي مع جوزيف سيسكو في ١٢ اب استطعت ان الاحظ دلائل مقلقة، قال سيسكو: «اننا قلقون جدا. فموقفنا في الشرق الاوسط. آخذ بالانهيار. وحرب الاستنزاف تعزز المواقف السوفياتية. والوضع مع الاردن هو موضوع دائم لقلقنا. في تلك الفترة تطورت في الادارة الامريكية نظرية «الضامة» اي انه إذا انهارت لعبة واحدة فان دعامات اللعب القادمة ستنهار.

وباختصار: فان الواقع يقلق بال الامريكيين، وطالما لم يتغير هذا الواقع فانه يفرض عليهم حالة من الضعف في اتصالاتهم مع السوفيات. فها هم السوفيات يطالبون نقل محادثات الدولتين من واشنطن إلى موسكو وهو تعبير آخر للشعور بالتفوق من جانب الكرملن. صحيح ان الرئيس نيكسون يعارض بشدة نقل مقر المحادثات، ولكن هل يستطيع الصمود في رفضه على المدى الطويل إذا ما استمرت المواقف الامريكية في الانهيار في الشرق الاوسط؟

في ايلول ١٩٦٩ وصل وزير الخارجية ابا ايبان إلى الولايات المتحدة. وقال لروجرز انه اجتمع مع السفير يارينغ وان السفير ينتظر التوجيهات ويميل إلى تجميد جميع نشاطاته حتى تمكن محادثات الدولتين، أو الدول الاربع من الوصول إلى اتفاق حول مواقف مشتركة.

القيت قنبلة: انكم انتم الامريكيون تكررون القول بأنه يجب الحفاظ على نظام حكم عبد الناصر لانه زعيم مرموق وهو فقط الذي يستطيع ان يدخل تحولا على السياسة العربية سواء نحو إسرائيل أو نحو الولايات المتحدة. انني اعتقد بأنه لن يكون سيئا جدا إذا ما اطيح بعبد الناصر واختفي من الحلبة السياسية. انني مقتنع بان مثل هذا العمل سيكون ضربة قاصمة للسوفيات. فمن يحل محله اما ان يكون مقبولا لدينا ولديكم، واما ان يكون اقل خطرا. فهذا هو الاحتمال الوحيد لتغيير موقف الولايات المتحدة في المنطقة. واستطاع ايبان بصعوبة عدم التعليق على اقوال سفير، المثيرة. كما ان روجرز واثرتون نائب سيسكو سكتا. وخشي اثرتون من ان يفسر سكوت روجرز كموافقة على اقوالى وفي نهاية الاجتماع قال لروجرز انه لم يرد على تقديرات رابين بالنسبة لعبد الناصر. ولكن على الرغم من ان اثرتون كان يقصد ان يأخذ من روجرز ردا يكون رفضا قاطعا للفكرة اكتفي روجرز برد محتل ترك مكانا للتفسيرات: ان حقيقة عدم ردي على اقوال رابين حول هذا الموضوع لا يجب ان تعتبر كتسليم امريكي مع اقواله. ولكن فكرة اسقاط النطام المصري انتشرت بين اوساط مختلفة في الادارة الامريكية واخذ الخبراء يحللون ماذا سيحدث في الشرق الاوسط إذا ما تسبب توسيع العمليات العسكرية الإسرائيلية ردا على تصلب عبد الناصر أو في تقليل هيبته القيادية في نظر بقية الزعماء العرب.

وفي ١٩ ايلول ١٩٦٩ بعثت برسالة إلى القدس قلت فيها: ان الشعور السائد هنا هو ان السوفيات غير مستعدين لتقديم تنازلات، للوصول إلى حل متفق عليه مع الولايات المتحدة حول النزاع في الشرق الاوسط. وقد بحث مجلس الامن القومي الامريكي تأثير الردود العسكرية الإسرائيلية على مصر. ويدرس الامريكيون بجد التأثير المحتمل لاستقرار النظام

الناصري، وتتضح خطوط الفكر التالية: ان استمرار النشاطات العسكرية الإسرائيلية، بما في ذلك العمليات الجوية التي تقوم بها الطائرات الإسرائيلية، من شأنه ان يؤدي إلى نتائج كبيرة. فسيتقوض مركز عبد الناصر وفي اعقاب ذلك سينهار مركز السوفيات في المنطقة. وعلمت من مصادر كثيرة ان عملياتنا العسكرية هي اكبر تشجيع حظيت به الادارة الامريكية في الفترة الاخيرة. ويجب على الانسان ان يكون اعمى، واصم، وغير عاقل تماما لكيلا يشعر بمدى تقدير الادارة للنشاطات العسكرية الإسرائيلية.

ظهرت امكانية واضحة وبارزة وهي ان الادارة الامريكية معنية بدا باستمرار النشاطات العسكرية الإسرائيلية المكثفة من اجل تقويض مركز عبد الناصر. وواصلت حديثي في رسالتي قائلا: ان اوساطا امريكية مختلفة تبحث امكانية قيام إسرائيل بتحطيم الجيش المصري عن طريق قيامها بعملية كبيرة من جانبها. ان الامريكيين غير قلقين من هذه الامكانية. فهذه ليست نية امريكية مبلورة في هذه المرحلة، ولكنني خرجت بانطباع انه في ظروف معينة تتطور في المستقبل، فان الامريكيين سيأخذون هذه الامكانية بعين الاعتبار. ان استعداد الامريكيين لتزويدنا بأسلحة أخرى مشروط أكثر بزيادة النشاطات العسكرية الإسرائيلية ضد مصر وليس بتخفيفها. واعطاء أسلحة لإسرائيل لهذا الغرض يخدم مباشرة المصلحة الامرمكية. ان النظرية السائدة في اوساط مختلفة في إسرائيل و القائلة بأنه يجب علينا ان نبرر نشاطاتنا العسكرية ضد مصر امام الولايات المتحدة هي نطرية خاطئة من الاساس وليس لها قاعدة تعتمد عليها. بل على العكس: ففي اوساط كثيرة هنا تسود خيبة امل من عدم قيام إسرائيل بضرب مصر بصورة أكثر قوة.

لقد علمت بالمخاوف السائدة في إسرائيل من ان النشاطات العسكرية المكثفة ضد مصر قد تضر باحتمالات حصولنا على أسلحة أخرى من الولايات المتحدة من اعلى المصادر: ففي شهر آب ومطلع شهر ايلول ١٩٦٩ زرت إسرائيل للتشاور حتى قبل زيارات وزير الخارجية ابا ايبان ورئيسة الحكومة غولدة مئير لواشنطن. وقد خيم على المباحثات حول حاجة الجيش

الإسرائيلي، وما هي الأسلحة التي سنطلبها من الولايات المتحدة بالاضافة إلى طائرات الفانتوم الخمسين التي ووفق عليها وبدأت طلائعها بالوصول إلى إسرائيل، جو من الخوف من ان الولايات المتحدة قد تطبق يدها في موضوع الأسلحة إذا ما صعدنا النشاطات العسكرية الجريئة ضد مصر. وقد حاولت تفنيد هذه المزاعم. وقلت انه يجب علينا ان نطالب باسلحة أخرى بالاضافة إلى طائرات الفانتوم الخمسين، بما في ذلك دبابات ومدافع وذلك ليس من اجل ان نستخدمها بشكل متواضع ضد مصر وانما على العكس. وبالفعل فقد قدمنا مطالب أخرى للحصول على الأسلحة وتحقق جانب منها.

خلال الزيارة حسم موضوع شخصى لى. ويجدر بى هنا ان اتحدث عنه، لانه يعطينى الفرصة الجيدة لاقول بعض الكلمات عن امرأة كبيرة كنت اقدرها: لقد طلبت منى غولده مئيير رئيسة الحكومة، ان تتحدث معى على انفراد. ففي شهر نوفمبر من ذلك العام، ستجري الانتخابات في إسرائيل، وهي لا تريد مني ان اشترك فيها. ولن اكون مرشحا للكنيست. وبعد الانتخابات، على فرض انها هي التي ستشكل الحكومة، وتتراسها تفكر بتعييني وزيرا للتربية والثقافة. كدت اطير من شدة الفرح. ولم استطع ان اخفي عنها انفعالى. فشكرت غولده. فبالاضافة إلى اغراء الاشتراك في الحكومة، وبدون الاستهانة بهذا التحدي، اثار موضوع الثقافة الحماس في نفسي. انني لم اصب لان اكون رجل ثقافة فنيا، ولكنني كنت اعتقد بان خلفيتي البالماخية والعسكرية اشتملت بمنفومها الواسع، خبرة طويلة في مجال التثقيف على القيم الايجابية، وقد كنت في تلك الفترة، ولم يتغير شيء حتى الآن، مليئا بالادعاءات والاعتراضات، كالقنبلة، على الاخطاء التي ارتكبها جهاز التربية والتعليم بان الولد والشاب الإسرائيلي لا يعرفان اقل قدر ممكن عن السنوات المئة الاخيرة من تاريخ شعبهم وان برنامج التعليم الإسرائيلي خصص ساعات اطول للسيدة ``بمومبادور´´ أكثر مما خصصه للحديث عن الحركات السرية الإسرائيلية: الهاجناه، البالماخ، ايتسل، وليحي. وبصفتي رئيسا للاركان فانني اشعر أكثر بالمرارة للنتائج السلبية لهذا التعليم الذي يعزل

الشاب الإسرائيلي عن الواقع الجميل الذي ساد عهد نهوض الشعب اليهودي في القرن الاخير. وهذا التنكر سينتقم هنا في يوم من الايام.

لقد اسمعت هذه التفكيرات وغيرها إلى غولده مئيير ولم اوفر كلمة شكر واحدة

الا وقلتها لها على اقتراحها الرامي إلى تعييني وزيرا في الحكومة. ولكنني كعادتي قلت انه إذا ما اتضح لها بعد الانتخابات، لسبب من الاسباب. بانها لا تستطيع ان تضمني إلى الحكومة فانني لن اقدم لها ورقة التزامها ولن اطلب منها تسديد هذه الورقة. في ٢٤ ايلول ١٩٦٩ هبطت طائرة غولده مئيير في فيلادلفيا. وقد استمرت هذه الجولة عشرة ايام وكانت مليئة بالنشاطات. في تلك الايام البعيدة لم يتحدثوا في واشنطن عن القضية الفلسطينية. فهذه القضية لم تكن قلب النزاع ولم تكن حجر عثرة في وجه السلام. وقد تحدثوا عن حدود آمنة لإسرائيل وعن ترتيبات امنية. وخلال المحادثات مع الرئيس، ومع وزير الخارجية ووزير الدفاع، والمستشار كيسنجر تحدثت غولده كعادتها بصراحة: لا توجد تسوية بدون مفاوضات بين الاطراف. ويجب على الاتفاق ان ينبثق عن معاهدة سلام ملزمة. وسينفذ الانسحاب الإسرائيلي فقط بعد تحقيق هذا الاتفاق. ويوجد هناك استعداد من جانب إسرائيل لتنفيذ الانسحاب ولكن فقط إلى حدود آمنة ويمكن الدفاع عنها. وفي احد الاجتماعات طلب روجرز ان يعرف إذا كانت إسرائيل لازالت تصر على تطبيق سيادتها على شرم الشيخ، أو انها ستكتفي بموافقة مصرية على تأجيرها هذه المنطقة لمدة ٩٩ سنة على سبيل المثال. فاجابت غولده مئير قائلة: «اذا كان الاقتراح جديا فسنقوم براسته»... ويا لها من مكانة مرموقة كانت في ذلك الوقت لرئيسة حكومة إسرائيل في نظر الحكومة الامريكية!!!:

الفصل الرابع

إتصالات مباشرة مع البيت الأبيض

كان حديث غولده مع الرئيس نيكسون مثيرا، فقد ذكرته بتصريحاته التي أدلى بها عندما زار إسرائيل بعد حرب حزيران حيث قال: لو كنت إسرائيليا، فانني لن أنسحب من هضبة الجولان بأي حال من الاحوال: فابتسم نيكسون وقال: ان الرؤساء الامريكيين لا يندمون لو اتفق على عدم تذكيرهم بالتصريحات التي أدلوا بها في الفترة التي سبقت إنتخابهم للرئاسة، وقال لقد قلت ذلك واكرر القول الان: أنه لو كنت إسرائيليا لوجدت صعوبة في الانسحاب من هضبة الجولان. غولده: يا حبذا لو أرسلناك إلى واجهات أخرى لتدرك مدى الصعوبة وأحيانا عدم إمكانية الانسحاب من هناك لقد أبرز نيكسون احتراما زاندآ لغولده. على الرغم من أنه كان مفلقآ ويوفر المشاعر لنفسه، وكان نيكسون يتبع طريقة ولا يجيد عنها وهي انه لا يتحدث مطلقا عن التفاصيل وإنما عن الامور بشكل عام، ولهذه الطريقة تأثير واضح على اسلوب العمل لدى الادارة الامريكية وعلى طريقة ترجمته الشمول النيكسوني إلى لغة العمل والتفصيل، لقد التزم نيكسون الادب الزائد أثناء الحديث، والتزم بعبارات دقيقة جدا كعادته وكان يجب ان تستمع اليه بتركيز لكيلا تفسر ما يقوله خط وكذلك كان له موقف مبدئي لم يغيره وهو الذي ينادي بإسرائيل قوية.

فماذا تعني كلمة «إسرائيل قوية» حول هذا التفسير كان بامكان الولايات المتحدة واسرانيل ان تكونا مختلفتين في التقدير فطالما ظل رئيسا للولايات المتحدة ويتخذ القرارات فان إسرائيل لن تصل إلى وضع من الضعف العسكري، إذن لم يكن التزام مفصل حول دعم إسرائيل بالامدادات العسكرية أكثر من الكلام المبدئي، وهكذا تعود وزير الدفاع ملفين ليرد- دون الدخول في التفاصيل وقد أجرت غولده محادثات مطوله مع وزير الخارجية روجرز ومع كيسنجر المستشار للامن القومي وقد تخلت ادارة نيكسون عن مطالبتها إسرائيل

بالتوقيع على معاهدة عدم انتشار الأسلحة الذرية وحذف هذا الموضوع من جدول الاعمال، ان إحدى نتائج زيارة رئيسة الحكومة إلى الولايات المتحدة في عام ١٩٦٩ لم تكن مريحة لوزير الخارجية ابا ايبان، بل وكانت سببا رئيسا في تقييم العلاقات بينه وبيني: فقد قال نيكسون ان على رؤساء الدول ان يقيموا بينهم اتصالا مباشرا ومستمرا دون اللجوء إلى وزارات الخارجية كحلقة وصل، وفي اجتماعه مع غولده مئير قال إنه يجب إقامة طرق اتصال مباشرة بينه وبينها لنقل المعلومات، والتقديرات والاقتراحات والمطالب، وفي حديث اخر اشترك فيه الرئيس وغولدة وكيسنجر والجنرال هيج الذي كان انذاك مساعدا لكيسنجر وسمحا دينتس (انذاك رئيسا لمكتب غولده) وأنا نقرر أسلوب الاتصال: يقوم كيسنجر بالتوجه إلى باسم الرئيس وأنا أقوم بنقل اقواله مباشرة إلى دينتس في القدس بطرق اتصال لا تمر في وزارتي خارجية الدولتين وكذلك تفعل غولده مئير في الاتجاه المعاكس: تنقل الخبر عن طريق دينت إلة وأنا أقوم بنقله إلى كيسنجر ليحوله إلى الرئيس، وبناء على طلب من الرئيس رافقت رئيسة الحكومة على طريقة الاتصال هذه وقامت بابلاغ وزير الخارجية ايبان بذلك، فاذا كان هذا تعبير عن عدم الثقة بايبان وكيسنجر فانني لم اكن أنا الذي تسببت فيه، فهذا ليس من واجب السفير ولم أفكر به مطلقا، وعلى اية حال فانه ابتداء من زيارة غولده مئير فصاعدا، كانت تلك هي طريقة الاتصال الرئيسة بين الدولتين حول المواضيع الهامة جدا وبنسبة ما قل دور وزيري الخارجية في النشاطات السياسية.

هناك فكرة أخرى ولدت خلال زيارة غولده مئير هذه فعندما كان الرئيس ورئيسة الحكومة مجتمعين على انفراد كان يجلس في غرفة أخرى مندوبون إسرائيليون وأمريكيون بانتظار دعوتهم للانضمام إلى اجتماع نيكسون وغولده، وهنا سألني روجرز: لقد كنت في رودس خلال المحادثات مع الوفود العربية حول اتفاقيات الهدنة بعد انتهاء حرب ١٩٤٨ فكيف جرت المفاوضات هناك؟ فقلت: جرت المفاوضات بثلاث طرق، جلسات مشتركة للاطراف برئاسة الوسيط الدكتور «بانش» أو مساعده الجنرال رايلى، جلسات مغلقة أكثر بين

رؤساء الوفود برئاسة بانش أو رايلى، والثالث، بما أن الوفود جميعها كانت تقيم في فندق واحد اعتاد الوسيط أن ينتقل من وفد إلى وفد يستمع ويسمع، ويتفاوض وبالاضافة إلى ذلك، فانه بعد سقوط الحواجز بين المشتركين كانت هناك اجتماعات خاصة بين رؤساء الوفود وأعضائها في غرف الوفد الإسرائيلي وغرف الوفود العربية وكانت جميع الامور متشابكة مرة بهذه الصورة، ومرة بصورة أخرى.

فقال لى روجرز: «لقد اجتمعت مع وزير خارجية مصر رياض في الجمعية العمومية للامم المتحدة. وقد سألته أيضا عن كيفية إجراء المفاوضات في رودس ولكنني سمعت منه وهنا يختلف عن وصفك.. وقد كان رياض عضوا في الوفد العسكرى المصري لمحادثات رودس....».

قلت: «أطلب من سؤول الارشيف في وزارتك أن يخرج تقارير الامم المتحدة التي تصف سير المفاوضات في رودس وستدرك بأن وصفي هو الادق».

روجرز: لقد تحدث معي رياض محول أسلوب رودس وقال ان هذا الاسلوب يمكن قبوله.

فبل عودة غولده مئير لإسرائيل همس لها صديق مقرب من البيت الابيض: انكم ستواجهون مشاكل صعبة جدا، فقد قررته الادارة الامريكية التمسك بسياستها التي تطالب إسرائيل بالانسحاب الكامل وعلى الاقل من سيناء، وعليكم العمل بكامل قدرتكم؟ انه لم تكن هناك حاجة لتوجيهنا، فقد عملنا بكامل قوانا. استصرخنا الاصدقا، وأردنا الاقناع، بأن سياسة كهذه، التي ستكون إسرائيل مجبرة برفضها سيكون مكسبها الوحيد هو تعكير صفو العلاقات بين إسرائيل والولايات المتحدة، وبطبيعة الحال إضعاف إسرائيل وتعويض قدرتها في الصمود أمام العرب وحليفهم الاتحاد السوفياتي إلى الخطر.

وفي أواسط شهر تشرين أول قال وزير الخارجية أبا ايبان: إن سيسكو أبلغه بأن الولايات المتحدة تنوي التراجع عن بند رئيس بورقة العمل التي عرضها سيسكو على السوفيات خلال

زيارته لموسكو، وهذا البند هو: ان إسرائيل تلتزم بعدم استبعاد الحدود الدولية كحدود آمنة ومعترف بها، بينها وبين مصر في نطاق التسوية السليمة، وقد - الآن بأن الولايات المتحدة كانت قد وافقت على جعل الحدود الدولية المرتقبة بين مصر وإسرائيل بناء على اتفاق - سوفياتي وفي ١٥ اكتوبر حاول رتشارد سون التخفيف من حدة مخاوفي فقال: اننا لم نقرر هذا الاجراء إننا نرس فقط مثل هذه الامكانية ولم فتحدث بعد حول ذلك مع السوفيات. ولكن.. إنني لست في وضع أستطيع فيه أن أعدك بأننا لن نتخذ قراراً كهذا أو أن لا نقوم بمثل هذا الاجراء.

اعنفدت، وهكذا ابلغت القدس، بأن سيسكو أخذ يستعين مرة أخرى بمناورة امرمكية موجودة كما فعل هو وغيره في مراحل مختلفة، كتجربة رد: انهم يبلغون المندوب الإسرائيلي بما يدور في خلدمم، ويعرضون ذلك كقرار تم اتخاذه فعلا، فاذا كان الرد الإسرائيلي معتدلا ويمكن الاعتقاد بأنها لن تسارع في تجنيد أمدقانها واثارة الضجة في وسائل الاعلام فان ذلك يعد «ضوءا أخضر» للسياسة الامريكية لتبنى هذه الفكرة وتحويلها إلى خط موجه في الاتصالات مع إسرائيل، والاتحاد السوفياتي، والعرب، هذا التطور عزز الافتراض الذي كنت أتمسك به كليلة الوقت، وقد حاولت مرارا وتكرارا منح هذا الشعور لمتخذي القرارات في القدس: انه توجد علاقة قومة بين حرب الاستنزاف التي تعطي الاتحاد السوفياتي مكاسب سياسية بارزة، وبين الصمود لدى الولايات المتحدة، وبدون تغيير أساسي للوضع العسكري فانه سيستمر التاكل في الموقف الامريكي وستخضع الولايات المتحدة للضغوط السوفياتية العربية ولهذا فانه من الافضل أن نضع حدا لخسائرها مثلما يقول السياسيون الامريكيون.

وفي ٢٥ اكتوبر، اقترحت في برقية ارسلتها إلى القدس تطوير نشاطات عسكرية جادة لتغيير الوضع بل وواقع حرب الاستنزاف، وزعمت بأنه لا يمكن احراز ذلك فقط بواسطة ضرب القوات المصرية على طول القناة، واقترحت بأن تتغلغل طائرات سلاح الجو إلى عمق مصر وضرب الاهداف العسكرية هناك، وهكذا فقد يحتمل تحقيق الهدف السياسي: إرغام

مصر على العودة إلى اتفاق وقف إطلاق النار، وهذا الامر لن يتحقق بدون الحاق الضرر بمكانة عبدالناصر ونظامه، وليس الادعاءات السياسية ستضع حدا للتراجع بالموقف الامريكي في الشرق الاوسط، وبطبيعة الحال سيوقف التراجع في الموقف الامريكي خلال اتصالاتها مع الاتحاد السوفياتى.

ولكنهم في إسرائيل اعتقدوا بأن الامر قد التبس علي. فانني لم لحن في يوم من الايام «صقرآ» وفجأة أطالب بقصف أهداف في عمق الاراضي المصرية، انه لم تكن هنا أية مسألة «صقرية». فقد رأيت أن تقوض حرب الاستنزاف السياسة الامريكية وقلقت، وكانت هناك ضرورة حتمية عاجلة لضرب مصر بشدة لانقاذ إسرائيل من المخزى الخطير للتراجع في الموقف الامريكي.

لم أتلق من القدس جوابا مغزى.

وفي ٣١ اكتوبر أبلغنى ريتشارد سون أن الامريكيين أعلنوا في اتصالاتهم مع السوفيات انهم لا يرون ضرورة لوضع وثيقة أخرى أكثر من المواقف الامريكية السابقة، وقال انهم يستوضحون صيغة بهوجبها يمكن عقد اجتماع بين المندوبين المصريين والإسرائيليين على غرار اجتماع رودس من اجل تحقيق الالتزامات المتبادلة للسلام ووضع ترتيبات عملية لضمان الامن التي يتفاوض عليها الاطراف.

عدت وقلت انه إذا قررت الولايات المتحدة ان الحدود الدولية هي الحدود الآمنة والمعترف بها بين إسرائيل ومصر فانه لا فائدة من المفاوضات بين الدولتين وزعمت بأن الولايات المتحدة تنحرف بصورة خطيرة عن موقفها السابق الذي لم يفسر مطلقا قرار ٢٤٢ بأنه يلزم إسرائيل بالانسحاب الشامل من المناطق المحتلة التي احتلت عام ١٩٦٧، فاذا اصبحت الولايات المتحدة تفسر الآن القرار بصورة كهذه فانها تنضم بذلك إلى التفسير العربي السوفياتي وعلى هذا الاساس فانه لا فاندة من اشتراك إسرائيل في (محادثات رودس)

مع مصر وتجد نفسها معزولة أمام جبهة واحدة مكونة من الولايات المتحدة، والاتحاد السوفياتي ومصر.

كان ريتشارد سون يعيش في حالة نفسية كئيبة، فقد تحدث عن عملية فقدان المواقف الامريكية في الشرق الاوسط، ولا يوجد أمام الولايات المتحدة مبرر سوى أن تعرض على الاتحاد السوفياتي تنازلا اخر بصدد الحدود الدولية مع مصر وقال ريتشارد إن هذا سيكون التنازل الاخير في مجال محادثات الدولتين وإذا تبنى الاتحاد السوفياتي بقية البنود مثلما اقترحها سيسكو في تموز ١٩٦٩ ووافق على جمع الطرفين للمحادثات على غرار رودس فانه سيتم التوصل إلى اتفاق بين الاتحاد السوفياتي والولايات المتحدة على سياسة مشتركة نحو الشرق الاوسط.

وقلت في تقدير للوضع ارسلته إلى القدس انني لست مقتنعآ بأن هذا هو الوقف الامريكي الاخير وأنه لن تكون تنازلات أخرى من جانب الولايات المتحدة انني سأكون أكثر هدوءا لو أنني علمت بأن هذا هو فعلا التنازل الامريكي الاخير- على فرض ان السوفيات سيرفضون الاقتراح بكامله ومع هذا يجب علينا ان نتذكر ءن مفتاح الموقف الامريكي كان ولا زال الوضع في الشرق الاوسط: فاذا تسببت حرب الاستنزاف بانهيار مواقف أخرى للولايات المتحدة في العالم العربي وتواصل دعم الموقف السوفياتي فانه يتوجب علينا أن نتوقع تآكلاً اخر في الموقف الامريكي وفي هذا الوضع لم يكن هناك أي معنى للغضب على ريتشارد سون الذي لم يتحدث لى في اجتماعنا يوم ٣١ اكتوبر، بأن الولايات المتحدة قد سلمت قبل ذلك بيومين للاتحاد السوفياتي والعرب ما سمي (بمشروع روجرز) الذي اعتمد على «صيغة راسك» اي: انسحاب إسرائيل حتى الحدود الدولية واعتبارها حودا آمنة ومعترفا بها بين إسرائيل ومصر.

وفي ١٧ تشرين ثان نقلت إلى الرئيس نيكسون، بواسطة الدكتور كيسنجر رد رئيسة الحكومة غولده مئير: ان رئيسة الحكومة ترى بالخطورة الامريكية خطأ جسيما ومساسا صعبا

بأحد المبادىء الاساسية للسياسة الإسرائيلية القائل بأنه يجب ترك موضوع الحدود الآمنة والمعترف بها للمفاوضات بين أطراف النزاع، وعندما تقرر الولايات المتحدة اين تكون الحدود فانها تقضي على إمكانية إجراء الفاوضات.

وقلت لكيسنجر إن رئيسة الحكومة تتتبع بقلق زائد التراجع في المواقف الامريكية فاذا كانت الحدود الدولية هي الحدود الآمنة المعترف بها بين إسرائيل ومصر، كما تقول الولايات المتحدة فانه لا يمكن أن تشترك إسرائيل في مفاوضات على غرار رودس، اننا لا نعتقد بأن الولايات المتحدة اتخذت هذا الموقف بناء على قرار من وزارة الخارجية وبدون موافقة الرئيس، ولهذا فانني اطلب من كيسنجر أن ينقل إلى الرئيس معارضة رئيسة الحكومة الشديدة لهذه الخطوة الامريكية وطلبت من الدكتور كيسنجر ان يستوضح ماذا حدث بالنسبة لموضوع الأسلحة وبعد المحادثات حول هذه المواضيع بين الرئيس وغولده مئير قام العميد يريف بزيارة للولايات المتحدة وقمت بتنطيم اجتماع له مع ريتشارد سون ومع عدد آخر من كبار الموظفين في وزارتي الخارجية والدفاع الامريكيتين، لدعم مطالبنا للأسلحة بناء على نسب القوى في الشرق الاوسط، استمع ريتشارد سون ورد باختصار: نعم طرأ تأخير على موضوح الأسلحة، وآمل أنه بعد بضعة أسابيع سنصل إلى اتفاقيات نهائية ومن الممكن تقيم هذه الاتفاقيات إلى الرئيس ليصادق عليها.

وأخيرا؟ إن الولايات المتحدة لم تعترف مطلقا بصراحة بأنه توجد علاقة بين الاستجابة لمطالبنا العسكرية وبين الانصياع الإسرائيلى للمطالب السياسية الامريكية والصيغ ملونة في هذا المجال: «تأخير» «تقدير» «ندرس الموضوع» ومثل هذه الطرق التهربيه، لم نضطر إلى الانتظار وقتا طويلأ حتى كشفت السياسة الامريكية وبكامل حجم أخطارها واساءتها لنا: ففي التاسع من كانون الاول ١٩٦٩ ألقى وزير الخارجية الامريكية وليام روجرز خطابا أمام «لجنة تعليم الكبار» في وزارة الخارجية كشف فيه جوانب كبيرة من مشروع روجرز: ان الحدود الدولية هي الحدود المعترف بها والآمنة بين إسرائيل ومصر، ويتفق على وضع رسمي

من السلام دون تحديد نوع العلاقات بين الـدولتين الناجمـة عـن هـذا الوضـع تجـري إسرائيـل ومصر محادثات رودس (قال ذلك ولم يفسر ما هو هذا الموضوع أو إذا كانت الولايات المتحـدة تقبل بالتفسير المصري أو الإسرائيلي) وذلك حول مسـتقبل قطـاع غـزة وترتيبـات الامـن في شرم الشيخ وإيجاد مناطق مجردة من السلاح وطلب منا ان لا نتيه في خداع الـنغس وأن نطـن بـأن قطاع غزة سيظل في ايدينا، وتوجد في هذه المنطقة ثلاثة احتمالات: إدارة دولية، وصورة معينـة مـن الادارة الذاتيـة أو الانضـمام إلى الاردن، ويتفـق عـلى ذلـك خـلال مفاوضـات بـين إسرائيـل والاردن عندما يحين دوره.

لقد صدقت غولده مئير عندما وصـفت هـذا الشروع بأنـه كارثـة لإسرائيـل بـل وصـدقت عنـدما قالـت إن أيـة حكومـة إسرائيليـة تقبـل بهـذا الشروع وتعمـل بموجبـه سـتكون خائنـة لإسرائيل.

إنني لا أستطيع أن أؤكد ذلك، ولكنني اعتقدت آنذاك وأنا أؤمن بذلك حتى اليوم أنـه لـو عجلت إسرائيل في تغيير الواقع السياسي لحرب الاستنزاف بواسطة قصف العمـق المصري لكـان التراجع في الموقف الامريكي قد توقف ولما كان روجرز قد انزل بنا ضربة مشروعة في التاسع من كانون أول، ولكن إسرائيل تأخرت فمنذ زيارة غولده لواشنطن في مطلـع اكتـوبر ١٩٦٩ ازدادت الرغبة في وقف التآكل الذي يصيب مواقفها انني لم اعمل في فراغ، وطورت مجال مناورة واسعا بين وزارة الخارجية والبيت الابيض، وقد اعتقدت انذاك بأن وزارة الخارجية ص صـاحبة النفـوذ الاكبر في مجال شؤون الشرق الاوسط، وقد تحفظـت اوسـاط في البيـت الابـيض وخاصـة رجـال مجلس الامن القومي بشدة من الخط الذي تتبعه وزارة الخارجية وقد اجريت مفاوضـات مـع المسؤولين في البيت الابيض، ووزارة الخارجية ولم احاول في ذلك الوقت ان ابلغ كل واحـد مـنهم بالمحادثات التي اجريتها مع الاخر، وصرت اسمع مرارا وتكرارا من المسؤولين في وزارة الخارجية ان تضامن الولايات المتحدة مع إسرائيل يسبب في فقدانها مراكز في العالم العربي والتي تعتبرهـا هامة جدا.

حاولت مرارا وتكرارا تفنيد هذا الافتراض الخطير ولكنني اعلم انه طالما لم تعمل إسرائيل بجد ونشاط لتغيير الواقع العسكري لحرب الاستنزاف فان احتمالاتها ستقل باستمرار وطالما إسرائيل تكتفي باستخدام سلاح الجو كمدفعية طائرة مدفها معادلة الفجوة الكبيرة في عدد سبطانات المدافع المنصوبة على جانبي القناة فانه يتقوى لدى الامريكيين الاعتقاد الصعب القائل بأن التضامن مع إسرائيل هو ضرر على الولايات المتحدة، فماذا بقي امام إسرائيل ان تعمله بعد خطاب روجرز في التاسع من كانون اول؟ ان تحتج وقد احتجت عن طريق بيان رسمي اصدرته في العاشر من كانون اول ومرة أخرى احتد وزير الخارجية ابا ايبان في اجتماع عقده مع روجز في السادس عشر من كانون اول وكان الجو في هذا الاجتماع متوترا حيث ان سيسكو اخذ يوجه الينا العبارات الجارحة: انكم تقولون ان الولايات المتحدة غيرت سياستنا؟: وبقيت الولايات المتحدة مخلصة لسياستها ففي الماضي القريب كانت سياستكم تشابه السياسة الامريكية في ١٩ حزيران ١٩٦٧ اي بعد حرب حزيران بعدة ايام اتخذت حكومتكم قرارا بصدد اعادة جميع سيناء لمصر واعتبار الحدود الدولية كحود آمنة ومعترف بها بين الدولتين، ان حقيقة تراجعكم عن هذا القرار وسعيكم لتغيير السيادة بالنسبة للحدود الدولية وتصبون إلى الاحتفاظ بشرم الشيخ وبشريط ارض بري من هناك حتى ايلات يبرهن انكم انتم وليس نحن الذين غيرنا سياستنا. وهذا التغيير لا يلزم الولايات المتحدة التي ظلت مخلصة لسياستها ويجب عليكم ان لا تتوقعوا ان تكونوا انتم الذين تقررون ادخال تغييرات وتتاقلم الولايات المتحدة مع سياستكم.

واضاف: انه بكل الاتصالات مع السوفيات حاولنا مساعدتكم وتمسكنا بالمبادئ الهامة لكم: هي ان قرار ٢٤٢ غير مطبق بحد ذاته ويجب على الاطراف اجراء مفاوضات باشراف يارينغ، ونتائج المحادثات يجب ان تؤدي إلى تحقيق معاهدة بين الاطراف يلتزم بها كل طرف نحو الاخر بالغاء حالة الحرب واقامة وضع سلام رسمى.

وقد جندنا كل تبرير ممكن لنبرهن بأن السلام الحقيقي لـن يحـل بهـذه الطريقـة: انـه لا يوجد هنا تحديد للعلاقات السلمية ولا توجد حدود مفتوحة ولا علاقات دبلوماسية ولا توجـد حركة اشخاص ولكن سيسكو ظل مصرا على رأيه: هذا السلام الذي يمكن تحقيقه الان.

وحتى المسالة الاردنية ورد ذكرها في هذا الاجتماع وقال روجرز انه لم يتخذ بعد قرار من قبـل الادارة الامريكية حول ما إذا يجب معالجة القضية الاردنية الآن ولكن مـن المؤكـد انـه يجـري شيء بهذا الصدد في اطار المبادئ التي توجهنا في موضوع مصر، في إطار مبادىء الانسحاب الشامل؟ حتى في الجبهة الحساسة جدا بالنسبة لنا والتى تبعد بضع كيلو مترات عن المراكز السكانية والصناعية في إسرائيل؟ وهل وصل التآكل في الموقف الامريكي إلى هذا الحد.

وأظهر سيسكو اصرارا في موقفه: لقد كان موقفنا دائما بأن التغييرات على الحدود بالمقارنة مـع حدود ما قبل حرب حزيران لن تكون ذات مغزى وستبنى على تقديرات امنية فقط.

وفي غداة اليوم التالي في ١٧ كانون اول، وخـلال حـديث مـع الـدكتور كيسـنجر عـاد وزيـر الخارجية ابا ايبان فقال: ان الطريق لا تؤدي إلى السلام، الا إلى توجيه ضربـة صـعبة في الموقـف الإسرائيلي.

وتحدث هنري كيسنجر بلغة حنره، واصر عـلى عـدم الالتـزام بـاي موقـف فقـال: منـذ ان جئت إلى الادارة الامريكية في مطلع ١٩٦٩ يسود هنـاك جـو مـن عـدم الـوضح حـول موقـف إسرائيل من موضوع الحدود فما الذي تريدونه بالضبط سلام مع مصر ام التوسع في الارض؟

ايبان: لم يكن هناك مكان لعدم الوضوح لقد شرحنا للادارة الامريكية موقفنا،

فلن نستطيع ان نوافق على اي حل لا يشمل وجـودا إسرائيليـا في شرم الشـيخ مـع ايجـاد شريط بري إلى هذه المنطقة ويجب ان تظل هضبة الجولان في ايدينا والقـدس سـتظل موحـدة والخط الدفاعي الشرقي لإسرائيل هو نهر الاردن.

كيسنجر: سأنقل إلى الرئيس اقوال وزير الخارجية ايبان، ومـن المحتمـل ان يكـون موقـف الولايات المتحدة يختلف في نقاط معينة عن الوقف الإسرائيلي ولكن يجـب عـلى ان اؤكـد مـن جيد بان الرغبة الطيبة التي ابداها الرئيس في محادثاته الاخـيرة مـع رئيسـة الحكومـة مئـير مـا زالت قائمة، إن الولايات المتحدة تريد بجـد وصـدق ان تـدعم أمـن إسرائيـل، وحجـم طلبـاتكم للأسلحة كبير وندرس بشكل عاجل طلباتكم ومتطلباتكم والـرئيس يعـود ويؤكـد بأنـه سـيدرس هذه الطلبات بصورة مؤيدة.

الفصل الخامس

كفاح ضد حل مفروض

في غداة الاجتماع مع الدكتور كيسنجر استدعاني ريتشارد سون للاجتماع به وعرض امـامي حقيقة واقعة: ففي ذلك اليوم، بـدون أن تتشـاور معنـا، وبـدون ان تسـتمع إلى ردنـا، وضـعت الولايات المتحدة عـلى مائـدة مباحثـات الـدول الاربـع (الولايـات المتحـدة، الاتحـاد السـوفياتي، وانكلترا، وفرنسا) وثيقة مفصلة لحل النزاع بين إسرائيل والاردن.

اسودت الدنيا في عيني، فقد كانت هذه الوثيقة تشبه في فحواهـا الاقتراحـات التـي عـرض الامريكيون على السوفيات في ٢٨ تشرين اول ١٩٦٩ لحل النزاع بين الجمهورية العربية المتحدة وإسرائيل.

يجب دعوة إسرائيل والاردن لاجراء محادثات بـاشراف يـارينغ، ويجـب عـلى الحـدود بـين الدولتين ان تتمشى أكثر أو اقل مع خطوط الهدنة لعـام ١٩٤٩، ومـن الممكـن ادخـال تغيـيرات على هذه الحدود ولكن بموافقة الطرفين للاغراض الامنية ولاسباب اداريـة واقتصـادية، ويبحـث الطرفان مصير القدس على فرض ان تظل موحدة من الناحية البلدية.

لا توجد، لا سمح اللـه، نغمة اعتذار بصوت ريتشارد سـون. نعـم، انـه يفهـم ان إسرائيـل تفضل بأن لا تقوم الولايات المتحدة بمثـل هـذه الخطـوة، وتتوقـع الولايـات المتحـدة ان تظهـر إسرائيل تفهما للتقديرات الامريكية وكانت البدائل المحتملة اقـل سـهولة مـن ناحيـة الولايـات المتحدة وهذا الاقتراح يضمن مبدأ المفاوضات، ومبدأ السلام عن طريق التزامات متبادلة ولكـن هل أن هذا المشروع سيضر بقدرة إسرائيل على المساومة خلال المفاوضات؟ وقال انـني لا افهـم لماذا تدعون ذلك بالنسبة لمصر وبالنسبة للاردن ايضا؟

واضاف ريتشارد سون يقول: انه ومنذ حرب حزيران يسـود وضـع مـن عـدم الاتفـاق بـين الولايات المتحدة وإسرائيل، اننا نتحدث عن تغييرات محتملة معدودة ومتعلقـة عـلى الحـدود.

بالمقارنة مع خطوط ماقبل حزيران ١٩٦٧، واما انتم الذين وافقتم على ذلك بعد الحـرب، فقـد غيرتم موقفكم.

كما هو مفهوم كانت هناك ضرورة لايقاف ريتشارد سون عند الخطأ الـذي وقـع فيـه. ان إسرائيل لم توافق في اي قرار اتخذته على الانسحاب من الضفة الغربية. وقـرار الحكومـة الـذي اتخذته يوم ١٩ حزيران ١٩٦٧ تحدث عن سيناء وهضبة الجولان وهناك ايضا اشترط الانسحاب إلى الحدود الدولية بترتيبات امن ترضي إسرائيل.

لقد بذل ريتشارد سون جهدا كبيرا لابراز الجانب الايجابي في اقتراح الولايات المتحدة وهنـا فاننـا بالنسـبة لموضـوع القـدس اعترفنـا بضرورة بقـاء المدينـة موحـدة وابقينـا امـامكم مجـالا للمناورة. لقد اثارتني هذه الاقوال فقلت «ان محادثات دولية مفصلة من هـذا النـوع تسـعون لتحقيقها وتسلب إسرائيل كل امكانية المساومة حول مائدة المفاوضات. فهذا حل مفروض مـن قبل الدول العظمى وكنتم قد التزمتم بعدم فرض الحل علينا».

ريتشارد سون. كلا. ليس هذا حلا مفروضـا، تكـون هنـاك مفاوضـات بـين إسرائيـل ومصر، وبين إسرائيل والاردن، لقد ابقينا لكـم مجـال منـاورة. إنكـم تقولـون إن قـرار ٢٤٢ هـو قاعـدة للمفاوضـات وتريـدون جمـع الاطـراف للتفـاوض عـلى هـذا الاسـاس، ولكـن السـفير يـارينغ لا يستطيع التقدم على اساس هذا القرار، فقد توجه إلى الدول الاربع وقال انه اصطدم بتفسيرات بعيدة عن بعضها البعض بالنسبة لاوامر القرار وانه لا يستطيع التجسـير عـلى الفجـوات بـدون توجيه من الدول العظمى التي يجب عليها ان تعطيه تفسيرا رسميا لهـذا القـرار. ان قـرار ٢٤٢ هو قرار لمجلس الامن وياربنغ يصدق عندما يطلب تفسيرا رسميا من الدول الاربـع التـي هـي الدول الاعضاء الدائمة في مجلس الامن.

ويبدو انني أنا وريتشارد سون قد اكملنا مزاعمنا حـول هـذا الموضـوع، هـو بالنيابـة عـن حكومته، وأنا بالنيابة عن حكـومتي، ولكـن مـا زال يضـايقني تصرف الامـريكيين الـذي ينطـوي

على دلائل للتآكل المستمر في موقفهم. فقلت: بالاضافة إلى الموضوع الجوهريه كيف أشرح لحكومتي انه قبل تقديمكم الوثيقة للدول الاربع تحدث وزير خارجيتنا ابا ايبان مع وزير خارجيتكم روجرز ولم يبلغ ايبان بفحوى هذه الوثيقة؟ وقبل عرضكم الوثيقة بيوم واحد قال كيسنجر لابا ايبان ان الرئيس ارتاح لمعارضتنا لقيام الولايات المتحدة بتقديم وثيقة مفصلة بشأن الاردن الآن، انني في اطار العلاقات بيننا وبين الولايات المتحدة لا استطيع ان افهم هذا ولا استطيع ان اشرح ذلك لحكومتي.

وقال ريتشارد سون: في اعقاب الحديث مع ابا ايبان ادخلنا بضعة تغييرات على الوثيقة بالمقارنة مع ما كنا نريد تقديمه قبل ذلك.

لقد بحثت بدقة عن تغييرات وفوارق بين «الوثيقة المصرية» و «الوثيقة الاردنية» التي قدمتها الولايات المتحدة لمحادثات الدولتين، ولمحادثات الدول الاربع، وعندما كنت في حالة نفسية صعبة ابرقت إلى القدس: انني اقترح عدم الدخول في محادثات مفصلة مع الولايات المتحدة حول الوثائق التي قدمت لمحادثات الدولتين (بصدد مصر) ولمحادثات الدول الاربع (بصدد الاردن) وانما االاكتفاء برسالة قصيرة من قبل رئيسة الحكومة غولده مئير إلى الرئيس تعرب فيها مئير عن استغرابها للخطوات الاخيرة وتقول، اننا نرى في هذه الخطوات انعرافا عما قاله الرئيس لها، خلال زيارتها للولايات المتحدة، كما يجب القول بأن إسرائيل ترفض الوثيقتين.

اقترحت القيام بحملة اعلامية واسعة بين اصدقاء إسرائيل والولايات المتحدة في الطائفة اليهودية وخارجها بما في ذلك مجلسا النواب، ويجب على ردها ان يكون علنيا، وقاطعا اذ لا يمكن تجنيد الرأي العام في الولايات المتحدة ضد النوايا السلبية للحكومة الامريكية وتوقع اي عمل من جانب اصدقاء إسرائيل إذا كان الرد الإسرائيلي متصالحا وتضطر السفارة إلى اتباع نغمات معتدلة.

وفي النهاية طلبت البحث واتخاذ قرار حول ما إذا توجد جدوى من دعوتي إلى البلاد للتشاور- كتعبير عن استياء إسرائيل من الخطوات الامريكية وقد جاء الرد من القدس اسرع

مما انتطرت: «تعال فورا إلى إسرائيل». غادرت في ٢٠ كانون اول وفي ٢٢ منه اشركت في جلسة الحكومة.

ان هذه الحكومة ما زالت «حكومة الائتلاف الوطنى» باشتراك ممثلي حزب الاحرار المستقلين «جاحال» وكان الجو صعباً، ولم يحاول اي شخص التخفيف من حدة الامور. ولم يحاول أي شخص التخفيف من المغزى الصعب للمواقف الامريكية. اما أنا فقلت: ان المشروع يسمى فعلا باسم روجرز ولكن من الافضل ان لا يخدع اي شخص: ان هذا المشروع هو سياسة الولايات المتحدة التي يوافق عليها الرئيس، والحسنة الوحيدة هي ان الرئيس لم يعط دعما علنيا لهذا المشروع بعد، فلو فعل ذلك لكانت ضائقتنا اكبر، انه من الصعب، بل من غير الممكن على الرئيس الامريكي التراجع عن تأييده للمشروع بعد ان يقف إلى جانبه علنا فما زال امامنا مجال مناورة.

وقد نشرت الحكومة بيانا شديد اللهجة رفضت فيه مشروع روجرز رفضا قاطعا.

بعد اجتماعات أخرى من اجل تنسيق طرق الكفاح، عدت إلى الولايات المتحدة في السادس والعشرين من كانون اول وبدأته بعملة شديدة ضد مشروع روجرز، وأنا احمل معي رسالة شخصية من غولده مئير إلى الرئيس نيكسون طلبت بعد عودتي عقد اجتماع عاجل مع الدكتور كيسنجر، وقد استمع كيسنجر للكلمات الشديدة: ان غولده مئير قد فوجئت انها ما زالت تؤمن بان نيكسون هو صديق لإسرائيل وهكذا خرجت بانطباع خلال محادثاتها معه، ولكنها لا تفهم كيف تتمشى هذه الصداقة مع المواقف التي اتخذتها مؤخراً الولايات المتحدة والتي اجملت في الوثيقتين بصدد الاردن ومصر.

وقد حللت رئيسة الحكومة المغزى السلبي الذي تنطوي عليه الوثيقتان وربط ايدي إسرائيل، ومنع المفاوضات بين الاطراف والخطر الذي ينطوي على وقوف الولايات المتحدة إلى جانب التفسير السوفياتيه العربي لقرار ٢٤٢ الذي يطالب إسرائيل بالانسحاب إلى

الحدود التي كانت قبل حرب حزيران، ولا يعطيها السلام الحقيقي مقابل، ذلك، ولكن كيسنجر لم يبد مفاجأة، ولم يتأثر وقد طلب مني توضيحا قال فيه: ماذا تغير بالنسبة لتحديد طابع السلام منذ زيارة رئيس الحكومة؟ وهل تحدثنا مع غولده مئير عن سلام يختلف عن السلام الذي عبرنا عنه في الوثيقتين اللتين قدمناهما إلى محادثات الدولتين، والدول الاربع؟

وعدت وشرحت مرارا وتكرارا: دائما كانت هناك اختلافات بيننا وبينكم حول ماهية السلام ولكن عندما تقدمون وثائق كهذه كتوجيه ليارنغ وكتفسير منكم لقرار٢٤٢، فانكم تقيدون حرية مناورتنا وتضرون بشدة باحتمالات مساومتنا مع العرب، فأية قيمة لمطالبتنا بالحصول على سلام حتيقي مقابل التنازل عن مناطق، عندما تقترحون اعادة جميع المناطق بدون سلام حقيقي؟ ولماذا يوافق العرب على اعطائنا أكثر مما توصون به في وثائقكم؟ والاكثر من ذلك: ان الوثيقتين لا تشملان اي تعبير عن ضرورة التوقيع على اتفاق سلام مكتوب ومتبادل وملزم، انكم تتحدثون عن توقيع مشترك على وثيقة توضع بايدي الامم المتحدة، وهذه صياغة غامضة وغير ملزمة. وبهذه الطريقة لا يمكن تحقيق سلام حقيقي. وحتى في اتفاقيات الهدنة لعام ١٩٤٩ توجد صيغ أكثر ملزمة بالنسبة لمسؤوليات كل دولة تمنع ان تنفذ من اراضيها اعمال ضد مواطني الدولة الأخرى.

لم يناقض كيسنجر ادعاءاتي ولم يفند مضمونها، فقال: ان الوثائق الامريكية الاخيرة تتناسب والخطر المبدئي الذي وجه ايضا للادارة الامريكية السابقة برئاسة جونسون. ان النقاط السبع التي عرضها دين راسك ابان حكم جونسون كانت اسوأ بكثير من الموقف الامريكي الذي برز في الوثيقتين الاخيرتين.

قاطعت كيسنجر قائلا: انني اعتقدت بان النقاط السبع قد رفضت من قبل المصريين ولهذا فائها لم تعد قائمة... وطلبت من كيسنجر ان ينقل إلى الرئيس رسالة رئيسة الحكومة غولده مئير، وقد اشترك معنا في هذا الاجتماع هارولد سوندرز وطلبت من كيسنجر ان نظل

وحدنا، فخرج سوندرز. وابتسم كيسنجر: قائلا حسنا فعلت. انه بالنسبة لى ليس من السهل ان اطلب ان نظل وحدنا... فقلت لكيسنجر: ساتحدث معك بصراحة وصدق كاملين، انتم تخطئون لانكم تنقلون بحث التسوية الشاملة من الاطراف المشتركة بالنزاع، إلى الدول العظمى. انكم تشجعون الحل المفروض. وإسرائيل لا تستطيع قبول ذلك وستكافح ضد هذا الحل بكل قواها. سوف اعمل بنفسي كل شي، لاخلق رايا عاما يعارض الخطوات الامريكية!

ولم يرتح كيسنجر لهذه الاقوال فاجاب: انني لا اعرف كيف ستتطور الامور. ان ما تم عمله لا يمكن رده. والوثائق تلزم الادارة الامريكية كلها. وانني اطلب منك ان لا تمسوا بالرئيس باي حال من الاحوال. ولا تضروا به:. ان الرئيس لم يتحدث بعد عن موضوع الوثانق. والحاق الضرر بالرئيس يعني المجابهة مع الولايات المتحدة. وهذا اخر شيء يجب على إسرائيل عمله. وكل ضرر بالرئيس سيلحق الضرر بإسرائيل صحيح ان الرئيس وافق على المشروع ومنح روجرز يدا حرة ولكن طالما لم يلتزم علنا فان بامكانكم العمل. اما كيف تعملون فهذا شأنكم وما تقولونه عن روجرز وضده فهذا متروك لكم. ولكنني اعود وأؤكد لك: بأنه يجب عليكم ان لا تضروا بالرئيس!

عندما كنت استعد لمصافحة كيسنجر مودعا اياه قال لى: ان الرئيس يريد مصافحتك. فهل تدخل اليه لبضع دقانق؟ انه من المفاجئ جدا ومن غير المتوقع ان يقابل السفير، الرئيس بدون خبر مسبق وبدون ان يطلب عقد اجتماع اجتزنا الشارع ووصلنا إلى الغرفة التي تعود نيكسون على الاعتزال بها، بعيدا عن مكتبه العادي، وذلك عندما كان يعد خطابات هامة أو من اجل التفكير والدراسة. وكان وزير الدفاع ملفين ليرد في معية الرئيس، وكانا يتحدثان واقفين.

اشرق وجه الرئيس، ورحب بي وهنأني بمناسبة حلول السنة الشرقية الجيدة ورددت عليه بالمثل، وبدون مقدمات قال الرئيس: انني ادرك بأن هذه فترة صعبة بالنسبة اليكم. انها

فترة صعبة لنا الجميع انني ادرك ايضا بأنه من حـق حكومـة إسرائيـل ان تعـبر عـن مشـاعرها ومواقفها، وانظر إلى ذلك بتفهم عميق.

ونظر إلى الدكتور كيسنجر فقال: اين وصلت معالجة طلبات إسرائيل للأسلحة والمعـدات؟ كيسنجر: اننا في ذروة عملية دراسة متطلبات إسرائيل الرئيسـة: لقـد وعـدت بالاسـتجابة لـيس فقط للمتطلبات الامنية لإسرائيل وانما ايضا لمتطلباتها الاقتصادية. كيسنجر: الدراسة تجمـع بـين الموضوعين. عاد نيكسون ونظر إلى قائلا: انني افهم جيـدا الضـائقة التـي تعـانون منهـا ومغـزى كفاحكم. واعرف المصاعب التي تواجه حربكم ضد اعمال الارهاب التي تنفذ ضدكم، وأنا يقـظ بشكل خاص لمتطلباتكم الامنية ففي كل موضوع تعاظم وتسلح لجيشـكم، لا تـترددو في التوجـه إلى ليرد أو إلى كيسنجر وبالذات توجه إلى كيسنجر...

لم افهـم معنـى هـذا الحـديث الا عـن طريـق التخمـين: فهـل اراد كيسـنجر ان يوضـح لى ولحكومة إسرائيل بواسطتي انه يوجد فرق بين سياسة الرئيس نحو إسرائيل وبـين سياسـة وزارة الخارجية؟ وهل اراد كيسنجر ان يعم ويؤكد نصيحته، بأن لا نضر بالرئيس في حملتنا الاعلاميـة، ولهذا السبب خطط للاجتماع مع نيكسون؟ هـذا الاجـتماع الغريـب لم يـدم أكـثر مـن سـبع أو عشر دقائق، وكان الرئيس يتمتع بروح عالية وودعنا بعضنا البعض.

وفي ذلك اليوم اتضح ثانية انه احيانا تهب لمساعدتنا الدولة العظمى الاقـل صـداقة وهـي الاتحـاد السـوفياتي، في حـين ان الولايـات المتحـدة مسـتعدة للتصـالح والتسـاهل عـلى حسـاب المصالح الحيوية لإسرائيل: فقد سلم اناتولى دوبرنين السفير السوفياتي في واشنطن إلى روجرز رد بلاد، على الوثيقة الامريكية المؤرخة في ٢ تشرين اول وكـان هـذا الـرد هـو بمثابـة رفـض قـاطع للافكار الامريكية، لا توجد حاجة لعقد اجتماع بـين الاطـراف ولا توجـد صـيغة اسـمها «صـيغة رودس». ويجب على يارينغ ان ينفذ قرار مجلس الامن ٢٤٢، ومـن المكـن احـلال سـلام رسـمي فقط بعد ان تنسحب إسرائيل مـن جميـع المنـاطق، وقـد بـدد الاتحـاد السـوفياتي بشـكل تـام

موضوع الالتزامات بين الاطراف: انه لم يتضح مطلقا فيما إذا توقع مصر وإسرائيل علـى اتفـاق مشترك أو على وثيقتين تسلمان بعد التوقيع إلى مجلس الامـن، ومخـتصر القـول: ان السـوفيات يشهدون على انفسـهم بموجـب هـذه الوثيقـة انهـم مصرون عـلى ان يحققـوا مـن الامـريكيين تنازلات أخرى لأن موقفهم في الشرق الاوسط في تحسن مسـتمر وموقـف الولايـات المتحـدة في انهيار مستمر.

ان ايام نهايـة شـهر كـانون اول مناسـبة للنشـاطات الكاملـة، فـالامريكيون منكبـون عـلى الاعداد للعام الجيد ويقلصون اشغالهم الأخرى، كما ان اليهود ايضا مشتركون في الاعداد للعيـد، وعلى الرغم من ذلك فقد عقد في ٢٧ كانون اول اجتماع ضم «٣٠٠٠ » زعيم يهـودي وموظـف يهودي مـن جميـع انحـاء الولايـات المتحـدة وذلـك في مدينـة «ميـامي»-في فلوريـدا، وفي هـذا الاجتماع شرحت معارضة إسرائيـل لمشروع روجـرز والاخطـار التـي يبيتهـا هـذا المشروع لامـن ووجود إسرائيل، وقد وقعت الاقوال على اذان صاغية.

اجتماعـات كثـيرة مـع بروفيسـورات، واعضـاء كـونفغرس، ورجـال اتصـال، وزعـماء يهـود، وغيرهم، كلها كان لها هدف واحد: ان إسرائيل تكافح ضد النوايا السلبية التـي يبيتهـا «مشروع روجرز» وتتوقع من اصدقائها ان يقفوا إلى جانبها.

يجب على السفير ان لا يغضب. فالمشـاعر لا تعتـبر اداة ممتـازة في الحـوار مـع الخصـوم، ولكن من الصعب احيانا وضع الحواجز والتركيز على ان يعتمد الادعاء كله فقط عـلى المـبررات العقلية، وقد استمع روجرز وسيسكو إلى اقـدرالى في الخـامس مـن كـانون ثـان ١٩٧٠ مـدة ٤٠ دقيقة متتالية، وكانت وجوههم مغلقة ولم يقـاطعوني مـرة واحـدة، يبـدو اننـي كنـت مـنفعلا، فقلـت ان حكـومتي قـد اجتمعـت في ٢٩ كـانون اول ورفضـت مشروعكـم رفضـا قاطعـا ففـي الوثيقتين اللتين قدمتموهما إلى محادثات الـدولتين، ومحادثـات الـدول الاربـع، لا يوجـد سـلام، ولا مفاوضـات، ولاضـان معاهـدة، ولا التـزام متبـادل بـين اطـراف النـزاع، وقـد الحقـتم الضرر

بقدرتنا على المساومة وقدرتنا على ادارة المفاوضات مع جيراننا، وفي مثل هذه الظروف لا نستطيع ان نتوقع من العرب ان يجروا معنا مفاوضات جدية ويوافقوا على تقيم تنازلات وثمن سياسي على صورة سلام، بعد ان قررتم، بأن التنازل الإسرائيلي يجب ان يكون اقصى حد والثمن السياسي من جانب مصر ادنى حد، وقد ظلمتم المصالح الإسرائيلية بصورة خطيرة. اننا لم نفهم بهذا الشكل سياسية الولايات المتحدة وليس هكذا اتفقنا في الماضي.

كان وجه روجرز محمرا من شدة الغضب. وربما كان روجرز يحقد في قلبه على رئيسه الذي يسمح له «باللعب» في السياسة التي لا ترضى عنها إسرائيل ولا يقف إلى جانبه علنا. ولكن ليس من المستبعد بان البيان الذي نشرته السفارة الإسرائيلية في ٢٤ كانون اول ١٩٦٩ قد اضر بروجرز، وقد نشرنا ١٥ ألف نسخة من هذا البيان ووزعناه على السناتورات واعضاء الكونغرس واجهزة الصحف وزعماء النقابات الفنية ورؤساء الطوائف اليهودية. وقد تميز هذا البيان بلغة شديدة حيث ان الشخص الذي حرره هو «شلومو ارغوب» الذي كان يميل إلى المبالغة في عرضه للامور، وبما انني كنت موجودا انذاك في إسرائيل لم استطع قراءة هذا البيان قبل ان يرسل إلى عناوينه ولم يخف روجرز الشعور الذي يضايقه، حيث اننا جعلنا منه «كبش فداء» وعرضناه بأنه عدو لإسرائيل وذلك خلال كفاحنا ضد السياسة الامريكية وقد عبر عن ذلك في حديثه معي فقال: ان امله قد خاب من سياسة إسرائيل ولا يعتقد بان هذه السياسة يوجد فيها مساهمة ايجابية للسلام، مثلما توقع من إسرائيل ان تساهم واضاف ان الطريقة التي نتبعها تسبب له الاسف، ولا يستطيع الارتياح للبيان الذي نشرناه وهو يرى في فحوى وطابع الاقوال التي وردت فيه ضررا شخصيا به، اننا نعرض الخلاف السياسي وكأنه خصام شخصي وكأنه يعمل ضد إسرائيل لاسباب شخصية وليس كمنفذ للسياسة الامريكية.

وكانت هناك ضرورة في العودة إلى شرح الخلاف السياسي شرحا وافيا، وفعلت ذلك امام روجرز، وقلت ان ما تقوم به ليس مجابهة شخصية ولا توجد لدينا نية لشجبه بصورة

شخصية، ان إسرائيل تجد نفسها مضطرة للدفاع عن موقفها عندما تتخذ الولايات المتحدة مواقف، تعتبرها اي إسرائيل، بأنها تشكل خطرا على امنها وعلى احتمالات تحقيق السلام مع جيرانها.

وعند انهاء الاجتماع قال روجرز: ان جميع الصحف تنتظر ذلك في الخارج، فماذا ستقول لهم؟ وكيف ستخرج من هنا؟ فطمأنته قائلا: انني افضل ان لا نخوض في تفاصيل الحديث الذي دار بيننا انني من جهتي لن افعل ذلك ساقول للمراسلين باننا تبادلنا الاراء، وسأتحدث عن المواقف الإسرائيلية فهذا ما اجد نفسي ملتزما به، ولكنني لن اتحدث عن النظرة الامريكية إلى مواقفنا وهكذا لن اتحدث عن التناقض وعن عدم الاتفاق...

الفصل السادس

قصف العمق المصري

في تقرير بعثت به إلى القدس وصفت الوضع على النحو التالي:

كان الجو متوتراخلال الاجتماع، وقد تبين بصورة واضحة ان روجرز كان منفعلا ولم يخف ذلك لا في فحوى الاقوال ولا في اللون الذي تحدث به. وقد رددت عليه بهدوء وببرود لاحول دون مجابهة شديدة، فاذا سعينا لان نوضح في مشاكلاتنا الاعلامية والعامة بأن قسما كبيرا من الشعب الامريكي يؤيدنا، فقد برهن تصرف روجرز على اننا نجحنا في ذلك، ومع هذا فان روجرز لا يفهم مغزى التغيير الذي طرأ على الموقف الامريكي لغير صالح إسرائيل: اضف أن اخراج سفن شيربورغ من فرنسا ونقلها إلى إسرائيل، والغارة على مصر ونقل الرادار السوفياتي إلى إسرائيل والغارة على لبنان، جميع هذه الامور مجتمعة ساهمت في رفع مكانة إسرائيل في اوساط الرأي العام الامريكي أكثر مما نستطيع فعله في ٢٠ خطابا ممتازاً. انني اوصي بمواصلة النشاطات العامة- الاعلامية وعدم تخفيفها، يجب عقد اجتماعات يهودية أخرى واجتماعات مع السناتورات ورجال الكونغرس، والزعماء، والصحفيين، وفي ٢٦ كانون ثان سيعقد اجتماع طارئ للزعماء اليهود في جيع انحاء الولايات المتحدة.

يوجد لدى روجرز شعور بالحيرة بسبب فشل الجهود الامريكية في التوصل إلى تفاهم مع الاتحاد السوفياتي، وهذا الامر من شأنه ان يصعد من حدة رده علينا، ويجب علينا ان نستمر بشدة واصرار في النشاطات العسكرية المكثفة ضد مصر. ان هذا النجاح ضروري لدعم الحملة السياسية والاعلامية التي نقوم بها وهذا العمل يخرج الهواء من البالون المصري، في نطاق حرب الاستنزاف ومنذ الآن فصاعدا ستتحرك العجلة لصالح إسرائيل، كما ان الواقع العسكري في الشرق الاوسط سيتغير، وبالتدريج تتحرر الزعامة الامريكية من الكآبة التي تخيم عليها وهي أنها تؤيد «زبونا ضعيفا» وتفقد مواقع ومناطق نفوذ.

اراد سيسكو ان يقف على ما يدور. فاستدعاني إلى مأدبة غداء في ١٣ كانون ثـان. لا يجـب عليه ان يقول لي. انني اعلـم بأنـه يعلـم: ان المحادثـات مـع الـروس قـد فشـلت. وفي الولايـات المتحدة يتزايد التأييد العام لإسرائيل. وقبل ان يجلس معـي تحـدث قلـيلا مـع شـلومو ارغـوب وقال له: لا تعتمدوا كثيرا على البيت الابيض. انكم لا تعرفون جيـدا مركزيـة وظيفـة روجـرز في ادارة المحادثات حول مسائل الشرق الاوسط.

وطلب سيسكو مني تقييم الموقف العسكري في حرب الاستنزاف. قلت: اننا نعيش الوضـع العسكري ليس فقط بنـاء عـلى حجـم النشـاطات وانمـا ايضـا بنـاء عـلى نتائجهـا، فكلـما قلـت خسائرنا في الارواح، وكلما ضربنا مصر في اعماق اراضيها تحسن الوضـع العـام، انـك تعلـم بأنـه نفذت عمليتان جويتان في عمق الاراضي المصرية. فقد قصفت طائراتنا اهـدافا عسـكرية قـرب القاهرة.

صمت سيسكو. ولم يتفوه ببنت شفه. هل هو اعتراف صامت؟ انني واثق من ذلك، ولكـن لست مؤمنا بهذه المرحلة من ان صمته اعتراف.

انتقل سيسكو إلى مواضيع أخرى. فقال ان وزارة الخارجية الامريكية تقوم بوضع الرد على الرسالة السوفياتية، وفـيما يـلى الخطـوط العريضـة للفكـرة الامريكيـة: ان الرسـالة السـوفياتية تشكل انسحابا من مواقف سابقة وتبعد احتمالات التفاوض. ان الامريكيين لا ينوون الانسحاب باي حال من الاحوال من اقتراحهم حـول اجـراء محادثـات بـين الاطـراف عـلى غـرار محادثـات رودي، والولايات المتحدة لا تقترح استئناف المحادثات مع الاتحاد السـوفياتي وانـه مـع الرسـالة الامريكيـة سـتنتهي محادثـات سيسـكو- دوبـرنين. واصـبحت احـتمالات التفـاوض بـين الـدول العظمى ضعيفة.

قلت في اجمال التقرير الذي ارسـلته إلى الـبلاد: ان النشـاطات العسـكرية التـي نفـذت في الايام الاخيرة قد ادت إلى ثمار جيدة. كما نجحت النشاطات الاعلامية، ويجب مواصـلة النـوعين من النشاطات وبأقصى قوة.

في هذه المرة لم استطع تجاهل ناحية أخرى كلما استمرت اثقلت مهمتي. وهكذا قلت: ان رئيسة الحكومة والسفارة في واشنطن تنتهجان موقفا شديدا في الكفاح ضد المشروع الامريكي. آما وزارة الخارجية والممثلية الإسرائيلية في الامم المتحدة فتتحدثان بصوت الضعيف. وقد المح لى موظفو وزارة الخارجية الامريكية بأنه يوجد اختلاف بين موقف وزارة الخارجية في القدس وموقف السفارة هنا. ارجو ان تقرروا وتبلغونى: هل الحكومة تؤيد الكفاح الشديد ضد مشروع روجرز ام لا؟ انه لا يجب ان يدعوا ضدي بانني اتخذ مواقف صارمة تعبر عن سياسة لا تتناسب وسياسة الحكومة.

يجب على الكفاح ان يدار من قبل جميع الجهات. في ٢٢ كانون ثان ابلغني سيسكو نص الرد الامريكي إلى السوفيات وكان مشابها للاقوال التي ادلى بها في حديثنا يوم ١٣ كانون ثان. لقد طلبت الولايات المتحدة من الاتحاد السوفياتي ردا واضحا وغير متهرب بالنسبة لموقفه من موضوع السلام وكل ما ينطوي عليه ليس فقط في اوساط الشعب ووسائل الاعلام بل وداخل الطبقة الحاكمة. وجدت ميولا واضحة لتأييد مواقف إسرائيل وكان من بين المؤيدين وزير العدل (في الادارة الامريكية يسمى هذا الوزير النائب العام) جون ميشل وهو رجل رئيس في ادارة نيكسون ومقرب من الرئيس. وحتى لو أن الرئيس لم يتطرق في خطابه للامة إلى قضية الشرق الاوسط فقد كان هذا الخطاب مصر تشجيع.

ادت رحلة عبدالناصر إلى الاتحاد السوفياتي في ٣٠ كانون ثان إلى شحن الجو في واشنطن بالتوتر. فقد ظل مضمون محادثاته مع رؤساء الكرملن سرا. ولكن الجميع تحدثوا عن زيارته. وكان الرأي السائد: لقد شعر عبدالناصر بأن عمليات القصف الإسرائيلية في عمق الاراضي المصرية اصبحت تقوض مكانه وترجح الكفة لصالح إسرائيل وانه سافر على عجل إلى حلفائه السوفيات لطلب العون والمساعدة وتعزيز دفاعاته الجوية أو من اجل الحصول على تدخل سوفياتي أكثر للدفاع عن الاجواء المصرية، وقد كانت محادثاته في موسكو من السرية بمكان إلى حد ان امر زيارته بالذات حفظ سرا وقال لى سيسكو في مأدبة غداء ان المعلومات

التي يمتلكها الامريكيون تؤكد ان عبد الناصر قام فعلا بزيارة لموسكو وطلب الحصول على أسلحة وأكدت له بأن هذه هي الصورة الموجودة لدينا.

وسألني سيسكو فيما إذا توجد لدينا معلومات حول وجود غليان في الجيش المصري نتيجة لعمليات القصف في العمق، فأجبته انه حتى عبدالناصر والسوفيات يظهرون علامات من القلق ولكن لا توجد لدينا معلومات عن فوضى في الجيش، ولفت نظر سيسكو إلى مقال نشرته صحيفة «برافدا» جاء فيه: يجب السعي في الشرق الاوسط إلى حل سياسي وليس إلى حل عسكري، وربما يوجد هنا برهان على ان السوفيات ليسوا مستعدين ان يعدوا عبدالناصر بتدخل عسكري سوفياتي على مستوى يؤدي إلى تدهور الوضع، وأكد سيسكو إلى قبول تقديري، وفي نهاية هذا الحديث تحدث معي لاول مرة عن مبادرة امريكية لوقف اطلاق النار بين مصر وإسرائيل، وقال سفتحدث عن ذلك مع المصريين ايضا، وكما هو مفهوم لا استطيع ان التزم باسم إسرائيل طالما لم يقدم اقتراح بهذا الشأن إلى الحكومة ولكنني شجعت نيكسون على ان يبحث الامر مع المصريين وان يفهم فيما إذا وجد لديهم استعداد لاعادة الهدوء إلى منطقة القناة، ولكن قبل ان يبلور الامريكيون مبادرتهم لوقف اطلاق النار هب الاتحاد السوفياتي لانقاذ حليفته مصر من ضائقتها، فقد استدعاني سيسكو على عجل في الثاني من شباط وقال لى انه في ٣١ كانون ثان وفي ساعة متأخرة من الليل تلقى الرئيس رسالة من رئيس الحكومة السوفياتية، كوسيجين، وقال لى سيسكو معتذرا انه لا يستطيع ان يقرأ لى الرسالة كلمة كلمة، ولكنه سيسلمني فحواها بعد وقت، أما في هذه المرحلة سيشركني فقط في انطباعات المسؤولين في الادارة الامريكية، ان الاتحاد السوفياتي يطلب بأن تعمل الولايات المتحدة على وقف عمليات القصف الإسرائيلية ويعمل مسؤولية النشاطات العسكرية في السويس ومصر على عاتق إسرائيل والولايات المتحدة فالولايات المتحدة تزود إسرائيل بالأسلحة وإسرائيل تقوم بتنفيذ عمليات التغلغل إلى داخل مصر وعمليات القصف، ويلمح السوفيات إلى احتمال قيامهم بتزويد مصر بأسلحة حديثة إذا ما واصلت إسرائيل عمليات

القصف ويتهم السوفيات إسرائيل بأنها هي التـي تعرقـل احـتمالات احـلال السـلام ويعوقونـه ويؤكدون بان الطريق الوحيد لنجاح جهود السلام هو انسحاب القوات الإسرائيليـة مـن جميـع المنـاطق المحتلـة، وان كـل شيء سيسـوى بعـد الانسـحاب، وعـاد الـروس واقترحـوا الاسـتعانة بمحادثات الدولتين لمعالجة الوضع السائد في الجبهة الإسرائيليـة - المصريـة، وقـال سيسـكو انـه يعتقد بأن الرسالة السوفياتية كانت نتيجة مباشرة لضغطنا المعسكري عـلى مصر ولكنـه يعتقـد ان السوفيات لا يريدون الذهاب ابعد من ارسال هذه الرسالة وقال لى سيسـكو ان الـرئيس قـد اعد جوابه للسوفيات، وحتى فحوى هذا الجواب لم يكن سيسكو على اسـتعداد لاطلاعـي عليـه ولكنه قـال ان هـذا الجـواب حـازم وشـديد اللـهجة، رفضـت فيـه الولايـات المتحـدة الروايـة السوفياتية حول تسلسل الامـور وتؤكـد مسـؤولية عبـدالناصر عـن التـدهور العسـكري وذلـك نتيجة لالغاء وقف اطلاق النار واعلان حـرب الاسـتنزاف ويؤكـد الرسـالة الجوابيـة عـلى ضرورة تطبيق اتفاق وقف إطلاق النار من جديد.

ان هذه اللغة الامريكية تختلف عن اللغة التي تعودنا على سـماعها في الاونـة الاخـيرة ان العمليات العسكرية الإسرائيلية فقط هي التي كان بمقـدورها ان تقـوي الموقـف الامـريكي ازاء السوفيات ان سيسكو لم يقل ذلك، ولكن لا يمكن التيه بنغمة اقواله، وقد طـرأ هـذا التحـول في اعقاب العملية الإسرائيلية في العمق المصري والامريكيـون غـير منفعلـين مـن رسـالة كوسـيجين واوصى ايضا بان لا ننفعل ايضا أكثر من اللازم.

بعد ذلك بوقت قصير تلقيت مضمون الرسالة السوفياتية والرد الامريكي عليها واسـتطعت ان ابرق إلى القدس، لقد حققنا تحسنا كـبيرا عـلى الموقـف الامـريكي واسـتمرار التحسـن معلـق وقبل كل شيء علينا نحن عن طريق المداومة على عمليات القصف الجوي في اعماق مصر.

عمليات القصف مستمرة، ولم نتلق اي طلب امـريكي لوقفهـا، ولم اعـد اشـك في ان الادارة الامريكيـة تسـتغل عمليـات القصـف هـذه في اتجـاهين: لاقنـاع السـوفيات بضرورة تحقيـق

وقف جديد لاطلاق النار بين إسرائيل ومصر ولدفعهم على الموافقة على الاقتراحات الامريكية التي صدرت في ٢٩ تشرين اول و ١٨ كانون اول ١٩٦٩، الرئيس نيكسون يمسك بسوط اخر: انه لم يوافق بعد على طلبات إسرائيل بانتظام وكذلك ٢٤ طائرة سكايهوك وخلال ٧٠ يوم سيقرر الرئيس. وقد المح بذلك للسوفيات، بان قراره سيتأثر بجهودهم لتحقيق وقف اطلاق النار ومن تليين معارضتهم لمشاريع السلام الامريكية.

وفي اجتماع، على مأدبة غداء أخرى، طلب سيسكو ان يستمع مني إلى تقييمي للوضع السياسي والعسكري، فقلت: ان عمليات القصف ضد الاعماق المصرية قد وضعت مصر والاتحاد السوفياتي امام معضلة صعبة، فحرب الاستنزاف التي شنها عبدالناصر والنشاطات السياسية ازاء الولايات المتحدة كانت خطة استراتيجية مشتركة ومنسقة بين الاتحاد السوفياتي ومصر، وعمليات القصف في العمق وعرقلت كافة الجهد الذي بذل، وليس من المستبعد ان في عالم المصطلحات السوفياتية - المصرية، تفسير عمليات القصف في العمق كرد إسرائيلي - امريكي متفق عليه على الرغم من أنك تدرك بأن هذا الامر غير صحيح واننا لم نأخذ موافقتكم على البدء بعمليات القصف والاستمرار بها، إذ ان هذه العمليات بدأت بعد ان رفض السوفيات وثيقتكم الرامية إلى ايجاد حل في الشرق الاوسط، باسبوعين. ومن المعتقد ان السوفيات سيوافقون على تزويد مصر بأسلحة حديثة مثل صواريخ «سام٣» لتحسين دفاعها ضد طائراتنا وربما ايضا أسلحة هجوهية مثل صواريخ ارض -ارض لكي تكون لدى مصر الامكانية للتهديد بضرب العمق الإسرائيلي الامل بالسكان وطائرات ميج ٢٣ وذلك لتحسين الدفاعات الجوية وللاغراض الهجومية انني لا ارى خطر قيامهم بتزويد مصر بصواريخ لقصف تل ابيب خطرا ملموسا، وحتى لو زودوهم بصواريخ سام ٣ وطائرات ميح ٢٣ فان المصريين سيكونون بحاجة إلى وقت كاف لتدريب من يستخدم هذه الصواريخ وطيارين ولن يكون بايديهم الرد الفوري على عمليات القصف الإسرائيلية.

كان سيسكو مثلي يقدر موضوع صواريخ ارض - ارض ولكنه اضاف قائلا ان الولايات المتحدة تمتلك معلومات متفرقة تفيد ان الروس قد يزودون مصر بسلاح حديث جدا، ولهذا

نقلوا بالاضافة إلى الرسالة التي وجهوها إلى نيكسون، ما هو بمثابة طلب واضح من جانب غروميكو وزير الخارجية السوفياتي. ان الامريكيين مستعدون للتفاوض حول وقف اطلاق نار متبادل بين إسرائيل ومصر وان يبحثوا مع السوفيات تحديد سباق التسلح ولكن إذا تسبب السوفيات في تصعيد تزويد السلاح النوعي إلى الدول العربية، فان الامريكيين سيضطرون إلى اعادة النطر في موقعم. من موضوع تزويد السلاح لإسرائيل.

قلت لسيسكو: انه من غير العقول الافتراض بان مصر ستوافق الآن على وقف اطلاق النار في الوقت الذي نكون فيه نحن المتفوقين فالامر بالنسبة لهم فقدان للهيبة ولن يكون امام السوفيات مبرر سوى قبول الموقف المصري، وانني اعتقد بان السوفيات لن يقبلوا بتحديد سباق التسلح بل ولن يدخلوا في مفاوضات حول هذا الموضوع مع الولايات المتحدة وهناك احتمال يصعب على في هذه اللحظة تقدير مدى معقوليته: ان السوفيات سيأخذون على عاتقهم مباشرة حماية الاجواء المصرية، وسيكون تجاوزا واضحا للسياسة التي يتمسكون بها.

سيسكو: ان هذه الامكانية لا تبدو معقولة حتى في نظرنا ولكن من الممكن ان يرسل السوفيات إلى مصر طواقم معززة من الفنيين لنصب صواريخ سام ٣ وعندما يضمنون حماية منطقة القاهرة يواصلون النشاطات السياسية.

وفي ذلك الوقت نشر في الولايات المتحدة خبر مفاده ان وزير الخارجية ابا ايبان عرض على حكومة إسرائيل ان تقوم بمبادرة تؤدي إلى وقف اطلاق النار وان الحكومة رفضت اقتراحه، وقال سيسكو: ان هذا الموقف مضر لإسرائيل، اذ انها تبدو وكأنها لا تريد وقف اطلاق النار فقلت: لا يوجد لهذا الخبر اساس من الصحة ان إسرائيل مستعدة لوقف اطلاق النار على اساس متبادل، ولكن إسرائيل لن توافق على ان توقف وحدها اطلاق النار ولا يكون الجانب المصري ملتزما به، وقد كررت هذا القول بعد وقت قصير، خلال اجتماع عقدته مع ريتشادر سون، وحتى هذا لم ينتقد عميات القصف الإسرائيلية في عمق الاراضي

المصرية ولكنه هو الاخر كان قلقا من الشكوك حول الرد السوفياتي على هـذه العمليـات وهـل يتدخلون مباشرة في قصف الراكز الإسرائيلية الاملـة بالسـكان، وقـد اعربـت عـن امـالى في ان لا يفعـل السـوفيات ذلـك، واراد ريتشاردسـون وسيسـكو ان يعرفـا: هـل الاسـتخبارات الإسرائيلـة تستطيع كشف مواقع ´´ سام ٣ ´´ وهي مستخدمة من قبل الفنيين السوفيات قبـل ان تكـون الصواريخ جاهزة للعمل؟ فقلت اننا سنبذل كل ما في وسعنا مـن اجـل كشـفها ولكـن لا يوجـد تأكيد حول هذه المواضيع، وبعد ذلك سألاني: هل تعتقدون بـأن عمليـات القصـف في العمـق قد خدمت اهدافكم؟ فقلت اننا لم نحقق بعـد كـل مـا اردنـاه اذ ان هـدفنا هـو وقـف حـرب الاستنزاف ولكن في هذا الوقت بالذات حققنا انخفاضـا في عـدد خسـائرنا البشريـة ان الضـائقة التي يعيشها المصريون والسوفيات سترغمهم على ايجاد حل لحـرب الاسـتنزاف وإذا مـا اتجهـوا إلى الحل السياسي فان هذا الامر يعنينا...

يجدر بنا ان نذكر انه خـلال الحادثـات مـع الامـريكيين لم يكـن هنـا اي تعبـير سـلبي ازاء عمليـات القصـف في العمـق المصرى وانمـا كانـت هنـاك محـاولات مـن جـانبهم للتعـرف عـلى تقديراتنا بالنسـبة للتطـورات الممكنـة، وحتـى الفقـرة الشرق اوسـطية التـي وردت في خطـاب نيكسون حول وضع العالم، يوم ١٨ شباط ١٩٧٠ كانت مريحة بالنسبة لنا في المنطقة وقـال انـه يجب العودة إلى نظام وقف اطلاق النار واستئناف المفاوضات السياسية بين اطراف النزاع.

رمقابل ذلك، فقد همس في اذني الصحفي المشهور وصديقي جـو السـوب «بشـائر سـيئة» على حد قوله ففـي مأدبـة غـداء اقيمـت في منزلـه قـال لى ان قـرار الـرئيس بصـدد الطـائرات الاضافية لإسرائيل في نهاية مهلة الثلاثين يومـا، سـيكون سـلبيا فـوزارة الخارجيـة ووزارة الـدفاع وعلى ما يبدو ايضا ال C.I.A وكالة الاستخبارات المركزية تعارض تزويد إسرائيل بأسلحة اضـافية اما وزير العدل ميشيل نقد بذل جهوده من اجل اقناع الـرئيس بتزويـد الأسـلحة ولكـن «لـوبي النفط» قد تغلب حيث انه بالتعاون مع وزارتي الخارجية والدفاع اقنـع الـرئيس نيكسـون عـلى اتخاذ قرار سلبي بالنسبة لطلبات إسرائيل.

وقال السوب غاضبا: منذ فترة طويلة لم اكن قلقا بالنسبة لمصير إسرائيل كما هي الحال اليوم ان قرار الرئيس خطير جدا ويجب ان تقوموا بمعركة كبيرة لتغيير القرار.

وبصفتي سفيرا في اكبر بلد صديق لإسرائيل في العالم فما زلت اخوض معارك سياسية واتخيل بانها تؤتي ثمارا ايجابية لإسرائيل ويحذرك اخرون بان هناك خطرا يكمن من جهة أخرى. وفي مجال الحفاظ على صداقة الولايات المتحدة لإسرائيل، لم استطع مطلقا البقاء مكتوف الايدي.

الخطوة الاولى: كلفت شلوموارغوب بان يجتمع بالجنرال هيج مساعد كيسنجر وان يقول له بأنه قد وصلت إلى مسامعه بان قرار الرئيس سيكون سلبيا، ونتيجة للاتصالات مع هيج ارتحت جدا لادراكه ووعيه العسكري والسياسي ومدى المنطق لديه. فقد عرف كيف يميز بدقة اين تكون العلاقات الإسرائيلية الامريكية متماشية مع بعضها البعض واين يطرأ تناقض عليها، فني الطاقم الاعلى كيسنجر - هيج فان الاخير يساهم في الهدوء والاستقرار في لحظات التوتر، فقد كان هذا الطاقم غير عادي بالنسبة لقدرته على العمل.

ان هيج لم يقل لارغوب أشياء صريحة وانما نصحه: لا تضغطوا على الرئيس ان يعلن قراره بالموعد الذي حدده لذلك. اذن كان «السوب» يعرف جيدا ما قاله.

في إسرائيل جرت محادثات مطولة حول كيفية العمل لاحباط امكانية قيام الرئيس بالاعلان عن قراره السلبي ولكن لم ينجم عن القرارات اتفاق في الاراء، وقرار مبلور. ارسل لى وزير الخارجية برقية ليست عن طريق وزارة الخارجية وتحدث في هذه البرقية عن مقال بيتر غروس مراسل صحيفة «نيويورك تايمز» في إسرائيل والذي قال فيه ان سبب تأخير ارسال طائرات الفانتوم لإسرائيل هو تعبير عن استياء الولايات المتحدة من عمليات القصف الإسرائيلي في عمق الاراضي المصرية بل وعن معارضة امريكا الصريحة لذلك، وعلى الرغم من ان ابا ايبان لا يؤيد صراحة هذه الرواية فانه لا يمكن اتهامه بان هذه الرواية غير مقبولة لديه.

وتلقيت برقية أخرى من سمحا دينتس، فقد ابلغني رئيس مكتب غولده مئير بان برقية ايبان الي قد ارسلت بدون علم رئيسة الحكومة، واعتقدت بأنه لا يوجد اساس لمزاعم وزير الخارجية، فمنذ ان بدأت إسرائيل بعمليات قصف العمق المصري، في كانون ثان ١٩٧٠ لم ير اي تصريح امريكي ضد هذه العمليات بل ولم يمر اي تلميح لامكانية ان الولايات المتحدة تعارض ذلك. انه لا يوجد اي اساس لتفسيرات بيتر غروس التي كان مصدر ايحائها في القدس، كما انه لايوجد اية علاقة بين تردد الرئيس بالنسبة لموضوع الأسلحة وبين عمليات القصف، حافظت عل لغة معتدلة في اجابتي لبرقية ايبان، وبذلك ارضيت بعض العناصر الإسرائيلية التي طلبت مني ان اجيب وزير الخارجية بأدب...

وشرحت لرئيس القيادات المشتركة في الولايات المتحدة الجنرال ويلر متطلبات إسرائيل من الأسلحة وهو يدرك ذلك، بل ويؤيد ولكنه قال: انك تعلم بان هذا هو قرار سياسي وليس عسكريا وقد صدق في ذلك كما ان جيرالد فورد، الذي اصبح فيما بعد رئيسا للولايات المتحدة وكان انذاك رئيسا للكتلة الاقلية الجمهورية في مجلس النواب قد اظهر تفهما كبيرا لمتطلبات إسرائيل ووعدني بتأييده الكامل، وقال انه يؤيد إسرائيل قوية وانه سيتحدث مع الرئيس حول هذا الموضوع. وكذلك السناتور باري جولد ووتر الذي رشح نفسه لانتخابات الرئاسة عام ١٩٦٤ وخسر لجونسون / اظهر تفهما. وصديق إسرائيل القديم السناتور جاكسون وعد ببذل كافة جهوده، وكذلك الزعيم القديم للنقابات المهنية جورج ميني، لم يقف مكتوف الايدي، كما كانت لى علاقات وطيدة مع الزعيم الديني بيلى غراهام، فتأييده المطلق لإسرائيل يجعلني دوما اصل إلى حد الانفعال، انه لا يضيع اية فرصة للتأثير على نيكسون، الذي يكن له التقدير والاعجاب من اجل ضرورة دعم إسرائيل لاسباب ادبية - مسيحية ولأن الولايات المتحدة ستستفيد من ذلك.

في ١٢ اذار ١٩٧٠ استدعوني على عجل لاجراء حديث سري مع الدكتور كيسنجر في «البيت الابيض».

وقد اضفي ستار كثيف من السرية على هذا الاجتماع، فقد ادخلوني إلى البيت الابيض عن طريق احد المداخل الجانبية وغير المعروفة، واخذوني إلى مكتب المستشار العسكري للرئيس، وبعد مرور بضع دقائق وصل كيسنجر ودخل في الموضوع بدون مقدمات: ستكون وراء قرار الرئيس بالنسبة لموضوع السلاح ثلاثة عناصر:

* الاول: وهو العلني: ان الولايات المتحدة ستقرر بان لا تتخذ قرارا، وهذا يعني انها لن تتخذ قرارا بشأن تزويد طائرات الفانتوم في هذه المرحلة وانما ستواصل تعقب التطورات في المنطقة على الصعيدين العسكري والسياسي وإذا ما شعرت بأنه قد طرأت تغييرات تستوجب اتخاذ قرار بتزويد السلاح فانها ستتخذ القرار المناسب.

* والعنصر الثاني: ان الولايات المتحدة تريد الانتقال إلى اسلوب جيد لتزويد الطائرات والأسلحة الأخرى ذلك ليس على اساس البيانات العلنية من الرئيس والمسؤولين في الادارة الامريكية حول الاستجابة لمتطلبات إسرائيل أو رفضها أو تأخيرها وانما على اساس تلف الأسلحة التي تمتلكها إسرائيل وموافقة الولايات المتحدة على سد النقص للحفاظ على ميزان القوى في المنطقة.

* والعنصر الثالث: يرسل الرئيس إلى رئيسة الحكومة، رسالة شخصية يؤكد فيها التزاماته نحو امن إسرائيل. وإذا ما تغير ميزان القوى لغير صالح إسرائيل يلتزم الرئيس بمنع ذلك عن طريق تزويد إسرائيل بالأسلحة وقبل ان ارد على هذا القسم من اقوال كيسنجر، اضاف: لقد توجه السوفيات اليه، بواسطة السفير دوبرنين، واقترحوا وقف اطلاق النار بين إسرائيل ومصر، لاطلاق النار نكون نحن الملتزمين بشروط ويكون المصريون احرارا.

وكانت خيبة الامل في إسرائيل شاملة وكبيرة.

في ١٦ اذار عدت إلى واشنطن وفي غداة اليوم التالي اجتمعت بالدكتور كيسنجر واطلعته على خيبة الامل في إسرائيل وعلى الاستياء بشأن مواضيع الأسلحة ووقف اطلاق النار:

وقلت لقد طلبت مني رئيسة الحكومة ان اعرب لك، وبواسطتك للرئيس، عن خيبة الامل الكبيرة، فليس بهذا الشكل فهمت رئيسة الحكومة محادثاتها مع الرئيس وكل ما ينطوي عليها ان رئيسة الحكومة تطلب من الرئيس ان يعيد النطر في مواقفه حول النقاط التاليه: ان يعلن موضوع تقديم الأسلحة لإسرائيل وان يسلم إسرائيل الأسلحة الضرورية من اجل الدفاع عنها في واقع حرب الاستنزاف وعلى ضوء تعاظم الدول العربية بواسطة الأسلحة السوفياتية، اننا نمتلك معلومات تفيد بان السوفيات يقومون بتزويد مصر بأسلحة حديثة واوضحت الصور الجديدة التي قمنا بالتقاطها ان السوفيات يقومون الآن ببناء قواعد لصواريخ سام ٣ في منطقة القناة، كما تطلب رئيسة الحكومة ان يرفض الرئيس اقتراح وقف اطلاق النار غير المعلن، ان المعلومات التي نمتلكها تؤكد لنا بان نائب وزير الخارجية السوفياتي فينوغرادوف قد زار القاهرة وتوصل إلى تنسيق المواقف بشكل كامل مع الزعماء المصريين وهو ان يسعى السوفيات والمصريون إلى تحقيق وقف لاطلاق النار غير معلن. ان إسرائيل ترى بوقف اطلاق نار كهذا ترتيبا هزيلا، يعفي مصر من جميع المسؤوليات السياسية فهو سيمكن عبدالناصر من استئناف اطلاق النار بعد الانتها، من نصب الصواريخ، وعبدالناصر لا يريد سوى كسب الوقت، إلى ان يستطيع ثانية وبأنسب الظروف ان يوجه ضغطا سياسيا كما هو متفق عليه بينه وبين السوفيات من اجل: الانسحاب الإسرائيلي الشامل والتام، إلى حدود ما قبل حرب حزيران وتنفيذ قرارات الامم المتحدة الخاصة باعادة اللاجئين العرب لعام ١٩٤٨

كما قلت للدكتور كينجر: ان إسرائيل مستعدة ايضا لقبول وقف اطلاق نار غير معلن، اننا سنأخذ على عاتقنا المخاطرة الكبيرة، ولكن بدون ان نلتزم سلفا بفترة زمنية مدتها ٤٥ أو ٦٠ يوما ان الطائرات هي مدفعيتنا الطائرة وإذا ما فتح المصريون نيران المدافع فاننا لا نستطيع ان نلتزم بان ردنا سيقتصر على نيران المدفعية اننا مستعدون للالتزام بالعدول عن عمليات قصف العمق لدة ثلاثة أو خمسة ايام ضد قواعد الصواريخ ولن نستخدم الطائرات طالما

حافظ الطرف الاخر على وقف اطلاق النار، اننا نتوقع بأن تحملنا لهذه المخاطرة سيجد تعبيراً له في الاستعداد الامريكى في مجال تزويد الأسلحة.

سلمت الدكتور كيسنجر مسودة الرسالة التي بعث بها الرئيس إلى رئسية الحكومة غولده مئير وكانت هذه الرسالة تتضمن قسمين: الولايات المتحدة تزود إسرائيل بالأسلحة بناء على تلف الأسلحة وتدرس بصورة مستمرة ميزان القوى في الشرق الاوسط، فاذا ما تغير هذا الميزان فان الولايات المتحدة ستعمل على تعديله، وستواصل الولايات المتحدة سعيها للتوصل إلى تسوية سياسية. اما الموضوع الثاني: ان الرئيس يطلب موافقة إسرائيل على وقف لاطلاق النار مدته ٦٠ يوما على شرط ان تحدد مصر نشاطاتها وتتحلى بضط النفس، ولم تفسر الرسالة معنى التحديد وضبط النفس من جانب مصر. وبعد نهاية الاجتماع مررت فحوى الرسالة إلى القدس. وفي نفس اليوم في الساعة الخامسة والنصف بعد الظهر اجتمعنا ثانية، فقال لى كسنجر ان وزارة الخارجية الامريكية تنوي في الايام القليلة القادمة اصدار بيان رسمي يدور حول الاقوال التي ابلغها لى في اجتماعنا الاول، في ذلك الصباح، وبناء على طلبي وافق على ارجاء اصدار البيان إلى وقت قصير لنستطيع عقد اجتماع اخر، وفعلا عدنا إلى الاجتماع ثانية في غداة اليوم التالي في ١٨ اذار، ولكن في هذه الاثناء تلقيت برقية من إسرائيل: لقد ارسل السوفيات تعزيزات من الخبراء إلى مصر باعداد هائلة حيث سيقومون بتشغيل بطاريات سام ٣ في قلب مصر للدفاع عن القاهرة، ان كيسنجر لم يقل لى عن ذلك، ولكنني علمت بان جانبا كبيرا من هذه المعلومات متوفرة لدى الاستخبارات الامريكية، قلت لكيسنجر: في هذه الظروف وعندما لا تغير الولايات المتحدة موقفها من موضوع الأسلحة، فان موضوع وقف اطلاق النار يبدو لنا خطيرا جدا، يجب ان لا يشكل هناك بصيص من الشك: انه إذا ما استغل السوفيات والمصريون وقف اطلاق النار لارسال الصواريخ إلى منطقة القناة، فاننا سنضطر للعمل ضدهم!

قال كيسنجر: ولكز هذا ليس وقفا لاطلاق النار، فقلت: هذا هو موقفنا ولا نستطيع التنازل عنه فقال كيسنجر: اذن انكم لا تقبلون باقتراحنا، فقلت: صحيح، اننا لا نستطيع قبول مثل هذا الاقتراح.

في الاجتماع الصباحي طلبت بان لا تتضمن رسالة االرئيس إلى غولده مئير الفقدرة التي تور حول وقف اطلاق النار وقال كيسنجر انه سينقل طلبي إلى الرئيس واقترح بأنه في نهاية الاجتماع الثاني في المساء ان نذهب معا للاجتماع بالرئيس، خلال الفترة بين الاجتماعين، في ١٨ آذار تناولت طعام الغداء مع سيسكو. ولم يكن يعلم باجتماعي مع كيسنجر أو بالاجتماع المقرر مع الرئيس في مساء ذلك اليوم فالعلاقات المتضعضعة بين وزارة الخارجية والبيت الابيض اجبرتني ان اسير بحذر على حبل وثيق، فكل انزلاق سيجلب الخطر على إسرائيل.

فقط كيسنجر وأنا اشتركنا في الاجتماع مع الرئيس في الساء، وقد اطلق الرئيس الكثير من الكلمات الجميلة بالنسبة لإسرائيل ووضع على رأسها اكاليل جميلة، شجاعة وجريئة وتكافح ببطولة ويجب ان لا يشك احد بالتزامات امريكا نحو إسرائيل وبمسؤوليتها لتزويدها بكل الأسلحة الضرورية للدفاع عنها، وقال الرئيس ولكنني اريد ان اقيم معك اتصالات وطيدة واساسية حول موضوع الأسلحة، فالاسلوب الاساسي الذي اتبعناه طيلة السنين غير سليم، ففي كل مرة تطلبون فيها أسلحة، تقوم جميع وسائل الاعلام بالحديث والتعليق وينتظر الميع قرار الادارة الامريكية، وهنا توجد درامتيكا زائدة عن حدها وتسبب لنا الضرر. فهناك اوساط في الادارة الامريكية تعارض بشدة تزويد إسرائيل بالأسلحة الان. انني لن اتحدث عن شخصية هذه الاوساط ولكن صدقني بانها لا تألوا جهدا في اقناعي ارجو ان تكون واثقا بانني ساواصل مد إسرائيل بالأسلحة ولكنني سافعل ذلك بطرق جيدة... وقال يجب ان نحافظ على سرية هذا الموضوع، وفي اللحظة التي تحتاج فيها إسرائيل الأسلحة اتصل بي بواسطة كيسنجر انني ساجد الطرق الكفيلة بالتغلب على البيروقراطية.

الفصل السابع

هل سنهاجم الروس؟

من هذا الحديث، ومن اجتماعات أخرى، فهمت، بان الرئيس يريد صيغة، تلغي الطريقة السابقة رئيسة الحكومة تتصل بالرئيس وهو يعلن قراره على الملأ - وتنقل البحث إلى المجال الفني أي: الاستجابة لمتطلبات إسرائيل بدون تصريحات علنية.

كان هذا هو شعوري الذي جعلني اتحدث بلغة الادب على الرغم من انني لست معتادا عليها.. فقلت انني اعلم بانني اقف امام الشخص ذي القوة الهائلة جدا، وفي اقوى دولة في العالم، اما أنا فلست سوى ممثل لدولة صغيرة، ولكن يا سيدي الرئيس انني ممثل لشعب إسرائيل الذي يؤمن بالسلام والحرية ومستعد للحرب بكل قوته وطاقته من اجل استقلاله وحريته. ان إسرائيل لا تريد من الاخرين ان يحاربوا عنها وكل ما نريده هو ان يزودونا بالأسلحة الحيوية. اننا سنحارب وحدنا.

«وانني ساكون صريحا معك، سيدي الرئيس» ان الشعب في إسرائيل وحكومته ستخيب امالهما جدا من البيان الذي تنوي الولايات المتحدة اصداره والذي معناه الوحيد هو: اننا لن نحصل على الأسلحة التي طلبناها. ان إسرائيل واصدقاءها يستطيعون تجاهل المعاني السلبية لهذا البيان: فمن الناحية العسكرية فانه يزداد تفوق اعدائنا الذين يحصلون على أسلحة من السوفيات بوفرة. ومن الناحية النفسية: فطالما تظهر الولايات المتحدة دلائل على ضعف تأييدها لإسرائيل فان العرب يطورون آمالهم القديمة وهي انهم يستطيعون حسم إسرائيل عسكريا ولا توجد ضرورة للتسليم بوجودها، وفي واقع حرب الاستنزاف سيزداد صلف السوفيات لأنهم سيخسرون قرار الولايات المتحدة بأنه ناجم عن ضعفها. فاذا ما استطاع السوفيات نصب صواريخ «سام - ٣» وتشغيلها من قبل الفنيين الروس. فيما الولايات

المتحدة تحول دون مد إسرائيل بالأسلحة، فان السوفيات سيفهمون من ذلك انه مـن المسـموح لهم ان يتجاوزوا الحدود في نشاطاتهم.

«انني اعود واطلب منك، سيدي الـرئيس، بصـفتك الانسـان الوحيـد الـذي بقـي لإسرائيـل والذي نؤمن بتأييده وتفهمه لكفاح إسرائيل: ان تعطينا السـلاح الضروري!».. وسـكت الـرئيس، وساد الصمت بالتأكيد لم يدم هذا الصمت الا دقيقة، وربما اقـل. أنـا في نظـري فقـد كـان ذلـك أكثر من ٢٤ ساعة، فهل انه ابعد نطره عن موضوعي. ام هكذا يتخيل لي؟ وبعد ذلك قال: اننـي اشكرك على الصورة، التي عرضت الموضوع بها، انني افهمك، وافهم وضع إسرائيـل، يجـب ان لا يكون لديك ادنى شك: بأنه لا توجد لدي نية في عدم تزويد السلاح لإسرائيـل، انكـم ستحصـلون على السلاح، ولكنني اريد ان افعل ذلك بطريقة أخرى عن صواريخ «سام - ٣ » ومـاذا سـيكون المعنـى بالنسـبة لكـم إذا مـا نصـبوا صـواريخ كهـذه باعـداد هائلـة، ويكـون الاشـخاص الـذين يستخدمونها من الروس؟ فهل درستم امكانية مهاجمتهم؟.

وفي خضم المفاجأة الكبيرة التي خيمت على انطلقت من فمي ثلاث كلمات: هل سـنهاجم الروس؟

وفكرت بيني وبين نفسي قائلا: غريب! ما اعقد تقديرات الدولة العظمى. فـماذا سـيحاول الرئيس ان يقول لي؟ وهل ان الولايات المتحدة ستمتنع عن دعم إسرائيـل بسـبب الخـوف مـن مهاجمتنا للصواريخ والخطر الكامن بذلك؟ وهل من الممكن ان يكون قصده عكسيا؟ وهـل ان رئيس الولايات المتحدة يلمح، أي انه معنى بأان تقوم إسرائيل بمهاجمة الصواريخ ومستخدميها الوفيات؟ فلو عرف ان هذا ما تقصده إسرائيل فعلا فهل سيقرر تزويـدنا بالأسـلحة كـما طلبنـا، وربما أكثر من ذلك؟

هل سنهاجم الروس؟! ولكن الرئيس لم يجب على هذا السـؤال ولم ارد الضـغط عليـه مـن اجل تطوير الموضوع، فلو قال نعم يجب أن تهاجموا فإنه يوجد هنا توقع من جانب الولايـات

المتحدة وهو انها تشك في قدرة ورغبة إسرائيل بالقيام بذلك. «ولو قال» كلا، لا تهاجهوا باي حال فيوجد هنا تقييد لايدي إسرائيل. فاذا ما اجبرتها ظروف خطيرة على الهجوم فانها ستخاطر في كسر رغبة وامر الرئيس الامريكي وتكشف نفسها لخطر تقويض العلاقات معه.

عدنا إلى الحديث عن اسلوب تزويد الطائرات، ومرة أخرى قال الرئيس: اننا سنسد النقص في الطائرات التي ستدمر أو تتلف عندكم فقلت: انها عملية معقدة وطويلة. اننا نبلغكم بما قد تلف، ورجالكم يبدأون بالحوار معنا. انني اعرف فن اللعبة. وهنا تدخل كيسنجر بطرحه اقتراحا خاصا به، لم اعرف مطلقا فيما إذا كان جديا أو مازحا أو بين بين فقال: هل سنتفق مستقبلا على ارقام ثابتة للتلف والدمار. فرفض الرئيس هذا الاقتراح: كلا لا ارقام ثابتة، ولكن من المحتمل انكم بهذا الاسلوب ستحصلون على طائرات أكثر مما هو متبع في الاسلوب السابق.

في برقية لإسرائيل قلت: لم نتحدث خلال اجتماعنا عن وقف اطلاق النار ان لدي الآن رسالة الرئيس الموجهة إلى رئيسة الحكومة. وقد حذفت منها الفقرة الخاصة بوقف اطلاق النار. وقد فشلنا في موضوع تزويد الأسلحة. ان الرئيس لا يعارض، في ان اتوجه بهذا الصدد إلى وزارة الخارجية ولكنني لا ارى جدوى من ذلك، بعد ان انزل الرئيس وكيسنجر بنا ضربة في هذا الموضوع وكان قرارهما نهائيا. انني واثق من اننا سنحمل على أسلحة بطريقة أخرى، ولكننا فشلنا في هذه المرحلة، يجب ابقاء امر الاجتماع مع الرئيس سرا. وسأرسل لكن بتوصيات أخرى في موعد لاحق.

بعد مرور وقت اضفت في تقرير اخر لحكومتي: بمبادرة مني ابلغت كيسنجر انه على الرغم من اننا لا نستطيع القبول بوقف اطلاق النار حسب الشروط المعروضة علينا فانني سأوصي الحكومة بان تعيد النظر في هذا الاقتراح وانني اعتقد بأنه لا يوجد امامنا احتمال لان نحصل الآن على طائرات أخرى حتى ولو غيرنا قرارنا ونوافق على وقف اطلاق النار حسب الشروط والظروف المقترحة. يجب علينا ان نحدد مقاييس لتلف الطائرات، اننا بحاجة إلى

الطـائرات، فلنكيـف انفسـنا للطـرق التـي تفضـلها الولايـات المتحـدة. علينـا ان نعـرض عـلى الامريكيين الصورة التي تتلف بها الطائرات حسب عنصريها: فقدان طائراتنا من جميـع الانـواع في الماضي وكذلك تقدير ما سنخسره من الطائرات في المسـتقبل ومشـكلة القـدم التـي اصـبحت تشمل جزءا كبيرا من طائراتنا المقاتلة. وسنطالب بسد الـنقص في طائراتنـا المقاتلـة عـلى اسـاس حسابات الدمار الشامل ويجب ان نتأقلم حسب ظروف اللعبة الجديدة حول هذا الموضوع.

كان الجواب من القدس قاطعا: إسرائيل لن توافق عـلى وقـف اطـلاق النـار حسـب هـذه الشروط ابلغ ذلك لكيسنجر. ابلغته. وكانت لـدي دلائـل وتأكيـدات عـلى ان جوابنـا السـلبي لم يسبب خيبة امل في «البيت الابيض» وانما حظي برد يسوده الارتياح، إذ ان فكرة وقـف اطـلاق النار غير المعلن قد ولدت في الاتحاد السوفياتي.

وفي ٢٣ اذار اعلن روجرز: بالنسبة لموضوع الأسلحة قـررت الولايـات المتحـدة ان لا تقـرر، ويجب السعي من اجل وقف اطلاق النار وهواصلة المسيرة السياسية، وقد اسـتجابت الولايـات المتحدة لعدد من مطالب إسرائيل الاقتصادية.

لا يوجد شيء جديد، ولا يوجد سر لم نكن نعرفه، ولكن حتى الاقوال القديمة من شـأنها ان تثير الاسى عندما تخرج من اطار السرية وتصبح ملكا للجميع. عاودنا الكفاح من جديد. واصبح ميدان كفاحنا في الولايات المتحدة يشمل جميـع اوسـاط الـرأي العـام بواسـطة وسـائل الاعـلام الجماهيرية واعضاء مجلسي النواب والشيوخ.

اننا لا نستطيع تبني نصيحة روجرز، فقبل ان يصدر بيانـه اسـتدعاني للاجـتماع بـه وقـال: ردوا بضبط النفس، والا مـا علـيكم الا ان تعلنـوا بـان الولايـات المتحـدة قـد رفضـت المطالـب الإسرائيلية وهذه هي نيتكم وليست نيتنا، وهي ان بيان وزارة الخارجيـة سـيفسر لـدى العـرب والسوفيات بأنه عدم تأييد امريكي للمتطلبات الاساسية لـدعم إسرائيـل. اننـا لا نسـتطيع تبنـي هذه النصيحة لانـه يتوجـب علينـا ان نعـرض عـلى الشـعب الامـريكي بكامـل طبقاتـه التحـول

الـذي طـرأ وهـو: لاول مـرة ادخـل الاتحـاد السـوفياتي إلى الـدول العربيـة لـيس فقـط سـلاحا. ومستشارين وفنيين ومدربين، وانما قوات محاربه هدفها منح مصر مظلة للـدفاح عـن اجوائهـا، وتمكين جيشها من مواصلة نشاطاته على طول قناة السويس. وانه يوجـد هنـا تـدخل سـوفياتي مباشر في الشرق الاوسط ويبرز امامه القرار الامريكي بعدم تزويد إسرائيـل بالأسـلحة الضروريـة لها، للوقوف امام النوايا السوفياتية - العربية، لقد وجدت الحجة الإسرائيلية اصداء واسعة بـين الجمهور الامريكي.

وفي السابع من نيسان عرض رئيس قسم الاسـتخبارات العميـد يريـف عـلى رجـال البيـت الابيض ووزارة الدفاع ووكالة الاستخبارات المركزية، ميزان القـوى العسـكري في الشرق الاوسـط، واكمل العقيد يشعياهو بريكت، ضابط الاستخبارات في سلاح الجو تفاصيل الموضوع الجوي.

على اساس الانظمة الجديدة التي قررها الرئيس الامريكي طلبنـا تزويـد إسرائيـل بطـائرات تفوق سرعتها الصوت، وبطائرات «سكايهوك» وبدل التلف في عامي ١٩٧٠-١٩٧١ .

وخلال الاجتماع ساد جو لطيـف، وقـد بحثـوا فيـه الموضـوع السـياسي، وقـال سيسـكو ان السوفيات والمصريـين يواصـلون معارضـة وقـف اطـلاق النـار بصـورة رسـمية، ولا يوجـد لـدى السوفيات استعداد للحد من سباق التسلح ولا توجد ايـة دلالـة عـلى تغيـير مضـمون المواقـف السياسية السوفياتية بالنسبة لمهمـة يـارينغ وقـال انـه يريـد التوجـه قريبـا إلى الشرق الاوسـط لزيارة إسرائيل ومصر والاردن للوقوف على مواقف هذه الدول.

في نهاية اذار ١٩٧٠ توقفنا عن قصف العمق المصري، بسـبب التـدخل السـوفياتي ونصـب صـواريخ سـام ٣. ومقابـل ذلـك اسـتمرت المعـارك في منطقـة قنـاة السـويس وارادت الادارة الامريكية القيام بتقييم جديد للوضع وطلـب سيسـكو ان يبنـي هـذا التقيـيم عـلى محادثاتـه مع زعماء دول المنطقة. وعدنا واكدنا له بـان المواقـف الامريكيـة كـما وردت في الوثـائق التـي سلمت للسوفيات وفي خطاب روجرز في التاسع من كانون اول غير مقبولة لدينا وطلب العميـد

يريف ان يعرف ماذا سيبلغ إسرائيل بالنسبة لموضوع الأسلحة واقترح سيسكو: ان الفجوة في المواقف قد تقلصت وان موقفكم قد قوبل بالتأييد والتفهم وان الولايات المتحدة لن تسمح بتغيير ميزان القوى لغير صالحكم - مرة أخرى، كلمات لطيفة ولكن بدون نتيجة، وهنا تدخل الفرد اثرتون في الحديث فقال: لقد اعلنتم دوما بأنه إذا ما توقف المصريون عن وقف اطلاق النار فانكم ستتوقفون انتم ايضا فهل هذا الاعلان ما زال قائما؟ فقلت: اننا في الوضع الحالي لا نستطيع الموافقة على وقف لاطلاق النار بحكم الامر الواقع، وقف اطلاق النار هذا سيخدم الاهداف السوفياتية والمصرية وسيمكنهم من استئناف النار بعد ان يفرغوا من نصب بطاريات «سام- ٣». وقد اعرب سيسكو عن تفهمه لهذا الموقف لكنه اضاف: انه من المهم ان تواصل إسرائيل استعدادها لوقف اطلاق النار رسميا، وامتدح سيسكو بشدة التصريح الذي ادلى به وزير الدفاع موشة ديان والذي قال فيه ان إسرائيل لن تهاجم قواعد «سام-٣» المقامة في ضواحي القاهرة، والاسكندرية واسوان، ولكنه يفهم، مقابل ذلك، انه يجب على إسرائيل ان تواصل هجماتها عل طول القناة. وقال سيسكو: لو كنت مكانكم لما تصرفت بشكل اخر. وقد توجه سيسكو إلى الشرق الاوسط وفي إسرائيل سنحت له الفرصة لاجمال القضايا في اجتماعاته مع قادة الحكم.

في ١٣ نيسان استدعاني ريتشارد سون وسألني: هل ستوافقون على وضع يمتنع فيه السوفيات عن اقامة قواعد «سام-٣» في منطقة القناة وانتم تمتنعون عن مهاجمة العمق المصري؟ فاذا كان بالامكان تحقيق هل هذا الوضع فان الولايات المتحدة ترى في ذلك فائدة كبيرة، اذ ان وقف اطلاق النار العلمى ليس في متناول اليد وإسرائيل لا تستطيع، كما يملي عليها موقفها ذلك، ان توافق على وقف لاطلاق نار غير معلن.

أجبت: اننا لا نهاجم بطاريات الصواريخ التي يشغلها السوفيات في منطقة القاهرة والاسكندرية واسوان ولكننا لن نسمح باقامة قواعد صواريخ «سام-٣» في منطقة القناة ولن نوافق على زحف الصواريخ نحو القناة اننا نريد المحافظة على «نوافذ» تسلل إلى قلب ممر دون الاصطدام مع السوفيات.

طلب ريتشارد سون ان اشرح له ما هي «النوافذ». فقلت انه بالامكان مهاجمة اهداف مصرية وليس فقط في الاماكن الرئيسة الثلاثة، وعلى اية حال فقد قلت لريتشارد هون بانني سانقل اقتراحه إلى القدس.

وفي ١٩ نيسان تلقيت برقية من وزير الخارجية جاء فيها: خلال المحادثات في إسرائيل شرحنا لسيسكو سياسة إسرائيل ودوافعها، اننا لا نريد مطلقا التسبب في تصعيد الحرب. ولن نهاجم مواقع الصواريخ في القاهرة، والاسكنرية، واسوان، ولكننا لا نريد ان نعطي هذا القرار طابع الالتزام نحو مصر. ان نشاطاتنا الجوية يقصد بها الدفاع عن خطوطنا الحالية، واحباط حرب الاستنزاف، ومنع المصريين من تنظيم قواتهم لهاجمتنا، اننا لا نريد ان نحدد المصطلح «عمق» أو ان نكون شركاء لصفقة امريكية - سوفياتية مفصلة، تنطوي على رسم خط دقيق، لا نستطيع العمل من ورائه، وعلى اية حال يجب علينا ان لا نضعف تعبير نيتنا في عرقلة نصب الصواريخ بالقرب من القناة.

نقلت البرقية إلى عنوانها.

وفي اجتماع عقدته مع سيسكو في ٢٨ نيسان قلت ان طيارين سوفيات يقومون الآن بقيادة طائرات مصرية، وقلت لسيسكو: لقد اتخذ السوفيات هذا القرار رغم البيان الذي اصدره وزير الدفاع الإسرائيلي والذي قال فيه اننا لن نهاجم الصواريخ السوفياتية في المراكز الرئيسة في مصر، ان السوفيات يعملون بهذه الصورة بسبب التردد الامريكي، فقد فسروا قرار تجهيد ارسال طائرات أخرى لإسرائيل والذي صدر في ٢٣ اذار كضعف امريكي ورأى به السوفيات فرصة لزيادة تدخلهم.

وفي الثامن من ايار سئل الرئيس نيكسون في مؤتمر صحفي عما إذا اتخذت الولايات المتحدة قرارها بصدد بيع طائرات أخرى لإسرائيل، وكيف تقيم الوضع الحالى في الشرق الاوسط؟ ورد الرئيس بحذر: لقد تعقد الوضع بسبب الانباء التي تحدثت عن وجود طيارين

سوفيات في سلاح الجو المصري، وفي هذه المرحلة ليس في وظائف قتالية، وانما يقومون بمهام أخرى. اننا نتتبع هذه التقارير وإذا ما اتضح بانها صحيحة وزاد السوفيات من تدخلهم فان ميزان التسلح في الشرق الاوسط سيزعزع وسنقرر امكانية بيع طائراته أخرى لإسرائيل، ان السلام في الشرق الاوسط يتطلب الحفاظ على ميزان القوى وسنفي بالتزاماتنا التي لم تتغير. عندما ترفض الولايات المتحدة بيعنا أسلحة موجودة لديها، وتبدو حيوية لامتنا، فان إسرائيل ستكون في ضائقة. وهناك وضع اخطر من ذلك. ان الولايات المتحدة لا تستطيع تجاهل الواقع الجديد في الشرق الاوسط ولا تعترف صراحة بان السوفيات يعمقون من تدخلهم هناك بصورة جديدة. لقد توقفت إسرائيل عن قصف العمق المصري بسبب التغلغل السوفياتي، والامريكيون، أو على الاقل الكثيرون من صانعي السياسة، يتوصلون إلى النتيجة الخطيرة وهي انه إذا ما حرك السوفيات والمصريون قواعد الصواريخ نحو منطقة القناة، فان إسرائيل لا تمتلك الرد العسكري على ذلك، ان سلاح الجو الإسرائيلي لا يستطيع منع تدخل الطائرات السوفياتية التي تعمل تحت مظلة الصواريخ حتى في منطقة القناة والاخطر من هذا كله، ان الولايات المتحدة لا تمتلك أسلحة تستطيع ترجيح الكفة في المعركة لصالح إسرائيل. حتى ولو ارادت تزويدنا بهذه الأسلحة.

«ان الذي زاد من الحريق الذي يشتعل في جسدي كان احد اصدقائنا في الادارة الامريكية حيث قال: إذا قرر السوفيات والمصريون تقديم جهاز الصواريخ «سام -٢» و«سام-٣» نحو القناة فاننا لا نملك الوسائل الحربية التي تمكن من القضاء على هذا الجهاز، ان المسالة لم تعد تقديرات سياسية ماذا يجب ان نعطيكم وماذا يجب منعه؟ فخلال الحرب بين الطائرات والصواريخ فان يد الصواريخ ستكون هي العليا فالولايات المتحدة لا تمتلك ردا عسكريا خاصا بها لمثل هذا الوضع الذي من شأنه ان يكون خطيرا جدا على إسرائيل إذا ما استمرت حرب الاستنزاف.

الفصل الثامن

مبادرة روجز

في الثاني من حزيران اجتمع وليام روجرز والسفير اناتولي دوبرنين الذي عاد إلى واشنطن من موسكو وتحدث معي سيسكو عن اجتماعهما، فقد تحدث سيسكو مع دوبرنين حول ضرورة الامتناع عن تصعيد الوضع العسكري في الشرق الاوسط، وخاصة كل ما يتعلق بتعميق التدخل السوفياتي. ويجب القيام بنشاطات سياسية من اجل ازالة الاخطار العسكرية. وتلا روجرز على دوبرنين بعض الاخبار الصحفية الإسرائيلية التي نقلت تصريح وزير الدفاع ديان حول الواجهة التي عرضها ٣٠ كم غربي قناة السويس والتي قال عنها ديان ان إسرائيل ستعارض دخول الصواريخ الروسية اليها، وقال سيسكو انه ابلغ دوبرنين في الثاني من حزيران انه إذا تم تقديم صواريخ تشغل من قبل السوفيات عبر خط إلى ٣٠ كم فان الولايات المتحدة سترى بذلك عملية مضرة بها وسترغمها على اعادة النطر في مواقفها.

ان مجموعة التقديرات الامريكية واضحة لى وتاكدت من ذلك في محادثات كثيرة اجريتها مع كيسنجر وسيسكو إذا ما قدم الاتحاد السوفياتي الصواريخ إلى منطقة القناة عبر قطاع إلى ٣٠ كم فان حرب الاستنزاف ستحسم لغير صالح إسرائيل. اذ ستتقلص حرية عمل الطائرات الإسرائيلية خلال ردها على عمليات القصف المدفعي المصرية، وستضطر إسرائيل إلى شن حرب كاملة وتندلع النار من جديد في الشرق الاوسط وتعتقد الولايات المتحدة بأنه يجب عليها ان توقف السوفيات وان تحول دون تطور خطير في الشرق الاوسط، ولكن لا يكفي ان تحذر السوفيات فقط. فالاحتمال هنا يكمن في اقتراح سياسي يستطيع السوفيات تأييده.

لقد كان هذا هو الاساس «لمبادرة روجرز» التي صدرت في ١٩ حزيران ١٩٧٠ وكان هدفها المعلن وقف اطلاق النار للبدء بالمفاوضات، ويوجد بها دمج عسكري وسياسي فهي

تتحدث عن وقف معلن لاطلاق النار لـدة ٩٠ يوما على الاقل وتشترط وقف اطلاق النار بتجديد مهمة يارينغ، وقد شرح لنا بصورة لطيفة بان تزويد السلاح لإسرائيل مرتبط بالاستجابة للمبادرة الامريكية الجديدة. لقد كانت المبادرة ملخصة في صفحة واحدة وهي: السفير يارينغ يبلغ السكرتير العام للامم المتحدة عن استعداد إسرائيل ومصر والاردن بقبول هذه المبادرة. وطلب فولفورت باربور السفير الامريكي في إسرائيل من رئيسة الحكومة مئير بان لا تكون إسرائيل هي الاولى في الرد طالما لم يرد خبر واضح عن رد مصر والاردن على هذه المبادرة. وبعد مرور بضع ساعات استدعاني روجرز وقال: لا تكونوا اول من يرفض المبادرة. اننا نشك فيما إذا ستقبل مصر بهذه المبادرة وعليكم ان تحفروا بان لا تكونوا انتم اول من يحمل اعباء رفض هذه المبادرة، فاذا كان لديكم مشاكل، فقولوا لنا عنها ولكن لا ترفضوا علنا.

وفيما يلى الصفحة التي طلب من إسرائيل ومصر والاردن الموافقة عليها: ابلغتني إسرائيل ومصر والاردن بانها توافق على مايلى:

أ- بما أنها قبلت بقرار ٢٤٢ بكل بنوده واعربت عن استعدادها لتنفيذه، فان هذه الدول ستعين ممثلين لحضور المفاوضات التي ستجري تحت اشرافي طبقا للانظمة، وبنفس الاماكن والاوقات التي سأوصي بها من خلال الاخذ بعين الاعتبار، رغبة كل جانب بالنسبة للطرق والتجربة السابقة بين الطرفين.

ب- ان الهدف من المحادثات الانفة الذكر هو الوصول إلى اتفاق حول اقامة سلام عادل ودائم بينها مبني على:

١= الاعتراف المتبادل من جانب مصر والاردن وإسرائيل بسيادة كل طرف، وسلامة اراضيه واستقلاله السياسي.

٢= انسحاب إسرائيلي من مناطق محتلة نتيجة لنزاع ١٩٦٧ وذلك طبقا لقرار ٢٤٢.

ج- من اجل تسهيل وظيفتي بالنسبة لتطوير الاتفاق كما ورد في قرار ٢٤٢ تنفذ الاطراف اعتبارا من ١ تموز وحتى ١ تشرين اول على الاقل قرار وقف اطلاق النار الصادر من مجلس الامن.

اذن يوجد هنا قدر معين من الاخذ والرد السياسي: ففي حين ان مصر والاردن قد طلب منهما الموافقة على السلام والاعتراف بإسرائيل، فقد طلب من إسرائيل ان تعلن عن نيتها للانسحاب من مناطق احتلت نتيجة لنزاع عام ١٩٦٧، خلال حرب حزيران.

وقمت بارسال رسالة إلى القدس قلت فيها: ان جوهر المبادرة الامريكية هو محاولة لكسر الجهود السياسي. من خلال القيام بخطوات لتجديد المفاوضات السياسية من اجل تحقيق حل للنزاع بطرق سلمية، وهذا يعني انه قد خصصت لذلك فترة زمنية محددة مدتها ٩٠ يوما وخلال هذه الفترة لن يزودنا الامريكيون باية طائرة أخرى. ان المبادرة موجهة بشكل خاص نحو عبدالناصر لمعرفة فيما إذا هو مستعد لوقف اطلاق النار والبدء بالمفاوضات السياسية، ولهذا السبب فقد طلب من إسرائيل عدم الرد على المبادرة قبل ان يعرف رد عبدالناصر. وقام السفير باربور بتقديم نص المبادرة إلى رئيسة الحكومة ولم يستطع ان يتيه في ردها فقد قالت: ارجو ان تبلغ مرسليك في الولايات المتحدة باننى ساعرض هذا الاقتراح على الحكومة لمناقشته، ولكن موقفي سلبي تماما وأنا واثقة من ان الحكومة ستوافق معي. وكما طلب منه ابلغ باربور حكومته بذلك.

وفي ٢١ حزيران ارسل الرئيس نيكسون رسالة شخصية إلى غولده مئير قال فيها: يجب على إسرائيل ان لا تكون الاولى التي ترفض المبادرة وعلى إسرائيل ان لا تتحمل مسؤولية افشال احتمال وقف اطلاق النار والتفاوض السياسي.

كانت الرسالة تنطلب ردا من رئيسة الحكومة، فاقترحت على القدس بان تعرب رئيسة الحكومة عن خيبة املها من عدم اتخاذ قرار بتزويد إسرائيل بالأسلحة وان تفول انه يوجد

بذلك استسلام للابتزاز السوفياتي - المصري وتعبير عن الضعف الامريكي. ولكنني طلبت بان لا تقول للرئيس باي حال من الاحوال شيئا قد يفسر بأنه رفض لمبادرة روجرز، قبل ان يصل الرد المصري وفي ٢٤ حزيران تلقيت مسودة رسالة ارادت رئيسة الحكومة ان تبعثها إلى الرئيس، وطلبت مني ان اقول رايي فيها. لقد اصبت بصدمة، فرئيسة الحكومة تنوي ان ترفض المبادرة بصورة قاطعة، وعلمت باننا سنحمل التهمة الواضحة بافشال المبادرة، وقمت بارسال برقية عاجلة إلى إسرائيل وطلبت فيها عدم التصرف هكذا وطلبت ان يستدعوني إلى إسرائيل لاشرح موقفي.

في غداة اليوم التالي نشرت مبادرة روجرز علنا وكانت عبارة عن بضعة اسطر ملخصة دون الدخول في التفاصيل: «وقف اطلاق النار والبدء في التفاوض، تحت اشراف السفير يارنغ وطبقا لقرار ٢٤٢ الصادر عن مجلس الامن».

وفي وقت متأخر جدا علمت بان وزير الخارجية ابا ايبان اوصى بعدم دعوتي إلى البلاد. ولكن رئيسة الحكومة اعتقدت خلاف ذلك وفي ٢٧ حزيران توجهت إلى إسرائيل، وخلال اجتماع مطول مع رئيسة الحكومة ومع بعض وزراء الحكومة شرحت موقفي، وفي تلك المرحلة عارضت ارسال رسالة شخصية إلى الرئيس وزعمت بأنه يمكن الاكتفاء بالاقوال التي ادلت بها رئيسة الحكومة امام السفير باربور.

ولكن رئيسة الحكومة اصرت على رأيها بأنه يجب ان تجيب على رسالة الرئيس ولكنها قبلت برأيي بصدد فحوى الرسالة وخففت من حدة جوابها، وقد اصبح هذا الجواب الآن لا يشتمل على رفض بارز للمبادرة على الرغم من انه لا يمكن تفسير الرسالة على انها موافقة هو جانب إسرائيل.

وفي ٣٠ حزيران، وفي ساعات المساء، بعد عودتي إلى واشنطن اتضح لى ان الامور التي اتفقنا عليها والامور التي اقلقتنا قد وضعت على الرف بسبب تطور دراماتيكي حدث على

الوضع العسكري في الشرق الاوسط: ففي الليلة الماضية، تحرك جهاز الصواريخ السوفياتي المصري، نحو خط جديد، يقع على بعد ٣٠ كم غربي القناة ونصب عدد قليل من الصواريخ في منطقة اقرب من القناة، وجاء من إسرائيل انه تحرك نحو القطاع التريب من القناة جنود سوفيات، ولكن بعد مرور وقت قصير اتضح بان هذا الخبر غير صحيح، وقد شنت إسرائيل هجوما جويا على قواعد الصواريخ هذه ولكن الهجوم فشل، فقد تم اسقاط عدد من طائرات الفانتوم بواسطة اصابتها بالصواريخ.

انه واقع عسكري جيد، وخطير. ففشل منع نصب الصواريخ بالقرب من القناة قد اوضح صدق الافتراض الامريكي بان يد الصواريخ هي العليا في الحرب التي تدور بينها وبين الطائرات، وحقيقة عدم امتلاك الامريكيين الجواب المناسب، خطيرة وليس فقط من وجهة النظر الامريكية.

وفي الاول من تموز رد الرئيس نيكسون بشدة. ففي مؤتمر صحفي وصف جارات إسرائيل بصفة دول معتدية وارسل تحذيرا معتدلا إلى الاتحاد السوفياتي: «انني اعتقد بان الشرق الاوسط، هو الآن خطير جدا، وهو يشبه جزر البلقان قبل الحرب العالمية الاولى ان الدولتين العظميين ومما نحن والاتحاد السوفياتي قد ننجر إلى مجابهة لا يريد كل هنا الانجرار اليها».

وفي ٢٢ تموز ابلغني سيسكو بان مصر قد قبلت بمبادرة روجرز ولكن ليس هذا الا خبرا اوليا وما زالت الولايات المتحدة تنتظر صيغة الرد المصري، وسبق هذا البيان زيارة أخرى لعبد الناصرقام بها إلى الاتحاد السوفياتي وبيان مشترك في ١٧ تموز لعبدالناصر وكوسيجين وقف فيه الاتحاد السوفياتي بصورة حازمة وراء المواقف الصرية.

وتعلمت من الحديث الذي اجريته مع روجرز وسيسكو في ٢٣ تموز بان مصر استخدمت لغة الذكاء في جوابها على مبادرة روجرز، فقد قالت في البند الاول: اننا نقبل

المبادرة، ونوافق على رسالة يارنغ إلى السكرتير العام للامم المتحدة، وبصورة منفردة عن الموافقة كررت مصر تفسيراتها المعروفة لقرار٢٤٢ بـدون اي تغيـير، اذن لقـد عرفـت مصر كيـف تـرضي الولايات المتحدة بقبولها المبادرة ولكنها افرغت مواقفها مـن اي مضـمون حقيقـي عـن طريـق تأكيدها على تفسيراتها لقرار ٢٤٢ الذي هو الاساس لمهمة يـارنغ ونيتـه عقـد اجـتماع للاطـراف للتفاوض تحت اشرافه.

وقال لي سيسكو، ان الرئيس ينوي التوجه مباشرة إلى رئيسة الحكومة ولكـن هـذا التوجـه سيؤجل إلى ان يدلى عبدالناصر بخطابه التلفزيوني بمناسبة «عيـد الثـورة» في مصر. وطلـب مـن إسرائيل بان لا ترد علنا حتى تتسلم الرسالة.

وخلافا للعادة اطلعنـي سيسـكو عـلى مسـودة الرسـالة الرئاسـية إلى رئيسـة الحكومـة: ان المصريين قد قبلوا بالمبادرة بدون شروط، واضافوا انه لم يطرأ تغيير على طريقة تفسيرهم لقـرار ٢٤٢، ان الرئيس يخشى من الرد الإسرائيلي على الصيغة المصرية، وطلـب مـن إسرائيـل الموافقـة على المبادرة لمنع استمرار سفك الدماء في الشرق الاوسـط، ان المصريـين سيواصـلون الضـغط في نقطتين رئيستين حسب مواقفهم: انسحاب إسرائيل الكامل من جميع المناطق التـي احتلـت في عام ١٩٦٧ إلى خطوط ما قبل الخامس من حزيران، وحل قضـية اللاجئيـين بشـكل مبنـي تمامـا على تنفيذ دقيق للفقرة ١١ من قرار الجمعية العامة للامم المتحـدة يـوم ١١ كـانون اول ١٩٤٨ اي: منحهم حق الاختيار الحر للعودة إلى كل مكان ابعدوا منه عام١٩٨٤، وقال الرئيس لغولـده مئير في رسالته، انني اريد ان اعدك بان الولايات المتحدة لن تضغط عـلى إسرائيـل لقبـول هـذه المواقف التي تعرضها الجمهورية العربية المتحدة.

قلت لسيسكو ان الرسالة تفتقر إلى تأكيدين هامين وحيويين لإسرائيل وهما:

* التزام امريكي ضد الاتجاه السوفياتي العربي في موضوع اللاجئيين العـرب والتـزام امـريكي ضد الانسحاب إلى حدود ما قبل حرب حزيران.

وزعمت انه بدون تطرق مفصل وواضح من قبل الرئيس إلى هاتين النقطتين فانه لا يوجد احتمال بان ترضي هذه الرسالة رئيسة الحكومة وتحقق من جانبها نطرة أكثر ايجابية إلى مبادرة روجرز.

ووعدني سيسكو، الذي كانت صياغة الرسالة الرئاسية من فعل يده، بأنه سيسبب في تعديلها بصورة تشمل التأكيدين الناقصين. وبالفعل فان هذه الرسالة التي تعتبر حتى اليوم «وعدا بلفوريا جديدا» من جهة اهميتها قد ارسلت إلى غولده مئير في ٢٤ تموز وشملت على تعديلات بروح اقتراحاتي، وعن المسألتين، اللتين طلبت ان يتطرق الرئيس نيكسون اليهما بصورة واضحة قال الرئيس: ان موقفنا بالنسبة للانسحاب هو ان الحدود النهائية يجب ان تكون مقبولة لدى الاطراف بواسطة مفاوضات تحت رعاية السفير يارنغ. والاكثر من ذلك فاننا لن نضغط على إسرائيل من اجل ان تقبل بحل لقضية اللاجئيين، يغير بصورة اساسية الطابع اليهودي لدولة إسرائيل ويعرض امنها للخطر، وسنظل نتمسك بالمبدأ الاساسي القائل بأنه يجب توقيع اتفاقية سلام، يأخذ فيها كل طرف التزامات على نفسه نحو الطرف الاخر.

وهنا اضاف الرئيس فقرة ذات اهمية بالغة كانت لسنوات طويلة تغذي الموقف الإسرائيلي وتدعمه انه لن ينسحب اي جندي إسرائيلي من المناطق المحتلة إلى ان يتحقق سلام عادل وشامل يرضي الرغبات الإسرائيلية. ابرقت إلى القدس، بأنه يجب على إسرائيل ان لا ترد بالرفض على المبادرة الامريكية نظرا للفحوى الايجابية جدا لرسالة نيكسون إلى رئيسة الحكومة.

وفي ٣١ تموز اتخذت الحكومة قرارا، تسبب في حل حكومة الائتلاف الوطني وانسحاب حزب «جاحال» (كتلة الاحرار – والليبراليين) منها، وقد حدث ذلك يوم الجمعة، وقبلت إسرائيل «بمبادرة روجرز» ولكنها عبرت عن مواقفها حول موضوع السلام ولم يستطع وزراء جاحال حسب موقفهم الموافقة على استعداد إسرائيل ان تضمن موافقتها كلمة «الانسحاب بالنسبة للاردن».

وفي نفس ذلك اليوم وفي حديث مع سيسكو قلت: انه لا توجد لدي الصلاحية بـان ابحـث معك شروط وقف اطلاق النار، ولكنني اوصي حكـومتي، عـلى ان الشرط الـذي لا يمكـن المـرور عليه مر الكرام، هو انه في منطقة عمقها ٥٠ كم غربي القناة يجـب عـدم اجـراء اي تغيـير عـلى الوضع العسكري ويجب الموافقة على طرق الاشراف لضمان جهود الوضع، ويجب عـدم ادخـال صواريخ إلى هذه المنطقة.

الامر الذي تلقيته من الحكومة في الثاني من اب لم يترك مكانا للتفسير، وان موضوع وقـف اطلاق النار سيعالجه فقط وزير الدفاع.

ان المسافة بين القدس وواشنطن لا تزيـد عـن عشرات الالاف مـن الكيلـومترات، وفي عهـد الاتصالات الحديثة تمرر البرقيات والمكالمات الهاتفية والرسائل العاجلـة مـن عاصـمة إلى أخـرى خلال ثوان معدودة، ولكن خلال الايام العشرة بين نهاية تموز والعاسر مـن آب ١٩٧٠، يسـتطيع المراقب من خارج الحلبة السياسية الهائجة ان يخرج بانطباع انه يفصـل بـين الـدولتين سـنوات ضوئية. لقد تشوش كـل شيء. فمـن جـانبي المحـيط تبودلـت الـتهم الشـديدة وطـرأ عـداوات وأحقاد خطـيرة. وبـدا وكـأن العلاقـات بـين الولايـات المتحـدة وإسرائيـل قـد اصيبت بالشـلل، فالجميع كانوا يتحدثون مع الجميع وبلفات مشوشة.

وفي نيويورك جلس السفير يارنغ. سـويدي بـارد المـزاج عـديم المرونـة وعـاجز عـن ابتكـار الافكار وكان ينتظر البيان الرسمي من إسرائيل حول موافقتها على وقفـه اطـلاق النـار وتجديـد مهمة يارنغ. وضغط عليه الامريكيون ان يسلم السكرتير العام للامم المتحدة الرسالة التـي تلـزم إسرائيل ومصر والاردن. وزعم يارنغ انه لم يتلق بعد جـواب إسرائيـل، ولم يـتردد الامريكيـون ان يقولوا له: ان إسرائيل موافقة ويستطيع العمل.

وفي إسرائيل تحدثت رئيسة الحكومة مع السفير الامريكي بـاربور واخـذوا يختلفـون حـول الصيغ يزيدون كلمة، ويحذفون حرفا، والجميع يـديرون اقـراص التلفـون ويتحـدثون ولايعـرف

شخص بالضبط ماذا قبلت إسرائيل وماذا رفضت. وما هـي الاجـراءات السياسـية التـي وافقـت عليها وما هي الاجراءات التـي رفضـتها ومتـى وبـأي شروط سـيدخل وقفـه اطـلاق النـار حيـز التنفيذ، يا لها مز ورطة اصبحت تكتنف الوضع الذي لا يطاق.

طلبت غولده مئير ان تتحدث مع سيسكو، وقال سيسكو ان له مسؤولين وليس مـن حقـه ان يقوم بمبادرة منه بالاتصال مع رئيسة الحكومة. وانه مسـتعد لان يكلمهـا هاتفيـا، بشرط ان يكون واضحا بأنها هي التي اتصلت به. فاتصلت غولده، وطلـب منـي سيسـكو ان اتنصـت إلى المحادثة بجهاز تلفون آخر. انها عملية غير بسيطة من جهتى. انني لا اسـتطيع ان اسـتمع سـاد الصمت وبعد ذلك قالت غولده لسيسكو شيئا اتضح منه ان الولايات المتحدة قد زيفـت خـتم إسرائيل، لا اقل ولا اكثر، سيسكو يصاب بصدمة: ماذا تعني كلمـة زيفـوا؟ فقالـت غولـده: لقـد ابلغتم يارنغ باننا قد قبلنا المبادرة حتى قبل ان نقبلها. وهذا ما اقصده. لقد اتفقت مع بـاربور على أشياء والولايات المتحدة تتنكر لهذا الاتفاق، انـه لا يمكـن ان تصـيغوا اجوبـة باسـمنا. فلنـا تحفظات على صيغة رسالة يارنغ، وبعد ذلك طلبت غولـد منـي ان اتحـدث مـع كيسـنجر لـكي يتحدث هو الاخر مع الرئيس، وقالت انني لا استطيع ان اعود إلى الحكومـة مـع صـيغة أخـرى تختلف عن الصيغة التي اتخذتها. لنا مواقف بالنسـبة للموضـوع السـياسى ويجـب عـلى هـذه المواقف ان تكون واضحة، وسألتها: اذن هل قبلنا بها حسب صيغة مبادرة روجـرز؟ فحتـى أنـا وغولده كنا نتحدث على موجتين منفصلتين. ان خط الهاتف يمكن ان يكون احيانا مشوشا حتى ولو ان كل كلمة كانت تسمع بوضوح.

اتصلت بكيسنجر وطلبت الاجتماع به بسرعة، واستدعاني في الساعة العـاشرة والنصـف إلى البيت الابيض. فقال: ماذا تريدون؟ ومتى تلقيتم كتاب مبادرة روجرز؟ فقلت: منذ ستة اسابيع وقال: وهل ستة الاسـابيع لم تكـف حكومـة إسرائيـل لدراسـة ومطالعـة وفهـم فحـوى صـفحة واحدة؟ فكم يستغرق هذا حكومة إسرائيل؟.

فماذا اقول له انه يمسك بالمبادرة واضاف: انني اعترف بانني لا افهمكم، فـما هـي طريقـة عمل حكومتكم؟ الورقة توضـع عنـدكم سـتة اسـابيع، فـماذا توجـد لكـم ملاحظـات، ومـزاعم،

ومطالب، فتحدثوا عنها لقد قبل المصريون مبادرتنا. فهل قبلتم ام لا؟ دعنا نفهم بصورة واضحة.

قلت: اننا نوافق على مبادرة السلام بناء على رسالة الرئيس إلى رئيسة الحكومة ولكن ليس حسب الصيغة التي مررتموها إلى السفير يارنغ.

صحيح ان كيسنجر كان محقا في اقواله. وحتى أنا لا افهم بالضبط على ماذا وافقت إسرائيل وماذا عارضت. انني اصبحت اشعر بضائقة شديدة. اننا نعيش إحدى فترات التدهور الشديدة في العلاقات الإسرائيلية - الامريكية. ومرة أخرى اتصلت بغولده مئير. وقلت لها: ارجو ان تملى علي بالضبط ماذا اقوله لكيسنجر. كلمة كلمة وهكذا سأقوم بابلاغه. لكنها لم تمل ولم تقل.

تلفون من غولده، تلفون من الون، تلفون من ايبان، تلفون من تكواع، تلفون من بارليف، مئات الكلمات، وفيها كلمات غاضبة، وضربت غولده على رأسي بكلمات لطيفة ولكن الورطة أو العقدة مستمرة دون مخرج...

الفصل التاسع

وقف اطلاق النار- وخرقه

في يوم الجمعة، السابع من آب عمت الفرحة إسرائيل. لقد كان يـوم سـبت سـعيدا عاشـه الشعب: فوقف اطلاق النار سيصبح ساري المفعول اعتبارا من منتصف الليل. بعد قليل سيعود الابناء إلى البيت، وسيتوقف الناطق بلسان الجيش الإسرائـيلي عـن الاعـلان: «بـان طـائرتين مـن طائراتنا اسقطتا خلال الهجوم».

لولا العقدة الصعبة لكنت شريكا في هذه الافراح. وفي الثامن من آب وصلت إلى البلاد ولو ان موضوع وقف اطلاق النار قد عالجته الحكومة فـانني سـاقول بلغـة حـذرة: ان الحكومـة لم تعالج هذا الموضوع بما فيه الكفاية. لقد كان من الصـعب معرفـة فـيما إذا سـيخرق المصريـون وقف اطلاق النار بواسطة البند الذي يلزم بالجهود العسكري في قطاع إلى ٥٠ كم غـربي القنـاة. وبما ان اتفاق وقف اطلاق النار منع المصريين من ان ينصبوا في هـذه المنطقـة صـواريخ ارض - جو، فقد اتفق ان يقوم الامريكيون باجراء صور جوية عـن طريـق طـائراتهم مـن نـوع «U.2» وسيعرف بموجب هذه الصور فيما إذا خرق الاتفـاق ام لا، وقـد جـاء الامريكيـون وقـالوا انهـم يجب عليهم التقاط هذه الصور قبل دخول وقف اطلاق النار حيز التنفيذ، وإذا ما اتضـح بعـد دخول وقف اطـلاق النـار اي تواجـد في شريـط ال ٥٠ كـم لبطاريـات صـواريخ، فـان المصريـين سيقولون بان هذه الصواريخ قد نصبت هنـاك قبـل موعـد وقـف اطـلاق النـار وهـذا الامـر لا يشكل خرقا للاتفاق واما الإسرائيليون فسيقولون بان هذه البطاريات قـد ادخلـت بعـد دخـول وقف اطلاق النار حيز التنفيذ.

ان الحيرة والعجز اللذين سادا في إسرائيـل كـان بهـما مـا يـفسر معارضـة إسرائيـل لاجـراء الصور الامريكية: فقد تلقـى الملحـق العسـكري في الولايـات المتحـدة «ايـلى زعـيرا» برقيـة مـن

عنصر كبير جدا في وزارة الدفاع الإسرائيلية. وقد امر في هـذه البرقيـة ان يبلـغ الامـريكيين بـان إسرائيل تعارض تصوير وضع بداية وقف النار في الموعد المحـدد لوقـف اطـلاق النـار، وفي هـذا الامر الغريب ورد تلميح اغرب من الاخـر: ان إسرائيـل سـتعترض الطـائرات الامريكيـة (و كـأن إسرائيل تمتلك الوسائل لاعتراض طائرات U.2التي تحلق على ارتفاعات عالية، إذا ارادت ذلـك..) قلنا انها ستعترض الطائرات الامريكية إذا ارادت القيـام بالتقـاط هـذه الصـور. ان عـدم وجـود صور لوضع البداية سيثقل كاهلنا بعد مرور وقت قصير خلال المحادثات مع الولايـات المتحـدة حول خرق مصر لوقف اطلاق النار.

التاسع من آب ١٩٧٠، الحكومـة الإسرائيليـة غاضـبة، الـوزراء يتحـدثون بلهجـات صـاخبة الجميع ينتقدون التصرف الخطير للامريكيين، الذين زوروا موقف الحكومة واعطوا يارنغ جوابا، بامم إسرائيل لم يكن مقبولا لديها وبحـذر شـديد، حاولـت ان اشرح ان جـواب إسرائيـل كـان غامضا واستغرب الامريكيون: ماذا يلزم إسرائيل هل هو البيان الذي ادلت به رئيسـة الحكومـة في الرابع من آب في الكنيست ام بيان يارنغ؟ انهم لا يفهمون التنـاقض. ان بيانهـا في الكنيسـت ترك شكا فيما إذا قبلت إسرائيل مبادرة روجرز واما بيان يارنغ الذي اعتمد على البيان الامـريكي لا يترك شكا من ان إسرائيل قـد قبلـت المبـادرة فعـلا. كلـمات كثـيرة في الحكومـة. وقليـل مـن الوضوح. اما شعوري فهو: انـه خـلال الوضـع الجديـد، وخاصـة بعـد انسـحاب «جاحـال» مـن الحكومة فان ديان اصـبح يتمتـع بحـق الفيتـو في الشـؤون الامنيـة - السياسـية ولايمكـن ازالـة الغموض الا عن طريق اجراء حديث معه. اذن فان المشكلة هي تحقيق اتفـاق معـه. وكـل مـا يكون مقبولا لديه فان غولده ستؤيده.

استجاب ديان لطلبـي. واجتمعنـا في التاسـع مـن آب في سـاعات المسـاء في مكتبـه. وقـال وزير الدفاع ان غولده لا تستطيع ان تتراجع عن فحوى بيانها الـذي ادلـت بـه في الكنيسـت في الرابع من اب، كما ان الامريكيين لا يستطيعون التراجـع عـن صـيغة «مبـادرة روجـرز» ووقـف اطلاق النار ساري المفعول، والطريق الوحيد هـو ان يقـوم يـارنغ بعـد تلقيـه نصـيحة امريكيـة

بحفط الصيغة التي وافقت مصر والاردن على قبولها وان يجدد مهمته على اساس قرار ٢٤٢. ومن اجل عدم تكويم العراقيل امام تجديد مهمته فان إسرائيل لن تعارض هذه الصيغة علنا. وسألني ديان فيما إذا يوجد احتمال لموافقة الامريكيين على مبادرة روجرز علنا فانه لا مانع من ان يجدد يارينغ مهمته على اساس قرار ٢٤٢.

واقترح ديان، اذن، العمل بين القضايا فقال: يعمل يارينغ وكأن إسرائيل قبلت المبادرة ولكن يعتبر قرار ٢٤٢ بأنه قاعدة وحيدة للمحادثات. فاجبت ديان بانني واثق بنسبة ٩٩% انه بهذه الصورة يمكن انهاء الموضوع مع سيسكو.

في العاشر من آب عدت إلى واشنطن وحددت اجتماعا مع سيسكو، ولحقت بي مكالمة هاتفية من ديان تقول: ان المصريين اخذوا يقدمون الصواريخ نحو القناة إلى داخل الشريط الارضي الذي تقرر تجميد تحركات القوات فيه. صواريخ «سام-٣» تتحرك إلى الامام. وفي الاجتماع وافق الامريكيون على استئناف مهمة يارنغ حسب اقتراحنا، وفيما بعد ابلغني سيسكو بأن المعلومات التي يمتلكونها منذ الاول من آب تثير إلى انه توجد في الشريط الارضي بطاريات صواريخ، وهذه البطاريات موجردة هناك قبل دخول وقف اطلاق النار حيز التنفيذ. وعلى الرغم من ان الامريكيين اصروا على قولهم بأنه لا توجد لديهم وسائل جيدة ضد الصواريخ فقد واصلنا الاصرار على مطالبتنا لهم بتزويدنا «بالمجموعة المضادة للصواريخ» التي يمتلكونها والمركبة من ثلاثة اجزاء: اجهزة الكترونية تحمل في الطائرات ومهمتها اغلاق وسائل الكشف والتوجيه الالكتروني لجهاز الصواريخ، وصواريخ جو-ارض من نور شرايك، والتي يتم توجيهها بواسطة الرادار التابعة لصواريخ سام وقنابل عنقودية، لتدمير جهاز الصواريخ، ووجهنا للامريكيين طلبين رئيسين وهما: ان يعلنوا حقيقة خرق المصريين لوقف اطلاق النار وتزويدنا «بالمجموعة المضادة للصواريخ» وطلبت من الدكتور كيسنجر تنظيم اجتماع بين رئيسة الحكومة والرئيس لبحث كافة القضايا. ولكنني في هذه المرة لم اجد اذنا صاغية، فاعفاني كيسنجر من هذا الطلب قائلا ان الوقت غير مناسب

لذلك وفي الرابع عشر من اب اجتمعت مع نائب وزير الدفاع ديفيد بكرد فقال بكرد ان الولايات المتحدة تربط الحفاظ على وقف اطلاق النار بتزويد المجموعة المضادة للصواريخ، وهذا يعني ان يجب على إسرائيل بانها لن تخرق وقف اطلاق النار وانها ستستخدم الوسائل الالكترونية فقط في حالة قيام المصريين والسوفيات بنصب صراريخ ارض - جو أخرى في مجال الشريط إلى ٥٠ كم وليس وراء هذا الشريط، وكان الامريكيون يريدون منا ان لا نضرب بطاريات الصواريخ التي يقوم بادارتها السوفيات.

واضاف الامريكيون شرطا اخر وهو: اننا إذا زودناكم بالقذائف C.BU التي تعتبر بانها «سلاح قذر» يجب عليكم ان لا تستخدموها ضد الاهداف المدنية. واجبت بكرد: لقد التزمنا بالحفاظ على وقف اطلاق النار وهكذا سنفعل. ولا استطيع ان التزم بشأن إلى ٥٠ كم ولن نستخدم القنابل العنقودية ضد السكان والاهداف المدنية.

وفي ١٥ اب اجتمعت أنا وسمحا دينتس الذي ارسل من البلاد مع كيسنجر وهيج، وعرض دينتس موقف رئيسة الحكومة وتقديراتها ومخاوف إسرائيل الشديدة بسبب خرق الاتفاق من قبل المصريين وادخال الصواريخ السوفياتية لمنطقة شريط ١٥ كم واقترح كيسنجر ان تحضر رئيسة الحكومة إلى الولايات المتحدة وتجتمع مع الرئيس، وزعم كيسنجر بان الوقت غير مناسب، فربما اراد ان يقول بما انه من غير الواضح كيف سترد إسرائيل على ادخال الصواريخ إلى المنطقة المحظورة حسب الاتفاق، فان الرئيس لا يريد ان تفسر ضربة إسرائيلية ضد قواعد الصواريخ إذا ما نفذت، بانها قد وقعت نتيجة اتفاق بين الرئيس ورئيسة الحكومة، واقترح كيسنجر بان اجتمع مع الرئيس، وقد شعرت بعدم الارتياح، فان اجتماعي مع الرئيس لا يمكن ان يكون بديلا لاجتماع رئيسة الحكومة به وافترضت بان هذا البديل لن ترضى عنه غولده، ولكن تبريراتي لم تقبل، واضطررنا إلى القبول بالقليل وفي ١٧ آب استقبلني الرئيس في إحدى القاعات الجميلة في البيت الابيض- قاعة الخرائط «التي قال عنها كيسنجر انها كانت صعبة جدا لدى الرئيس ايزنهاور».

لماذا لم يشترك كيسنجر في الاجتماع؟ لا اعرف الاسباب. لقد كان مع الرئيس الجنرال هيج وكانت قاعة الخرائط مناسبة لهدفها، ونقلت معي بعض الخرائط لاؤكد للرئيس التغييرات التي وقعت في المنطقة بسبب فرق الجهود العسكري ونصب بطاريات الصواريخ في المنطقة المحظورة، لقد كنت على اطلاع جيد بالوضع منذ اللحظة التي دخل فيها اتفاق وقف اطلاق النار حيز المتنفيذ وحتى يوم الاجتماع بالرئيس، لقد كان اجتماعنا هادفا بدون مراسيم مجاملة، وقلت انني احمل معي مواقف رئيسة الحكومة، لقد رفضت غولدة مئير مبادرة روجرز في ١٩ حزيران وكانت نظرتها اليها سلبية جدا، وعندما تلقت رئيسة الحكومة رسالة الرئيس في ١٤ تهوز بما فيها من وعود في المجال السياسي بما في ذلك الوعد القائل انه لن يتحرك جندي إسرائيلي واحد من مكانه إلى ان يتحقق اتفاق السلام الذي سيرضي إسرائيل، قررت الاستجابة لالحاحات الرئيس، وقد حملت على عاتقها مسؤولية كبيرة، وفي إسرائيل طرأت ازمة حكومية بعد انسحاب «جاحال» من الحكومة، وقد اتخذت رئيسة الحكومة هذا الموقف وخلال تقديرها العميق للرئيس، وماذا كانت النتيجة؟ فمنذ الساعات الاولى من اتفاق اطلاق النار خرق المصريون والسوفيات الاتفاق في ظل اتفاق وقف اطلاق النار انه لم يكن بمقدورهم ان يفعلوا ذلك لولا وقف اطلاق النار الذي كان ناجما عن مبادرة امريكية، وقد طرأ الآن وضع يعرض امن إسرائيل للخطر، وقلت ان إسرائيل تستغرب ما هو مدى الوقت الذي تحتاجه المخابرات الامريكية لتقرر ان المصريين والسوفيات قد خرقوا وقف اطلاق النار؟ لقد قدمنا اليكم الصور التي قمنا بالتقاطها ولديكم صوركم. وقد اجتمع خبراؤنا وخبراؤكم لدراسة هذه الصور والتوصل إلى نتائج مشتركة وقال احد خبرائكم وهو من سلاح البحرية ان الاتفاق قد فرق من الجانب المصري: وبعد ذلك امر بالسكوت واختفي صوته. الم يوجد هنا تعبير لرغبة الولايات المتحدة بعدم الاعتراض على عمليات الخرق الخطيرة للاتفاق من جانب مصر؟.

وأضفت: الآن يتحدثون عن الجانب السياسي، وانه يجب عقد اجتماع للاطراف تحت رعاية يارنغ وبحث التسوية السلمية، فهل ان الولايات المتحدة معنية بان تدخل إسرائيل

المفاوضات من موقف الضعيف؟ فهل ان هذا سيخدم المصلحة الإسرائيلية؟ ان الجواب واضح، ولكن هل هذا سيخدم المصلحة الامريكية؟ حتما لا: اذن ارجو من سيدي الرئيس ان تتذكر ما قلته لى قبل تسلمك منصب الرئاسة حول طريقة اجراء المفاوضات من موقف القوة فلا نتوقع منها ان تنجح، وقلت ان هذا الامر لا ينطبق على العلاقات الامريكية - السوفياتية فحسب بل وانه ينطبق ايضا على الدول المتنازعة في الشرق الاوسط.

قدمت مثلا لاؤكد للرئيس كيف يقوم المصريون بازعاج إسرائيل وعرقلتها عن الدخول في المفاوضات من مركز القوة: ففي ٢٧ تموز اتصل بي روجرز هاتفيا وابلغني بأنه تمت المصادقة على تزويد إسرائيل بصواريخ جو - ارض من نوع «شرايك» وهي إحدى الوسائل التي تستخدمها طائراتنا في حربها ضد بطاريات الصواريخ، وعلى اساس هذا التبليغ راجعنا مستويات التنفيذ، بدون توقف وسألناهم متى سنحصل على القنابل الموجهة وفي كل مرة يقولون لنا: انه لم تجر الصادقة بعد من قبل المستوى السياسى: نحن بحاجة إلى صواريخ شرايك بصورة عاجلة وهم يؤجلوننا ذهابا وايابا، فكيف نستطيع الدخول في مفاوضات سياسية عندما يقوم المصريون بخرق الاتفاق باصرار ولا تقف الولايات المتحدة إلى يميننا؟! وماذا يكون مصير الاتفاقيات بعيدة المدى، إذا ما تم التوصل اليها نتيجة المفاوضات السياسية؟ اذ انه من المحتمل ان تقبل إسرائيل على عاتقها ان تقوم بتنفيذ خطوات ذات اهمية مصيرية من جهتها، ومن سيضمن لنا، بان المصريين سينفذون ما يترتب عليهم في مثل هذه الاتفاقيات؟ عدت وطلبت ان يوجه الرئيس الدعوة إلى رئيسة الحكومة لزيارة واشنطن وقال الرئيس نيكسون بعد ان اوضح من جديد ان له القدرة على الاستماع قال: انني اعرف السوفيات لا اقل منكم وأنا اشك دوما بالنسبة لنواياهم بحذر كبير. انك تعيش هنا في الولايات المتحدة وتتدخل في الجمهور الامريكي وتعرف جيدا النفسيات. وانت تعرف بان الشعب الامريكي يتمسك بشدة بكل بصيص احتمال وبكل بصيص امل، لتخفيف التوتر في الشرق الاوسط على شرط ان لا يطرأ توتر دولي. وأنا اعرف بان رئيسة الحكومة تواجه

مشـاكل سياسـية في الـداخل، وأنـا اواجـه مشـاكل في الولايـات المتحـدة فاليـك بالسـناتورات فولبرايت، وتشرتش وبارسي وغيرهم. ان احتمال التوصل إلى مفاوضات في الشرق الاوسط ومنـع تصعيد العلاقات مع الاتحاد السوفياتي يثير الحـماس في مخـيلاتهم... وقـال الـرئيس اننـي يقـظ للأخطار الكامنة في الوضع الجديد في الشرق الاوسط. ولكن يجـب عـلى أن أركـز عـلى احـتمال ايجاد تسوية سياسية، ان الهدف من استئنافه مهمة يارنغ هو ان ندرس بصورة اساسية احتمال التوصل إلى حل سياسي للنزاع المتواصـل. اننـي آمـل في انكـم تـدركون بأنـه لا قيمـة «للـورق» الموقع بين إسرائيل ومصر حتى ولو كان بالامكان التوصل إلى اتفاق حـول فحـواه بـدون تفـاهم سوفياتي - امريكي حول ماهية التسوية.

قالت: لو كان مصير الشرق الاوسط موضوعا بايدي دول المنطقة فقط، ولو كـان بالامكـان القضاء على التـدخل السـوفياتي المبـاشر والاكتفـاء بـان تقـوم الـدول العظمـى بتزويـد السـلاح لاطراف النزاع فان الوضع السياسي والعسكري كان مختلفـا جـدا. ان مشـكلتنا الرئيسـة ناجمـة عن عدم التوازن المجحف: ففي حين ان الاتحاد السوفياتي يؤيد مصر، تأييـدا سياسـيا وعسـكريا بدون تحفظ وبدون تهاون، والان اضاف تدخلا عسكريا مستمرا فانه لا يوجد مقابل لذلك مـن جانب الولايات المتحدة نحو إسرائيل.

انا في واد وهو في واد آخر: يجب عـلى إسرائيـل ان تـدخل المفاوضـات السياسـية، ويجـب عليكم ان لا تتحملوا مسؤولية تحطـيم المفاوضـات ويجـب ان لا يتهمـوا إسرائيـل بـأن رفضـها تسبب في عدم الشروع في المفاوضات، انه ليسرني ان اجتمع مـع رئيسـة الحكومـة غولـدة مئـير ولكن ليس الآن، سنرى ماذا ستكون التطورات خلال الثلاثـين أو السـتين يومـا القادمـة وعنـدها سـيتقرر موعـد الاجـتماع، ومـرة أخـرى عـدت إلى موضـوع تزويـد الأسـلحة وخاصـة صـواريخ «شرايك» والمعدات الجوية الأخرى ضد الصواريخ السوفياتية وبعد ذلك قمت بارسال برقية إلى القدس ضمنتها ما دار خلال هذا الاجتماع.

وفي غداة اجتماعي بالرئيس توجهت إلى إسرائيـل، ومـرة أخـرى وجـدت حكومـة هائجـة، فالجميع متفقون على ان مصر قد فرقت اتفاق وقف اطلاق النـار بصـورة خطـيرة جـدا ولكـن

الآراء منقسمة بالنسبة للرد المرغوب والمحتمل من جانب إسرائيل، فهناك من يطالب بمهاجمة جانب من جهاز الصواريخ الذي ادخل إلى شريط الخمسين كيلومترا، خلافا لما هو متفق عليه وعارضت ذلك بشدة وقلت: لا يوجد امامنا خيار عسكري ولا يوجد في ايدينا رد مناسب وناجح لضرب الصواريخ، وإذا ما لجانا إلى الطريقة العسكرية لانه تنقصنا أشياء وأشياء، فانهم سيتهموننا باننا خرقنا وقف اطلاق النار وبالمقابل لن ننجح في القضاء على قواعد الصواريخ عن طريق شن هجوم جوي، بدون أن ندفع ثمنا غاليا من طائراتنا وطيارينا. وان مثل هذه المحاولة سيترتب عليها خطر سياسي جسيم لا يوازيه اي انتصار عسكري. كما قلت ان إسرائيل لا تستطيع ان تعلن بانها لن تشترك في «محادثات يارنغ» وهي لا تستطيع تأخير تعيين مندوبيها للمحادثات وان تطلب من الولايات المتحدة القيام بعمل دبلوماسي لابعاد الصواريخ من المنطقة المحظورة بناء على اتفاق وقف اطلاق النار. كما انها لا تستطيع نسف الاحتمال الكامن في محادثات «يارنغ».

عدت إلى واشنطن. وبمناسبة اجتماع رئيسة الحكومة مع الرئيس في ١٨ ايلول قمت بنشاطات عديدة: من سناتور إلى سناتور، من نائب كونغرس إلى زميله، من موظف سلطة إلى اخر، ذهبت وشرحت: الم يكن هدف المفاوضات هو التوصل إلى اتفاق، لقد توصلنا لتونا إلى اتفاق ايدته الدولتان العظميان وإسرائيل ومصر، ولكن هذا الاتفاق خرق فورا، والان يطلبون هنا الاشتراك في مفاوضات للتوصل إلى تسوية سياسية باشراف يارنغ، ان وزن يارنغ اقل من وزن الدولتين العظميين. سألت اصدقاءنا في الولايات المتحدة: ما هي جدوى السعي إلى اتفاق جيد في حين ان الدولتين العظميين لا تحاولان العمل من اجل ايقاف خرق الاتفاق السابق؟ واية ثقة ستمنحها إسرائيل لاتفاق جديد، في حين تكون هذه المعاملة والنظرة للاتفاق من القديم الذي لم يمض عليه شهره الاول؟.

ان الجواب الذي سمعته من سيسكو، لم يكن به ما يريحنا، لقد تحدث عن الاحتمال الكامن في المحادثات، واضاف ان الولايات المتحدة ستعطي إسرائيل وسائل حربية ضد

بطاريات الصواريخ ومع ان هذه المعدات لا تضمن النجاح الكامل فانها تحسن احتمالات إسرائيل.

ومن اجل عدم الوقوع في الاخطاء، عدت وقلت لسيسكو: لقد قبلت إسرائيل مبادرة روجرز كحل للشرق الاوسط وهي ترفض هذا المشروع رفضا قاطعا.

وفي هذا الحديث الطويل مع سيسكو لم نتجاوز موضوع العلاقات الشخصية وهو تعبير عن المنافسة بين البيت الابيض ووزارة الخارجية الامريكية، فقد قال سيسكو: ان رجال وزارة الخارجية ساخطون عليك وخاصة روجرز نفسه. انك تتجاوز وزارة الخارجية، وتدير الامور مباشرة مع البيت الابيض ولا تضعنا في «الصورة» دائما. وكصديق اجد لزاما على ان اقول لك يجب عليك ان لا تتجاوز وزارة الخارجية.

ان لغة التهرب تناسب احيانا مثل هذه الظروف، فقلت: لا توجد هنا مسالة تجاوز. ان مهمتي هي ان احقق لإسرائيل الافضل. انني اواظب على الاتصالات والمحادثات مع البيت الابيض ومع وزارة الخارجية، ومع وزارة الدفاع، ومع مجلس النواب، ومع الصحافة، ومع كل عنصر يستطيع مساعدة إسرائيل.

وعدت وطلبت من سيسكو اربعة طلبات: توضيح امريكي واضح وقاطع حول النتائج التي توصلت اليها الولايات المتحدة نتيجة لخرق اتفاق وقف اطلاق النار من جانب مصر وكيف تنوي الولايات المتحدة ان تعمل. معالجة تسليح إسرائيل بصورة عاجلة. وترتيب الامور المالية. ومفاوضات عاطفية وجادة بين إسرائيل والولايات المتحدة. وقلت: لا تضعونا امام حقائق واقعة، فتحدثوا معنا قبل ان تتخذوا اية مواقف انني لا اريد ان اتوقع، ان تعرفوا ما هو راينا قبل ان تتخذوا موقفا وليس بعد اتخاذكم الموقف، وقال سيسكو انه سيحاول العمل من اجل تطبيق هذه المطالب.

ان العبء الاكبر من الاعداد للاجتماع بين رئيسة الحكومة والرئيس نيكسون قد وقع على كامل الدكتور كيسنجر وأنا. فقال انك تعرف طريقة عمل الرئيس. انه لا يهتم بالمواضيع غير

المنتهية. أنه من المرغوب ان نأتي اليه بعد عملية اعداد والا فان الحديث سيكون عاما ولن يسفر عن نتائج، الا تقول لى ماذا تريد رئيسة الحكومة ان تحققه خلال اجتماعها بالرئيس؟

فشرحت له. لقد كان لساني مدربا جدا بعد مئات المحادثات مع الامريكيين: ان رئيسة الحكومة تريد ايقاف الرئيس على خطورة الخرق المصري. وستطلب غولده مئير تعويضا وهو تسليح إسرائيل بصورة جدية.

وسال كيسنجر: ماذا بالنسبة للموضوع؟ فقلت: ان خطة روجرز بالنسبة لنا غير قائمة. يارنغ يجمع الأطراف تحت رعايته ويجب اعطاؤنا حرية ادارة المفاوضات بدون شروط مسبقة وبدون مطالبة إسرائيل ان تلتزم بالانسحاب بهذا العمق أو ذاك. وحتى نحن لا نطلب من مصر ان تعلن التزاماتها، قبل بدء المفاوضات.

كيسنجر: إذا جئتم بهذا الكلام، فستسمعون من الرئيس كلمات جميلة. ولكنكم لن تسمعوا جوهرا. يجب عليكم ان تأتوا إلى الرئيس بكلام أكثر تحديدا.

انه لا يمكن القول بان كيسنجر كان صادقا دائما. ولكنه صدق في حالات كثيرة وحتى في هذه الحالة، فقد جاءت غولده، واسمعها الرئيس كلمات جميلة. وكرر التزام الولايات المتحدة نحو إسرائيل ووعدها بأن الميزان لن يغرق لغير صالح إسرائيل وقال: لا تتوقعوا ان نعطيكم كل ما تطلبون ولكننا سنقوم معا ببلورة بعض الخطط ونزودكم بمتطلباتكم الحيوية، فربما تتجدد وتستخدم الصواريخ وإذا اردت طائرات أكثر مما التزمنا بتزويد، لكم فسنبحث هذا الموضوع بعد. وسنبحث عن طريقة لمساعدتكم في المجال الاقتصادي.

ومرة أخرى ردد جملة اعتاد ان يقولها وهي: انني اعرف السوفيات. انني اشك فيهم لا اقل منكم ومن اجل اعطاء مغزى للردع الامريكي فانني انوي القيام بزيارة للاسطول السادس في البحر الابيض المتوسط وسآخذ معي وزير الدفاع وقائد الاسطول الامريكي، وسنجعل الجميع يتأكدون بان الولايات المتحدة تعني ما تقوله بجدية.

عندما هدأت المعارك في السويسس اختتمت فترة في الشرق الاوسط. وقد منيت الاستراتيجية المنسقة بين عبدالناصر والسوفيات بالفشل، وذلك ليس لانها لم تكن مخططة جيدا، ولان الولايات المتحدة افشلتها، فقرار إسرائيل الذي اتخذته في شهر كانون ثان ١٩٧٠ بالبدء بقصف العمق الصري هو الذي احدث التحول واحبط المؤامرة المصرية - السوفياتية، لارغام الولايات المتحدة على التنكر لتأييدها لإسرائيل وتبني المواقف الاساسية السوفياتية المصرية.

ففي قرار إسرائيل لارسال الساعد الطويل للجيش الإسرائيلي وهو سلاح الجو إلى قلب مصر كانت تكمن اخطار: فقد عمق التدخل السوفياتي المباشر في الشرق الاوسط. ولكن من الوجهة الأخرى، ومن اجل التوازن، خلص الولايات المتحدة من عدم مبالاتها ووضعها إلى جانب إسرائيل بصورة قوية، ولم يوفر السوفيات اي جهد من اجل التسبب في وقف عمليات القصف، بدون ان ينطوي الامر على وقف لاطلاق نار متفق عليه ورسمي ومعلن. وقد رفضت الولايات المتحدة هذه الامكانية بشدة وعناد. وفي النصف الثاني من نيسان نفذ السوفيات خطوة أخرى وخطيرة: فقد وضعوا اسرابا جوية سوفياتية لحماية الاجواء المصرية واستجابوا بذلك لضغوط عبدالناصر المتكررة، والان، ولو ان الوقت اصبح متأخرا، ادرك الامريكيون الخطورة التي ينطوي عليها ترددهم الذي يستمد منه السوفيات الصلف المتزايد ويفسرونه بأنه ضوء اخضر لتعميق تدخلهم المباشر، وفي الثاني من حزيران قال روجرز لوبرنين ان محاولة لتقديم اجهزة الصواريخ عبر قطاع عرضه ٣٠ - ٣٥ كم غربي القناة معناها مجابهة مع الولايات المتحدة، وهذا الحديث الصريح وجد آذانا صاغية: فعلى الرغم من معلومات مضللة ان يضع السوفيات الولايات المتحدة امام اختبار صدقها بوعودها، ولم يدخلوا بطاريات صواريخ إلى «القطاع المحظور» حتى وقف اطلاق النار، وقد قرر السوفيات عدم شد الخيط في علاقاتهم مع الامريكيين واصرت الولايات المتحدة عل عدم وضع السوفيات في حالة المستسلم للانذار الامريكي. وقد احترمت الدولتان شرف بعضهما البعض بطرق كانت تبدو احيانا غريبة بالنسبة للدول الصغيرة.

هكذا مهد الطريق إلى وقف اطلاق النار المعلن والى مبادرة روجرز لاستئناف مهمة يـارنغ

انني اشك انذاك، واليوم أيضا، في انـه لـولا بـدء إسرائيـل بعمليـات القصـف في العمـق المصري لحققت الاستراتيجية السوفياتية - المصرية انتصارا، لقد كانت الكفة راجحة لغير صالح إسرائيـل بخطورة كبيرة، وكان وضعنا العسكري اخذ في التـدهور وازداد الشـعور الأمـريكي بـأن الولايـات المتحدة اخذت تفقد جميع مراكزها في الشرق الاوسط.

الكتب الصادرة عن دار الجليل

تسلسل	العنوان	المؤلف او المترجم
١.	عمود النار "الأسطورة التي قامت عليها إسرائيل"	ترجمة : غازي السعدي
٢.	الاستيطان "التطبيق العملي للصهيونية"	عبد الرحمن أبو عرفة
٣.	حرب الجليل (نافذ)	بدر عبد الحق وغازي السعدي
٤.	الكتاب السنوي "١٩٨١"	غازي السعدي ونواف الزرو وغسان كمال
٥.	الكتاب السنوي "١٩٨٢"	غازي السعدي ونواف الزرو وغسان كمال
٦.	الحرب الفلسطينية الإسرائيلية في لبنان (١) شهادات ميدانية	غازي السعدي وبدر عبد الحق
٧.	الحرب الفلسطينية الإسرائيلية في لبنان (٢) معركة بيروت	مايكل جانسن – ترجمة : محمود برهوم
٨.	الحرب الفلسطينية الإسرائيلية في لبنان (٣) وثيقة جرم وإدانة	غازي السعدي
٩.	الحرب الفلسطينية الإسرائيلية في لبنان (٤) أهداف لم تتحقق	غازي السعدي
١٠.	الحرب الفلسطينية الإسرائيلية في لبنان (٥) معتقل أنصار وصراع الإرادات (نافذ)	سليم الجنيدي
١١.	الحرب الفلسطينية الإسرائيلية في لبنان (٦) الحرب المضللة	زئيف شيف وايهود يعاري - ترجمة : غازي السعدي
١٢.	الحرب الفلسطينية الإسرائيلية في لبنان (٧) فظائع الحرب اللبنانية	دوف يرميا – ترجمة : زكي درويش
١٣.	الحرب الفلسطينية الإسرائيلية في لبنان (٨) هزيمة المنتصرين وانتصار القضية	إعداد : اللجنة ضد الحرب في لبنان
١٤.	الحرب الفلسطينية الإسرائيلية في لبنان (٩) الأسرى اليهود وصفقات المبادلة	غازي السعدي
١٥.	رسائل من قبل الحصار	أبو عمار

تسلسل	العنوان	المؤلف او المترجم
١٦.	يوميات من سجون الاحتلال "زنزانة رقم ٧"	فاضل يونس
١٧.	المثلث الإيراني: العلاقات السرية الإسرائيلية الإيرانية الأمريكية "الكتاب الأول"	شموئيل سيغف – ترجمة: دار الجليل
١٨.	المثلث الإيراني: العلاقات السرية الإسرائيلية الإيرانية الأمريكية "الكتاب الثاني"	شموئيل سيغف – ترجمة : دار الجليل
١٩.	هل يوجد حل للقضية الفلسطينية؟ "مواقف إسرائيلية"	ألوف هوروبين - ترجمة : غازي السعدي
٢٠.	عملية الدبويا كما يرويها منفذوها	درويش ناصر – محامي الدفاع
٢١.	مراكز القوى ونموذج صنع القرار السياسي في إسرائيل (نافذ)	د. نظام بركات
٢٢.	مشاريع التسوية للقضية الفلسطينية	منير الهور وطارق الموسى
٢٣.	غوش أيمونيم – الوجه الحقيقي للصهيونية	داني روبنشتاين ترجمة : غازي السعدي
٢٤.	رؤى مستقبلية عربية في الثمانينات	د. أحمد صدقي الدجاني
٢٥.	أيام دامية في المسجد الأقصى	د. أحمد العلمي
٢٦.	حق الشعب الفلسطيني في تقرير المصير	يوسف محمد القراعين
٢٧.	الأحد الأسود	توماس هارس – ترجمة: حسن مشعل
٢٨.	برتوكولات حكماء صهيون (المجلد الأول)	عجاج نويهض
٢٩.	برتوكولات حكماء صهيون (المجلد الثاني)	عجاج نويهض
٣٠.	الأردن وفلسطين	د. سعيد التل
٣١.	الاقتصاد الإسرائيلي بين دوافع الحرب والسلام	د. فؤاد بسيسو
٣٢.	الاستعمار وفلسطين	رفيق شاكر النتشة
٣٣.	الحرب من أجل السلام	عيزر وايزمن - ترجمة : غازي السعدي
٣٤.	الموساد "جهاز المخابرات الإسرائيلية"	دنيس ايزنبرغ - ايلي لاندو - واوري دان
٣٥.	التوازن العسكري في الشرق الأوسط	إعداد مركز الأبحاث الاستراتيجي

تسلسل	العنوان	المؤلف او المترجم
		التابع لجامعة تل أبيب
٣٦.	الكتاب الأسود عن يوم الأرض ٣٠ آذار ١٩٧٦	إصدار اللجنة القطرية للدفاع عن الأراضي العربية في فلسطين المحتلة
٣٧.	في سربية الصحراء	الشاعر سميح القاسم
٣٨.	الخيار النووي الإسرائيلي	شاي فيلدمان - ترجمة : غازي السعدي
٣٩.	انتهاك حقوق الإنسان في الأراضي المحتلة	إعداد منظمة القانون في خدمة الانسان ترجمة سليم أبو غوش
٤٠.	نقاط فوق الحروف	خالد الحسن
٤١.	قراءة سياسية في مبادرة ريغان	خالد الحسن
٤٢.	فلسطينيات	خالد الحسن
٤٣.	الاتفاق الأردني الفلسطيني	خالد الحسن
٤٤.	من ملفات الإرهاب الصهيوني في فلسطين (١) جرائم الأرغون وليحي	تأليف : يعقوب إلياب – ترجمة : غازي السعدي
٤٥.	من ملفات الإرهاب الصهيوني في فلسطين (٢) مجازر وممارسات	غازي السعدي
٤٦.	من ملفات الإرهاب الصهيوني في فلسطين (٣) دور الهاغناة في إنشاء إسرائيل	د. حمدان بدر
٤٧.	فلسطين تأريخا ونضالا	نجيب الأحمد
٤٨.	فلسطينيات في سجن النساء "طيور نفي ترتسا"	المحامي وليد الفاهوم
٤٩.	شوكة في عيونكم	مائير كهانا - ترجمة غازي السعدي
٥٠.	اتفاقيات السلم المصرية – الإسرائيلية	محمد الرفاعي
٥١.	الجذور "وثيقة الأوقاف الإسلامية"	فتحي فوراني
٥٢.	فلسطين الأرض والوطن "قرية الدوايمة"	موسى عبد السلام هديب
٥٣.	خط الدفاع في الضفة الغربية	آرييه شليف – ترجمة : غازي السعدي
٥٤.	تشريقة بني مازن	د. عبد اللطيف عقل

تسلسل	العنوان	المؤلف او المترجم
٥٥.	القمع والتنكيل في سجن الفارعة	إعداد : لجنة الحقوقيين الدولية
٥٦.	صورة العربي في الأدب اليهودي	د. رايز دومب – ترجمة : عارف عطاري
٥٧.	الشخصية العربية في الأدب العبري الحديث	غانم مزعل
٥٨.	فلسطين أرض وتاريخ	د. محمد نحال
٥٩.	القدس ماضيها حاضرها ومستقبلها	فايز فهد جابر
٦٠.	القضية الفلسطينية في القانون الدولي	د. جابر الراوي
٦١.	المؤسسة العسكرية الصهيونية في دائرة الضوء (١) إسرائيل عسكر وسلاح	بشير شريف البرغوثي
٦٢.	المؤسسة العسكرية الصهيونية في دائرة الضوء (٢) أزمة الاستخبارات الإسرائيلية	تسفي لينر
٦٣.	حرب الاستنزاف (نافذ)	د. محمد حمزة
٦٤.	المطامع الإسرائيلية في مياه فلسطين	بشير البرغوثي
٦٥.	إسرائيل عام ٢٠٠٠ "تصورات إسرائيلية"	إعداد : قسم الدراسات
٦٦.	القرار	رشاد أحمد الصغير
٦٧.	ندوة مشاكل التعليم الجامعي في الوطن المحتل والروح الجامعية	إعداد : المجلس الأعلى للتربية والثقافة والعلوم في منظمة التحرير
٦٨.	القضية الفلسطينية	أكرم زعيتر
٦٩.	شخصيات صهيونية (١) مذكرات رفائيل ايتان	ترجمة: غازي السعدي
٧٠.	شخصيات صهيونية (٢) شلومو هيلل وتهجير يهود العراق	ترجمة : غازي السعدي
٧١.	شخصيات صهيونية (٣) ثيودور هرتسل	إعداد : قسم الدراسات
٧٢.	شخصيات صهيونية (٤) آرئيل شارون	عوزي بنزيمان – ترجمة : غازي السعدي
٧٣.	شخصيات صهيونية	ترجمة : عبد الكريم النقيب

تسلسل	العنوان	المؤلف او المترجم
	(٥) آباء الحركة الصهيونية	
.٧٤	شخصيات صهيونية	ترجمة : غازي السعدي
	(٦) موشيه ديان	
.٧٥	شخصيات صهيونية	شبتاي تيبت –
	(٧) بن غوريون والعرب	ترجمة : غازي السعدي
.٧٦	شخصيات صهيونية	ترجمة: الأميرة دينا عبد الحميد
	(٨) رسائل بن غوريون	
.٧٧	شخصيات صهيونية	ترجمة : دار الجليل
	(٩) حياتي – لجولدا مائير	
.٧٨	شخصيات صهيونية	ليني برينر
	(١٠)حركة التصحيح الصهيونية	– ترجمة : دار الجليل
.٧٩	شخصيات صهيونية	اسحق رابين
	(١١) مذكرات اسحق رابين-جزآن	
.٨٠	شخصيات صهيونية	ترجمة دار الجليل
	(١٢) ناحوم غولدمان	
.٨١	شخصيات صهيونية	ترجمة : دار الجليل
	(١٣)اسحق شامير	
.٨٢	شخصيات صهيونية	بنيامين نتنياهو
	(١٤)مكان تحت الشمس	
.٨٣	فلسطين الأم وابنها البار عبد القادر الحسيني	عيسى خليل محسن
.٨٤	دعوى نزع الملكية	آرييه.ل.افنيري –
		ترجمة : بشير البرغوثي
.٨٥	شخص غير مرغوب فيه	قصائد : سميح القاسم
.٨٦	نادية برادلي "الفدائية المغربية الشقراء"	ترجمة : غسان كمال
.٨٧	عرب التركمان	علياء الخطيب
.٨٨	المرأة الفلسطينية والاحتلال الإسرائيلي	ميسون الوحيدي
.٨٩	الإعلام الإسرائيلي	غازي السعدي ومنير الهور
.٩٠	الوجه الحقيقي للموساد (نافذ)	د. وجيه أبو غالب

تسلسل	العنوان	المؤلف او المترجم
		وأنور خلف
٩١.	العمق الاستراتيجي في الحروب الحديثة	ترجمة : بدر عقيلي
٩٢.	آه يا بلدي	أكرم النجار
٩٣.	الحافلة رقم ٣٠٠	ترجمة : احمد بركات
٩٤.	من رواد النضال في فلسطين (١)	زياد عودة
٩٥.	من رواد النضال في فلسطين (٢)	زياد عودة
٩٦.	من رواد النضال في فلسطين (٣) (نافذ)	زياد عودة
٩٧.	فلسطين في سيرة البطل عبد الحليم الجيلاني	د. حسن صالح عثمان
٩٨.	الحركة العمالية في فلسطين	سليم الجنيدي
٩٩.	الموسوعة العسكرية الإسرائيلية (١) سلاح الجو الإسرائيلي	زئيف شيف - ترجمة : دار الجليل
١٠٠.	الموسوعة العسكرية الإسرائيلية (٢) سلاح الاستخبارات	عوديد غرانوت
١٠١.	الموسوعة العسكرية الإسرائيلية (٣) سلاح الهندسة	عمي شامير – ترجمة : دار الجليل
١٠٢.	الموسوعة العسكرية الإسرائيلية (٤) سلاح المشاة	نتان روعي – ترجمة : دار الجليل
١٠٣.	الموسوعة العسكرية الإسرائيلية (٥) سلاح المظليين	إيلان كفير
١٠٤.	الموسوعة العسكرية الإسرائيلية (٦)سلاح الدروع	اريبه حشافيا
١٠٥.	معجم المصطلحات الصهيونية	إعداد افرايم ومناحيم تلمي - ترجمة : أحمد بركات
١٠٦.	حرب سيناء ٥٦	مردخاي باراون
١٠٧.	وجه قبيح في المرآة	بروفيسور أدير كوهين
١٠٨.	تاريخ ما أهمله التاريخ (نافذ)	عبد الهادي جرار
١٠٩.	أيام الصبا	د. يوسف هيكل

تسلسل	العنوان	المؤلف او المترجم
١١٠.	جلسات في رغدان	د. يوسف هيكل
١١١.	ربيع الحياة	د. يوسف هيكل
١١٢.	الإعلام الفلسطيني	د. حسين أبو شنب
١١٣.	تحت السياط	فاضل يونس
١١٤.	دراسات في تعليم الكبار	د. عدنان أبو عمشة
١١٥.	النزاع العربي الإسرائيلي بين فكي كماشة الدول العظمى	بقلم : موشه زاك – ترجمة : دار الجليل
١١٦.	الغضب (نافذ)	أكرم النجار
١١٧.	منجل في النجمة السداسية	أيسر هارئيل – ترجمة : بدر عقيلي
١١٨.	صرخة في وجه العالم "ألبوم الانتفاضة"	إعداد : دار الجليل
١١٩.	اشكالية الديموقراطية والبديل الإسلامي	خالد الحسن
١٢٠.	الاستخبارات والأمن القومي	ترجمة : دار الجليل
١٢١.	الأحزاب والحكم في إسرائيل	غازي السعدي
١٢٢.	تعليم الفلسطينيين ماضيا وحاضرا ومستقبلا	الدكتور عبد القادر يوسف
١٢٣.	قبس من تراث المدينة والقرية الفلسطينية	صباح السيد عزازي
١٢٤.	اشتعالات حمدان	أكرم النجار
١٢٥.	من القمع إلى السلطة الثورية	قدري أبو بكر
١٢٦.	هذه قضيتك يا ولدي	سليم عبد العال القزق
١٢٧.	معجم الأمثال الشعبية الفلسطينية	فؤاد إبراهيم عباس – احمد عمر شاهين
١٢٨.	صناعة قرارات الأمن الوطني في إسرائيل	يهودا بن مئير - ترجمة : بدر عقيلي
١٢٩.	قمع شعب	بشير البرغوثي
١٣٠.	أسلحة وارهاب	أهارون كلايمن
١٣١.	جليلة	أكرم النجار
١٣٢.	حدود أرض إسرائيل	البروفيسور موشيه برافر- ترجمة : بدر عقيلي

تسلسل	العنوان	المؤلف او المترجم
١٣٣.	الأحواز في الماضي والحاضر والمستقبل	نصار أحمد الخزعلي
١٣٤.	الفاشية الإسرائيلية	المحامي درويش ناصر
١٣٥.	الأمن القومي العربي ونظرية تطبيقه في مواجهة الأمن الإسرائيلي	العميد محمد يوسف العملة
١٣٦.	النظرية العسكرية الإسرائيلية "دفاع وهجوم"	ارئيل لفيتا
١٣٧.	خرافات يهودية (نافذ)	أحمد الشقيري
١٣٨.	دقيقتان فوق تل أبيب	محمد أزوقة
١٣٩.	سياسة إسرائيل الأمنية	زئيف كلاين ويهودا شيف – ترجمة: بدر عقيلي
١٤٠.	الهجرة اليهودية "حقائق وأرقام"	د.عمران أبو صبيح
١٤١.	الانتفاضة	زئيف شيف وأيهود يعاري
١٤٢.	جواسيس المخابرات الإسرائيلية	يوسي ميلمان/دان رافيف- ترجمة : دار الجليل
١٤٣.	دولة إسرائيل زائلة	يعقوب شريت - ترجمة دار الجليل
١٤٤.	داود وسليمان في العهد القديم والقرآن الكريم	أحمد عيسى الأحمد
١٤٥.	الجماعة الأوروبية والقضية الفلسطينية	محمد خالد الأزعر
١٤٦.	بقايا من خبز وكتاب	أكرم النجار
١٤٧.	إسرائيل في حرب الخليج	غازي السعدي
١٤٨.	المثلث المحتوم	أحمد عز الدين بركات
١٤٩.	الاستيطان الإسرائيلي "جغرافيا وسياسيا"	اليشع ايفرات – ترجمة : دار الجليل
١٥٠.	حرب السكاكين	زياد أبو صالح ورشاد المدني
١٥١.	انتفاضة العصافير	نجوى قعوار
١٥٢.	انهيار نظرية الأمن الإسرائيلية	أحمد بركات
١٥٣.	موسوعة عشائر وعائلات فلسطين"١" القدس مدنها وقراها	فائز أبو فردة
١٥٤.	عشيرة آل العملة "العمرو"	محمد يوسف عمرو العملة
١٥٥.	الأسرة والانتفاضة	لجنة أبحاث المرأة/نابلس

تسلسل	العنوان	المؤلف او المترجم
١٥٦.	قصة جاسوس.. بولارد	برنارد ر.هندرسون – ترجمة: دار الجليل
١٥٧.	أبو عجاج العينبوسي "الدكتور الثائر	عيسى خليل محسن
١٥٨.	الأسلحة الكيميائية والبيولوجية وتأثيراتها البيئية	د.عادل أحمد جرار
١٥٩.	قناع القناع	العميد محمد نور الدين شحادة
١٦٠.	تشريعات القضاء في دولة فلسطين (نافذ)	أحمد محمد المبيض
١٦١.	الشبح	عبد اللـه عواد
١٦٢.	دولة مجدو	عبد اللـه عواد
١٦٣.	"هشاي" مخابرات منظمة الهجناة	إعداد دار الجليل
١٦٤.	أنساب العشائر الفلسطينية	العميد محمد يوسف العملة
١٦٥.	طرد الفلسطينيين وولادة مشكلة اللاجئين	بني موريس – ترجمة : دار الجليل
١٦٦.	الاستشراق وأبحاث الصراع لدى إسرائيل	إبراهيم عبد الكريم
١٦٧.	دليل المستوطنات الإسرائيلية في الأراضي المحتلة(١٩٦٧-١٩٩١)	د.عمران أبو صبيح
١٦٨.	حرب في الخليج "أبعاد على إسرائيل"	طاقم مركز الأبحاث الاستراتيجية الإسرائيلي - يافه ترجمة: بدر عقيلي
١٦٩.	ثلاثون قضية استخبارية وأمنية في إسرائيل	يوسف أرجمان - ترجمة: دار الجليل
١٧٠.	معجم المواقع الجغرافية في فلسطين (نافذ)	قسطندي نقولا أبو حمود
١٧١.	الشرق الأوسط الجديد	شمعون بيرس
١٧٢.	الأدب العربي في جزر البليار	عبد الرزاق حسين
١٧٣.	الأعياد والمناسبات والطقوس لدى اليهود	غازي السعدي
١٧٤.	أسلحة الدمار الشامل	وليم بوروس / روبرت ويندرم – ترجمة دار الجليل
١٧٥.	المفصل في تعلم اللغة العبرية مع الكاسيت. تعلم العبرية بدون كاسيت	بدر عقيلي
١٧٦.	القاموس العملي عبري-عربي	أمين أبو عيسى

تسلسل	العنوان	المؤلف او المترجم
١٧٧.	دوائر القمر	عبد الرزاق حسين
١٧٨.	أحاديث في العلم والقيم	يشعياهو ليفوفيتش- ترجمة: سلمان ناطور
١٧٩.	فلسطيني بلا هوية	صلاح خلف (أبو إياد)
١٨٠.	الحوار الفلسطيني-الأمريكي	د.محمد ربيع
١٨١.	قرية جمزو	عطية عبد الحفيظ النجار
١٨٢.	الانقلاب السياسي في إسرائيل	أوري أزولاي ترجمة:بدر عقيلي
١٨٣.	مشكلة الأراضي في النزاع القومي بين العرب وإسرائيل منذ وعد بلفور	جاك كنو- ترجمة : محمد الدويري
١٨٤.	الموساد في العراق	شلومو نكديمون - ترجمة: بدر عقيلي
١٨٥.	دولة فلسطين-الوضع القانوني	سالم أحمد قواطين
١٨٦.	اسحق رابين-اغتيال سياسي	أمنون كبليوك - ترجمة بدر عقيلي
١٨٧.	سومخي قصة للشبيبة عن الحب والمغامرات	عاموس عوز
١٨٨.	نايف حواتمة يتحدث	نايف حواتمة
١٨٩.	سورية وإسرائيل من الحرب إلى صناعة السلام	موشيه ماعوز – ترجمة : لينا وهيب
١٩٠.	اتفاقيات أوسلو	دار الجليل
١٩١.	الحرب الاقتصادية (١٠٠) سنة من المواجهة الاقتصادية بين اليهود والعرب	يوفال اليتسور – ترجمة: بدر عقيلي – محمد الدويري
١٩٢.	البستان – من الادب العبري	بنيامين تموز
١٩٣.	أنثولوجيا-الوجه الآخر	غرشون شكيد ودافيد سجيف – .ترجمة :دار الجليل
١٩٤.	المسيرة خفايا أوسلو من الألف إلى الياء	أوري سبير كبير المفاوضين ا لإسرائيليين في أوسلو. ترجمة بدر عقيلي
١٩٥.	أوسلو والسلام الآخر المتوازن	نايف حواتمة
١٩٦.	أيهود باراك.. الجندي الأول	بن كسبيت وإيلان بيران – ترجمة بدر عقيلي ونور البواطلة
١٩٧.	الصهيونية .. النظرية والتطبيق	يوئيل رفيل – ترجمة : نور البواطلة
١٩٨.	الحسين والسلام (مسلسل العلاقات الاردنية – الاسرائيلية)	موشيه زاك - ترجمة دار الجليل

تسلسل	العنوان	المؤلف او المترجم
١٩٩.	مهنتي كرجل مخابرات "٢٩ عاما من العمل في الشاباك"	يعقوب بيري رئيس جهاز الشاباك السابق - ترجمة : بدر عقيلي
٢٠٠.	أبعد من أسلو ... فلسطين الى أين	نايف حواتمة
٢٠١.	جاسوس إسرائيل في دمشق	يشيعياهو بن فورات و اوري دان – ترجمة : زكي درويش
٢٠٢.	انتفاضة الأقصى ٢٠٠٠ الكتاب الأول قصص دامية وحكايات الشهداء	إعداد دار الجليل
٢٠٣.	انتفاضة الأقصى ٢٠٠٠ الكتاب الثاني قصص دامية وحكايات الشهداء	إعداد دار الجليل
٢٠٤.	انتفاضة الأقصى ٢٠٠٠ الكتاب الثالث قصص دامية وحكايات الشهداء	إعداد دار الجليل
٢٠٥.	انتفاضة الأقصى ٢٠٠٠ الكتاب الرابع قصص دامية وحكايات الشهداء	إعداد دار الجليل
٢٠٦.	انتفاضة الأقصى ٢٠٠٠ الكتاب الخامس قصص دامية وحكايات الشهداء	إعداد دار الجليل
٢٠٧.	انتفاضة الأقصى ٢٠٠٠ الكتاب السادس قصص دامية وحكايات الشهداء	إعداد دار الجليل
٢٠٨.	انتفاضة الأقصى ٢٠٠٠ الكتاب السابع قصص دامية وحكايات الشهداء	إعداد دار الجليل
٢٠٩.	انتفاضة الأقصى ٢٠٠٠ الكتاب الثامن قصص دامية وحكايات الشهداء	إعداد دار الجليل
٢١٠.	انتفاضة الأقصى ٢٠٠٠ الكتاب التاسع قصص دامية وحكايات الشهداء	إعداد دار الجليل
٢١١.	انتفاضة الأقصى ٢٠٠٠ الكتاب العاشر قصص دامية وحكايات الشهداء	إعداد دار الجليل
٢١٢.	آرئيل شارون (سجل خدمة وعمليات انتفامية)	ترجمة وإعداد : دار الجليل
٢١٣.	قاب قوسين أو أدنى من السلام	غلعاد شير- ترجمة: بدر عقيلي
٢١٤.	إسرائيل والقنبلة النووية	أفنر كوهين –ترجمة: بدر عقيلي

تسلسل	العنوان	المؤلف او المترجم
٢١٥.	فلسطين تحطم الجدار	دار الجليل
٢١٦.	الجواسيس (عشرون قضية تجسس على إسرائيل	يوسي ميلمان وايتان هابر- ترجمة: خالد أبو ستة العياصرة
٢١٧.	قضية شراء الاراضي والاستيطان االصهيوني في الأردن وحوران والجولان	دراسة وإعداد : دار الجليل
٢١٨.	الرواية الجديدة عن حرب اكتوبر "دروس في علوم الحرب وصراع الجنرالات في إسرائيل"	خالد أبو ستة
٢١٩.	الانتفاضة الاستعصاء – فلسطين الى أين	نايف حواتمة
٢٢٠.	اليهودية "ديانة توحيدية أم شعب مختار"	عمر مصالحة
٢٢١.	تاريخ فلسطين قبل الميلاد	هشام أبو حاكمة
٢٢٢.	انقلاب عسكري في اسرائيل – الاحتمالات والوقائع	تسفيكة عميت- ترجمة: بدر عقيلي
٢٢٣.	كفاح شعب فلسطين ومسيرة حركته الوطنية	إعداد دار الجليل
٢٢٤.	التلمود"المرجعيةاليهودية للتشريعات الدينية والاجتماعية"	عمر مصالحة
٢٢٥.	الأساطير المؤسسة للتاريخ الاسرائيلي القديم	هشام أبو حاكمة
٢٢٦.	الوعد الصادق حزب اللـه وإسرائيل وجها لوجه	هشام ابو حاكمة
٢٢٧.	رسالة الى شعب اسرائيل	محمد ابو سمرة
٢٢٨.	بين العسكرية والسياسة ذكريات	عبد الرزاق اليحيى
٢٢٩.	حروب الظلال الإسرائيلية وسياسة الاغتيالات	دار الجليل
٢٣٠.	السلام أولا .. تحديث مسارات السلام	أوري سافير
٢٣١.	مسجد داود وليس هيكل سليمان	هشام أبو حاكمة
٢٣٢.	مصطلحات ومناسبات وتواريخ وشخوص صهيونية	إعداد : دار الجليل
٢٣٣.	العرب الدروز والحركة الوطنية الفلسطينية حتى ال ٤٨	النائب سعيد نفاع
٢٣٤.	النظام الانتخابي الإسرائيلي انتخابات الكنيست ٢٠٠٩- الأحـزاب الإسرائيليـة- تشـكيل الحكومـة- برامجها السياسية	غازي السعدي
٢٣٥.	الموساد .. الشاباك.. أمان	دراسة/ بدر عقيلي

تسلسل	العنوان	المؤلف او المترجم
	وأسلحة الدمار الشامل الإسرائيلية	
٢٣٦.	اليسار العربي رؤيا النهوض الكبير (نقد وتوقعات)	نايف حواتمة
٢٣٧.	نجوم في سماء فلسطين	زياد عودة
٢٣٨.	جرائم الحرب الإسرائيلية في غزة	بدر عقيلي
٢٣٩.	هدنة – أمل من أجل الشرق الأوسط	أيال آرليخ
٢٤٠.	الإرهاب على فلسطين وشاهد من أهلها	مفيد المبسلط
٢٤١.	الموساد العمليات الكبرى	ميخائيل بار زوهر والصحفي نسيم مشعل ترجمة : بدر عقيلي
٢٤٢.	العداء الإسرائيلي للسياسة الواقعية الفلسطينية	حمادة فراعنة
٢٤٣.	العلاقات العربية – التركية	حمادة فراعنة
٢٤٤.	خطاب البرنامج الفلسطيني في مواجهة المشروع الإسرائيلي	حمادة فراعنة
٢٤٥.	المؤتمر السادس لحركة فتح وتداعياته	حمادة فراعنة
٢٤٦.	تطورات المشهد السياسي الأردني	حمادة فراعنة
٢٤٧.	المفاوضات وصلابة الموقف الفلسطيني	حمادة فراعنة
٢٤٨.	موسوعة المصطلحات والمفاهيم الفلسطينية	تحرير د. محمد شتية
٢٤٩.	تحديات الأمن الوطني الأردني وأثره على الاستقرار السياسي	رعد فواز الزبن
٢٥٠.	الثورة الشعبية العربية "أدواتها وأهدافها" ٢٠١١	حماد فراعنة
٢٥١.	الإخوان المسلمون ودورهم السياسي	حمادة فراعنة
٢٥٢.	ملفات ساخنة(١) حرب التحكم الآلي سلاح الحرب الخامس	دار الجليل
٢٥٣.	ملفات ساخنة (٢) الربيع العربي بعيون إسرائيلية	دار الجليل
٢٥٤.	ملفات ساخنة(٣) أضواء على الحكومة ال ٤٤ والكنيست ال ١٩ وبرامجهما	دار الجليل
٢٥٥.	ملفات ساخنة(٤)	دار الجليل

تسلسل	العنوان	المؤلف او المترجم
	دول الخليج العربي بعيون إسرائيلية	
٢٥٦.	تباين الحدود بين تاريخ بني إسرائيل وتاريخ اليهود في العصور القديمة	هشام أبو حاكمة

هذا الكتاب

حين نقرأ مذكرات رابين، نجد أنفسنا أمام تساؤل مشروع: هل الدولة العبرية هي التي صنعت الرجل، أم أن رابين هو أحد صناعها؟

بعملية حسابية بسيطة، فقد كان رابين ما يزال شابا يافعا، يراقب قيام الدولة، وتسلسل مجريات حياته فيما بعدن يؤكد أنه حمل لواء المسؤولية، وفق نظام صهيوني، خطط لاستقطاب الشباب اليهودي، في ارساء دعائم «دولة اسرائيل»، من خلال أساليب ارهابية معروفة، ويبدو أن رابين قد اثبت وجوده آنذاك، فاستحق شهادة تؤهله للقيادة في وقت لاحق.

وطريق القيادة في اسرائيلن ليست مفروشة بالورود، ذلك انها تمر عبر المؤسسة العسكرية، اذ يندر أن تجد مسؤولا اسرائيليا واحدا، ليس له بصمات عسكرية، ومن هنا بدأ رابين، باكورة حياته من خلال الكتيبة الأولى في البالماخ عام ١٩٤٠ أي قبيل أن ترى الدولة النور ، فوضع قدمه على الخطوة الأولى في الألف ميل، التي توصله إلى سدة الحكم.. وحتى عام ١٩٦٧، حين كان رئيسا لأركان الجيش الاسرائيلي، لم يبد أن رابين قد يتسلم زمام الأمور في اسرائيل، ذلك أن قضية انهياره عشية حرب حزيران ١٩٦٧ ظلت شبحاً يطارد أحلامه، ويقض مضجعه، وجاء تعيينه سفيرا لاسرائيل في واشنطن كمرحلة انقاذ، اعادت اليه الأمل.

في ٣/ ٦/ ٧٤ جلس رابين على كرسي رئاسة الوزارة، وعلى الرغم من أنه عمالي، بيد أنه اشتهر بصقريته، التي لازمته، ربما لاسباب نفسية، حيث كان عاملاً مهما في ترسيخ بنيان الاحتلال الاسرائيلي بالضفة والقطاع، من خلال نشر المستوطنات، ومصادرة الأرض،والتهويد.

هذه الحقبة، التي وثقها رابين في الجزء الأول من مذكراته، كانت حافلة بالاحداث، على الصعيدين العسكري والسياسي، وسيبدو أنها كانت المحطة الثانية من محطات تأهله للاضطلاع بالعمل السياسي الناضج فيما بعد...

الرجل عسكري لا يشق له غبارن هذه حقيقة، وهو الى ذلك سياسي داهية، تعلم في مدرسة الأيام، والكتب الصهيونية، وهنا نعود من حيث بدأنا، لنجيب عن السؤال: رابين معلم واضح من معالم الدولة العبرية، تؤرخ مذكراته لحقبة زمنية طويلة، في حياة الرجل، كجزء من الدولة، لا ينفصم عنها، ومن هنا تنبع أهمية هذه المذكرات، في جزأيها الأول والثاني.



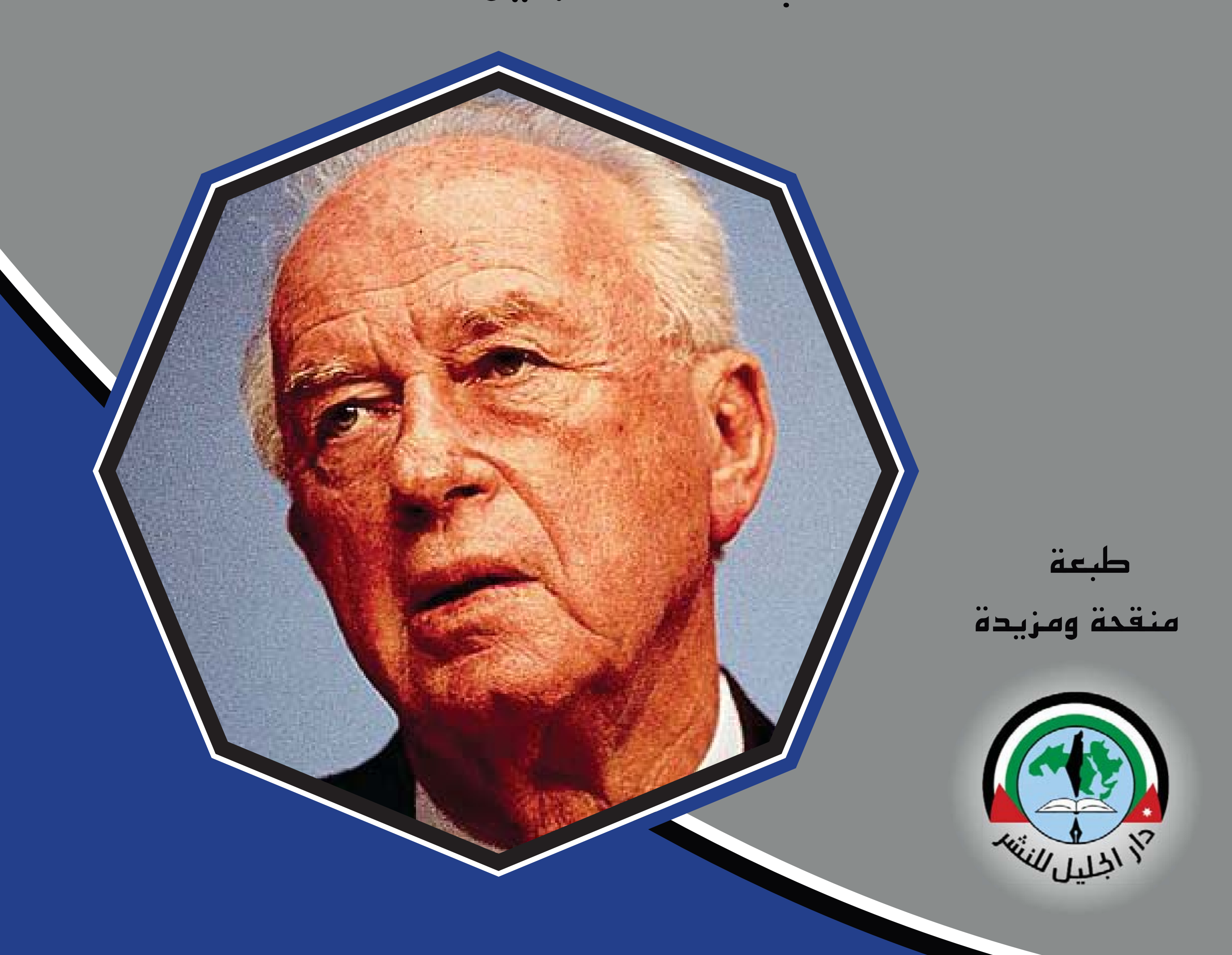
هاتف : ٥١٥٥٦٢٧ - ٥١٥٧٦٢٧
فاكس : ٥١٥٣٦٦٨
عمان - ص.ب ٨٩٧٢ - رمز بريدي ١١١٢١
بريد الكتروني: darjaleel@gmail.com

شخصيات صهيونية (٢/١١)

اسحق رابيـن

مذكرات / القسم الثاني

ترجمة : دار الجليل



طبعة
منقحة ومزيدة

مذكرات اسحق رابين

القسم الثاني

- عنوان الكتاب: **مذكرات اسحق رابين / القسم الثاني**
- الترجمة: **دار الجليل**
- الناشر: **دار الجليل للنشر والدراسـات والأبحـاث الفلسطينـية**
- الطبعة: **الثالثة – مزيدة ومنقحة**
- سنة النشر: **٢٠١٥م**
- رقم الإيداع لدى دائرة المكتبة الوطنية: **(٥٩٦ /٢ /٢٠١٥)**
- الواصفات: / **التراجم // السياسيون // الصهيونية// إسرائيل/**
- **(ردمك) ISBN ٩٧٨-٩٩٥٧-٤١٥-١٣-٦**

- العنوان: **عمان**
- هاتف: **٥١٥٥٦٢٧ - ٥١٥٧٦٢٧**
- فاكس: **٥١٥٣٦٦٨ - عمان - الأردن**
- ص.ب ٨٩٧٢ - رمز بريدي ١١١٢١
- بريد الكتروني: **darjaleel@gmail.com**

شخصيات صهيونية (٢/١١)

مذكرات اسحق رابين

القسم الثاني

ترجمة

دار الجليل



طبعة مزيدة ومنقحة / ٢٠١٥

المحتويات

الباب السادس

سفير إسرائيل في واشنطن في عهد السادات

البحث عن التسويات

الفصل الأول

السادات / أسلوب جديد

إن من اختصاص المؤرخين الإجابة على السؤال: كيف كان سيبدو الشرق الاوسط ووضع إسرائيل وعلاقاتها مع الولايات المتحدة لو استمر عبدالناصر في قيادة مصر ولكن احدا لا ينكر الفرضية الاكيدة وهي ان وفاة عبدالناصر في أواخر أيلول ١٩٧٠ وتولى انور السادات مهام الحكم اثارت تحولا هائلا في الاوضاح العسكرية والسياسية في المنطقة ومكانة الدولتين العظميين في الشرق الاوسط والعالم اجمع.

الآن وبعد مرور ٨ سنوات على وصول السادات إلى الحكم ليس من السهل الاعتراف بهذه الحقيقة ولا شك ان هناك سياسيين وخبراء استخبارات في الولايات التحدة وإسرائيل وربما في دول أخرى يفضلون نسيان الطريقه التي عاملوا بها السادات كعضو في الزعامة المصرية وكيف قدروا امكانية وصوله إلى سدة الحكم في مصر، لقد وصفه الجميع بالرجل الضعيف الهزيل الذي لن يستمر طويلا في الحكم ليفسح المجال امام زعيم جديد لمصر يجيء من مركز قوي جيد في مصر.

لقد سخر ابا ايبان من الرئيس السادات واستخدم عبارات لاذعة علنا وقال ان السادات يفتقر إلى صفات الزعامة كما اثار ظهور الرئيس المصري الجيد في وسائل الاعلام موجات من السخرية بسبب ما تميز به اسلوبه من التردد والتلعثم واصبحت تصريحاته حول «عام الحسم» مادة للتندر واعتبرت فصلا ترفيهيا.

وتخبطت إسرائيل: هل تشترك في مسيرة المفاوضات برعاية جونار يارنغ على الرغم من انتهاك وقف اطلاق النار أم تشترط اشتراكها بالغاء الانتهاك وباعادة الوضع إلى سابق عهد،؟؟ ان موشيه ديان الذي يتمتع بأكبر تأثير على سياسة إسرائيل إلى جانب رئيسة الوزراء

قد اطلق انـذاك تصريحـه الشـهير يجـب عـلى إسرائيـل ان تقفـز إلى المياه البـاردة وقلـت بـاصرار بـدون الاستعانة بتعابير مستعارة من عالم الرياضة انـه لا توجـد امكانيـة لاعـادة الوضـع إلى سـابق عهـد، في قنـاة السويس وان إسرائيل ستمنى باضرار كبيرة إذا رفضت الاشـتراك في مسـيرة المفاوضـات للتوصـل إلى تسـوية سياسية واعتقدت أيضاً بأنه يجب على إسرائيل ان تطالب الولايـات المتحـدة بتعـويض عـلى انتهـاك وقـف اطلاق النار بتزويدها بمساعدات عسكرية واقتصادية بحيـث تحقـق إسرائيـل فائـدة قصـوى مـن الاوضـاع الجديدة دون ان يتهمها احد بانها تقف حجر عثرة في طريق السيرة السياسية في الشرق الأوسط.

وسط شـائعات ذكـرت بـان مصر مسـتعدة لفـتح قنـاة السـويس امـام الملاحـه دون ان تشـترط ذلـك بانسحاب إسرائيلي شامل من سيناء وصلت غولدا مائير رئيسـة الحكومـة الإسرائيليـة إلى الولايـات المتحـدة بمناسبة الاحتفال بمـرور ٣٥ عامـا عـلى تأسـيس الامـم التحـدة واجتمعـت بتـاريخ ٢٥ تشريـن الأول ١٩٧٠ بالدكتور هنري كسنجر الذي قال لها انه لا أمل في اعادة الوضع في قناة السـويس إلى سـابق عهـده واعـرب عن اعتقاده بامكانية تعويض إسرائيل والتوصل إلى تسوية جزئية في القناة تؤدي إلى اعـادة فتحهـا في وجـه الملاحة وقال ان مثل مذه التسومة ستمنح إسرائيل فترة معينة من الوقت على الرغم من عـدم تأكـده مـن رغبة الولايات المتحدة بفتح قناة السويس وذلك لاسـباب جغرافيـة - سياسـية لأن ذلـك سـيختصر الطريـق امام السفن السوفياتية التي تحمل الامدادات للقوات التي تحارب الولاياته المتحدة في فيتنام واضـاف بـان الولايات المتحدة تفضل تسوية جزئية تفتح قناة السـويس في وجـه الملاحـه عـلى اسـتئنافه اطـلاق النـار في الشرق الاوسط.

ولكن المسيرة لا تزال طويلة وشاقة وإسرائيل لم تتعجل في تعيين ممثلها للمحادثات مع يارنغ وبعثـت رئيسـة الـوزراء غولـدا مـائير برسـالة للـرئيس نيكسـون اوردت بهـا مطالـب إسرائيـل المتضـمنة تزويـدها بالطائرات والتخلي عن مشروع روجرز وتعهد أمريكي بمعارضة الحل المفروض والتوصل إلى تفـاهم متبـادل بين الولايات المتحدة وإسرائيل واستعداد مشترك لمواجهة أي تدخل سوفياتي مبـاشر في حالـة تجـدد اطـلاق النار في منطقة قناة السويس.

لم تغضب الادارة الاميركية على إسرائيل ولم توجه إليها الاتهام بانها تعرقل بدء المحادثات برعاية يارنغ بل على العكس فقد كانت الاجواء في واشنطن ودية ومتعاطفة مع إسرائيل وقد شعرت أيضاً بان عناصر رفيعة المستوى في البيت الابيض تجد متعة وهي ترى «إسرائيل الصغيرة» و هي تماطل في تنفيذ ارادة وزارة الخارجية الأمريكية التي كانت تلح باستمرار على إسرائيل بأن تعين ممثلها لمحادثات يارنغ وقد اكتشف ديان في حديثه مع كسنجر في منتصف شهر كانون الأول الدليل على صحة هذا الرأي وذلك عندما وجه سؤالأ لكسنجر قال فيه: هل سترد الولاياته المتحدة بقوه إذا ما تدخل الاتحاد السوفياتي في أعقاب استئناف اطلاق النار؟؟

ان كنجر لم يكن يحب مثل هذه الاقوال الواضحة التي تلزم الولايات المتحدة بالتوقيع على «بوليصة تأمين» ورد على ديان قائلا: انه يجب على إسرائيل ان تتحلى بالجرأة والحزم وعدم الخوف وان أي تردد من جانبها سيجر في اعقابه ضغطا سوفياتيا ولهذا فهو يقترح عدم توجيه مثل هذا السؤال للرئيس الأمريكي والاكتفاء بافتراض ان الولايات المتحدة ستتصرف بحزم.

لقد اراد ديان معرفة موقف الولايات المتحدة ازاء اعادة فتح قناة السويس في وجه الملاحة ولكن كسنجر تمسك بلهجته الحنرة وقال: ليس للولايات التحدة أي شأن بهذا الموضوع ولكن إذا كان فيه الفائدة لإسرائيل ويمكن ان يمنع استئناف اطلاق النار فان الولايات المتحدة لا تمانع في ذلك.

لقد قال كسنجر إن الولايات المتحدة قد قررت تزويد إسرائيل بعدد اخر من طائرات الفانتوم وسكايهوك خلال الاشهر الستة الاولى لعام ١٩٧١، ورفض ادعائي بأن العدد ضئيل ومخيب للآمال وان الاسلوب الذي نتحدث فيه عن حلول لفترات قصيرة وليس لفترات طويلة الاجل لا يروق لنا.

قبيل انتهاء شهر كانون الأول غير البيت الابيض موقفه وابلغ إسرائيل« بأنه يتوجب عليها البدء بالمفاوضات برعاية يارنغ وقال كسنجر انه إذا لم تفعل إسرائيل ذلك فسوف يفسر

ذلك على انه اهانة تلحق بالرئيس الأمريكي اكبر صديق لها ويجب عليها ان لا تجعل الامور تصل إلى درجة المجابهة معه، وكان هذا من الاقوال التي اعتاد كسنجر ترديدها خلال السنوات الاخيرة ولم يتخل عنها مطلقا رغم انها اهترأت لكثرة استخدامها.

لكن المبادرة السياسية ليست في يد الأمريكيين وحدهم، ففي النصف الثاني لشهر كانون الثاني ١٩٧١ همس سيسكو في أذني قائلا: لقد اتصل جنرال مصري(رفض الافصاح عن اسمه) بالقائم بالاعمال الأمريكي في القاهرة واقترح دراسة امكانية التوصل إلى تسوية حول قناة السويس واعادة فتحها في وجه الملاحة وقال سيسكو ان الجنرال المصري مقرب جدا من الرئيس السادات وان من غير الممكن ان يكون اتصاله بدون علم الرئيس المصري ويتطرق الاقتراح كما عرضه سيسكو لمفاهيم عامة حول انسحاب إسرائيلي إلى مسافة ٤٠ كم وتقليص قوات محدوده للغاية في الجانب المصري واعادة فتح قناة السويس في وجه الملاحه، وهنا بدأت مرحلة الاتصالات والايضاحات وقمت بابلاغ المسؤولين الإسرائيليين بتفاصيل الاقتراح المصري فطلبت من رئيسة الوزراء المزيد من التفاصيل ولم يكن لدي شيء اضيفه وبناء على تعليمات رئيسة الوزراء ابلغت كسنجر بان إسرائيل مستعدة للبحث في الموضوع ولكن إلى جانب اتفاق سياسي شامل مع الولايات المتحدة اذ لا فائدة من تسوية جزئية كهذه إذا كان مشروع روجرز الذي لاتستطيع إسرائيل قبوله هو اساس السياسة الأمريكية في الشرق الاوسط.

لقد ساد قدر كبير من عدم الوضوح حول ما إذا كانت الولايات المتحدة معنية بفتح قناة السويس أم لا ويبدو ان دوائر مختلفة في الادارة الأمريكية كانت تطلق تصريحات مختلفة ومتناقضة، فوزارة الدفاع الأمريكية ولاسباب عسكرية تتعلق بالحرب الفيتنامية لم تخف معارضتها لاعادة فتح القناة بينما ايدت وزارة الخارجية الأمريكية الخطة المصرية وفى غضون ذلك كانت إسرائيل مترددة تخشى التورط في وضع صعب إذا كانت الخطة غير مقبولة لدى الرئيس نيكسون.

لقد طلبت من كسنجر اجابتنا على السؤال: ما هو موقف الرئيس الأمريكي؟؟ في الرابع من شباط ازال الرئيس المصري ستار السرية واعلن الخطة المصرية على الملأ في خطاب القاه امام البرلمان المصري وبعد اربعة ايام أي في الثامن من شباط ردت رئيسة الوزراء في بيان تلته امام الكنيست وقالت ان إسرائيل مستعدة من الناحية المبدئية للبحث في الخطة ولكنها تسعى لتنسيق وثيق مع الولايات المتحدة وليست مستعدة لبحث الموضوع في محادثات رباعية أو ثنائية.

وفي اليوم التالي سلمنى كسنجر رد الرئيس الأمريكي وجاء فيه: ان المصلحة الأمريكية تفضل بقاء قناة السويس مغلقة ولكن محادثات يارنغ مجمدة والوضع في الشرق الاوسط يمكن ان يتدهور إلى درجة استئناف اطلاق النار ويهم الولايات المتحدة في الدرجة الاولى الامتناع عن التدخل العسكري في المنطقة ولهذا فهي تؤيد اجراء الاتصال مع مصر حول اعادة فتح قناة السويس في وجه الملاحة.

وفي حديث اخر اوضح لي سيسكو بان فتح القناة سيحرر المفاوضات من ضغوط «ساعة الصفر» التي تقلقه وتخلق الشعور بنفاذ الوقت واذا كانت القناة مفتوحة وابتعد الجيشان المصري والإسرائيلي عن بعضهما البعض فسوف تتحسن امكانية نجاح المفاوضات السياسية وان هذه الانجازات ستعوض الضرر الاستراتيجي الذي سيصيب الولايات التحدة من جراء اعادة فتح القناة.

ولكن بينما استمرت عملية الاتصالات الاولية حول التسوية الجزئية وفتح قناة السويس القى السفير يارنغ قنبلته وقدم في الثامن من شباط لكل من إسرائيل ومصر «وثيقة يارنغ» الشهيرة، وتضمنت سؤالا لمصر: هل هي مستعدة للسلام مع إسرائيل مقابل انسحاب إسرائيلي إلى الحدود الدولية؟ كما تضمنت سؤالأ لإسرائيل: هل هي مستعدة للانسحاب إلى الحدود الدولية مقابل السلام مع مصر؟ وطلب يارنغ اجابات فورية وملزمة، وعلى الرغم

من ادعاء يارنغ بأنه تصرف بوحي من ضميره بدون التشاور مع الدول العظمـى فـانني اميـل إلى الشـك في ذلك لأن تصرفاته السابقة لم تكن تدل على وجود روح المبادرة لديه.

الآن تشابكت الامور بعضها ببعض فالسفير يارنغ ينتظر إجابـة بيـنما سيسـكو يـدعوني لحـديث معـه ويبلغني بان السادات وجـه رسـالة للولايـات المتحـدة بواسـطة القـائم بـالاعمال الأمـريكي في مصر دونالـد برجس اعرب فيها عن قلقه من انعدام الرد من حكومة الولايات المتحدة عـلى اقتراحـه المتعلـق بانسـحاب إسرائيلي محدود وفتح قناة السويس في وجه الملاحة.

لقد فتح السادات في اعلانه هذا الطريـق إلى قلـوب الأمـريكيين، فهـو يتحـدث معهـم بلهجـة ناعمـة ومحببة لديهم وقال انه يخشى ان يطول أمـد مسـيرة المفاوضـات حـول التسـوية الشـاملة وتتعقـد بحيـث يصعب عندئذ انجاحها وان اقتراحه حول التسوية الجزئية يحمل في طياته الامل في تخفيف حـدة الاخطـار التي قد تقع في االشرق الاوسط وقـال السـادات مطمئنـا الأمـريكيين بـان اقتراحـه لا يخـدم أي هـدف مـن اهداف «الحرب الباردة» أو اهداف السوفييت وطلب من الولايات المتحدة ان تمارس نفوذها على إسرائيل لكي توافق على دراسة اقتراحه بشكل جنري وجـاد انـه مسـتعد للبحـث مـع إسرائيـل بواسـطة الأمـريكيين ومستعد في أي وقت لاقامة اتصال مباشر مع المفاوضين الأمريكيين.

لقد طلب من المصدر الذي حمل رسالة السادات ان يسرل الرئيس المصري ما إذا كـان يوافـق عـلى ان تتم التسوية الجزئية بواسطة يارنغ في فأجاب السادات بان من الممكن ذلك ولكنـه شخصـيا لا يعتقـد بـأن هذه افضل طريقه لتحقيق التسوية وان مصر تفضل اجراء الاتصال مع إسرائيل بواسطة الولايات المتحدة.

لقد قال لي سيسكو: ان هذهص المرة الثانية التي تقترح فيها مصر عقد تسوية جزئية بينما إسرائيـل لم ترد بشكل واضح بعد واضاف بان اوضاع مصر حرجه واحتياجاتها هائلة وان القناة هـي مصـدر رئـيس لهـا للعملات الاجنبية.

لقد بدا السادات كرجل محب للسلام يضع مصلحته نصب عينيه بعكس الرئيس المصري السابق الذي اهتم بالقومية العربية، وقمت بابلاغ إسرائيل برقيا برسالة السادات واضفت قائلا ان سيسكو يريد اجابة وان انطباعي هو ان السادات يريد الوصول إلى مخرج من امكانية استئناف الحرب، وخاصة لأن وقف اطلاق النار كان سينتهي في السابع من اذار، وقلت انني لا اعتقد بوجود أمل في تحقيق محادثات يارنغ نتائج حقيقية(لم اكن اعلم انذاك بالوثيقة التي عرضها يارنغ على كل من إسرائيل ومصر) واوصيت بان تعرب إسرائيل عن استعدادها للدخول في اتصالات حول الخطة المصرية التي كانت في الواقع خطة إسرائيلية وليست مصرية، فرئيسة الوزراء جولدا مائير في حديثها مع كسنجر بتاريخ ٢٥ تشرين الأول ١٩٧٠ ووزير الدفاع ديان اثناء زيارته للولايات المتحدة اثارا امكانية قيام إسرائيل بالانسحاب وفتح قناة السويس في وجه الملاحة.

اننا لا نريد ابقاء جميع المبادرات في يد السادات ويجب على إسرائيل ان تبدي رأيها في الحل الجزئي المعقول وبهذا تنحرف عن الخط الذي كان متبعا من قبلها طيلة السنوات الماضية وهو انه طالما لا يوجد حل شامل لن ينسحب جندي إسرائيلي واحد من الخطوط الراهنة (وقد تعزز هذا الموقف الإسرائيلي في اعقاب رسالة الرئيس نيكسون بتاريخ ٢٤ حزيران ١٩٧٠ وتعهد فيها بعدم مطالبة إسرائيل بسحب أي جندي إسرائيلي بدون سلام يرضي رغباتها) واوصيت بان توافق إسرائيل على التخلى عن هذا الموقف والدخول في محادثات حول الاقتراح المصري.

لقد كانت السياسة الإسرائيلية مطالبة بتقديم ردين الاول: على وثيقة يارنغ والثاني: على مبادرة السادات.

ان وثيقة يارينغ تتضمن أيضاً عدة عناصر ايجابية وهي: عقد اتفاق سلام على اساس الانسحاب إلى الحدود الدولية في اطار التزام متبادل بين إسرائيل ومصر واتفاق موقع بين

الجانبين، لقد قلت في واشنطن «لقد تجاوز يارنغ صلاحياته» ولكن الأمريكيين التزموا جانب الصمت، واضفت بأنه كان يجب عليه توجيه الدعوة للجانبين للتفاوض برعايته حول اتفاق لا ان يفرض عليهما موقفه ولم يرد الأمريكيون على هذا القول وطلبوا مني ان لا تكون إسرائيل البادئة في رفض وثيقة يارنغ وكانت مصر قد تلكأت في الرد واستمرت الولايات المتحدة في الانتطار.

انني لا استطيع ان ابرهن بان الولايات المتحدة كانت تقف وراء وثيقة يارنغ ولكن الواضح هو ان الأمريكيين نطروا إلى الوثيقة بعين العطف واعتبروها خطوة ايجابية، بتاريخ ١٧ شباط - ١٩٧١ تلى يارنغ على مسامع يوسف تكواع مندوبنا لدى الامم المتحدة صيغة الرد المصري على وثيقة يارنغ، وتضمن الرد استعدادا مصريا للموافقة على جميع بنود وثيقة يارنغ مقابل انسحاب إسرائيل من سيناء وقطاع غزة وجاء فيه أيضاً بان مصر مستعدة للدخول في معاهدة سلام مع إسرائيل (وكانت تلك المرة الاولى في تاريخ النزاع في الشرق الاوسط الذي تعلن فيه دولة عربية استعدادها الصريح عقد اتفاق سلام مع إسرائيل). وبعد ذلك جاءت «إضافة صغيرة» في الرد المصري ونصت على ان السلام في الشرق الاوسط، السلام العادل والدائم لن يتحقق قبل ان تنسحب إسرائيل من كافة الجبهات إلى خطوط ما قبل الخامس من حزيران ١٩٦٧ وتوافق على حل مشكلة اللاجئين الفلسطينيين بموجب قرارات الامم المتحدة.

لقد كاد الرد المصري يحمل بصمات الرئيس السادات وصفاته المتهربة والغامضة، فقد ارضى الأمريكيين الذين اكتووا بنيران العرب الفيتنامية بعبارات السلام التي تطرب لها أذانهم ومنذ ان سمع الأمريكيون تلك العبارات لم يجدوا لديهم الرغبة في مناقشة التفاصيل العديمة الأهمية.

نظريا لم تكن في الوثيقة المصرية علاقة بين جزأيها ولم تتضمن ردا حاسما على السؤال: هل مصر مستعدة للسير حتى النهاية والتوصل إلى اتفاق سلام مع إسرائيل دون انسحاب الجيش

الإسرائيلي من كافة المناطق المحتلة في الجبهات الاخرى أم ان الانسحاب من الضفة الغربية وهضبة الجولان إلى خطوط ما قبل الخامس من حزيران ١٩٦٧ هو شرط لاستعداد مصر للتوصل إلى سلام مع إسرائيل؟ واذا كانت مصر مستعدة للسلام مع إسرائيل بدون اشتراط ذلك بالانسحاب من الجبهات الاخرى فهل يجب اعطاء أهمية للاختلاف في الصيغة «اتفاق سلام مع إسرائيل» بدلا من «اتفاق سلام عادل ودائم».

لقد بعثت ببرقية إلى إسرائيل قلت فيها انني لمست تغيرا في موقف مصر من الولايات المتحدة وموقف الولايات المتحدة ازاء مصر وان السادات يحاول فتح صفحة جديدة في علاقاته مع الولايات المتحدة ومن يوم لآخر تتجلى رغبته في توطيد علاقات بلاده مع الولايات المتحدة وانه قد توصل إلى نتيجة مفادها ان الولايات المتحدة هي المفتاح الذى يحتاجه لتحقيق مكاسب، صحيح ان الولايات المتعدة لا تزال في هذه الرحلة تنطر إليه بعين الارتياب ولكن هناك دلائل على حدوث تغيير في علاقاتها مع مصر وعلى رغبة السادات في عدم الاعتماد على الاتحاد السوفياتي فقط، وفي اعتقادي بان السادات سيجد قلوبا مفتوحه لاستقباله لاعتقاد الأمريكيين بان السادات لن يحاول القيام بمغامرات في العالم العربي كسلفه عبد الناصر بل سيوجه كل اهتمامه نحو شؤون مصر الداخلية، لهذا فان امام إسرائيل ثلاث مشاكل عملية تتطلب الرد والمعالجة:

١) مذكرة يارنغ التي يجب الرد عليها بعد ان ردت عليها مصر.

٢) اقتراح الرئيس السادات للتسوية الجزئية في السويس.

٣) قرار الولايات المتحدة حول البدء بمحادثات حول الضمانات التي ستقدمها الدول العظمى للاتفاق الذي سيتم التوصل إليه في الشرق الاوسط في اطار «المحادثات الرباعية» في نيويورك.

وقلت مذكرا بان السياسة الأمريكية بشأن التسوية الشاملة لا تزال تعتمد على مشروع روجرز ويجب ان لا يظن احد بان ذلك المشروع قد وضع على الرف.

لقد تلقيت تعزيزا لوجهة نطري خلال حديث اجريته مع سيسكو بتاريخ ١٨ شباط ١٩٧١ قبل يوم واحد من سفري إلى إسرائيل للتشاور.

على الرغم من تعهد سيسكو لوصف اقواله بانها عبارة عن انطباعات فانه لم يكن لدي ادنى شك بان هذا ما تعتقده الادارة الأمريكية فقد قال سيسكو: ان الاقتراح المصري حول التسوية الشاملة هو اقتراح جاد وعملى وان الولايات المتحدة تشعر بان الوثيقة المصرية تلبي اهتمامات إسرائيل الاولى وهي: التزام مصري خطي بالتوصل إلى سلام وان إسرائيل الآن امام فرصة نادرة للتقدم لتحقيق رغباتها السلمية ولهذا يجب عليها الرد بالايجاب واللطف على وثيقة يارنغ حتى لا تضيع الفرصة النادرة.

واضاف سيسكو: اليست إسرائيل تدعي دائما بانها مستعدة مقابل السلام للتخلى عن المناطق التي احتلتها؟ فها هي وثيقة رسمية مصرية تعلن استعداد مصر الدخول في معاهدة سلام مع إسرائيل وانه يجب على إسرائيل ان تقف بجرأة وتتخذ قرارات صعبة حول الانسحاب والتنازلات الاقليمية.

فقلت لسيسكو: انني لا استطيع تجاهل التغيير في الموقف المصري واستعداد مصر الدخول في اتفاق سلام مع إسرائيل ولكن لا فائدة من تجاهل شروطها وهي: الانسحاب الإسرائيلي الشامل وليس من الاراضي التي تخص مصر وحدها بل من كافة المناطق التي احتلت بعد الخامس من حزيران ١٩٦٧ ومثل هذا الطلب لا يمكن قبوله لدى إسرائيل واعتقد بأنه غير مقبول لدى الولايات المتحدة ايضا، فالمصريون ينطرون لموضوح الحدود الآمنة والمعترف بها التي نص عليها قرار مجلس الامن ٢٤٢ حسب تفسيرهم وان صيغة الوثيقة المصرية فيما يتعلق بموضوع اللاجئين غامضة ولا توضح نوايا مصر ازاء هذا الموضوع الحساس، ان إسرائيل لا تستطيع الموافقة على المبدأ المصري القائل ان قوة مؤلفة من جنود الدول العظمى الاربع تحافظ على السلام بين مصر وإسرائيل وترابط في مناطق متساوية بين إسرائيل ومصر لأن مساحة مصر تبلغ أكثر من ٥٠ ضعف مساحة إسرائيل وعلى الرغم

من التحفظات الواضحة فإنني استطيع ان اعدك بان تتوقع الولايات المتحدة من إسرائيل ان تنظر بجدية إلى الوثيقة المصرية وترد عليها باهتمام.

فقال سيسكو: إنني لم اقترح ان توافق إسرائيل على كل ما جاء في الوثيقة المصرية بل النظر بجدية إليها ودراسة جميع تفاصيلها وسوف نعرف مدى رغبة إسرائيل في السلام من خلال معاملتها للوثيقة المصرية لأن إسرائيل لم تواجه مثل هذا الاختبار منذ حرب حزيران ١٩٦٧ وهو يتطلب منها اتخاذ قرارات صعبة لتلائم نفسها مع الجهد الرئيس الذي عبرت عنه مصر في وثيقتها وهو: تحقيق السلام».

لقد قمت في اعقاب ذلك بزيارة قصيرة لإسرائيل تخللتها جلسة للحكومة الإسرائيلية وقرار جاء فيه ان حكومة إسرائيل تنظر بايجابية نحو الاستعداد المصري للدخول في اتفاق سلام مع إسرائيل وتؤكد رغبة إسرائيل في الدخول في مفاوضات عملية حول كافة المواضيع المتعلقة بالسلام بين الدولتين ومع ذلك فان الوثيقة المصرية تظهر اختلاف وجهات النظر بين مصر وإسرائيل وخاصة حول موضوعين هما: الحدود وحل مشكلة اللاجئين، وجاء في القرار بان الحكومة الإسرائيلية خولت رئيسة الوزراء ووزير الخارجية صلاحية ابلاغ السفير يارنغ بموقف إسرائيل من المواقف المصرية.

بتاريخ ٢٢ شباط عدت إلى واشنطن وفي اليوم التالي اوضحت لسيسكو وقلت: لقد اعربنا عن تقديرنا للتغيير الايجابي في موقف مصر ولكن الحدود الآمنة والمعترف بها لا يمكن ان تكون مشابهة لخطوط ما قبل الخامس من حزيران ١٩٦٧ وبهذا المعنى سيكون ردنا على يارنغ.

ان روجرز غير راض عن رد إسرائيل المتوقع وقال لي بتاريخ ٢٤ شباط: ان حكومة الولايات المتحدة قلقة لأن رد إسرائيل سيفسر على انه تقرب وانه يتوجب على إسرائيل ان تظهر موقفها بشكل مختلف واخشى ان يتجه العرب إلى مجلس الامن إذا كان هذا هو رد إسرائيل.

ومرة أخرى اضطررت إلى كبت مشاعر غضبي ورغبت في توجيه سؤال إلى روجـزز: لمـاذا الـرد المصري الذي يتحدث عن انسحاب إسرائيلي شامل من كافة المناطق المحتلة هو رد ايجـابي بيـنما ردنـا الـذي يؤكـد موقفنا من موضوع الحدود مع اعراب الاستعداد للبـدء بمفاوضـات مـع مصر حـول السـلام هـو رد سـلبى وسيفسر على انه تهرب من الاجابـه؟ ولكـن هـذا الصراع سـتتخلله احاديـث كثـيرة ومـن الافضـل في هـذه المرحلة الامتناع عن اثارة الوضع حدة وقلت متحليـا بضـبط الـنفس:- سـوف نـرد عـلى يـارنغ بشـكل جـاد ومسؤول ولكن القرار هو القول صراحة ان إسرائيـل لـن تنسـحب إلى خطـوط الرابـع مـن حزيـران ١٩٦٧، وقلت: اننا نسعى للسلام ولكن يجب ترسيخ هذا السلام على حدود يمكن الدفاع عنهـا وقـد قالـت رئيسـة الوزراء في لقائها معك في ايلول ١٩٧٠ عبارات واضـحة وصريحـة: إننـي اعلـم بـان أي رجـل وأيـة أمـرأه في إسرائيل لن يوافقوا على الانسحاب الشامل وان هذا هو موقف إسرائيل لم يتغير وهذا مـا اكدتـه الحكومـة الإسرائيلية أيضاً في جلستها الاخيرة.

فى شهر تموز ١٩٧٠ كتب الرئيس نيكسون لرئيسـة الـوزراء الإسرائيليـة جولـدا مـائير: إننـي أعلـم بـأن الاهداف المصرية الرئيسة هي انسحاب إسرائيل من كافة المناطق وحل قضية اللاجئين اسـتنادا إلى قـرارات الامم المتحدة وانا اريد ان اعدك بان لا تمارس الولايات المتحدة أي ضغط على إسرائيل لـكي تقبـل المواقـف المصرية»، وها نحن الآن بينما نقف لمواجهة المشكلة بشكل حقيقى تضغطون علينا لقبول مواقـف مصر... وهنا بدا روجرز وكأنه تراجع بعض الشىء وقال:- إنني اريد منع أي سوء تفـاهم فلـم اقـل مـاذا يجـب ان يكون عليه الرد الإسرائيلي.

لقــد احتــدم النقــاش وادعــى روجــرز وسيســكو» بــأن إسرائيــل لم تــرد بشــكل ايجــابي عــلى الاســتعداد المصرى للتوصــل إلى ســلام وبيــنما يــتحلى الموقــف المصري بالايجابيــة فــإن الموقــف الإسرائــيلي يتســم بالســلبية وان هــذا يمكــن ان ينــزل الكارثــة بمنطقــة الشرق الاوســط، لقــد حاولــت الولايــات المتحــدة حتــى الآن تخفيــف حــدة التطــورات عــن طريــق المحادثــات الرباعيــة

ولكن إذا لم يكن الرد الإسرائيلي ايجابيا فان الولايات المتحدة ستفقد سيطرتها على الوضع ولن تستطيع الحكومة الأمريكية التسليم بصدور رد متهرب من جانب إسرائيل.

لقد كان ذلك اشق حديث اجريته مع روجرز طيلة السنوات الماضية وقد لمست تغييرا في صفات الوزير الامريكى الذى كان حتى الآن رجلا لطيفا وهادئا فقد احمر وجهه واتقدت عيناه وتحدث بحزم شديد واستخدم عبارات عنيفة ولاذعة وشعرت بأنه متخوف من ضياع فرصة التقدم نحو السلام وكان يعتقد بان قضية خطيرة وصعبة تتبلور للولايات المتحدة وإسرائيل معا لأن مصلحتهما مشتركة.

لقد اورد سيسكو المكاسب التي ستتحقق من جراء صدور رد ايجابي عن إسرائيل وقال: سيتم التقدم الحقيقي نحو امكانية السلام مع امكانية استمرار وقف اطلاق النار وتعزيز القوى المعتدلة في العالم العربي التي تعمل في اتجاه التسوية السلمية واضعاف العناصر العربية التي تسعى إلى القضاء على احتمالات السلام. وقال روجرز:- انه لن ينقضي سوى وقت قصير حتى تضطروا إلى الوقوف بجرأة امام ضرورة الموافقة على تقديم تنازلات مقابل السلام.

افترقنا في جو ملىء بالتوتر وعند وصولي إلى السفارة اتصل بي سيسكو وطلب ان يضيف إلى الصفحة الرسمية لمحادثتنا ملاحظة ادلى بها امامي ولم تدرج في تقرير المحادثة وهي: ان يارنغ لم يدع إلى الانسحاب إلى خطوط ما قبل الرابع من حزيران ١٩٦٧ بل إلى الحدود الدولية بين مصر وفلسطين المنتدبه وانه لم يذكر قطاع غزة لهذا فان المنطق يدعو إسرائيل إلى الرد على وثيقة يارنغ وليس على الوثيقة المصرية ولكن هذه الملاحظة لم يكن بمقدورها تخفيف حدة التوتر التي نتجت على الحادثة الآنفة الذكر.

كذلك الرد الإسرائيلي الذي تم تسليمه ليارنغ بتاريخ ٢٦ شباط ولسيسكو بتاريخ ٢٧ شباط لم يساعد على تغيير رأي الأمريكيين والحقيقة هي انني اقترحت ردا اخر يشبه من حيث

الاسلوب الرد المصري: أي الاعراب عن الاستعداد للتوصل إلى سلام مع مصر مع تفسير مواقف إسرائيل المعلنة حول موضوعي الحدود واللاجئين ولكن اقتراحي رفض وكانت الوثيقة التي عرضت باسم إسرائيل تتضمن اقتباسا مطولا لقرارات الحكومة الإسرائيلية والتصريحات الإسرائيلية المختلفة وكان الرد الإسرائيلي بمثابة عرض للمواقف الإسرائيلية مقابل اتفاق السلام.

لقد اجتمعت بسيسكو وابلغته بالرد الإسرائيلي وبذلت جهدا كبيرا لاخفاء استيائي منه وللقيام بواجبي للدفاع عن موقف الحكومة الإسرائيلية فقام سيسكو بقراءة الرد وبدا عليه الامتعاض ولكنه تحدث بلباقة قائلا: سأنقل الوثيقة للرئيس ولروجرز وستبحث غدا في مجلس الأمن القومي ولست مخولا صلاحية التعقيب على ردكم ولكن ما سأقوله لك بأسف وكصيق: انني حتى الآن صدقت جدا التصريحات الإسرائيلية المؤيدة للسلام ولكن هذا رد غير مناسب ولا يتطرق لاسئلة يارنغ فهو لم يطلب من إسرائيل ان تتعهد بالانسحاب الشامل بل بالانسحاب إلى الحدود الدولية وان ردكم ليس ايجابيا ولا يتفق مع اقوال رئيسة الوزراء للسفير باربور التي جاء فيها بأنه إذا ابدت مصر استعدادا لتوقيع اتفاق سلام فان إسرائيل ستواجه التحدي الكامن في المشكلة الاقليمية، ولا يتضمن ردكم أي اشارة إلى وعد رئيسة الوزراء الإسرائيلية وسوف يصاب اصدقاؤكم في الولايات المتحدة بخيبة أمل من ردكم وستعتبر إسرائيل مسؤولة عن اضاعة افضل فرصة لتحقيق السلام منذ قيام دولتكم وسوف يؤدي الرد الإسرائيلي إلى تقهقر الجهود السياسية إلى الوراء والى زعزعة اتفاق وقف اطلاق النار وسوف يتأثر موقف الولايات المتحدة في المحادثات الرباعية كما ستتأثر علاقاتها بالاتحاد السوفياتي ومرة أخرى لن ستطيع منع حدوث تطورات خطيرة بالنسبة لكم وسيعزز الاتحاد السوفياتي مواقفه في الشرق الاوسط وسيوسع من مناطق نفوذه خلافا للمصالح الحيوية لكل من الولايات المتحدة وإسرائيل وسيضعف الرد الإسرائيلي مواقف الولايات المتحدة في المنطقة وسيلحق الضرر بمصالحها، لقد عشتم عشرين عاما بلا سلام واذا استمرت إسرائيل

على هذا الوضع فانها لن ترى السلام أبدا ويجب عليكم ان تتخذوا قرارات جادة لكي لا تهدروا الفرصة الكبرى وكلما اسرعتم كان ذلك افضل.

بعد هذه الاقوال التي عبر بها سيسكو عن موقفه من الرد الإسرائيلي قلت باختصار: ان إسرائيل متلهفة للتوصل إلى السلام وانها فعلت ذلك منذ قيامها ولم تجد استجابة صادقة لدى جاراتها والآن أيضاً يجب عدم التشكيك في استعداد إسرائيل للتوصل إلى السلام ولكن يجب ترسيخ السلام على حدود امنة معترف بها وان ما تطلبه مصر الآن ليس حدودا امنة في أي حال من الاحوال وعندما تتحدث مصر عن انسحاب إسرائيل إلى حدود الرابع من حزيران ١٩٦٧ في جميع الجهات فانها لا تتحدث عن السلام الذي تستطيع إسرائيل الموافقة عليه أو السلام الدائم القادر على تغيير الواقع في الشرق الاوسط.

بعد الاجتماح بعثت برسالة إلى الحكومة الإسرائيلية قلت فيها: ان الموقف الأمريكي لم يتغير منذ حرب حزيران وسوف تطالب إسرائيل بالانسحاب من كافة الناطق المحتلة تقريبا مقابل السلام ولا مجال للوهم كما قيل لنا في جميع المناسبات، ويوجد الآن ولأول مرة استعداد من جانب مصر للدخول معنا في مفاوضات للسلام وانه تنتطرنا مرحلة صعبة جدا ويجب دراسة الامكانيات المتاحة امامنا واذا تمسكنا بموقفنا فسوف تتجمد الاتصالات السياسية الرامية إلى التوصل إلى تسوية شاملة وانا اعتقد بان الولايات المتحدة ستتحاشى الاشتباك معنا وستستمر في ردع الاتحاد السوفياتي عن القيام باية محاولة لاستغلال الوضع وزيادة تدخله في المنطقة.

ان مجلس الامن وجميع مؤسسات الامم المتحدة ستندد بنا ولكنها لا تستطيع اتخاذ قرارات مؤثرة ضدنا ولكن ذلك سيؤدي إلى تجدد اطلاق النار والى تجميد مهمة يارنغ الذي يتوقع من الولايات المتحدة ان تمارس ضغوطا علينا لنوافق على الانسحاب إلى الحدود الدولية وانا اعتقد بان الولايات المتحدة ستحاول ممارسة ضغوط علينا ولكنها لن تتمادى لدرجة حدوث قطيعة علنية بيننا.

والاحتمال الثاني هو ان تعرض إسرائيل موقفا أكثر مرونة: الموافقة على الانسحاب إلى الحـدود الدوليـة والمتمسك بضرورة وضع ترتيبات امنية في المناطق المحتلة وضمان وجود إسرائـيلي في شرم الشـيخ لـعشرات السنين دون المطالبه بتغيير السيادة المصرية على المنطقة وايجـاد اتصـال اقليمـي بـين ايـلات وشرم الشـيخ ونزع سلاح مناطق واسعة في سيناء ووضع ترتيبات مناسبة لمراقبة تنفيـذ تلـك الترتيبـات، لقـد امتنعـت في رسالتى عن تقديم توصية صريحة حول الموقف الذي يتوجب على إسرائيل اتخاذه.

لقد تلقيت قدرا من التشجيع من اقوال الرئيس نيكسـون التـي ادلى بهـا في مـؤتمر صـحفى عقـده في اعقاب اجتماع مجلس الامن القومي الأمريكي وقال فيها: لن يكون هناك حـل مفـروض في الشرق الاوسـط، ووجدت ان من حقي الافتراض بان كسنجر قد ابلغ رئيسه بصدق بمواقف إسرائيل كما استمع إليها مني.

لقد اعتدت على الاجتماع بكسنجر في تلـك الفـترة يوميـا تقريبـا في نفـس الوقـت الـذي اجريـت فيـه محادثات مع سيسكو. لقد قال لي كيسنجر قبل سفري إلى إسرائيل بتاريخ ١٨ شـباط، يجـب ان تعلـم بـان سيسكو يقول لرؤساء الادارة الأمريكية بإن إسرائيل ستوافق على الانسحاب إلى الحدود الدولية وانه يعتمـد على رابين لكي يقنع حكومته للموافقة على ذلك فقلت لكسنجر: صحيح انني اوافق على اشتراك إسرائيل في محادثات يارنغ ولهذا فان البعض في إسرائيل يعتبرونني مـن جنـاح الحمائـم ولكـن يجـب عليـك ان تعلـم واشكرك إذا علم الرئيس نيسكون أيضاً بان إسرائيل لن توافق على مبدأ العودة إلى حدود ما قبـل الخـامس من حزيران ١٩٦٧ حتى لو ادى ذلك إلى تجدد اطـلاق النـار عـلى جبهـة قنـاة السـويس، وسـالني كسـنجر مسـتفسرا مـاذا سـيحدث إذا مارسـت الولايـات لمتحـدة ضـغوطا علـيكم عـن طريـق ايقـاف المسـاعدات العسكرية فهل ستتمسك إسرائيل بموقفها التصلب؟.

لم اكـن اعتقـد بـان كسـنجر يريـد التلمـيح بممارسـة مثـل هـذه الضـغوط بـل يقصـد معرفـة مـدى تمسـك إسرائيـل بموقفهـا فاجبـت: نعـم، حتـى في هـذه الحالـة سـتصر إسرائيـل عـلى مواقفهـا

الحيوية. وستقف بكل قوتها ضد اية محاولة من هذا النوع وستجند جميع اصـدقائها في الولايـات المتحـدة ضد اية محاولة أمريكية لتفرض عليها مواقف تهدد أمنها، فقال كسنجر: هناك اوساط في الادارة الأمريكيـة تشك في قدرة إسرائيل على التمسك بمواقفها إذا تعرضت لضغوط أمريكية قوية.

فى حيـث اخـر اجريتـه مـع كسـنجر بتـاريخ ٢٨ شـباط قـال لي كيسـنجر ان الموقـف العـام في الادارة الأمريكية نحو إسرائيل ليس ايجابيا ولا تزال فئات في الادارة تعتقد بامكانية الضغط عـلى إسرائيـل لحملهـا على تغيير موقفها، ومرة أخرى طلب كسنجر معرفة ما إذا كانت إسرائيل مقتنعة بقدرتها عـلى الصـمود في وجه الضغوط الأمريكية القوية المتمثلة بوقف المساعدات العسكرية وكان السؤال غريبا من كسنجر الـذي يمثل الجهة المقرر لها ان تضغط ويسأل الجهة المقرر لها ان تتعرض للضغط إلى أي مدى نسـتطيع الضـغط على إسرائيل، فقلت لكسنجر: ان ما نسعى إليه في علاقاتنـا مـع الولايـات المتحـدة هـو التنسـيق والاتفـاق المتبادلين ولكن إذا كان الامر يتعلق بامننا ووجودنا فاننا سنختلف معها وسوف نعـارض الولايـات المتحـدة إذا اتخذت ضدنا اجراءات مؤلة فقال كسنجر: ماذا تريدون من سيناء؟ فقلت: نريـد اتصـالا بريـا بـين شرم الشيخ وايلات ووجودا إسرائيليا في شرم الشيخ وادخال تعديلات على الحدود الدولية.

لقد اعرب كسنجر عن اعتقـاده بأنـه يجـب عـلي ان اجتمـع بـالرئيس نيكسـون لـكى اطلعـه بموقـف إسرائيل الحازم واستعدادها للنضال حتى لو كانت النتيجة حدوث مجابهة مع الولايات المتحدة.

فقلت:- اننا نناضل فعلا، فقد بعث السناتور جاكسون برسالة إلى الرئيس نيكسون طالبـه فيهـا بعـدم ممارسة ضغوط على إسرائيل بأن يعارض عدد اخر من أعضاء مجلس الشيوخ اية محاولـة لفـرض المواقـف على إسرائيل نتيجة للضغوط الامرمكية.

ان كسنجر يعلم مثلى تماما بان الولاياته المتحدة هي دولة انتخابات وان الادارة تتأثر دائما بالاعتبارات الانتخابية وباحتمالات اعادة انتخاب الرئيس لفترة رئاسية جديدة وخاصة لأن الرئيس نيكسون سيطلب في العام القادم ١٩٧٢ ثقة الناخبين عامة واليهود خاصة.

لقد خشيت ان تقوم الولايات المتحدة بنشر بيان علني تعرب فيه عن تأييدها للمواقف المصرية فبذلت جهدا هائلا لمنع نشر مثل ذلك البيان ولكنني اصبت بخيبة أمل في المجال الذي علقت عليه امالا كبيرة ففى الثالث من آذار اجتمعت بجورج مينى الكهل رئيس كبرى النقابات المهنية في الولايات المتحدة الذي يعتبر من اصدقاء إسرائيل المخلصين وذلك بسبب الصداقة التي تربطه بجولدا مئير وقال لى: انني اعلم ما هي المفاوضات واعلم مبادئها جيدا وارفض الادعاء الإسرائيلي واعتبر الموقف المصري موقفا بناء بينما اعتبر موقفكم غير مفهوم تماما.

لقد حاولت ايضاح موقفنا لجورج مينى ولكنى فشلت وعلمت فيما بعد بان روجرز استدعى مينى واجرى معه حديثا ونجح في اقناعه بعدالة الموقف المصري ضد الموقف الإسرائيلي، وقد اكد لي هذا الوضع بان الاصدقاء المخلصين لإسرائيل غير مضمون تأييدهم في جميع الاحوال.

الجميع ينتظرون السادس من آذار وهو الموعد المحدد لانتهاء مفعول اتفاق وقف اطلاق النار في سيناء ولم يكن احد يتوقع ان تعلن إسرائيل عدم موافقتها على تمديد الاتفاق وان موافقتها كانت مؤكدة ولا تحتاج إلى دفع ثمن سياسي مقابلها وان هذا الحق محفوظ للعرب فقط لأن وقف اطلاق النار يستخدم في ايديهم كورقة مساومة واذا لم تستجب مطالبهم فانهم سيضغطون على الزناد اذن: ماذا بقي لإسرائيل ان تمارسه في هذه «اللعبه» تقديم التنازلات لارضاء وجهة النظر العربية.

الفصل الثاني

سيسكو يقترح تسوية جزئية

في اليوم الاخير لوقف اطلاق النار الرسمي في السادس من آذار قال لي سيسكو: لقد امتنعنا عن اهدار أي بيان علني يزيد الوقف المصري ويندد بموقفكم وناضلنا في المحادثات الرباعية ضد الاتجاه السوفياتي الرامي إلى اصدار بيان مشترك لتجديد وقف اطلاق النار ولكن بصيغة معادية لإسرائيل ومنعنا نشر البيان.

وقال: يجب ان تحتفظ بما ساقوله لك، في الامس بعث السادات برسالة سرية لنيكسون اوضح فيها بان مصر لن تستأنف وقف اطلاق النار بشكل رسمي ولكن الانطباع الواضح من الرسالة هو ان وقف اطلاق النار سيستمر بشكل واقعي وطلب السادات من نيكسون بذل جهود لدى إسرائيل لجعلها تتخذ موقفا أكثر مرونة واضاف الرئيس المصري في رسالته بأنه زار موسكو في الأول والثاني من اذار.

وابلغني سيسكو أيضاً بان القائم بالاعمال الأمريكي في القاهرة برجس تحدث مع الرئيس السادات وسأله إذا كان اقتراح فتح قناة السويس مقابل انسحاب إسرائيلي جزئي لا يزال قائما فاجابه السادات بالايجاب وكذلك الرئيس اليوغسلافي تيتو سمع من السادات حول استعداده للبحث في فتح قناة السويس وقام بابلاغ الأمريكيين بذلك.

واضاف سيسكو: ان مصر وإسرائيل مستعدتان للبدء بمفاوضات حول فتح قناة السويس وان الولايات المتحدة بلورت عدة افكار بهذا الشأن ولكنها لم تعرضها على المصريين بعد وانها تريد اولا البحث مع إسرائيل حول الافكار الجيدة ودراسة امكانية عرضها على شكل اقتراح إسرائيلي أو أمريكي وبعد موافقة إسرائيل المسبقة وضعنا الافكار الأمريكية كتابة وارجو منك ان تطلع عليها.

فقمت بالاطلاع وكانت المقدمة تربط التسوية الجزئية بالتسوية الدائمة وجاء فيها:- ان حكومتي مصر وإسرائيل بموافقتهما على قرار مجلس الامن ٢٤٢ واعرابهما عن رغبتهما في تنفيذه بكافة بنوده وللتسهيل على مهمة المبعوث الخاص لسكرتير عام الامم المتحدة للتوصل إلى توقيع اتفاق بين الدولتين بموجب مبادىء القرار توافقان على الوسائل المرحلية التالية:

أ: تسحب إسرائيل قواتها المسلحة إلى مواقع تبعد حوالى ٤٠ كيلومترا إلى الشرق من قناة السويس ولا تقوم إسرائيل بادخال أي قوات عسكرية أو شبه عسكرية من اي نوع كان إلى المنطقة الواقعة شرقي القناة حتى الخط الذي ستنسحب إسرائيل إليه.

ب: يتواجد في المنطقة في قطاع مساحته حوالى ١٠ كيلومترات إلى الشرق من القناة اشخاص مدنيون يشغلون مناصب ادارية في المنطقة لتطبيق القانون والنظام والاشخاص الذين ستسند اليهم مهمة اعادة فتح قناة السويس.

ج: اعادة تشغيل القناة تتم بواسطة فريق من المدنيين المصريين وتوافق مصر على فتح القناة لاستخدام جميع الشعوب بما في ذلك إسرائيل بعد ستة أشهر من سريان مفعول الاتفاق وتوافق إسرائيل من جانبها على عدم تنفيذ حقها في القناة حتى التوصل إلى اتفاق شامل بين مصر وبينها.

د: تواصل مصر وإسرائيل على تطبيق اتفاق وقف اطلاق النار بموجب قرار مجلس الامن وان وقف اطلاق النار سيكون جزءا من الاتفاق الجيد وتحتفظ كل من مصر وإسرائيل لنفسهما الحق في اعادة الوضع إلى ما كان عليه قبل تنفيذ اتفاق وقف اطلاق النار إذا لم ينفذ احد الطرفين التزاماته المترتبه عليه بموجب الاتفاق، وبعد مرور عام واحد على الاتفاق يدرس الجانبان التزاماتهما حول تنفيذ وقف اطلاق النار في ضوء التطور الذي سيحدث استعدادا للتوصل إلى اتفاق بموجب قرار مجلس الامن ٢٤٢.

هـ: بعد مرور ١٥ يوما على بدء سريان مفعول الاتفاق تفرج مصر وإسرائيل عن جميع اسرى الحرب الذين بحوزتهما تحت اشراف الصليب الاحمر الدولي.

و: ان المسؤولية التامة للاشراف على الاتفاق المرحلي باستثناء البند المتعلق بتبادل الاسرى ستكون ملقاه على عاتق المراقب للاتفاق المرحلي الذي سيكون خاضعا لامرة رئيس اركان هيئة مراقبي الامم المتحدة، وستشكل لجنة مشتركة تحت اشراف الامم المتحدة تضم ممثلين مصريين وإسرائيليين.

ز: توافق مصر وإسرائيل على الاسراع بجهودهما للتوصل إلى اتفاق شامل تحت اشراف السفير يارنغ بناء على قرار مجلس الامن ٢٤٢ وان هذا الاتفاق المرحلي سيعتبر خطوة اولى للتوصل إلى ذلك الهدف.

لقد قمت بابلاغ إسرائيل بفحوى الاقتراح الأمريكي وفي اليوم التالي أي بتاريخ ٧ آذار وقع حادثان لا توجد علاقة جوهرية بينهما.

الأول: اعلان الرئيس المصري بان وقف اطلاق النار لن يتجدد بشكل رسمي ولكن ليس معنى هذا ان اطلاق النار سيتجدد في سيناء.

والثاني: قيام الرئيس الإسرائيلي زلمان شازار بزيارة الولايات المتحدة والاجتماح بالرئيس نيكسون بتاريخ ٨ اذار.

إن الرئيس الإسرائيلي - حسب صلاحياته - لا يستطيع الاجتماح بالرئيس الأمريكي والتوفيق بين المواقف السياسية المتناقضة ولكن الرئيس شازار استطاع بلباقته عرض مشاكل إسرائيل على اسماع الرئيس نيكسون كما عرض مشكلة القدس بشكل خاص وتمكن باسلوبه من كسب اعجاب الرئيس الأمريكي به وجعله يؤكد التزام الولايات المتحدة نحو أمن إسرائيل ورفاهيتها إلى جانب مسعاها للتوصل إلى السلام في المنطقة وقال الرئيس الأمريكي

لنظيره الإسرائيلي: انني اتفهم المصاعب التي تواجهها إسرائيل وهي تكمن في مقايضة شيء ملموس تمتلكه وهو المناطق المحتلة بوعود عربية غير مضمونة وغير مؤكدة.

لقد كان للرئيس نيكسون اسلوبه المعروف لتوجيه الانذارات لإسرائيل وقد استخدمه في هذه المرة أيضاً وقال: يجب عليكم ان تتذكروا بان انبوب الامدادات العسكرية لكم قد ينضب ولكن هذا لن يحدث ما دمت رئيسا للولايات المتحدة ولكنني لن اظل في منصبي إلى الابد، وكأن اقواله تعني ان إسرائيل مرتبطة بالولايات المتحدة ولا تستطيع اتباع سياسة مستقله لا تتفق والمبادرات الأمريكية ولا تنسجم مع السياسة الأمريكية، وقال نيكسون:انني من اكبر اصدقائكم وباستطاعتكم الاعتماد علي.

واضاف: انتم اليوم اقوياء وتستطيعون الصمود في وجه أي ائتلاف عسكري عربي يحاول التعرض لكم ومن الافضل لكم اجراء مفاوضات وانتم اقوياء وسأعمل على بقائكم اقوياء ولكن لا يعقل ان لا تبذلوا من جانبكم أي جهد لايجاد حل سياسي وان لا تساهموا في امكانيات تحقيقه ويجب عليكم ان تدفعوا ثمن السلام، وفي اليوم التالي اجتمع بي كسنجر وابلغني بان الجزء الاكبر من الأزمة قد زال» وحتى لو واصلتم التمسك بمواقفكم فانه - أي كسنجر - لا يرى مكانا للقلق ازاء مواجهة مشاكل مع الرئيس ولكن إذا كنتم لا تستطيعون الاكتفاء برفض مواقف واقتراحات تبدو في نظركم سلبية فانه يتوجب عليكم تقديم اقتراحات ايجابية حول كيفية التقدم نحو التسوية السياسية ويبدو لي - والكلام هنا للدكتور كسنجر ان الطريق الممكن الوحيد هو التركيز على التسوية الجزئية التي ستؤدي إلى فتح القناة وانسحاب إسرائيلي جزئي من سيناء وستكون هذه خطوة اولى نحو التوبة الشاملة أو على الاقل خطوة تمنح إسرائيل والولايات المتحدة متسعا من الوقت للتفكير فيما هو افضل.

ولكن كسنجر في حديث اجراه بعد فترة قصيرة مع ابا ايبن وزير الخارجية الإسرائيلي لم يستخدم عبارات ناعمة وقال له:- هل صحيح ان إسرائيل تصر على البقاء في شرم الشيخ

فاجابه ايبن: ان الوجود الإسرائيلي في شرم الشيخ هو مطلب إسرائيلي حيوي ولكنه لا يستطيع القول ان إسرائيل ستجد في ذلك تلبية لمطالبها، فحاول كسنجر ضبط اعصابه ولكنه فشل وقال للوزير الإسرائيلي:- قولوا لي يا سادة لنا على الاقل لاصدقائكم اذ من غير المعقول ان لا نعلم ماذا تريدون حقا؟ هل انتم مستعدون للانسحاب إلى الحدود الدولية مقابل السلام أم لا(ما هي شروطكم شرم الشيخ؟ ماذا ايضا؟ واذا لم يكن الانسحاب إلى الحدود الدولية فالى اين انتم مستعدون للانسحاب؟ومتى؟ ومقابل ماذا؟ وهل ستقولون ليارنغ اخيرا ماذا انتم تقبلون(ما هي مقترحاتكم الايجابية. افهموا: لستم ملزمين بقبول مواقفنا في كل موضوع ولكنكم في نفس الوقت لا تستطيعون رفض جميع الاقتراحات بدون ان تقدموا مواقف ايجابية ان احدا لا يفهمكم ولا احد يعلم ماذا تريدون وهناك مخاوف حادة بان ما تريدونه حقا هو التهرب من التوصل إلى أي تسوية تلزمكم بتقديم تنازلات اقليمية مهما كانت.

لقد اكتشفت من خلال التردد الذي بدا على ابا ايبن بأنه لا يمتلك صلاحية الرد على اجابات كسنجر المحددة ولم يعجب كسنجر قولي له ان إسرائيل متمسكة بموقفها بشأن عدم الانسحاب إلى حدود ما قبل حرب ٦٧ وان إسرائيل لن تكتفي بالتواجد في شرم الشيخ فقط فرد على قائلا: ايها السادة، لا تقولوا لي دائما ما هو الاقتراح الذي ترفضون لاننا قد علمنا ذلك جيدا ونريد منكم ان تبلغونا بما توافقون عليه بشكل ايجابي وما هي مقترحاتكم في المواضيع المختلفة، ووجه حديثه لابا ايبن قائلا: إذا لم تخني الذاكره فان موضوع فتح قناة السويس في اطار تسوية محدودة هو فكرة إسرائيلية اذن فها هو الرئيس السادات يقترح مقترحات جادة حول الموضوع وهو مستعد لذلك وقمنا بابلاغكم بافكار اوليه هل توافقون؟ هل تعارضون؟ اليس لكم موقف حول هذا الشأن؟.

اجاب ابا ايبن بان رئيسة الوزراء مئير قد ابلغته بان إسرائيل ستبلور موقفها خلال ٧ - ١٠ أيام وستقوم باطلاع الولايات المتحدة عليه لقد كان من الصعب تهدئة كسنجر الذي قال

غاضبا انني لا أفهم، لقد اعطت مصر يارنغ اجابة عملية بينما لا تملك إسرائيل مثل هذه الاجابة ومصر مستعدة لتسوية تؤدي إلى فتح قناة السويس بينما لا تبدي إسرائيل اهتماما بالأمر والمصريون يسألوننا مرة ومرة: ماذا تتوقعون منا عمله في هذه الظروف؟ ونحن لا نجد اجابة على تساؤلهم أي نوع من العلاقات تريدون مع الولايات المتحدة؟ انكم تريدون اقامة علاقات وثيقة وصريحة ولكنكم لا تقولون لنا بماذا تفكرون وماذا تريدون ونرجوكم ان لا تتهمونا باننا نلحق الضرر بالعلاقات الوثيقة عندما تتخذ الولايات المتحدة مواقف في مواضيع مختلفة لأن العلاقات الوثيقة ترتكز على اساس من المعاملة بالمثل فارجو ان تبلوروا مواقفكم وتوضحوها لنا على الاقل سواء فيما يتعلق بالتسوية الشاملة أو التسوية المحدودة في السويس.

عندما تصدر عن البيت الابيض ووزارة الخارجية الأمريكية نغمات متشابهه على مسامع إسرائيل فانه ليس لدى إسرائيل أي سبب يجعلها تبتهج، فالوزير روجرز يقول لوزير الخارجية ابا ايبن بتاريخ ٢٠اذار اقوالا مشابهة لتلك التي ادلى بها كسنجر اذ قال: لقد قلتم وكررتم القول انكم ستنسحبون إذا وافق الزعماء العرب على سيادة إسرائيل ووقعوا على معاهدة سلام متبادلة وعلنية بين الجانبين وان الاتفاق يجب ان يكون ضمن صفقة شاملة ويجب عدم فصل الانسحاب الإسرائيلي عن الالتزام المصري نحو السلام وتوقيع معاهدة سلام، وقد تضمن الرد المصري ليارنغ الموافقة على مطالبكم الثلاثة وهناك خلاف بين مصر وبينكم حول الحدود فلماذا لا تعرضون مواقف ايجابية بدلا من رفض جميع الاقتراحات التي تقدم اليكم؟

إن وثيقتكم المتضمنة ردكم على مبادرة يارنغ بتاريخ ٢٨ شباط هي وثيقة سلبية ليس بها رد ايجابي، وكانت غولدامائير قد ابلغت سفيرنا في حينه بأنه إذا كان رد مصر يتسم بالايجابية فان الرد الإسرائيلي سيكون كذلك أيضاً فهل تراجعت رئيسة الوزراء؟ ولماذا؟ ها هي تتحدث في مقابلة مع صحيفة تايمز اللندنية عن مواقف إسرائيلية ايجابية فلماذا مسموح

لصحيفة تايمز معرفة المواقف الإسرائيلية بينما لا يمكن اطلاع يارنغ عليها بشكل رسمي؟ لقد قالـت غولـدا مائير في مقابلتها مع تايمز اللندنية ان إسرائيل تطالب بوجود لها في شرم الشيخ فلماذا لم تقل ذلـك صراحـة ليارنغ؟ ان وثيقتكم بتاريخ ٢٨ شباط تعرضكم كمعارضين ورافضين أكثر

مـن أي وقـت مضى منـذ حـرب ١٩٦٧ ولا يعقـل ان تنسـفوا اسـتئناف مهمـة يـارنغ واذا لم توضـحوا مواقفكم فلن يكون مناص من التوصل إلى قناعة بانكم غير معنيين بالتقدم نحو السلام».

في اعقاب اجتماعه بكسنجر وروجرز كتب ابا ايبن مجملا حديثه مع المسؤولين الأمـريكيين ان موقـف إسرائيل يفسر في الولايات المتحدة على انه يهدف إلى شل جهود السلام وتعطيلها وان إسرائيـل تبـدو كغـير قادرة على بلورة خط سياسي ووضعه في اختبار النقد الداخلي والخارجي والدفاع عنـه في كـلا الجبهتـين، ان الأمـريكيين لا يطـالبون إسرائيـل بالموافقـة عـلى مقترحـاتهم أو مقترحـات يـارنغ أو مصر ولكـنهم يطـالبون إسرائيل بان تعرض جميع شروطها عـلى الولايـات المتحـدة حليفتهـا اولا وقبـل الجميـع، واعـرب ايـبن عـن اعتقاده بأنه إذا قدمت إسرائيل مواقف ايجابية وقالت كل ما تريده وليس مـا ترفضـه فـان ذلـك سـيجعل إسرائيل تتمتع بتأييد تام في الولايات المتحدة ولدى الزعامة اليهودية هناك.

ان اصدقاءنا في حيرة لانهم لا يعرفون ماذا نريد وهل نود الاحتفاظ ب ٧٠ % مـن اراضي سـيناء أم ب ٧% فقط وهل نريد تسوية امنية أم نتوق إلى ضم اراضي سـيناء وان اعـلان إسرائيـل عـن المقترحـات التـي ترفضها يجعل اصدقاء إسرائيل في حيرة ويأس بما فيهم اليهود الأمريكيون انفسهم.

واضــاف بــان مــن الامــور المحرجــة هــي ان الادارة الأمريكيــة مقتنعــة بــان غولــدا مــائير تعهــدت عــلى مســامع الســفير الأمــريكي بــاربور بــان إسرائيــل ستوضــح مقترحاتهــا بشــأن

الانسحاب إذا وافقت مصر على مبادىء اتفاق السلام والاعتراف بإسرائيل وان الادارة الأمريكية تقول ان هذا التعهد لم يخرج إلى حيز التنفيذ.

كذلك يارنغ انتقل من المطالبة بالتوقيع على مقترحاته إلى المطالبة بتحديد مواقف إسرائيل وان ذلك قد اضعف ادعاء إسرائيل بان الشرط المصري لموافقة مصر على اتفاق سلام هو الذي يعيق المسيرة السلمية.

لقد اعتقد ابا ايبن بان الاله السياسية الإسرائيلية في تلك المرحلة كانت تفتقر إلى الوقود بحيث ان أي مناورة اعلامية لن تحل المشكلة وان عهد المناورات الكلامية والصياغية قد ولى ولا يمكن لإسرائيل ان تقيم علاقات متينة مع الولايات المتحدة وان توطد علاقاتها الدولية بدون ان تتقدم حكومتها في اتجاهين: وضع مخططات وافكار بشأن فتح قناة السويس والتسوية المحدودة واقناع الولايات التعدة بتجميد المبادرة السلبية للدكتور يارنغ لكسب فترة من الوقت لدراسة التسوية المحدودة.

وأعرب ابا ايبن عن اعتقاده بان على الحكومة الإسرائيلية ان تتخذ قرارا حول ما تريده في سيناء في اطار التسوية السلمية باستثناء موضوع السيطرة على شرم الشيخ ويجب اولا اعطاء رد للولايات المتحدة لأن قدرته على اعطاء مثل هذا الرد محدودة لانه نفسه لا يعلم طبيعة الرد الإسرائيلي على الرغم من كونه عضوا في الحكومة وانه لا يستطيع ان يتصور وضعا اسوأ من الوضع الذي سيحدث إذا لم تقدم إسرائيل خلال فترة وجيزة مقترحات حول التسوية الجزئية والتسوية السلمية لأن ذلك سيرسخ الاعتقاد بان سياسة إسرائيل تهدف إلى تجميد الوضع وشل المسيرة السياسية.

إن ايبن لم يوهم نفسه بان تتبنى الولايات المتحدة المقترحات الإسرائيلية سواء فيما يتعلق بالتسوية المحدودة أو التسوية السلمية وقال ان إسرائيل ستضطر إلى خوض نقاش مع الادارة

الأمريكية وهذا في رأيه افضل بكثير من تجميد المسيرة السياسية بشكل يجعل إسرائيل تبدو وكأنها المسؤولة عن ذلك.

لقد كان اجمال ايبن هذا دقيقا وصادقا ويتفق ووجهة نطري كما اعجبني ارسال هذا الاجمال في برقية للحكومة الإسرائيلية. ولكن الحكومة الإسرائيلية لم تتحرك بسرعة مما جعل الادارة الأمريكية تصور إسرائيل في نطر اعضاء مجلس الشيوخ الأمريكي بانها متصلبة كما تمكنت الادارة من اقناع عدد من زعماء الجالية اليهودية بذلك وفي ضوء هذا الوضع البالغ الصعوبة وجدت نفسي - كسفير لإسرائيل - مضطرا للدفاع عن مواقف حكومتى حتى ولو لم اكن متفقا معها في الرأي وقد شعرت بهذه الصعوبة في شهر نيسان ١٩٧١ فقد ايدت موقف الحكومة الإسرائيلية المعارض للانسحاب من كافة سيناء بدون سلام كامل وبدون ترتيبات امنية مناسبة ولم اجد صعوبة في القول ان هذا الحل يضمن نشوب الحرب المقبلة ولكني لم استطع ان افهم لماذا لم تقدم إسرائيل طيلة شهرين ونصف اقتراحا مضادا للاقتراح المصري بشأن التسوية الجزئية الذي كان في الاصل فكرة إسرائيلية.

في الأول من نيسان ارسلت تقريرا لإسرائيل جاء فيه ان الولايات المتحدة تنظر نحو مصر بشكل مختلف عن نظرتها إليها في عهد عبدالناصر وان الوقت قد حان لكى تعترف إسرائيل بذلك وتتفهم ذلك وتستخلص النتائج اللازمة.

إن السادات في نطر الأمريكيين ليس عبدالناصر و هم (اي الأمريكيين) توصلوا إلى قناعة بان مصر قد ملت الحرب وان ذهاب عبدالناصر في حين أن موقف السادات غير ثابت بعد يخلق فرصة غير عادية لاحداث تحول في الوضع في الشرق الاوسط، ألم نقل نحن باستمرار ان احتمالات السلام ستبدو في الافق عندما ستهتز وحدة العالم العربي ويغيب عبدالناصر وتكف مصر عن احلامها بتزعم العالم العربي وتوجه جهودها نحو الداخل لحل مشاكل مصر الملحة وان الدلائل الآن تشير إلى ان الامور اصبحت تتطور في هذا الاتجاه.

لقد اضفت في تقريري بأنني لا اعتقد بان مصر وسائر الدول العربية سترضخ للأمر الواقع وان المطالب الإسرائيلية ستبدو في نطر كل مصري على انها مطالب استسلامية مهينة لمصر واذا تمسكنا بموقفنا ومطالبنا فان مصر ستخوض الحرب مرة أخرى على الرغم من انعدام المنطق العسكري في شن تلك الحرب ان مشكلتنا الرئيسة تكمن في ايجاد طريق يوصل مصر تدريجيا إلى وضع تفضل فيه المسيرة السلمية على الخيار العسكري وانا لا أؤيد الموافقة على المقترحات المصرية بشأن الانسحاب الشامل من سيناء في اطار تسوية شاملة ولهذا لا خيار امامنا سوى التقدم في طريق التسوية الجزئية وتركيز كل جهودنا فيها.

يجب علينا ان نسعى للتسوية الجزئية لأن ذلك سيمنحنا فترة من الهدوء نستطيع فيها دراسة امكانية التقدم نحو التسوية الشاملة ولان التسوية الجزئية تستطيع منع نشوب الحرب أو تاجيلها على الاقل فترة طويلة من الوقت وتوفير الظروف المناسبة للتوصل إلى السلام.

إن مصلحتنا العليا تحتم علينا العمل على التحرر من الضغوط واستئناف الحرب ليس عن طريق اطلاق التصريحات الدبلوماسية بل عن طريق تغيير الواقع والظروف في المنطقة بشكل يبعد مصر عن طريق الحرب ويجب علينا ان نقترح أيضاً امكانية التوصل إلى تفاهم مباشر مع المصريين ولو على المستوى العسكري فقط كما يجب علينا ان لا نرى التسوية الجزئية كجزء من قرار مجلس الامن ٢٤٢ بل كاطار وقف اطلاق النار الذي قرره مجلس الامن أيضا.

لقد قلت انه يجب عدم اضاعة فرصة التوصل إلى تسوية جزئية بالتمسك بمطالبنا بان يكون وقف اطلاق النار ثابتا وغير محدد بفترة معينة أو ان توافق مصر على الغاء حالة الحرب معنا لأن هذه محاولة لارغام المصريين على التخلي عن استخدام السلاح مقابل انسحاب إسرائيلي إلى مسافة ١٠ - ٣٠ كم إلى الشرق من القناة وهذا وضع غير معقول لا تستطيع مصر قبوله ايضا، ان لنا الحق في القول ان موافقتنا على الانسحاب إلى مسافة معينة عن القناة لا تعني التزامنا بالانسحاب الشامل من كافة سيناء الذي تطلبه مصر ولكننا لا نستطيع

مطالبة مصر بالالتزام مقابل الانسحاب الجزئى بالتخلي عن خيارها العسكري وتعلق كل امالها علـى حسـن نوايا إسرائيل بان توافق على اخلاء اجزاء أخرى مـن سـيناء بيـنما لا يكـون لمصر الحـق في اسـتخدام قوتهـا العسكرية.

لقد قلت ان علينا التمسك بحقنا في استخدام قناة السويس في اطـار تسـوية جزئيـة عـلى الـرغم مـن إنني اعتقد بأنه يجب عدم افشال التسوية الجزئية نتيجة التمسك بهذا الحق إذا حصلنا على موافقـة مصر على سائر البنود.

وقلت أيضاً اننا نستطيع المطالبة بتقليص القوات المصرية الرابطـة غـربى القنـاة ولا نسـتطيع المطالبـة باخلاء جميع القوات المصرية من هناك لأن مثل هذا الطلب لا يمكن تحقيقه لانه لـن يكـون مقبـولا لـدى مصر أو الولايات المتحدة.

فى الخامس من نيسان تلقيت من إسرائيل مواد ذات أهمية من الدرجـة الاولى وطلـب منـي ان ابلـغ الرئيس وكسنجر بها فقط، وكانت تقديرات إسرائيلية مؤلفة من اربع نقاط في غاية الأهمية:

١) مصر مستعدة لاتفاق سلام كامل مع إسرائيل على اساس مشروع روجرز.

٢) الولايات المتحدة عادت وابلغت مصر تمسكها بمشروع روجرز.

٣) إذا رفضت الولايات المتحدة ممارسة ضغوط على إسرائيل فانـه لا منـاص امـام مصر سـوى شـن الحرب.

٤) تركيز نظام السادات في نضاله السياسي والعسكري ليس على مصير الفلسطينيين بل على تحريـر الاراضى المصرية.

لقد عارضت ارسال المواد للرئيس نيكسـون وكسـنجر واعتقـدت بـان مثـل هـذا التقـدير مـن مصـادر إسرائيلية سيعطي الغير سلاحا ضدنا وسيعزز الاتجاه الأمريكي ممارسة ضـغوط علينـا وتمـت الموافقـة عـلى وجهة نطري وصرف النظر عن الفكرة.

لقد وردتني افكار مختلفة حول مواقف إسرائيل لدفع المفاوضات مع مصر إلى الامام ولم تكن مقبولة لدي واكتشفت باسف بان الفجوة بين مواقف اصحاب القرار في الحكومة ومواقفى اخذة في الاتساع وكذلك الاتجاه لربط التسوية الجزئية مع مصر باتفاق إسرائيلي - أمريكي والزام الولايات المتحدة بدفع ثمن باهظ ثمنا للاتفاق بدا في نطري كاتجاه غير ايجابي وحتى لو كنا نملك الحق في مطالبة الولايات المتحدة بضمان الاتفاق المصري - الإسرائيلي وتعويض إسرائيل على تنازلاتها فانه يجب علينا ان لا نصور اتفاقنا مع مصر على انه في الاساس مصلحة أمريكية لأن مصلحتنا بالاتفاق لا تقل حيوية عن مصلحة الأمريكيين.

وفى محاولة مني لسد الفجوة بين مواقفي ومواقف الحكومة الإسرائيلية فقد ارسلت لإسرائيل مجموعة من التوصيات: ان تنسحب إسرائيل إلى مسافة تصل إلى ٣٥ كم من خط قناة السويس في اطار الاتفاق الجزئي لاعادة فتح القناة وان يسمح بدخول مدنيين مصريين إلى المنطقة التي ستنسحب إسرائيل منها ويفرض حظر تام على دخول قوات عسكرية مصرية إلى شرقي القناة ويتم الاتفاق على ان أي انتهاك للاتفاق يمنح الجيس الإسرائيلي الحق في العودة إلى مواقع على طول قناة السويس، واوصيت أيضاً بان تسحب مصر قواتها المسلحة من منطقة عرضها ٢٥ كم غربي القناة على ان لا يشمل الانسحاب منطقة بور سعيد حيث يسمح لمصر بالاحتفاظ هناك بقوات مدرعة واضفت بان موضوع الانسحاب المصري لا اراه شيئا ضروريا ولكن يجب ادراجه في الاقتراح الإسرائيلي للتسوية لاسباب تكتيكية وذلك لكي نحتفظ باوراق مساومة ونستبدلها اثناء سير المفاوضات بمكاسب أخرى لقد اوردت في اقتراحى تفاصيل حول اساليب المراقبة التي ستطبق لعماية الاتفاق وقلت ان المراقبة يجب ان تتم بواسطة الامم المتحدة ولجان إسرائيلية - مصرية مشتركة ويجب السماح للجانبين بالقيام بالتصوير الجوي وابقاء الحصون التي اقامتها إسرائيل على طول القناه على ما هي عليه وعدم تدميرها واعتقدت بان المصريين لن يتعهدوا بالمحافظة على وقف لاطلاق النار لفترة غير محددة مقابل انسحاب طفيف من سيناء ولهذا فقد اقترحت بان يسري مفعول الاتفاق مدة

عامين أو ثلاثة وان يقوم الجانبان بعد ١٥ يوما من التوقيع على الاتفاق بعملية تبادل للأسرى.

لا توجد علاقة بين الاتفاق الجزئي والمحادثات التي يرعاها يارنغ في محاولة للتوصل إلى اتفاق شامل وان العمليتين يجب ان تسيرا كلا على حده، بالإضافة إلى الاقتراح حول الوثيقة الإسرائيلية - الصرية فقد اقترحت مسودة وثيقة إسرائيلية أمريكية ويجب علينا ان نقول للولايات المتحدة اننا نقترح الاتفاق الإسرائيلي المصري كاستجابة للولايات المتحدة وبهذا نحقق مكاسب لدى الأمريكيين حول التزام الولايات المتحدة نحو إسرائيل ويجب ان تجري المفاوضات مع مصر حول التسوية الجزئية بوساطة الولايات المتحدة ولكن مسؤولية تنفيذ الاتفاق هي مسؤولية إسرائيلية - مصرية متبادلة تحت اشراف الامم المتحدة.

الفصل الثالث

إسرائيل تطالب بإلغاء حالة الحرب

يجب على الولايات المتحدة ان تؤكد لنا بانها موافقة على ان انسحابنا في اطار الاتفاق الجزئي تنفيذ جزئي لمطالب مصر بشأن الانسحاب الشامل من سيناء ولا ترى في الانسحاب الجزئي هذا التزاما من جانبنا بالعودة إلى خطوط ما قبل حرب الأيام السته، وجاء في الوعد الأمريكي الذي ورد في رسالة الرئيس نيكسون لرئيسة الوزراء جولدا مائير بأن أي جندي إسرائيلي لن ينسحب من خطوط وقف اطلاق النار حتى يتم التوصل إلى سلام خطي وموثق يرضي إسرائيل يظل ساري المفعول حتى لو انسحب الجيش الإسرائيلي في اطاره إلى خطوط جيدة شرقي قناة السويس، وان الولايات المتحدة ستوافق في وثيقة أمريكية - إسرائيلية على المبدأ القائل ان انتهاك الاتفاق من جانب المصريين يمنح إسرائيل حرية العمل العسكرية والعودة لاحتلال مواقع عسكرية على طول قناة السويس وان الولايات المتحدة ستؤيد خطوة كهذه إذا اضطرت إسرائيل إلى القيام بها في الجلستين السياسية والدولية وان على إسرائيل ان تقدم للولايات المتحدة قائمة باحتياجاتها العسكرية.

ولكن إسرائيل تصلبت في موقفها واصرت على ان موافقة مصر على الغاء حالة الحرب تبرر انسحاب الجيش الإسرائيلي من القناه وافادت تقديرات إسرائيلية بان مصر تنوي استئناف الحرب واذا انسحب الجيش الاراي بدون تعهد بانهاء حالة الحرب فان المصريين لن يترددوا بمساعدة السوفييت وتأييدهم بخرق الاتفاق وادخال قوات كبيرة إلى المنطقة التي سينسحب منها الجيش الإسرائيلي والاستعداد لخوض حرب جديدة.

لقد تلقيت تعليمات بابلاغ الأمريكيين بان الغاء حالة الحرب هو شرط لا يمكن التراجع عنه واذا سئلت إلى أي مدى إسرائيل مستعدة للانسحاب فيجب على ان اجيب بـ «لست

ادري» وكان موقف الحكومة الإسرائيلية هـذه بمثابـة «لعبـة الاسـتغماء» لم تيـأس الولايـات المتحـدة منـه فحسب بل وانا أيضاً وقد احتجت إلى قوى نفسية هائلة لمنع نفسي مـن توجيـه اقـذر العبـارات للحكومـة الإسرائيلية أو استخلاص النتائج البعيدة الاثر والمطالبة باعادتي من مكان عملى.

الى جانب البرقية التي تضمنت تعليمات لي كيف اتصرف بعث مردخاي غازيت مير عام مكتب رئيسـة الوزراء ببرقية شخصية قال فيها ان البرقية المرسله اليك قد درست من قبل رئيسة الوزراء ووزيـر الخارجيـة ووزير الدفاع والوزير يسرائيل جليلى ورئيس الاركان ورئيس شعبة الاستخبارات العسكرية ويبدو انـه فعـل ذلك لاعطاء البرقية صفة هامة و رسمية.

كيف سيرد كسنجر على هذا الاقتراح الإسرائيلي؟ وكما توقعت تماما فقد قـرأ الورقـة التـي قـدمتها لـه بسرعة هائلةلة وقال على الفور:- ما هذا؟ هل تستطيع ان تفسره لي؟ إلى أين ينسحب الجـيش الإسرائـيلي؟ واين الخط الجديد؟.

فقلـت لـه:- ان الاوامـر الصـادرة إلى مـن الحكومـة الإسرائيليـة تفـرض عـلي عـدم الخـوض في عمـق الانسحاب الإسرائيلي بعبـارات محـددة ولكـن إذا كـان السـادات يفكـر بانسـحاب حتـى خـط العـريش أو بانسحاب لمسافة عشرات الكيلومترات فان توقعاته لا تعبر عن الافكار الإسرائيلية، فسـألنى كسـنجر: وهـل تريدنى ان انقل هذا الاقتراح للرئيس نيكسون؟ إذا كان هذا اقتراحكم فإنني لا اريد ان المسه بيدي ولا اريد الخوض فيه باستطاعة الحكومة الإسرائيلية ان تقرر والقول ان هذا موقفها، حسنا اذهبوا بهـذا الاقـتراح إلى سيسكو اما أنا فلن المسـه أبـدا وهـذا اقـتراح يعـبر عـن عـدم فهـم اسـاسى سـواء للمشـكلة الجوهريـة أو لوضعكم ومكانتكم في الولايات المتحدة، اتركونى بسلام وافعلوا ما يحلو لكم فـاقتراحكم يـؤدي إلى الجمـود والمجابهة اتركونى و شأني.

خلال مئات اللقاءات والاتصالات والمحادثات وتبادل الآراء بينى وبين كسنجر لم اشاهده بهـذه الحالـة من الغضب وسألته: هل استطيع ان ابقى لديك نسخة من هـذه الورقـة؟ فأجـاب بغضـب باسـتطاعتك ان تترك لي النسخ التي تريدها ولكننى لن اعالجها ابدا.

فى اعقاب هذا الاجتماع ابلغت الحكومة الإسرائيلية بما حدث وسالتها كيف اتصرف فـامرتنى بتحويـل الورقة لسيسكو، ومرة أخـرى عرضـت الخطـة الإسرائيليـة واهـم بنودهـا: قنـاة السـويس يجـب ان تكـون مفتوحة امام سفن كافة الشعوب بما فيها إسرائيل ويجـب ان لا يكـون وقـف اطـلاق النـار محـدودا بفـترة معينة وان تتعهد مصر بعدم استئناف العرب وترابط القوات الإسرائيلية على بعد مسافة معينة من القنـاة، كما يجب ان يتضمن الاتفاق بين مصر وإسرائيل تشكيل طواقم صيانة إسرائيلية للعمل في المواقع الدفاعية على طول القناة طيلة فترة سريان مفعول الاتفاق والسماح بتواجد مدنيين مصريين لتنطيف قناة السـويس وتشغيلها والعمل في شرقي قناة السويس ولمن في المنطقة التي سينسحب الجيش الإسرائيلي منها فقـط ولا يسمح بدخول قوات عسكرية مصرية نظامية أو غير نظامية من أي نوع كان إلى غربي القناة وتقلـص مصر قواتها حسب ما سيتفق عليه ويحظر عليها اقامة جسور على القناة ولا يسمح برسو قطع بحريه عسـكرية على طول القناه وبحيراتها و يتم الاتفاق على وسيلة المراقبة لتنفيذ الاتفـاق وان الخـط الـذي سـيرابط فيـه الجيش الإسرائيلي بعد الانسحاب لن يكون الخـط النهـائي في اطـار اتفـاق سـلام ينسـحب بموجبـه الجـيش الإسرائيلي إلى الخط الذي سيتفق عليه وبعد ١٥ يوما مـن سريـان مفعـول الاتفـاق يـتم الافـراج عـن كافـة الاسرى لدى الجانبين، وجاء في الورقـة الإسرائيليـة أيضـاً ان الانسـحاب الإسرائـيلي سـيبدأ بعـد تطهـير قنـاة السويس وفتحها وبـدء عملهـا في وجـه الملاحـة الدوليـة وان الاتفـاق لـن يـؤثر بشـكل مـن الاشـكال عـلى المفاوضات التي يرعاها يارنغ للتوصل إلى سلام عادل ودائم.

أصــغى سيســكو بـــاهتمام لهـــذه الشروط ولمطالـــب إسرائيـــل بالحصـــول عـــلى مســـاعدات واســـلحة مـــن الولايـــات المتحـــدة شـــكرني بـــأدب وقـــال انـــه يجـــب عليـــه ان يبلـــغ روجـــرز بـــذلك

فطلبت من سيسكو بناء على التعليمات التي تلقيتها من الحكومة الإسرائيلية ان لا يطلع المصريين على فحوى مقترحاتنا قبل ان تبلور الولايات المتحدة موقفها وترد علينا حول موقفها من المقترحات الإسرائيلية.

لقد اجتمع نائب رئيس الوزراء ووزير الخارجية الإسرائيلي يجآل الون بوزير الخارجية الأمريكي وليم روجرز بتاريخ ٢٠ نيسان ودار بينهما حديث مطول ولكنهما لم يحرزا تقدما نحو التسوية وتركز الحديث حول المسائل التعلقة بالتسوية الجزئية والتسوية الشاملة وظل الأمريكيون متمسكين بوجهة نظرهم القائلة انه يجب تشجيع السادات المستعد لخلق واقع جديد في الشرق الاوسط وتمسك الون بموقفه وهو الغاء حالة الحرب كشرط للانسحاب الإسرائيلي.

بتاريخ ٢٢ نيسان تلقينا رد الولايات المتحدة على وثيقتنا المرسلة بتاريخ ١٩ نيسان وامتاز الرد الأمريكي بالحذر ولكن بدون التزام صريح وقال الأمريكيون إن الاقتراح الإسرائيلي يحتوي على جوانب ايجابية ولكنهم لا يستطيعون تأييد كل ما ورد فيه، واضافوا بان الاقتراح الإسرائيلي يعرض قاعدة ايجابية لمواصلة المفاوضات والجهود لايجاد تفاهم مع المصريين ولهذا سيقومون بعرض الوثيقة الإسرائيلية على المصريين والطلب منهم الرد عليها بصورة ايجابية.

لقد وصل روجرز وسيسكو واثرتون إلى الشرق الاوسط في مطلع شهر ايار كما وصلت أنا إلى إسرائيل واجرى الطاقم الأمريكي محادثات مع رئيسة الوزراء و الوزراء حول مواضيع سياسية وعسكرية واقتصادية وخرج سيسكو من اجتماعه مع ديان وهو في غاية الرضا وانطبع من حديث ديان ان المواقف الإسرائيلية كما عرضها الوزير الإسرائيلي لا تتفق تماما والمواقف التي وردت في الوثيقة الإسرائيلية بتاريخ ١٩ نيسان واوفد روجرز سيسكو إلى القاهرة في زيارة أخرى لم تكن مدرجة في جدول الجولة الاصلي ويعتقد بان اقوال ديان كانت سبب سفر سيسكو إلى القاهرة مرة أخرى.

بتاريخ ١٢ آذار حدثني سيسكو في واشنطن بتفاصيل اجتماعاته المغلقة مع كل من الرئيس السادات والجنرال فوزي وزير الحربية ورياض وزير الخارجية وكعادته فقد حاول سيسكو التحدث بموضوعية وبعيدا عن العواطف وبدا عليه جدا مدى انطباعه العميق من شخصية الرئيس المصري المحبة للسلام وقال ان السادات يريد حقا التوصل إلى اتفاق وان مصر تسودها اتجاهات مختلفة ولكن السادات هو اكثرهم تماديا في رغبته في التوصل إلى اتفاق مع إسرائيل خلافا للمواقف المتصلبة التي اتخذها كل من وزير الحربية فوزي ووزير الخارجية رياض واضاف سيسكو بان السادات يتخذ موقفا واقعيا وعمليا وهو زعيم سياسي يتمتع بشعور حاد للغاية.

لقد وجد سيسكو لدى الرئيس السادات تفهما لمصاعب إسرائيل وهو ما لم يجده لدى أي زعيم عربي آخر كما وجد لديه تفهما لمطالب إسرائيل الامنية واعرب سيسكو عن اعتقاده بان السادات يسعى لتقليص ارتباط مصر بالاتحاد السوفياتي وان ليه استعدادا «للتعامل» مع الولايات المتحدة وإسرائيل، وقال ان الرئيس المصري قد ابلغه برغبته في خلق اجواء جيدة في الشرق الاوسط بين مصر والولايات المتحدة اولا وانه يريد التقدم نحو اتفاق مع إسرائيل ولكن الاتفاق الذي يريده يجب ان يكون جديرا بالدفاع عنه وتبريره امام الشعوب العربية الاخرى واضافه سيسكو بان الزعيم المصري يريد خلق حالة من الهدوء عن طريق التوصل إلى تسوية جزئية تمكنه من التقدم نحو السلام مع إسرائيل واكد بأنه كان الزعيم العربي الأول الذي اعلن صراهة استعداده لعقد سلام مع إسرائيل لقد قال لي سيسكو انه ابلغ السادات بمبادئ إسرائيل للتوصل إلى تسوية جزئية وبقلقها من ان تؤدي التسوية الجزئية وانسحابها من القناة إلى اضعاف موقفها العسكري، وقال سيسكو للسادات ان إسرائيل لا توافق على دخول قوات عسكرية مصرية إلى شرقي القناة وانها تطالب بتقليص القوات المصرية الرابطة غربي القناة وتصر على المبدأ بان لا يعتبر الانسحاب الجزئي خطوة تلزمها بشأن الحدود النهائية بينها وبين مصر في اطار التسوية الشاملة وان إسرائيل تربط عمق الانسحاب بعمق الالتزام المصري نحو وقف اطلاق النار.

لقد لفت سيسكو انطار السادات نحو مصاعب إسرائيل في الكنيست لأن أي اتفاق يجب ان يبحث ويقر في الكنيست فقال له السادات انه يتفهم المشاكل ولكنه لا يستطيع الموافقة على مطالب إسرائيل بشأن عدم السماح بدخول جيش مصري إلى المنطقة التي سينسحب الجيش الإسرائيلي منها وانه ملزم بحماية المدنيين المصريين الذين سيعملون في اعداد القناة للملاحة وتشغيلها.

وقال لي سيسكو ان السادات طلب امهاله مدة اسبوعين لدراسة المقترحات الإسرائيلية بعناية. السادات يدرس ووزارة الخارجية الأمريكية تدرس وكسنجر يبدي لا مبالاة ويدع الامور تجري بدون أي تدخل من جانبه وربما لعدم ايمانه بامكانية التوصل إلى اتفاق جزئي ولتربصه بوزارة الخارجية الأمريكية ليحملها مسؤولية الفشل.

لقد توجه سيسكو إلى الشرق الاوسط في زيارة أخرى ولم تتغير المواضيع التي بحثها خلال تلك الزيارة ولم يحرز أي تقدم وادعى سيسكو انه انطبع من حديثه مع ديان بان إسرائيل مستعدة للانسحاب مسافة تزيد على ٧ - ١٢ كم في جبهة قناة السويس ولكن موقف إسرائيل ازاء دخول قوات مصرية إلى المنطقة التي سينسحب منها الجيش الإسرائيلي لم يتغير وكذلك لم يتغير موقف مصر من موضوع تقليص القوات المصرية في الضفة الغربية للقناة.

لم يكن من السهل على الولايات المتحدة ان تبلور موقفا ومعاملة نحو السادات: فبينما استمد الأمريكيون التشجيع من قيام السادات بالاطاحة بالمجموعة الوالية للسوفييت برئاسة على صبري في شهر ايار ١٩٧١ فقد فوجئوا بمعاهدة الصداقة بين مصر والاتحاد السوفياتي التي وقعها السادات اثناء زيارة بودغورني لمصر في حزيران ١٩٧١ ويذكر ان عبدالناصر على الرغم من علاقاته الوطيدة مع السوفييت قد امتنع عن التوقيع على مثل هذه المعاهدة اما السادات الذي يسعى إلى توثيق علاقاته مع الولايات المتحدة فقد وقع المعاهدة

ومع ذلك فان الأمريكيين يميلـون إلى جانـب السـادات ويؤمنـون بأنـه يسـعى إلى تحسـين العلاقـات مـع الولايات المتحدة ويبدي استعدادا حقيقيا للتوصل إلى تسوية مع إسرائيل.

لقد كان لوزارة الخارجية الأمريكية دور مؤثر في اقناع الادارة الأمريكيـة باعاقـة شـحن انـواع مختلفـة من الاسلحة الأمريكية إلى إسرائيل وخاصة الطائرات وذلك لايمانها بـان هـذا العمـل يـرضي الـزعماء العـرب الذين يسعون للتقرب نحو الولايات المتحـدة ولـكي تظهـر للـزعماء العـرب انهـا قـادرة عـلى الضـغط عـلى إسرائيل، ولكن إسرائيل لم تكن بمفردهـا وخاصـة أني احسـنت اسـتغلال اصـدقائها ومؤيـديها اليهـود وغـير اليهود وتلقيت مساعدة كبرى من ماكس فيشر احد زعماء اليهود وهو جمهوري لا توصد في وجهـه ابـواب البيت الابيض وباستطاعته ممارسة نفوذه هناك وكذلك ابدى زعـماء اخـرون مـن الجاليـة اليهوديـة امثـال شرايفر وكمينس وغيرهما استعدادا للوقوف إلى جانـب إسرائيـل وقـام وزيـر العدليـة في حكومـة نيكسـون جون ميتشل بالضغط على الرئيس لصالحنا وساهمت تلك الضـغوط في اقنـاع الـرئيس بالاسـتجابة لمطالـب إسرائيل.

فى نهايـة شـهر ايلـول اعـترف لي سيسـكو قـائلا:- «لقـد تمـادت الولايـات المتحـدة وابلغـت السـادات باستعداد إسرائيل للانسحاب إلى مسافات بعيدة لأن لديها انطباع بذلك من اقوال موشه ديان الذي اعـرب فيها عن استعداده للموافقة على انسحاب كبير واعتقدت بان الحكومة الإسرائيلية ستوافق في النهايـة عـلى وجهة نطر ديان.

لقد اكتشفت مماطلة لدى وزارة الخارجية الأمريكية في اربعة مواضيع رئيسة هـي: عمـق الانسـحاب الإسرائيلي واستعداد الولايات المتحدة بعدم الزام مصر بالغاء حالة الحرب في اطار التسوية الجزئية والتفهم لمطالب مصر بشأن دخول قوات عسكرية محدودة إلى شرقي القناة وربط التسوية الجزئية بمشروع روجرز الذي ينص على الانسحاب الشامل.

لقد شعرت بضرورة اجراء بحث جذري مع الدكتور كسنجر في محاولة لكسر طوق المماطلة الأمريكية في تلبية متطلبات إسرائيل العسكرية واجتمعت به في الثاني من تشرين الأول واجريت معه حديثا شخصيا مطولا.

لقد علمتني تجارب الماضي بأنه لا يوجد انسجام بين وزارة الخارجية الأمريكية والبيت الابيض فالاولى تميل إلى ممارسة ضغوط على إسرائيل حتى توافق على الرقص على انغام الناي الأمريكي والبيت الابيض يترك لوزارة الخارجية مجالا معينا للعمل ولكنه يهب بعد ذلك للتصدي للضغوط إذا وجد انها تجاوزت الحد الذي يرى وهكذا حدث في عام ١٩٦٩ عندما رفضت إسرائيل مشروع روجرز بشدة وابدت وزارة الخارجية الأمريكية استعدادا للضغط على إسرائيل وارغامها على التراجع وهكذا حدث في شباط - آذار ١٩٧١ عندما اعجبت وزارة الخارجية الأمريكية بالرد المصري على مذكرة يارنغ وابدت استعدادا للضغط الحقيقي ولكن البيت الابيض تدخل واحبط ذلك الاتجاه.

لقد كانت لدينا رغبة في خلق الازمة عندما شعرنا بأن وزارة الخارجية الأمريكية تستعد لممارسة ضغوط علينا لكي نجعل البيت الابيض يتدخل ويحبط مساعي وزارة الخارجية.

لقد قلت لكسنجر بأنني اريد التوصل إلى تفاهم معه واننى لم استمع منه إلى موقفه من التسوية الجزئية مع مصر فاجاب بان من غير الممكن التوصل إلى مثل هذه التسوية بدون تفاهم بين البيت الابيض والاتحاد السوفياتي واعترف بان اقتراحنا الذي عرض عليه لا يبدو معقولا في نظره وانه غير مستعد لخداعنا وخداع الآخرين بمعالجة موضوع لا يرى فيه أي امل للوصول فيه إلى نجاح يذكر وان موظفين اخرين في الادارة الأمريكية - لم يذكرهم بالاسم يخطئون إذا ما تصوروا بان مناوراتهم واكاذيبهم تؤدي إلى تقارب المواقف والتوفيق بين وجهات النظر وقال ان هذا اسلوب خاطىء ومرفوض ولا يؤدي إلى أي تقدم نحو التسوية وانه يرفض السير في هذا الطريق ومعالجة الموضوع طالما انه غير مقتنع بامكانية التقريب بين وجهات النطر بشكل يغلق الجو المناسب لتحقيق التسوية.

في هذه الرحلة استمعت منه إلى قول مثير للاهتمام كشف ما يمكن وصفه «بالقلق من الاضرار بنجاح كسنجر» وقال: في جميع النشاطات التي قمت بها في الامور السياسية والعسكرية الأمريكية وايضا في موضوع العلاقات مع الصين والاتحاد السوفياتي حققت مكانة الشخص الذي يحقق النجاح في كل عمل يقوم به وفي كل طريق يسلكه ولن اعالج موضوعا لا ارى فيه أي امل في النجاح.

لقد كانت محادثة شخصية سمح فيها كسنجر لنفسه الادلاء باقوال كالسياط اللاهبة فقلت له: يجب علينا ان نتوصل إلى تنسيق استراتيجي بين إسرائيل والولايات المتحدةلأن مصلحتنا واحدة وهناك انباء تتحدث عن وجود نية لدى المصريين لاستئناف الحرب في نهاية عام ١٩٧١ بايحاء سوفياتي كما ان عام الانتخابات الأمريكية(١٩٧٢). قد اقترب وسياستكم سعت دائما إلى استمرار هالة الهدوء في الشرق الاوسط ولا يمكن تحقيق التفاهم الاستراتيجي الاساسي بين الولايات المتحدة وإسرائيل الا عن طريق عقد لقاء بين رئيسة الوزراء غولدا مائير والرئيس نيكسون وانا اقترح عقد هذا اللقاء في تشرين الثاني أو كانون الاول١٩٧١.

لقد عاد كسنجر وذكرني باسلوب نيكسون في العمل وهو انه يريد سلفا معرفة المجالات التي يمكن التوصل فيها إلى تفاهم وماهي امكانية التوفيق بين المواقف المتناقضة وهو - أي كسنجر - مستعد للعمل على ترتيب مثل هذا اللقاء ولكن ليس قبل الاعداد له بصورة جذرية للتعرف على المواقف الإسرائيلية ووعدني قائلا: سوف لن نبلغ المصريين والسوفييت بمضمون المواقف الإسرائيلية قبل التوصل إلى اتفاق بين إسرائيل والولايات المتحدة ولكن يجب ان اعلم ما هي مواقفكم واذا بدت لي معقوله لتكون اساسا للتفاهم الاستراتيجي بين إسرائيل والولايات المتحدة فسوف ادرسها مع الرئيس وبعد ذلك نتخذ قرارا حول اللقاء بين السيدة مائير والرئيس.

فاجبت: انني اود التأكيد مرة أخرى بان هذا حديث شخصي ومن المحتمل ان اتلقى التوبيخ من رئيسة الوزراء إذا ما ابلغتها بمضمونه لأنني تجاوزت صلاحياتي وانا اشعر باننا

نقع في مصيدة سياسية لعدم وجود تفاهم استراتيجي بين إسرائيل والولايات المتحدة، ان مشروع روجرز لحل النزاع في الشرق الاوسط لا يمكن ان يكون اساسا للتفاهم بيننا وكذلك المواقف التي تتخذها وزارة الخارجية الأمريكية وانتم تزودوننا بالاسلحة بالتقسيط وعلى دفعات ضئيلة وذلك كوسيلة للضغط علينا ولا تعترفون بوجود علاقة بين تزويدنا بالاسلحة ومواقفنا السياسية ولكن الواقع يخلق هذه العلاقة بشكل ملموس وهذا اسلوب مرفوض ويجب ان نكون مطمئنين ازاء استمرار تدفق الاسلحة الأمريكية علينا لحماية امننا فترة طويلة من الوقت.

ان إسرائيل تسعى لتحقيق هدفين في اطار الاتفاق الجزئي مع مصر وهما: وقف اطلاق نار غير محدد بفترة معينة وتعهد مصري بالغاء حالة الحرب مع إسرائيل وفى رأيى أن لا أمل في تحقيق هذين الهدفين وهدف إسرائيل الرئيس هو العمل على تخل الولايات المتحدة عن مشروع روجرز - كموقف أمريكي لحل شامل للنزاع المصري - الإسرائيلي والاردني - الإسرائيلي ولهذا فاني اقترح تفاهما أمريكيا - إسرائيليا على اساس استعداد إسرائيل للتخلى عن احد مطالبها من مصر: وقف غير محدود لاطلاق النار أو الغاء حالة الحرب ولكن هذين المطلبين ليسا من اختصاص الولايات المتحدة ولا تستطيع اتخاذ قرار بشأنهما ولكن الولايات المتحدة تستطيع التخلى عن مشروع روجرز ومن المحتمل ان لا يكون بالامكان نشر بيان علنى بهذا الشأن وانا اتفهم ذلك واذا قال الرئيس نيكسون لرئيسة الوزراء غولدا مائير ان الولايات المتحدة لن تمارس ضغوطا على إسرائيل من أي نوع كان في المجالات السياسية أو العسكرية أو الاقتصادية لكي توافق على مشروع روجرز فان هذا ادنى مطلب لإسرائيل. فابتسم كسنجر وقال: وهل ستصدقون وعدا كهذا؟ فاجبت: نعم إذا صدر عن الرئيس نيكسون لرئيسة الوزراء سنصدق، لقد سالني كسنجر ما هو الخط الذي ستنسحب إسرائيل اليه؟ فاجبت: حوالي ٣٠ كم بحيث تكون الداخل الغربية لممري الجدي والميتله وراء ظهرنا ونحن نكون غربي الممرين)أي ان يكون الممران في ايدينا وتحت سيطرتنا التامة (وان تكون

المناطق التي سننسحب منها منزوعة السلاح ومن الممكن ان تدرس إسرائيل امكانية السماح لقوة مصرية رمزية باجتياز القناة إلى سيناء ولكن عمق الانسحاب سيكون أقل إذا رابطت قوة عسكرية مصرية في المنطقة المذكورة لقد عدت واكدت بان امداد إسرائيل بالاسلحة الأمريكية وضمان حصولها على مساعدات اقتصادية ستكون اجزاء هامة في الاتفاق الجزئي وبعد عامين أو عامين ونصف سيعاد النظر في الاتفاق وباستطاعة مصر وإسرائيل المطالبة بادخال تعديلات عليه.

عندما ابلغت غولدا مائير بفحوى حديثي مع كسنجر حاولت ابعاد الشبهات عني وقلت: ربما اكون قد تجاوزت صلاحياتي في اقتراحي التوصل إلى تسوية جزئية ولكن في ضوء العلاقات القائمة بيننا وبين كسنجر والثقة التي اوليها للرجل ونطرا للوضع السياسي الراهن فانني اعتقد بان على إسرائيل ان تساهم في تحسين امكانية دفع المسيرة إلى الامام وان لنا مصلحة كبرى في تنكر الرئيس نيكسون لمشروع روجرز وهناك احتمال كبير لكي يتنصل منه شريطة ان نعطي المسيرة السياسية دفعه قوية بحيث نضمن الهدوء في المنطقة ونشجع المساعى السياسية.

لقد كان رد غولدا مائير كما توقعته تماما: ففي البداية بعثت إلي ببرقية قصيرة شكرتني فيها على تقريري وبعد اسبوع تلقيت برقية ثانية اعلنت فيها عدم موافقتها على مقترحاتي التي قدمتها لكسنجر وابدت فيها أسفها لابلاغ كسنجر بتلك المقترحات ولو بشكل شخصي بدون ان تأذن لي بذلك واعربت عن مخاوفها بأن يقوم كسنجر بابلاغ الرئيس بالمقترحات ويضعف بذلك موقف إسرائيل في محادثاتها مع وزارة الخارجية الأمريكية حول شروط التسوية الجزئية وفى سياق البرقية اوكلت الي مهمة «لطيفة» وهي ابلاغ كسنجر بردها الشديد واعتبار مقترحاتي لاغية ملغية واذا كان كسنجر قد ابلغ الرئيس بالمقترحات ان اطلب منه ابلاغ نيكسون برد فعل مائير على مقترحاتي ولم تترك لي اوامر رئيسة الوزراء مجالا للتفكير وكنت اعلم ان كسنجر ينوى السفر في غداة اليوم التالي إلى الصين فاتصلت به هاتفيا وأبلغته

بتوبيخ غولدا مائير لي وطلبت منه اعتبار مقترحاتي لاغية ملغية واوضحت له النقاط التي اعتبرتها مائير غير مقبوله لديها وتماديت فيها عن المواقف المقبوله لدى الحكومة الإسرائيلية وقلت له ان غولدا غير مستعدة للاكتفاء بوعد من الرئيس بعدم ممارسة ضغوط على إسرائيل بسبب معارضتها لمشروع روجرز بل تطالب بتنصله التام من المشروع وان عمق الانسحاب الذي اقترحته كبير للغاية وان إسرائيل لا تسمح بدخول أي قوة عسكرية مصرية إلى غربي القناة.

الآن وبعد ان بلعت الاهانة شعرت بالارتياح في خذ كسنجر يسري عني ويطلب مني ان لا اقلق لانه لم يحدثه الرئيس بعد ولا يبدي حماسا لمعالجة موضوع التسوية الجزئية واقترح ان تواصل إسرائيل معالجة الامر مع وزارة الخارجية الأمريكية ووعدني بالاجتماع به بعد عودته من الصين بعد عشرة ايام.

لقد سافر كسنجر وعاد و في الخامس من تشرين الثاني دعاني إلى البيت الابيض وقال: تعال بمفردك ولن يكون معي احد وسيكون كل شيء محاط بالكتمان وعند وصولى ادخلوني.عبر باب جانبي وقال لي كسنجر: ان ما سابلغك به انما مو بموافقة الرئيس نيكسون ولكني اريدك ان تعدني بعدم ابلاغ احد بمضمونه عدا رئيسة الوزراء وفى اجتماع على انفراد تعقده معها في إسرائيل فقلت له انني استطيع طلب الاذن بالسفر إلى إسرائيل ولكنني لا استطيع السفر على عاتقي ولا استطيع التعهد بالحصول على اذن بالسفر.

كسنجر: إذا كان الامر كذلك فانني اطلب منك وعدا بعدم ابلاغ احد بما ستسمعه مني إذا لم يسمح لك بالتوجه إلى إسرائيل فوعدته.

كسنجر: لقد طلب مني دوبرنين (السفير السوفياتي في واشنطن) نقل اقتراح من الرئيس ليونيد بريجنيف إلى الرئيس نيكسون بالذات يتضمن اتفاقا حول صفقة مع الدول العظمى لحل شامل في الشرق الاوسط أي ان يتوصل بريجنيف ونيكسون إلى اتفاق بالقضاء على

النزاع في الشرق الاوسط على مرحلتين: الاولى تتضمن اتفاقا محدودا لفتح قناة السويس والثانية تتضمن اتفاقا شاملا على اساس وثيقة يارنغ لقد ابدى بريجنيف تفهما لمشاكل نيكسون في عام ١٩٧٢ الذي هو عام انتخاباته وابدى استعدادا لاخذها بعين الاعتبار ولهذا فهو يقترح تنفيذ الاتفاق الجزئي فقط خلال عام ١٩٧٢ واذا تم التوصل إلى اتفاق بين الدولتين العظميين حول طبيعة الحل الشامل فان بريجنيف مستعد لاظهار المرونة والتساهل فيما يتعلق بالتسوية الجزئية على ان ينفذ الاتفاق الشامل في عام ١٩٧٣ لقد اقترح بريجنيف ان تعتمد التسوية الشاملة على مشروع روجرز ومذكرة يارنغ وتلتزم إسرائيل بالانسحاب الشامل من كافة المناطق مقابل اتفاق سلام على اساس مطالب يارنغ واستعداد مصر لعقد اتفاق سلام مع إسرائيل كما تجلى في رد السادات بتاريخ ١٥ شباط ١٩٧١ وابدى الاتحاد السوفياتي استعدادا لجلاء قواته العسكرية عن مصر وابقاء عدد ضئيل من المستشارين هناك كما تعهد الاتحاد السوفياتي بالموافقة على فرض حظر مشترك مع الولايات المتحدة على شحنات الاسلحة لدول الشرق الاوسط بعد تنفيذ الاتفاق أو الاتفاق على سياسة مشتركة لتزويد الاسلحة للجانبين وعلى حجم الشحنات ومواعيد تسليمها ووافق الاتحاد السوفياتي على منح ضمانات بالاشتراك مع الولايات المتحدة للتسوية السياسية بالشكل الذي تراه الولايات المتحدة مناسبا.

توقف كسنجر قليلا ليرى اثر اقواله لدي ولكني التزمت جانب الصمت معتقدا بأنه لم يفرغ من الحديث بعد واستطرد قائلا:- لقد ابلغت دوبرنين بأنني ساعرض اقتراح بريجنيف على الرئيس وان الولايات المتحدة سترد عليه في نهاية تشرين الثاني، وقلت له أنه يجب الفصل بين الموضوع المصري - الإسرائيلي والعلاقات بين إسرائيل والدول العربية الاخرى وانه لا مجال للحديث حول اقامة مناطق منزوعة السلاح في الجانب الإسرائيلي وان المناطق المنزوعة السلاح يجب ان تكون في الجانب المصري فقط وان الانسحاب الإسرائيلي ضمن التسوية الجزئية يجب ان لا يتعدى ٢٠ - ٣٠ كم على الاكثر.

وقال لي كسنجر ان هذا اقتراح على مستوى الدول العظمى ونحن لا نريد اجراء مفاوضات مع الاتحاد السوفياتي ولو على اعلى مستوى بدون تنسيق وثيق معكم مع إسرائيل ولا نعتقد باننا سنجري مفاوضات حول موضوع مصيري لإسرائيل بدون اطلاع إسرائيل على اسرارها في جميع مراحلها.

وقال كسنجر: انني اريد ردا من غولدا: هل توافق على دخول الولايات المتحدة في مفاوضات كهذه التي سيجري الحديث فيها حول امور اقليمية لا تتضمن تغييرات حدود جوهرية بالمقارنة مع خطوط الرابع من حزيران ١٩٦٧؟ واضاف: انني اتفهم مصاعب إسرائيل واذا رفضت اقتراح بريجنيف فسوف لن احملها المسؤولية واذا عارضت إسرائيل فسوف ابحث عن طريق لمنع اجراء مفاوضات أمريكية سوفياتية حول مقترحات بريجنيف، وابرقت لإسرائيل قائلا:- اود المجيء، للتشاور، وبعد ثلاثة ايام تلقيت دعوة للمجيء وقبل مغادرتي واشنطن تشاورت مرة أخرى مع كسنجر وكان ذلك في التاسع من تشرين الثاني في الساعة الخامسة بعد الظهر وقلت لكسنجر: انني اريد ان اكون متأكدا بأنني فهمت ما ابلغتني به جيدا في حديثنا السابق واريد تسجيل النقاط والحصول منك على موافقة على كل نقطة ونقطة.

لقد عدنا وتحدثنا بالتفصيل عن النقاط الواردة في الاقتراح السوفياتي وسألته: فيما يتعلق بمصر هل المقصود به مشروع روجرز أم خطوط عام ١٩٦٧ التي كانت قائمة قبل الحرب. فاجاب:- لقد نسيت ان ابلغك في حديثنا السابق انني قلت لوبرنين أن إسرائيل رفضت مبدأ الانسحاب إلى الحدود الدولية على اساس مشروع روجرز وسترفض بالتاكيد الانسحاب إلى خطوط ١٩٦٧ فاجابني دوبرنين: كيف تتوقع منا ونحن اصدقاء العرب ان نعرض على المصريين خطة اسوأ من الاقتراح الذي تقترحه الولايات المتحدة في اطار مشروع روجرز؟.

وسألته: هل تطلب منا تعهدا مسبقا بالموافقة على كافة المواقف السوفياتية والانحراف عن مواقفنا الرئيسة؟ انك تعلم بلا شك ما هي مواقعنا. فأجابني كسنجر: لو انني تصرفت

مثلما تتصرف عناصر أخرى في الادارة الأمريكية ما كنت لاطلعتك على الخطة السوفياتية ولقمت باجراء مفاوضات مع السوفييت وتوصلت معهم إلى اتفاق حول التسوية الجزئية على النحو الذي يرضيكم ولكن فيما يتعلق بالتسوية الشاملة لكنت قد اجريت مفاوضات سرية مع السوفييت وتوصلت معهم إلى اتفاق لتنفيذه في عام ١٩٧٣ في اعقاب انتخابات الرئاسة الأمريكية فقلت إذا كانت اجابتنا ايجابية ووافقتنا على اجراء مفاوضات حول اقتراح بريجنيف الم نتحمل مسؤولية ولو ادبية بتبني نتائج مثل تلك المفاوضات حيث مشروع روجرز الذي نمقته مقبول لدى حكومة الولايات المتحدة وعلى اساسها تسعون للتفاوض مع الاتحاد السوفياتي فاي سبب يجعل إسرائيل توافق على ذلك اننا لا نستطيع منعكم من اجراء مفاوضات على اساس سلبي من وجهة نظرنا ولا نستطيع أيضاً ان نتمنى لكم بالتوفيق واسمح لي ان اوجه سؤالا آخر: ما هو الدور الذي خصصه السوفييت للرئيس نيكسون؟ ان يمنح اسمه ومكانته لمشروعهم أم يقنع إسرائيل بقبوله: انني افهم من اقوالك ان الروس يريدون هذه المرة ان لا يكتفي الرئيس نيكسون بالاقوال بل يأخذ على نفسه التزامات ناجمة عن صفقة تعقد بين الدولتين العظميين ويقوم بدوره لفرض بنود الاتفاق على إسرائيل فهل يجب على إسرائيل ان نشجع الرئيس على السير في هذا الطريق عن طريق منحه موافقتها؟

لقد طال الحديث بيننا واحيانا كان ينحرف عن قضايا الشرق الاوسط ويتطرق لقضايا العالم باسره كاوروبا وبرلين والمانيا الشرقية والدول العظمى ودائما كان يعود إلى القضايا الرئيسة: ماذا تريد إسرائيل؟ هل تريد السيادة على اجزاء من سيناء أم ترتيبات امنية فقط؟ هل تريد ضم شرم الشيخ واقامة امتداد اقليمي إلى ايلات أم تواجدا عسكريا فقط؟ هل تريد تغييرات حدود في سيناء أم اتفاقا حول قواعدها العسكرية في الصحراء؟.

مرة أخرى قلت لكسنجر:- ان إسرائيل لا تستطيع الموافقة على مشروع روجرز الذي يتضمن مطالبة إسرائيل بالانسحاب إلى الحدود الدولية بينها وبين مصر.

كسنجر:- ربما امكن التسبب في ادخال تغييرات طفيفة في الخطة الاقليمية ولكنني لا استطيع تحديد حجم تلك التغييرات قبل البدء بمفاوضات مع الروس ولن نقوم باية محاولة للتحدث معهم بدون علمكم وموافقتكم، فقلت: اننا سندخل في مصيدة سياسية واذا توصلتم إلى اتفاق مع السوفييت حول الحل الشامل ليتم تنفيذه في عام ١٩٧٣ على اساس مشروع روجرز فان ذلك سيخنقنا ولا تستطيعون التوقع من إسرائيل ان توافق سلفا على ذلك وتشجعكم على البدء بمثل هذه المفاوضات.

كسنجر:- انني لا استطيع القول كيف كنت ساتصرف لو كنت إسرائيليا وليس لي الحق في القول لكم كيف عليكم ان تتصرفوا.

وافترقنا وتملكني شعور بأنه لو كان كسنجر إسرائيليا لاعرب عن معارضته الحازمة لاي خطوة سياسية سوفياتية من هذا القبيل ولكن كسنجر كان أمريكيا قبل أي شيء آخر وكان الاقتراح السوفياتي يتضمن مكاسب للولايات المتحدة مثل موافقة روسية على تحديد سباق التسلح في الشرق الاوسط واستعداد سوفياتي لاخلاء الجنود السوفييت من مصر والاكتفاء بتواجد عدد محدود من المستشارين وهذه كلها اشياء تلج قلب كل أمريكي بما في ذلك أكثر اصدقاء إسرائيل اخلاصا لها.

فى اليوم التالى، أي في العاشر من تشرين الثاني وبينما كنت استعد للتوجه إلى إسرائيل دعاني كسنجر لحديث ثالث حول الموضوع وحضر الاجتماح الجنرال الكسندر هيج ومرة أخرى استخدم كسنجر لهجة شخصية وودية.

وقال:- لقد شعرت بعدم الارتياح طيلة الليلة الماضية وقد احضرت هيج لانه ايرلندي ولان الايرلنديين لهم خبرة في حل المشاكل المعقدة وقد ملت بعد حديثنا الليلة الماضية إلى قبول وجهة نطرك وسيطرت على قلبي شكوك كبيرة حول جدوى الخطوات التي اقترحها السوفييت وعرضت الموضوع على هيج ورأى فيها بعض النقاط التي يجب اطلاعك عليها.

وقال كسنجر:- ان هيج يخشى اننا إذا رفضنا الاقتراح باسم مجلس الامن القومي لن يترك دوبرنين الامر وهو أيضاً يعلم بأمر التوتر القائم بين البيت الابيض ووزارة الخارجية الاميركية فسوف تقوم وزارة الخارجية باقناع الرئيس نيكسون بان يترك الموضوع لمعالجته بطريقتها وسوف يؤدي ذلك إلى وضع غير مريح لكم.

وهنا تدخل هيج في الحديث وقال: ان العناصر الأخرى في الادارة(ويقصد بذلك وزارة الخارجية(ملتزمة نحو مشروع روجرز وسيكون الاقتراح السوفياتي حافزا لها لتنفيذ سياستها إذا ترك الرئيس لها حرية العمل ونحن اعضاء مجلس الامن القومي سنجد انفسنا مقيدين من حيث التأثير على تطور الامور وليس هناك ما يضمن قيام وزارة الخارجية بادارة القضايا من خلال التنسيق مع إسرائيل.

فاجبت بغضب وحزم بكلمات واضحة: انني لا اصدق بان الولايات المتحدة تريد فرض الحل على إسرائيل ولست متأكدا من قدرتها على ذلك حتى لو اغراها السوفييت بذلك وليس من المستبعد ان تؤدي معارضتنا لمشروع روجرز إلى نشوب حرب جديدة في الشرق الاوسط وربما إلى تدخل سوفياتي محدود فيها انكم تعلمون بان إسرائيل لا تريد ذلك إذا كان البديل هو الرضوخ لمشروع روجرز فانه يبدو لي ان حكومة إسرائيل ستختار المجازفة بخوض الحرب ونحن على استعداد للقيام باي شيء لمنع هذا الخطر عن طريق التوصل إلى التسوية الجزئية لفتح قناة السويس.

توجهت إلى إسرائيل وابلغت رئيسة الوزراء بكافة التفاصيل وجرت ابحاث على مستويات محدودة واتفق الجميع على رفض المبادرة السوفياتية وامرتني رئيسة الوزراء بابلاغ كسنجر بذلك وتزويده هو والرئيس نيكسون فقط بمعلومات استخبارية لدى إسرائيل تكشف نوايا سوفياتية خطيرة تمنح مصر التشجيع لشن الحرب ضد إسرائيل.

بتاريخ ١٦ تشرين الثاني عرضت على كسنجر موقف رئيسة الوزراء واقترحت عليه توجيه الدعوة لها لاجراء محادثات مع نيكسون واضفت: قل للسوفييت انكم تنوون التحدث

مع غولدا مائير حـول مقترحـاتكم اثنـاء زيارتهـا للولايـات المتحـدة ولهـذا فـانكم لا تسـتطيعون الـرد عـلى مبادرتهم قبل وصول مائير إلى واشنطن.

لقد اوضح لي كسنجر مرة أخرى مثلما اوضح ذلك مرات عديـدة مـن قبـل وسيوضـح للآخـرين مـرات عديدة من بعد بان الولايات المتحدة لا تستطيع رفـض المقترحـات السـوفياتية بـدون ان تقـدم المقترحـات البديلة التي توافق عليها وان الرفض وحده لا يكفي ويجب على اسرائيل ان تقول ما الـذي تريـده وتوافـق عليه.

واضاف: يجب ان تفهموا طبيعة العلاقات بين الدول العظمى وهي تختلف بعـض الشيء عـن طبيعـة العلاقات في الشرق الاوسط وليس من المعقول ان ترفضوا كل شيء فانتم ترفضون مشروع روجرز وترفضون التسوية الجزئية، فقاطعته قائلا: اننا نقول نعم للتسوية الجزئية.

كسنجر: ولكن شرطكم غير معقول ولهذا فـان مـوافقتكم هـى في الواقـع عـدم موافقـة، لقـد رفضـت رئيسة الوزراء اقتراحك بشأن الانسحاب إلى مسافة ٣٠ كم وانتم تتحدثون حول انسحاب إلى مسـافة ٧-١٢ كم وبالمقابل تتوقعون من مصر ان تعلن عدم استخدام القوة وان تظل معلقة بحسن نواياكم ربما تكـرمتم وتلطفتم في المستقبل بالجلاء عن بضعة كيلومترات أخرى من سيناء فهل هذا توقع جاد؟ هل هناك أمل في تحقيقه؟ وتزعمون أيضاً انه لا علاقة بين التسوية الجزئية والتسوية الشاملة فاسمح لي اذن ان اسالك:- باي علاقة ستتم التسوية الجزئية؟ ماذا يضمن للمصريين الحـق بالمطالبـة بجـلاء جيشـكم عـن كافـة سـيناء إذا تمسكتم بمطالبكم المتعلقة بتخليها عن الخيار العسكري وبعـدم الموافقـة عـلى وجـود علاقـة بـين التسـوية الجزئية والتسوية الشاملة؟.

لا يمكن القول ان التفاهم ساد هذا الحيث الذي دار بيني وبين كسنجر ولكننا اتفقنا عـلى شيء واحـد وهو دعوة غولدا مائير في كانون الأول للاجتماع بالرئيس نيكسون وقيام كسنجر بمحاولة تأجيـل المحادثـات مع الاتحاد السوفياتي إلى ما بعد زيارتها.

بينما كنا نقوم بمهمة التحضير لزيارة غولدا مائير لواشنطن واجتماعها بالرئيس نيكسون قام الدكتور ناحوم غولدمان رئيس المؤتمر الصهيوني العالي سابقا بارباك كسنجر وارباكي وذلك عندما قال لكسنجر ان غولدا قررت اعتزال مهام منصبها وانها ستفعل ذلك خلال الايام القليلة القادمة فسألنى كسنجر:- وما الفائدة التي سنجنيها من مجيىء رئيسة الوزراء؟

لم يكن لدي شك بان اقوال غولدمان كانت عارية عن الصحة ولكنني للتأكد من ذلك اتصلت برئيسة الوزراء وابلغت كسنجر في اعقاب ذلك ان رواية غولدمان لا تستند على الواقع وعنئذ قال لي كسنجر: ماذا اسمع؟ ان شخصا ما قد قال لي ان ديان يستعد للمجيء إلى الولايات المتحدة وشخص آخر قال ان ابا ايبن سيصل أيضاً إلى هنا اننا نريد ان تجيء شخصية واحدة تتمتع بصلاحيات كرئيسة الوزراء وطلبت منها ان تعمل على منع ابا ايبان من القيام بالزيارة وقلت لها ان حضوره المحادثات سيؤدي إلى حضور وزير الخارجية روجرز أيضاً فابلغتني رئيسة الوزراء ان ابا ايبن لن يجيىء وان ديان الغى زيارته عندما علم بأن رئيسة الوزراء متجهة إلى واشنطن.

بتاريخ ١٨ تشرين الثاني تحدث كسنجر مع دوبرنين الذي طلب ردا على اقتراح بريجنيف فاجابه كسنجر: بان الولايات المتحدة سترد بعد انتهاء زيارة غولدا مائير للعاصمة الأمريكية، فاجابه دوبرنين قائلا انه ليست هناك حاجة لاشراك زعماء إسرائيل ومصر في هذه المبادرة لأن هذا أمر يهم الدولتين العظميين فقط وان العملية يجب ان تكون كالآتي: انت وانا نجري مفاوضات ونبلور اتفاقا وعندما سيصل نيكسون في ايار ١٩٧٢ إلى موسكو للقاء القمة مع بريجنيف سيقوم الزعيمان بالتوقيع على الاتفاق، ولم يعلق كسنجر على ذلك السيناريو السوفياتي الذي يعني: تسوية مفروضة.

لقد قال كسنجر لدوبرنين ان إسرائيل تطالب بوجود عسكري في شرم الشيخ وربما في مناطق أخرى من سيناء فاجاب دوبرنين: ان من الصعب جدا الموافقة على وجود عسكري

إسرائيلي في شرم الشيخ ولكن من الممكن البحث في تواجد إسرائيلي غير عسكري في سيناء شريطة ان يكون واضحا بان من غير الممكن ادخال أي تغيير على السيادة المصرية في سيناء.

وقال كسنجر لدوبرنين: ان البيت الابيض لا يفكر باضعاف موقف إسرائيل في اطار التسوية الجزئية لفتح قناة السويس عن طريق الانسحاب إلى ما وراء ممري الميتلا والجدي وان إسرائيل تطالب مقابل هذا الانسحاب العميق وقف اطلاق نار غير محدد بزمن، فرد دوبرنين قائلا: ان هذا لا يمكن قبوله.

لقد قال لي كسنجر في مناسبات سابقة انه يعتقد بان السوفييت سيوافقون على وقف اطلاق النار لمدة تتراوح بين ١٨ شهرا وعامين ونصف شريطة ان تكون مبادىء التسوية الشاملة مبلورة من الدولتين العظميين ومصادق عليها في مؤتمر القمة الذي سيعقد في موسكو.

لقد خرج كسنجر ونائبه من المعلومات التي عرضتها عليهما حول محادثات السادات في موسكو بانطباع خاص ولم يكن هناك ادنى شك بان تلك المعلومات قد دحضت اقوال السوفيات عن«نواياهم الحسنة» في الشرق الاوسط واستعدادهم للتوصل إلى اتفاق سلام في المنطقة.

بتاريخ ٢٤ تشرين الثاني ١٩٧١ كررته على مسامع كسنجر معارضتنا «لمشروع بريجنيف» بنصه وروحه لانه يهدف إلى فرض التسوية على اطراف النزاع في الشرق الاوسط.

بعد ذلك ابرقت لرئيسة الوزراء بالمقترحات التي ارى عرضها على الرئيس نيكسون من بينها مطالبة الرئيس الامريكى بتنفيذ وعده بشأن الحفاظ على توازن القوى وبعدم فرض التسوية والموافقة على مفاوضاته حول التسوية الشاملة إذا ضمنت إسرائيل سلفا ادخال تعديلاته على مشروع روجرز والموافقة على التسوية الجزنية لفتح قناة السويس.

الفصل الرابع

تفاهم بين غولدا ونيكسون

وصلت غولدا مائير وعقدت اول اجتماع لها في الأول من كانون الأول مع كسنجر وسالته: تبدو الان إسرائيل في العاصمة الأمريكية؟ فاجابها كسنجر: ان الجو العام في الادارة الأمريكية ليس حافلا بالمودة نحو إسرائيل، فرفعت غولدا حاجبها واستطرد كسنجر قائلا: ان الشعور العام هو ان إسرائيل لم تقدم أي اقتراح بناء سرا. حول التسوية الشاملة أو التسوية الجزئية ولا شك انك تعلمين بان اوساطا مختلفة في الادارة الأمريكية قدمت مقترحات لممارسة ضغوط على إسرائيل وسوف تتركز محادثاتك مع الرئيس نيكسون غدا على مشكلتين رئيستين: تزويد إسرائيل بالاسلحة الأمريكية والقضية السياسية وكيف نواصل المسيرة السياسية واعتقد بانك ستستمعين من الرئيس نيكسون انه بالإضافة إلى موافقة الادارة الأمريكية على تزويد إسرائيل بطائرات اضافية فانها أي الادارة الأمريكية تتوقع ان تستمر المحادثات بين رابين وسيسكو حول الموضوع السياسي وسيطلب منكم اظهار مرونة في المفاوضات وسوف يحدد الرئيس بالطبع مفهومه بالنسبة للمرونة.

لقد تطرق الحديث بين غولدا وكسنجر لجميع جوانب النزاع في الشرق الاوسط ودور الدول العظمى فيه وكررت رئيسة الوزراء اسباب عدم قدرتها على قبول مشروع روجرز وطالبت بفصل المشكلة السياسية عن ضرورة ابقاء إسرائيل قوية ومزودة بالاسلحة الضرورية، على الرغم من ابلاغي للدكتور كسنجر طرحه بان مواقفي بشأن التسوية الجزئية ليست مقبولة لدى غولدا مائير فقد وجه إليها السؤال التالي:- ماذا بشأن المواقف التي عرضها رابين حول التسوية الجزئية؟ فاجابت غولدا: ان هذا لا يمثل الموقف الإسرائيلي ولكننى مستعدة للمثول امام الكنيست والقول بأنني موافقة عل ان تتم الملاحة الإسرائيلية في

القناة بعد اعادة فتحها نتيجة للتسوية الجزئية عل مراحل بحيث يتم الاتفاق في المرحلة الاولى على المبدأ عل ان يؤجل تنفيذه الفعلى إلى مرحلة متأخرة ولكنني أصر على نقطتين وهما:

أولاً: لا يسمح لقوات مصرية باجتياز قناة السويس إلى المنطقة التي ستنسحب إسرائيل منها.

ثانياً: ان ننسحب نحن إلى الغرب من ممري الميتلة والجدي وليس أكثر من ذلك، ومن المحتمل ان نستطيع القيام بشيء ما حول فترة وقف اطلاق النار أكثر من الوقف الذي عرضناه حتى الآن وقلنا ان وقف اطلاق النار يجب ان لا يكون محددا بفترة معينة أي اننا على استعداد لدراسة امكانية وقف اطلاق نار محدد ولكن بشرط ان نتلقى وعدا صريحا وواضحا من الرئيس نيكسون بان مشروع روجرز لا يشكل اساسا للتسوية الشاملة والنهائية في الشرق الاوسط ولا يمثل الموقف الأمريكي في محاولات الولايات المتحدة للتوصل إلى اتفاق مع الاتحاد السوفياتي.

ان كسنجر يحب في مثل هذه الحالات صياغة الاجمالات الواضحة والقصيرة لكي يستطيع عرضها على الرئيس.

وقال:- اذن ترغب إسرائيل في الحصول على تعهد بان لا يكون مشروع روجرز اساسا للحل الشامل وانها تطالب بعدم توصل الولايات المتحدة والاتحاد السوفياتي إلى اتفاق على اساس مشروع روجرز ولكن هل الافكار التي طرحها رابين يمكن ان تكون اساسا لمواقف إسرائيل بشأن التسوية الجزئية؟.

يا له من عنيد، لقد قالت له غولدا بأن مواقفي لا تمثل مواقف الحكومة الإسرائيلية ومع ذلك فهو يصر على جعلي اشعر بالحرج أمام رئيسة الوزراء عندما يكرر اختلافه وجهات النظر بيني وبين غولدا ولكن رئيسة الوزراء فاجأتني بردها قائلة:- ان إسرائيل توافق على دخول مدنيين مصريين من الفنيين والشرطة إلى الضفة الشرقية لقناة السويس، وكانت تلك

المرة الاولى التي توافق فيها غولدا مائير على دخول شرطة مصريين إلى المنطقة التي ستنسحب إسرائيل منها على ان يتم ذلك بعد فتح قناة السويس وبدء العمل فيها.

كسنجر:- انني مستعد لابلاغ دوبرنين بان إسرائيل تعتقد بان من غير الممكن التوصل إلى اتفاق على اساس مشروع روجرز واذا وافق الروس على مبدأ الاتصال البري بين شرم الشيخ وايلات فاننا نكون قد تغلبنا على ٦٠ % من المشكلة.

في الثاني من كانون الأول عقد لقاء غولدا - نيكسون ودخلت غولدا بمفردها إلى الغرفة البنفسجية حيث كان الرئيس الأمريكي بانتظارها ولم يكن معهما احد ودخلت أنا وكسنجر في غرفة الاجتماعات.

ان المحادثات الجوهرية لن تبدأ بدون اشتراكنا ولكن تم الاتفاق بمبادرة الأمريكيين على عدم نشر نبأ اشتراكنا وبعد ان يقوم المصورون والصحفيون بواجبهم سينضم كسنجر وانا إلى رئيسة الوزراء غولدا والرئيس نيكسون.

استهل الرئيس الحديث قائلا: لقد فهمت بان اجواء من الشك وعدم الثقة تسيطر على العلاقات بين إسرائيل وفئات معينة في الادارة الأمريكية) وكان يشير إلى وزارة الخارجية الأمريكية(وان الشكوك تساور إسرائيل حول الهدف الذي تسعى إليه السياسة الأمريكية في الشرق الاوسط واجد من الضروري قبيل زيارتي لموسكو التي ستبدأ بعد حوالى اربعة أشهر ان ندرس الامور بالتفصيل وسنبدأ في الموضوع الذي يبدو لي سهلا الا وهو موضوع تزويد إسرائيل بطائرات الفانتوم وقد قمت حتى الآن يا سيدي بالوفاء بكافة وعودي وسوف اتصرف على هذا النحو في المستقبل ايضا، وتوجه إلى كسنجر قائلا: اين وصل موضوع طائرات الفانتوم الآن؟ فاجابه كسنجر:- هناك قرار بتزويد إسرائيل بطائرات الفانتوم وان التفاصيل ستحدد بين سيسكو ورابين، فقلت: عفوا انني أعلم من خلال خبرتي الطويلة انه إذا لم تمر من هنا تعليمات صريحة وحازمة من الرئيس بتزويد كذا وكذا من الطائرات اعتبارا من يوم كيت وكيت فان الموضوع سيتعقد ويتشابك بمشاكل سياسية.

الرئيس: الطائرات ستزود والموضوع لن يبقى ضمن صلاحيات جهة معينة.

كسنجر: سوف يتوجه الرئيس إلى فلوريدا وبعد عودته سيصدر تعليمات واضحة للجهات المختصة بموضوع الطائرات. لقد اصغت غولدا بصبر للحديث المتبادل بين الرئيس وكسنجر وبيني وقالت:. هل نستطيع تحديد عدد الطائرات؟ فرد عليها الرئيس: الا توافقين على الترتيبات التي اقترحها كسنجر؟ لقد وافقت غولدا على ان تتم التفاصيل النهائية حتى نهاية الشهر واضاف الرئيس بأنه لا يريد افساح المجال لاي سوء تفاهم وقال:- ان سيسكو سيتحدث مع رابين حول المسيرة السياسية أيضاً ولكن تزويد إسرائيل بالاسلحة والقضية السياسية هما موضوعان منفصلان وستتم معالجتهما كلا على حدة وان سياستي كانت ولا تزال تسعى إلى المحافظة على توازن القوى في الشرق الاوسط وهذه مصلحة أمريكية ومن الافضل ان لا نتحدث حول ذلك علانية.

وسأل الرئيس: والى اين سنتقدم بعد الآن؟ هناك من يعتقد بان الولايات المتحدة لا تضغط على إسرائيل لاظهار المرونة وانا لا اعتقد بان المسألة مسالة ضغوط ولكن السؤال هو: هل ترغب إسرائيل في المفاوضات؟ وهل هناك أمل في احراز تقدم أم ان الموضوع مجمد تماما؟.

رئيسة الوزراء:- ان من الممكن التقدم نحو حل سياسي وإسرائيل ارادت وتريد مثل هذا الحل ولكن بشروط تستطيع اعتبارها معقولة وبدون ان يحاول طرف ما فرض الحل عليها بدون موافقتها.

كسنجر:- لقد تحدثت بالامس مع الرئيس حول هذا الامر واريد التحدث إلى رئيسة الوزراء بصدق وصراحة: ان الرئيس وانا نعتقد بان موضوع الشرق الاوسط سيبحث في لقاء القمة بين الرئيس وبريجنيف في شهر ايار القادم في موسكو.

وتدخل الرئيس قائلا: لقد قال لي غروميكو خلال زيارته الاخيرة لواشنطن بان الاتحاد السوفياتي سيطالب ببعث قضايا الشرق الاوسط في محادثات قمة موسكو وقد امتنع

غروميكو عن قول ذلك بحضور روجرز ودوبرنين وغيرهم بل فعل ذلك في حديث منفـرد معـي وفي اعقـاب ذلك كلفت كسنجر بالاستماع مع غروميكو لاجراء حديث اخر معه حول هذا الموضوع.

كسنجر: إذا رفضنا البحث مع السوفييت في موضوع الشرق الاوسط فان هناك خطر قيامهم بتشـجيع المصريين على القيام باعمال عسكرية لارغام الولايات المتحدة عـلى الموافقـة عـلى اجـراء اتصـالات سياسـية تحت ضغط الحرب ويجب ان يتم بحث هذا الموضوع بين الرئيس نيكسون ورئيسة الوزراء غولدا مائير.

الرئيس: يجب خلق الانطباع بان إسرائيل مستعدة لمفاوضات غير مشروطة وانهـا متمسـكة باسـتغلال فرصة التوصل إلى تسوية سياسية شاملة.

غولدا: يجب على الولايات المتحدة ان تقوم بنشاطات لدى السوفييت لمـنعهم مـن تشـجيع المصريـين على خرق وقف اطلاق النار.

كسنجر: انني اقترح ما يلى: في العاشر من كانون الأول عندما اجتمع برئيسة الوزراء في نيويورك اعرض عليها اقتراحا يوضح مبادئ التسوية الجزئية في السويس والتسوية الشاملة وان نقوم في شـهر كـانون الثـاني ببلورة اقتراح مفصل حول موضوع طائرات الفانتوم واقتراح اخر حـول مبـادىء التسـوية الجزئيـة الشـاملة وسندرس مع دوبرنين امكانية التفاهم مع السوفييت على اساس ما تم الاتفاق عليه بين إسرائيل والولايـات المتحدة.

نيكسون: سيدتي رئيسة الوزراء هل توافقين على هذا الاقتراح؟

غولـدا: سـوف اقـول كيـف افهـم الاقـتراح: لـن تكـون صـفقة أمريكيـة - سـوفياتية رغـم ارادة إسرائيل وان الولايات المتحدة لن تمارس ضغوطا على إسرائيل لارغامهـا عـلى قبـول مواقـف مسـتمدة مـن تلـك الصـفقةوان الولايـات المتحـدة تـدرك ان مشروع روجـرز غـير قـائم بالنسـبة لإسرائيـل كقاعـدة سياســية تلــزم إسرائيــل وان إسرائيــل ستوضــح للولايــات المتحــدة مواقفهــا مــن

التسـوية الجزئيـة والتسـوية الشـاملة وان تزويـد إسرائيـل بالاسـلحة سيسـتمر بـدون عوائـق بمـا في ذلـك الطائرات المقاتلة.

فرد الرئيس بالايجاب.

بينما كانت غولدا موجودة في واشنطن اتصلت بي شقيقتي راحيل وابلغتني بان حالة والـدي الصحية سيئة للغاية فتوجهت فورا إلى إسرائيل ولكن بينما كنت انتظر الطـائرة في مطـار كنـدي بلغنـي نبـأ وفاتـه والمني كثيرا عدم تمكني من وداعه وبنـاء عـلى طلبـه تـم دفنـه في مقـبرة كيبـوتس منـاره الـذي امضى فيـه سنواته الاخيرة ، بعد تشييع الجنازة عدت إلى الولايات المتحدة للاشتراك في المحادثات الاجمالية بـين غولـدا مائير وكسنجر في نيويورك.

لقد توصل كسنجر وغولدا في حديثهما في نيويورك في العاشر من كانون الأول إلى اتفاق حول التسـوية الجزئية يتضمن ما يلى:- الانسحاب الإسرائيلي لن يتعدى ممري الميتلة والجدي وان يظل الجزء الغـربي مـن الممرين المطل على القناة تحت سيطرة إسرائيل وان يستمر وقـف اطـلاق النـار فـترة تـتراوح بـين ١٨ - ١٢ شهرا على الاقل كما اتفقنا على ان لا تكون هناك أي صلة بين مشروع روجرز والتسويتين الجزئية والشـاملة وان إسرائيل لا تعتبر مشروع روجرز اساسا للتسوية الشاملة وانها تسمح لفنيين مصريين وقـوة معينـة مـن العسكريين باجتياز القناة في اطار الاتفاق الجزئي.

وقال كسنجر:- اود ان تعلمي بوضوح بأنني سابلغ المصريين بهذه الموافقة حتى لا يكون هناك مجـال لاي سوء تفاهم.

لقد اتفق كسنجر وغولدا على اجراء محادثات بين سيسكو وبيني حول امكانية اجراء محادثـات «عـن قرب» بين مصر وإسرائيـل وان تقـوم الولايـات المتحـدة في نفـس الوقـت بمحـاولات للتفـاهم مـع الاتحـاد السوفياتي استعدادا لقمة موسكو ولكـن كسـنجر وعـد غولـدا بـان لا تعقـد الولايـات المتحـدة صـفقة مـع السوفييت للضغط على إسرائيل.

اما في موضوع الاسلحة فقد تم الاتفاق على قيام الولايات المتحدة خلال عـامي ١٩٧٢ - ١٩٧٣ بتزويـد إسرائيل باعداد من طائرات فانتوم وسكايهوك. عادت غولدا إلى إسرائيل واخلـد الجميـع إلى سـبات عميـق وقال لي كسنجر: ان السوفييت منشغلون بالحرب الهندية - الباكستانية ولاسباب تتعلـق بالاوضـاع الدوليـة لـيس مـن اللائـق ان نلـح علـيهم بالبـدء بمحادثـات حـول الشرق الاوسـط وانـا لا اعتقـد بـان السـوفييت سيشجعون المصريين في عام ١٩٧٢ على استئناف اطلاق النار ومـن المشـكوك فيـه ان يقـرر المصريـون مثـل هذه الخطوة بدون تشجيع سوفياتي.

وفجأة لم يعد الامر ملحا واصبح لدى الجميـع متسـع مـن الوقـت للانتظـار وكـذلك الاتفـاق المتعلـق بتزويد إسرائيل بالطائرات لم يعد ملحـا وسـيطر عليـه التبـاطؤ وقـال لي كسـنجر ان الـرئيس قـد زود وزارة الخارجية بتعليمات مريحة وابلغني كسنجر بـان الولايـات المتحـدة لا تسـتطيع تزويـد إسرائيـل بـاكثر مـن طائرتين مـن طـراز فـانتوم كـل شـهرين ولـيس طـائرتين شـهريا كـما طلبنـا نحـن واصـغى كسـنجر وهـيج لاحتجاجي ووعدا بالتحقيق في الامر ولكن شيئا لم يحدث.

ان سيسكو وكسنجر لم يعترفا بذلك ولكـن الواقـع يعـترف بـان موضـوع الطـائرات مـرتبط بالموضـوع السياسي حيث يتوقع سيسكو مـن إسرائيـل اظهـار مرونـة في مقترحاتهـا للتسـوية الجزئيـة وهنـا اصـبحت الطائرات اداة «للمناورة» لارغام إسرائيل على اظهار المرونة والتخلي عن مواقفها المتصلبة.

وقال لي كسـنجر وسيسـكو بلهجـات مختلفـة ومضـمون واحـد: يجـب ان تكونـوا منطقيين،بـأي حـق تطالبون لانفسكم حق الفيتو في أي موضوع سياسي هل تتوقعـون مـن الولايـات المتحـدة ان لا يكـون لهـا الحق في التفاهم مع السوفييت وتنسيق المواقف معهم الا إذا حصلت على موافقتكم سلفا؟.

بتاريخ ٢٢ كانون الثاني ١٩٧٢ حدثني كسنجر بتفاصيل حديث اجراء دوبرنين الذي عاد من موسكو إلى مقر عمله كسفير لروسيا في واشنطن وقال انه ابلغ دوبرنين باستعداده الدخول في مفاوضات معه حول التسوية الجزئية ولكنه لا يمثل إسرائيل وان دوبرنين يدرك ذلك ، وابلغه كسنجر أيضاً بأنه لا امل في تفاهم سوفياتي- أمريكي قبل لقاء القمة في موسكو في شهر ايار ١٩٧٢ وان من المهم منع استئناف اطلاق النار حتى ذلك الحين فاجابه دوبرنين بان السوفييت سيعملون على تأمين عدم استئناف اطلاق النار بين مصر وإسرائيل، وقال كسنجر لدوبرنين أيضاً ان إسرائيل تريد ان يكون وقف اطلاق النار طويلا وانها ليست مستعدة للبحث في التسوية الشاملة قبل عام ١٩٧٣ وان إسرائيل تعتقد بان التسوية الشاملة لا يمكن لها ان ترتكز على مشروع روجرز، فقال دوبرنين ان إسرائيل تطالب بوجود لها في مناطق تتعدى الخطوط السياسية وحدود السلام التي سيتم الاتفاق عليها في المفاوضات.

وكان رد دوبرنين مفاجئا اذ قال: لندخل في مفاوضات معكم (مع الولايات المتحدة) على اساس الاقوال التي ذكرتها لي وقد عالجنا رد فعل مصر على صفقة طائرات الفانتوم الجديدة التي عقدتها الولايات المتحدة مع إسرائيل وسيكون رد الفعل معتدلا.

لقد عاد كسنجر ووعدني بالتمسك بالمبادىء التي تم الاتفاق عليها مع غولدا مائير وانه سيبدأ باجراء اتصالات دائمة مع دوبرنين بهدف التوصل إلى تفاهم مع السوفييت حول خطوط التسوية الجزئية في القمة القادمة وطلب مني الاستمرار في الاتصال مع وزارة الخارجية الأمريكية لدفع المسيرة السياسية إلى الامام.

في اعقاب ذلك بعثت ببرقية لغولدا مائير قلت فيها:- ان موقفنا غير واضح ولا يفهمه احد في العالم، فالمسؤولون الإسرائيليون يصرحون علنا بان إسرائيل لا تسعى لضم مناطق في سيناء إلى سيادتها بل تسعى للسيطرة عليها وانا نفسي اطلب ايضاحات حول الموقف الإسرائيلي؟.

فردت غولدا مائير على البرقية قائلة: ان سياسة إسرائيل تسعى إلى تغيير جوهري في الحدود مع مصر ومعنى ذلك تغيير السيادة وليس تواجدا إسرائيليا فقط ونحن لا نستخدم عبارة الضم بسبب المغزى السلبي لهذه العبارة وقد قدمت مطالب لتغيير السيادة في محادثاتي مع نيكسون وروجرز وكسنجر والسفير باربور للرؤساء الافريقيين الذين جاؤوا إلى إسرائيل ان إسرائيل تطالب بحدود تقع بين خطوط الرابع من حزيران ١٩٦٧ وخطوط وقف اطلاق النار الحالية».

ضم - لا ضم: تغيير سيادة - لا تغيير سيادة. ماذا يعني التغيير الجوهري؟ وكم هو؟ ضباب وحيرة وعدت وطلبت من رئيسة الوزراء قائلا: ان الأمريكيين يسالونني اسئلة بسيطة ويجب علي ان ارد عليهم باجابات مفهومه ماذا تريد إسرائيل في حدودها مع مصر؟ ماذا يجب علي ان اجيبهم؟ وتلقيت ردا اخر من رئيسة الوزراء ووجهت فيه اهتمامي إلى قرار الحكومة الإسرائيلية الصادر بتاريخ ٣١اذار ١٩٧١ وجاء فيه: ان الحدود الآمنة بالنسبة لإسرائيل بين إسرائيل ومصر تحتم ادخال تعديلات على الحدود الدولية السابقة بما في ذلك ابقاء قطار غزة ضمن حدود إسرائيل واستمرار سيطرة إسرائيل في شرم الشيخ مع اقامة امتداد اقليمي مع دولة إسرائيل وان استمرار السيطرة لا يعنى تواجدا بل سيطرة فعلية وعسكرية على الرغم من انه لم يتبلور موقف إسرائيل بعد ازاء الجانب القانوني كما اقتبست رئيسة الوزراء اقوال وزير الخارجية ابا ايبن للسفير يارنغ بتاريخ ٨ كانون الأول ١٩٧١ وجاء فيها: اننا لا نريد الضم لمجرد الضم ولكننا نصر على تغييرات حدود متفق عليها، وامرتني رئيسة الوزراء بايضاح هذه الواقف لكسنجر والطلب منه ان ينقل مضمونها للسفير السوفياتي دوبرنين ايضا، بتاريخ ٢٧ كانون الثاني ١٩٧٢ قلت لكل من كسنجر وهيغ «ان إسرائيل تطالب بتغييرات على الحدود ويجب ابلاغ دوبرنين بذلك» فرد كسنجر بسرعة لا أمل في موافقة الاتحاد السوفياتي على ذلك ويجب ابلاغ غولدا مائير بذلك.

ان كسنجر يجري الاتصالات مع دوبرنين وقمت بتزويد كسنجر بتقديرات إسرائيلية حول تطور العلاقات السوفياتية المصرية، فقد توجه الرئيس السادات إلى الاتحاد السوفياتي

وتحدث مع الزعماء السوفييت وتطرق البيان المشترك لتلك المحادثات إلى ضرورة التوصل إلى تسوية سياسية، لقد قام كسنجر بابلاغ دوبرنين بطلب إسرائيل المتعلق باحداث تعديلات حدود مع مصر فاكتفى دوبرنين بالقول: سنستمر في المحادثات وسنبحث عن طرق للتقدم.

فى حديث خاص اجريته مع سيسكو عرض علي الاخير فكرة جديدة وهي ان تبعث رئيسة الوزراء غولدا مائير برسالة إلى الرئيس السادات بواسطة الولايات المتحدة وقال ان كسنجر يعتقد بان من الافضل نقل مثل تلك الرسالة بواسطته عن طريق الروس ولكن الفكرة لم تخرج إلى حيز التنفيذ.

بتاريخ ١٧ شباط ١٩٧٢ حدثني كسنجر بتفاصيل حديث هام اجراه مع دوبرنين بتاريخ ١٥ شباط، لقد سأل كسنجر السفير السوفياتي ماذا قيل للسادات اثناء زيارته لموسكو حول المفاوضات السياسية فرد عليه دوبرنين: اننا لم نذكر امامه شيئا حول المحادثات الجارية بين الدولتين العظميين حول الشرق الاوسط ولم نشركه في مسيرة المفاوضات السوفياتية - الأمريكية.

لقد اطلع كسنجر دوبرنين على بعض مبادىء التسوية الجزئية وهي: وقف اطلاق النار لمدة عامين وانسحاب الجيش الإسرائيلي إلى خط يقع بين قناة السويس وممري الميتلة والجدي وفتح قناة السويس في وجه جميع سفن الشعوب وعدم اجتياز الجيش المصري خط قناة السويس مع امكانية التفاوض حول تواجد بعض ذوي «الزي العسكري» هناك للمحافظة على النطام أما دوبرنين فقد عاد للحديث حول التسوية الشاملة لأن النطرية السوفيتية تنص على توصل الدولتين العظميين إلى صفقة شاملة تحدد شروط التسوية الجزئية وشروط التسوية الشاملة ولا ترى في التسوية الجزئية قضية قائمة بذاتها وقال: لا يمكن اجراء تعيلات على الحدود بالمقارنة مع الحدود الدولية بين مصر وفلسطين ابان عهد الانتداب فرد كسنجر بان القصد هو تواجد إسرائيلي في منطقة معينة، فقال له دوبرنين متهما: انك تمثل على ما يبدو

موقفا إسرائيليا وليس موقفا أمريكيا ونحن لن نوافق على تواجد عسكري عدا الخطوط التي سيتفق عليها فقال كسنجر معترفا: لقد اجريت اتصالات مع ممثلين إسرائيليين واعلم ما هي المواقف الإسرائيلية، سأله دوبرنين: عندما تتحدث إسرائيل عن مناطق منزوعة السلاح ضمن التسوية الشاملة ماذا تقصد في ذلك؟ فاجابه كسنجر: لقد اوضح لي السفير رابين بان إسرائيل تطالب بان تكون سيناء كلها منزوعة السلاح ولهذا فهي تعارض ان تعبر قوات عسكرية مصرية قناة السويس في اطار التسوية الجزئية.

لقد ابلغنى كسنجر بان اتفاقا في الرأي يسود محادثاته مع دوبرنين لانه لا أمل في تحقيق نتيجة تذكر من الجهود التي يبذلها سيسكو، وقال كسنجر ان السوفييت معنيون بفشل جهود سيسكو لانهم يخشون التفاهم الأمريكي - المصري المباشر لانه سيخرجهم من اللعبة ويسلبهم اوراقا هامة عشية لقاء القمة بين نيكسون وبريجنيف في موسكو.

غولدا مائير قلقة. وبتاريخ ٢٨ شباط اطلعتني على اسباب قلقها وهي ان كسنجر يكرر القول انه لا يستطيع الالتزام نحو التعهد الذي سيتحمله نيكسون في لقاء القمة في موسكو وانه يجب التذكير مرة أخرى بان إسرائيل تطالب بالغاء مشروع روجرز وعدم اعتباره اساسا للسياسة الأمريكية لقد ادرك نيكسون جيدا بان هذا مطلب إسرائيلي حازم وان إسرائيل تطالب بتعديلات حدود في سيناء وانه قال لها انه يتفق معها (وأرى من واجبي القول انني لم اسمع الرئيس ابدا وهو يعرب عن مثل هذه الموافقة خلال اللقاءات التي كنت طرفا فيها) وقالت غولدا انها تخشى ان ينقل كسنجر للسوفييت انطباعا خاطئا حول الموقف الاقليمى الذي تقفه إسرائيل وانها تجد تناقضا في اقوال كسنجر فمرة يقول انه لن تكون هناك صفقة من وراء ظهر إسرائيل ومرة أخرى يقول ان الولايات المتحدة لن تضغط على إسرائيل للموافقة على صفقة لم تحزها منها سلفا، واضافت بأنه يجب ابلاغ كسنجر بأنه إذا جرت محاولة للتوصل إلى صفقة حول التسوية الشاملة لا تكون مقبولة لدى إسرائيل فان إسرائيل لن توافق على التسوية الجرئية أيضاً وانه يجب افهامه بان التواجد الإسرائيلي في شرم الشيخ

يعنى السيطرة على المنطفة على الرغم من عدم وجود قرار حكومى إسرائيلي لفرض السيادة عليها.

الحقيقة هي ان مخاوف غولدا لم تكن وليدة خيالها فالدكتور كسنجر يحاول العثور على ثغرات في المواقف الإسرائيلية فقد قال لموشه ديان وزير الدفاع اثناء اجتماعه به بتاريخ ٧ شباط« انك تعلم بان وزارة الخارجية الأمريكية تعتقد بوجود زعماء إسرائيليين يحملون آراء أكثر اعتدالا من الموقف الرسمي للحكومة الإسرائيلية حول التسوية الجزئية، فاجابه ديان: هل تقصدني أنا بهذا القول؟ فقال كسنجر: يقال انت ايضا، فقال له ديان: من الافضل لك ان تعلم انه إذا لم يوافق المصريون على التعهد بانهاء حالة الحرب فانني اعارض تماما الانسحاب من خط بارليف والانسحاب من القناه أما بالنسبة للتسوية الشاملة فان مشكلة شرم الشيخ والامتداد البري مع ايلات فانها تتطلب تعديلات حدودية.

واضاف ديان: وحتى لو كنا مستعدين في هذه اللحظة للجلاء عن كافة سيناء بما في ذلك شرم الشيخ وبدون التمسك بالامتداد الاقليمي البري فان المصريين لا يستطيعون التوقيع معنا على اتفاق سلام قبل ان نتعهد بالانسحاب الشامل من المناطق السورية والاردنية أيضاً وليس هناك زعيم مصري يستطيع السماح لنفسه بالتخلى عن قضايا الشعوب العربية الاخرى.

لقد بحث ديان وكسنجر في الامور المتعلقة بالجوانب الاخرى للتسوية وقال كسنجر انني لا استطيع القول بالتأكيد ما هو الاتفاق الذي سيتوصل إليه نيكسون مع بريجنيف في لقاء القمة بينهما.

لقد قام ديان بابلاغ غولدا بتفاصيل حديثه مع كسنجر واثارت هذه الجملة المخاوف ليها. بتاريخ ٧ آذار اجتمعت بالدكتور كسنجر الذي ابلغنى بان دوبرنين عرض عليه باسم الاتحاد السوفياتي صفقة شاملة تتضمن جلاء جميع السوفييت من مصر مقابل انسحاب إسرائيلي إلى خطوط ما قبل حرب حزيران ٦٧.

وبتاريخ ١٣ آذار قال لي كسنجر انه حاول ونجح حتى الآن في كسب الوقت في محادثاته مع دوبرنين ولكنه لا يستطيع الاستمرار بهذا الشكل وان اقتراح إسرائيل للتسوية الشاملة المتضمن تعديلات حدود وسيادة أو تواجدا عسكريا في سيناء لا يمكن ان يكون اساسا للنقاش الجاد الذي يمكن ان ينتهي إلى النجاح، وأضاف: إنني اريد القول لك بكل الصدق بأنني متأكد بأنه عندما سيجتمع الرئيس مع بريجنيف وبسبب الموقف الإسرائيلي المتعنت سوف تضطر الولايات االتحدة إلى العودة إلى تبني مشروع روجرز.

فرفضت هذا القول بعزم قائلا: لقد تعهد الرئيس امام رئيسة الوزراء قبل ثلاثة اشهر بان لا تتوصل الولايات المتحدة إلى اتفاق مع الاتحاد السوفياتي خلافا للموقف الإسرائيلي وان دوبرنين يجذبك إلى اتفاق يؤدي إلى خلق فجوة كبيرة بين موقفكم وموقف إسرائيل، وقال كسنجر:- إذا اضطررنا إلى القول للروس ان ما نستطيع قوله هو ان نعرض مواقف إسرائيل وليس مواقفنا فسوف يسيطر الجمود على محادثات القمة، فاجبت: ان الجمود افضل من التفاوض على اساس مشروع روجرز وقد وعد الرئيس نيكسون بأن لا يتفاوض مع الروس على هذا الاساس ولا تستطيع الولايات المتحدة ان تفرض مشروع روجرز على إسرائيل.

بتاريخ ١٦ آذار قال لي كسنجر ان المحادثات مع دوبرنين قد وصلت إلى طريق مسدود ومما انه غير معتاد على معالجة قضايا ميؤوس منها فانه يرفع يده من الموضوع وينتقل الامر إلى مستويات أخرى في الادارة الأمريكية بما في ذلك المحادثات مع دوبرنين، ولتعزيز تهديده هذا قال لي ميغ في اجتماع منفرد عقد بيننا بعد بضعة ايام ان كسنجر مصمم على الانسحاب من قضية الشرق الاوسط وانه أي هيغ يحاول ثنيه عن قراره وطلب مني الانضمام إليه في هذه المساعي.

بتاريخ٣٠ آذار قال لي كسنجر ان قوتي ومكانتي قد تحققت لي لأنني لا اطحن الماء ولن استمر في المحادثات مع دوبرنين لكي اطحن الماء أي بعبارة أخرى يجب ان لا أفشل، فاما ان تساعدني إسرائيل على النجاح أو انني مسافر إلى إسرائيل للتشاور مع رئيسة الوزراء واكدت

له مرة أخرى استعداد إسرائيل للتوصل إلى تسوية جزئية واضفت: هنـاك الآن حالـة مـن الهـدوء ولكننـي لست متأكدا من عدم قيام مصر باستئناف اطلاق النـار واود ان الفـت انتباهـك إلى مقـال محمـد حسـنين هيكل المنشور بتاريخ ٢٤ آذار ١٩٧٢ وكتب فيه: ان ما يجب على مصر عملـه هـو احـتلال منطقـة صـغيرة تبلغ مساحتها ١٠٠ كم مربع شرقي قناة السويس بحيث يكون هدف العملية العسكرية المحدودة تحريك المسيرة السياسية. (وهكذا بالضبط فعلت مصر في اكتوبر عام ١٩٧٣) وحسب معلوماتي وحسب ما سـمعته بنفسك من زعماء إسرائيل فان امكانيات مصر لتحقيق انجاز محدود كهذا مشكوك فيها ولكن من الواضـح تماما ان تأزم العلاقات بين إسرائيل والولايات المتحدة يمكن ان يشجع المصريين عـلى اسـتئناف اطـلاق النـار وفي هذه المرة لا ينوون شن حرب استنزاف بنمطها القديم بل القيام بعمـل عسـكري ذي اهـداف سياسـية اقليمية واذا توصـلتم إلى اتفـاق مـع السـوفييت يتعـارض مـع موقـف إسرائيـل فـانكم تخلقـون الظـروف السياسية - الاستراتيجية التي ستدفع مصر للقيام بعملية عسـكرية كـالتي صـورها هيكـل في مقالـه، فقـال كسنجر هذا جدير بالاهتمام وارجو اعطائي فرصة للتفكير بالوضوع.

فى التاسع من نيسان زودتني رئيسة الوزراء بتعليمات تفيد بان اقـوم بـابلاغ كسـنجر بـان اهـدافنا في سيناء ترمي إلى تغييرات اقليمية بنسبة ٢٥ % وزودتني رئيسة الوزراء أيضاً بخارطة توضـح تلـك التغيـيرات فابرقت لرئيسة الوزراء قائلا: إنني اوصي تأجيل تسليم الخارطـة لكسـنجر والـرئيس نيكسـون لأن تطـورات خطيرة وقعت في فيتنام ومن المحتمل ان لا تعقد قمة موسكو ومن الافضل التريث قليلا في الوقت الحـاضر لقد قرر كسنجر ايقاف محادثاته مع دوبرنين في ضوء الوضع السائد في فيتنام ولكنه توجه لموسكو للاعـداد لمؤتمر القمة الذي قررت الدولتان العظميان عقده على الرغم من اشتداد حدة التوتر في فيتنام.

ان كسـنجر لم يهـددنا نحـن وحـدنا بالانسـحاب مـن الموضـوع فقـد اتخـذ لهجـة مشـابهة في لقاءاتـه الاولى مـع السـوفييت في اطـار الاسـتعدادات لزيـارة نيكسـون وقـال لـه غروميكـو انـه إلى

جانب التسوية الإسرائيلية - المصرية يجب الموافقة أيضاً على تسوية إسرائيلية - سرية وكرر السوفييت حديثهم عن مقترحاتهم القيمة التي عرضت على سيسكو والدول العظمى الاربع في حزيران ١٩٧٠ وقال كسنجر لمحدثيه: ان هذا ليس اقتراحا جادا وانه لم يتحدث مع دوبرنين في واشنطن حول هذا الموضوع وطلب منهم الاتصال بسيسكو لانه لا ينوي معالجته.

وهنا حاول دوبرنين انقاذ الوضع قائلا: هل بامكانك تزويدنا باقتراح لتعديل الحدود بين مصر وإسرائيل وفى الجهات الاخرى فاجابه كسنجر:- إنني استطيع القول لكم الآن ان إسرائيل لن توافق على الانسحاب من هضبة الجولان أما بالنسبة للاردن فيجب ترك الامور للمفاوضات بين إسرائيل والاردن واما في سيناء فان إسرائيل تطالب بالسيطرة على شرم الشيخ وبامتداد اقليمي بري إلى ايلات وبتعديلات حدود في عدة اماكن فصاح غروميكو قائلا:ه ان هذا هو المشروع الإسرائيلي ولكن ما مو المشروع الأمريكي فامتنع كسنجر عن الاجابة.

خلال الحديث الذي اجراه كسنجر مع ليونيد بريجنيف اتخذ الرئيس السوفيتي اسلوبا حازما واستخدم عبارات شديدة اللهجة وقال ان إسرائيل ستنسحب انسحابا تاما من كافة المناطق وبدون تعديلات حدود وبدون أي تواجد إسرائيلي، وانطبع كسنجر من تلميحات واضحة لبريجنيف هدد فيها باستئناف الحرب في الشرق الاوسط: وقال كسنجر انه لم يرهب تلك التهديدات وكرر ادعاءاته السابقة وعبر عن مواقف إسرائيلية كانت معروفة له تماما مما حدا بالرئيس السوفييتي إلى اتباع موقف المرونة قليلا ووافق على تلقي اقتراح من الولايات المتحدة حول تعديلات حدودية.

لقد ابلغني كسنجر بأنه خرج بانطباع بان بريجنيف سيطرح موضوع الشرق الاوسط على مائدة محادثات القمة مع نيكسون وسيتخذ موقفا حازما، كما حدثني كسنجر بلقائه مع بريجنيف ليس لاشباع فضولي وقال ان تغييرا جوهريا قد طرأ على تقديراته: فقد اعتقد قبل

حديثه مع بريجنيف بان من الممكن منع استئناف اطلاق النار حتى عام ١٩٧٣ عل الاقل(بعد انتخابات الرئاسة في الولايات المتحدة) أما الآن فقد اهتز اعتقاده وبات يعتقد بان بريجنيف سيمارس ضغوطا على نيكسمن وانه لا يستطيع ضمان ما سيكون عليه رد الرئيس نيكسون وانه أي كسنجر سيحاول اقناع الرئيس بان السوفييت لا يساعدون الأمريكيين عندما يكونون في وضع حرج كفيتنام مثلا ولهذا يجب على الولايات المتحدة ان لا تساعد الاتحاد السوفياتي في موضوع الشرق الاوسط.

لقد عبر كسنجر عن هذا الموقف أيضاً في حديثه مع يجآل الون في السادس من ايار اذ قال له ان تأييد الاتحاد السوفياتي للهجوم الذي شنته فيتنام الشمالية قد اضعف استعداد الولايات المتحدة على تقديم بادرة طيبة للسوفيات في جبهات أخرى ولكن إذا تساهل السوفيات في مواقفهم فانه لا يضمن ماذا سيكون عليه موقف الرئيس نيكسون في قمة موسكو، وكان الموقف في غاية الوضوح وهو ان الأمريكيين على استعداد لمجاملة السوفييت على حساب المصالح الإسرائيلية، ولكن لكي يطمئن الون فقد قال له ان دوبرنين ابلغه في احد الاجتماعات بينهما بان الاتحاد السوفياتي لن يتخلى ابدا عن حلفائه في الشرق الاوسط وانه أي كسنجر قد رد عليه قائلا ان الولايات المتحدة لن تتخلى عن إسرائيل على اساس مشروع روجرز.

لقد كانت العملية عملية بيع وشراء وكل تاجر يدافع عن بضاعته ولكن كسنجر لم يبخل أيضاً في توجيه الانتقاد لإسرائيل وقال لي ان الغالبية العظمى للزعامة الإسرائيلية لا تفهم الوضع في الولايات المتحدة والاخطار التي قد تتعرض لها إسرائيل من المواقف السلبية التي تقفها ازاءها فئات مختلفة في الادارة الأمريكية وانه لولا وقوف عناصر معينة في الادارة وعلى رأسها الرئيس نيكسون لاتخذت الولايات المتحدة قرارات خطيرة ضد إسرائيل.

بتاريخ ١٦ أيار بعثت غولدا مائير ببرقية طلبت مني ان ابلغ كسنجر بان السادات اقنع بريجنيف باطلاع نيكسون في مؤتمر القمة الذي سيعقد بينهما على وجود خطر حقيقي

وملموس لاستئناف القتال في الشرق الاوسط إذا لم تتوصل الدول العظمى إلى حل سياسي يرضي مصر، وقالت انه على الرغم من اعتقاد الحكومة الإسرائيلية بان من غير المستبعد استئناف اطلاق النار فانها تعتقد أيضاً بأن الجيش المصري يعيش حالة استرخاء ويعانى من مستوى منخفض ولا أمل لمصر في الانتصار في أي مجابهة عسكرية وان إسرائيل مستعدة لتحمل مجازفة استئناف اطلاق النار وتفضله على التنازل عن مصالحها الحيوية وان البديل العملى الوحيد هو التوصل إلى تسوية جزئية، فابلغت كسنجر بمضمون البرقية واضفت قائلا: إذا اقتنع السوفييت بانهم غير قادرين على اقناع نيكسون بالوقوف ضد إسرائيل فلن يكون امامهم وامام المصريين خيار اخر سوى الموافقة على تسوية مرحلية جزئية وفق الشروط التي تستطيع إسرائيل قبولها.

فى نهاية الامر وعلى الرغم من ان الامور في قمة موسكو لم تكن جميعها في صالح إسرائيل فقد خرجت إسرائيل من محادثات القمة سالمة وذلك بفضل الموقف الصلب الذي وقفه الرئيس نيكسون.

فى الاجتماع الأول الذي عقد في موسكو (بريجنيف وكوسيجن مقابل نيكسون وكسنجرا عرض السوفييت موقفا متصلبا ومتطرفا وكرروا مطالبتهم بانسحاب إسرائيل الشامل من كافة المناطق المحتلة وقد استغرقت المحادثات ثلاث ساعات متواصلة من التوتر واقتنع الجانبان في ختامها بان اختلاف وجهات النظر غير قابل للاتفاق بدون عمل تحضيري اضافى وكلف الجانبان كوسيجن وكسنجر بمواصلة المحادثات حول الشرق الاوسط في محاولة لسد الفجوة بين موقفي الجانبين.

بسرية بالغة اطلعني كسنجر على «ورقة عمل» سوفياتية أمريكية اتفق الجانبان عليها هذه مبادئها: الحل السياسي في الشرق الاوسط يجب ان يكون شاملا لكافة المشاكل التي لها علاقة بالنزاع العربي - الإسرائيلي - في جميع الجبهات في ان واحد في حدود إسرائيل مع كل من مصر والاردن وسوريا ولبنان ومع ذلك فان من الممكن ان تكون هناك مراحل مختلفة

واولويات مختلفة في تنفيذ الاتفاق الشامل بحيث يتضمن جداول زمنية مفصلة لكل جبهة وجبهة.

كما يجب ان يرتكز الحل على انسحاب قوات الجيش الإسرائيلي من مناطق احتلت في حرب حزيران ١٩٦٧(اي لم يكن هناك انحراف عن صيغة قرار مجلس الامن ٢٤٢ ولم يوافق الجانب الامريكى على التفسير السوفياتي حول الانسحاب من كافة المناطق المحتلة(على ان يحظى أي تعديل على الحدود بموافقة جميع الاطراف المعنية. وتحدثت ورقة العمل أيضاً عن امكانية نزع سلاح مناطق ومرابطة قوات دولية ولكن التركيز فيها كان منصبا على تقديم ضمانات جدية من جانب الدول العظمى للمحافظة على الاتفاق الذي سيتم التوصل إليه وتحدثت الورقة كذلك عن ضمان حرية الملاحة في مضائق تيران وقناة السويس لسفن كافة الشعوب بما فيها إسرائيل وعن انهاء حالة الحرب وايجاد حالة من السلام بموجب اتفاق موثق.

ومقابل الاتفاق على المبادئ الآنفة الذكر فقد اختلفت الدولتان العظميان على موضوعين ولم تنجحا في الاتفاق حولهما: فقد رفض السوفييت اقتراحا أمريكيا يعود إلى عقد لقاء وجها لوجه في مرحلة معينة من المفاوضات بين مندوبين إسرائيليين ومندوبي الدول العربية، بينما رفض الأمريكيون الموقف السوفييتي بأن يتم حل القضية الفلسطينية على اساس قرارات الامم المتحدة بشأن هذه القضية.

وقال كسنجر ردا على سؤال وجهته اليه: ان هذه «الورقة» هي من الآن اساس التفاوض بين الولايات المتحدة والاتحاد السوفياتي، فكررت الموقف الإسرائيلي باننا نعتبر العلاقات مع الدول العربية قضية بين جانبين بين إسرائيل وكل واحدة من جاراتها.

فرد كسنجر قائلا ان الدول العظمى تعتبر قضية الشرق الاوسط قضية واحدة ولكنه يعتقد بان صيغة الاتفاق تفسح المجال للفصل بين المشاكل والتقدم في العلاقات بين إسرائيل

وكل واحدة من الدول العربية وقال كسنجر انه خرج بانطباع مـن محادثاتـه مـع السـوفييت بـان الاتحـاد السوفياتى يعتبر العلاقات المصرية الإسرائيلية قضية رئيسة.

لقد استمر كسنجر في اجراء الاتصالات مع دوبرنين بينما واصلت أنا الاتصال مع كسنجر وسيسـكو ولم نكن نعالج الموضوع السياسى فقط بعد سنوات من الدراسة والابحـاث تكللـت بالنجـاح محـاولات تركيـب محركات طائرات الفانتوم في طائرات الميراج الفرنسية وطلبنا تزويدنا بمحركات أمريكية وقطـع غيـار أخـرى واستجيبت مطالبنا وبدئ في إسرائيل انتاج طائرة عرفت فيما بعد باسم كفير كما انتظم تزويدنا بالطـائرات الأمريكية لسنوات ٧٢ - ٧٣ - ٧٤ بشكل حظي برضانا.

لقد اقترح المصريون في اطار الخطوات السياسية عـلى الـدكتور كسـنجر بـان يجتمـع بممثليهـا واجـراء محادثات منفردة معهم وبدون وساطة سوفياتية ولكن كسنجر رفض بالاساليب الدبلوماسية هـذا الاقـتراح اعتقادا منه بان من غير المناسب القيام بخطوات جيدة في هذا الاتجـاه قبـل انتخابـات الرئاسـة الأمريكيـة باربعة أشهر.

بتاريخ ٢٩ حزيران ١٩٧٢ قال لي كسـنجر ان الفرصـة سـتتاح بعـد الانتخابـات الأمريكيـة للتوصـل إلى تسوية اردنية - إسرائيلية لأن مصر لا تزال واقعة تحت النفوذ السوفياتي ولا يمكن التقدم معهـا إلى تسـوية بدون وساطة الاتحاد السوفياتي وتدخله المباشر فاوضحت لكسنجر بان إسرائيل مستعدة مـن حيـث المبـدأ للبدء بمفاوضات مع كل دولة عربية ولكن رئيسة الوزراء غولدا مـائير حاولـت التوصـل إلى مفاوضـات مـع الاردنيين على اساس مشروع الون ولكنها لم تجد اذانا صاغية.

بتـاريخ ١١ تمـوز ١٩٧٢ اذهـل السـادات العـالم اجمـع: فقـد امـر الخـبراء السـوفييت بمغـادرة مصر وفـتح صـفقة جديـدة في العلاقـات مـع الولايـات المتحـدة وكتـب الكلـمات الاولى في وثيقـة علاقـات جيـــدة في الشرق الاوســـط ويمكـــن القـــول انـــه اطلـــق الرصاصـــة الاولى ولكـــن بـــدون

سلاح في حرب اكتوبر ١٩٧٣. واصيب الجميع بالذهول والدهشة وسرت موجة من التخمينات والتقديرات والتوقعات واتضح بان الخطوة التي بدت للوهلة الاولى بانها كانت منسقة مع الولايات المتحدة وطلب السادات ثمنها سلفا من الأمريكيين اتضح بسرعة بانها كانت خطوة مستقلة فاجأت الادارة الأمريكية أكثر من زعماء الكرملين.

فى اعقاب ذلك سارع دوبرنين ليبشر كسنجر قائلا: ان الاتحاد السوفياتي بدأ بتنفيذ دوره في الاتفاق مع الولايات المتحدة والدليل على ذلك انه اصدر اوامره بسحب جميع السوفييت من مصر، فابتسم كسنجر على الرغم من انه لم يكن يعلم بدوافع السادات أكثر من علم دوبرنين بها.

لقد قلت لكسنجر ان من المحتمل ان يكون السادات ينوي حقا التقرب من الولايات المتحدة والسعي لاتفاق مع إسرائيل ولكن ليس من المستبعد أيضاً ان يعمل على التخطيط لحرب والبدء بها بعد قطع ارتباطه بالسوفييت، فرافقني كسنجر وقال ان كلا الاحتمالين قائمان وانه أيضاً تتملكه الشكوك والمخاوف ولكنه طلب منى ان تمتنع إسرائيل عن القيام باي عمل عسكري ضد مصر وان لا تحاول استغلال خروج المستشار من السوفييت من مصر.

بعد ايام قليلة ابلغت كسنجر باسم رئيسة الوزراء غولدا مائير بان إسرائيل تبادر إلى شن أي عمل عسكري ضد مصر شريطة ان لا تقوم مصر باي عمل عسكري ضد إسرائيل.

فى حديث آخر اجريته مع كسنجر بادرنى بالقول مستغربا: ما هي دوافع السادات التي جعلته يطرد السوفييت بدون ان يضمن لنفسه سلفا الدعم من الولايات المتحدة؟؟. لقد قال لي كسنجر أيضاً ان دوبرنين يطلب منه بالتفصيل ابلاغه بالمناطق التي تريد إسرائيل السيطرة عليها وما هو شكل تلك السيطرة، واعرب كسنجر عن اعتقاده بضرورة الدخول في مفاوضات مع السوفييت وتقديم خطة مفصلة لهم حول المناطق، فحاولت امتصاص حماسه واستعجاله وقلت له: الا تعتقد بان من الافضل دراسة خلفية التفاوض مع السوفييت؟.

لقد اعتمدتم في محاولاتكم مع الاتحاد السوفياتي على فرضيتين اساسيتين حـول هـذا الموضـوع وهـما: ان تؤدي المفاوضات إلى جلاء الخبراء والعسكريين السوفييت عـن الاراضي المصريـة وان الاتحـاد السـوفياتي يستطيع فرض التسوية على مصر مثلما تستطيع الولايات المتحدة فـرض التسـوية عـلى إسرائيـل وقـد قضى الواقع الجيد على هاتين الفرضيتين: فقد تم طرد السوفييت مـن مصر بـدون ان يطـالبكم احـد بـدفع ثمـن طردهم بتنازلات تقدمونها للسوفييت ومن المشكوك بـه الآن ان يسـتطيع السـوفييت التـأثير عـلى سياسـة الرئيس السادات، فما الفائدة اذن من الاستعجال في استئناف المحادثات مع السوفييت؟! ومـا هـو السـبب الذي يجعلكم توافقون على تقديم تنازلات على حسابنا في الوقت الذي لا تستطيعون توقع الحصـول عـلى ثمن من السوفييت؟ فقال كسنجر انه سيستخلص نتائج حقيقيـة مـن التغيـير الـذي حـدث في مصر ولكـن الولايات المتحدة لا تستطيع وضع حد لمحاولات التفاهم مع الاتحاد السوفياتى حتى لو تغير موقـف احـدى الدولتين نحو الاسوأ، وقال ان المصريين عادوا وطلبوا منه ان يجتمـع بممثـل مصري رفيـع المسـتوى وانـه في ضوء التغيرات في مصر قرر الاستجابة لهذا الطلب واعرب عن اعتقاده بـان الاجـتماع سـيعقد اثنـاء انعقـاد الجمعية العامة للامم المتحدة في ايلول أو تشرين الأول ١٩٧٢ قبل الانتخابات الأمريكية بفترة وجيزة.

لقد واجهت إسرائيل في تلك الفترة مشاكل معقدة مع وزارة الدفاع الأمريكية. فبعد ان اصدر الـرئيس نيكسون تعليماته بتزويدنا بمحركات الفانتوم لتركيبها في طائرات الميراج وجهت الينا وزارة الدفاع الأمريكيـة اسئلة: لاذا تريدون كمية كبيرة من المحركات؟ هل تقومـون في إسرائيـل بانتـاج طـائرات بالإضـافة إلى تلـك التي زودتكم بها فرنسا في حينه؟ وما هى صورة توازن القوى في الشرق الاوسط؟

لم يكــن مــن الســهل عــلى اسرئيــل مواجهــة هــذه الاســئلة والحقيقــة هــي ان الصــورة كانــت واضــحة لــدى الــرئيس نيكســون وكســنجر حــول محركــات الفــانتوم التــي زودت إسرائيــل بهــا

ولكن المعلومات الكاملة لم ترسل دائما إلى المستويات الاخرى في الادارة الأمريكية التي اعتبرت نفسها أكثر من مرة مهانة.

في تلك الفترة توليت معالجة موضوع آخر يتجاوز المجالات الروتينية التي يعالجها السفير الإسرائيلي: فقد وضع الاتحاد السوفياتي انذاك نظام الفدية الذي يحتم على كل يهودي يغادر اراضيه باعادة جميع النفقات التي انفقت على تعليمه إلى خزينة الكرملين وطلبت غولدا مائير ان يتدخل الرئيس نيكسون في هذا الامر ووعد بمعالجته على اعلى مستوى وانضم إلى الحملة السناتور جاكسون وطالب بمنع اعطاء الاتحاد السوفياتي صفة الدولة المفضلة في التجارة مع الولايات المتحدة إلى ان يلغي الاجراءات الجيدة ويسمح للمواطنين السوفييت الراغبين في الهجرة بمغادرة الاتحاد السوفياتي وفى اعقاب هذه النشاطات تلقت إسرائيل دعوات من مسؤولين أمريكيين وغير أمريكيين بان لا تكون عنصرا معرقلا للعلاقات بين الولايات المتحدة والاتحاد السوفياتي ولكن إسرائيل رفضت ذلك بالقول انها ملتزمة قوميا وسياسيا وانسانيا وادبيا نحو مصير يهود الاتحاد السوفياتي وانها ستناضل بكل قواها لضمان حقهم في مغادرة الاتحاد السوفياتي والهجرة إلى إسرائيل(ولم تكن إسرائيل تعلم آنذاك بان معظم اليهود الذين سيغادرون الاتحاد السوفياتي سيبحثون عن سعادتهم في الولايات التحدة واوروبا).

في شهر تشرين الثاني اجتمع روجرز وموشه ديان في واشنطن وقال روجرز ان ابقاء الوضع على ما هو عليه لا يمثل سياسة وانه يجب دفع المسيرة السياسية إلى الامام فهل إسرائيل أيضاً تعتقد ذلك؟ فرد عليه ديان انه في ضوء التغلغل السوفياتي العميق في سوريا فانه أي ديان لا يرى أي أمل في التفاوض معها أما بالنسبة للاردن فهناك فجوة كبيرة في مواقف إسرائيل والاردن ولهذا السبب لا يمكن تحقيق سلام بين الدولتين، فأيده روجرز في قوله ورد عليه قائلا بان الوضع في مصر مختلف وان السادات ليس عبدالناصر فهو زعيم ضعيف ولديه مشاكل داخلية عديدة في مصر وربما لهذا السبب يستطيع التوصل إلى تسوية

مع إسرائيل، فقال ديان: لا يوجد أي منطق من وجهة نطر مصر ان يستأنف الجيش المصري اطلاق النار وعلى الاقل في السنة المقبلة لا يوجد خطر اندلاع حرب مع مصر(جرى الحديث بتاريخ ١٤ تشرين الأول ١٩٧٢ ولم يكن احد يعلم ان حرب اكتوبر ٧٣ ستندلع خلال اقل من عام) واضاف ديان ان الوضع في القاهرة حاليا غير مستقر و نحن نأمل ان تكون مصر مستعدة لاجراء مفاوضات مع إسرائيل على اساس القناعة بأنه لا حروب بعد الآن بين الدولتين وان هذه القناعة ليس من الضروري ان نقرها خطيا بل يمكن ان تكون متفقا عليها بين الدولتين.

فقال روجرز: ان المصريين يتحددثون عن عشر سنوات لن يستطيعوا خلالها من الناحية العسكرية شن حرب على إسرائيل، فقال ديان مبتسما: عشر سنوات؟ لقد تحدثوا عن وقف اطلاق نار لمدة ١٨ شهرا فيما يتعلق بالتسوية الجزئية: هل هم مستعدون لعشر سنوات؟ان هذا شيء مختلف تماما.

روجرز: لنحاول عدم الزام المصريين لمدة عشر سنوات لأن هذا ليس له أمل كبير في التحقيق..

ديان: هل مصر مستعدة لاستئناف المحادثات حول التسوية الجزئية؟ فأجاب روجرز بأنه لا يعلم.

فقلت يجب ان لا ننسى باننا لم نكن العقبة التي حالت دون اجراء محادثات عن قرب مع مصر حول التسوية الجزئية لفتح قناة السويس وكانت المشكلة ولا زالت هي كيف يمكن جلب مصر إلى مائدة المفاوضات.

روجرز: ان المصريين متمسكون بموقفهم بان تعلن إسرائيل عن موافقتها على الانسحاب الشامل وانا قد فهمت بان إسرائيل لا تستطيع اعلان ذلك فاقترحت على المصريين بان يتمسك كل طرف بموقفه - مصر تتمسك بموقفها المطالب بالانسحاب

الإسرائيلي الشامل وان تتمسك إسرائيل بمعارضتها لهذا الموقف. وان يبدأ الجانبان المحادثات حول التسوية الجزئية اننا نوافق على ان تجري المفاوضات حول التسوية الجزئية بلا شروط مسبقة ونحن نقدر موافقتكم على البدء بمثل هذه المحادثات ولكن السادات قلق ويخشى ان يتحول الاتفاق الجزئي إلى اتفاق نهائي.

بعد ذلك دار الحديث حول زيارة رئيسة الوزراء للاجتماع بالرئيس نيكسون الذي هزم السناتور جورج ماكغفرن في انتخابات الرئاسة بعد ادائه اليمين الدستورية بتاريخ ٢٠ كانون الثاني ١٩٧٣ وقال كسنجر يجب على إسرائيل ان تدرك بانها مطالبة بالاستعداد لنشاطات سياسية مكثفة في السنة القادمة ويجب على غولدا مائير ان تحمل معها إلى واشنطن افكارا سياسية عملية.

فى نهاية تشرين الثاني توجهت إلى إسرائيل لاجراء مشاورات وبعد عودتي إلى واشنطن اجتمعت مع كسنجر في الأول من كانون الأول ١٩٧٢ وابلغته بان لدى الحكومة الإسرائيلية معلومات تفيد بان الرئيس السادات ينوي استئناف اطلاق النار في نهاية كانون الأول الحالي ولكنها لا تعلم هل يقصد القيام بعملية عسكرية شاملة أم محدودة.

لقد رغب كسنجر في التعرف على رد فعل إسرائيل في حالة قيام السادات باختبار امكانية الحرب المحدودة فقلت له بناء على التوجيهات التي زودتني بها الحكومة الإسرائيلية ان رد الجيش الإسرائيلي سيكون حازما وشديد الفعالية لاقناع المصريين بعدم جدوى شن الحرب أو خرق وقف اطلاق النار(وكنت قد آمنت بذلك كالاخرين بموجب تقديرات قادتنا العسكريين).

كسنجر: انني آمل ان لا يكون في نية إسرائيل شن حرب وقائية ضد مصر واهم شيء هو ان لا تخرق إسرائيل وقف اطلاق النار(هكذا بالضبط تصرفت إسرائيل في اكتوبر ٧٣ حتى عندما كانت الانباء حول بدء الحرب من جانب مصر وسوريا غير قابلة للشك)، وسأل

كسنجر: ما هو في رأيكم الدور الذي يقوم به الاتحاد السوفياتي في المخططات المصرية لاستئناف اطلاق النار؟فاجبت: اننا لا نعلم بالضبط ولكن الواضح هو ان الاتحاد السوفياتي يزود سوريا بكميات كبيرة من الاسلحة عن طريق قطار جوي وفى هذه الظروف فان إسرائيل تولي أهمية بالغة للاجتماع الذي ستعقده غولدا مائير بالرئيس نيكسون بعد ادائه اليمين الدستورية بتاريخ ٢٠ كانون الثاني ١٩٧٣، وفى نهاية كانون الأول ١٩٧٢ تقرر ان يعقد الاجتماح بين غولدا والرئيس نيكسون في الأول من آذار ١٩٧٣ وكنت قد علمت آنذاك بأنني سانهي مهام منصبي في واشنطن في العائم من آذار ٧٣ .

بتاريخ ١٥ كانون الثاني ١٩٧٣ أي قبل خمسة ايام من ادائه اليمين الدستورية استدعاني نيكسون لاجراء حديث وداعي معه وعبر لي خلاله عن تقديره للتفاهم والصداقة التي سادت بيننا خلال فترة خدمتي في العاصمة الأمريكية واعرب عن اسفه لانهائي مهام منصبي كسفير لإسرائيل لدى الولايات المتحدة.

فقلت: ان مدة خدمتي في واشنطن التي بلغت خمس سنوات هي فترة زمنية طويلة ويجب ان اعود إلى إسرائيل للدخول في معترك الحياة السياسية على الرغم من علمي بان الطريق محفوف بالصعاب.

فقال نيكسون: ان الوضع في الشرق الاوسط مرض للغاية ولكنني لا اعتقد بأنه سيستمر كذلك وبدون تقدم نحو الحل السياسي فانني اخشى اهتزاز الوضع وليست لدى افكار جديدة وآمل ان تحمل غولدا مائير معها افكارا جيدة لادرسها بعطف شديد نحو إسرائيل وبتفهم لمشاكلها، فاجبت: ان مصر لا تستطيع ان تتوقع تحقيق انجازات عسكرية إذا شنت الحرب على إسرائيل ولا ارى املا كبيرا في تحقيق تسوية شاملة في الشرق الاوسط والطريق المعقول في الواقع الحالى هو العمل تدريجيا على تنمية الثقة المتبادلة بين مصر وإسرائيل واذا اقتنع المصريون بان الولايات المتحدة متمسكة بسياستها المؤيدة لإسرائيل وانه لا أمل في

تحقيق الحلم العربي التقليدي بالقضاء على إسرائيل فسوف تتحسن فرص التسوية الجزئية ومـن المحتمـل ان ننتقل منها إلى تسويات أكثر شمولا.

لقد وافقني نيكسون على قولى هذا ولكنه اضاف: مـن منـا لا يحلـم بعـالم افضـل؟ اننـا جميعـا نريـد السلام ولكن المشكلة في العالم الذي نعيش فيه تكمن في ايجاد حالة من التعايش الذي نحلم فيه.

ان السعي للتسوية الجزئيـة هـو الآن الطريـق العمليـة ولكـن المصريـين يريـدون ان يعلمـوا إلى ايـن ستؤدي هذه المسيرة في النهاية؟ يجب ان نعرض على المصريين شيئا ما يتجاوز مـا عـرض علـيهم حتـى الآن وانني متأكد بان رئيسة الوزراء غولدا مائير ستحمل معها مقترحات جيدة.

الفصل الخامس

الأمن مقابل السيادة

إن العلاقات المصرية- الأمريكية لم تبق مجمدة فقد ابلغني كل من سيسكو وكسنجر بان حافظ اسماعيل مستشار الرئيس السادات سيصل إلى الولايات المتحدة لاجراء محادثات مع المسؤولين في الادارة الأمريكية.

لقد كان من السهل على المرء ان يكتشف وجود علاقات جيدة بين الولايات المتحدة ومصر وان يدرك بان هذه العلاقات ستؤثر بشكل ملموس على العلاقات الأمريكية - الإسرائيلية وعلى المواقف الأمريكية ازاء الشرق الاوسط ولكن لم تكن التطورات السياسية البعيدة المدى أو الانحراف الأمريكي نحو العرب على حساب إسرائيل هي التي أثرت على زيارة غولدا مائير وقللت من احتمالات نجاحها بل وقوع حدث غير متوقع بعد ان كان كل شيء معه وجاهز لزيارة غولدا وحددت اللقاءات التي ستشارك فيها مع المسؤولين الأمريكيين فقد قامت طائرات سلاح الجو الإسرائيلي باعتراض طائرة ركاب ليبية في سيناء وقتل جميع ركابها الابرياء وادى الحادث إلى اصابة الولايات المتحدة بالارتباك والذهول والغضب والاستغراب وعبرت المصادر المعادية لإسرائيل عن ابتهاجها وكان اسقاط الطائرة بمثابة توقيت رائع لاظهار عدائهم نحو إسرائيل وكان ذلك قبل زيارة غولدا مائير بايام قليلة واوضحت للمسؤولين الأمريكيين بان إسرائيل تلقت معلومات حول وجود محاولة فدائية بواسطة طائرة وان تصرفات طاقم الطائرة الليبية قد جعلت إسرائيل تعتقد بانهم يعتزمون القيام بعمل انتحاري ولكن اقوالي لم تجد اذانا صاغية وقال الأمريكيون: الم يكتشف الطيار الليبي خطأه وان طياريكم ضربوا الطائرة بينما كانت في طريقها عائدة من حيث اتت في فأي خطر كان سيلحق بكم والطائرة خارجة من سيناء؟.

فى هذه الاجواء المثقلة بالمصاعب وجدت حرجا شديدا في التحدث مع الأمريكيين حول تزويد إسرائيل بالمزيد من طائرات الفانتوم وبمعدات أخرى لطائرات الميراج الإسرائيلية وهما من المواضيع الرئيسة التي كان من المقرر لغولدا مائير ان تبحثها مع الادارة الأمريكية في زيارتها للعاصمة الأمريكية.

لقد اتصل بي موظفون في البيت الابيض ووزارة الخارجية الأمريكية وقالوا لي بصراحة ان الوقت غير مناسب لزيارة رئيسة الوزراء، وتساءلت هل يجب ان اوصي تأجيل زيارة غولدا مائير إلى ان تهدأ موجة الغضب؟. فابرقت لرئيسة الوزراء: ان من غير الممكن تفسير كارثة الطائرة الليبية وان الطريق الوحيد هو تقديم الاعتذار ويجب عدم المماطلة في الموضوع وإضافة حيرة على ارتباك وتعقيد وانا آمل بعد المؤتمر الصحفي الذي سيعقده كسنجر بتاريخ ٢٣ شباط ١٩٧٣ ويعلن فيه بيان أمريكي - صيني مشترك يتضمن اجمالا جديدا للعلاقات بين ادولتين ان تصب وسائل الاعلام كل اهتمامها على هذا الموضوع وتنسى موضوع الطائرة الليبية.

لم تستقبل غولدا مائير اقوالى بحماس وادى قولي لها بان الحادث في منتهى الخطورة وليس امامنا سوى الاعتراف بخطئنا ادى ذلك إلى حدوث بعض التوتر بينها وبيني.

فى غضون ذلك استمرت العجلة السياسية في التحرك وبتاريخ ٢٥ و ٢٦ شباط اجتمع حافظ اسماعيل بالدكتور كسنجر وقبل وصول غولدا إلى واشنطن بيوم واحد طلبت الاستماع من كسنجر عن نتائج محادثاته مع «كسنجر المصري» حافظ اسماعيل فقال لي ان اسماعيل تحدث عن ضرورة الاسراع في التوصل إلى حل شامل وان مصر لا تستطيع الانتظار ١٥ عاما ويجب التوصل إلى تسوية في عام ١٩٧٣ ووضع حد للمماطلة.

هل كانت تلك الخطوة جزءا من حملة خداع مصرية - سورية؟ هل علم اسماعيل انذاك - بشكل عام على الاقل - بان السادات يسعى للحرب وليس للتسوية؟ لا اعلم ولكن من الواضح هو ان محدثيه الأمريكيين قد خرجوا من حديثهم معه بانطباع ايجابي.

في حديثه الثاني مع كسنجر قال حافظ اسماعيل انه يجب اولا الاتفاق على مبادىء الاتفاق وبعد ذلك وضع جدول زمني لتنفيذها ويجب ان تنتهي العملية كلها حتى ايلول ١٩٧٣ وان مصر تعارض اتفاقا محددا لفتح قناة السويس ولكن يمكن دمج مثل هذا الاتفاق كمرحلة ابتدائية من مراحل الاتفاق الشامل واعرب اسماعيل عن اعتقاده بان الشرق الاوسط يجب ان تعيش فيه دول مستقلة قوية ومتعاونة ويمكن ان تشترك إسرائيل في هذا الوصف إذا اعترفت بانتمائها إلى الرق الاوسط ولم يوضح اسماعيل ماذا يجب على إسرائيل عمله لكي تستحق العيش إلى جانب الدول العربية في المنطقة، وقال ان السلام يمكن ان يكون اساسا لتطبيع العلاقات مع إسرائيل ولكن التطبيع ليس جزءا من اتفاق السلام ويمكن ان يتحقق بعد فترة طويلة وهو مشروط أيضاً بحل مشكلة اللاجئين العرب.

اذا لم يكن السلام طريقا للتطبيع في العلاقات فماذا يتضمن السلام المصري؟ لقد اوضح اسماعيل بان السلام سيلغي حالة الحرب وسيمنحها حرية الملاحة في مضائق تيران وقناة السويس وسيضع حدا للمقاطعة الاقتصادية المفروضة على الشركات التي تتعامل مع إسرائيل وسيلغي التحفظات التي تتخذما مصر ازاء أي اتفاق توقعه بأنه لا ينطبق على إسرائيل واضاف بان اتفاق السلام سيلزم الجانبين بعدم التدخل في الشؤون الداخلية لكل من مصر وإسرائيل.

لم تتضمن قائمة عناصر السلام التي اقترحها حافظ اسماعيل عناصر هامة منها: تبادل السفراء وعقد اتفاقيات تجارية وحدود مفتوحة امام المواطنين والبضائع واعتراف مصري كامل بإسرائيل. واعرب حافظ اسماعيل عن اعتقاده بان الفترة الانتقالية الواقعة بين انهاء حالة الحرب واقامة السلام الكامل يمكن ان تشهد تطويرا لبعض عناصر العلاقات الطبيعية بين مصر وإسرائيل ولكن يجب عدم اتخاذ قرارات تحدد تلك العلاقات سلفا بل يجب تركها تتطور نتيجة التغييرات التي ستطرأ على الوضع.

ما هو الثمن الذي يجب على إسرائيل دفعه مقابل هذا السلام الجزئى وغير الملزم؟ لقد طلب من إسرائيل بالطبع دفع ثمن ملموس وهو: اعادة جميع الاراضي المصرية والانسحاب إلى حدود ما قبل حرب حزيران ١٩٦٧ واعادة الحقوق الكاملة للشعب الفلسطينى وعدم معارضة مصر في اجراء مفاوضات أردنية - إسرائيلية لاستعادة الضفة الغربية وتسليمها للفلسطنيين.

في اليوم الثاني لمحادثات كسنجر - اسماعيل استخدم المبعوث المصري لاول مرة عبارة جاء فيها ان اعادة السيادة المصرية التامة إلى سيناء يمكن ان تكون مندمجة بامكانية ايجاد حل وسط بين السيادة المصرية التامة والمطالب الامنية المشروعة لإسرائيل وخرج كسنجر من هذا القول بانطباع ان مصر ستكون مستعدة للموافقة لتواجد إسرائيلي محدود في المنطقة التي ستكون خاضعة للسيادة المصرية.

لقد اكدت هذه الاقوال رغبة مصر في السلام ولم تعد الولايات المتعحدة تشك في صدق نوايا مصر. لقد قال اسماعيل ان وضع سوريا لا يشبه وضع الاردن لأن سوريا مشتركة في الاتحاد الكونفدرالي المعقود بين سوريا وليبيا ومصر ولا تستطيع مصر التخلى عن مصالح سوريا ولهذا يجب ان يكون الاتفاق السوري - الإسرائيلي مبنيا على اسس مشابهة للاتفاق المصري - الإسرائيلي أي على الانسحاب التام إلى الحدود الدولية، واضاف بان من الممكن الاتفاق على اماكن منزوعة السلاح ولكن على اساس المعاملة بالمثل أي ان يشمل نزع السلاح مناطق في الجانب المصري والجانب الإسرائيلي ويمكن ان تكون تلك المناطق بمساحات متفاوتة ويمكن أيضاً ان تكون المنطقة المنزوعة السلاح في الجانب الإسرائيلي رمزية على ان يتم ذلك تحت اشراف مراقبين دوليين ويمكن وضع قوة دولية في المناطق التي توليها إسرائيل أهمية خاصة كمنطقة شرم الشيخ وفى حالة التوصل إلى اتفاق بهذا الشأن فانه يتوجب على الدول العظمى الاربع تقديم ضمانات لتنفيذه.

لقد اكد اساعيل مرارا بأنه يجب حل النزاع في الشرق الاوسط في اطار مشترك أي انه لا يمكـن التوصـل إلى سلام بين إسرائيل ودولة عربية واحدة ولكن في اللحظة التي يـتم فيهـا الاتفـاق عـلى مبـادىء التسـوية الشاملة في الشرق الاوسط فانه يمكن تنفيذ تلك المبادىء على مراحل وحسب جدول اولويات متفـق عليـه حسب الجبهات المختلفة بحيث تحتل الجبهة المصرية - الإسرائيلية المرتبة الاولى تليها الجبهات الاخرى وفى اطار مثل هذا الاتفاق الشامل تستطيع مصر التوقيع على اتفاق منفرد مع إسرائيـل بشرط واضـح وصريـح بأن تشارك سوريا والاردن في مسيرة المفاوضات وتوافقنا على مبادىء التسوية التي سيتم الاتفاق بشأنها.

لم يحاول كسنجر ان يخفي اعجابه باقوال حافظ اسـماعيل كـما لم اسـتطع أنـا ان انكـر وجـود اشـياء هامة في اقوال المبعوث المصري ولكني حاولت التركيز على اهم ما قاله حافظ اسماعيل وقلت لكسنجر: ان ما يطلبه اسماعيل في الواقع هو انسحاب مثامل من كافة المناطق التي استولينا عليها في حرب الايام الستة وهو يشترط الحل بايجاد حل شامل للقضية الفلسطينية بشكل لا تستطيع إسرائيل قبوله اذ بعد انسـحاب إسرائيل تستطيع مصر القول ان إسرائيل لم تنفذ دورها في الاتفاق ولهذا فان مصر في حل من تقديم الـثمن السياسي الذي وافقت عليه مقابل الانسحاب الإسرائيلي وهكذا ستصبح القضـية الفلسـطينية ذريعـة دائمـة لدى مصر لنقض الاتفاق.

فى ضوء المعلومات التي توفرت لدينا حول وجود تنسـيق مصري - سـوفياتي وحـول وجـود نيـة مشـتركة للاضرار بالعلاقات الإسرائيلية - الأمريكيـة سـألت كسـنجر:- هـل تطـن بـان زيـارة حـافظ اسـماعيل والاقـوال التي قالها لك هي جزء من خطة مفصلة لـدق اسـفين بـين إسرائيـل والولايـات المتحـدة؟ فاجـاب كسـنجر:- لقد جلست مع اسماعيل ساعات طويلة وعديدة وانطبعت بـان الرجـل عـلى درايـة واسـعة بمـوضرع الشرق الاوسط أكثر من أي مصري اخر التقيت به حتى الآن وكان عرض الموضوع على لسـانه يمتـاز بـالعلم والحكمـة وباسلوب لطيف وسوف يؤثر الرجـل عـلى كـل شـخص يتحـدث معـه فهـو اعـترف بحـق إسرائيـل في تقـديم

مطالب امنية عدا مسألة السيادة وهذا موقف مصري جيد يفتح افاقا وامكانيات لم تكن قائمة حتى الآن ومن الممكن الموافقة على طلب إسرائيلي بمراقبة وحدات عسكرية إسرائيلية في سيناء في اجزاء واماكن مختلفة وليس في شرم الشيخ فقط وليس من المستبعد الحصول على موافقة مصرية على تغيير في السيادة وتعديل على الحدود على الرغم من ان الفجوة في مواقف مصر وإسرائيل حول الموضوع الاقليمي - الامني كبيرة للغاية ولا يوجد استعداد مصري للتمادي في الموافقة على تغييرات كتلك التي تطالبون بها في الخارطة السرية التي قدمتموها لي بتاريخ ٢٢ نيسان ١٩٧٢.

واضاف كسنجر بان حافظ اسماعيل سيعود إلى الولايات المتحدة في العاشر من نيسان ١٩٧٣ في زيارة سرية وسيعمل معه بعد مشاورات أخرى مع القادة المصريين ردا مفصلا للسؤال الذي وجهه إليه وهو: هل توافق مصر على وجود عسكري إسرائيلي وعلى اقامة اجهزة انذار مبكر خلف الحدود السياسية التي سيتم الاتفاق حولها؟ بعد ذلك انتقلنا للحديث حول زيارة غولدا مائير القريبة وحول الحديث الذي سيجريه كسنجر معها في اليوم التالي لتلك الزيارة وقال: يجب التقدم في المسيرة السياسية ويجب عليكم ان تجيئوا بمقترحات أكثر عملية وان تكفوا عن الجدل الفلسفي حول المبادىء وقد عملنا حتى الآن على كسب الوقت ولم نمارس عليكم أي ضغوط وحلنا دون اتخاذ قرارات خطيرة ضدكم.

ان الولايات المتحدة تولي اهممية بالغة للتفاهم مع الاتحاد السوفياتي ولا يمكن للوضع في الشرق الاوسط ان يظل مجمدا فترة طوية وان استراتيجيتي كانت مزدوجة: جعل المصريين يشعرون بالاحباط وزعزعة ثقتهم بقدرتهم العسكرية على التغلب على إسرائيل - بتعزيز إسرائيل المستمر - ودق اسفين بين المصريين والسوفييت لمنع حصول مصر على مساعدات عسكرية سوفياتية والهدف من ذلك هو جعل مصر تتوصل إلى قناعة بان لا خيار امامها ويجب عليها التوجه للولايات المتحدة و.... فقاطعت كسنجر بشكل غير دبلوماسي وقلت: وان تطالبكم مصر بالحصول لها على تنازلات إسرائيلية لا تستطيع الحصول عليها بالحرب

ولا يستطيع السوفييت تحقيقها من اجلها إذا قدمتم إسرائيل للمصريين على طبق من فضة فما هي الفائدة التي ستجنيها إسرائيل من تغيير السياسة المصرية؟فاجاب كسنجر: لن اكون الرجل الذي يتصرف على هذا النحو ولكني لا اخفي رأيي بان مطالبكم الاقليمية غير قابلة للتحقيق في اطار تسوية سياسية وبموافقة العرب سواء في سيناء أو في الضفة الغربية.

قبيل انتهاء الحديث بيننا قال كسنجر اريدك ان تعلم انه في ضوء اسقاط الطائرة الليبية قد ينشر وضع لا تحصل فيه غولدا مائير على رد ايجابي من الرئيس نيكسون على طلباتكم للحصول على اسلحة.

لقد كنت اعلم ذلك واجهدت عقلى في التفكير في طريقة تمكنني من تجاوز ذلك الحادث الاليم الذي حدث في وقت تعس كهذا.

فى اليوم التالي - بتاريخ ٢٨ شباط - اجتمعت رئيسة الوزراء غولدا مائير بالدكتور كسنجر وابدت استعدادا للتقدم نحو التسوية الشاملة ونحو التسوية الجزئية لفتح قناة السويس ولم تكن اقوال كسنجر تتضمن اشياء جيدة اذ قال: بدون افكار جيدة وبدون مقترحات جيدة لن يكون هناك تقدم ايجابي ويجدر بي الاشارة هنا إلى انه في كل مرة تعود الحاجة فيها إلى مقترحات جيدة تتجه الانظار صوب إسرائيل لكي تقدم تنازلات اخرى.

كذلك الحديث مع القائم بأعمال وزير الخارجية الأمريكي كينت راش لم يكن مشجعا وعلى الرغم من الجو الودي فقد كان مضمون الحديث شاقا ومرة أخرى اتضح بان هناك فجوة كبيرة تفصل ليس بين إسرائيل وجاراتها فحسب بل وبين إسرائيل واقرب اصدقائها أيضاً - الولايات المتحدة - وان الفجوة تتركز في موضوع حدود السلام.

خلال اجتماعها مع مسؤولي وزارة الدفاع الأمريكية بعد الظهر عرضت غولدا مائير مطلبين إسرائيليين رئيسين: تزويد إسرائيل بمحركات أمريكية لتركيبها في الطائرات فانتوم وسكايهوك، وتحدث الأمريكيون وتحدث الإسرائيليون ولم يتوصلوا إلى نتيجة وخرجت

إسرائيل خاوية الوفاض واتضح فيما بعد بأن الولايات المتحدة تعمدت الامتناع عن تقديم تعهد صريح لتلبية مطالبنا لقد اصيبت غولدا مائير بخيبة امل من محادثاتها مع كسنجر وريتشاردسون وجلست في «بلير هاوس» منطوية على نفسها وقالت لى:- انني مستعدة لحزم حقائبي والعودة إلى البيت قبل الاجتماع بالرئيس غدا صباحا إذا كان ما سأسمعه منه شبيها بما سمعته من المسؤولين في الادارة الأمريكية.

فاقترحت عليها ان نضع معا عدة مقترحات وندرسها هذه الليلة مع كسنجر قبل الاجتماع بالرئيس المقرر في الساعة الحادية عشرة من صباح الغد ولكن غولدا لم تبد حماسا جيدا للفكرة ولكننا بدأنا بوضع خطتنا وكانت كما يلى: ان إسرائيل لا تعارض استمرار الاتصالات بين الولايات المتحدة والاتحاد السوفياتي استعدادا للقمة الأمريكية السوفياتية القادمة في ايار - حزيران في واشنطن وان إسرائيل لن تعارض أيضاً استمرار الاتصالات الأمريكية مع مصر ولكن إسرائيل تصر على ان لا تتخذ الولايات المتحدة في اتصالاتها مع الاتحاد السوفياتي ومصر مواقف أمريكية بدون موافقة إسرائيل وان تقدم الولايات المتحدة لإسرائيل المعدات اللازمة لها لانتاج طائراتها وتتعهد بتزويدها بطائرات فانتوم وسكايهوك والاستجابة للأرقام والكميات التي طلبتها رئيسة الوزراء مئير.

اتصلت هاتفيا بكسنجر وقلت له: ان لدي شعورا باننا نسير نحو الكارثة وانني مضطر لرؤيتك على وجه السرعة. استقبلني كسنجر في البيت الابيض في الساعة السابعة والنصف مساء وبادرني قائلا:- انني اتصور بان رئيسة الوزراء امضت يوما صعبا وكئيبا.

لقد كان كسنجر بالطبع يعلم كل شيء وتلقى تقريرا كاملا عن المحادثات الشاقة التي اجرتها رئيسة الوزراء مع مسؤولي وزارتي الخارجية والدفاع وقلت له: انني حسب معرفتي برئيسة الوزراء وحسب ما لمسته من حالتها النفسية في هذه اللحظة لا استغرب ابدا ان تنهض وتحزم امتعتها وتعود إلى إسرائيل قبل اجتماعها بالرئيس انني لا افهمكم ولا استطيع ان اصدق ان توجهوا الدعوة لرئيسة الوزراء للمجيء إلى الولايات المتحدة وترسلوها من حيث

اتت خاوية الوفاض، انني بكل بساطة لا افهمكم ففي اليوم الذي بدأت فيه رئيسة الوزراء محادثاتها في واشنطن صوتت الولايات المتحدة في منظمة الطيران الدولية إلى جانب اقتراح يندد بإسرائيل لاسقاطها الطائرة الليبية وقررت في نفس الوقت تسكيل لجنة تحقيق في الموضوع ولم تتورع الولايات المتحدة عن التناقض في الأمر فاذا كانت قد قررت التنديد فما الفائدة من تشكيل لجنة تحقيق واذا تقرر تعيين لجنة تحقيق لدراسة الحقائق فما هو مبرر التنديد بإسرائيل؟كيف كان رئيس الولايات المتحدة سيشعر لو جاء إلى دولة اوروبية صديقة وفى نفس الوقت تتخذ تلك الدولة قرارا بالتنديد بالولايات المتحدة لتدخلها في فيتنام مثلا.؟! هل لهذا السبب وجهتم الدعوة لرئيسة الوزراء لكي تنددوا بإسرائيل في يوم وصولها وتضغطوا عليها بمطالب سياسية ولا تستجيبوا لأي طلب تقدمه لكم؟! لقد شعر كسنجر بالغضب الذي تملكني وقال محاولا ارضائي: حتى يوم أمس اتصلت بي وزارة الخارجية الأمريكية وابلغتني بانها حائرة في موضوع التصويت في منظمة الطيران الدولية فسالتها هل الموقف الذي تعتزم الولايات المتحدة اتخاذه قابل للهضم وتستطيع إسرائيل تحمله فاجابتني بالايجاب وقالت ان المندوبين الأمريكيين لدى الامم المتحدة قد خرجوا بانطباع كذلك من خلال محادثاتهم مع اعضاء الوفد الإسرائيلي لدى المنظمة الدولية.

فقلت:- لست متأكدا بأن هذا كان رد ممثلينا لدى الامم المتحدة ولكن هذا ليس المهم وانا اسالك بصورة شخصية إذا كنت قد علمت أمس بالتصويت الأمريكي المتوقع فلماذا لم تتصل بي؟ لقد جلست صباح اليوم لمدة ساعتين مع رئيسة الوزراء فلماذا لم تقل لها كلمة بهذا الشأن؟

كسنجر:- انك تعلم بأنني غير مسؤول مباشر عن العلاقات مع الامم المتحدة واذا كان هذا الموضوع هاما في نظركم فلماذا لم تطرحوه على مائدة البحث مع المسؤولين في وزارة الخارجية الأمريكية؟

على أي حال فقد ادعى كسنجر انه لم تكن هناك نية للمساس برئيسة الوزراء وقال انه سيتصل بالرئيس فورا وانه يعتقد بان الرئيس سيقول شيئا ما حول هذا الموضوع في حديثه مع غولدا مائير غدا صباحا.

بعد ذلك عرضت عليه بالتفصيل مقترحاتنا في الموضوع السياسي وقلت: نحن نوافق ان تواصل اتصالاتك مع السوفييت ومع حافظ اسماعيل ولكن الولايات المتحدة لن تمثل إسرائيل ولن تلزمها بمواقف مفصلة بدون تنسيق مسبق وموافقة إسرائيلية وان إسرائيل تكرر تأكيد استعدادها للاشتراك في محادثات عن قرب حول التسوية الجزئية لفتح قناة السويس وانسحاب إسرائيلي محدود حسب الاتصالات التي جرت مع سيسكو وان تزود الولايات المتحدة إسرائيل بالمحركات الأمريكية لتركيبها في طائراتها من طراز ميراج وبالطائرات الاخرى التي طلبتها إسرائيل من الولايات المتحدة، فاجاب كسنجر: انني لا اريد ان يكون هناك سوء تفاهم فالأساس الذي ترتكز عليه اتصالاتي مع حافظ اسماعيل هو السيادة مقابل الامن وعلى إسرائيل ان تعترف بكامل السيادة المصرية على كافة سيناء وان توافق على تواجد عسكري إسرائيلي في نقاط معينة في سيناء ومن المحتمل ان تدعو الحاجة إلى تغطية الوجود العسكري الإسرائيلي بوجود مدني فاجبت بأنني مضطر ازاء ذلك للحصول على موافقة رئيسية الوزراء، أما فيما يتعلق بتزويد إسرائيل بمحركات للطائرات فقد قال كسنجر ان غولدا ستحصل في حديثها مع الرئيس على رد ايجابي ولكنه لا يستطيع الالتزام حول عدد المحركات واما بالنسبة للطائرات فإن الولايات المتحدة ستوافق من حيث المبدأ بدون تحديد الأرقام.

اختتمنا الحديث باتفاق على العودة إلى « بلير هاوس» لتلقي موافقة رئيسة الوزراء على مجمل الحديث والاتصال به فيما بعد وان يجتمع هو بالرئيس نيكسون للحصول على موافقته على اجمال حديثنا واتفقنا بأنه إذا تم اقرار ذلك فانه سيكون اساس الحديث الذي ستجريه رئيسة الوزراء مع الرئيس في صبيحة اليوم التالي.

عدت إلى بلير هاوس وابلغت غولدا مئير بنتائج حديثي مع كسنجر فوافقت عليه وعلى الفور اتصلت هاتفيا بكسنجر في حوالي الساعة التاسعة مساء وابلغته بموافقة غولدا على مادار بيننا من حديث فوعدني كسنجر بالعمل فورا لدى الرئيس وطيلة ساعات الليل لم اتلق أي رد من كسنجر وقلت في نفسي: هل عارض الرئيس اتفاقنا؟! ومرت الساعات علي طويلة ومتوترة وفى صبيحة اليوم التالي الأول من آذار حاولت الاتصال هاتفيا بكسنجر فاجابوني بأنه موجود في غرفة الرئيس ويجب عدم ازعاجه فحاولت مرة أخرى وثالثة وفى كل مرة كان يقال لي انه في غرفة الرئيس ولا يجب ازعاجه.

قبل دقائق من موعد اجتماع رئيسة الوزراء غولدا مائير بالرئيس نيكسون اتصل كسنجر (ببلير هاوس» وقال: انني اتحدث معك من غرفة الرئيس وقد اقر الرئيس ما اتفقنا عليه أمس بعد ٢٤ ساعة من التوتر شاهدت غولدا تبتسم كما شعرت أنا بالارتياح.

لقد استقبلنا الرئيس بحالة نفسية جيدة وبدأ بالاشادة بي أمام رئيسة الوزراء لدرجة شعرت فيها بالارتباك وطلب نيكسون ان يعرف المنصب الذي ساشغله بعد عودتي إلى إسرائيل فاجابته غولدا: ان هذا يتعلق بتصرفاته فقال نيكسون: إذا كنت غير محتاجة له في إسرائيل فارجوك ابقاءه هنا وانا مستعد لقبوله على الرحب والسعة.

لقد نسيت في غمرة الاحداث ان الأول من آذار يصادف عيد ميلادي وربما بسبب التوتر الذي تملكني في ال ٢٤ ساعة الاخيرة ولكن الرئيس تذكر ذلك و هنأني بحرارة وقدم لي هدايا شخصية وتذكارات صغيرة جميعها موقعة بخط يده. كذلك السفير الذي جاء ليخلفني - سيمحا دنيس - كان موجودا معنا وكانت الحكومة الإسرائيلية حائرة حول اشراكه في الاجتماع وتساءلت حول امكانية ذلك فاجبتها بان اشتراكه في الاجتماع ممكن وان الأمريكيين لا يدققون في مبادىء البروتوكول وان وجوده مقبول وخلال الحديث رحب به الرئيس بحرارة وتمنى له النجاح في مهمته.

لقد هنأنا الرئيس باعادة انتخابه لفترة رئاسية ثانية وبالنجاح الذي حققه في الحلبة الدولية والقفزة نحو تمتين العلاقات بين الولايات المتحدة والصين فشكرنا الرئيس وقال: ان رئيسة الوزراء تعلم بالطبع بان البعض يميلون إلى المبالغة بأهمية اللقاءات وهذا لا يدل على ذكائهم فهم يعتقدون بان اللقاءات الاستعراضية مع زعماء صينيين أو سوفييت تجعل العالم يتغير ويجب الحنر من الاستسلام للوهم فاللقاءات تفتح افاق الامل ولكن عالمنا لا يزال حافلا بالاخطار الجسام ونحن لن نتوقف عن بذل الجهود لتحقيق التغيير المنشود فنحن نريد ان نحيا في عالم افضل واهدأ واكثر أمنا ولكن طالما توجد لدينا شكوك حول نوايا الآخرين فاننا لا نستطيع تقليص قوتنا العسكرية.

لقد كان الرئيس هو الذي اقترح عدم الاسهاب في الحديث عن الطائرة الليبية وقال: ليس لدي ادنى شك بانكم لم تفعلوا ذلك عن قصد لانكم اذكى من ان ترتكبوا مثل هذه الحماقة وان قرار التنديد بكم في منظمة الطيران الدولية قد اتخذ بدون علمي ولو كنت اعلم لما سمحت بذلك.

لقد تحدثت غولدا امام الرئيس وتناولت اسباب وقوع كارثة الطائرة الليبية وحدثته باسهاب عن الانباء التي كانت متوفرة لدى إسرائيل حول وجود مخطط لقيادة طائرة انتحاريين وتفجيرها فوق هدف استراتيجي في جنوبي إسرائيل، وكما هي العادة فقد ربطت مواضيع المساعدات العسكرية والاقتصادية الأمريكية لإسرائيل بالمسيرة السياسية بعضها ببعض وكرر الرئيس القول: يجب علينا ان نعمل معا على تحريك الامور من الجمود إلى المفاوضات ولكننا لا نربط الجانب السياسي بالمساعدات العسكرية والاقتصادية ويجب ان تكون إسرائيل قوية بقدر كاف لكي تدافع عن نفسها ومع ذلك فان مصلحتكم ومصلحتنا تفرض علينا وعليكم الدخول في المفاوضات السياسية وعلى هذه الخلفية ما هي مطالبك سيدتي رئيسة الوزراء؟

شكرت غولدا الرئيس وقالت له: لقد وفيت بجميع التزاماتك نحو إسرائيل وان الثقة والتفاهم المتبادلين بين اسرائيل والولايات المتحدة هما اساس السياسة. لقد ادى تسليح

إسرائيل إلى منع الحرب واطالة أمد وقف اطلاق النار وقد برهنت سياستك على صحتها بدون ادنى شك ونحن على استعداد للتفاوض في أي مكان وزمان مع أي من الدول المجاورة ونحن لا نهدر اية فرصة لشق الطريق إلى المفاوضات فعندما زرت رومانيا تحدثت حول ذلك مع الرئيس نيكولاي تشاوشسكو وبصفته يتمتع بعلاقات جيدة مع مصر ورئيسها السادات فقد طلبت منه ان يعمل من أجل السلام وبعد ذلك جاء مبعوث للرئيس الروماني إلى إسرائيل واجتمع وتحدث واستمع ولكن هذه المحاولة كغيرها من المحاولات لاحداث شرخ في جدار العداء العنربي نحو إسرائيل لم تثمر.

فقال الرئيس:- يجب مواصلة المسيرة السياسية بكافة الطرق العلنية الرسمية والسرية البعيدة عن الرسمية وشيئا واحدا اريد ان اعدك به وهو اننا لن ندخل ابدا في وضع لا توافقون عليه ونحن لم نفعل ذلك حتى الآن ولن نفعل ذلك في المستقبل ومع ذلك وكما تعلمين فاننا نعاني من مشاكل ناجمة عن أزمة الطاقة وبعضها مبالغ فيها وبعضها الآخر حقيقية وهذه مشاكل عالمية وحلولها ليست سهلة وان التعاون بيننا والتقدم نحو حل سياسي في الشرق الاوسط هما وسائل هامة لحل ازمة الطاقة انكم الآن في وضع ممتاز ومن موقف القوة الذي تتمتعون به تستطيعون ضرب جيرانكم وبسبب قوتكم غير العادية بالذات جاءنا المصريون يقترحرن طرقا للعحل السياسي وانا اعلم انه لولا قيامنا بتعزيز قوتكم لما جاء المصريون الينا، ان السوفييت يبدون حماسا للتأثير على مسيرة المفاوضات وانتم تفضلوننا وكذلك مصر أيضاً فلنحاول دراسة امكانيات دفع مسيرة المفاوضات السياسية إلى الامام في جميع الميادين الممكنة وجميع الاتصالات بما فيها السرية والشخصية ونحاول البحث مع المصريين ما يمكننا عمله وسوف لن نتفاوض نيابة عنكم ولكننا سندرس الوضع وهكذا سنتصرف في الاتصال مع الاتحاد السوفياتي ومن المقرر ان يجيء بريجنيف إلى هنا خلال هذا الصيف وقبل مجيئه سنجري مشاورات مع السوفييت وقد كانت لنا محادثات عديدة معهم.

فتدخل كسنجر:- لقد ابلغت السفير رابين بجميع هذه المحادثات فقال الرئيس: حسن جدا، حسن جدا هكذا يجب ان تعلم إسرائيل بما نجريه من محادثات وقد عالجنا موضوع التسوية الجزئية لفتح قناة السويس وان مثل هذه التسوية ستكون من مصلحتكم ونحن نعالج جميع المشاكل بجو غامض تكتنفه الشكوك وعلامات الاستفهام العديدة وهنري كسنجر خبير في اللغة الغامضة فابتلع كسنجر هذه «القرصة الرئاسية» بدون ان يحرك ساكنا ولم اتصور بان الرئيس كان يقصد كيل المديح لمستشاره الكبير.

وقالت غولدا: نحن نوافق ان تبحثوا مع المصريين والسوفييت امكانية المفاوضات السياسية ونحن على استعداد لقبول اتفاق جزئي في السويس ومن الممكن ان هذا هو الطريق العملي في الوقت الحاضر.

أما في الموضوع العسكري فقد اوضحت رئيسة الوزراء مشكلة انتاج الطائرة الإسرائيلية ووضع محرك أمريكي فيها كما اوضحت حاجة إسرائيل إلى المزيد من الطائرات الأمريكية لعامي ١٩٧٤ - ١٩٧٥ ووافق الرئيس من حيث المبدأ على تزويد إسرائيل بالمزيد من طائرات فانتوم وسكايهوك ولكنه امتنع عن الالتزام بشيء حول عددها وقال سوف ننظر بعين العطف للارقام التي قدمتها رئيسة الوزراء ولكن التوصيات التي تلقيتها من وزارة الدفاع تتحدث عن ارقام اقل بكثير مما طلبت وسوف تعتبر إسرائيل ذلك ارقاما ضئيلة وانا أيضاً اعتقد ذلك وسأدرس ذلك بصورة جذرية وسأتصرف دائما معكم بعدل ولن اخيب آمالكم.

لقد تعهد الرئيس بتزويد إسرائيل بكمية معينة من المحركات الأمريكية لتركيبها في الطائرات التي تنتجها فقالت رئيسة الوزراء: حسنا، سوف نجيء اليك مرة أخرى وسنطلب المزيد من المحركات وقال الرئيس انه سيطرأ تقليص على المساعدات الأمريكية الخارجية ولكن إسرائيل لن تتأثر بذلك بشكل ملموس على الاقل.

وهنا رغبت غولدا في الحديث حول يهود الاتحاد السوفياتي فبادر الرئيس إلى القول انه نفسه لم يكن قد تجاهل هذا الوضوع، فبدأت غولدا في الوصف والرئيس منصت باهتمام وتحدثت عن المعاناة التي يلقاها اليهود ومشاعر اللاسامية المنتشرة في الاتحاد السوفياتي كما تحدثت عن «قانون الفدية» السوفييتي لمنع اليهود من الهجرة إلى إسرائيل.

الرئيس: لقد اكتشفت بنفسي مشاعر اللاسامية في الاتحاد السوفياتي قبل ٢٠ عاما قبل ان يكتشف الكثيرون بمافيهم اليهود السوفييت هذه الحقيقة ولهذا لا داعي للتحدث معي عما يلقاه اليهود في الاتحاد السوفياتي ولكن السؤال هو: كيف سنعالج هذا الأمر (اننا نعمل بنشاط ولكنني لا اعتقد بان افضل الطرق هو مايسعى إليه بعض اعضاء مجلس الشيوخ لاشتراط تغيير معاملة يهود الاتحاد السوفياتي بمنح الاتحاد السوفياتي صفة الدولة المفضلة في الاتجار مع الولايات المتحدة ولو انني ايدته هذه المبادرة لفزت بشعبية كبيرة ولكن هذا ليس الطريق الصحيح وانا اتردد في اتخاذ موقف متصلب ازاء السوفييت لأنني لو فعلت ذلك حصلت على نتيجة عكس النتيجة التي كنت اتمناها وبامكاننا التأثير بطرق افضل.

لقد تهربت رئيسة الوزراء بذكاء من مبادرة أعضاء مجلس الشيوخ لفرض عقوبات على الاتحاد السوفياتى وقالت:- ان اوضاع اليهود السوفييت صعبة للغاية وانا اطلب منك العمل على تخفيض آلامهم ولا اريد ان املى عليكم كيف تتصرفون، فرد عليها الرئيس قائلا: ان المشكلة هي ان اعضاء الكونغرس يقولون انهم تلقوا ارشاداته من الحكومة الإسرائيلية والمنظمات اليهودية وان الموضوع البالغ الأهمية وهو موضوع التعاون مع الاتحاد السوفياتي قد يفشل بسبب موقف الكونغرس، ان اعمال اعضاء الكونغرس خطير. واستطيع بشكل شخصي الحصول لكم على نتائج افضل.

وقال كسنجر:- لا تدعوا الاوساط اليهودية المعنية تحرض اعضاء الكونغرس. عندما قيلت الامور بمثل هذا الوضوح لم تستطع رئيسة الوزراء تجاهل اقوال كسنجر:- وقالت:-

يجب ان تتفهموا وضعي وانا لا استطيع القول ليهود الولايات المتحدة ان لا يقلقوا على مصير اخوانهم يهود الاتحاد السوفياتي، ان تصرفات السوفييت تتسم بالغباء وهم لا يتمتعون بالتأييد في العالم بسبب اساءتهم معاملة اليهود ومنعهم من الهجرة إلى إسرائيل، فقال كسنجر: انك لست بحاجة للقول ليهود الولايات المتحدة بان لا يهتموا باخوانهم وان كل ما عليك عمله هو جعل اعضاء مجلس الشيوخ يكتفون بالتعديل الذي يقترحه هنري جاكسون على التعامل التجاري مع الاتحاد السوفياتي واضاف بان للسفير الإسرائيلي اصدقاء كثيرون في مجلس الشيوخ الأمريكي.

الرئيس: ان من مصلحتكم ان ننجح في الوصول إلى اتفاق مع الروس اذ ستكون له أثار هامة جدا على المدى البعيد وانتم تستطيعون بالطبع التغلب على العرب ولكنكم لا تستطيعون الانتصار على السوفييت ومهمتنا نحن تولى امر الروس ويجب عليكم مساعدتنا.

لقد انتهى الحديث الشامل بجو ودي للغاية ويبدو ان كلا الجانبين قد خرجا راضيين فإسرائيل اعطت كسنجر الضوء الاخضر لدراسة امكانية التقدم نحو تسوية شاملة مع مصر تلبي احتياجات إسرائيل الامنية على اساس الامن مقابل السيادة وارضى الرئيس غولدا مائير فيما يتعلق بتزويد إسرائيل بالاسلحة والدعم العام.

الآن فصلت تسعة ايام فقط بين اجمال الاجتماع مع الرئيس وانتهاء مهمتي كسفير لإسرائيل لدى الولايات المتحدة وكان هناك ما يشبه البادرة الحسنة من جانب الولايات المتحدة نحوي وتتويج وداعي من العاصمة الأمريكية بقرار ايجابي: ففي التاسع من آذار ١٩٧٣ وقبل اجراءات وداعي تلقيت موافقة بتوقيع روجرز على تزويد إسرائيل بالمعدات الأمريكية لتركيبها في الطائرات التي تنتجها إسرائيل مع اعراب الاستعداد للنظر بعين العطف لمواصلة تزويد إسرائيل بالطائرات الأمريكية حسب الكميات التي طلبتها رئيسة الوزراء غولدا مائير.

الفصل السادس

انا أغادر واشنطن

إن المؤرخ لا بد له أن يقدر السنوات الخمس التي أمضيتها كسفير لإسرائيل لدى الولايات المتحدة خلال عامي ١٩٦٨ - ١٩٧٣ والتطورات التي طرأت على علاقات إسرائيل الصغيرة والدولة العظمى بدون تدخل شخصي وهذه الصفقة ستساعده على عرض الخط المميز بين المساهمة الشخصية التي قدمتها وبين التطورات التي لا يستطيع السفير خلق مضمونها، ان الذين يتولون مناصب رفيعة يميلون إلى طمس هذا الخط المميز لاظهار ضخامة دورهم واخفاء فشلهم.

خلال السنوات الخمس التي عملت فيها كسفير لإسرائيل في واشنطن طرأت تغييرات على مجمل العلاقات بين الولايات المتحدة وإسرائيل وكان للانتطار المنقطع النظير الذي حققته إسرائيل في حرب حزيران دور في تغير مكانة إسرائيل الاستراتيجية في الولايات المتحدة ونشرت قناعة مفادها ان إسرائيل القوية هي مكسب للولايات المتحدة وثروة لسياستها الخارجية وادرك الأمريكيون بأن بقاء إسرائيل قوية يشكل شرطا لتحقيق السلام في الشرق الاوسط لانه إذا اقتنعت الدول العربية باستحالة القضاء على إسرائيل بالقوة فإنها قد توافق على الحل السلمي وفى نفس الوقت ترسخت القناعة بان الحل المفروض لن تقبل به إسرائيل باي حال من الاحوال وانه لا يمكن التوصل إلى سلام الا عن طريق المفاوضات بين الاطراف والتوقيع على اتفاق رسمي ومتبادل.

إن قوة إسرائيل ذات وجهين: القوة العسكرية والمناعة الاقتصادية لمواجهة اعباء الامن الثقيلة وكانت قوة إسرائيل رهنا بنوعية وكفاءة وكمية الاسلحة المتوفرة لديها وفى مجال تزويد إسرائيل بالاسلحة الأمريكية فقد عاشت إسرائيل ثلاث مراحل رئيسة:- فمنذ يوم تأسيسها

وحتى عام ١٩٥٨ كان هناك حظر أمريكي على شحن الاسلحة لإسرائيل وكانت المستودعات الأمريكية مغلقة في وجه إسرائيل لكافة انواع الاسلحة وقد طرأ التحول الأول وكان بمثابة ثغرة في الطريق في عام ١٩٥٨ عندما وافقت الولايات المتحدة على تزويد إسرائيل بالاسلحة الدفاعية فقط بدون دبابات وبدون طائرات واما المرحلة الثالثة فقد بدأت في عام ١٩٦٥ ولكنها أيضاً كانت محدودة من حيث الاستعداد الأمريكي فقد وافقت الولايات المتحدة على تزويد إسرائيل بكافة انواع الاسلحة ولكن شريطة ان لا تكون المزود الوحيد أو الرئيس لإسرائيل بالاسلحة.

وفى عام ١٩٦٨ - ١٩٦٩ انهار هذا الحاجز واصبحت الولايات المتحدة المصدر الرئيس والوحيد للاسلحة لإسرائيل ومنذ ذلك الحين زودت الولايات المتحدة الجيش الإسرائيلي اسلحة بكميات وانواع بشكل منقطع النظير.

فى السنوات الثلاث التي سبقت حرب اكتوبر ١٩٧٣ زودت الولايات المتحدة إسرائيل باسلحة تقدر قيمتها ب ٣٠٠ مليون دولار سنويا بينما كانت قبل ذلك تزودها باسلحة لا تزيد قيمتها على بضع عشرات ملايين الدولارات سنويا لقد ادى تزويد إسرائيل بهذه الكميات من الاسلحة إلى ارهاق الميزانية الإسرائيلية ولم يخفف العبء على الاقتصاد الإسرائيلي سوى حصولها على مساعدات مالية أمريكية لتمويل مشترياتها العسكرية ودعم اقتصادها.

فى السنوات العشرين الاولى لاقامة إسرائيل أي حتى عام ١٩٦٨ تلقت إسرائيل بكافة الاشكال وجميع انواع المساعدات بما قيمته مليار و ٧٠ مليون دولار بينما تلقت في السنوات الخمس التي امضيتها كسفير في واشنطن مساعدات مختلفة قيمتها مليار و ٦٨٦ مليون دولار وقفزت المساعدات من خمسة ملايين دولار سنويا إلى ٣٥٠ مليون دولار في كل عام من الاعوام الخمسة التي كنت فيها سفيرا لإسرائيل لدى الولايات المتحدة أي ان المساعدات ارتفعت في عهدي إلى سبعين ضعفا.

بالإضافة إلى الأهمية المادية - الاقتصادية فان الزيادة بنسبة ٧٠٠٠ % تعبر عن أهمية سياسية لا تقدر بثمن وهي تأكيد الالتزام الأمريكي نحو إسرائيل في نظر الدول العربية والاتحاد السوفياتي والعالم اجمع.

فى المجال السياسي طرأ تطور لا يقل أهمية، فقد اقمنا مع قادة الادارة الأمريكية علاقات شخصية وضعنا بواسطتها احتياجات إسرائيل الاساسية في المجال السياسي على مائدة القرارات في الادارة الأمريكية ودوى صوت إسرائيل لدى اصحاب القرارات وفى اوساط الشعب الأمريكي الكبير.

لقد كان اكبر خطر تربص بإسرائيل في تلك الفترة محاولة فرض الحل عليها بالتعاون مع الاتحاد السوفياتي وقد منعنا وقوع هذا الخطر بنضال مكثف وعنيد بالاستعانة بالجالية اليهودية والاصدقاء في مختلف الاوساط الأمريكية.

فقط في الولايات المتحدة كدولة هجرة فريدة من نوعها متمسكة بالمبادىء الديمقراطية المقدسة والمساواة لكل مواطن القديم والجديد وتحترم حقوق اية اقلية في الولاء للدولة التي ينحدر منها استطاع ستة ملايين يهودي اكتساب قوة اقتصادية وثقافية واجتماعية وسياسية بهذا الحجم وقد حملت معي إلى يهود الولايات المتحدة ذكريات ضئيلة ولكنها كبيرة المغزى، ففي عام ١٩٥٧ عندما كنت قائدا للمنطقة الشمالية طرت من شيكاغو إلى نيويورك بتكليف من مشروع قرض الاستقلال الإسرائيلي - بوندز - وجلس بجانبي عقيد في سلاح الجو الأمريكي ودار بيننا حديث اكتشف خلاله لهجتي الغربية فقلت له: انني من إسرائيل، فاجابني بأنه ولد في مدينة مونتغمري بولاية الاباما وقد علموني بان لا احب اليهود فهم غرباء ولم تكن لهم بلاد اصلية بعكس سائر الأمريكيين الذين ينحدرون من بلاد اصلية لهم وكان اليهود في نظري شعبا بلا وطن وهكذا فقد كانت اقامة دولة إسرائيل سببا في انتزاع صفة الغربة عن اليهود الأمريكيين وفي اندماجهم في الحياة الأمريكية.

خلال فترة خدمتي كسفير في الولايات المتحدة كنت اردد هذه الحادثة امام اليهود الأمريكيين ونشأت بيني وبينهم علاقات وطيدة.

ان السفير الإسرائيلي في واشنطن لا يقرر بالطبع سياسة الحكومة الإسرائيلية ولكن تقديراته ونظرياته وتقاريره وتوصياته تؤثر على قرارات الحكومة بشكل ملموس وفى حالة اتخاذ الحكومة قرارا ما يتوجه السفير إلى المسؤولين في الادارة الأمريكية للتأثير عليهم لكي يستجيبوا لإسرائيل ويزودوها باحتياجاتها العسكرية والاقتصادية ويتخذوا مواقف مؤيدة لإسرائيل أو على الاقل يتخذوا مواقف لا تلحق الضرر بها وتأخذ بعين الاعتبار سياستها ومواقفها.

إن الولايات المتحدة هي دولة انتخابات وكتعبير صحيح للديموقراطية يجري انتخاب الرئيس لمدة اربع سنوات وعضو الكونغرس ينتخب لمدة عامين امام مجلس الشيوخ فيتم انتخاب ثلث اعضائه مرة كل عامين وجميع هؤلاء بحاجة للاصوات والاموال والتأييد والتشجيع ولا يشكل اليهود في الولايات المتحدة أكثر من ٣,٥ % من مجموع السكان الأمريكيين ولكنهم يتمتعون بنفوذ كبير لانهم مندمجون في الحياة السياسية ونسبة اشتراكهم في الانتخابات مرتفعة للغاية واليهود يتولون رئاسة الصناديق التي تقدم التبرعات للمرشحين في الانتخابات وبسبب اسلوب الانتخابات المتبع في الولايات المتحدة فان الاصوات اليهودية تتمتع بأهمية حاسمة في الولايات الكبيرة امثال نيويورك وكاليفورنيا ويمكن انتخاب الرئيس الأمريكي أو عدم انتخابه بسبب الصوت اليهودي.

إن السفير الإسرائيلي لا يقدم المشورة ليهود الولايات المتحدة لمن يمنحوا اصواتهم وهو نفسه لا يعلن تأييده لاي مرشح ولمن كان سيمنح صوته لو كان يملك حق الانتخاب ولكنه لا يستطيع معاملة مرشحي الرئاسة بنفس القدر من الحياد لانه سيكون بذلك قد اساء إلى مهمته.

إن مواقف الرئيس الأمريكي السلبية أو الايجابية ذات تأثير كبير ومصيري بالنسبة لإسرائيل وتـأثير اكـبر على أمنها ووجودها وحيـاة مواطنيهـا وعـلى الـرغم مـن ان التصريحـات العلنيـة الصـادرة عـن أي مرشـح للرئاسة لا تشكل ضمانا بان يتصرف على هذا النحو بعد انتخابه فان من مصلحة إسرائيل الاولى تقضي بـان يتصرف الرئيس المنتخب بروح التصريحات التي ادلى بها في الحملة الانتخابية لأن من المصعب على الرئيس الأمريكي ان يتصرف بشكل مناقض للتصريحاته التي ادلى بها في حملته الانتخابية.

إن من حق إسرائيل وسفيرها في واشنطن منح الاهـتمام الكبـير بنظـرة المرشـح للرئاسـة نحـو إسرائيـل وخاصة إذا كان مرشحا نفسه لفترة رئاسية ثانية ليبرهن صداقته وتفهمه نحـو إسرائيـل وانـا شخصـيا كنـت امنح التقدير للمرشح الذي فعل شينا في السابق أكثر من التقير الذي امنحه للمرسح الذي يعـد بالعمـل في المستقبل ولو كان الامر في يدي لقمت «بتعيين» السناتور هنري جاكسون كـرئيس للولايـات المتحـدة ،فقـد كنت اكن له التقدير الكبير لانه كان يتحلى بصفات انسانية وليبرالية وبـاتزان سـياسي وذكـاء اسـتراتيجي في السياسـة العالميـة وكـان مـن اشـد المؤيـدين لإسرائيـل ولكـن جاكسـون لم يصـل ابـدا إلى مرتبـة المرشـح الديموقراطي للرئاسة ولهذا وجدت نفسي في حل من كيل المديح له حسب القيود التي تفرض عـلي كسـفير تابع لدولة اجنبية.

وعلى أي حال فانه لم ينفعني حذري وحـرصي عـلى الابتعـاد قـدر الامكـان عـن النشـاطات السياسـية الداخلية فبتـاريخ ١١ حزيـران ١٩٧٢ وفى خضـم الصراع بـين نيكسـون والسـناتور جـورج مـاكغفرن للفـوز بمنصب الرئاسة نشرت صحيفة واشنطن بوست نبأ لمراسلها في إسرائيل يوفال اليتسور جـاء فيـه بـان سـفير إسرائيل لدى واشنطن اسحق رابين قال انه يفضل انتخاب الرئيس نيكسون في الانتخابـات التـي سـتجري في تشرين الثاني القادم، واعتمد الصحفي اليتسور على مقابلة اجرتها معي الاذاعة الإسرائيلية وقد اعترفـت بمـا نسب الي من اقوال وقلت في تلك المقابلة انه لم يكن في تاريخ الولايات المتحدة رئـيس ادلى بـتصريح بعيـد

الاثر لصالح إسرائيل وأمنها كالرئيس نيكسون في الخطاب الذي القاه في الكونغرس فور عودته من موسكو وقلت أيضاً إن من واجب السفير العمل على زيادة المساعدة التي تحصل عليها بلاده والحصول من أجلها على اقصى قدر من الدعم من جانب مرشحي الرئاسة.

لقد هاجمتني صحيفة واشنطن بوست وقالت ان اقوالي تشكل تدخلا في شؤون الولايات المتحدة الداخلية واضافت بان تلك الاقوال ستثير اصدقاء إسرائيل في الحزب الديمقراطي الأمريكي كما ستثير اليهود الاعضاء في هذا الحزب أو ذاك وقالت الصحيفة ان هذه ليست المرة الاولى التي تحدث تصريحات رابين عاصفة في إسرائيل ووصفتني بالثور الهائج الذي ينطح بقرنيه، وعلى الفور توترت الاجواء وقامت صحف أمريكية مختلفة بنشر النبأ المثير وقالت ان السفير الإسرائيلي يتدخل في الانتخابات ويمنح تأييده للرئيس نيكسون لانه رئيس جيد من وجهة نظر إسرائيل.

لقد ادرك الديمقراطيون بان اتساع نطاق النشر سيعمل في غير صالحهم وان الاصداء الكثيرة ستؤدي إلى خلق شائعة مفادها ان السفير الإسرائيلي يتدخل في سير الانتخابات ويؤيد المرشح الجمهوري فقام رئيس الحزب الديموقراطي في الولايات المتحدة لورنس أو بريان باعلان تأييد لبياني العلني الذي قلت فيه بأنني لا اتدخل في الحملة الانتخابية مطلقا، أما الحزب الجمهوري فقد حقق ثمارا من وراء ذلك وقام بنشر النبأ الذي نشرته صحيفة واشنطن بوست في اوساط الناخبين الأمريكيين عامة وفي المراكز اليهودية ووزعه على نطاق واسع.

لكن صحيفة واشنطن بوست لم تتراجع عن موقفها وبتاريخ ١٥ حزيران نشرت مقالا افتتاحيا شديد اللهجة ضدي بعنوان الدبلوماسي الإسرائيلي عديم الدبلوماسية.

في حفل عشاء كبير من تنظيم صندوق التنمية الإسرائيلي بحضور ١٤٠٠ يهودي أمريكي استقبلني الحضور بالوقوف وبموجة عاصفة من التصفيق وكانت تلك فرصة مناسبة لتصويب الامور ووضعها في نصابها الصحيح وقلت:- منذ زمن بعيد لم اتمتع بشهرة بارزة في

وسائل الاعلام الأمريكية كالتي تمتعت بها في الآونة الاخيرة وان كل ما قلته في المقابلة مع الاذاعة الإسرائيلية كان بمثابة شكر للادراة الأمريكية ولاعضاء مجلسي الشيوخ والنواب من كلا الحزبين للمساعدات التي قدموما لإسرائيل وانني اكرر هذا «الجرم» على مسامعكم واقول انني اشكر الادارة الأمريكية واعضاء مجلسي الشيوخ والنواب من كلا الحزبين الذين ساعدوا إسرائيل، فدوت القاعة بالتصفيق ودل ذلك على ان اقوالى وجدت آذانا صاغية، ولكن ذلك لم يخفف من حدة موجة الهجمات ضدي وكان هناك اشخاص حاولوا تحريض ماكغفرن على نشر رسالة شديدة اللهجة ضدي في الصحف الأمريكية ولكنه رفض وارسل السناتوران جاكسون وسايمنغتون وهما من اكبر اصدقاء إسرائيل رسائل لرئيسة الوزراء غولدا مائير امتدحا فيها السفير الإسرائيلي في واشنطن وقرر جاكسون الاتصال هاتفيا برئيسة الوزراء ولم يهدأ الا عندما طلبت منه طرحه بأن لا يفعل ذلك لئلا تعتقد بأنك تفعل ذلك بناء على طلبي ولانقاذي من ورطة وقعت بها.

لقد استمر الجدل في الولايات المتحدة طيلة شهرين فقد كتبت الصحف واذاعت محطات الاذاعة والتلفزيون مواضيع كثيرة حول ما هو ممنوع وما هو مسموح بالنسبة للسفير وتساءلت وسائل الاعلام الأمريكية: اليس الأمريكي هو صاحب القرارات المصيرية التي تهم الدول الحليفة للولايات المتحدة فلماذا لا تبدي اهتماما بهوية الشخص الذي سيتولى منصب الرئاسة فيها؟!

وفى إسرائيل قام «اصدقائي» في وزارة الخارجية الإسرائيلية بصب الزيت على النار في محاولة منهم للاساءة الي في الداخل والخارج ولا ادري كيف كان سيؤثر انتخاب ماكغفرن على العلاقات الإسرائيلية - الأمريكية ولكنني علمت بأن مستقبلي كسفير لإسرائيل لدى واشنطن كان سينتهي بسرعة.

إن ريتشارد نيكسون لم ينتصر على ماكغفرن بفضل مساعدتي له ولكنني اليوم أيضاً ما كنت لاتردد في التصرف على النحو الذي تصرفت به من قبل لايماني بأن من حق إسرائيل

وسفرائها تقديم الشكر العلني للرئيس الأمريكي ووزراء حكومته واعضاء مجلسي الشيوخ والنواب على تأييدهم لإسرائيل ودعمهم لها وكان الرئيس يستحق الشكر بلا ادنى شك.

ليس من الضروري بالطبع ان يكون السفير الإسرائيلي في الولايات المتحدة رئيس اركان سابق أو ذا ماضي عسكري حافل ولكنني استطيع القول بشكل مؤكد بان خبرتي العسكرية ووصولي إلى العاصمة الأمريكية في أعقاب انتصار الجيش الإسرائيلي في حرب حزيران ١٩٦٧ منحتني مكانة خاصة في الجهاز السياسي الدبلوماسي في واشنطن استفادت منها إسرائيل كثيرا.

لقد حاولت التأكيد خلال عملي في واشنطن بأنه ليس من مصلحة الولايات المتحدة ان تكون إسرائيل قوية فحسب بل ان من مصلحة إسرائيل أيضاً ان تكون الولايات المتحدة قوية، وهكذا استجبت لتوسلات جنرال شهير في سلاح البحرية الأمريكية للمثول امام احدى لجان الكونغرس واقناع اعضائها بالموافقة على اقامة قاعدة للاسطول الأمريكي السادس في اليونان ووجدت ان مصلحة إسرائيل تقضي بتواجد أمريكي في المناطق القريبة من الشرق الاوسط فقلت لاعضاء اللجنة: انني ادرك تحفظاتكم ازاء النظام العسكري الحاكم في اليونان واذا استطعتم اقناع الادارة الأمريكية بتحويل حيفا إلى ميناء رئيس للاسطول السادس فهذا ممتاز واذا كنتم لا تستطيعون فارجوكم ان لا تعارضوا اقتراح الادارة، واقتنع الاعضاء باقوالى ووافقوا على اقامة قاعدة للاسطول السادس في اليونان.

لقد طلبت مني اوساط في الادارة الأمريكية اقناع اعضاء الكونغرس بعدم تقليص ميزانية اذاعة صوت امريكا التي تبث برامجها بلغة البيديش الموجهة ليهود الاتحاد السوفياتي، فاعتبرت ذلك قضية يهودية تبرر قيامى بمحاولة التأثير على اعضاء الكونغرس بصفتي سفيرا للدولة اليهودية.

في أحد أحاديثي مع الدكتور كسنجر في البيت الابيض(وكان ذلك في عام ١٩٧٢ قبل الهجوم الشامل الذي شنته فيتنام الشمالية على جنوبي فيتنام) فوجئت عندما عرض امامي

اماكن حشود القوات الأمريكية التي كانت معروفة لي من قبل وسألني: اين تعتقد سيهاجم الشماليون؟ فتريثت بعض الوقت للراسة والتأمل بينما جلس كسنجر يتفرس وجهي بصمت وبعد ان حللت الوضع اشرت إلى الاحتمال الذي رأيته متوقعا وقلت: سوف يهاجمون من هنا وهنا وفى هذا الاتجاه انتم غير اقوياء بما فيه الكفاية وسيحاولون تجاوزكم وتطويق قواتكم فقال كسنجر: هذا جدير بالاهتمام فانت الوحيد من بين جميع الجنرالات الذين سئلوا الذي يعتقد ذلك.

عندما بدأ الهجوم الشامل من جانب قوات فيتنام الشمالية كان فريق من الجنرالات يدرس الخرائط ويضع الدبابيس والخطوط عليها فدخل عليهم كسنجر وقال: هل تعلمون بان الجنرال الوحيد الذي قال بدقة ان هذا سيكون اتجاه الهجوم هو سفير إسرائيل في واشنطن؟

بناء على طلب وزارة الدفاع الأمريكية القيت محاضرات في جميع الكليات العسكرية المشهورة في الولايات المتحدة وحتى عندما كان موضوع المحاضرة عسكريا وعاما كنت أجد دائما الفرصة للتحدث عن اوضاع إسرائيل واحتياجاتها.

لقد كنت اتمتع ببعض التأثير لدى اعضاء في مجلس الشيوخ والنواب وكانت وزارة الدفاع الأمريكية تدرك هذه الحقيقة ولهذا السبب كانت تستشيرنى احيانا في قضايا أمريكية صرفة وعلى سبيل المثال طلب منى ابداء الرأي في الميزانية العسكرية الأمريكية وحول تطوير معدات حربية وحول فوائد طائرة معينة بالمقارنة مع طائرة أخرى في احدى المرات اجتمعت بفريق من اعضاء مجلس الشيوخ واطلعتهم على وجود فرق بين طائرة الفانتوم التي يستخدمها سلاح الجو الامريكى والطائرة التي يستخدمها الاسطول الامريكى فاصيب الحضور بالذهول لهذه المعلومات التي كانوا يجهلونها.

لقد غذيت الأمريكيين طيلة سنوات عديدة بمعلومات حيوية حول تجارب إسرائيل التي اكتسبتها في حروبها ضد معدات عسكرية سوفياتية ولم تكن معلوماتي ذات صبغة سياسية

فالاسلحة السوفياتية في يد الدول العربية استخدمت ضدنا وكلما كانت المعلومات التي زودناها للأمريكيين حول الاسلحة السوفياتية واسعة ومتنوعة كانت قدرة التكنولوجيا الأمريكية على ايجاد حلول لها كبيرة، وكانت من مصلحة إسرائيل الكبرى ان تعلم الولايات المتحدة بكافة اسرار الاسلحة السوفياتية لكى نحصل منها على السلاح الذي نريده وقد مكنتنى علاقاتى الوثيقة مع المؤسسات العسكرية الأمريكية من الحصول على اشياء فريدة من نوعها في مواضيع عديدة منها: التحليق في طائرة فانتوم بعد انتهاء الدورة الاولى لطياري الفانتوم الإسرائيليين وزيارة مواقع القيادة المقامة تحت الارض التابعة للقوات الاستراتيجية الجوية والتعرف عن كثب على جميع اجهزة الاتصال الموجودة في الغواصات النووية والصواريخ الضخمة وجميع هذه الامتيازات لا تمنح عادة لاي سفير اجنبي في واشنطن وبهذه الصفة المفضلة لدى الادارة الأمريكية استطعت تمثيل إسرائيل والتعبير عن احتياجاتها الامنية بشكل اعطى ثمارا ايجابية.

فى آذار ١٩٧٣ حان وقت الفراق وقمت بتوديع الاصدقاء المعديدين من كافة طبقات الشعب الامريكى اليهود وغير اليهود وساهمت أنا وزوجتى ليئا في الجناح الإسرائيلي في مركز كندي بواشنطن فقد ابلغنا مع كافة السفراء الاجانب في الولايات المتحدة بأنه يقام في واشنطن مركز يحمل اسم كندي وعرض علينا تقديم مساهمة يهودية لتخليد ذكرى الرئيس الراحل جون كندي فتحمست زوجنى ليئا للفكرة وجندت لمساعدتها صديقنا المهندس الإسرائيلي رافى بلومنفلد الذي طرح فكرة اقامة جناح إسرائيلي يمثل الموسيقى في التراث الإسرائيلي باشتراك فنانين إسرائيليين امثال شراغا فايل ويحزقئيل كمحي وغيرهما واصبح الجناح الإسرائيلي من اجمل الاجنحة في مركز كندي وابهر حوالى ٤ ملايين زائر أمريكي قاموا بزيارته في السنة الاولى لاقامته وقد قمنا بجمع الاموال لذلك من يهود واشنطن.

لقد ابتسمت غولدا مائير عندما «اقترح» عليها الرئيس نيكسون في الأول من آذار «ابقائي» في الولايات التحدة لانه بحاجة إلي - قال ذلك ولم يوضح فهل علمت رئيسة

الوزراء في تلك اللحظة ماذا ينتظرني بعد عودتي إلى إسرائيل؟ من المؤكد انها لم تستطع التنبؤ بأن حرب يوم الغفران ستنشب بعد سبعة اشهر وستؤدي إلى قلب الموازين كلها في إسرائيل.

لقد اعجبت باقتراح غولدا في ايلول ١٩٦٩ بان اشغل منصب وزير التربية والتعليم في الحكومة التي ستشكل بعد انتخابات تشرين الثاني من ذلك العام وعندما قلت لها بأنني لن اطلب منها شيئا إذا لم تستطع تنفيذ اقتراحها اجابت محتجه: انك لم تطلب مني اشغال منصب وزير وقد عرضت عليك بمبادرة مني لأنني اريد رؤيتك عضوا في الحكومة، و بناء على طلبها اجتمعت مع زلمان اران الذي شغل انذاك منصب وزير التربية والتعليم واجرينا حديثا مطولا.

لقد سارعت الصحف الإسرائيلية إلى القول بأنني سوف انضم بعد الانتخابات إلى الحكومة الإسرائيلية كوزير للتربية والتعليم وبعد الانتخابات نشرت الصحف نبأ جاء فيه انني غير مرشح لاشغال منصب في الحكومة وان منصب وزير التربية والتعليم سيشغله زميلى يجآل الون بينما ساذهب أنا إلى واشنطن لقد قرأت النبأ والتزمت جانب الصمت لاننى في الاصل لم اطلب أي منصب.

فى مرحلة متأخرة تلقيت رسالتين: الاولى من سيمحا دينتس رئيس مكتب رئيسة الوزراء حدثني فيها عن العقبات التي يواجهها تشكيل الحكومة الائتلافية وتوزيع الحقائب الوزارية وانه على الرغم من رغبة رئيسة الوزراء الشيدة في اسناد منصب وزاري لي فان ذلك يبدو مستحيلا.

أما الرسالة الثانية فقد كانت من يجآل الون وكتب لي باسهاب عن الوضع السياسي الذي نشأ في اعقاب الانتخابات واوضح لي سبب قبوله عرض رئيسة الوزراء له لاشغال منصب وزير التربية والتعليم.

فبعثت برسالة جوابية لسيمحا دينتس قلت فيها: لم اطلب ولم ابادر إلى طلب ضمني إلى الوزارة، وقلت في رسالة جوابية ليجآل الون إنني ابعث إليه بتمنياتي الحارة بصفته قائدي في البلماح وقلت انه يستحق المنصب والمنصب يستحقه.

لقد امتلات إسرائيل بالانباء حول تشكيل الحكومة ومـن هـم الاسـخاص الـذين ابـدوا اسـناد منصـب وزاري لي ومن هم الذين عارضوا، وافادت الانباء بان ابا ايبن كان من اشد معارضي تعييني وكان ذلك يعـود إلى موقفه مني طيلة السنوات الماضية.

إن المشاكل الملحة في واشـنطن والنشـاطات المكثفـة لم تـترك لي الوقـت الكـافى للتفكـير بالانضـمام إلى التشكيل الوزاري بناء على وعد غولدا مائير لي ولكن في منتصف عام ١٩٧١ وقبيل انتهاء ذلـك العـام اتضـح لي بأن هناك مثلا لتفضيل حاييم بارليف كعضو في الحكومة بعد اعتزاله الخدمـة العسـكرية في عـام ١٩٧٢ وفى تلك الفترة قام بنحاس سبير الذي كان يعتبر من كبار زعماء حزب العمل بزيارة واشـنطن وطلـب منـي ابداء الرأي في صديقي بارليف ولم اتردد في الاشادة به والتقدير لمواهبه.

خلال زيارتي لإسرائيل في حزيران ١٩٧١ قام سبير بمبادرة شخصية: ايجاد بـديل لي في واشـنطن وضـمي إلى الحكومة خلال شهر واحد قبل حاييم بـارليف وبـدىء البحـث عـن البـديل واسـتدعت رئيسـة الـوزراء العميد(الاحتياطي)اهـارون يريـف الـذي شـغل منصـب رئـيس شـعبة الاسـتخبارات في الجـيش الإسرائـيلي وعرضت عليه العمل كسفير في الولايات المتحدة ولكنه رفض بشدة وطرح اسـم ابيعيـزر شـلوش فاوصـيت بالموافقة عليه وايدتني رئيسة الوزراء وبدا تعييني كوزير للتطوير مضمونا ولكن الامور تباطـأت فارسـل لي سبير رسالة قال فيها: انـك لم تعمـل بمـا فيـه الكفايـة وكـان يجـب عليـك ان تغـادر واشـنطن وابقـاء قـائم بالاعمال هناك ووضع الجميع امام امر واقع ولو فعلت ذلك لاصبحت عضـوا في الحكومـة، فاجبتـه:- اننـي لن اغادر مهمتي في واشنطن قبل تأمين بيل لي وقبل ان تبلغني رئيسة الوزراء بان كل شيء اصبح جاهزا.

لقــد اســتمر لغــز تعيينــي بمنصــب وزاري بضــعة اشــهر وفى خريــف عــام ١٩٧١ وخــلال احــدى زيــاراتي لإسرائيــل وضــعت رئيســة الــوزراء حــدا للشــائعات وفى حــديث مطــول معــي في

منزلها اوضحت لي بأنها توصلت إلى قناعة بان المنصب في واشنطن حيوي الآن أكثر من أي منصب آخر كنت ساشغله في الحكومة وانها تطلب مني ان اوافق على البقاء في واشنطن حتى نهاية عام ١٩٧٢ فقلت لها:- انني موافق على كل قرار تتخذينه وكل ما هو افضل للدولة من وجهة نظرك سافعله. واتفقنا على ان ابقى في واشنطن حتى نهاية عام ١٩٧٢ وبعد ذلك سأعين كوزير في الحكومة.

و«كوزير مرتقب» وصلت إلى إسرائيل في صيف عام ١٩٧٢ فقامت رئيسة الوزراء بالتعاون مع يجآل الون ويسرائيل غليلى وبنحاس سبير بمهمة ابلاغي باستحالة تعييني كوزير إلى ما بعد الانتخابات العامة المقررة لشهر تشرين الأول ١٩٧٣ وقال احدهم:- هناك معارضة في الحزب لاشراكك في التشكيل الوزاري، ولم اجد صعوبة في التخمين بهوية الاشخاص المعارضين، واضاف: اذهب إلى واشنطن وعد إلى هنا قبل الانتخابات للمشاركة في الحملة الانتخابية فقلت: شكرا. لقد فهمت ولم يبق من الوعود سوى الوعود سواء في عام ١٩٦٩ أو ١٩٧١ أو ١٩٧٢، شكرا: انني اطلب مغادرة واشنطن وارجو ايجاد بديل لي وتحديد موعد لذلك الآن لم يكن لدي ادنى شك بأنني سأشق طريقي إلى الحكومة بالطريق السياسي الصعب بدون الاعتماد على الوعود التي يسهل التنكر لها.

عندما حدد موعد زيارة رئيسة الوزراء للاجتماع بالرئيس نيكسون اقترحت ان تنتهي مهمتي في واشنطن بعد انتهاء الزيارة وفى العاشر من آذار ١٩٧٣ عدت إلى إسرائيل كمواطن عادي بدون منصب ولا يدري ماذا يخبؤه له المستقبل لقد استقبلتني إسرائيل بفتور ولا مبالاة اذ كانت تعيش كدولة «ابتعد» عنها شبح الحرب.

بعد ذلك سافرت إلى جنوب افريقيا بتكليف من صندوق الجباية اليهودية وبهرني ترحيب السكان اليهود هناك واعجبت بثراء تلك البلاد وترددت في عقد اول اجتماع لي مع نظام التفرقة العنصرية وممارساته وعدت إلى إسرائيل وشعور قوي يتملكني بان برميل البارود لا بد ان ينفجر قريبا.

وفى إسرائيل بدأت الحملة الانتخابية واشتركت بها وحضرت اجتماعات لا حصر لها وتنقلت من مكان لآخر وتحدثت عن مواضيع خارجية وامنية وعن العلاقات مع الولايات المتحدة واطلعت على المشاكل الاجتماعية والاقتصادية التي تعاني منها إسرائيل وتعرفت على الحياة الحزبية وقادة الاحزاب في إسرائيل، وخلال نشاطاتي تلك عقدت علاقات جيدة وتعرفت على اتجاهات الرأي العام ولم اطلب وعدا من احد سواء للحصول على مكانة في قائمة الحزب للكنيست أو لضمي إلى الحكومة وكنت شديد الاعتماد على بنحاس سبير الذي عمل طيلة السنين أكثر من أي شخص آخر لادراجي ضمن قائمة الحزب للكنيست وتعييني كعضو في الحكومة وادركت بأنه لن يخيب أملي في هذه المرة وعندما عرضت قائمة المرشحين للكنيست اتضح لي بان اسمي ادرج في المرتبة الـ ٢٠.

الباب السابع

رئاســـة الـــوزارة

الفصل الأول

الحرب: تقرير لجنة اغرانات

يوم الغفران، السبت، السادس من تشرين الأول ١٩٧٣ صباحا، ورن جرس الهاتف: جميع رؤساء الاركان السابقين مدعوون للاجتماع بوزير الدفاع في الثالثة بعد الظهر غريب في يوم الغفران!! قبل ذلك بيوم واحد وصل ابني يوفال في اول اجازة سبت له من دورة ربابنة ولم يكد يدخل إلى البيت حتى استدعي للعودة إلى قاعدته وجاء صهري ابراهام بن ارتسي زوج ابنتي داليا وهو قائد سرية دبابات في لواء مرح في سيناء وعاد إلى وحدته؟! ماذا حدث؟! وتلقيت مكالمة هاتفية من يسرائيل غليلى وهو صديق حميم ورجل اكن له التقدير وفهمت من تلميحاته بأن الامر يتعلق بالحرب التي قد تنشب اليوم بالذات، وكان حديثه بمثابة الصاعقة في يوم صحو: كيف حدث ان نشبت الحرب؟ا لقد كنت منقطعا عن المعلومات فهل إسرائيل هي المبادرة في الحرب؟!.

فى الساعة الثانية بعد الظهر اطلقت صفارات الانذار واستمع رؤساء الاركان السابقون يجائيل يرين ومردخاي ماكليف وتسفي تسور وحاييم بارليف وانا إلى تقرير من وزير الدفاع موشه ديان في الساعة الثالثة بعد الظهر ولم تكشف تعابير الوجوه الصلبة عن قوة المفاجأة وفى طريقي عائدا إلى البيت توقفت قليلا في موقع القيادة العليا وتملكني شعور غريب عندما علمت بان حربا طاحنة تدور بينما أنا منقطع عنها تماما ولم يوجه إلى احد سؤالا ولم يطلب مني استشارة.

فى يوم الاحد ٧ - ١٠ - ٧٣ أي في اليوم الثاني للحرب انضمت إلى رئيس الاركان دافيد العازار - بموافقة وزير الدفاع وتوجهنا بالطائرة إلى موقع قيادة المنطقة الجنوبية في أم خشيبه، وكان الوضع هناك في غاية المعوبة فهناك خسائر جسيمة في الارواح والدبابات بعد ان اجتاز

المصريون قناة السويس واحتلوا مواقع وسيطروا عليها. فقرر دافيد العازار شن هجوم معاكس وان ينتقل تشكيل ابراهام ادان من الشمال إلى الجنوب ويهاجم من الجنوب إلى الشمال ويصد القوة المصرية إلى خط المياه وان يبقى تشكيل شارون في حالة انتظار في القطاع الاوسط ويظل في حالة تأهب لتنفيذ عملية مشابهة من الشمال إلى الجنوب باتجاه خليج السويس وسيشترط اشراكه بمدى النجاح الذي سيحققه تشكيل أدان وقرر العازار بقاء القوات التابعة لتشكيل البرت في مواقعها، وسألني العازار حول رأيي في الخطة فقلت له انني لا اعرف الوضع بشكل كاف ولكن الخطة معقولة وجيدة.

لم يشترك ارئيل شارون في الاجتماع اذ تأخر في الوصول ولكننا التقينا به ونحن في طريقنا إلى مهبط طائرات الهيلوكبتر وابلغه دافيد العازار بخططه فوافق عليها شارون على الفور.

فى اليوم التالي عدت إلى موقع القيادة العليا واستمعت إلى اول تقرير من جبهة السويس وعن النجاح الكبير الذي حققه الهجوم المعاكس ولم يكن لدى العازار سبب يجعله يشك في صحة التقارير وكان السؤال هو هل يجب اجتياز قناة السويس غربا خلف الجسر الذي اقامه المصريون وقام العازار باصدار اوامره لقائد المنطقة الجنوبية بالتصرف بعذر وضمان القضاء على الجيش المصري قبل اجتياز القناه.

لقد اثار يجائيل يدين على العازار بان يعلن نجاح الهجوم الإسرائيلي في الجنوب فقام العازار باستشارتي فقلت له اننا جميعا نعرف ضباب المعركة ومن الافضل ترك الامور تتضح فوافقني على رأيي.

بعد ذلك رافقت رئيس الاركان عندما توجه إلى الجبهة السورية واتضح له في الطريق بان تشكيل شارون لم ينتظر في مكانه كما كان متفقا عليه من قبل بل تحرك على جنازير الدبابات في المحور الخلفي من طاسة إلى اتجاه خليج السويس بهدف شن الهجوم من الجنوب أو من الشرق إلى الغرب وكانت الصورة غامضة للغاية.

عندما عدنا من الشمال اعلن العازار في مؤتمر صحفي قائلا: سوف نسحق عظام المصريين وفى ضوء الفشل في الجنوب كما اتضح ذلك فيما بعد فقد كانت عبارة نسحق » مبالغ فيها ولكن لو اعلن العازار عن «النجاحات» قبل توجهه إلى الشمال لكان قوله ينطوي على وصف لاحداث لم تكن ولم تحدث.

فى اليوم الرابع للحرب طلب مني بنحاس سبير ان اترأس مشروع فرض الطوارىء لتجنيد الاموال فاستجبت بدون حماس ظاهر فقد كان من الصعب على رئيس اركان سابق ان يتفرغ في الحرب لجمع الاموال فجلست في وزارة المالية في حالة اكتئاب وبذلت كل ما بوسعي ولم اشعر بالاهانة لتكليفي بمثل هذه المهمة ولكنني عارضت بشدة تسريح كبار القادة من مهامهم في خضم الحرب وتعيين قادة عليهم كانوا قد سرحوا من الخدمة وعملوا في الخدمة الاحتياطية واعتقدت بأن هذه أفضل طريقة لزعزعة الصلاحيات وتشويش اقنية القيادة ووضع الجهاز القيادي في حالة خطيرة من الحيرة والاحباط.

لقد استقبل الشعب الإسرائيلي بارتياح قرار وقف اطلاق النار بتاريخ ٢٢ تشرين الأول ١٩٧٣ وتوجه الشعب الذي اهتزت ثقته بنفسه إلى صناديق الاقتراع في نهاية شهر كانون الأول ١٩٧٣ وكان شعبا منهوك القوى يبكي ضحاياه ويجد صعوبة في استيعاب الاحداث وهضم مغزاها وتصرف برحمة ازاء حزب العمل ليس لانه مال إلى الصفح عنه وعن زعمائه واعفائهم من مسؤولية التقصير بل لانه بهر بسحر مؤتمر جنيف وتشبث بامكانية التوصل إلى السلام المنشود وبقدر ما خدم حزب العمل نفسه بعد ما اوشك على الانهيار بقبوله عقد مؤتمر جنيف فقد خدمه حزب الليكود لمعارضته الشديدة. لانعقاد المؤتمر ولم يرتكب أي حزب إسرائيلي خطأ فاحشا في تاريخه كالخطأ الذي ارتكبه حزب الليكود في شهري تشرين الثاني وكانون الأول ١٩٧٣، فقد زرع حزب العمل بذارا في ارض خصبة واثار في الشعب آمال السلام بواسطة مؤتمر جنيف ولكن حزب الليكود حاول تبديد الاوهام ولم يدرك بان الوهم هو سلاح سياسي عظيم الفعالية.

لقد خسر حزب العمل عدة مقاعد في الكنيست ولكنه فاز في الانتخابات بينما مؤتمر جنيف الذي عقد بتاريخ ٢١ كانون الأول أي قبل الانتخابات الإسرائيلية بتسعة ايام لم يحقق السلام في الشرق الاوسط ولكنه ابعد حزب الليكود عن احتمالات الوصول إلى الحكم.

إن الانتصار النسبي في الانتخابات لم يكن بمقدوره منع زعزعة الصلاحيات القيادية لزعماء حزب العمل والدولة فقد ادت إلى بروز تناقضات شخصية عميقة كانت في السابق خامدة والى ظهور حركات احتجاج اثارت الرأي العام ضد غولدا وموشه ديان وغيرهما وسيطرت الكآبة والحيرة على جلسات مركز حزب العمل وحلت محل الزهو والشعور بالانتصار والثقة بالنفس الذي كان مسيطرا على حزب العمل في العهود السابقة.

ما الذي دفع ديان وبيرس إلى الاعلان في البداية عن رفضهما اشغال منصب وزاري في الحكومة الجديدة برئاسة غولدا مائير والى التراجع عن هذا الرفض فيما بعد؟!. لقد تساءل الكثيرون مثلي ولكنهم لم يجدوا اجابة شافية، وقد فسرا رفضهما بقرار مؤسسات الحزب لتشكيل حكومة اقلية تعتمد على تأييد ٥٤ عضو كنيست تابعين للتجمع العمالى وكتل الاقلية التابعة له واربعة اعضاء الكنيست التابعين لحزب الاحرار المستقلين ولم تأل غولدا مائير جهدا للتراجع عن قرارها وعندما فشلت في تلك الجهود عرضت علي اشغال منصب وزير الدفاع في حكومتها وكنت في غاية السذاجه ولم أكن على علم بالحياة السياسية ولم اكن مطلعا على دسائسها ولم يكن عرض المنصب علي أكثر من التلويح بمنديل احمر امام ديان لاعادته إلى الحكومة وكانت غولدا قد حذرتنى بان ديان يبقى المرشح المفضل وقلت لغولدا انني اطلب بعد تعييني بالمنصب تعيين اهارون يريف بمنصب نائب وزير الدفاع.

لقد اقر مكتب حزب العمل وكتلته في الكنيست التشكيل الوزاري باغلبية كبيرة وكدت اوشك ان اصبح وزيرا للدفاع وخلال الجلسة بعث إلى ديان بطاقة ودية للغاية قال فيها: انه غير متحمس من التشكيل الوزاري وقاعدته البرلمانية ولكنه يهنؤني بمناسبة تعييني كوزير للدفاع وانه يعتقد بان تعيين جيد فشكرته، وتمادى ديان في اظهار الود نحوي وفي صبيحة

الخامس من آذار اتصل بي هاتفيا بمنزلى وسالني إذا كنت افضل ان يوقع هو على وثـائق معينـة أم ارغـب في تأخير التوقيع لكي اوقع عليها بنفسي بعد دخولى إلى وزارة الـدفاع، فاجبتـه: بـأنني لسـت وزيـرا للـدفاع بعد ولا اعمل في أي شأن من شؤون وزارة الدفاع: فقال: اسـمع، اننـي اعـرف السياسـة وسـوف يقـر مركـز الحزب اليوم تعيين جميع الوزراء وستكون انت وزيرا للدفاع.

وكما يعلم الجميع لم اصبح وزيرا للدفاع فلكي تضغط رئيسة الوزراء بشدة على ديان وبيرس تراجعـت عن اعتزامها عرض التشكيل الوزاري فثارت عاصفة في مركز حزب العمل وتحدثت أنـا أيضـاً وقلـت: يجـب علينا تقديم اجابات على ثلاثة اسئلة واضفت هل يجب تشكيل حكومة على الفور؟؟ لمـاذا نريـد الحكومـة ولاي هدف؟ وأي حكومة؟ ان واجبنا يحتم علينا ان نشكل حكومـة بـدون ابطـاء والا في أي حـق تسـتطيع التوجه إلى الشعب وطلب ثقته مرة أخرى؟ ان لنا طريقا جديدا وبرنامجا سياسـيا جيـدا والانتخابـات ليسـت لعبة ولكي نوقف التدهور الداخلى في الحزب يجب ان نشكل الحكومـة فـورا لأن هنـاك أمـلا في التقـدم نحـو السلام ولان حزب التجمع هو الحزب الوحيـد القـادر عـلى اغتنـام هـذه الفرصـة اننـا نريـد حكومـة يتزعمهـا التجمع العمالي ويجب الطلب من جميع الاعضاء الذين تريد رئيسة الـوزراء اشراكهـم في التشـكيل الحكـومي الموافقة على ذلك لتتمكن من عرض التشكيل الحكومي بلا ابطاء.

لقد استقبل الاعضاء اقوالى بالهتاف والتصفيق المتواصـل وقـال بعـض الخبثـاء بـان الهتافـات ادت إلى عودة ديان وبيرس إلى الحكومة وبررا عودتهما باسباب قومية لا استطيع الحكم عل صـحتها: فبعـد جلسـة مركـز الحـزب في الخـامس مـن آذار اجتمعـت لجنـة الخارجيـة والامـن التابعـة للكنيسـت واطلعـت عـلى معلومات مفادهما ان هناك نوايا سورية لاستئناف الحرب وكانت اللجنة قـد تلقـت في السـابق معلومـات مشابهة واتضح عدم صحتها.

في سـاعات متـأخرة مـن الليـل اجتمـع مجلـس الـوزراء ومـع اختتـام الجلسـة ابلـغ ديـان وبـيرس رئيسـة الـوزراء بأنـه بمناسـبة التطـورات الامنيـة الجيـدة يعلنـان انضـمامهما إلى الحكومـة فبكـت

غولدا من شدة السعادة وصرف النطر عن فكرة تعيينى بمنصب وزير الدفاع وكـان الاجـراء الـذي قـام بـه ديان وبيرس مشجعا للحزب الديني الوطني «المفدال»على الانضمام إلى الحكومـة الجديـدة وعنـدما عـرض التشكيل الوزاري في العاشر من آذار ١٩٧٤ وتم اقراره من قبل الكنيست ورثـت منصـب وزيـر العمـل مـن يوسف الموغى وكان اقل من المنصب الذي توقعته واكثر مما تمناه لي اصدقاء معينون.

لقد وجدت وزارة عمل منظمـة ومرتبـة تمامـا تعمـل في معالجـة قضـية حيويـة وهامـة وهـي اعـادة استيعاب عشرات الاف الجنود الاحتياطيين الـذين خـدموا فـترات طويلـة في الجـيش بسـبب انـدلاع حـرب اكتوبر ١٩٧٣ واندماجهم في الحياة المدنية وكان يوسف الموغي قـد وضـع اسـاليب وطـرق معالجـة قضـايا اولئك الجنود وبذلنا قدر استطاعتنا من اجل تحرير الجنـود العائـدين إلى بيـوتهم مـن قيـود البيروقراطيـة واعتبرت تقديم العون لهم اختبارا ادبيا للحكومة والدولة وعملت في هذا المجال بحماس ونشاط.

في احدى الامسيات استدعيت إلى منزل رئيسة الـوزراء وكـان هنـاك الـوزراء يسرائيـل غلـيلى وحـاييم بارليف واهارون يريف وجـرى تسـليمي التقريـر الجـزئي للجنـة اغرانـات، اللجنـة الحكوميـة التـي كلفـت بالتحقيق في احداث حرب اكتوبر وطلب مني تلاوته وفعلت ذلك بسرعة وبصـورة سـطحية وذهلـت فقـد حملت اللجنة المسؤولية كلها على المستوى العسكري بينما برأت ساحة المستوى السياسي وقالت غولدا انه على الرغم من المديح الذي يكيله التقرير لها ولا يحملها اية مسؤولية فانهـا تجـد صـعوبة في الاسـتمرار في اداء مهامها كرئيسة للوزراء فحاولنا اقناعها بان لا تستخلص اية نتائج وان لا تعلن استقالتها.

لم يكن هناك ادنش بان التقرير حسم مصير رئيس الاركان دافيـد العـازار وانـه لا بـد وان يضـطر إلى تقديم استقالته. وكانت غولدا تعيش في حالة اكتئاب عميق وبدا لي انها لم تحاول اخفاء اكتئابها فقد كانت تحب العازار وتعجب به لتصرفه في ايام الحرب وشاركها هذا الشعور جميع الوزراء الذين تواجـدوا آنـذاك في منزلها.

فى اليوم التالي وقبل موعد جلسة الحكومة استدعي دافيد العازار لمقابلة غولدا وسلمته تقرير لجنة اغرانات فاصيب بالذهول والحيرة وبعد ذلك طلب التحدث معي ومع عدد من الوزراء المقربين إلى قلبه.

لقد كان من الصعب على المرء وهو يرى العازار في محنته يتغلب على ألمه ويقول بجهد كبير: انني مضطر لتقديم الاستقالة وهذه نتيجة حتميه وفى ضوء توصيات التقرير لا استطيع البقاء بمنصب القائد الاعلى للجنود ولم احاول ابدا التهرب من مسؤوليتي عما حدث في الحرب الايجابي منها والسلبي ولكنني لا استطيع فهم وقبول شيء واحد وهو ان تلقى المسؤولية كلها على عاتقي وحدي وهذا أمر لا استطيع تفهمه ابدا.

فى جلسة الحكومة قرأ رئيس الاركان كتاب استقالته وخانه صوته وكان ذلك الموقف من أكثر المواقف حرجا التي شاهدتها في حياتي فرددت غولدا بعض العبارات الحارة تأييدا لالعازار وبعدها غادر العازار القاعة وخرج.

لم استطع السكوت أكثر من ذلك، فمنذ ان قرأت التقرير وتوصياته لاول مرة في منزل غولدا مائير وانا اشعر بعدم الارتياح اذ رأيت في التقرير محاولة خطيرة ومرفوضة لوضع معايير جديدة وغير مقبولة للعلاقات القائمة بين المستويين السياسي والعسكري، ولم يكن لتلك المعايير الجديدة مثيل منذ قيام الدولة لأن تحميل المسؤولية كلها على المستوى العسكري وتبرئة ساحة المستوى السياسي لا يلحق الغبن للمستوى العسكري فحسب بل ويزعزع صلاحيات الحكومة نحو المستوى العسكري وان تخليد هذه المعايير يحمل في طياته خطرا حقيقيا على أمن الدولة.

بعد خروج العازار من القاعة سألت وزير العدلية ما إذا كان من الممكن اعادة التقرير إلى لجنة اغرانات والقول لها: لم نتلق ردا على السؤال المتعلق بالعناصر المدنية ونرجو ان تكملوا عملكم؟ وقلت موضحا ان القرار الصادر بتاريخ ١٨ تشرين الثاني ١٩٧٣ حول تشكيل

اللجنة قد كلف اللجنة بدراسة التقديرات والقرارات التي اتخذتها الجهات العسكرية والسياسية حول المعلومات التي تلقتها الحكومة في الايام التي سبقت اندلاع الحرب. وفيما يتعلق بالمستوى العسكري فقد تلقينا من اللجنة اجابات على الاسئلة بينما لم نتلق اجابة تذكر حول مسؤولية المستوى السياسي، فعندما تنتهي الحرب بنجاح تتقاسم الحكومة والجيش مسؤولية النجاح وعندما يتعلق الامر بالفشل أو التقصير فان الجيش يظل يتيما وانا لا افهم هذا المنطق.

عندما ادليت باقوالي مال البعض إلى اتهامي بأنني اقصد المساس بموشه ديان علما بان الجانب المبدئي وليس الشخصي كان السبب الذي جعلني ادلى بما ادليت به من اراء لأنني اعتبرت ما حدث سابقة قانونية خطيرة وسوف يقول كل رئيس اركان في المستقبل لنفسه « انني اضع جميع المواد المتوفرة لدي على مائدة الحكومة مرفقة بتوصياتي وعندما توافق عليها تكون هي شريكة معي في المسؤولية ازاء التوصيات وازاء كل ما ينفذ بموجبها واي تقسيم آخر للصلاحيات بين المستوى العسكري والسياسي يلزم الأول ويعفي الثاني من المسؤولية هو تقسيم غير ممكن ويحمل في طياته مخاطر جسيمة للغاية واذا لم تكن هناك مسؤولية مشتركة بين الجانبين فانا كرئيس اركان وبما ان المسؤولية ستلقى على عاتقي سادير وحدي السياسة الخارجية والعسكرية للدولة لانه إذا لم تكن هناك مسؤولية مشتركة نحو النتائج فلا توجد أيضاً صلاحية مشتركة لاتخاذ القرارات بهذا رأيت الخطر الاكبر ولم تكن لي رغبة شخصية في الطعن باحد.

لقد اجابني وزير العدلية حاييم تسادوك على سؤالي في الحكومة وقال ان اللجنة ترفض ذلك ولا يستطيع احد ان يصدر لها الامر حول كيفية التصرف وجميع قرارات اللجنة تأخذ صفة الاحكام الصادرة عن المحكمة ولا تستطيع الحكومة الا ان توافق على التقرير والتوصيات بكاملها أو ترفضها بكاملها.

الحقيقة هي ان نفسي لم تهدأ حتى يومنا هذا ولو كنت رئيسا للوزراء لما تخيلت ابدا ان اتبنى المبدأ الذي ارتكزت عليه توصيات لجنة اغرانات حول التوزيع الظالم للمسؤولية بين

الحكومة المدنية وهيئة الاركان العامة للجيش الإسرائيلي، ولم اتوقف عن ترديد موقفي الوحيد المؤيد ضمان المسؤولية المشتركة والصلاحيات المشتركة وقلت انه في اللحظة التي توافق فيها الحكومة على توصيات المستوى العسكري فان الجانبين يتحملان المسؤولية معا ولا يمكن تحميل رئيس الاركان الدولية بمفرده ولو طلبنا منه ذلك لانهارت ثقته بالحكومة وتزعزعت ثقة القيادة العسكرية بالقيادة السياسية الامر الذي سيؤدي في النهاية إلى انهيار رضوخ المستوى العسكري للمستوى السياسي والانصياع لاوامره.

لقد احتاجت الحكومة التي ترأستها لتصحيح هذا الخطأ وقتا طويلا وقد شعرت دائما بمظاهر عدم الثقة من جانب رئيس الاركان الذي كان يقول في نفسه احيانا وعلانية احيانا أخرى بأنه إذا ما حدث شيء فانه سيبقى وحده متحملا المسؤولية كلها ولهذا فان الافضل له الادلاء بتصريحات علنية (مثلما فعل رئيس الاركان عشية زيارة الرئيس السادات للقدس) يعبر فيها عن تحفظاته أو تحذيراته من وقوع تطورات سلبية حتى لا يقال له فيما بعد: أنت مسؤول: اين كنت؟ لماذا لم تحذرنا؟.

فى اعقاب تقرير لجنة اغرانات عمل الجيش الإسرائيلي على ايجاد الذريعة لكل شيء: لتعاظم قوته ولتأهبه واستعداده لمواجهة مفاجأة محتمله، وبما ان لجنة اغرانات قد زعزعت القيم الرئيسة المتعلقة بالمسؤولية المشتركة فقد عكف رئيس الاركان على اعداد المرافعة سلفا لمواجهة أي طارىء وبذل جهدا متواصلا لتبديد هذه الشكوك من نفس المستوى العسكري نحو المستوى السياسي ولا استطيع القول بحزم ان هذه الشكوك قد تلاشت تماما ولم تترك بصماتها على الجيش الإسرائيلي.

مع مرور الزمن درست الاسلوب الذي اتبعته اللجنة في تحقيقها للجانب العسكري ولم استطع كيل المديح لها فقد تعلمنا في الجيس افضل الطرق وانجعها للتحقيق في حدث ما أو التطور أو الفشل أو عناصر النجاح وعندما كنت رئيسا للاركان اعتدت على دعوة جميع

الاشخاص المعنيين في الموضوع الذي جرى التحقيق حوله للحضور امامي ليدلى كل واحد منهم برأيه في الآخر قبل ان اتخذ القرارات واستخلص النتائج وللأسف الشديد لم تتصرف لجنة اغرانات على هذا النحو فاخطأت هدفها.

لقد كانت النطرية الاستخبارية للجنة مشوهة واستمدتها من «الآثار القديمة» التي تبنتها في سنوات الستين لجنة «يدين وشيرف» وقررت تعيين مستشار لرئيس الوزراء لشؤون الاستخبارات وهو القرار الذي عادت لجنة اغرانات وتبنته على الرغم من ذلك القرار الذي اتخذ في الستينات وكاد ان يدمر الاجهزة الاستخبارية.

عندها توليت منصب رئيس الوزراء لم اعين مستشارا لي لشؤون الاستخبارات الا في اواخر عهدي وذلك لكي انفذ توصية اللجنة التي اقرتها الحكومة، كذلك رئيس الوزراء مناحم بيغن قد برهن في العام الأول لتوليه رئاسة الحكومة على الاقل بأنه ليس بحاجة لخدمات مستشار لشؤون الاستخبارات اذ لم تكن به حاجة لأنه لا يستطيع احد ان يحل محل الاستخبارات العسكرية كعنصر رئيس منسق ويحمل مسؤولية تقدير الوضع العسكري والتحذير من وقوع خطر الحرب وكل من يحاول استبدال هذا الوضع بتعيين مستشار الاستخبارات فانه يذر الرماد في العيون ويؤكد مدى جهله بالحقائق.

لا توجد الآن وسيله مؤكدة لمنع امكانية الوقوع في المفاجأة ولا يجب ترسيخ امن إسرائيل ووجودها على فرضية خاطئة بان من الممكن منع خطر المفاجأة بل على القدرة على الانتصار في الحرب حتى لو كانت مراحلها الاولى مفاجئة.

لقد نشرت علاقات من الصداقة بيني وبين العازار في الاوقات العصيبة التي مرت عليه بعد استقالته وحتى وفاته وكان قد قال لي في احد احاديثنا: لقد سفكوا دمي وانا كنت الرجل الذي طالب بالتعبئة العامة ولكن طلبي لم يستجب وبعد ذلك اتهمتنى اللجنة بأنني أخرت التعبئة المحدودة لمدة ساعتين ولم اتصور في جميع مراحل مناقشات اللجنة ان يصدر إلي مثل

هذا الاتهام الباطل، انني لا اتهم موشه ديان ولكنني لا اقبل ابدا تحميلي المسؤولية كلها ولا استطيع التسليم بهذا التشويه للحقائق، انني اعيش في أزمة ولا استطيع التحرر منها لقد اعتمدت اللجنة في قراراها ضدي على معلومات تلقتها من العميد الثاني اريه بار أون ولم تعتمد على وقائع دقيقة لحديثي مع وزير الدفاع ولو كنت اعلم بان اللجنة ستتهمني باعاقة التعبنة لطالبت بتقديم البروتوكول الكامل للحديث الذي دار بين وزير الدفاع و بيني.

إنني استطيع القول من خلال تجربتى الشخصية بأنني اكتشفت مع مرور الزمن بان اقوال العميد الثاني بار اون لم تكن دقيقة وعلى الرغم من عدم وجود امكانية للقول بشكل جازم انه لو كان تشكيل لجنة اغرانات مختلفا لما وقعت في الخطأ الفاحش الذي برأت فيه المستوى السياسى وحملت المسؤولية كلها على المستوى العسكري فانني لا استطيع تحرير نفسى من واجب القول انه لو كانت اللجنة مشكلة من اعضاء آخرين لما حدث ما حدث.

انني لم اشك في نزاهة حاييم لاسكوف العضو في لجنة التحقيق ولكن كان يجب استبعاده من عضوية اللجنة لكونه خاضعا من الناحية الرسمية لوزير الدفاع ولهذا فقد كانت مواقفه متأثرة بذلك كذلك لا اشك في استقامة يجائيل يدين ولكن شخصا مثله الذي اعترف علنا وبمباهاه بأنه هو الذي اقنع ليفي اشكول رئيس الوزراء بتعيين موشه ديان كوزير للدفاع عشية حرب حزيران ١٩٧٦ كان يجب استبعاده من عضوية اللجنة التي كان مقررا لها ان تبحث في مواضيع تتعلق بالمستويات المدنية بما فيها موشه ديان. اما القاضي بارطوف الذي عمل سكرتيرا للجنة اغرانات فقد عمل بحسن نية وليس لدي ادنى شك في ذلك ولكن لكونه شقيقا لحاييم يسرائيلى رئيس مكتب وزير الدفاع الذي اعد جميع المواد التي قدمها ديان للجنة فقد كان يجب استبعاده من العمل كسكرتير للجنة اغرانات اما قضاة المحكمة العليا الرئيس اغرانات والقاضي لانداو ومراقب الدولة نيفنشال فقد كانوا يستحقون العضوية في اللجنة حتى لو تأثروا كثيرا بآراء رئيسي اركان سابقين في اللجنة لانهما يفتقران إلى الخبرة

والمعرفة بالامور العسكرية وانا لا اقول ان جميع اعضاء اللجنة كان يجب ان يكونوا من ذوي الخبرة العسكرية بشكل صرف.

الفصل الثاني

في الطريق إلى رئاسة الحكومة

بعد شهر من ترؤسها الحكومة الإسرائيلية الجديدة بتاريخ ١١ نيسان ١٩٧٤ قررت غولدا مائير تقـديم استقالتها ولست مخولا صلاحية ذكر الأسباب التي دعتها إلى اتخاذ قرارها، لقد ادركت الوفود والشخصيات التي اجتمعت بها لاقناعها بالعدول عن قرارها بانها مصممة في هذه المـرة عـلى عـدم التراجـع الأمـر الـذي جعل الحزب يعيش في حمى الصراعـات الداخليـة العنيفـة، بـدا للكثـيرين بـان بنحـاس سـبير هـو المرشـح الطبيعي لرئاسة الحكومة اذ كان يتمتع بنفوذ كبير داخل الحزب ولو شاء الوصول إلى المنصب لتم له ذلـك بدون ادنى شك وعندما اعلن سبير بأنه لن يوافـق عـلى تـرؤس الحكومـة اعتقـد الكثـيرون بأنـه سـيقبل في النهاية وسيستجيب لنداء الحزب له ولكن شمعون بيرس كـان مـن اوائـل المـؤمنين بـان سـبير سـيصر عـلى موقفه الرافض والدليل على ذلك ان بيرس بدأ يمهد الطريق لكسب المؤيدين له قبل ان يتخلى الجميع عـن الامل في اقناع سبير، وربما كان سبير يتوقع من غولدا مائير ان تطلب منه قبـول المنصـب لـكي يعلـن قبولـه ولكنها لم تفعل ذلك.

دعاني بيرس لتناول طعام الغداء في احد مطاعم القدس وتحدث معي بلطـف ظـاهر وقـال:- في نهايـة الامر سنكون انت وانا المنافسان على رئاسة الحكومة فهيا نتعلم من تجربة رفاقنا القـدامى، فـديان والـون تصارعا مع بعضهما البعض وانهكا قواهما ولم يفوزا برئاسة الحكومة، فتعـال نعقـد بيننـا اتفـاق الجنـتلمن بأن نخوض منافسة شريفة (مع مرور الزمن تعلمت ماذا تعني المنافسة الشريفة لدى بيرس وما هي قيمـة كلماته) واذا انتصر احدنا فيجب على الثاني ان يقبل بالامر ويعمل تحت امرته، لقد كنت اعرف بـيرس مـن بيرس طباعه وصفاته ولم اصدق اية كلمة تفوه بها وقررت في قرارة نفسي انـه إذا مـا انتخـب بـيرس لـترؤس

الحكومة لن تطأ قدمي اعتاب تلك الحكومة، فاجبته بتحفظ: لنتنافس واذا تنافسنا فليكن ذلك بصورة شريفة والذي يخسر ينصاع للفائز.

لقد دار هذا الحديث بيننا وما زالت الجهود تبذل لاقناع سبير ولم يكن واضحا بعد هل سيستمر في رفضه أم سيرضخ في النهاية ويوافق على ترؤس الحكومة. في منتصف شهر نيسان اجريت حديثا مطولا مع سبير في مكتبه بوزارة الالية بتل ابيب وقلت له:- لقد نشأ وضع في غاية الصعوبة وانت تتمتع بقاعدة قوية في الحزب ومعظم الاعضاء يرغبون في ان تترأس الحكومة وانا أزيد ذلك ولم اعلن حتى الآن رغبتي في المنافسة على المنصب لاعتقادي بأنني مضطر لسماع رايك النهائي: هل تنوي قبول المنصب أم لا؟ فرد علي سبير قائلا:- لو خيروني بين ترؤس الحكومة والقفز من الطابق العاشر لفضلت القفز وانا اعلم بان اصدقاء كثيرين لا يصدقونني ولا زالوا يرسلون الوفود لاقناعي وانا ابلغك يا اسحق بأنني اقول الصدق واقول بشكل نهائي:لن اصبح رئيسا للوزراء، رشح نفسك وانا ساؤيدك !.

لقد ادركت بان من الممكن الاعتماد على وعد سبير وعلى الرغم من ذلك فقد طلبت منه ان يعيد النطر في موقفه الرافض وان يوافق على تولي المنصب وبعد يومين، في صبيحة يوم السبت توجهت إلى منزل سبير في كفار سابا وكان هناك يوسي سريد وكرر سبير امامنا موقفه الرافض.

وبدأت المنافسة وكنت «جيدا» في الحزب ولم يساعدني على سد الفجوة الزمنية لوجودي في الحزب سوى تأييد سبير ورفاقه لي وبدأت المنافسة قبل اسبوع فقط من موعد الانتخابات في مركز حزب العمل وكان التشاؤم مسيطرا على أكثر الناس قربا منى اذ لم اكن على اطلاع واسع على ما يجري داخل الحزب ولم اكن اعرف النشيطين فيه واخذت الشكوك تراودني لأنني لم ادخل الكنيست كعضو الا في شهر كانون الثاني ولم اصبح وزيرا الا في شهر آذار وها أنا في نيسان انافس على رئاسة الحكومة وتساءلت في قرارة نفسي:- هل أنا مهيأ لذلك؟ لم

تكن لدي شكوك حول كفائتي العسكرية والسياسية ولكن هل سأحطى بتأييد الحزب لي؟ وهل سيكون الحزب دعامة لي؟.

لقد قال لي الاصدقاء: إذا لم تنافس فلن يكون ممكنا كبح جماح بيرس وانت الوحيد القادر على التغلب عليه ربما كان هذا السبب الذي رجح الكفة لدي لاعلن ترشيح نفسي للمنصب لأنني كنت انظر بخطورة بالغة نحو امكانية ترؤس بيرس حكومة من قبل حزب العمل ولم استطع التسليم بهذا الاحتمال ربما لأنني انتمي إلى جيل اطلق عليه اسم «موديل ٤٨ » أي جيل حرب الاستقلال ورأيت ان من العيب الاخلاقي ان يعرض حزب العمل اكبر منصب سياسي في إسرائيل لمرشح لم يرتد الزي العسكري في حياته.

لم يكن في إسرائيل رئيس وزراء حتى ذلك الحين لم يرتد الزي العسكري في حينه. فدافيد بن غوريون وليفي اشكول خدما في الكتيبة اليهودية كتعبير عن المشاركة الفعلية في نضال الشعب اليهودي وغولدا مائير احتجت لعدم تجنيد فتيات في الكتيبة اليهودية وعبرت عن احتجاجها على ذلك التمييز بكل ما لديها من قوة وموشه شاريت جند في الجيش العثماني واعتبر ذلك واجبا ليهودي يعيش في فلسطين تحت الحكم العثماني.

لقد وضع حزب العمل جدول اولويات اهمها: ان رئيس الوزراء يتحمل المسؤولية العليا نحو القضايا المصيرية للشعب كقضايا الحرب والسلام وكنت اعتقد بان الرجل الذي لم يبد استعدادا لخدمة الشعب كجندي يشارك في جميع الحروب التي يخوضها ليس له الحق في حمل هذه المسؤولية وعندما كان مصير إسرائيل الجديدة يتأرجح على كفة ميزان في حرب الاستقلال عام ١٩٤٨ وعاش الشعب في محنة قاسية ناجمة عن النقص في الطاقة البشرية لم يرتد شمعون بيرس الزي العسكري وانا لا اتحدث عن الجانب القانونى أو الجانب الرسمى بل اتحدث عن تحقيق الذات الناجم عن الوعي بأنه ليس من حقك مطالبة الغير بأن يفعل ما لست انت مستعد لعمله بنفسك.

لقد كشف النقاش الذي دار في جلسة مركز حزب العمل في يوم ٢١ نيسان ١٩٧٤ مظاهر قاسية من الارتباك والتناقضات الشخصية والخلافات بين الفئات المختلفة وبحث المركز ثلاثة اقتراحات هي: بذل جهد لتشكيل حكومة جيدة لا تترأسها غولدا مائير وعدم تحديد موعد لانتخابات مبكرة وانتخاب مرشح لرئاسة الحكومة ومحاولة تشكيل حكومة جديدة مع القيام بمبادرة لاجراء انتخابات مبكرة في عام ١٩٧٤ ، وعدم القيام بمحاولة لتشكيل حكومة جديدة وعبرت الزعامة القديمة لحزب العمل عن موقفها الذي يفضل بان تعمل حكومة غولدا مائير كحكومة انتقالية وان لا يحاول الحزب تشكيل حكومة جيدة الا بعد الانتخابات المبكرة وبعد نقاش عاصف ووفق على الاقتراح الداعي إلى بذل جهد لتشكيل حكومة جديدة بدون اتخاذ أي قرار حول تقديم موعد الانتخابات العامة وايد هذا الاقتراح ٢٨٣ عضوا وعارضه ١٧٠ عضوا ولم يرق القرار للزعامة القديمة.

وبسبب ضغط الوقت فقد قرر المركز العودة إلى الاجتماع في غداة اليوم التالي بتاريخ ٢٢ نيسان لانتخاب مرشح الحزب لرئاسة الحكومة وفى تلك الجلسة اتخذ سبير موقفا مناقضا لوعده لي بتقديم الدعم الانتخابي كمرشح الحزب لرئاسة الحكومة وقال في الجلسة: لا أمل لاحد بتشكيل الحكومة وانه اعتمد في قوله هذا على محادثات اجراها مع رؤساء الاحزاب المرشحة للانضمام إلى الائتلاف الحكومي وكان قول سبير معبرا عن قناعته بأنه يؤيد مرشحا ليس له أمل في تشكيل الحكومة.

عشية انعقاد جلسة مركز حزب العمل للحسم بينى وبين بيرس القى «الدكتور» عيزر وايزمن المعروف الآن كوزير الدفاع «قنبلته الكبرى» حيث وصف بطريقته الخاصة الاحداث التي جرت بتاريخ ٢٣ أيار ١٩٦٧ عشية حرب حزيران وبالغ في قصة انهياري آنذاك وكان توقيت نشر القصة يدل على نية وايزمن وتذكرت آنذاك بما كان يفاخر به وايزمن باستمرار ويقول:- لست عضوا في حزب مباي ولكنني صديق لشمعون بيرس، وتساءلت في نفسى: هل عمل هذه المرة بتكليف من بيرس؟ الم يكن وايزمن مؤيدا لبيرس طيلة خدمته كنائب

لوزير الدفاع ولم يتردد عن اتباع شتى الطرق لتجاوز صلاحيات رئيس الاركان وهل يقدم الآن خدمة متواضعة لبيرس الذي حدثنى عن المنافسة الشريفة لكى يحصل على ثمن هذه الخدمة من بيرس المنتصر؟!

بتاريخ ٢٢ نيسان ١٩٧٤ عقدت جلسة مركز حزب العمل ووضعت جميع الترتيبات سلفا واوصى كل من مئير زارمي وعوزي برعام وبنحاس سبير بانتخابي بينما اشاد اسحق نافون ويسرائيل غرانيت وميخا حريش بمواهب شمعون بيرس وجرى تصويت سري وايدني ٢٩٨ عضوا وايد بيرس ٢٥٤ عضوا وانتخبت كمرشح الحزب لرئاسة الحكومة وعلى الرغم من ساعات المساء المتأخرة فقد تدفقت على منزلي باقات الورود والوفود المهنئة والمكالمات الهاتفية وشكرت الجميع بتأثر بالغ وقلت للمقربين مني:- لم اكن اتصور ان اصل إلى هذه المكانة الرفيعة في الظروف العصيبة التي اعقبت حرب يوم الغفران والهزة العنيفة التي اصابت صفوف الزعامة القديمة في الحزب.

فى غضون ذلك كانت الولايات المتحدة تستعجل الامور وبينما كنت منهمكا في رأب الصدع بين شركائ الائتلاف الحكومي وتشكيل الحكومة الجديدة كان هنري كسنجر يعمل على التوفيق بين المواقف المتباينة بين سوريا وإسرائيل وعلى تحقيق تسوية فصل قوات بين الدولتين وامرت غولدا مئير بضمي أنا وشمعون بيرس إلى الوفد الإسرائيلي المفاوض وعلى الرغم من الفشل الذي مني به بيرس في المواجهة معي فقد تمتع بيرس بمكانة رفيعة لدى غوالد مائير وقد كان أكثر شيء ازعجني هو الاستعجال الذي فرضه كسنجر ووضعه في جدول اعماله وكان يقوم برحلات مكوكية متواصلة ولم يترك لي وقتا كافيا لاستكمال المفاوضات لتشكيل الحكومة الائتلافية برئاستي.

لقد واجهت مصاعب كبيرة في طريقي ففي حزب المتدينين الوطنيين(المفدال) تزايد نفوذ الشبان بزعامة زبولون هامر ويهودا بن مئير الذين يتبعون مواقف مشابهة لحزب الليكود

وجرت مظاهرات صاخبة ضد تقديم تنازلات لكسنجر والسوريين وكانت الاجواء ملبدة بالغيوم وصفة الاعتدال التي لازمتني استخدمت من قبل الشبان في حزب المتدينين الوطنيين سلاحا في صراعهم ضد زعماء الحزب القدامى.

بتاريخ ١٥ أيار وقع حادث مؤلم غطى على جميع الاحداث المتعلقة بتشكيل الائتلاف الحكومي فقد سيطر الفدائيون الفلسطينيون على احدى مدارس معالوت واحتجزوا عشرات الاولاد من ابناء صفد كرهاتن وهددوا بقتلهم إذا لم تستجب مطالبهم التي تتلخص بالافراج عن الفدائيين المعتقلين في إسرائيل واصبحت الحكومة الإسرائيلية مطالبة باتخاذ القرار الرهيب اما الاستجابة لمطالب الفدائيين أو تهديد حياة الاولاد المحتجزين بالخطر بالقيام بعمل عسكري لانقاذهم وعقدت الحكومة اجتماعا استغرق طيلة يوم الأحد وكان موقفي كموقف غالبية اعضاء الحكومة وهو: الدخول في مفاوضات مع الفدائيين وعدم المجازفة بحياة الاولاد أما في اجتماع لجنة الخارجية والأمن التابعة للكنيست فقد صوت مناحم بيغن وارئيل شارون إلى جانب الاغلبية التي ايدت هذا القرار ولكن الاتصالات مع الفدائيين تعرقلت وفى لحظة معينة تزايدت المخاوف بان ينتحر الفدائيون ويفجروا انفسهم مع رهائنهم وفي هذه اللحظة لم يكن هناك بد من القيام بعمل عسكري وكان الثمن رهيبا اذ اسفرت العملية عن سقوط ٢٤ قتيلا إسرائيليا بما فيهم ابناء عائلة إسرائيلية في معالوت كانوا قد قتلوا في الليل اثناء تسلل الفدائيين إلى البلدة وخيم على إسرائيل حزن عميق.

بتاريخ ١٩ أيار ١٩٧٤ وبعد نقاش مطول وشاق اقر مركز العمل اقتراح لجنة المفاوضات الائتلافية الداعي إلى تشكيل حكومة تعتمد على تأييد ٦١ عضوا في الكنيست باشتراك حزب الاحرار المستقلين وحركة حقوق المواطن(راتس) وابقى القرار الباب مفتوحا امام الحزب الديني الوطنى ودعاه للانضمام إلى الائتلاف الحكومي بعد ذلك حان الوقت لمواجهة المشاكل المتعلقة بتشكيل الحكومة وتوزيع الحقائب الوزارية ولا يتمتع رئيس

الحكومة في إسرائيل بحق اختيار الوزراء الـذين سيصـبحون وزراء في حكومتـه وان هـذا الحـق تتمتـع بـه الاحزاب المشتركة في الائتلاف الحكومي بدون التشاور مع رئيس الحكومة.

لقد اعتبرت يجآل الون الذي كـان مـن خـيرة القـادة الإسرائيليـين ابـان حـرب ١٩٤٨ المرشـح المناسـب لاشغال منصب وزير الدفاع ولم اجد في شمعون بيرس الصفات التي تؤهله لاغال منصب وزير الـدفاع لانـه كان يفتقر إلى الخبرة العسكرية وان كل خبرته في هذا المجال كانت تنحصر في مجال المشـتريات العسـكرية ولكن الاختيار لم يكن في يدي ولم يكن هناك ادنى شك بأنه إذا لم يعين بيرس بمنصب وزير الدفاع فـان كتلـة رافى سابقا لن تؤيد الحكومة وستؤدي إلى اسقاطها وبعـد مشـاورات مـع بنحـاس سـبير وغـيره مـن اعضـاء الحزب رضخت وسلمت حقيبة وزارة الدفاع لشمعون بيرس وسوف انـدم عـلى ذلـك وسـوف ادفـع الـثمن غاليا لهذا الخطأ.

لم تكن «حسابات شخصية» هي التي جعلتنى احرم ابا ايبن من منصـب وزيـر الخارجيـة بـل قنـاعتي بان إسرائيل بحاجة لوزير خارجية جيد بعد أن عمل ابا ايـبن بهـذا المنصـب طيلـة تسـعة اعـوام وعرضـت المنصب على يجآل الون بالإضافة إلى منصبه كنائب لرئيس الوزراء وهو المنصـب الـذي شـغله في حكـومتي اشكول وغولدا مائير وبصفته قائدي وصديقى فقد اعتقدت بأن ليس من المناسـب حرمانـه منصـب نائـب رئيس الوزراء.

لقد عرضت على ابا ايبن منصب وزير الاعلام واستاء من هذا الوضع عدد من زعماء حـزب مبـاي القـدامى فهم لم يعتبروني من اعضاء مباي ولم يرق لهـم ان يكـون الثـالوث الـرئيس في الحكومـة - رئـيس الـوزراء ووزيـر الدفاع ووزير الخارجية - من خارج حزب مباي التاريخي والحوا علي بـأن يعـين ابـا ايـبن بمنصـب نائـب رئـيس الوزراء على الاقل ولكنني رفضت.

لقـد شـعر ابـا ايـبن بالامانـة عنـدما عرضـت عليـه منصـب وزيـر الاعـلام واعتقـد انـه اخطـأ في ذلــك لانــه كــان طيلــة الســنوات التــي عمــل فيهــا كــوزير للخارجيــة يعمــل في ايضــاح سياســة

الآخرين ولم يكن صاحب الفكر السياسي وقد لمست ذلك خلال عملى كسفير لإسرائيل لـدى واشـنطن فقـد كانت مهمة ابا ايبن السياسية محدودة جدا ولم يكن له دور كبير في بلورة السياسة الإسرائيليـة التـي كانـت تضعها رئيسة الوزراء بالتعاون مع وزير الدفاع موشه ديان والتشاور مع وزراء آخرين، ولكن تحـت ضـغط اعضاء قدامى في حزب مباي توجهت إلى منزل ابا ايبن في القدس وطلبت منه الانضمام إلى الحكومة ولكنـه رفض بشدة ولم اقدر آنذاك كفاءته السياسية ولم يتغير رأيي فيه حتى يومنـا هـذا ولم يكـن وجـود ابـا ايـبن خارج الحكومة سببا في التقليل من قيمتها.

لقد واجهت مشكلة في ايجاد الشخص المناسب لتولى منصب وزير الماليـة لأن بنحـاس سـبير قـد قـرر بشكل نهائي عدم اشغال هذا المنصب وقد حاولت اقناعه وبـذلت كـل جهـد ممكـن ولكـن عبثـا ووجدتـه مصمما على الوصول إلى منصب رئيس الادارة الصهيونية والوكالة اليهودية. لقد بحثنا عن وزير للمالية بعد أن اوصى سبير باختيار احد شخصين للمنصب هما:- يعقوب ليفنسون مدير عام بنـك العـمال. وآشر يـدلين رئيس مركز كوبات حوليم (صندوق المرضى).

لقد حذرني البعض من ليفنسون بالقول انه لا يبدي تسامحا ازاء أي رأي يعارض رأيه وانه يتهرب مـن النقاش الجماهيري الذي يطلب منه فيه الدفاع عن مواقفه ولكنني اعتبرته المرشـح الأول للمنصـب بسـبب خبرته وفهمه للمشاكل الاقتصادية ولكنه رفض ولم ينجح سبير في اقناعه بالموافقة على تـولي المنصـب وقبـل عرض الحكومة امام الكنيست بيومين يئست من امكانية اقناعـه وتوقفـت عـن بـذل الجهـود ليعـدل عـن موقفه.

امـا ترشـيح اشر يـدلين للمنصـب فلـم اتحمـس لـه وكـان لا بـد مـن تقـديم التشـكيل الـوزاري امـام الكنيسـت ولـيس هنـاك وزيـر للماليـة فعرضـت المنصـب عـلى حـاييم بـارليف فـرفض وعرضـته عـلى حــاييم جفــاتي فــرفض أيضــاً وقبــل تقــديم الحكومــة للكنيســت بيــوم واحــد وقــع الاختيــار عــلى

يهوشواع ربينوفيتش ولكنه رفض ربما لادراكه بان كل من سيشغل هذا المنصب لا بد له من الوقوع في مواجهة مع بنحاس سبير حول الطرق والاساليب الادارية وربما أيضاً ان يعود سبب رفضه إلى اعتقاده بان الحكومة برئاستي لن تعمر طويلا لانها لن تواجه معارضة كبيرة فحسب بل وتتهددها مخاطر من الداخل برئاسة الاشخاص الذين لم يشتركوا بعضويتها.

اخيرا نجح بنحاس سبير في اقناع يهوشواع ربينوفيتش بالموافقة على اشغال منصب وزير المالية في حكومتي الائتلافية. لقد احتج اعضاء قدامى في الحزب على قراري بتعيين ابراهام عوفر بمنصب وزير الاسكان ولكنني كنت أومن بالرجل وقدرته الكبيرة في مجال الاسكان ولم يخيب أملي.

في الثالث من حزيران ١٩٧٤ اقرت الكنيست التشكيل الوزاري واصبحت رئيسا للحكومة الإسرائيلية بعد ١٥ شهرا من انهائي مهام منصبي كسفير لإسرائيل في واشنطن ولا يوجد وجه للشبه بين شعور المرشح لرئاسة الحكومة وشعور رئيس الحكومة فقد كان شعوري بعد تشكيل الحكومة مثقلا بجسامة المسؤولية نحو الشعب المثخن بجراح أكتوبر (تشرين أول) والذي انهارت ثقته بزعمائه وحكومته.

لقد رسمت لنفسي خطوطا واهدافا وهي: اتفاق فصل القوات مع مصر الذي كان قيد التنفيذ والاتفاق مع سوريا الذي جرى توقيعه بتاريخ ٣١ ايار ١٩٧٤ قد ساهما في تثبيت اتفاق وقف اطلاق النار في الجبهتين ولم يكن احد يشك بان هذين اتفاقين محدودا الأمد فقد اعتقد كسنجر الذي كان سببا في التوصل إلى الاتفاقين بان الاتفاق مع مصر يمكن ان يستمر عاما واحدا اما الاتفاق مع سوريا فانه يتوقع استمراره ستة اشهر(وقد خاب توقعه هذا كما اتضح فيما بعد).

لقد اردت ضمان استمرار المفاوضات السياسية ووضع طرق لتطورها ليس كالمتهافتين على المبادرات الخارجية، الأمريكية أو العربية بل كواضعي الاهداف حسب ما تراها إسرائيل

مناسبة لهاء سواء عن طريق التوصل إلى السـلام الشـامل أو عقـد اتفاقيـات مرحليـة أخـرى تخلـق واقعـا سلميا وتحسن من امكانيات تحقيقه.

لقد دعت الحاجة إلى بذل جهد كبير لتعزيز قوة الجيش الإسرائيلي الـذي تضرر نتيجـة لحـرب اكتـوبر عن طريق الحصول على اكبر كمية ممكنـة مـن الاسـلحة الأمريكيـة وبأقـل فـترة ممكنـه لأن قـوة الجـيش الإسرائيلي وحدها قادرة على اقناع الزعماء العرب بأنه لا طريق امامهم سوى طريـق المفاوضـات السياسـية لم يكن كافيا ان نقنع الادارة الأمريكية بان تبيع لإسرائيل الاسلحة التي تحتاجها لأن إسرائيل لم تكـن تمتلـك القدرة المالية لتمويل احتياجاتها الامر الذي حتم علينـا مطالبـة الولايـات المتحـدة بتخصـيص مبـالغ ماليـة كبيرة عدا مبلغ ٢,٢ مليار دولار الذي خصصته كدفعة لمرة واحدة بعد حرب اكتوبر(تشرين أول). في نفـس الوقت ادى النجاح الذي حققه الفـدائيون في هجماتهـم عـلى كريـات شـمونا ومعـالوت إلى ضرورة اتخـاذ اجراءات خاصة لمكافحة الارهاب.

أما في المجال الاقتصادي فقد كانت إسرائيل تلعـق جـراح الحـرب وكـان لا بـد مـن بـذل جهـد هائـل لانقاذها من محنتها.

اما في مجال الهجرة إلى إسرائيل فقد كانت في الحضـيض واصـبح اليهـود في الخـارج يفضـلون التوجـه إلى أي مكان في العالم عدا إسرائيل وفى خطابي الذي القيتـه في الكنيسـت اثنـاء تقـديمي التشـكيل الـوزاري قلت ان جيراننا وضعوا عقبتين في طريق السلام: المطالبة بتعهد إسرائـيلي بالانسـحاب الشـامل إلى خطـوط الرابع من حزيران ١٩٦٧ كشرط مسبق لاي مفاوضات ومعارضة أي مفاوضات مبـاشرة بـين الجـانبين في أي مرحلة من مراحل المفاوضات وقد ادت حرب اكتوبر إلى حدوث تغـير في موقـف جيراننـا وقـد سـاعد هـذا التغيير على التوصل إلى اتفاقيات فصل القوات وسـوف تسـتمر إسرائيـل في السـعي للتوصـل إلى اتفاقيـات سـلام بـين الشـعوب تتضـمن ايجـاد حـدود مفتوحـة تـتم عبرهـا الاتصـالات والعلاقـات في جميـع نـواحي

الحياة ويجب علينا ان نكون متيقظين واذا اتضح بان من غير الممكن التوصل إلى سلام كهذا والانتقال من حالة الحرب إلى السلام فيجب علينا ان نبحث عن طرق أخرى للتقدم نحو السلام على مراحل بواسطة الاتفاقيات الجزئية التي تضمن الهدوء على الحدود وتقلص خطر الحرب وتمنحنا فرصة لدراسة نوايا الدول العربية وهل هي تسعى للسلام أم للحرب وأضفت:

لقد جاء في الاتفاقين مع مصر وسوريا بان الاتفاق هو مرحلة نحو تحقيق السلام العادل والدائم وان الحكومة سوف تدرس بصورة جذرية طريقة تنفيذ الاتفاقين في جانبهما العسكري بالمحافظة على وقف اطلاق النار وتنفيذ البند المتعلق بتقليص حجم القوات واهم من ذلك كله يجب علينا مراقبة نوايا مصر بشأن اعادة بناء مدن قناة السويس واعادة تأهيلها بالسكان واعادة فتح قناة السويس في وجه الملاحة الدولية، كما يجب ان نراقب تصرفات سوريا وهل ستعيد السكان السوريين إلى القنيطرة والقرى المحيطة بها لتعيد إليها طابعها المدني الهادىء؟ واذا ما اتضح بان سوريا ومصر تعملان على تنفيذ الاتفاقين بدقة نصا وروحا فسوف تزداد فرص استمرار مفاوضات السلام، وقلت « لقد ثبت منذ قيام إسرائيل بان مفتاح السلام والحرب في الشرق الاوسط موجود لدى مصر كبرى الدول العربية ولم تنشب حرب بين الدول العربية وإسرائيل بدون موافقة مصر على وقفها ويجب ان تكون المرحلة القادمة في طريق السلام اجراء مفاوضات بين مصر وإسرائيل وان من الممكن التقدم في احد الطريقين التاليين:- سلام كامل وشامل بين مصر وإسرائيل أو مرحلة أخرى كتسوية جزئية تتخلى مصر بموجبها عن حالة الحرب القائمة بينها وبين إسرائيل.

«وبالمقابل فانه لا مجال لتسوية مرحلية أخرى مع سوريا واذا حققنا تقدما آخر مع مصر فسوف تعود الحاجة إلى دراسة مدى استعداد سوريا للتوقيع على معاهدة سلام مع إسرائيل وأضفت:

«يجب على زعماء الدول العربية ان يدركوا بأن من حق إسرائيل الحصول على حدود يمكن الدفاع عنها ولهذا فاننا حتى في إطار معاهدات السلام لا نستطيع الانسحاب إلى

خطوط الرابع من حزيران التي لا يمكن الدفاع عنها وتشجيع العدوان علينا مثلما تأكد ذلك في السابق».

«اننا نسعى لتحقيق السلام مع الاردن بحيث يعتمد على وجود دولتين مستقلتين: إسرائيل وعاصمتها القدس الموحدة ودولة عربية شرقي إسرائيل ويمكن ان يجد العرب الفلسطينيون والاردنيون في الدولة الفلسطينية التعبير عن هويتهم السياسية مع اقامة حسن جوار مع إسرائيل وان إسرائيل ترفض رفضا قاطعا اقامة دولة عربية أخرى مستقلة بينها وبين الاردن في غربي النهر».

ان هذه هي الخطوط السياسية التي عملت بموجبها الحكومة التي ترأستها طيلة ثلاث سنوات وبعد اقل من اسبوعين من تشكيلها استعدت الحكومة لحدث سياسي فريد من نوعه ولاول مرة في تاريخ إسرائيل يستعد رئيس أمريكي لزيارتها وحدد يوم ١٦ حزيران كموعد لهذه الزيارة.

لقد كانت فضيحة ووترغيت قد هددت آنذاك المستقبل السياسي للرئيس نيكسون لقد كانت سياسته في الشرق الاوسط بواسطة الدكتور هنري كسنجر قد منحته فرصة غير عادية لاحداث تغيير في الاستراتيجية العالمية وذلك باعادة النفوذ في الشرق الاوسط إلى الولايات المتحدة التي قامت بدور وحيد في التوصل إلى الاتفاقين مع سوريا ومصر وتثبيت دعائم وقف اطلاق النار. ولكي يجني ثمار نجاحه فقد قرر زيارة المنطقة وكان يأمل من وراء ذلك تخفيف حدة الغضب في الاوساط السياسية الأمريكية لدوره في فضيحة ووترغيت ولكن أمله قد خاب وقضي على مستقبله السياسي بسبب سلسلة من الاخطاء. لقد سبقت زيارة نيكسون للمنطقة زيارة قام بها سكرتير الامم التحدة كورت فالدهايم الذي جاء بعد عرض حكومتي امام الكنيست بيومين وبحثنا معه سلسلة من المواضيع المتعلقة بقوات الامم المتحدة في سيناء والجولان واشدت امامه بكفاءة الجنرال سيلاسفو قائد قوات الامم المتحدة في الشرق الاوسط الذي ادى مهامه بامانة واخلاص.

قبيل زيارة الـرئيس نيكسـون قمنـا بتحضـير «الواجبـات المنزليـة» كـما وكيفـا واهمهـا مطالبـة الادارة الأمريكية بتزويد إسرائيل بالاسـلحة لتعزيـز قـوة الجـيش الإسرائـيلي وامـدادها بالمسـاعدات الماليـة لـدعم الاقتصاد الإسرائيلي.

الفصل الثالث

نيكسون يزور إسرائيل

بتاريخ ١٦ حزيران هبطت طائرة الرئيس نيكسون في مطار بن غوريون باللد ورحب - الرئيس افرايم كتسير بالرئيس الضيف وتحدث الرئيس نيكسون عن العلاقات الخاصة القائمة بين الولايات المتحدة وإسرائيل وفي الطريق إلى القدس هتفت الجماهير الإسرائيلية للرئيس الأمريكي ه- الصديق المخلص لإسرائيل ولكننا لم نستطع منافسة جماهير الشعب المصري التي هتفت للرئيس واعتقد بان الرئيس نيكسون ادرك الفرق: ففي إسرائيل كانت تلك هتافات عفوية بينما كانت في مصر هتافات منظمة ولم يستطع الرئيس اخفاء تأثره الكبير حيث كان يشعر بالمهانة ازاء شعبه الذي ادار له ظهره وكانت الهتافات بمثابة تعويض لكرامته التي اهرت وعاش لحظات من السعادة وهو في طريقه إلى القدس وفي شوارع المدينة وقال للرئيس كتسير ولى وهو في السيارة: شكرا، شكرا، لن انسى ذلك... انهم يعلمون ماذا فعلت من أجل إسرائيل.

لقد كان مريحا اجراء محادثات مع الرئيس في فندق الملك داوود بالقدس الذي اقمت فيه أيضاً عندما اتضح بأن مقر رئيس الوزراء بالقدس يحتاج إلى صيانة تقدر تكاليفها حوالى نصف مليون ليرة وفضلت نقل مكان اقامة رئيس الززراء في منزل وزير الخارجية بالقدس ولكن ابا ايبن تلكأ ثلاثة اشهر كاملة إلى ان اخلى المنزل ولذا وجدت نفسي مضطرا للاقامة في فندق الملك داوود.

لقد عقدنا اول اجتماع بالرئيس نيكسون في الساعة الرابعة والنصف بعد الظهر وشكرته باسم الشعب الإسرائيلي لزيارته ولكل ما فعله من اجل إسرائيل ابان حرب اكتوبر وبعدها وقلت: خلال عملى كسفير لدولتي في واشنطن قدرت عملك ياسيدي الرئيس في مجال تغيير

العلاقات مع الصين وسياسة الوفاق مع الاتحاد السوفياتي، وكإسرائيلي فانني اشكرك على صداقتك لإسرائيل وعلى قرارك الجريء بتزوينا في اوج الحرب بالاسلحة بواسطة طائرات النقل الأمريكية واننا نستقبلك في إسرائيل كصيق مخلص.

لقد استعرضت على مسامع الرئيس سياسة إسرائيل واهدافها وقلت: ان الاتفاقيات المعقودة مع مصر وسوريا بمساعدة الولايات المتحدة وبفضل مساعيها الحميدة تعطي اساسا للامل بامكانية استمرار المفاوضات للسلام التي نرغب بها من كل قلوبنا لأن السلام هو اكبر احلامنا ونحن لا نريد تخليد الوضع الراهن وسندرس نوايا جيراننا حسب الاسلوب الذي سيتبعونه في تنفيذ اتفاقيات الفصل بين القوات من الناحيتين العسكرية والمدنية وقد وجدنا اول دلائل ايجابية لدى مصر وهي تنفيذ التزاماتها العسكرية وبدأت باعادة تعمير من القناة ونحن نولي أهمية بالغة للاعمار المدني لأن الذي يستعد للحرب لا يبني مدن القناة ولا يبذل جهودا لاعادة فتح قناة السويس في وجه الملاحة اما بالنسبة لسوريا فان في قلوبنا شكوكا عديدة على الرغم من ان من السابق لاوانه استخلاص النتائج واتخاذ القرارات حول نواياها ويبدو لنا ان الخطوة السياسية القادمة يجب ان تكون على شكل مفاوضات بين مصر وإسرائيل ولا تستطيع هذه الخطوة الاكتفاء بانسحاب عسكري إسرائيلي فقط قمنا بتثبيت وقف اطلاق النار بواسطة اتفاقيات الفصل بين القوات والآن جاء دور مرحلة المفاوضات وهي ذات طابع سياسي وان الاتفاق التالي الذي لا يتضمن عنصرا سياسيا هاما لن يكون خطوة جيدة في طريق السلام » وقلت: ان المنظمات الفلسطينية تسعى للقضاء على إسرائيل ولاتعتبرها شريكا في المفاوضات وقلت للرئيس نيكسون» قبل ايام قليلة من وصولك الينا تسلل فدائيون من منظمة جبريل إلى كيبوتس لهافوت مبشان واحتجزوا رهائن من ابناء الكيبوتس ووضعوهم بداخل احد المباني فقام فريق من ابناء الكيبوتمس بمهاجمة المبنى والقضاء على الفدائيين واسفر الحادث عن مقتل امرأتين كانتا من بين الرهائن وكانت احداهما زوجة قائد عملية الهجوم الذي اسفر عن قتل الفدائيين.

لم يستطع الرئيس الأمريكي اخفاء تأثره واضفت قائلا ان إسرائيل بحاجة إلى المزيد من الاسلحة فقد قام الاتحاد السوفياتي بتسليح سوريا ومصر واعاد إلى جيشيهما القوة العسكرية التي تمتعا بها في السابق.

لقد وصفت امام الرئيس الضائقة التي تعيشها الجاليات اليهودية في الاتحاد السوفياتي وسوريا والملاحقة التي تتعرض لها هناك واعربت عن استغرابي للتصريح الذي ادلى به الرئيس اثناء زيارته لمصر وقال فيه ان الولايات المتحدة ستزود مصر بمفاعلين نوويين وستزود إسرائيل بمفاعلين آخرين وطلبت منه ان يطلعنا على انطباعاته من زياراته للدول العربية.

وفى اليوم التال عدنا إلى الاجتماع مرة أخرى واستعرض الرئيس نيكسون الاوضاع السياسية الدولية وقال: انه على الرغم من ان الوفاق الدولى بين الدولتين العظميين ليس متكاملا فانه يجب الاستمرار في العمل به اذ بدون الوفاق ما كنت لاستطيع اتخاذ القرار بشأن ارسال شحنات من الاسلحة إلى إسرائيل في اوج حرب اكتوبر وما كنت لاستطيع منع السوفييت من التدخل المتزايد في الحرب وخاصة في مراحلها الأخيرة.

لقد اعرب الرئيس عن أسفه بأن الكونغرس ارغمه على حرمان الاتحاد السوفياتي من صفة الدولة المفضلة في التعامل التجاري مع الولايات المتحدة وألحق بذلك ضررا كبيرا لسياسة الوفاق وقال انه لا يعتقد بان هذا الاجراء الذي اتخذه الكونغرس سيزيد من هجرة اليهود السوفيات إلى إسرائيل.

واضاف: لو انني اشترطت موافقة الولايات المتحدة على تزويدكم بالاسلة مقابل الموافقة على مواقفنا التي لا توافقون عليها لاستنكرتم ذلك ولطالبتم بعدم الربط بين الموضوعين فلماذا تعتقدون بان الاتحاد السوفياتي - الدولة العظمى الحساسة جدا لكرامتها- ستسمح باي تدخل في شؤونها مقابل الحصول على تسهيلات تجارية من الولايات المتحدة بقيمة ٣٠٠ مليون دولار سنويا؟!.

بعد ذلك انتقل الرئيس للحديث حول الشرق الاوسط وقال: يجب عدم خلق وضع يشعر الاتحاد السوفياتي فيه بأنه لا يقوم باي دور تماما بل يجب اجراء اتصالات معينة معه وقد سررت كثيرا عندما اكتشفت في مصر وسوريا بان حكامهما يفضلون الولايات المتحدة على الاتحاد السوفياتي كعنصر رئيس يتولى معالجة المسيرة السياسية في الشرق الاوسط وانا ارى في هذا املا لتحقيق اهداف استراتيجية أمريكية يشتمل على تحسين العلاقات مع دول عربية كانت حتى الآن تقع في دائرة النفوذ السوفياتي.

لقد خرج الرئيس نيكسون بانطباع من مصر بانها- أي مصر - ترغب في السير نحو الحل السياسي على الرغم من مواقفها ازاء التسوية الشاملة لم تتغير وانها مستعدة للسلام حسب تفسيرها أي الانسحاب الشامل والتام إلى خطوط الرابع من حزيران ١٩٦٧، وقال نيكسون ان انطباعه هو ان مصر لم تعد تؤمن بالحل العسكري وانها متلهفه للتطور الاقتصادي وتحسين المستوى المعيشي للسكان وانه اكتشف نوايا مشابهة ولكن اقل بروزا لدى سوريا ايضا.

لقد اوضح الرئيس نيكسون الشكل الذي يجب ان تكون عليه السياسية الأمريكية وقال:- يجب الاستمرار في تعزيز قوة إسرائيل وهذا ليس التزاما ادبيا وسياسيا من جانب الولايات المتحدة بل ان إسرائيل القوية القادرة على الدفاع عن نفسها هي العنصر القادر على التفاوض مع العرب حول احلال السلام وقد فعلت الشيء الكثير في هذا الاتجاه وانني انوي الوفاء بالالتزامات التي قطعتها على نفسي في اعقاب التوقيع على اتفاقيات الفصل بين القوات(بين إسرائيل وبين كل من مصر وسوريا) ومع ذلك وبكل الصدق اقول ان السلاح وحده لا يحل أي مشكلة وان أي محاولة لابقاء الوضع على ما هو عليه الآن لا بد وان تعيد التوتر إلى المنطقة وانا اعلم بأنه يوجد اشخاص في إسرائيل والولايات المتحدة يفضلون رؤية الشرق الاوسط منقسما إلى قسمين واضحين وصريحين: إسرائيل كجزء من العالم الغربي التي تتلقى الدعم من الولايات المتحدة ومعظم الدول العربية تخضع للحماية السوفياتية وتتلقى الدعم من الاتحاد السوفياتي وهذا تقسيم لا يمكن ان يكون مقبولا لدى الولايات المتحدة

لأن سياستها تعود إلى الوصول إلى تحسن العلاقات مع جميع دول المنطقة بدون ان تتأثر علاقاتها مع إسرائيل وايضا بدون اعتبار إسرائيل الصديقة الوحيدة للولايات المتحدة في المنطقة.

وقال: ان الاتحاد السوفياتي غير معني بازالة التوتر من منطقة الشرق الاوسط لأن التوتر المستمر يشكل اساسا للوجود السوفياتي وان الحل الذي يريده السوفييت هو الذي يستطيعون فرضه على المنطقة ووفق الشروط التي يقبل بها العرب وان الولايات المتحدة لا توافق على مثل هذا الحل.

لقد تحدث الرئيس نيكسون باسلوب مثير حول اجتماع استغرق اربع ساعات ونصف عقده مع الزعيم السوفياتي دوبرنين ودار البحث فيه حول قضايا الشرق الاوسط وقال: لقد ابدى السوفييت استعدادا كبيرا للتوصل إلى تفاهم تام مع الأمريكيين حول فرض الحل على اطراف النزاع في الشرق الاوسط ولكن الولايات المتحدة رفضت هذا الحل بشدة ومرة أخرى كرر الرئيس نيكسون الحديث حول التزام الولايات المتحدة نحو إسرائيل وقال: ان مصلحة إسرائيل والولايات المتحدة وكافة شعوب المنطقة تقتضي التقدم نحو الحل السلمي ونحن لم نحمل معنا افكارا مبلورة بل جئت للاستماع إلى افكاركم وسنعود إلى المنطقة لدراسة افكار أكثر تبلورا.

فشعرت بالارتياح واعتقدت باننا سنحتاج إلى فترة زمنية لدراسة نتائج اتفاقيات الفصل بين القوات قبل ان نبلور افكارا جديدة لمواصلة مسيرة المفاوضات ووعدني الرئيس بان لا تقوم الولايات المتحدة باي اجراء بدون تنسيق مسبق مع إسرائيل وكان ذلك وعدا كبير الأهمية بالنسبة لنا.

لقد اثرت امام الرئيس موضوع المفاعلات النووية التي وعد الرئيس نيكسون بتزويد مصر بها وقلت ان ذلك قد اثار إسرائيل بشدة لأن مثل هذه المفاعلات قد تنشىء قاعدة تخلق

الامكانيات لمختلف الاتجاهات وهذا يحمل مخاطر جسيمة بالنسبة لإسرائيل واذا كانت مصر تسعى للسلام فلماذا هي بحاجة للمفاعلات النووية؟ ان جميع النفط العربي موضوع تحت تصرفها فما الذي يدفعها لطلب مفاعلات نووية الا إذا كانت ترغب في اقامة بنية يحظر عليها اقامتها؟.

فابتسم نيكسون وقال ان إسرائيل ستكون على ما يرام وسوف تتطور ونحن نعلم كم انتم متفوقون في هذا المجال فهيا نكون صادقين مع بعضنا البعض ان لدينا اتفاقيات كهذه مع ٢٨ دولة وتكمن المشكلة في ضمان منع تسرب مواد مشعة لاستخدامها في اهداف محظورة ونحن نعرف كيف نراقب المفاعلات النووية التي نزودها للآخرين ولا توجد دول كثيرة تحسن مراقبة المفاعلات مثلنا والدول الاوروبية لا تحسن المراقبة ولهذا فان مخاوفكم ليس لها ما يبررها.

خلال الحديث اعرب وزير الدفاع عن مخاوفه من التعاون النووي القائم بين مصر والهند ولكن كسنجر طمأنه قائلا: اننا نعرف ماذا يجري في الهند وليس لدى الهند أي نية لنشر معلوماتها النووية واعطائها لدول أخرى.

لقد دار حديث ودي بين الرئيسين نيكسون وكتسير في منزل الرئيس الإسرائيلي بالقدس كما دار حديث مثير بين الرئيس الأمريكي ورئيسة الوزراء السابقة غولدا مائير واقام الرئيس كتسير حفل عشاء على شرف الرئيس الأمريكي القى فيه الرئيس نيكسون خطابا مكتوبا تحدث فيه عن الالتزام بمساعدة إسرائيل وقال انه إذا كان الهدف هو السعي للسلام فانه يتوجب على إسرائيل ان تتخذ قرارات صعبة ومؤلمة.

فى اليوم التالي برهن الرئيس الأمريكي على تمتعه بقدرة كبيرة على الاستماع: فقد تحدث معه وزير الدفاع ورئيس الاركان بشكل مطول ومسهب حول توازن القوى في الشرق الاوسط وطالبا بتسليح إسرائيل بموجب خطة متعددة السنوات تبلغ عشر سنوات – حسب

ما وعدت به إسرائيل في اعقاب اتفاقية الفصل بين القوات مـع مصر وقـال رئـيس الاركـان ان الـدول العربية تمتلك دبابات وطائرات أكثر مما تملكه دول حلف شمال الأطلسي في اوروبا.

لقد اصغى الرئيس نيكسون بصبر واهتمام حتى عنـدما عـرض وزيـر الماليـة الإسرائـيلي عـلى مسـامعه اوضاع إسرائيل الاقتصادية الصعبة واحتياجاتها وقـال ان إسرائيـل بحاجـة لمسـاعدات قيمتهـا مليـارا دولار سنويا على الاقل - مليار ونصف كمساعدات عسكرية ونصـف مليـار دولار كمسـاعدات اقتصـادية بحيـث تكون معظم المساعدات كمنحة.

ان نيكسون لم يحسن الاستماع فحسب بل وتوجيه الاسئلة أيضـاً في كافـة المواضـيع وجميـع المجـالات مثل: مم نجمت معظم الخسائر التي مني بها سلاح الجو الإسرائيلي في حرب اكتـوبر؟ مـم نجمـت معظـم الخسائر للروح الإسرائيلية؟ كيف تتخيلون معنويات الجيسش الإسرائيلي حاليا بالمقارنة مـع معنوياتـه ابـان حرب حزيران ١٩٦٧؟ ما هو توازن القوى الذي ترونه معقولا بينكم وبين دول المواجهـة؟ ومـا هيـي القـوه التي تتوقعونها من جيوش الدول العربية التي ليست من ضمن دول المواجهة؟.

كذلك ابدى الرئيس الأمريكي اهتماما بالقضايا الاقتصادية الإسرائيلية كالصناعة والتنميـة والاسـتثمارات والاجور ومستوى المعيشة والتوفير وغيرهـا مـن المواضـيع وقـال نيكسـون: ان الاتجـاه السـائد في الولايـات المتحدة يميل حاليا إلى تقليص المساعدات الخارجية وان الكونغرس يزيد تقديم مساعدات لإسرائيل ولكنني اعتقد من الناحية التكتيكيـة ان مـن الخطـأ بالنسـبة لإسرائيـل ان تتوجـه إلى الشـعب الأمـريكي ومطالبتـه بعشرين مليار دولار كمساعدات لعشر سنوات لأن الشعب الأمريكي سيتخوف من هذا المبلغ الكبـير ومـن الالتزام نحو إسرائيل لمدة عشر سنوات وانتم تعلمون بأنه ليس من حـق الـرئيس الأمـريكي المصـادقة عـلى منح الاموال وان هذا الحق من اختصاص الكونغرس الذي يسن قانون الموازنة السنوي مرة كل عام وسـوف ابذل كل ما بوسعي خلال فترة العامين ونصف العام التـي بقيـت لي كـرئيس للولايـات المتحـدة للاسـتجابة لمطالبكم.

لف كانت تلك الصيغة الوحيدة التي يحق للرئيس الأمريكي التعهد بشأنها وهي ان يمنح الدعم للمطالب الإسرائيلية ويوصي الكونغرس بالاستجابة لها وفعلا هكذا تعهد الرئيس نيكسون في رسالته التي بعث بها لرئيسة الوزراء غولدا مائير في اعقاب اتفاقية الفصل بين القوات مع مصر وان كل محاولة لتفسير ذلك كالتزام رئاسي تام بالاستجابة لجميع المطالب الإسرائيلية كما فعلت ذلك وزارة الدفاع الإسرائيلية في مراحل متأخرة كانت تدل على جهل مطبق بالوسائل التشريعية في الولايات التحدة.

قبيل انتهاء الحديث طلب الرئيس نيكسون ان نبقى وحدنا، في البداية هو وانا وبعد ذلك أنضم الينا كسنجر وألون واتفقنا مبدئيا على صيغة البيان المشترك الذي سيصدر في انتهاء زيارته بحيث يتضمن: استمرار المساعدات الاقتصادية والعسكرية الأمريكية لإسرائيل ومواصلة إسرائيل جهودها لدفع المسيرة السياسية إلى الامام وقيام وزير الدفاع الإسرائيلي بزيارة الولايات المتحدة حاملا معه قائمة مفصلة بالاسلحة التي تحتاجها إسرائيل على المدى القصير والطويل وقيام الدولتين ببلورة افكار استعدادا لاستئناف النشاطات السياسية في آب - أيلول ١٩٧٤.

بينما كانت اصداء زيارة الرئيس نيكسون لإسرائيل تتردد في الاجواء طلب حزبا الليكود والمتدينين الوطني (المفدال) حجب الثقة عن الحكومة الإسرائيلية وكان ذلك اول اختبار للحكومة ولي: وكان النقاش في الكنيست عاصفا وحاولت المعارضة عبثا العثور على عيوب وهمية في العلاقات الأمريكية - الإسرائيلية وسقط اقتراح حجب الثقة وتزايد في نفسي الشعور بعدم الثقة ازاء المعارضة ليس لانها حاولت اسقاط الحكومة بل لانها استخدمت مبررات سخيفة ازاء موضوع حاسم من الناحية القومية.

لقد كان اشتراكي في مؤتمر الزعماء الاشتراكيين في انجلترا بتاريخ ٣٠ حزيران بمثابة فرصة اولى لي للاجتماع في اطار الاشتراكية الدولية برؤساء حكومات وزعماء احزاب من اوروبا وخارجها. وقد اجريت هناك محادثات مفصلة مع جميع رؤساء الحكومات والاحزاب

الذين اشتركوا في المؤتمر وعرضت مواقف إسرائيل في مساعيها للسلام الشامل واستعدادها للتقدم نحو تسموية مرحلية أخرى مع مصر واكدت بأن إسرائيل تعترف بوجود مشكلة فلسطينية ولكن حلها لن يتحقق بالمفاوضات مع منظمة التحرير الفلسطينية أو باقامة دولة إسرائيل بين إسرائيل والاردن بل يتحقق في اطار دولة اردنية - فلسطينية إلى الشرق من إسرائيل وعلى الرغم من تناقض الآراء بيني وبين بعض الزعماء الاشتراكيين الذين اجتمعت بهم فقط اجريت محادثات ودية مع مستشار النمسا برونوكرايسكي، كما تأثرت بالموقف الايجابي نحو إسرائيل الذي وقفه رئيس وزراء سنغافوره لي كوان يو وكان هذا الموقف ثمرة العلاقات الخاصة القائمة بين سنغافوره وإسرائيل التي ساهمت في بناء القوات المسلحة لسنغافورة وكنت قد زرت سنغافوره بصفتي رئيس اركان الجيش الإسرائيلي وتعرفت على زعمائها ومشاكلها، خلال انعقاد المؤتمر لم انجح في تخفيف حدة المواقف الموالية للعرب التي اظهرها رئيس وزراء مالطه دوم منتوف بينما وقف هارولد ويلسون رئيس وزراء بريطانيا ووزير خارجيته جيمس كالاهان إلى جانبي وايدا مواقف إسرائيل.

فى شهر تموز تسلمت الادارة الأمريكية مطالب إسرائيل المفصلة للحصول على اسلحة وكانت مطالب كبيرة تتجاوز ما تم الاتفاق بشأنه في اعقاب اتفاقيات الفصل بين القوات وكانت تحتاج إلى مبلغ يزيد على مليار ونصف مليار دولار سنويا واتضح مع مرور الوقت بان الرئيس نيكسون وقع في ورطة لاشتراكه في «فضيحة ووترغيت» ولهذا لن يجد الوقت الكافى لمعالجة قضايا الشرق الاوسط والقضايا الدولية الاخرى.

فى اواخر شهر تموز ١٩٧٤ سافر وزير الخارجية يجآل الون إلى الولايات المتحدة واجرى محادثات مطولة مع الدكتور كسنجر حول اتجاهات ممكنه لمواصلة المفاوضات السياسية وحول احتياجات إسرائيل الامنية وعلى الرغم من الاتفاق على تزويد إسرائيل بعدد كبير من الدبابات فان واشنطن كلها كانت منشغله باجراءات عزل الرئيس نيكسون ولم تتمكن من التفرغ لمواضيع أخرى الا بشكل محدود للغاية.

لقد سببت لي استقالة الرئيس نيكسون بشكل منقطع النظير في تاريخ الولايات المتحدة اسفا شديدا فقد كنت اعرفه عن كثب واقدر نطرياته السياسية المالية وادراكه لدور الولايات المتحدة في الواقع الدولى كزعيمة للعالم الحر وكان مقتنعا بان الولايات المتحدة لا تستطيع التصدي للشيوعية السوفياتية الا من موقف قوة.

لقد ادت زيارة نيكسون للصين إلى تغيير توازن القوى الاستراتيجية في العالم والى ابعاد خطر نشوب حرب فناء رميبة وكانت وجهة نظره تتلخص في ضرورة مساعدة الدول التي تريد وتستطيع مساعدة نفسها وقد طبق هذه النظرة في تعامله مع إسرائيل وعلى الرغم من الجدل الحاد الذي جرى بين إسرائيل وادارة الرئيس نيكسون فقد كان نيكسون الرئيس الذي ساعد على تعزيز قوة إسرائيل أكثر من أي رئيس أمريكي آخر ولهذا السبب ولحرصه على عدم فرض الحلول السياسية السلبية على إسرائيل رغم ارادتها فان نكسون يستحق من إسرائيل ان تعترف له بالجميل.

لقد ادت استقالة نيكسون إلى خلق وضع لم تشهده الولايات المتحدة في تاريخها فجيرالدفورد الذي اصبح رئيسا للولايات المتحدة لم يخض الانتخابات كنائب للرئيس مع نيكسون في عام ١٩٧٢ بل كان نائب نيكسون سبيروس اغنيو الذي تورط واستقال قبل «فضيحة ووترغيت» ولم يكن فورد نائبا للرئيس الذي انتخبه الشعب الأمريكي بل عين في منصب نائب الرئيس من قبل الرئيس نيكسون وقام فورد بتعيين نيلسون روكفلر كنائب له واصبح للولايات المتحدة رئيس ونائب رئيس لم ينتخبهما الشعب الأمريكي لمناصب القيادة وعلى الرغم من ان الدستور الأمريكي لا يعارض ذلك فقد ساد الولايات المتحدة شعور بعدم الارتياح.

الفصل الرابع

أول زيارة لي للولايات المتحدة كرئيس للحكومة

بناء على دعوة الإدارة الأمريكية غادرت إسرائيل إلى الولايات المتحدة لإجراء محادثات مع الرئيس فورد في العاشر من ايلول ١٩٧٤، لقد كنت قد تعرفت على الرئيس فورد من خلال لقاءات ومحادثات عندما تولى منصب رئيس كتلة الاقلية في مجلس النواب الأمريكي ولم نلتق سوية عندما شغل منصب نائب الرئيس وحتى استقالة نيكسون وفى اعقاب فضيحة ووترغيت انخفضت مكانة كسنجر وراجت شائعات مفادما ان مستقبله في إدارة الرئيس فورد لم يعد مضمونا.

لقد تعرفت على الحديقة الشهيرة في البيت الابيض سنوات عيدة خلال عملى كسفير يرافق رئيسة وزرائه وعلى الرغم من خبرتي بالمراسيم العسكرية والرسمية من خلال عملى كرئيس للاركان فقد شعرت بالانفعال خلال حفل الاستقبال الذي جرى لي في البيت الابيض وكانت حالة الجو لطيفة تماما كوجوه المسؤولين الأمريكيين الذين كانوا في استقبالنا.

عندما ودعت واشنطن قبل ١٨ شهرا تماما لم اتخيل مطلقا بأنني ساعود إليها كرئيس للحكومة خلال هذه الفترة الوجيزة وان لا يكون الرئيس نيكسون في استقبالى شربنا القهوة مع الرئيس الذي انتقدته فئات سكانية كبيرة في الولايات المتحدة بسبب العفو الذي منحه للرئيس نيكسون وقلت للرئيس بأنني اقدر له جرأته لاتخاذ قرار غير شعبي وبدا الارتياح على وجه الرئيس فورد وقال:- انني لا استطيع ضرب الرجل الملقى على الارض، لقد دفع نيكسون ثمنا باهظا جدا للخطأ الذي ارتكبه ولا داعي لدفع المزيد.

وبعد ذلك عقدنا اجتماعا ثنائيا وكنا حديثي العهد بتولي المسؤولية وتبادلنا التهاني واعرب فورد عن سعادته لاستئناف الصداقة القديمة وقلت له: لقد جئت يا سيدي الرئيس

من دولة عاشت تجربة مأساوية فظيعة اذ تعرضت لحرب مفاجئة ولاتزال اثارها بادية على الشعب الإسرائيلي وعلى تفكيره وان هذه الحرب كانت الحرب الوحيدة التي انتهت بشكل مختلف عن الحروب الاخرى، وحتى حرب (يوم الغفران) وجهوا الينا «اتهاما» خطيرا وهو اننا انتصرنا بشكل ساحق للغاية واوجدنا لدى العرب شعورا بالاحباط والضعف وبسببه لن يستطيعوا عقد سلام معنا ربما الان تحقق احتمال للتقدم نحو السلام، هناك دلائل ايجابية في مصر سواء في اسلوب تنفيذ الاتفاق العسكري أو بالنسبة للعناصر المدنية في الاتفاق، اما بالنسبة لسوريا فان هناك علامات استفهام كبيرة جدا ولا يوجد حول هذا الموضوع أي خلاف في الرأي بيننا وبين وزير الخارجية الدكتور كسنجر وانا ارى املا في التوصل إلى اتفاقيات أخرى مع مصر والاردن ونحن على استعداد لتحمل مجازفة في سبيل السلام وقد فعلنا ذلك في الماضي ونحن نتوقع من الولايات المتحدة ان تستمر في تعزيزنا في المجال العسكري ونأمل ان لا تتخذ مواقف سياسية بدون التنسيق المسبق مع إسرائيل.

لم يدخل فورد في التفاصيل واكتفى بالقول: لقد حدثني كسنجر عن الدور الايجابي الذي قامت به إسرائيل في سبيل التوصل إلى اتفاقيات الفصل بين القوات لذا يتوجب على الولايات المتحدة ان تبذل كل ما بوسعها بالافعال وليس بالاقوال فقط لمنح إسرائيل الشعور بالامن والثقة وسنبذل جهدا للاستجابة لاحتياجاتكم العسكرية كجزء من التعهد الذي قطعناه على انفسنا نتيجة لاتفاقيات الفصل بين القوات ونحن نريد ان تكون قوة إسرائيل حائلا دون وقوع عدوان عليها وغدا سوف تتحدث مع كسنجر وسنعود نحن إلى الاجتماع بعد غد.

بعد ذلك انتقلنا للحديث حول الموضوع السياسي وقلت لفورد وكسنجر: لقد عرضنا على الاردن اربع امكانيات سياسية:

١) البحث في اتفاق شامل على اساس التسوية الاقليمية التي تعني عدم عودة إسرائيل إلى خطوط الرابع من حزيران عام ١٩٦٧.

٢) الموافقة على اطار الاتفاق وعلى مبادئه على ان يتم تنفيذه على مراحل إلى حين تحقيق السلام الشامل.

٣) مسؤولية إسرائيلية - اردنية مشتركة في الحكم في الضفة الغربية وقطاع غزة يتولى الاردنيون في اطاره المسؤولية الادارية بينما تتولى إسرائيل المسؤولية الامنية مع احتفاظنا بحقنا في الاستيطان.

٤) إقامة أقاليم إسرائيلية - اردنية كتسوية دائمة مع حكم مشترك للدولتين في الضفة الغربية وقطاع غزة بحيث تتم فيه تلبية مطالبنا الامنية والمحافظة على حرية التنقل بين الدولتين وعلى حق إسرائيل في الاستيطان وتحديد انتماء السكان السياسي للاردن.

لقد رفض الاردن هذه المقترحات وان الأمريكيين يعلمون بان الاردن اعلن عدم امكانية تبني أي من هذه المقترحات قبل انعقاد اول مؤتمر قمة عربي يعقد بعد اتفاقيات الفصل بين القوات.

في الساعة الثامنة والنصف من صبيحة اليوم التالي جاءني كسنجر إلى دار الضيافة الرئاسي (بلير هاوس) لمشاركته طعام الفطور ولم تتغير لهجته نحو إسرائيل وقال ان العلاقات الأمريكية - الإسرائيلية تسودها الثقة التامة وان هذا هو اساس هذه العلاقات فوافقته القول واضفت: يجب علينا التوصل إلى استراتيجية مشتركة تكون مرتكزة على الثقة التامة والمتبادلة وقلت ان العرب يفسرون بطريقتهم تصريحات مختلفة يدلي بها الرئيس الامريكى: فالسادات عندما يقول علنا ان انسحاب إسرائيل إلى حدود الرابع من حزيران ١٩٦٧ في سيناء مضمون في جيبه مقابل انهاء حالة الحرب انما يخلق الانطباع بأنه حصل على مثل هذا الوعد من الرئيس الامريكى والسوريون يدلون بتلميحات واضحة حول وعود حصلوا عليها من الولايات المتحدة حول انسحاب إسرائيلي من هضبة الجولان كمرحلة ثانية في اتفاق الفصل بين

القوات وسمعنا من مصادر مختلفة ان الولايات المتحدة تجري اتصالات مع منظمـة التحريـر الفلسـطينية وانطبعنا بان العرب يتملكهم شعور بـانهم يسـتطيعون الحصـول عـلى كـل شيء مـن إسرائيـل عـن طريـق الولايات المتحدة ويقول السوريون انهم اوضحوا للأمريكيين بانهم لن يجددوا انتداب قوات الامـم المتحـدة في تشرين الثاني القادم واذا كنا نتحدث حول الثقة المتبادلة ونتفق بأن هذا هو الاساس المطلوب للعلاقـات الأمريكية - الإسرائيلية فارجو من الدكتور كسنجر ان يقول لي بصراحـه ووضـوح هـل يوجـد لـدى مصر مـا تعتمد عليه في اقوالها؟وهل يوجد لدى السوريين ما يمكنهم ترسيخ آمالهم عليه؟ وهـل تقومـون باتصـالات مع منظمة التحرير الفلسطينية؟ انك لا شك توافقنى القول ان علاقـات الثقـة المتبادلـة لا مكـان فيهـا لاي سوء تفاهم من هذا النوع.. فقال كسنجر: هراء ان هذا كلام عار عن الصحة تماما فالعرب يشتهرون بسـعة الخيال والرغبة في التباهي بالانجازات ولكـن ربمـا خلـق الـرئيس فـورد وانـا أيضـاً مـا يشـبه سـوء التفـاهم كوسيلة تكتيكية لتحقيق اهداف استراتيجية وانت لا شك تعلم بأنني أومن بان عدم الوضـوح لـه جوانـب ايجابية، وسالته:- إلى أي مدى يسمح لعدم الوضوح بالتمادي دون ان يلحق الضرر بمكانة إسرائيل؟.

فاجاب:- فيما يتعلق بمصر اننا لم نقدم للمصريين أي وعد مباشر أو غير مباشر بـان تنسـحب إسرائيـل إلى حدود الرابع من حزيران ١٩٦٧ بل على العكـس ففـى جميـع محادثـاتي مـع المصريـين رفضـت البحـث معهم في موضوع الحدود النهائية بينهم وبين إسرائيل الصحيح هو ان السادات قـال لي اثنـاء اجتماعـي بـه في القاهرة انه مستعد مقابل الانسحاب الشامل الموافقة على التوقيع على اتفـاق انهـاء حالـة الحـرب. ولم يكن ذلك اقتراحا أمريكيا ولم توافق عليه الولايات المتحدة ولا اعلم بان مصر حصلت على مثل هـذا الوعـد ولا اعتقد بان وعدا كهذا قد اعطي للمصريـين مـن قبـل الـرئيس نيكسـون أو الـرئيس فـورد، امـا بالنسـبة لسوريا فالولايات المتحدة لم و لن تعد السـوريين بمطالبـة إسرائيـل بالانسـحاب مـن هضـبة الجـولان وقـد تحدثث حول ذلك مع الرئيس فـورد وان هـذا الموقـف حظـي بموافقتـه أيضـاً ومـع ذلـك فانـا اعتقـد بـان

تصريحاتكم حول عدم الانسحاب من الجولان ليست دائما مفيدة فقلت: هذه سياستنا لم ولن نخفيها عن احد: وقال كسنجر: لا توجد اتصالات سياسية مع الفلسطينيين الا بشكل معين من الاتصال بواسطة عناصر أمريكية خاصة وقد تم ابلاغ غولدا مائير وسفير إسرائيل لدى واشنطن سيمحا دينتس بذلك.

لقد ابلغ وزير الخارجية السوري نظيره الأمريكي كسنجر بان السوريين يترددون في تجديد انتداب قوات الامم المتحدة ولكن كسنجر ضغط عليه وقال ان عدم تجديد الانتداب سيؤدي إلى ايقاف المسيرة السياسية وقال لي كسنجر ان السوريين سيؤجلون تجديد انتداب قوات الامم المتحدة حتى اللحظة الاخيرة وسيعلنون تجديده بعد ان يفعل المصريون ذلك واننى كما تعلم مضطر للمحافظة على قدر معين من الغموض وانا على قناعة تامة بان عرض المواقف الإسرائيلية بوضوح سيؤدي إلى الجمود وانا لا اختلف معكم على موقفكم بان الاتجاه العملي لمسيرة السلام يجب ان يكون اولا نحو مصر والاردن وان الموضوع مع سوريا في غاية الصعوبة ومن الممكن في رأيي تجنيد العالم الغربي ضد ضغوط الحظر النفطي واعتقد بان المسيرة السياسية يمكن ان تستأنف في شهر تشرين الثانى المقبل في اعقاب مؤتمر القمة العربى القادم ويمكن البدء بالاتصالات مع مصر ولكن من المهم أيضاً عدم جعل الاردن يشعر بالعزلة والاهمال ويجب منع هذا الشعور عن سوريا أيضاً على الرغم من عدم وجود شيء لديكم تعرضونه على سوريا.

واضاف كسنجر بأنه ينوي التوجه إلى دول الشرق الاوسط في منتصف تشرين الأول والمكوث يوما واحدا في كل واحدة من العواصم وانه لا ينوي القيام برحلات مكوكية بل لدراسة الوضع والاقتراح فيما بعد حول اتجاهات التقدم، فقلت: لن ادخل في نقاش معك حول الخرائط في هذه المرحلة ولن نتحدث حول الترتيبات العسكرية اذ يجب علينا التقدم نحو تسويات ذات طابع سياسي وان الهدف القادم يجب ان يتضمن التوصل إلى اتفاق حول انهاء حالة الحرب.

كسنجر: ان المصريين يرفضون امكانية التوصل إلى اتفاق لانهاء حالة الحرب، ولكنهم على استعداد للبحث في العناصر العملية لانهاء حالة الحرب واذا تمسكتم بموقفكم بضرورة السعى إلى اتفاق صريح كهذا فإنني لست متأكدا من امكانية تحقيق ذلك.

لقد بعثنا في موضوع المشتريات العسكرية الإسرائيلية من الولايات المتحدة وطال الحديث بيننا حول هذا الموضوع ولكننا لم نتوصل إلى اتفاق حقيقي وملموس.

فى حفل العشاء التقليدي الذي اقيم في منزل السفير سيمحا دينتس تبودلت العبارات الودية وكنت كمن يجلس فوق الجمر وفى الساعة الحادية عشرة من صباح اليوم التالي تقرر لي اجتماع آخر مع الرئس فورد وكنت متلهفا للاستماع منه إلى اجابة واضحة حول انواع الاسلحة التي طلبناها وكانت قائمة طارئة خاصة تعتمد على جزء من الطلبات التي كانت مدرجة في القائمة التي قدمتها رئيسة الوزراء مائير وجزء من الطلبات التي قدمها وزير الدفاع بيرس اثناء زيارته لواشنطن في اعقاب تشكيل الحكومة الإسرائيلية برئاستي. لقد ادى التصلب السوري وعدم وضوح الموقف المصري إلى جعلنا نشعر بالاستعجال لتحديث اسلحة الجيش الإسرائيلي بشكل ملموس قبيل فصل الربيع لعام ١٩٧٥ حتى لا نتعرض لاوضاع سياسية حرجة نتيجة لضعفنا العسكري، ولكن اتضح من مستهل اقوال الرئيس فورد في لقائنا الثاني بأنه لا توجد لديه اجابات على طلبنا للحصول على اسلحة بشكل طارىء واعتذر قائلا انه بسبب اجتماع خاص عقده مع زعماء الكونغرس لم يجد الوقت الكافي لدراسة مضمون القائمة ولهذا فانه لن يجيب على المطالب الإسرائيلية الا في الاجتماع الثالث الذي سيعقده معي.

لقد ابلغ كسنجر الرئيس فورد بالحديث الذي دار بيننا أمس وقال اننا اتفقنا حول ضرورة تعزيز قوة إسرائيل وان الخطوة التالية في المفاوضات السياسية يجب ان تكون موجهه نحو مصر مع ابقاء الباب مفتوحا للتفاوض مع الاردن واضاف بأنه يدرك الصعوبات التي

تواجهها إسرائيل فيما يتعلق بالضفة الغربية، اما فيما يتعلق بالمساعدات العسكرية فان هناك ثلاث قوائم، قائمة طارئة وقائمتان للمدى البعيد وسوف يتخذ الرئيس قراره بعد دراستها.

إتجه الرئيس نحوي قائلا: هل هذا القول يحظى بموافقتك؟ فقلت:- اننا نشكر الولايات المتحدة على المساعدات العسكرية التي تلقيناها منها وان إسرائيل تعترف بالجميل ومع ذلك فبعد ان جرى التوقيع على اتفاقيات الفصل بين القوات توصلنا إلى اتفاق مع الولايات المتحدة حول الحصول على مساعدات عسكرية للمدى البعيد وهذا ينطوي على أهمية بالغة وعندما طلبنا مساعدات عسكرية طارئة في اعقاب حرب اكتوبر ٧٣ تلقينا ردا مفاده انه من الممكن الاستجابة لمطالبنا بشكل محدود لأن ذلك يتطلب نقل الاسلحة من وحدات الجيش الأمريكي ومن الطبيعي ان مثل هذا التزويد سيخلق توترا بين وزارة الدفاع الأمريكية وإسرائيل وان تخطيطا للمدى البعيد سيقضي على الحاجة بتسليح إسرائيل من المستودعات المتابعة للجيس الأمريكي وبامكاننا تقديم الطلبات سلفا والحصول على الاسلحة في الوقت المناسب دون أي توتر لا مبرر له بين إسرائيل والولايات المتحدة ولكي نتمكن من بناء جيشنا والتخطيط لبرامج التدريب يجب ان نعلم ماذا سنحضر بعد عام أو عامين أو اربعة اعوام.

لقد عدت وكررت موقفنا السياسي وقلت:- انني سأكون مسرورا لو أن الحرب وافقوا على تسوية شاملة تشتمل على سلام حقيقي وحدود يمكن الدفاع عنها ولكن إذا لم توجد امكانية لتحقيق مثل هذه التسوية فاننا نوافق على تسويات محدودة شريطة ان يكون لها مغزى سياسي.

الرئيس فورد: تسوية شاملة وسلام حقيقي وحدود يمكن الدفاع عنها كل هذه الامور تبدو كاحتمال بعيد المنال.

كسنجر: يقول العرب انهم مستعدون لسلام حقيقي مقابل الانسحاب إلى حدود الرابع من حزيران ١٩٦٧.

دينتس: نعم وبالإضافة إلى ذلك يطالبون بضمان الحقوق المشروعة للفلسطينيين.

كسنجر: ان المحاولة الآن السير في طريق التسوية الشاملة كهدف وحيد تعني الجمود السياسي مع كل ما يترتب عليه مثل هذا الوضع فقلت:- ولهذا نحن على استعداد أيضاً لتسوية على مراحل ولكن هنا يكمن خطر «الاسلوب المتعرج» واذا قدمنا «جزءا من الارض» بدون الحصول بالمقابل على تسوية سياسية جزئية فاننا سنبقى في نهاية الامر بدون مناطق وبدون ثمن وستتضائل احتمالاتنا للتوصل عندئذ إلى تسوية شاملة وقلت:

هناك في إسرائيل انتقاد شديد لاستعدادنا للتقدم نحو تسوية مرحلية بدون امل للتوصل إلى تسوية شاملة خشية ان تجد نفسها بدون اوراق مساومة امام العداء العربي التقليدي وان الكثيرين في إسرائيل يعتقدون بأنه إذا كان لا مناص من الحرب فان من الافضل لإسرائيل ان تخوضها في خطوطها الراهنة بدلا من ان تخوضها بعد انسحاب آخر من الاراضي التي تحتلها لهذا فاننا نستطيع التقدم نحو تسوية مرحلية مع مصر إذا تحققت الشروط التالية: الاتفاق المرحلي الآخر يجب ان يتضمن خطوة سياسية نحو السلام وان لا يتم ذلك بشكل متسرع وان يستمر الاتفاق المرحلي بضع سنوات للتعرف خلالها على النوايا العربية واننا لا نرى أي أمل في التوصل إلى اتفاق مرحلي مع سوريا وان الهدف من الاتفاق المرحلي مع مصر يجب ان يكون الغاء حالة الحرب.

الرئيس فورد: يجب ان لا توضع علامة استفهام على قوة إسرائيل وسوف نقوم بتلبية احتياجاتكم وانا معجب بإسرائيل وبموقف الشعب الإسرائيلي في قلقه ازاء امن الدول وكنت سعيدا لو كانت في بلادنا مشاعر نحو الامن الأمريكي كالمشاعر المسيطرة على الشعب الإسرائيلي.

فى حفل العشاء الذي اقيم في البيت الابيض قدمت للرئيس هدية وكانت عبارة عن تمثال فضي من صنع فنان إسرائيلي يمثل دافيد وجوليات وقلت: لقد كان قدر الشعب الإسرائيلي

ان يقاتل كأقلية ضد اكثرية ويؤمن بانتحار العدل ومع ذلك فان مـن الافضـل لنـا ان نحصـل عـلى اسـلحة افضل من المقلاع الذي استخدمه دافيد لكي تستمر العدالة في البقاء.

قبل اجتماعي الثالث بالرئيس فورد زارني كسنجر في بلير هـاوس وسـلمني قائمـة الطـوارىء بالمعـدات والاسلحة التي اقرها الرئيس واكتشفت بان فورد وافق على معظم الاسلحة التي طلبناها على وجه السرعـة كما اقر انواعا أخرى من الاسلحة كالقنابل العنقودية والدبابات والمجنزرات والمدفعية.

جئت إلى اللقاء الثالث وشكرته عـلى الاسـلحة التـي صـادق عليهـا ولفتـت انتباهـه للاسـلحة التـي لم يصادق عليها فقال:- لقد اخذت على عاتقى الموافقة على جميع طلباتكم.

خلال اللقاء اجملنا مرة أخرى المسيرة السياسية الممكنة وهي التوصل إلى اتفاق مرحلي آخر مع مصر.

وقال كسنجر: ان الولايات المتحدة لن تضغط على إسرائيل لكي تنسحب من هضـبة الجـولان فتـدخل الرئيس قائلا انه ينوي تأكيد هذا الالتزام مرة أخرى واتفقنـا عـلى ان يـزور كسـنجر دول الشرق الاوسـط في تشرين الأول وان نبحث معه آنذاك في التفاصيل.

لقد خرجت من اجتماعي بالرئيس وانا في غاية الرضا وتأكدت من نجاح الزيارة التي اسفرت عن حصولنا عـلى اسلحة بقيمة ٧٥٠ مليون دولار وعلى تفاهم تام في المواضيع السياسية.

لقد اجريت خلال زيارتي للولايات المتحدة محادثات ناجحـة مـع زعـماء اليهـود في الولايـات المتحـدة وعدد كبير من اعضاء مجلس الشيوخ وشكرتهم على دعمهـم المطلـق لإسرائيـل وكنـت اعلـم بـأن إسرائيـل تستطيع الاعتماد على تأييد مجلس النواب الأمريكي لهـا ووجـدت متعـة في لقـاء اصـدقاء امثـال جاكسـون وسيمنغتون وجافيتس وسكوت وغيرهم.

بعد عـودتي إلى إسرائيـل بـدأنا بالاسـتعداد لزيـارة كسـنجر ووضـعنا خطـة مفصـلة للاتفـاق المـرحلي مــع مصر تتضـــمن انســـحابا إسرائيليـــا آخـــر مقابـــل انهـــاء حالـــة الحـــرب وقبـــل اســـتقبال

كسنجر استضفنا وزير الخارجية الروماني جيورجي ماكوفسكو الـذي اعلـن موقـف بـلاده الثابـت وهـو ان السلام في الشرق الاوسط من شأنه ان يقلل مـن تـدخل الـدول العظمـى في المنطقـة وان تحقيقـه يتطلـب انسحابا إسرائيليا من كافة المناطق التي احتلت في حرب حزيران واقامة دولة فلسطينية.

الفصل الخامس

الخطوة التالية / اتفاق منفرد مع مصر

بينما كان موشه ديان يحاول التأكيد بأنه يجب اجراء مفاوضات مع مصر وسوريا في آن واحد والسعى للتوصل إلى اتفاقيات معهما (وشمعون بيرس كعادته كان في الحكومة بمثابة الصدى لأقوال ديان) فقد تعززت وجهة نظري بأن السير في طريق الاتفاق المنفرد مع مصر ينطوي على امكانيات جيدة للنجاح واعتقدت بأنه إذا كان الاتفاق مع مصر مشروطا باتفاق مع دولة متطرفة كسوريا فاننا سنصل إلى طريق مسدود يقضي على أي أمل لإحراز تقدم جوهري في أية مسيرة سياسية.

لقد كان في تقديري ان مصر لن تتعزز عسكريا في المستقبل القريب ونحن بحاجة لعام أو عامين لتحويل المعدات التي وعدت الولايات بتزويدنا بها إلى قوة عسكرية ملموسة وان مصر التي لا تمتلك الخيار العسكري ازاء إسرائيل الآخذة في التعاظم عسكريا يضمن احتمال التوصل إلى اتفاق مع جارتنا الكبرى مصر وان التوصل إلى اتفاق مع مصر رغم ارادة سوريا يعنى دق اسفين بين الدولتين العربيتين وتفتيت وحدتهما وتصديهما المشترك ضد إسرائيل وهذا بالنسبة لإسرائيل هدف يستحق ان يبذل من اجله كل جهد ممكن.

عندما عرضت وجهة نظري في المشاورات مع الوزراء والمسؤولين في وزارة الدفاع قبيل زيارة كسنجر اعربت اوساط امنية عن مخاوفها بان محاولة عزل سوريا قد تجعلها تسير في طريق الحرب لدرجة استئناف اطلاق النار فقلت ان سوريا لن تستأنف اطلاق النار بدون الاتفاق مع مصر.

لقد حللنا وضع مصر التي ابلغت الولايات المتحدة بأن السادات يواجه وضعا صعباً وان الجيش المصري يشكو من نقص في الاسلحة وقطع الغيار وان الوضع الاقتصادي في

مصر سيء للغاية وقالت مصر للولايات المتحدة ان طرد السوفييت وتحول السياسة المصرية نحـو الولايـات المتحدة لم يحقق الثمار التي توقعتها مصر سواء في المجال السياسي أو الاقتصادي أو العسكري حيث ترفض الولايات المتحدة ان تكون بديلا للاتحاد السوفياتي كمزود رئيس للاسلحة لمصر، وتم الاتفاق في اعقاب تلـك المشاورات على ان يكون الوضع السياسي مع مصر الغاء حالة الحرب وقمت بتكليف فريق مـن الحقـوقيين يضم المستشار القانوني للحكومة مئير شمعار والمستشار القانوني لوزارة الخارجية مئير روزن بتقديم وجهـة نطر قانونية حول الموضوع.

لم ترق لنا وجهة النظر القانونية التي قدمها المستشارون القانونيون لنا و لكنها كانت واضحة للغاية:

ان القانون الدولي الذي ينطوي على قيود عديده يعترف فقط بحالتين: حالـة الحـرب أو حالـة السـلم ولا يعترف بحالة ثالثة ولكن هناك ثلاث طـرق للانتقـال مـن وضـع إلى آخـر: طريـق الانـزلاق الـذي يحـتم التوقيع على اتفاق سلام بل العمل تدريجيا على خلق حالة مـن السـلم مـع اعطـاء الفرصـة للـزمن ليفعـل فعله وهذا الوضع هو وضع مرحلى وليس دائما، والطريق الثـاني هـو الانتقـال الحـاد إلى حالـة السـلام عـن طريق التوقيع على معاهدة سلام تؤكد الوضع الجديد بموجـب المـواد المدونـه فيهـا والطريـق الثالـث هـو الحاق الهزيمة بالعدو في الحرب واملاء معاهدة السلام من قبل الدولة المنتصره.

إن تحقيق السلام يتطلب وجو جـانبين وبمـوافقتهما فقـط يمكـن منـع السـلام ولكـن الحـرب تكتفـي بوجـود طـرف واحـد لشـنها وتـنص الانظمـة القانونيـة صراحـة عـلى انـه إذا ادعـى طـرف بأنـه في حالـة حـرب مـع الطـرف الثـاني فـان حالـة الحـرب تتحقـق حتـى لـو ادعـى الطـرف الثـاني عكـس ذلـك ولهـذا فانـه لا اسـاس لادعـاء إسرائيـل بـان الهدنـة القائمـة بينهـا وبـين الـدول العربيـة تلغـي حالـة الحـرب، فطالمـــا تـــدعي مصر(والـــدول العربيـــة الاخـــرى) بـــأن حالـــة الحـــرب قائمـــة فـــان

الهدنة لا تلغيها على الرغم من ان اتفاق الهدنة قد وضع في الاساس لخلق حالة الانزلاق إلى السلام.

لقد جاء في وجهة النطر القانونية بان المطلب الإسرائيلي من مصر بان توقع على اتفاق لانهاء حالة الحرب ليس له اساس في القانون الدولى وبالمقابل فقد اعتقدت بان الحياة السياسية لا تخضع بالضرورة للمبادىء القانونية الصارمة وان التوقيع على اتفاق بانهاء حالة الحرب يمكن ان يعتبر بموجب المفاهيم السياسية على انه يخلق واقعا جيدا يقود إلى السلام على الرغم من اننا من الناحية القانونية لا نستطيع الشكوى على مصر إذا ما انتهكت ذلك الاتفاق.

لقد اجتمعنا بالدكتور كسنجر في منزلي بالقدس بتاريخ ١٢ تشرين الأول ١٩٧٤ واجمل كسنجر ومرافقوه انطباعاتهم من زياراتهم لكل من مصر وسوريا والاردن وقالوا ان مصر تعيش حالة عصبية استعدادا لمؤتمر القمة العربي ئفي الرباط وان مصر مستعدة لخطوة منفرده مع إسرائيل ولكنها مستعدة لتقديم ثمن ضئيل لها وانه على الرغم من اغراءات السوفييت وخيبة الأمل من مواقف الولايات المتحدة واضافوا بان السوفييت عرضوا على السادات تزويده فورا ب ١٢٠ طائرة حديثة بما فيها طائرات ميج ٢٣ واعادة تسليح الجيش المصري باحدث انواع الاسلحة وان لدى مصر استعدادا لايجاد حل يبعد الجيشين المصري والإسرائيلي عن بعضهما البعض ونزع سلاح المنطقة التي ستنسحب إسرائيل منها، وقالوا ان الولايات المتحدة تعتقد بأنه إذا استمر هذا العمل فانه قد يخرج مصر من المواجهة مع إسرائيل.

إن المصريين يتحدثون حول انسحاب إسرائيلي إلى خط العريش - راس محمد ولكن استعدادهم لتقديم الثمن السياسي محدود جدا – لا حالة سلام ولا إلغاء لحالة العرب.

ان المصريين يترددون الآن عن السير بدون تحضير مسبق باتجاه مؤتمر جنيف وان مصر مضطرة دعم اشراك منظمة التحرير الفلسطينية في المؤتمر وعندئذ سيطلب العرب مجتمعين

انسحاب إسرائيل الشامل واقامة دولة فلسطينية - عرفاتيـه في الضـفة الغربيـة وقطـاع غـزة وان المصريـين يعلمون بان هذا الطلب مرفوض من جانب إسرائيل الامر الذي سيعرض مؤتمر جنيف للفشل الذريع.

ان مصر مستعدة للتفاوض مع إسرائيل حول مصير الفلسطينيين إلى جانب الاردن ولكنها لا تعلم مـاذا سيتقرر بهذا الشأن في مؤتمر الرباط وان الأمريكيين انطبعوا من شخصية السادات بأنه يعتـبر نفسـه زعـيم الامة العربية ومع ذلك فانه يفضل مصالح مصر على اية مصلحة اخرى.

لقد انطبع الأمريكيون أيضاً بأن السوريين متمسكون بهدف واحد وهو عدم تمكين مصر مـن السـير في طريق التسوية المنفردة مع إسرائيل وان الأمريكيين فوجئوا مـن موقـف السـوريين: فهـم لم يبـدوا ابـدا أي اهتمام بموضوع هضبة الجولان وان جميع اقوالهم في كافة المراحـل والاصـعدة كانـت تـنحصر في موضـوع واحد فقط وهو: يجب على الولايات المتحدة ان لا تشجع اوتدعم تسوية مصريـة - إسرائيليـة منفـرده لأن مثل هذه الخطوة ستشد من عضد العناصر المتطرفة في العالم العربي وتعرقل المسيرة السلمية.

لقد اقترح السوريون عقد مؤتمر جنيف بحضور وفد عربي موحـد عـلى ان يشـكل المـؤتمر مجموعـات عمل تبحث كافة المواضيع المختلفة بما فيها المواضيع الاقليميـة والحدوديـة والقضـية الفلسـطينية وانطبـع الأمريكيون بان السوريين قلقون من امكانية بقائهم في عزلة إذا ماتوصلت مصر إلى اتفاق منفـرد وخرجـت مع مرور الوقت من دائرة الحرب ضد إسرائيل.

لقد خشيت الولايات المتحدة أيضاً من عقد مؤتمر جنيف بدون تحضير مسبق واعتقدت بأنه سـيؤدي إلى الجمود وسيلزم الولايات المتحدة بالوقوف إلى جانب إسرائيل ضـد العـرب والسـوفييت وسـتفقد بـذلك آمالها في كسب ود العرب.

لقد تحدث الأمريكيون عن فكرة تبلورت لدى مصر وهي ان يقوم الاردن بتمثيل الفلسطينيين غربي نهر الاردن(في الضفة الغربية (وشرقى النهر) سكان المملكة الاردنية) بينما يتولى عرفات تمثيل الفلسطينيين المقيمين في لبنان والدول الاخرى.

لقد اكد الأمريكيون في محادثاتهم مع الزعماء العرب بان الولايات المتحدة تعارض اجراء مفاوضات مع منظمة التحرير الفلسطينية وان الاردن فقط يستطيع التفاوض مع إسرائيل حول مستقبل الفلسطينيين وقد تمسك كسنجر بهذا الموقف طيلة توليه منصب وزير الخارجية الأمريكية.

بعد ان استعرض الأمريكيون انطباعاتهم من زياراتهم للدول العربية واجابوا على اسئلتنا قال لي كسنجر:- لقد اتفقنا في محادثاتنا في واشنطن بان تقدموا لي اثناء زيارتي لإسرائيل اقتراحا حقيقيا حول الموضوع المصري وارجو أيضاً الاستماع إلى مقترحاتكم حول الموضوع الاردني.

بعد مشاورات أخرى مع الطاقم الوزاري الإسرائيلي قلت لكسنجر على الرغم من الرد المصري السلبي وعلى الرغم من ادعائك بان مصر لا تستطيع الموافقة على ذلك فان موقفنا السياسي لم يتغير ويهدف إلى التوصل إلى الغاء حالة الحرب ونحن على استعداد للانسحاب إلى مسافة ٣٠ كم من الخطوط العالية في سيناء في مناطق معينة والى مسافة ٥٠ كم في اماكن اخرى، فطلب كسنجر تزويده بخارطة لتحديد الاماكن التي ستنسحب إسرائيل منها ولكننا رفضنا وقلت ان من السابق لاوانه رسم خطوط محددة.

لم يكن لدينا ادنى شك بان السادات يرنو بابصاره نحو النفط في ابو رديس وممري الجدي والميتله ويطالب بانسحاب إسرائيل منهما واوضحت لكسنجر بان من المحتمل ان يبقى الجزء الشرقي من الممرين تحت سيطرة إسرائيل وان من الافضل ان يبعث هذا الموضوع في المفاوضات مع مصر ولم يعجب كسنجر بمقترحاتنا وقال ان مصر لن توافق على الغاء حالة

الحرب ولن تكتفي بعمق الانسحاب الذي اقترحته إسرائيل فاجبت بان هذا الاقتراح لا يمثل رأي الحكومة الإسرائيلية كلها بل هو اقتراح لثلاثة وزراء ويمكن على اساسه البدء بالمفاوضات وان الانسحاب الذي نفترحه مقابل الغاء حالة الحرب لا يشمل آبار النفط في سيناء لانها يجب ان تكون موضوعا للمفاوضات بشكل منفرد.

لقد قال كسنجر انه قد اوضح للمصريين بان إسرائيل تعتقد باشراك مندوبين من خارج الجيش أيضاً في المفاوضات وانهم قد ابلغوه بان المندوب المصري سيكون مدنيا واضاف بأنه لا يعتقد بان توافق مصر على انهاء حالة الحرب ولكنه مستمد للبحث في طرق تعمل في طياتها امكانية اخراج مصر من دائرة الحرب ضد إسرائيل.

وفي صبيحة اليوم التالي اجتمعنا ثانية ولكن بشكل مقلص ولم يحضر الاجتماع سوى كسنجر وبيتر رودمان من الجانب الأمريكي ودينتس وانا من الجانب الإسرائيلي واوضحت بان خط العريش - راس محمد الذي يتحدث عنه المصريون غير وارد ابدا فقال كسنجر مذكرا أن مواقف السادات الابتدائية اثناء مفاوضات الفصل بين القوات كانت متطرفة للغاية ولكنه اكتفى في النهاية بمطالب معقوله استطاعت إسرائيل الموافقة عليها.

مرة أخرى عقدنا اجتماعا موسعا بحضور وزيري الخارجية والدفاع وانا واعضاء الوفد الأمريكي وعرض وزير الدفاع الإسرائيلي تقارير عسكرية - أمنية حول الوضع الراهن وحول الظروف التي قد تنشر في اعقاب الاتفاق وانسحاب إسرائيل إلى خطوط جديدة وتحدثنا أيضاً حول احتياجات إسرائيل العسكرية وطلبنا الاسراع في مراحل التصديق والتزويد لشحنات الاسلحة التي وعدنا بها.

واما فيما يتعلق باستمرار الاتصالات والمشاورات فقد قال كسنجر انه سيغادر إسرائيل للقيام بجولة أخرى من المحادثات في العواصم العربية وسيقوم بابلاغي بالنتائج بواسطة سفير الولايات المتحدة لدى إسرائيل كنيت كيتنغ.

وسألت: اين ستجري المفاوضات بين مصر وإسرائيل؟

فاجاب كسنجر: في واشنطن أو في المنطقة ذاتها وكنت افضل ان تجري المفاوضات في المنطقـة وقلـت: لنجتمع في المنطقة الفاصلة في سيناء ونجري مفاوضات مباشرة بحضور مندوبين إسرائيليين ومصريين وأمريكيين ولكننا لم نتمكن من اجمال هذه النقطة ايضا، كذلك الانطباعات التي ابلغني بها السفير كيتنغ لم تحمل بشائر جديدة وجاء فيها ان المصريين على استعداد للتقدم نحو اتفاق إسرائيلي - مصري على الرغم من بعد مواقفهم عن مواقفنا انهم سيتخذون قرارهم النهائي بعد مؤتمر القمة العربي.

إن سوريا ستطلب في مؤتمر القمة اتخاذ قرار مريح ضد اجراء مفاوضات منفرده بين مصر وإسرائيل وضد التسويات المرحلية وستطلب الاسراع بعقد مؤتمر جنيف بحضور منظمة التحرير الفلسطينية، اما السعودية فسوف تؤيد اجراء مفاوضات منفرده بين مصر وإسرائيل شريطة ان يتسع اطارها مع مرور الوقت ليشمل تسويات في الجبهات الاخرى.

فى مؤتمر الرباط الذي عقد بعد عشرة ايام من زيارة كسنجر للمنطقة ضم الملك حسين صوته إلى الاقتراح العربى الذي يمنح منظمة التحرير الفلسطينية حق تمثيل الفلسطينيين.

لقد تعززت لدي القناعة بان اهم جزء في الاتفاق مع مصر يجب ان يكون الواقع الحقيقي الذي سينشر في المنطقة والذي سيجعل من الصعب خرق الاتفاق حتى لو حاول الزعيم المصري خرقه نتيجة تعرضه لضغوط عربية.

بعد اعلان قرارات مؤتمر الرباط تسألت: هل تستطيع مصر الآن التقدم نحو تسوية منفرده مع إسرائيل وهي تعلم تماما بان إسرائيل لن تستطيع التفاوض مع منظمة التحرير الفلسطينية؟ هل ستوافق مصر على الاشتراك في مؤتمر جنيف بدون سوريا التي قد تقاطع المؤتمر بسبب رفض إسرائيل اشراك منظمة التحرير الفلسطينية فيه؟ لقد تأكدت مرة أخرى بان السعى نحو تسوية شاملة في الظروف التي اعقبت مؤتمر الرباط في اطار مؤتمر جنيف

سيكون عملا خاطئا سيعيد الجمود إلى المنطقة بدون أي أمل لاذابته وان الامل الوحيد كان ولا يزال في بذل جهد لعزل مصر عن العالم العربي المتطرف وعقد اتفاق منفرد معها وتوسيع شقة الخلاف بينها وبين الاتحاد السوفياتى ومنعها من زيادة تسلحها مع زيادة قوة الجيش الإسرائيلي لارغام مصر على عقد تسوية منفردة مع إسرائيل، واعتقدت بان الزمن سيعمل لصالحنا فعام ١٩٦٧هو عام الانتخابات الأمريكية ولن تمارس الولايات المتحدة أي ضغوط علينا لتقديم تنازلات اقليمية وسياسية واذا عززنا قوتنا وبقيت مصر ضعيفة عسكريا وفى خلاف مع سوريا فسوف يكون وضعنا افضل.

لقد انتطرت بأعصاب هادئة استئناف انتداب قوات الامم المتحدة من قبل مصر وسوريا وأود ان اؤكد بان إسرائيل تعتبر استئناف انتداب القوات الدولية مسألة تخدم الدول الثلاث وتعبر عن رغبتها في المحافظة على الهدوء وان مصر وسوريا لا تقدمان صنيعا لإسرائيل بموافقتهما على تمديد انتداب قوات الامم المتحدة ويجب ان لا يستخدما التمديد كسلاح للضغط على إسرائيل وبالفعل فقد مددت مصر انتداب قوات الامم المتحدة لمدة ستة اشهر في نهاية تشرين الأول ١٩٧٤ وتبعتها سوريا بتاريخ ٣٠ تشرين الثاني ١٩٧٤ بعد ان حاولت الضغط حول اتخاذ قرار فوري بانعقاد مؤتمر جنيف وحصلت على تأييد سكرتير الامم المتحدة كورت فالدهايم الذي وصل إلى إسرائيل لهذا الغرض ولكن إسرائيل رفضت ذلك بشدة مما ارغم سوريا على التدميد بلا شروط.

لقد قام وزير الخارجية الإسرائيلي يجآل بزيارة واشنطن في كانون الأول ١٩٧٤ واتفق مع كسنجر على ان يقوم الوزير الأمريكي بزيارة أخرى للمنطقة ويقرر في نهايتها ما إذا كان من الممكن التوصل إلى اتفاق مصري - إسرائيلي منفرد أم لا.

فى هذه الاثناء عكفنا على تحليل القرارات التي اتخذت في قمة الرباط وخاصة القرار الذي منح منظمة التحرير الفلسطينية حق تمثيل الفلسطينيين والقرار الداعي إلى العمل على

عقد مؤتمر جنيف بالسرعة الممكنة وتنسيق المواقف العربية استعدادا للمؤتمر والتأثير على الدولتين العظميين لتتخذا مواقف مرضية للعرب.

على الرغم من ان المؤتمر العربي قد قرر بأنه «لا مجال لسلام منفرد أو حلول منفردة بين إسرائيل ودولة عربية واحدة» فقد ملنا إلى الاعتقاد بان هذا القرار لا يغلق الباب في وجه مفاوضات إسرائيلية - مصرية للتوصل إلى اتفاق مرحلي ولكنه قلل من فرص شموله على عناصر سياسية ذات مغزى.

لقد قرر المؤتمر انشاء صندوق للتسلح العسكري برأسمال قدره ملياران و ٦٥٠ مليرن دولار تدفعه السعودية والدول المنتجة للنفط بحيث تحصل مصر على مليار دولار وسوريا على مليار دولار والاردن على ٥٠٠ مليون دولار ومنظمة التحرير الفلسطينية تحصل على ١٥٠ مليون دولار وقرر المؤتمر تشكيل قيادة مشتركة لدول المواجهة - مصر وسوريا والاردن ومنظمة التحرير الفلسطينية - وتم الاتفاق على ان تقوم السعودية بتأجير جزيرة بريم الواقعة في قلب مضيق باب المندب لمصر لكي تتمكن من اغلاق الملاحه إلى ايلات عند الحاجة.

لقد سادت الولايات التحدة آراء مختلفة حول مغزى قرارات الرباط وتأثيرها عى المسيرة السياسية في الشرق الاوسط فقد اعتقد الأمريكيون قبل انعقاد المؤتمر بأنه إذا اعترف المؤتمر بحق منظمة التحرير في تمثيل الفلسطينيين فان ذلك سيكون بمثابة انتصار للعناصر المتطرفة في العالم العربي وسيجعل من الصعب على مصر ان تتقدم نحو أي حل سياسي، واعربت دائرة الابحاث التابعة لوزارة الخارجية الأمريكية عن اعتقادها بأنه إذا اصبحت منظمة التحرير الفلسطينية الممثل الوحيد للفلسطينيين فانه يتوجب على الولايات المتحدة ان تقوم باتصالات مع المنظمة شريطة ان تتوقف عن ممارسة النشاطات الارهابية.

لقد صرح الرئيس فورد في اعقاب اعلان قرارات قمة الرباط بأنه لا بد من قيام تنسيق بين الاردن ومنظمة التحرير الفلسطينية لضمان استمرار المسيرة السياسية واعتقد بأنه كان

يقصد القول ان الاردن هو المفاوض وانه يجب ايجاد مكان لمنظمة التحرير للاشتراك تحت رعاية الاردن في المسيرة السلمية ولكن اقواله لم تفسر على هذا النحو بل كدعوة لمنح المنظمة وزنا اكبر.

فى ضوء الشكوك وعلامات الاستفهام العديده وهل كسنجر إلى المنطقة وزار إسرائيل في تشرين الثاني ١٩٧٤ وكان لسؤال الرئيس هو: هل اتجاهات التقدم في عملية المفاوضات مع مصر التي تقررت في محادثاتنا التي اجريناها في تشرين الأول لا تزال سارية المفعول بعد مؤتمر الرباط أم لا؟ وكانت قد شكلت في إسرائيل خلال تلك الفترة حكومة تعتمد على قاعدة برلمانية أكثر اتساعا وذلك بعد انضمام الحزب الديني الوطني إلى الائتلاف الحكومي في الثالث من تشرين الثاني(وانسحاب ثلاثة من اعضاء حزب راتس من الائتلاف).

لقد تضمن التقرير الأمريكي للوضع وصفا للرئيس الاسد بأنه يتخذ موقفا في اعقاب الانتصار الذي حققه مؤتمر الرباط وقال للأمريكيين ان العرب سيصبحون قوة سياسية واستراتيجية هائلة ولن يضيرهم الانتظار ٥٠ سنة أو ١٠٠ سنة وسوف يزيلون إسرائيل ولن تستطيع الولايات المتحدة انقاذها من ايدينا.

وانطبع الأمريكيون أيضاً بان السوريين يؤمنونق بترب تحقيق حلم«سوريا الكبرى» وان اتجاهاتهم المتطرفة هي الآن في اوجها، اما انطباعاتهم عن مصر فقد كانت مشجعة بعض الشيء اذ اعرب السادات عن استعداده للسير في المسيرة السياسية بواسطة الولايات المتحدة ولكن قرارات الرباط منحته ذريعة سهلة وهي ان الظروف الجيدة تجعل من الصعب على مصر عقد اتفاق منفرد مع إسرائيل أكثر من أي وقت مضى وانها لا تستطيع تقديم «تضحية» الا إذا استجيبت مطالبها من إسرائيل مع عدم استعدادها لتقديم الثمن السياسي الذي تريده إسرائيل.

لقد قال كسنجر للزعماء العرب الذين اجتمع بهم ان مؤتمر الرباط هو في الواقع انتصار هام لإسرائيل.. وعزز ادعاء الزعماء الإسرائيليين بأنه لا يوجد طرف يمكن التحدث معه

حول السلام لأن العالم العربى لا يريد السلام وان مؤتمر الرباط اعطى إسرائيل اوراقا قوية للتمسك بموقفها الرافض الانسحاب من المناطق المحتلة ما لم يبد العالم العربي استعدادا للحل السياسي وقال الأمريكيون ان هذا الادعاء الإسرائيلي وجد تفهما لدى الملك السعودي ووزير خارجيته ونجح في اثارة غضبهم لدرجة ان وزير الخارجية السعودي قال لكسنجر: هل بامكانك ان ترسل لنا ايضاحك بصورة خطية لكى نفهم اخيرا ماذا حدث فعلا في قمة الرباط؟!.

لقد اعتزم الزعيم السوفياتى بريجنيف القيام بزيارة القاهرة في كانون الثاني ١٩٧٥ وحاول المصريون تحويل الزيارة إلى سوط ضد الأمريكيين وافهامهم بان الخيار السوفييتي لا يزال مفتوحا امامهم واذا لم تعمل الولايات المتحدة بشكل يرضيهم فانهم سيجددون علاقاتهم الوثيقة بالاتحاد السوفياتي وفى نفس الوقت لمح المصريون إلى انه إذا لم يعمل بريجنيف معه بشائر كبيرة فانهم سيوثقون علاقاتهم بالولايات المتحدة.

لقد ادرك كسنجر تماما اللعبة المزدوجة التي يمارسها السادات وعلى الرغم من ذلك فقد اقترح بان تبدأ إسرائيل بمفاوضات مع مصر حول تسوية مرحلية على ان لا تصل إلى اجمال لتلك المفاوضات قبل انتهاء زيارة بريجنيف للقاهره ولم نوانق على توصية كسنجر وفضلنا الانتظار إلى ما بعد انتهاء زيارة بريجنيف للقاهره ودراسة الوضع مرة أخرى في شهري كانون الثاني - شباط ١٩٧٥.

لقد قام وزيرا الخارجية والدفاع ألون وبيرس بزيارة الولايات المتحدة في شهري تشرين الثانى وكانون الأول ١٩٧٤ وسادت محادثاتهما روح من التفاهم وبدأت وعوه الرئيس فورد بتزويد إسرائيل بالاسلحة في التنفيذ وكان لدينا أمل كبير في أن تقوم الولايات المتحدة باستكمال تزويدنا بمعظم المعدات التي قدمت لها في القائمة الطارئة في نيسان المقبل.

في حديث خاص اجراه معي الصحفي يوئيل ماركوس من صحيفة هارتس قلت انني اتوقع سبع سنوات عجاف وطالما ان الغرب ظل متعلقا بالنفط العربي فان إسرائيل لن تحقق

انجازات سياسية وسوف يكون ثمن التسويات الشاملة باهظا للغاية على الرغم من حاجتنا للتوصل إليها وقلت ان التسويات حتى لو لم تكن سياسية بل ذات طابع عسكري فقط فانها تمنح إسرائيل متسعا من الوقت واذا ادت هذه التسويات المحدودة إلى ابعاد مصر عن الاتحاد السوفياتي والى خلق القطيعة بين مصر وإسرائيل واضعاف قوة مصر العسكرية مع زيادة قوة إسرائيل فان ذلك يزيد من امكانية خروج مصر من دائرة الحرب ضد إسرائيل وفى اعقاب قيام الصحفى بنشر نص الحديث في صحيفة هارتس بتاريخ ٣-١٢-١٩٧٤ قامت عاصفة في إسرائيل وقال مناحم بيغن في اقتراح لجدول الاعمال في الكنيست انني اظهرت لا مسؤولية عندما كشفت مخططات إسرائيل واحبطت بذلك أي امل لدق اسفين بين مصر وسوريا.

بينما نحن منشغلون في القضايا السياسية وندرس امكانية البدء بمفاوضات مع مصر تشوشت جميع الامور: ففى احدى الامسيات زارنى رئيس الاركان ورئيس ئعبة الاستخبارات ورئيس شعبة العمليات وقائد سلاح الجو واشاروا إلى وجود احتمال قيام سوريا بعمل عسكري وكانت الاجواء العامة مثيرة للقلق، فمنذ اسابيع معدودة ونشاطات غير عادية تجري في مصر وسوريا وقامت قطارات جوية من العراق والجزائر والسعودية بنقل اسلحة ومعدات لمصر ورست ٦٠ سفينة سوفياتية في ميناء اللاذقية السورية وافرغت ٣٠ سفينة منها معدات عسكرية وجند السوريون سيارات مدنية باعداد كبيرة للمساعدة في نقل المعدات إلى القواعد والوحدات المختلفة ولمست حالة من التأهب في كل من سوريا ومصر على درجة عالية للغاية وخلال النقاش الذي دار بيننا طرحت عدة احتمالات ومن بينها: ان سوريا تخشى قيامنا بعملية ضدها بمناسبة مطالبتها بعقد مؤتمر جنيف كشرط لتجديد انتداب قوات الامم المتحدة في الجولان والاحتمال الثاني ان السوريين ينوون الاستيلاء على مناطق فاصلة والاحتمال الثالث: ان السوريين ينوون الاستيلاء على مناطق تتعدى المناطق الفاصلة في اعقاب النقاش طلبت هيئة اركان الجيش الإسرائيلي الموافقة على تعبئة احتياطية جزئية لكى نكون مستعدين لصد أي محاولة سورية هجومية.

بعد عام من حرب اكتوبر ٧٣ حيث لايزال ظل قرارات لجنة اغرانات التي القت على الجيش والمستوى العسكري المسؤولية كلها شعرت بالتفهم نحو مشاعر رئيس الاركان والجنرالات وقلت لهم: سوف اعرض الامر على الحكومة وسأسمح لرئيس الاركان بالمثول امام مجلس الوزراء لابداء وجهة نظره ويفسر مقترحاته.

وفى جلسة الحكومة اختلفت الاراء وقلت للعسكريين انني اكتفي بان يكون لدينا الرد العسكري على جزء من الاخطار التي تصفونها بانها محتملة اما بالنسبة للاخطار الاخرى فان الحكومة تأخذ على عاتقها المسؤولية كاملة واود ان اعرف عدد البنود الاحتياط الذين يجب تجنيدهم لمواجهة هذه الاخطارا فاجابوا كذا وكذا بالنسبة للهدف المحدود وكذا وكذا للهدف الاوسع وكان اقتراحهم يشتمل على تجنيد قوات احتياطية اكبر مما اعتبرته ضروريا.

لقد وافقت على الفور على تجنيد محدود للقوات الاحتياطية في المجالات الحيوية وامرت هيئة الاركان بعدم تجنيد قوات أكثر والانتظار إلى جلسة الحكومة المقبلة.

فى جلسة الحكومة اوضحت الاسباب التي جعلتني أؤيد تجنيد قوات احتياطية محدودة وقلت: رغم كل المخاوف فانه ليست لدينا رغبة في زيادة حدة التوتر وان تجنيد قوات احتياطية باعداد كبيرة سيؤدي إلى وضع يصعب علينا السيطرة عليه ويجب علينا ان نجد نقطة التوازن الصحيحة بين المخاوف التي تبدو منطقية في ضوء ما حدث في حرب اكتوبر وبين هدفنا الرئيس الا وهو الاستمرار في المفاوضات السياسية والحفاظ على الاتفاقيات القائمة وعرض رئيس الاركان موقفه المؤيد تجنيد قوات احتياطية كبيرة وبعد نقاش طويل اقرت الحكومة اقتراحي بما يشبه الاجماع.

لقد ابلغنا الولايات المتحدة بالقرار بدون ذكر الارقام والتفاصيل وعززنا خطوطنا الامامية في الجولان وضاعفنا قواتنا المدرعة والمدفعية واعتقد بان اجراءاتنا قد شجعت السوريين على الاعلان بموافقتهم على تجديد انتداب قوات الامم المتحدة وتخفيف حدة

التوتر بعد ذلك ركزنا اهتمامنا بالمسيرة السياسية وكان موقفنا ازاء الاتفاق المرحلي مع مصر واضحا للدكتور كسنجر وخلاصته ان عمق الانسحاب الإسرائيلي سيكون مرهونا بعمق المقابل السياسي الذي ستقدمه مصر ولكن إسرائيل لن تنسحب بأي حال من الأحوال إلى خطوط الرابع من حزيران ١٩٦٧.

لقد اعلن يجآل الون وزير الخارجية فور عودته من واشنطن بان الرئيس فورد قد ابلغه باستحالة التوصل إلى اتفاق بانهاء حالة الحرب وان الاتفاق قد تم على ان يقوم كسنجر بزيارة إسرائيل في العاشر من شباط ١٩٧٥ بعد زيارة يقوم بها لمصر واكدنا باننا غير ملتزمين سلفا باي صيغة وان على كسنجر ان يعيد دراسة الامكانيات كلها، وفى غضون ذلك تأجلت زيارة بريجنيف لمصر ودل ذلك على نية مصر لمواصلة المسيرة السياسية من خلال الاعتماد الكلي على الولايات المتحدة.

قبيل زيارة كسنجر للمنطقة توصلت إلى قناعة بأنه يجب على إسرائيل ان تتبنى سياسة ذكية بحيث لاتعرض على مصر انسحابا عميقا على اساس ادراكي بأن مصر لن تستطيع اعطاءنا الثمن المناسب.

مقابل اتفاق سلام مع مصر كنت مستعدا للانسحاب من معظم شبه جزيرة سيناء ولكن ليس إلى حدود الرابع من حزيران ١٩٦٧ ومقابل انهاء حالة الحرب كنت مستعدا للموافقة على الانسحاب إلى خط العريش - راس محمد واعتقدت ان كلتا الامكانيتين غير مقبولتين لدى مصر ولذا كان من الضروري التركيز على امكانية التوصل إلى «اتفاق محدود» يتضمن انسحابا إسرائيليا إلى مسافة تتراوح بين ٣٠ - ٥٠ كم مع ابقاء ممري الميتلة والجدي وحقول النفط تحت سيطرة إسرائيل مقابل اتفاق من يثبت وقف اطلاق النار وينطوي على عناصر سياسية وترتيبات في المنطقة تخلق حالة من الهدوء والسلام واعتقدت أيضاً اننا إذا اضطررنا للتخلي عن الممرين أو عن حقول النفط فان من الافضل لنا ان نتخلى عن النفط لأن الممرين ينطويان على أهمية امنية بينما حقول النفط هي في الاساس مشكلة مالية.

فى احد اجتماعاتنا المغلقة سألني كسنجر: ما رأيك بالتزام مصري علني ومعلن كبديل لالغاء حالة الحرب يتضمن عنصرين:- التزام بعدم استخدام القوة في العلاقات بين مصر وإسرائيل والتزام آخر بان يتعهد الجانبان بحل النزاع بينهما بطريق المفاوضات فقط، فأجبت أن هذا اقل بكثير من إلغاء حالة الحرب ولكننا نستطيع الموافقة على ذلك شريطة ان لا يتوقع احد منا ان يكون المقابل الذي سندفعه مشابها للمقابل الذي كنا على استعداد لتقديمه ثمنا لالغاء حالة الحرب وان الصيغة التي تقترحها لها مغزى سياسي وتتجاوز ابعاد الاتفاق العسكري.

لقد كان كسنجر مقتنعا بوجود امل في ان توافق مصر على مثل هذه الصيغة ولكنها ستطالب بان يشمل الانسحاب الإسرائيلي ممري الميتلة والجدي وآبار النفط في سيناء واوضحت له بان الممرين أكثر أهمية بالنسبة لنا من حقول النفط وان تمسكنا بالممرين يجعل مصر معنية بالمحافظة على الاتفاق واذا انتجت مصر النفط من الآبار بينما يرابط الجيش الإسرائيلي على بعد سبعة كيلومترات من الآبار فانها ستدرك ان أي خرق للاتفاق يعني ايقاف انتاج النفط واعتقدت بان امكانيات استمرار الاتفاق ليصبح منطلقا لاتفاقيات أخرى تؤدي إلى السلام ستكون مشروطة بمصلحة الجانبين في استمراره وبقائه ساري المفعول.

لقد كانت لدى القيادة الإسرائيلية آراء مناقضة لوجهة نطري فرئيس الاركان كان يعتقد بان الثمن الكلامي حتى لو كان مصاغا في اتفاق خطي فانه اقل أهمية من خلق امر واقع عسكري جيد واقترح بان ينسحب الجيش الإسرائيلي إلى خط العريش - راس محمد شريطة ان ينزع سلاح المنطقة وتقوم دوريات إسرائيلية مصرية مشتركة بالتجول في المنطقة وان يكون أمد الاتفاق ٧ - ١٠ سنوات حتى لو كان ذلك بدون مقابل سياسي.

لقد جاء كسنجر وتحدثنا بشكل مكثف وسافر إلى القاهرة وعاد مرة أخرى وتحدثنا وبالإضافة إلى المسائل السابقة فقد اثيرت قضية أخرى وهي: إذا عقد مؤتمر جنيف وانهارت

المفاوضات بسبب التباين في المواقف فهل ستبقى مصر ملتزمة ازاء الاتفاق مع إسرائيل أم ستعتبر نفسها في حل منه؟

لقد كان واضحا لدينا بان الالتزام المصري لتنفيذ الاتفاق في كافة الظروف هو احد شروط الانسحاب الإسرائيلي، وابدى كسنجر تفهما لهذا الموقف وايده وكان قد بدا الاعياء على وزير الخارجية الأمريكي عندما وصل إلى إسرائيل في العاشر من شباط ١٩٧٥ وهو الرجل الذي يعرف عنه نشاطه المنقطع النظير وقوة الاحتمال النادرة وبدأنا في الحديث حول ملابسات حرب اكتوبر ٧٣ وقلت له:- هل نهاية حرب اكتوبر كانت ثمرة سوء تفاهم بين الولايات المتحدة وإسرائيل أم ان الولايات المتحدة رغبت في منع إسرائيل من تحقيق انتصار حاسم وفرضت عليها وقف اطلاق النار قبل تحقيق الحسم؟ فقال كسنجر انه كان متأكدا بأنه كان يعمل حسب ارادة إسرائيل أيضاً عندما وصل إلى إسرائيل بتاريخ ٢٢ تشرين الأول بعد ان اتفق مع السوفييت في موسكو على وقف اطلاق النار في ذلك اليوم أي بعد ٤٨ ساعة من تحقيق إسرائيل لهدفها العسكري وقال:- عندما توفرت لدينا معلومات بان الروس يعتزمون ارسال فرقتين إلى مصر بطريق الجو اضطررنا إلى اعلان حالة التأهب النووية العالمية وهو عمل لم يسبق له مثيل منذ ازمة كوبا ورفع درجة التوتر إلى الذروة وارجو ان لا تحملونا اية مسؤولية، فنحن في الاسبوعين الأول والثاني من الحرب لم نفيدكم ولم نضغط عليكم ولكن الواقع الدولي والعلاقات بين الدول العظمى لا يسمح بان يتحقق في الاسبوع الثالث من الحرب ما لم يتحقق في الاسبوعين الأول والثاني. لقد قال كسنجر وقلنا نحن ولم نكن ملزمين باتخاذ قرارات نهائية وبعد ذلك انتقلنا لمناقشة مواضيع جذرية وقام كسنجر باستعراض الوضع العالمي وتطرق لموقف الاتحاد السوفياتي من الولايات المتحدة في ضوء الاتجاه الأمريكي لتقليص الميزانية العسكرية وفى ضوء مخاوف الاتحاد السوفياتي من قدرة الرئيس السابق نيكسون على المغامرة بينما لا يبدون تخوفا من الرئيس فورد.

لقد وصف كسنجر الوضع فيئ اوروبا واليابان وقال انهما لا يزالان يعيشان تحت تأثير الازمة النفطية التي اعقبت حرب اكتوبر وان الأمريكيين أيضاً لا يزالون يذكرون كيف وقفوا في تشرين الثاني ١٩٧٣ في الطوابير للحصول على وقود لسياراتهم وذلك لاول مرة منذ الحرب العالمية الثانية واضاف بأنه يأمل في النجاح في انشاء منظمة لمستهلكي النفط الغربيين للتصدي لمنطمة اوبيك. وبعد ذلك انتقل للحديث حول الشرق الاوسط وقال انه إذا استزنف مؤتمر جنيف فانني لست بحاجة لاصف لكم الموقف الذي سيتخذه السوفييت والعرب ولست مضطرا لاذكركم بان مشروع روجرز لم يلغ بعد وان أي رئيس أمريكي لا يستطيع الامتناع عن مطالبة إسرائيل بالانسحاب إلى حدود الرابع من حزيران في سبيل التوصل إلى اتفاق سلام شامل في الشرق الاوسط.

لقد اعتبر كسنجر الاتفاق المرحلي مع مصر املا جيدا للتقدم في المسيرة السياسية واتفقنا على ان يعود في آذار للقيام بجولة مكوكية في الشرق الاوسط بهدف التوصل إلى اتفاق مرحلي بين مصر وإسرائيل.

ولكن قبل ان يقوم كسنجر برحلته المكوكية وقع حادثان مختلفان من حيث الجوهر ولكنهما تسببا في حدوث عاصفة عامة داخل إسرائيل. بتاريخ ١٧ شباط وصل إلى إسرائيل جون لينسي رئيس بلدية نيويورك سابقا كصحفي من قبل شبكة التلفزيون الأمريكية أي بي سى واجرى معي مقابلة وسألنى ما الذي تستطيع إسرائيل تقديمه لمصر مقابل اتفاق بالغاء حالة الحرب مع مصر؟ فاجبت اننا سنقدم لمصر ممري الجدي والميتلة وآبار النفط مقابل التزام مصري صريح وقاطع بوضع حد لحالة الحرب وتعهد بعدم التهديد بالحرب باي شكل من الاشكال ولم اكد انتهي من الادلاء بالتصريحات المشار إليها حتى هبت المعارضة وعدد من اعضاء حزب العمل وهاجمني الجميع قائلين: من الذي خول رئيس الوزراء هذه الصلاحية؟!

لقد كانت لدي معلومات بأن إسرائيل اعربت - قبل تشكيل حكومتي - وعلى مسامع الأمريكيين عن استعدادها لتسليم الممرين وحقول النفط في ابو رديس مقابل اتفاق بانهاء

حالة الحرب، ولكن ليس على هذا الأساس وحده ركزت أقوالي لجون ليندسي بل لأنني اعتقدت بان من الضروري ان تعلم مصر والولايات المتحدة بان إسرائيل مستعدة للتخلي عن الممرين وحقول النفط إذا ابدت مصر استعدادا لوضع حد لحالة الحرب ووضع اساس جيد للعلاقات بين الدولتين والتخلى عن طريق الحرب والسير في طريق السلام واعتقدت أيضاً بأنه يجب منح رئيس الوزراء - حتى في النظام الائتلافي - حرية التعبير حسب ما يراه مناسبا ومعبرا عن وجهة نطره التي تمثل أيضاً رأي الغالبية العظمى لاعضاء حكومته على الرغم من عدم ورودها في قرار رسمي صادر عن الحكومة.

في مساء الخامس من آذار هاجم فدائيون فندق سافوي بتل ابيب واستولوا عليه وكان ذلك قبل زيارة كسنجر لإسرائيل بثلاثة ايام وكان توقيت العملية يهدف إلى تشويش الزيارة والحيلولة دون التوصل إلى تسوية مع مصر والتلويح وكأني بالفلسطينيين يقولون «نحن هنا» وان التسوية التي لا تروق لنا لن تضع حدا للحرب.

مع مجيء كسنجر إلى إسرائيل في التاسع من آذار ١٩٧٥ بدأت الاتصالات للتوقيع على الاتفاق المحلى مع مصر لقد قال كسنجر في اجتماعنا الأول به انه وجد السادات واثقا بنفسه ومصمما على السير في طريق الاتفاق مع إسرائيل وانه - أي السادات - يأمل في امكانية التوصل إلى اتفاق في الجبهات الاخرى أيضاً ولكن الاتفاق المصري - الإسرائيلي سيكون قائما بحد ذاته وقال السادات ان الهجوم على فندق سافوي لم يكن موجها ضد إسرائيل بل ضد مصر وضده شخصيا.

لقد خرجت بانطباع من محادثات مختلفة اجريتها في تلك الفترة بان عناصر مصرية لا تعارض استمرار إسرائيل في عملياتها ضد المنظمات الفدائية وان تلك العناصر اظهرت قدرا من الاستياء وعدم التسامح ازاء منظمة التحرير الفلسطينية وامرت الصحف المصرية بنشر نبأ مفاده ان السادات رفض الاجتماع بزعماء منظمة التحرير ارضاء للملك فيصل الذي كان

يتملكه الرعب في كل مرة كان يزور بها مصر خشية تعرضه للاغتيال من قبل منظمة التحرير الفلسطينية.

ان موقف تلك العناصر من منظمة التحرير الفلسطينية لم تكن علنية بل على العكس فقد كان المصريون يصرحون، بانهم يعتبرون انفسهم ملتزمين نحو الفلسطينيين ويهتمون بقضاياهم. لقد عرض علينا كسنجر خارطة جديرة بالاهتمام قدمها له وزير الحربية المصري الجنرال الجمصي وكانت تعتمد على حد قول الجمصي على الاحتياجات الامنية لكل من إسرائيل ومصر ولم تكن تلك خارطة سياسية بل عبارة عن رسم لخطوط دفاعية مصرية وإسرائيلية يراها الجمصي قابلة للدفاع عنها بسبب ميزاتها الطوبوغرافية وكان الخط المصري يقع إلى الشرق من ممري الميتلة والجدي أي ان الممرين سيكونان تحت سيطرة مصر اما الخط الإسرائيلي الذي يعتبره الجمصي مريحا بالنسبة لإسرائيل فقد كان يقع في خطين: الأول يبعد ١٥ - ٢٠ كم إلى الغرب من الحدود الدولية داخل سيناء والثاني يقع داخل حدود فلسطين الانتدابية واوصى الجمصي بالموافقة على الخط الأول في اطار الاتفاق المقترح.

لقد ابقى الجمصي في اقتراحه المطارات في سيناء تحت سيطرة إسرائيل وهي مطارات العريش وجبل لنبي وايلات وشرم الشيخ واقترح ان تحدد بين الخط المصري والإسرائيلي منطقة محايدة لا تدخلها قوات عسكرية وادعى الحمصي بان الاتفاق المرحلي الذي سيكون معتمدا على هذا التقسيم سيمنح إسرائيل عمقا اقليميا وسيخلق توازنا استراتيجيا يضمن مصالح الجانبين.

لقد نجح الجمصي في كسب اعجاب الأمريكيين بغارطته ونعن لم نستطع الموانقة على طلب مصر بالجلا، عن مناطق ئاسعة بدون ثمن سياسى.

وبعد يومين توجه كسنجر إلى اسوان مزودا بردنا وكان كما يلي:- مقابل اتفاق بعدم استخدام القوة وحل النزاع بالطرق السلمية وعناصر سيادية أخرى كايقاف الحرب العاتية

وتخفيف حدة الحرب الاقتصادية والسماح للبضائع الإسرائيلية والسفن التي تعمل اعلاما اجنبية وبها طواقم اسرائيلية بالعبور في قناة السويس نوافق على انسعاب الجيش الاسرائيلي إلى مسافة معينة ولكن ليس من الممرين على ان لا تدخل قوات مصرية إلى المناطق التي سيخليها الجيش الإسرائيلي وان يتم تميد انتداب قوات الأمم المتحدة لمدة عام واحد على ان يسري مفعول الاتفاق سنوات معدودة وان يكون مجال المناورة الاسرائيلي ممتدا على طول خليج العريش وتضمن ردنا أيضاً استعدادنا للانسحاب إلى خط العريش - راس محمد مقابل اتفاق بالغاء حالة الحرب تماما.

في احدى الرحلات المكوكية التي قام بها كسنجر في المنطقة طلبت من وزير الخارجية الامريكي ان يتحدث مع الرئيس السادات في اجتماع مغلق حول امكانية عقد سلام منفرد وكامل مع اسرائيل مقابل موافقة إسرائيل على اعادة معظم مناطق سيناء إلى السيادة المصرية وربما أيضاً كافة مناطق سيناء فعاد كسنجر إلى القول بأن السادات لا يستطيع عقد سلام منفرد وان مسالة مدى استعداد إسرائيل لتقديمه لقاء مثل هذا السلام غير وارد في الوقت الراهن وبالمقابل فقد قال السادات لكسنجر في حديث آخر ان من الممكن التحدث حول الغاء حالة الحرب مقابل انسحاب إسرائيلي إلى مسافة ٢٠ كم من الحدود الدولية.

واستمرت الرحلات المكوكية وفرض علينا كسنجر جدول اعمال حافلا واضطررت إلى عقد لقاءات واجراء محادثات والقيام بزيارت وشوش كسنجر جميع برامجي فهو يغادر في اوقات «غير طبيعية» ويعود في ساعات «مجنونة» ويعقد معنا محادثات مطولة تصل الليل بالنهار وكان يبودو كل مرة مليئا بالحيوية والنشاط.

بتاريخ ٢٠ آذار ١٩٧٥ اتضحت الصورة التالية: مصر مستعدة لاتفاق بعدم استخدام القوة ولحل النزاع بالطرق السلمية وتقترح امكانيتين اقليميتين:

الأولى: تحتفظ مصر وإسرائيل بـالممرين: مصر تعـتفظ بالجانـب الغـربي وإسرائيـل بالجانـب الشرقـي وتقام بين الجيشين منطقة فاصلة يتراوح عرضها بين ١٥ - ٢٥ كم تسيطر عليهـا الامـم المتحـدة كـما حـدث بالنسبة لاتفاقية الفصل بين القوات.

والثانية: يرابط جيشا مصر وإسرائيل عـلى بعـد متسـاو مـن مـداخل الممـرين بحيـث يـرابط الجـيش المصري من الغرب ويرابط الجيش الإسرائيلي من الشرق على ان تكون المنطقة الواقعة بين الجيشين منطقـة فاصلة وحسب الاقتراح لا توافق مصر على أي تواجد إسرائيلي في المنطقة الفاصلة ولهذا يجب على الجـيش الإسرائيلي ان يزيل اجهزة الانذار المبكـر التـي أقامهـا في أم خشـيبة وبموجـب الاقتراحـين سـيتحرك الجـيش المصري إلى مسافة ٢٠ - ٣٠ كـم باتجـاه الممـرين وينسـحب الجـيش الإسرائـيلي مسـافة ٣٠ - ٥٠ كـم مـن مواقعه الحالية وطالب المصريون أيضاً بحقول النفط في ابو رديس.

اما الاقتراح الإسرائيلي فكان ينص على ما يلي: ينسحب الجيش الإسرائيلي حتى أواسط الممرين ويتقدم الجيش المصري حتى الخط الحالي الذي يرابط فيه الجيش الإسرائيلي بموجـب اتفاقيـة الفصـل بـين القـوات على ان تحتفظ إسرائيل باجهزة الانذار الموجودة في أم خشيبة، وفي مرحلة متأخرة وافقنـا عـلى تنـازل آخـر وهو: ان ينسحب الجيش الإسرائيلي حتى المداخل الشرقية للممرين ويتحرك الجيش المصري نحو الخطـوط الحالية للجيش الإسرائيلي وتحصل مصر على حقول النفط على ان تبقى كجيب وسط المناطق التي يسـيطر عليها الجيش الإسرائيلي.

لقد كانت صيغة عدم استخدام القوة مقبولة وتخلينا عن مرور سفن اجنبية تقل طواقم إسرائيليـة في قناة السويس اما الصيغ المتعلقة بالامور الاقتصادية فقد كانـت غامضـة ولم يوافـق المصريـون عـلى سريـان الاتفاق أكثر من عـامين ووافـق السـادات عـلى انـه إذا عقـد مـؤتمر جنيـف وفشـل فـان الاتفـاق المصري - الإسرائيلي يظل ساري الفعول حتى لو قام هو بشن هجوم كلامي شديد الـلـهجة على إسرائيل.

اما بالنسبة لامكانية نشوب حرب بين سوريا وإسرائيل فقد استعد السادات للتعهد امام الولايات المتحدة بان لا تتدخل مصر إذا قامت سوريا بشن الحرب على إسرائيل ولكنه طلب بالمقابل تعهدا إسرائيليا بعدم مهاجمة سوريا إذا التزمت سوريا بعهودها المنصوص عليها في اتفاقية الفصل بين القوات.

لقد تنقل كسنجر بين إسرائيل ومصر وكان يقول للمصريين: هكذا يقول الإسرائيليون ولكن... وكان يقول لنا: هكذا يقول السادات ولكن... وكانت كلمة «لكن» هذه يستخدمها كسنجر لابقاء الباب مفتوحا امام استمرار المسيرة حتى لو بدا له عدم وجود امكانية للتوفيق بين المواقف المتناقضة.

ومع اطالة أمد المناقشات لم يتم التوفيق بين ثلاثة مواضيع رئيسة: خطوط الانسحاب الإسرائيلي وخط التقدم المصري وتواجد جهاز الانذار المبكر الإسرائيلي في أم خشيبة وفترة سريان الاتفاق.

في احدى المحادثات قال لي كسنجر ان السادات سأله: هل الحكومة الإسرائيلية تريد حقا التوصل إلى السلام؟ وهل تحرر الإسرائيليون من عقدة الامن ومستعدون حقا للتقدم نحو السلام وكسر طوق الحروب؟ فأجابه كسنجر بأنه يؤمن برغبة الإسرائيليين في السلام واقترح عليّ أن اكتب رسالة للسادات ففعلت فاخذ كسنجر الرسالة وذهب وقال لي بعد عودته من مصر لقد قرأ السادات الرسالة أمامي وبدا عليه التأثر الشديد ولم يرد عليها حتى الآن.

لقد بدأ صبر كسنجر بالنفاذ وبدا التوتر يسيطر على تصرفاته وكثيرا ما تفوه بعبارات تعبر عن الاستياء مثل: انكم تقومون بشيء خطير... خطير جدا... ولن اكون الرجل الذي يحاول ان يفرض عليكم شيئا ما لأن الامر لا يتعلق بأمني الشخصي ولكنكم تخطؤون ويجب رؤية هذا الاتفاق في اطار خطوات جيدة في الشرق الاوسط وانتم قد تعرقلون مسيرة ايجابية اخذت في الظهور ستكون هناك نتائج خطيرة سواء بالنسبة لمكانة الولايات المتحدة في المنطقة

أو مكانة السادات الذي وضع ثقته بالولايات المتحدة أو بالنسبة لوضعكم في المنطقة وعلاقاتكم بالولايات المتحدة وانا آمل ان لا تنشب الحرب ولكن... وقال كسنجر في اجتماع خاص عقده معي ستكون هذه ضربة موجهة نحوي... ولكن هذا غير مهم ستكون هناك مطالب فورية عربية - سوفياتية لعقد مؤتمر جنيف وانا لا استطيع ان اضمن في هذه الظروف ماذا سيكون عليه الموقف الأمريكي.

لقد بدأ الصبر ينفذ وبدأ كسنجر بصياغة بيان حول فشل المحادثات وكانت إسرائيل المحطة الأخيرة له التي سيعلن فيها فشل الجهود وربما لكي يؤكد بأننا نتحمل مسؤولية الوضع الذي نشأ.

الفصل السادس

تجميد مهمة كسنجر

لقد كان حجم الازمة معروفا لدي قبل ان يتحول الفشل إلى حقيقة وسوف نضطر إلى بذل جهود لكسب الرأي العام في الولايات المتحدة والاستعداد لشن حملة اعلامية في اوساط الشعب الامريكي والجالية اليهودية والكونغرس ووسائل الاعلام لدحض المزاعم والاتهامات الموجهة الينا ولنبرهن بأن مصر بالغت في مطالبها بينما لم تبد استعدادا لتقديم الثمن المناسب وسنعيش فترة عصيبة وربما عصيبة للغاية.

في يوم الجمعة الموافق ٢١ آذار اتصلت هاتفيا بعضو الكنيست مناحم بيغن زعيم المعارضة وقلت له: اننا لا نستطيع الموافقة على المقترحات المصرية وسوف أوصي في جلسة الحكومة بعدم الموافقة على تلك المقترحات وأردت ابلاغك بذلك قبل اتخاذ القرار فأجاب بيغن قائلا أن المعارضة ستقف إلى جانب الحكومة.

لقد توجه كسنجر إلى الرياض وكان ينوي العودة إلى إسرائيل للاعلان عن توقف مهمته وفى جلسة الجمعة للحكومة وخلال المناقشات تلقيت رسالة عاجلة من الرئيس الأمريكي جاء فيها «ان كسنجر قد ابلغه بتجميد مهمته وانه أي الرئيس فورد يعرب عن خيبة أمله العميقة من الموقف الذي اتخذته إسرائيل خلال المفاوضات واضاف الرئيس في رسالته: انك تعلم من محادثاتنا كما يعلم وزير الخارجية الإسرائيلي بالأهمية الكبيرة التي اوليتها لنجاح الجهود الأمريكية في التوصل إلى اتفاق وان مهمة كسنجر التي شجعتها حكومة اسرائيل تعبر عن المصالح الأمريكية الحيوية في المنطقة وستكون لفشل المفاوضات نتائج بعيدة الأثر على المنطقة وعلاقاتنا وقد امرت الاوامر باعادة تقييم السياسة الأمريكية في المنطقة بما في ذلك علاقاتنا مع إسرائيل بهدف المحافظة على المصالح الأمريكية العامة في الشرق الاوسط خاصة وفي العالم عامة وسوف نقوم بابلاغك بقرارنا.

لقد حققت الرسالة نتيجة عكسية تماما ولم يكن لدي ادنى شك قبل ومولها بأنه إذا لم تتزحزح مصر عن مواقفها التصلبة ازاء القضايا الاقليمية وامد الاتفاق ومحطات الانذار الإسرائيلية في أم خشيبة فان إسرائيل لا تستطيع باي حال من الاحوال التوصل إلى الاتفاق ولكن الرسالة التي بعث بها الينا الرئيس الأمريكي أدت إلى تصلب مواقف المترددين في الحكومة الإسرائيلية.

لقد قررت الحكومة تكليف الطاقم الوزاري بمواصلة المحادثات مع كسنجر مع التمسك بمواقف إسرائيل الثابتة ورفضت رسالة الرئيس الأمريكي وأمرت بالاستعداد عسكريا واعلاميا لكافة الاحتمالات.

في صبيحة يوم السبت اجتمعت برئيس المعارضة وبعضو الكنيست اسحق نافون رئيس لجنة الخارجية والأمن التابعة للكنيست وابلغتهما بالرسالة وبالقرار الذي اتخذته الحكومة واعربت المعارضة عن تأييدها المطلق للحكومة وفي المساء اجتمعت بالدكتور كسنجر وكان اصعب اجتماع عقدته حتى الآن وسادته اجواء متوترة ولم أصدقه عندما وعد قائلا بأنه سيبذل كل جهد ممكن لعدم تحميل إسرائيل مسؤولية الفشل وحاول المحافظة على هدوء اعصابه ولكنه لم ينجح في اخفاء خيبة أمله الشديده ولمح لأول مرة بأنه كان هناك سوء تفاهم بينه وبيني حول استعداد إسرائيل لانسحاب اكبر في سيناء وقد ترددت اصداء هذا الادعاء فيما بعد في الاروقة السياسية الأمريكية واستخدم كسلاح ضد إسرائيل، لقد اغتنمت اول فرصة اتيحت لي لدحض هذا الادعاء بان كسنجر قد انطبع من حديثه معي بان إسرائيل مستعدة لانسحاب كبير مقابل ما هو أقل من الغاء حالة الحرب ولم اجد أي اساس لهذا الادعاء ولم احاول ايهام كسنجر وغيره بذلك وقلت لكسنجر «لقد تخلينا عن مطالبتنا بان توافق مصر على الغاء حالة الحرب ووافقنا على صيغة عدم استخدام القوة» التي تحمل معنى اقل من الغاء حالة الحرب ومقابل هذه الصيغة اعربنا عن استعدادنا لتسليم المصريين حقول النفط في أبو رديس والانسحاب حتى التلال الشرقية لممري الجدي والميتلة على الرغم من

الخطر الذي ينطوي عليه مثل هذا العمل على قاعـدتنا في بـير ققفقفـا، وكنـا عـلى اسـتعداد للموافقـة عـلى تحرك الجيش المصري من مواقعه الراهنة والمرابطة في المنطقة الفاصلة ليحتفظ بموقعين امـاميين يقعـان في المداخل الغربية لممري الجدي والميتله وأظهرنا مرونة كبيرة ورغبة قصوى لكي تتكلـل مهمتـك بالنجـاح وان الزعم بان إسرائيل هي سبب خيبة الأمل بدلا من تحميل مصر المسؤولية كاملة هو تشويه للحقائق. ن

في مساء السبت ٢٢ آذار ١٩٧٥ عقد آخر اجـتماع بـين الطـاقم الـوزاري الإسرائـيلي والـدكتور كسـنجر ورفض الوزير الأمريكي اقتراحـا يـدعوه للتوجـه إلى مصر في محاولـة اخـيره للتوفيـق بـين المواقـف وانتهـت مهمته.

وفي صبيحة يوم الاحد ٢٣ آذار غادرت جلسـة الحكومـة قبـل انتهائهـا وتوجهـت الى فنـدق الملـك داوود بالقدس لكي ارافق كسنجر إلى المطار وتوجهنا بطائرة هيلوكبتر إلى اللد ولم يتحدث احدنا مع الآخر وفي احـدى غرف المطار اجرينا حديثا على انفراد وقلـت:- اننـي آسـف للغايـة لفشـل مهمتـك مـن النـاحيتين الموضـوعية والشخصية معا، ومن الناحية الموضوعية - في المجـال المصري - الإسرائـيلي، لقـد رغبـت في التوصـل إلى اتفـاق على الرغم من ان كثيرين في إسرائيل اتهموني بأنني بدأت المفاوضات من موقف يطالب بالغـاء حالـة الحـرب وبعد ذلك تخليت عنه ووافقت عـلى الواقـع عـلى انسـحاب بـدون مقابـل سـياسي ملمـوس وتحملـت كامـل المسؤولية وانني آسف على الضرر المتوقع الذي سيصـيب العلاقـات الإسرائيليـة الأمريكيـة وانـت تعلـم مـدى الجهد الذي بذلته كسفير لإسرائيل لـدى واشـنطن في بنـاء علاقـات إسرائيليـة - أمريكيـة وطيـدة ترتكـز عـلى المصالح المشتركة وتأخذ بعـين الاعتبـار المصـالح الأمريكيـة واننـي بـالطبع اشـعر بالأسـف الشـخصي في مجـال العلاقات بينك وبيني وقد اقمنا علاقات مبنية على الثقة اثبتت فعاليتها في الازمات وانني متأكد بأننـا سـنعاود البحث في الاتفاق مع مصر وسنجد الطريق لتحقيقـه واننـي اعلـم اننـا نقـف امـام مرحلـة صـعبة ولكننـي لم اسـتطع اتخـاذ موقـف آخـر ووافقـت عـلى قـرار الحكومـة الـذي يعـرب عـن عـدم قـدرة الحكومـة عـلى

قبول الاتفاق بهذه الشروط وقد اوصيت الحكومة باتخاذ هذا الموقف مع علمي بأنه ينطوي علی مخاطر عديدة وربما على خطر اندلاع الحرب ايضا.

إن القضية ليست قضية شخصية وأنا اعتبر نفسي مسؤولا عن كل جندي في الجيش الإسرائيلي وكانه كان ابني وانت تعلم بان لي ولزوجتي ليئا ولد وبنت وابنتي متزوجه من ضابط يعمل في الخدمة الدائمة كقائد كتيبة دبابات في الخط الامامي في سيناء وابني قائد فئة دبابات في الخط الامامي في سيناء وانا اعلم انه إذا نشبت الحرب مع مصر فان كليهما ابني وصهري سيكونان في خط النار الأول وفي خط الخطر الأول ولم استطع القيام بخطوة غير تلك التي اتخذتها.

لقد كان كسنجر في غاية التأثر واراد ان يرد علي ولكن الانفعال تغلب عليه ولم يستطع الكلام وفي هذه الاثناء حان موعد اقلاع طائرته وادلينا ببيانات وداعية ولم يستطع كسنجر اخفاء تأثره للجهود التي ذهبت سدى وشعرت بالعاصفة التي تجيش في نفسه كيهودي وكأمريكي.

لقد اقلعت طائرة كسنجر الرجل الذي اكد باستمرار انه يعمل لصالح إسرائيل حتى عندما بدا لنا عكس ذلك لقد كان كسنجر عبقريا في التفاوض وكان يعرف الابطال الرئيسين في الحلبتين العربية والإسرائيلية وكثيرا ما كان يصف بدقة متناهية المفاوضين المصريين والاردنيين والسوريين بحيث كان يتطرق لميولهم وطريقة تفكيرهم ورد فعلهم واعتقد بأنه كان في محادثاته معهم يصف المفاوضين الإسرائيليين بنفس الدقة.

لقد كان كسنجر يحدثنا عن ادراك المصريين للواقع الإسرائيلي ومعرفتهم بالشخصيات الاسرائيلية التي تشارك في المفاوضات وفي إحدى المرات زودنا كسنجر «بورقة» تضمنت تفاصيل معينة لموضور عدم امتخدام القوة وقال كسنجر ان وزير الخارجية المصري اسماعيل فهمي القى نطرة خاطفة على الورقة وقال ان شخصا واحدا في إسرائيل يستطيع صياغة مثل

هذه الورقة ومو مئير روزن الستشار القانوني لوزارة الخارجية الإسرائيلية فرد كسنجر عـلى فهمـي قـائلا: لا اعلم من الذي ماغ الورقة ولا اعرف روزن واعتقد بان مردخاي غازيت مدير عام مكتب رنـيس الـوزرا، مـو الذي صاغها ولكن فهمي اصر على موقفه وقال: كلا ان هذه ليست مـن صـنع غازيـت بـل مئـير روزن ولم نعقب عندما حدثنا كسنجر بهذه الرواية ولكن الحقيقة مي ان الورقة كانت من اعداد مئير روزن فعلا.

عندما استمع الان إلى تقارير وقصص من إسرائيليين اجتمعوا بالرنيس السـادات والمسـؤولين المصريـين اتذكر قصص كسنجر واكتشف مدى دقته في وصف السؤولين المصريين.

لقد كان كسنجر يجد متعة في الاقامة في فندق الملك داوود بالقدس كـما كـان يسـافر إلى مصر برغبـة ظاهرة ولكنه لم يكن يجد متعة في السفر إلى سوريا رغم كثرة تردد، عليها فقد كانت الاجـواه منـاك حافلـة بالشكوك والتوتر وكانوا يستضيفونه في دار الضيافة المتافم للمسجد الكبـير في دمشـق وفى كـل صـباح كـان صوت الؤذن يوقظه من نومه قبل الفجر.

أما في السعودية فقد قدم له الملك فيصل في احدى المقابلات بينهما كتاب بروتوكولات حكـما، مهيـون ولكن بسبب نفاذ الطبعة الانجليزية فقد كانت النسخة التي قدمها له مكتوبة بالفرنسية.

إن الوقت لم يحن بعد للحديث عن مساهمة كسنجر لأمن إسرائيل ولكنها كانت مساهمة على درجة عظيمة من الاهمية على الرغم من ذلك فقد كان كسنجر يعرف كيف يكون خصما وكانت خصومته صعبة ولكنها ليست خطيرة وقد خرق وعده بعدم تحميل إسرائيل مسؤولية فشـل مهمتـه في نفـس اليـوم الـذي غادر فيه إسرائيل ووصل إلى لنـدن في طريـق عودتـه إلى الولايـات المتحـدة، ففـي حـديث مـع الصـحفيين المرافقين له قال ان إسرائيل اضاعت الفرصة بسبب مواقفها المتصلبة.

لقد اتصل بي كسنجر من مكتب وزير الخارجية البريطـاني للاستفسـار عـن بعـض التفاصـيل فضـبطت اعصابي وتحليت بضبط النفس حتى لا اسمعه بعض العبارات القاسية لانني كنت اعلم بان النقـاش الكبـير هو الآنفي نقطة انطلاقه.

الفصل السابع

اعادة التقييم

بعد ايام قليلة اعلن الرئيس الأمريكي فورد رسميا قراره المتعلق باعادة تقييم سياسة الولايات المتحدة في الشرق الاوسط وكان قرارا بريئا في ظاهره، ولكنه يحمل في طياته احدى الفترات الاكثر صعوبة وتوترا في العلاقات الأمريكية - الإسرائيلية، طيلة ستة أشهر من آذار وحتى ايلول ١٩٧٥ رفضت الولايات المتحدة التوقيع على صفقات اسلحة جيدة مع إسرائيل على الرغم من قيامها بالتزويد المنتظم للمعدات المختلفة التي اتفق عليها قبل نشوب الازمة كالدبابات والمدافع والطائرات.

لقد رفض الأمريكيون التوقيع على صفقة طائرات ف ١٥ وصواريخ أرض - أرض من طراز لانس ومعدات أخرى وفى هذا المجال كان مغزى «اعادة التقييم» اقل خطورة من «التجميد» الذي فرضه الرئيس جونسون على إسرائيل في اعقاب حرب حزيران حيث فرض حظرا شاملا على كافة انواع الاسلحة لإسرائيل بدون استثناء وبدون تمييز بين اتفاقيات موقعة أو غير موقعة.

لم يكن المغزى الرئيس «لاعادة التقييم» في المجال العسكري بل في الطريقة التي فسرها اعداء إسرائيل العرب وغير العرب وهي ان إسرائيل لن تحصل على دعم أمريكي إذا تمسكت بموقفها الرافض لمساعي السلام في الشرق الاوسط، ولم أعبا بذلك لأنني اردت التوصل إلى اتفاق مرحلى مع مصر يعتمد على نظرتي نحو احتياجات إسرائيل وليس لارضاء الولايات المتحدة.

بعد تجميد مهمة كسنجر ساد المنطقة بعض التوتر وقمنا بتعزيز قواتنا في سيناء بشكل ملفت للنظر ولكن التوتر زال بعد فترة وجيزة اذ كانت لمصر أيضاً مصلحة في استئناف

المفاوضات للتوصل إلى اتفاق مرحلى. ففى لقائه بالرئيس فورد في النمسا بعد تجميد المحادثات بفترة قصيرة عبر الرئيس السادات عن مصلحة مصر في استئناف الجهود للتوصل إلى اتفاق مع إسرائيل بواسطة الولايات المتحدة الأمريكية.

لقد قبلت دعوة لزيارة واشنطن لاجراء محادثات مع الرئيس فورد والمسؤولين في الادارة الأمريكية وبتاريخ ١٠ حزيران ١٩٧٥ وصلت إلى الولايات المتحدة وكانت الاجواء في إسرائيل مشبعة بالشائعات حول تعاظم قوة الجيش المصري وهذا يعود إلى ميل اليهود إلى ارعاب انفسهم وقالت الشائعات ان طائرات جاكوار فرنسية بريطانية موجودة في مصر وهناك أيضاً صناعة جوية مصرية متطورة ولكن الحقيقة هي ان مصر لم تكن تملك آنذاك خيارا عسكريا معقولا ولا تمتلك الآن أيضاً ولكني كنت اسعى للتوصل إلى اتفاق مرحلى مع مصر لكي احول دون عودة مصر إلى احضان الاتحاد السوفياتي لتفتح في وجهها مستودعات الاسلحة السوفياتية الهائلة.

في اعقاب اجتماعه بالرئيس فورد في النمسا اعلن الرئيس السادات عن فتح قناة السويس في الخامس من حزيران ١٩٧٥الذي يصادف الذكرى السنوية لحرب حزيران ٦٧ ولم يربط قراره بالمسيرة السياسية وبالمقابل اعلنت إسرائيل عن تقليص حجم قواتها في سيناء وفى طريقي إلى واشنطن توقفت في لندن واجتمعت برئيس الحكومة البريطانية هارولد ويلسون وهو من اصدقاء إسرائيل المخلصين وقال لي ويلسون استنادا إلى محادثات اجراها نيكسون وفورد ان رياحا معادية لإسرائيل تهب في الادارة الأمريكية وان الولايات المتحدة لا تجد فائدة من استئناف الجهود للتوصل إلى تسوية مرحلية بين مصر وإسرائيل بل تفضل عقد مؤتمر جنيف فطمأنت ويلسون قائلا: انني أومن بأنني سأجد في الولايات المتحدة تفهما لاحتياجات إسرائيل ومواقفها.

وبعد وصولي إلى واشنطن اقمت في دار الضيافة «بلير هاوس» وتناولت طعام الفطور مع كسنجر وكان كل شيء روتينيا واتفقنا أنا وكسنجر على ضرورة ازالة الرواسب السلبية التي

نشأت منذ تجميد رحلته المكوكية واستطعت ان المس دلائل ايجابية نتيجة للحملة الاعلامية التي قمنا بها في الولايات المتحدة واكتشفت بان الكونغرس والرأي العام في الولايات التحدة لا يميلان إلى تصديق الادعاء بان إسرائيل تعرقل السلام وفى دولة ديموقراطية كالولايات المتحدة لا تستطيع الادارة العمل بمعزل عن تأثير الرأي العام.

لقد عزز كسنجر الرأي السائد لدينا بان السادات يرغب في استئناف الجهود للتوصل إلى اتفاق مع إسرائيل وان مخاوفه من ليبيا قد ازدادت ويصف رئيسها القذافى(بالمجنون) وانه قد اعرب عن رأيه بان الدول العربية لا تستطيع التوقيع على سلام شامل مع إسرائيل بدون ايجاد حل للقضية الفلسطينية كما طلب السادات من الأمريكيين بان يتم عمل شيء ما في هضبة الجولان كانسحاب إسرائيل مسافة كيلومتر أو كيلومترين ولكن مصر لا تشترط موافقتها على الاتفاق المرحلي المؤقت مع إسرائيل بموافقة إسرائيل على الانسحاب من الجولان.

بالإضافة إلى الامور المتعلقة بالاتفاق الإسرائيلي - المصري فقد ازعجتنى أيضاً قضية علاقاتنا مع الولايات المتحدة ئ ضوء «اعادة التقييم» وسألت كسنجر: على الرغم من انك وافقت في حينه على عدم التوصل مع سوريا إلى اتفاق مرحلى بل إلى اتفاق شامل فاننا على استعداد للبحث في امكانية التوصل إلى اتفاق مرحلى مع سوريا ولكن بما ان مجال مناورتنا في الجولان ضيق للغاية فاننا لا نستطيع الموافقة سوى على انسحاب لمسافة بضع مئات الامتار والموافقة على تعديلات طفيفة على الحدود ولكن لنفترض انك بدأت بجهود للتوصل إلى اتفاق مع سوريا بعد توقيع الاتفاق مع مصر وفشلت تلك الجهود فهل ستجد إسرائيل نفسها في حالة «اعادة تقييم» من جانب الولايات المتحدة مرة اخرى، انني اريد ان اعلم اين نحن نقف في علاقاتنا؟ وهل ستعيدون تقييم سياستكم ازاءنا إذا رفضنا مطالبكم التي نراها مهددة لأمن إسرائيل بالخطر؟ فقال كسنجر:- ان ما حدث في اعقاب تجميد المحادثات كان ثمرة تطورات خاصة وفريدة من نوعها ان رؤساء الادارة في البيت الابيض وخاصة الرئيس ورجال وزارة الخارجية وغيرهم من اصدقاء إسرائيل ولا يفهمون ماذا حدث ولماذا فشلت

الجهود في الشرق الاوسط وربما كان هناك سوء تفاهم ويجب علينا في المستقبل ان نحدد مواقف محـددة للجميع لتلافي أي سوء تفاهم أو خيبة أمل.

وكانت تلك اشارة من كسنجر بأنه انطبع من محادثات سابقة بـان إسرائيـل كانـت مسـتعدة لتقـديم تنازلات كبيرة ولكنها اتخذت في الواقع مواقف متصلبة.

لقد ابرز نجاح حققه الاعلام الإسرائيلي في فترة «اعادة التقييم» التي اعلنها الرئيس فورد ذلـك الطلـب الذي تقدم به مجلس الشيوخ إلى الرئيس لدعم إسرائيل وتزويدها بما تحتاجه لامنها وقـد وقـع الطلـب ٧٦ عضوا في مجلس الشيوخ وقد وقعوا على الطلب الموالي لإسرائيـل تحـت الضـغط وقـد رفضـنا هـذا الادعـاء جملة وتفصيلا ووجدنا انفسنا في وضع غريب للغاية اذ اضـطررنا نحـن ممـثلي دولـة اجنبيـة للـدفاع عـن اعضاء في مجلس الشيوخ الأمريكي من اتهامات وزير خارجية بلادهم.

بعد ذلك وصف كسنجر موقـف السـادات ازاء الاتفـاق المـرحلي فقـال: انـه - أي السـادات - يطالـب بحقول النفط وبانسحاب إسرائيل من المداخل الشرقية لمري الجدي والميتله المطلة عـلى سـيناء وبالمقابـل فقد اظهر مرونة معينة حول أمد سريان مفعول الاتفاق وسرعة الانسحاب الإسرائيلي.

وهنا وجدنا انفسنا في نفـس النقطـة التـي بسـببها فشـلت المفاوضـات وقلـت للمـرة المائـة:- مقابـل موافقة مصر على الغاء حالة الحرب نحن مستعدون للانسحاب إلى خـط العـريش - راس محمـد ولكـن في اطار الاتفاق المحدود لن نوافق على التنازل عن الجهة الشرقية لمري الجدي والميتله.

وكالعـادة انحـرف الحـديث عـن مسـاره وانتقلنـا للحـديث حـول الاتفـاق المـرحلي وقـال كسـنجر: ربما من الاجـدر بنـا التحـدث حـول الاتفـاق الشـامل وتـرك الاتفـاق المـرحلي جانبـا اننـي اتعـرض لهجـوم عنيـــف في الولايـــات المتحـــدة لاتخـــاذه «الاســـلوب المتعـــرج » واقتطـــاع شرحـــات مـــن

لحم إسرائيل فبعد ان توصلت إلى اتفاقية الفصل بين القوات ابحث الآن في الاتفاق المرحلي فماذا يجب علي عمله في هذا الوضع؟.

لم تكن هناك حاجة بي للرد فقد كان كسنجر يعلم بان الفجوة في المواقف بين إسرائيل والدول العربية تغلق الطريق في وجه التسوية الشاملة وقال كسنجر ان الموقف الاساسي الامريكى ينص على ضرورة الانسحاب إلى خطوط الرابع من حزيران ١٩٧٦ باستثناء تعديلات طفيفة وانا اعلم بان موقفكم يرفض هذا الموقف بشدة.

فى حديث آخر اجريته مع كسنجر خلال تلك الزيارة سالت كسنجر: اننا نعرف بعضنا البعض سنوات عديدة وتحدثنا مئات الساعات حول كافة المواضيع العالمية ولم اسمع منك كيف يجب ان تكون عليه حدود إسرائيل في الاتفاق الشامل فها نحن نجلس وحدنا، فابتسم وقال:- انك لم تسمع ولن تسمع، اني آمل انه عندما تحين لحظة الحسم وتحديد حدود إسرائيل لن اشغل منصب وزير الخارجية في الولايات المتحدة.

لقد كانت هذه العبارة التي عبر بها كسنجر عن موقفه تمثل الطريق المسدود الذى تعيشه إسرائيل حسب مفهومه وهو ان إسرائيل لا تستطيع الانسحاب إلى خطوط الرابع من حزيران ٦٧ بدون ان تهدد امنها بالخطر وليس لها أمل في التوصل إلى سلام مع جاراتها إذا رفضت التخلي عن الانجازات التي حققتها في حرب حزيران ولتخليص إسرائيل من هذا الطريق المسدود طرح كسنجر شعار «الامن مقابل السيادة» الذى يتضمن مرابطة قوات عسكرية إسرائيلية خارج الاراضي التي تقع تحت سيادتها وتطبيق ترتيبات خارج حدودها المعترف بها وهكذا راى كسنجر امكانية التسوية السلمية التي تقلل المخاطر التي تتحملها إسرائيل.

لقد اتفقنا في حديثنا على عدم استئناف كسنجر جولاته المكوكية في الشرق الاوسط قبل تحقيق ٩٩%من الاتفاق حول عناصر الاتفاق مع مصر.

توجهنا للقاء الرئيس فورد الذي قال لي بلطف وكأن علاقاتنا لا يسودها التوتر المؤلم انه يترقب هذه المقابلة منذ تجميد مهمة كسنجر واضاف: سوف اتحدث معك بصراحة ولست معتادا على غير ذلك والرجال الذين هم في سني لا يغيرون طباعهم و عاداتهم لتطهير الاجواء اود ان ابلغك بما يثقل علي وبعد ذلك سنفتح صفحة جديدة بعيدة عن رواسب الماضي، وبعد ذلك انتقل الرئيس إلى سرد المكرمات التي اسبغها على إسرائيل منذ اللحظة التي دخل فيها إلى البيت الابيض فيما يتعلق بالاستجابة لاحتياجاتها الامنية ولمنحها الشعور بالامن لمواجهة المخاطر العسكرية في اطار التقدم نحو الحل السياسي في الشرق الاوسط وقال: اود ان تدركوا ان باستطاعتكم الاعتماد على الولايات المتحدة عندما تتخلون عن مناطق محتلة ، وقد امرت - رغم معارضة وزارة الدفاع - بتزويدكم بكميات كبيرة من الاسلحة وخلال فترة قصيرة زودناكم بمعدات عسكرية قيمتها ٧٠٠ مليون دولار ولكن المواقف الإسرائيلية التي اتخذت خلال جولة كسنجر في شهر آذار ونتائج المفاوضات سببت لي خيبة أمل كبيرة وحطمت اوهامي وكان يجب على إسرائيل ان تتخذ مواقف مرنة و استعداد للتوصل إلى تسوية رغم علمي بالمصاعب التي تواجهونها وكان تسرب رسالتي الموجهة اليك بمثابة تطور مؤسف للغاية وقد فسر ذلك بأنني اقصد ممارسة الضغط على إسرائيل بينما كان قصدي هو ان ابلغك بوجهة نطري بصراحة ومن المهم المحافظة على العلاقات الشخصية بينك وبيني وحتى لا تتأثر بالتسرب.

لقد ركز الرئيس فورد على موضوع تسرب نبأ الرسالة التي وجهها إلي وشعرت ازاء ذلك بعدم الارتياح وعلى الرغم من ان الرئيس لم يفصح ولم يدل بتفاصيل أخرى فقد كان الحادث الذي اثاره كما يلي:- لقد قام وزير التعاون الدولي في حكومة ألمانيا الغربية ايجون بار بزيارة إسرائيل وخلال الزيارة قام وزير إسرائيلي بمبادرته الشخصية بدون ابلاغ الحكومة أو ابلاغي بالإتصال بالوزير الالماني المعروف بصلاته الوطيدة مع السوفييت وطلب منه التوسط بين إسرائيل والاتحاد السوفياتي لتحسين العلاقاتات بينهما ولم يعد الوزير الألماني بشيء، ولكنه

بعد عودته إلى بون أبلغ المستشار هلموت شميث بطلب الوزير الإسرائيلي منه وعلى الفور رفع شميث سماعة الهاتف المباشر بينه وبين الرئيس فورد واطلع الرئيس الأمريكي على المبادرة الإسرائيلية فذهل الرئيس فورد واستدعى كسنجر وقال له: لقد قلت لي ان علاقاتك مع إسرائيل ورئيس حكومتها هي علاقات وطيدة وانك تعلم بجميع المبادرات الإسرائيلية فلماذا اختارت إسرائيل المانيا الغربية للتوسط بينها وبين الاتحاد السوفياتي؟ فشاركه كسنجر ذهوله واستغرابه ولكنه أشار على الرئيس أن لا يقف حجر عثرة في طريق اسرائيل لتحسين علاقاتها مع الاتحاد السوفياتي، فوافق فورد على النصيحة وبهذه الروح أبلغ المستشار شميث واتصل الوزير الألماني ايجون يار بالسوفييت ولكن بلا نتيجة ولم تتحسن العلاقات مع الاتحاد السوفياتي ولكن السوفييت أبلغوا مصر بذلك للتلميح لها بأن طرقاً أخرى مفتوحة في وجه الاتحاد السوفياتي في منطقة الشرق الأوسط وفي مناسبة أخرى قال المصريون لكسنجر أن الولايات النتحدة تؤيد اسرائيل بينما تقوم اسرائيل من وراء ظهر الأمريكيين بجهود لتحسين العلاقات مع الاتحاد السوفياتي فأصيب كسنجر بالارتباك التام.

لقد قال لي فورد: قبل الاستمرار في الجهد كنت أود أن استمع من اسرائيل إلى تفاصيل هذه المبادرة.

لقد كانت هناك أشياء كثيرة كان الرئيس يريد قولها في تلك المحادثة كالجهود التي تبذلها اسرائيل- على حد قوله- بشكل مباشر أو عن طريق سفاراتها في واشنطن للتأثير على النشاطات السياسية الداخلية في الولايات المتحدة وقال: انني صديقكم ويجب أن لا يخامركم أدنى شك في ذلك ولكنني غير قادر على فهم اسلوبكم في العمل ولم يفصح فورد ولكنني أدركت بأنه كان يقصد الرسالة التي وجهه إليه ٧٦ عضواً في مجلس الشيوخ وقال: ان "اعادة التقييم" لا تهدف إلى فرض عقوبات على اسرائيل بل لأن الولايات المتحدة بذلت جهوداً هائلة للتوصل إلى اتفاق مرحلي في الشرق الأوسط ولم تنجح فإنها ملزمة بإعادة النظر في سياستها وهدفي هو ايجاد أفضل السبل المؤدية إلى سلام يرتكز على أساس عادل وقد

حققت ودرست الموضوع من كافة جوانبه وخصصت له وقتاً طويلاً وتبلورت لدي قناعة معينة ولكنني وجدت أن من أنسب أن استمع إلى وجهة نظرك قبل أن أتخذ موقفي النهائي وأنا أميل إلى تفضيل التسوية الشاملة في الشرق الأوسط التي يجب التوصل إليها في مؤتمر جنيف ويجب أن نحقق السلام بين ارائيل وجاراتها على أن تضمن الدول العظمى الحدود التي سيتم الاتفاق عليها.

شكرت الرئيس فورد على دعمه ومساعدته وقلت له: إننا نعتبرك صديقاً لاسرائيل منذ سنوات عديدة وقد تعاونت اسرائيل مع الولايات المتحدة في جهودها للتوصل إلى تسوية مرحلية مع مصر وأظهرت مرونة كبيرة ويؤسفنني أنك ترى ذلك بشكل مختلف عما نراه نحن وعلى الرغم من ثورة الرأي العام في اسرائيل فقد عملت الحكومة الاسرائيلية كل ما بوسعها للتوصل إلى اتفاق مع مصر ولكن هناك حدود لقدرة اسرائيل على العطاء مقابل ثمن زهيد للغاية وهو الثمن الذي أبدت مصر استعداد لتقديمه في سبيل تحقيق الاتفاق.

لقد اعربت عن الأسف لتسرب رسالة الرئيس الموجهة إلي ووصولها إلى صفحات الصحف واضفت بأن جميع الأنظمة الديموقراطية آفة التسرب، فهز الرئيس رأسه وتمتم: أعلم ذلك... بعد ذلك استعرضت باسهاب مساعي اسرائيل السليمة منذ نشأتها ورفض العرب الاعتراف بها والتسليم بوجودها وقلت: بصفتي عسكرياً سابقاً أستطيع أن أقول لك بأن "مبدأ كلاوزبيتش" الذي ينص على أن الحرب هي استمرار للسياسة بطرق أخرى وهدفها تحطيم القوة العسكرية للجانب الآخر وفرض السلام عليه لا ينطبق على الشرق الأوسط لأن اسرائيل لن تحقق السلام عن طريق الحروب ولكن يتوجب عليها أن تكون قادرة على الدفاع عن نفسها بقواها الذاتية وليست هناك قيمة للضمانات الدولية ونحن لا نستطيع الاعتماد عليها وأن أحد الأسباب الرئيسة التي بسببها نالت اسرائيل تأييد الولايات المتحدة أنها لم تطلب أبداً أن يقاتل جنود أمريكيون من أجلها ويسفكوا دماءهم لضمان وجودخا، هناك حواجز عالية تقف في طريق السلام وليس هناك زعيم عربي مستعد للسلام

الحقيقي واقامة علاقات طبيعية بين شعوب الشرق الأوسط أن العرب يطالبون بانسحاب اسرائيلي شامل إلى حدود الرابع من حزيران ١٩٦٧ ونحن لا نستطيع تلبية هذه المطالب فقد كانت تلك الحدود بسبب اندلاع الحروب وأي ن تحرك عسكري جوهري في الدول العربية يضع اسرائيل أمام خيار قاس: شن حرب وقائية أو المجازفة بالتعرض لهجوم عربي يهدد أمننا ونحن مضطرون لتحقيق حدود يمكن الدفاع عنها تختلف عن حدود الرابع من حزيران ١٩٦٧.

ومرة أخرى عرضت وجهة نظرنا حول امكانية الاحتفاظ بقوات عسكرية خلف حدودنا السيادية، وقلت: أما بالنسبة للجولان فأننا لن ننسحب من هناك حتى في حالة سلام كامل على الرغم من أن هذا لا يعني بأننا متمسكون بالخط الحالي وأضفت بأن الدكتور كسنجر من هضبة الجولان، وقلت: أن اسرائيل لن توافق على إقامة دول فلسطينية- عرفانية بينها وبين الأردن وأن المشكلة الفلسطينية يجب أن تجد حلها فلي إطار الأردن وقلت مذكراً الرئيس فورد أن رئيسة الوزراء غولدا مانير اعطت كسنجر قبل حرب اكتوبر ١٩٧٣ ضوءاً أخضر ليبحث مع مصر امكانية التوصل إلى سلام شامل على أساس اعتراف اسرائيل بالسيادة المصرية على كافة مناطق سيناء مقابل اعتراف مصر باحتياجات إسرائيل الامنية التي تتطلب انتشار قوات إسرائيلية في سيناء لمدة ٣٠ عاما أو اكثر.

وقلت: سوف نتمسك بهذه، المواقف في مؤتمر جنيف في حالة استئنافه ومن الافضل ان لا يساور احد شك في ذلك.

بعد ذلك شرحت موقف إسرائيل من الاتفاق الرحلى مع مصر وقلت ان الاتفاق يجب ان يكون خطوة نحو السلام وليس نسخة جديدة من اتفاقية الفصل بين القوات العسكرمة وفى اعقاب هذا الاتفاق يجب ان يكون الهدف خلق اجواء جديدة وثقة متبادلة وواقع جيد يقضى على الشكوك ويدفعنا نحو الاتفاق السلمي وبعد ذلك عرضنا خرائط لسيناء وبعثنا

مختلف الاحتمالات واوضحت للرئيس بأن الجلاء التام عن ممري الجدي والميتله حسب ما تطلبه مصر هو غير ممكن بالنسبة لنا ويهدد أمننا.

لقد أكثر الرئيس وكسنجر من توجيه الاسئلة إلي وبما ان الحديث كان طويلا وشاملا فقد اسهبت في عرض مواقف إسرائيل لاستغلال الفرصة المتاحة لي واقناع الادارة الأمريكية بعدالة مواقفنا.

لقد مال الرئيس إلى الموافقة على وجهة نطري بان امكانية التوصل إلى اتفاق مرحلى مع مصر افضل من محاولة البحث الآن في تسوية شاملة ولكنه قال: إذا كان لا بد من السعي إلى اتفاق مرحلى فيجب التوصل إليه بسرعة وخلال فترة وجيزة ولا مجال لجولة مكوكية مطولة للدكتور كسنجر تزيد على اسبوعين أو ثلاثة اسابيع ولن يتوجه كسنجر إلى المنطقة قبل الاتفاق على المواضيع التي ستطرح على بساط البحث واذا اتضح بان من المستحيل التوفيق بين المواقف المتناقضة حول التسوية المرحلية فسوف اعود إلى خطتي السابقة لبلورة اقتراح امريكى للتسوية شاملة، فقلت: يجب على الولايات المتحدة ان لا تنشر خطة مفصلة لا تحظى بموافقة إسرائيل حتى لا تفقد مكانتها المميزة كدولة عظمى تتمتع بثقة الجانبين واتفقت مع الرئيس على عدم جدوى ايفاد كسنجر للقيام برحلة مكوكية أخرى إلى ما بعد التوصل بواسطة الاتفاق المرحلي لضمان نجاح الرحلة.

اذا كان الأمريكيون يهدفون إلى «تخويفي» بقولهم انهم سيوجهون جهودهم لاستئناف مؤتمر جنيف إذا لم تتخذ إسرائيل مواقف مرنة ازاء الاتفاق المرحلي فانني لم «اخف» وكان واضحا لي تماما بانهم هم أيضاً مثل مصر ومثلنا لا يؤمنون بامكانية نجاح مؤتمر جنيف واعتقدت بان الولايات المتحدة تعهدت امام مصر

بالضغط على إسرائيل للاستجابة إلى مطلبين مصريين هما: اعادة حقول النفط والجلاء عن ممري الجدي والميتلة، وفيما يتعلق بحقول النفط فقد كنا قد ابلغنا كسنجر في شهر آذار

بموافقتنا على اعادتها لمصر كجيب مصري متصل بمدينة السويس بمحور تحت رعاية الامم المتحدة على طول خليج السويس، وان لا يسمح لجيش مصري بالمرابطة على طول المحور والجيب النفطي بينما لا يبتعد الجيش الإسرائيلي كثيرا عن المنطقة وهكذا نحقق هدفا مزدوجا: منح مصر امكانية الاستفادة من حقول النفط مع بقاء ذلك مرهونا بارادة إسرائيل واذا لم تنفذ مصر التزامها نحو الاتفاق فانها ستفقد آبار النفط.

الفصل الثامن

الخوف من الحرب: متغلغل في نفس السادات

لقد جرى في إسرائيل قبيل سفري إلى الولايات المتحدة بحث مستفيض حول موضوع الممرين وعمق الانسحاب الإسرائيلي وعرض علينا اقتراح لرئيس الاركان يتضمن انسحابا إسرائيليا عميقا بدون مقابل سياسي ملموس من جانب مصر وكان رئيس الاركان متحمسا للموافقة على انسحاب عميق شريطة ان لا يتقدم الجيش الصري إلى ما هو ابعد من المنطقة الفاصلة بين الجيشين التي اتفق عليها في اتفاقية فصل القوات وكانت وجهة نظري تقضي بان وجود منطقة فاصلة واسعة بين الجيش المصري والإسرائيلي يعتبر افضل وضع عسكري بالنسبة لإسرائيل واذا حاول الجيش المصري مهاجمة إسرائيل فانه سيكشف نفسه لمعركة متحركة يشنها الجيش الإسرائيلي في أرجاء سيناء بدون ان يتمكن من الاستعانة بقواعد صواريخه المضادة للطائرات وسينشر توازن استراتيجي يقلل من رغبة مصر في شن الحرب كما ان ابتعاد إسرائيل عن قناة السويس وتسليم منطقة خليج السويس للامم المتحدة فلن تستطيع مصر شن الحرب على إسرائيل واقترح رئيس الاركان بان يسري مفعول هذا الاتفاق مع مصر لمدة تتراوح بين ٧ - ١٠ سنوات وان يسود المنطقة الفاصلة الجديدة امر واقع من الحياة المشتركة، ولم اوافق على هذا الاقتراح رغم منطقها العسكري البارز للعيان واعتقدت انه بدون ثمن سياسي ملموس لن يكون هناك انسحاب إسرائيلي كبير لأن إسرائيل ستفقد بذلك اوراق المساومة التي بيدها بينما مصر ستظل متمسكة بمواقفها حول استمرار حالة الحرب بين الدولتين، واعتقدت أيضاً انه إذا لم تبد مصر استعدادا الآن لالغاء حالة الحرب مقابل انسحاب إسرائيلي كبير فلماذا تستجيب لذلك عندما تكون بحوزة إسرائيل مناطق محدودة في سيناء؟ لقد امنت بقدرتنا على التوصل إلى اتفاق مع مصر بينما يرابط الجيش

الإسرائيلي في الجزء الشرقي من ممري الجدي والميتلة، وفي نفس الوقت اعدت هيئة اركان الجيش الإسرائيلي خطة بناء على طلب الحكومة تلبي طلب مصر باخلاء مداخل الممرين ولكنها تمكن الجيش الإسرائيلي من السيطرة على المداخل الشرقية للممرين من الجنوب والشرق والشمال عبر ثلاثة تلال في سيناء.

وبما انه كان واضحا بان الرئيس السادات سيكون في المرحلة القادمة الرجل المفاوض عن طريق الأمريكيين حول التسوية المرحلية فقد واصلت دراسة شخصيته والتعرف عليها بعمق ودرست الخطب العلنية التي القاها وتعلمت كل ما نشر عنه وجمعت جميع الانطباعات التي استمعت إليها من الاشخاص الذين اجتمعوا به وكان احد الأمريكيين قد وصف السادات بهذه العبارة «ان الخوف من الحرب متغلغل في اعماق نفسه» وقال لي أمريكيون آخرون ان السادات سيبذل كل ما بوسعه وسيبحث عن كل طريق يضمن ان تكون حرب يوم الغفران آخر الحروب وانه سيسعى لتحقيق انجازات بالطرق السياسية وان له بهذا الشأن نوايا بعيدة الاثر، وقال لي امريكي اجتمع به بان السادات رجل يتصف بالغدر ولهذا فقد خشيت من خطر تبنى الوصف المتطرف علما بأنني اكتشفت من خلال تصرفاته السابقة قاعدة ثابتة لعدم الوفاء والتقلب فطيلة حياته منذ ان خدم كضابط صغير في الجيش المصري اتجه نحو المانيا الهتلرية وحاول الاتصال بجيش روميل كان يتخذ مواقف متقلبة ومفاجئة ويتنقل من موقف إلى آخر ومن صداقة حميمة إلى عداء مستحكم. ففي عام ١٩٧١ وقع على اتفاق صداقة مع الاتحاد السوفياتي رغم ان الرئيس عبدالناصر رفض التوقيع على مثل هذا الاتفاق وبعد مضى عام قام بطرد السوفييت واتجه نحو الولايات المتحدة وخاض حربا مشتركة مع «اخيه» الأسد رئيس سوريا وتوقف عن الحرب بموافقته على وقف اطلاق النار بدون أي تنسيق مسبق مع الاسد.

في حديث اجريته مع رجال اعمال أمريكيين كانوا قد زاروا عددا من عواصم الشرق الاوسط سالتهم كيف كان انطباعهم من الاسد والسادات فأجابوا: لسنا سياسيين بل رجال

اعمال. وبصفتنا تجارا فقد كان انطباعنا كالآتي:- ان من السهل مع السادات التوقيع على صفقات تجارية ولكن من المشكوك به ان ينفذ مساهمته فيها اما مع الاسد فان من الصعب التوقيع معه على صفقة تجارية واحيانا يكون التوقيع مستحيلا وعندما يوقع لا يتراجع مطلقا عن الالتزام الذي قطعه على نفسه.

على المرغم من الاختلاف القائم بين التجارة والسياسة فإنني لن استطع منع نفسى من النظر بعين الشك نحو السادات.

وكما اتفقنا مع الرئيس فورد فقد اجتمعت في صبيحة اليوم التالي بالدكتور كسنجر وبحثنا كافة المواضيع المتعلقة بالاتفاقية المرحلية كالنفط والممرين ومناطق تقليص القوات ومحطات الانذار وعمق الانسحاب الإسرائيلي وطبيعة الجيوب في ابو رديس والاتصال البري بينها وبين مدينة السويس ومدة سريان مفعول الاتفاق والمدة التي سيحتاجها الجيش الإسرائيلي لتنفيذ الانسحاب وكيف ستضمن الولايات المتحدة احتياجات إسرائيل النفطية إذا انقطعت عنها مصادرها التقليدية بعد تخليها عن ابو رديس وماذا سيحدث إذا استخدم السوفييت حق النقض «الفيتو» في مجلس الامن عندما سيطلب من المجلس تمديد انتداب قوات الامم المتحدة ولم يكن من السهل البحث في كافة هذه المواضيع والتوصل إلى اتفاق بشأنها بين طرفين يجلسان في غرفة واحدة ويتفاوضان وجها لوجه فما بالك بمصر وإسرائيل اللتين ستتفاوضان عن طريق الوسيط الأمريكي.

لقد قلت لكسنجر« إذا اشترطت مصر الاتفاق المرحلي معها بضرورة التوصل إلى اتفاق مرحلي مشابه مع سوريا فاننا على استعداد للموافقة على عقد اتفاق مرحلي مع السوريين ولكننا لا نستطيع الموافقة في هضبة الجولان الا على تعديلات حدود تجميلية وغير جوهرية.

فقال كسنجر: لقد قال لي السادات ان انسحابا إلى عمق كيلومتر أو كيلومترين في الجولان سيرضي السوريين وان نائب الرئيس المصري قال انه ليس مهما عمق الانسحاب بل المهم ان توافق إسرائيل على الانسحاب ولو لمسافة ما، وهنا تهامس كسنجر وسيسكو وبعد

ذلك قال كسنجر:. ان لدى سيسكو فكرة فذة وهي انه بدلا من الدخول في مفاوضات مع السوريين لماذا لا تقومون ببادرة حسنة نحوهم وتقومون بانسحاب صغير بدون شروط؟ أو بتقليص قوات؟ فقلت: سوف افكر بالامر. وقبيل انتهاء الحديث قلت لكسنجر:- حان الوقت الآن لتبديد أجواء «اعادة التقييم» التي اعلنتموها وخلق أجواء مريحة للتفاوض فأجاب كسنجر بأنه سيبحث الأمر مع الرئيس فورد.

بتاريخ ١٢ حزيران اجتمعت مرة أخرى بالرئيس الأمريكي وبحثنا في جميع المشاكل المتعلقة بالاتفاق المرحلي وقلت له اننا نطلب من الولايات المتحدة ٢،٥ مليار دولار سنويا في اطار موافقتنا على الاتفاق المرحلي وتعويض إسرائيل على تخليها عن حقول النفط وتعزيز قوتها واردت بذلك تعويد الرئيس والكونغرس والرأي العام في الولايات المتحدة على التفكير بمفاهيم مبالغ مالية كبيرة لتقديمها لإسرائيل. وطلبت من الرئيس ان يسري مفعول الاتفاق المرحلي مع مصر مدة ثلاث سنوات ونصف على الاقل وان لا يعقد مؤتمر جنيف وان تتعهد الولايات المتحدة سلفا في حالة عقده بعدم تقديم مشاريع للتسوية الشاملة.

فثار الرئيس وقال: انني لا استطيع تقديم مثل هذا التعهد لانه يعني ان تمتنع الولايات المتحدة طيلة ثلاث سنوات ونصف عن القيام باي مبادرة في الشرق الاوسط، فقلت انكم لا تستطيعون التوقع مني بان اعطي الولايات المتحدة الوسائل التي ستستعين بها لدفعنا إلى خطوط الرابع من حزيران خلافا لمصالح إسرائيل الحيوية فتدخل كسنجر وقال: ان الرئيس على حق فالولايات المتحدة لا تستطيع التعهد بعدم تقديم اقتراح للتسوية الشاملة طيلة ثلاث سنوات ونصف ولكن إذا نجحنا الآن في التوصل إلى تسوية مرحلية مع مصر ونقوم بعمل ما في الجولان يرضي سوريا فاننا سنصل إلى عام ١٩٧٩ بدون أي مجابهة بين مواقفكم السياسية ومواقفنا فقلت: انني على استعداد للقيام باي شيء للتوصل إلى موقف مشترك بين إسرائيل والولايات المتحدة حول التسوية الشاملة والا فاننا سنواجه مرة أخرى سوء تفاهم وبعد عامين سنجد انفسنا في مجابهة متجددة.

الرئيس فورد:- انني سياسي، واذا اجتزنا عام ١٩٧٦ (عام الانتخابات في الولايات المتحدة) ووصلنا إلى عام ١٩٧٧ بسلام فسوف تكون لنا سيطرة افضل على الوضع وساسعى للتعاون مع إسرائيل وانني اتعهد ببذل كل جهد ممكن لتخفيف الضغط عليها شريطة ان نستطيع القول اننا اكدنا التحرك نحو السلام ويجب ان لا ندع الجمود يظل على ما هو عليه بل يجب ان نتقدم.

عندما انتقلنا إلى موضوع المساعدات العسكرية لإسرائيل شعرت مرة أخرى كما في المرات السابقة باننا وقعنا في تناقض بارز فطيلة السنين كنا نحتج بشدة ضد اية محاولة أمريكية لربط تزويدنا بالاسلحة بموافقة إسرائيل على خطوات سياسية طالبتنا الولايات المتحدة بالموافقة عليها وهنا نحن نجد انفسنا مرغمين على فقدان اساس ادعائنا بان لا يشترط تزويدنا بالاسلحة بالموافقة على خطوات سياسية وربطنا موافقتنا على تنفيذ الاتفاقيات مع الدول العربية التي ترغب الولايات المتحدة في تنفيذها بتزويد إسرائيل بالاسلحة وقلنا ان اشتراط تزويدنا بالاسلحة بالموافقة على امور سياسية ليس ضروريا الا إذا كان يخدم المصالح الإسرائيلية، كذلك فيما يتعلق بالإتفاق المرحلي المرتقب مع مصر فقد اشترطنا التوصل إلى اتفاق أمريكي إسرائيلي بشأن تزويدنا بالاسلحة وقال الرئيس فورد انه يريد إسرائيل قوية فتدخل كسنجر قائلا: لقد قلت في احدى المناسبات لغولدا مائير ان إسرائيل القوية تتخذ مواقف متصلبة ويصعب التفاوض معها كذلك إسرائيل الضعيفة ستكون قلقة على امنها بحيث يستحيل التفاوض معها.

لقد كان كسنجر متصلبا وعنيدا في حديثنا الذي اجري في ساعة متأخرة من الليل وادى تبادل العبارات القاسية بيننا إلى تعكير جو الحديث والى ارتفاع درجة حرارة النقاش وقال ان موقفكم المتصلب بشأن التواجد في المداخل الشرقية لممري الجدي والميتلة وعدم استعدادكم للتقدم نحو التسوية في هضبة الجولان يحول دون مواصلة المسيرة السياسية وخاصة مع مصر وهي المسيرة التي بدأناها بنجاح بعد حرب اكتوبر ٧٣ انكم تهددون المسيرة الايجابية وهذا

سيحول دون اتخاذ الولايات المتحدة وإسرائيل سياسة استراتيجية مشتركة وستكون النتيجة اللجوء إلى مؤتمر جنيف ولا اعلم الموقف الذي ستتخذه الولايات المتحدة في ذلك المؤتمر.

لقد امتنعت عن الرد بغضب ولكنني وجدتني مضطرا للقول:- ان هذا ليس اسلوبا للتفاوض. اياكم ان تحاولوا فرض المواقف المصرية علينا وان الرغبة في الاحتفاظ بالمداخل الشرقية للممرين ليست نزوة إسرائيلية بل ضرورة امنية من الدرجة الاولى واما في الجولان فليس لنا امكانية للمناورة والموافقة على انسحاب آخر بدون اتفاق سلام وارجوكم ان لا تهددونا بمؤتمر جنيف فهناك أيضاً سنعارض أي اجراء من شأنه ان يلحق الخطر بأمننا ولا نعتقد بان القرارات في المؤتمر ستتخذ بأغلبية الاصوات.

لقد كان من الممكن ان تشتد حدة النقاش أكثر فاكثر لولا ان تدخل جوزيف سيسكو الذي قال:- إنني اشعر بان الجميع اصيبوا بالانهاك وان التعب لا يساهم في رفع مستوى النقاش هيا نخلد إلى النوم ونعاود اللقاء غدا وكان اقتراحا جيدا سرعان ما وافقنا عليه.

فى اليوم التالي كان لي يوم حافل بالمحادثات مع اعضاء الكونغرس والصحفيين وقبيل مغادرتي إلى نيويورك عاد كسنجر وسيكو وبيتر رودمان والسفير الأمريكي لدى إسرائيل مالكولم تون إلى مقر اقامتي في بلير هاوس ولتحاشى أي جدل عقيم آخر مع الجانب الأمريكي طرحت امامهم خارطة واوضحت خط الانسحاب الذي تقترحه إسرائيل والحقيقة إنني لم اكن قد تحدثت حول هذا الخط بعد مع الوزراء الإسرائيليين وكان ذلك خط الانسحاب الاخير وكان يعنى اظهار المزيد من المرونة الإسرائيلية في القطاعين الشمالي والجنوبي ولكن مع الاحتفاظ بطرف خط التلال الشرقية للممرين الذي يعتبر خطا دفاعيا جيدا لايمكن اقتحامه فاصر كسنجر على عناده وقال ان من الصعب التصور ان يوافق السادات على اتفاق مرحلي مدته ثلاث سنوات ونصف مقابل هذا الانسحاب الضئيل ومن الافضل للولايات المتحدة ان تسحب يدها من الاتفاق المرحلي وتسعى للتسوية الشاملة في

مؤتمر جنيف فقلت: اننا نعمل معا من اجل التوصل إلى تسوية مرحلية بسبب رؤية مشتركة للمصالح ونحن لا يقدم احدنا صنيعا للاخر.

لقد تضمنت الخارطة التي قدمتها لكسنجر رسما دقيقا للخط المقترح بين البحر المتوسط وحتى محاذاة مدينة السريس، وفيما يتعلق برسم الخط من السويس جنوبا وحتى ما وراء أبو رديس فقد اتفقت مع كسنجر على الانتهاء من رسمه بعد عودتي إلى إسرائيل وارساله إلى واشنطن فورا وبعد ذلك يصل السفير الأمريكي لدى مصر هيرمان ايلتس إلى واشنطن ويحمل الاقتراح الأمريكي لعرضه على القاهرة.

توجهت إلى نيومورك ، وفى التاسعة والربع اتصل بي الرئيس فورد فاستدعيت السفير سيمحا دينتس للاستماع إلى المحادثة من هاتف آخر وتسجيل مضمونها تلافيا لاي سوء تفاهم قد يحدث. وكان الرئيس لطيفا للغاية واعرب عن اسفه لازعاجي ي مثل هذه الساعة ولكنه شعر بضرورة التحدث معي وقال: في اعقاب لقائكم جاءني كسنجر إلى مكتبي واستعرضنا معا كافة المواضيع التي طرحت على بساط البحث وانني مضطر لابلاغك بكل الصراحة بأنك لم تتزحزح عن مواقفك بما فيه الكفاية لكي اشعر باننا حققنا فعلا تقدما كبيرا نحو الاتفاق وانني اشعر بخيبة امل ولن نستطيع احراز أي تقدم بهذه الطريقة والشعب الأمريكي لن يفهم لماذا لا تقدم إسرائيل التنازل المطلوب لتحقيق الاتفاق واخشى من الصورة التي سيحملها الشعب الأمريكي عن إسرائيل في اعقاب هذا الموقف.

لقد ادركت آنذاك بان كسنجر قرر اقتحام الجدار بقرني الرئيس فأجبت: ان ما قلته لكسنجر قد قلته لك في حديثنا أمس وامس الأول ولم ازد عليه شيئا وان إسرائيل تبدي مرونة كبيرة ولكنها لا تستطيع ان تكون الجانب الوحيد الذي يقدم التنازلات.

لقد شعرت من نبرة الرئيس فورد بأنه يعيش في محنة فقد كان قد وعد السادات في لقائهما بالنمسا (زالتسبورغ) باعطائه آبار النفط والممرين، وقد استطاع الحصول من إسرائيل على

ابار النفط بينما لم يستطع الحصول على الممرين وعندما يعد الرئيس الأمريكي بشيء وترفض إسرائيل تحقيق وعده فانه يضطر إلى التحدث باسم الشعب الأمريكي ويقول انه قد لا يفهم سبب العناد الإسرائيلي في، فقلت: انني اريد ان اوضح لك بأنني في الاجتماع المقبل مع كسنجر الذي سيعقد في نيويورك لن استطيع الانحراف عن موقفي ونحن مصممون على الاحتفاظ بالتلال الشرقية لمعبري الجدي والميتله.

بعد عشرين دقيقة انهينا مكالمتنا الهاتفية بلهجة ودية ودعوت الرئيس لزيارة إسرائيل فقال فورد: ان زوجتي ستسر لزيارة بلادكم وكدت ان اساله «لوحدها» ولكني لم افعل.

عندما تكون هناك حاجة لممارسة ضغوط على إسرائيل فان الادارة الأمريكية لا تجد نقصا في المبعوثين ، وفي غداة محادثتي الهاتفية مع الرئيس في صبيعة يوم السبت اتصل الجنرال برانت سكوكروفت المسؤول في البيت الابيض عن مجلس الامن القومي بالسفير دينتس وقال له بغضب: لقد عدت الآن من حديثي مع الرئيس فورد وطلب مني ان اتصل بك لكي تبلغ رئيس الوزراء رابين بان مواقفه التي عرضها على مسامع الرئيس في يومي الخميس والجمعة كانت أكثر اعتدالا من المواقف التي اطلع كسنجر عليها وان الرئيس سينقل مواقفكم للرئيس السادات ولكن بدون أي تاييد منه لها ويود الرئيس ان يؤكد بان المحادثة الهاتفية التي اجراها مع رئيس الوزراء الإسرائيلي أمس كانت طلبا رسميا من الرئيس لرئيس الوزراء رابين وليس شخصيا وان الرئيس يكرر الطلب من رئيس الوزراء بان يعيد النظر في موقفه قبل اجتماعه بكسنجر غدا، ان الرئيس خائب الامل للغاية وان الخط الذي عرضه رابين فيما يتعلق بالممرين يشبه في الواقع الخط الذي عرضته إسرائيل في شهر آذار فماذا تغير اذن؟! فقد كان من المستحيل انذاك التوصل إلى اتفاق على اساس هذا الخط وكذلك الآن لا يمكن التوصل إلى اتفاق على اساسه.

في اليوم التالي اجتمعت بالدكتور كسنجر وقبل العودة إلى مناقشة الاتفاق المرحلي سألني بغضب:- ان لدينا معلومات تفيد بان وزير خارجيتكم ألون قام بزيارة موسكو بعد زيارته

لرومانيا فهل هذا صحيح؟! فقلت: كلا: هذا ليس صحيحا وسأل كسنجر: ما هو وجه الاختلاف بين الخط الذي عرضته إسرائيل في آذار وبين الخط الحالى؟ اننا نعتقد بأنه لم يطرأ أي تغيير على الموقفين.

فاوضحت بان اقتراحنا الحالى يشتمل على انسحاب آخر شرقا من المداخل الشرقية باتجاه التلال الشرقية التي يشرف عليها كسنجر: الا تستطيعون الاكتفاء بالسفوح الشرقية لتلك التلال؟ فاجبت: كلا وقد اوضحت ذلك مرات لا حصر لها: لا نستطيع هكذا قلت في جميع المحادثات وهو مسجل في وقائع المحادثات وانني مضطر للقول بأنني استغرب منك موقفك، لقد عملنا معا سنوات عديدة ولا اذكر بأنه قد وقع بيننا أي سوء تفاهم وهذا يبدو لي غريبا للغاية... انني اتحدث بوضوح، لقد اقترحنا في آذار ان تحتفظ إسرائيل بمنتصف الممرين ووافقنا بعد ذلك بان نحتفظ بالمداخل الشرقية فقط والآن نقترح بان تحتفظ إسرائيل بالتلال الشرقية للممرين فهل هذا في نظرك لا ينطوي على مرونة؟ فعاد كسنجر والقى نظرة على الخارطة وقال: لكن المصريين سيدعون بان هذا الخط يعني بقاء ممر الجدي تحت سيطرة إسرائيل وانسحاب إسرائيل إلى منتصف ممر الميتله، فقلت: ان الموضوع بحاجة لتفسير ويوجد بين المصريين وبيننا جدل حول الصفة الجغرافية للممرين فنحن نقول ان الانسحاب إلى الخط الذي نقترحه يعني الانسحاب من الداخل الشرقية بينما يقول المصريون ان هذا الانسحاب يعني عدم انسحاب إسرائيل من الممرين فهل تريد تحديد ايهما التفسير الصحيح؟

كسنجر: انني اريد ان اكرر ما قاله الرئيس لك على الهاتف سننقل الاقتراح الإسرائيلي إلى القاهرة بدون التوصيه بقبوله واذا كان الامر كذلك فلا بد من اللجوء إلى مؤتمر جنيف، فقلت:- تفضلوا، لنذهب إلى جنيف.

لقد رغبت كل من إسرائيل والولايات المتحدة ومصر في التوصل إلى اتفاق مرحلي وليس في استئناف مؤتمر جنيف وكان لدي اساس قوي للاعتقاد بان الاتفاق سيتحقق على الرغم من صعوبة التغلب على العقبات.

بعد عودتي إلى إسرائيل صادق الطاقم الوزاري الإسرائيلي على الخط الذي رسمته في واشنطن على الرغم من ادعاء وزير الدفاع ورئيس الاركان باننا تنازلنا كثيرا في الشمال والجنوب ورسمنا على الخارطة عرض الامتداد الاقليمي من ابو رديس إلى مدينة السويس وحملها سكرتيري العسكري العميد افرايم فوران إلى واشنطن.

لقد نشرت الصحف الإسرائيلية انباء مفادها ان الخارطة التي ارسلت لواشنطن بعد عودتي إلى إسرائيل تضمنت خطا مختلفا عن الخط الذي عرضته على الأمريكين اثناء تواجدي في واشنطن وكانت انباء كاذبة نشرت في إسرائيل بين مرة واخرى تحت اشراف «أصدقاء» ومنافسين شريفين » وكانت الخارطة المرسلة إلى واشنطن تحمل نفس الخط بدون تعديل أو تبديل، وبعد فترة وجيزة رفض المصريون مقترحاتنا وفى اواخر شهر حزيران طلب شمعون بيرس وزير الدفاع التحدث معي وقال اننا وصلنا إلى طريق مسدود واقترح اقامة في منطقة الممرين ما يشبه المربع الجغرافى يضم الجزء الغربي والشرقي للممرين وترابط فيه قوة عسكرية أمريكية سوفياتية مشتركة وان تكون منطقة الربع لا اقليمية ولا تخضع لسيطرة المصريين أو الإسرائيليين ولكي يعطي بيرس اقتراحه أهمية تعلقه بشجرة شاهقة وقال: لقد تحدثت حول هذا الموضوع مع موشه ديان واعرب عن تأييده للاقتراح.

لقد كنت اعلم من قبل بان وزير الدفاع يطلع سلفا على اسرار المعلومات الاستخبارية والسياسية ويطلب منه المشور، في احيان متقاربة ودار حيدثهما في فندق «دبلومات» بالقدس حول المنطقة الأمريكية - السوفياتية ودار أيضاً حول حادث محرج: فبعد انتهاء حديثهما وجد النادل في المكان الذي جلسا فيه برقية تضمنت معلومات سرية للغاية فألقى نظره عليها ووجدها معنونة بعبارة «سري للغاية» وعلى الفور سارع إلى ضابط امن الفندق وسلمه البرقية.

لقد اقترح وزير الدفاع ان يتوجه بسرية إلى كسنجر في المكان الذي كان يقضي فيه اجازته ليعرض عليه الاقتراح الجديد، فذهلت لقد اقلع «الفكر السياسي» لوزير الدفاع هذه المرة إلى

مستويات قياسية غير متوقعة ولو لم اسمع باذني بأن وزيرا كبيرا في الحكومة الإسرائيلية يقترح ان تبادر إسرائيل بنفسها بطلب ادخال قوات عسكرية سوفياتية إلى سيناء لترابط كقوة فصل بين إسرائيل ومصر لاعتقدت بان خصوم بيرس الذين يسعون إلى الاساءة إليه قد روجوا الشائعات المغرضة عنه وعندما حدثت الوزير يسرائيل غليلى باقتراح بيرس اضطررت إلى القول بأنني انطبعت بان بيرس كان يتحدث بجدية ومع ذلك لم اكن متأكد من تصديق غليلى لي.

لقد ابلغت بيرس بأنني لا اقبل اقتراحه وكانت لدي شكوك ازاء جدوى الاقتراح بمرابطة قوات عسكرية أمريكية في المنطقة ولكنني قلت إنني لن اعارض مثل هذا الاقتراح إذا كان بمقدوره تمهيد الطريق نحو الاتفاق المرحلي ولم اجد مبررا لذهاب وزير الدفاع لمقابلة كسنجر وبامكان السفير سيمحا دينتس التوجه إلى المكان الذي يقضى فيه كسنجر اجازته في جزر العذراء والتحدث معه حول التواجد الأمريكي في «المربع» الذي يقترح بيرس اقامته في سيناء.

لقد وضعت هيئة اركان الجيش الإسرائيلي خطة انسحاب تسمح بالاستجابة لمطالب السادات الرئيسة ولم تكن الخطة تقضي بمرابطة قوات أمريكية في سيناء وبموجب تلك الخطة ستظل الداخل الشرقية لممري الجدي والميتلة بدون وجود عسكري إسرائيلي وسيبقى الجيش الإسرائيلي إلى الشمال من ممري الجدي وجنوبي طريق الميتله وسيحتفظ بالتلال الشرقية الممتدة من الميتله إلى الجدي وعلى طول المحاور وفى مخرجها شرقا إلى قلب سيناء لن يكون وجود إسرائيلي وسوف يلبى هذا الانسحاب المطالب المصرية ويضمن سيطرة إسرائيل على الممرات الشرقية بدون تواجد قواتها هناك واضاف بيرس إلى الخطة طلبه المتعلق بمرابطة قوات عسكرية سوفياتية وأمريكية.

لقد ايدت الخطة ولكن بدون مرابطة قوات سوفياتية وحملها دينتس إلى الدكتور كسنجر الذي ذهل للطلب الإسرائيلي بشأن التواجد العسكري الأمريكي وقال انه يتوجب عليه

التحدث بهذا الشأن مع الرئيس فورد اما فيما يتعلق بالاقتراح الإسرائيلي حول الخط الجديد فان الفكرة تروق له وتحمل في طياتها الامل في احراز تقدم مع المصريين.

لقد نص الاقتراح الاسراتيلى بأن يتولى الأمريكيون مسؤولية اجهزة الانذار في منطقة الممرين ويتحملوا مسؤولية ذلك ازاء الإسرائيليين والمصريين على حد سواء.

لم يبد الرئيس الأمريكي حماسا اذ كان أي تواجد عسكري أمريكي في اماكن بعيدة يواجه معارضة طبيعية ولكن كسنجر اخذ في اقناع الرئيس ولتخفيف معارضته قال له: ان من الممكن ان لا تكون هناك حاجة ابدا لتواجد عسكرى أمريكي اذ يكفي ارسال فنيين مدنيين أمريكيين لتشغيل اجهزة الانذار.

لتد عاد دينتس إلى إسرائيل في بداية شهر تموز وابلغ الحكومة بان الرئيس الأمريكي لم يسلم بعد بفكرة التواجد الأمريكي ولكن كسنجر ايد الفكرة واعجب بالحل الذي يبعد الإسرائيليين عن الممرين بناء على طلب المصريين كما ان الاقتراح يحل مشكلة محطات الانذار الإسرائيلية في أم خشيبة التي ستدار من قبل الأمريكيين.

في اليوم التالي تلقى دينتس تقريرا مكملا لقرارات الولايات المتحدة وجاء فيه بان الولايات المتحدة ليست مستعدة لارسال عسكريين ولكنها مستعدة لتأهيل محطة أم خشيبة واقامة محطة انذار أخرى في الجانب المصرى تدار أيضاً من قبل فنيين أمريكيين وكررت الولايات المتحدة موقفها بان على إسرائيل ان تكتفي بالاحتفاظ بالسفوح الشرقية للتلال الشرقية.

لقد توجهت إلى المانيا الغربية وكانت اول زيارة رسمية يقوم بها رئيس وزراء إسرائيلي لالمانيا وافتتحت الزيارة باقامة صلاة تذكارية على ارواح الذين قتلوا في معسكر بيرغن بيلزن ولاول مرة في حياتي شاهدت بقايا معسكر الابادة النازى وفى برلين الغربية كنت ضيفا على رئيس البلدية كلاوس شيتس(سفير المانيا لدى إسرائيل في ذلك الوقت)واستقبلني الصحفي ايكسل شبرنغر وهو من اكبر مؤيدي إسرائيل بمقال افتتاحي باللغة العبرية.

بتاريخ ٩ تموز اجتمعت بالمستشار هيلموت شميث وحدثته بتفاصيل المفاوضات السياسـية في الشرق الاوسط واتفقنا على زيادة الحجم التجاري بين إسرائيل والمانيا كما تحدثت مـع الـرئيس الالمـاني فالتيرشـيل ومع وزير الخارجية هانز ديترتس غنشر ووزير المالية هـانس أبـل الـذي قـال لي بصراحـة:- عنـدما انتهـت الحرب العالمية الثانية كنت في الثالثة من العمر وليست لدي أو لدى ابناء جيلى أي شعور بالـذنب ازاء مـا حدث لليهود خلال عهد هتلر ونحن نتفهم ونتألم ازاء ما حدث ولكننا نسأل انفسنا إلى متى سنطل نتحمل المسؤولية؟.

لقد وجدتها فرصة مناسبة لاطلاعه على رأيي حول مسؤولية الالمان لاجيال واجيال وفى ختـام الحـديث لم استطع القول انني اضفت الي صديقا شخصيا.

بتاريخ ١٣ تموز وصل كسنجر إلى المانيا ولكـن لـيس قبـل أن يقـوم فنيـون أمريكيـون بتركيـب اجهـزة خاصة لمكبرات الصوت تعمل دون التنصت أو الاستماع بوضوح إلى الحديث واوضح كسنجر سـبب تركيـب هذه الاجهزة بان اعدادا كبيرة من الجواسيس السوفييت تعمل في المانيا الغربية.

الفصل التاسع

محطات انذار أمريكية

مرة أخرى بحثنا في المواضيع المعروفة: خطوط الانسحاب ومحطات الانذار والتواجد الأمـريكي واعـرب كسنجر عن امله في القيام خلال شهر آب بجولة مكوكيـة في الشرق الاوسـط يـتم في اعقابهـا التوقيـع عـلى الاتفاق.

بحثنا حول كل تله وتطرقنا بالتفصيل لكافة المناطق وعرضـت الخـرائط مـن كـل جانـب وكـل جانـب يدعي بان خارطته دقيقه فاقترحت بان يقوم الأمريكيون بالتقاط صور جوية للمنطقة وتكون مقبولة لـدى الاطراف.

لقد فاجأني كسنبر قائلا: ان الطلب الإسرائيلي بشأن ادارة محطة الانذار في أم خشيبة من قبـل طـواقم إسرائيلية هـو طلـب عـادل وقـد درسـا الموضـوع وتبـين لنـا ان ادارة المحطـة تحتـاج إلى اشـخاص كثـيرين وسنضطر لارسال حوالى الف أمريكي لادارة محطتى انذار - واحدة إسرائيلية واخرى مصرية - وهذا يتجـاوز قدرتنا وطاقاتنا.

الى جانب العبء المالي والاداري فقد كانت الولايات المتحدة تـخشى نتـائج التـدخل المتزايـد في الشرق الاوسط لأن الحرب الكبيرة في فيتنام بدأت هى الاخرى بايفاد فريق صغير من الفنيين إلى هناك.

لقـد اقـترح كسـنجر ان تسـمى محطـات الانـذار - محطـات انـذار أمريكيـة – ويرفـع العلم الامريكى فوقها ويكون حراسها من الأمريكيين ولكن الإسرائيليين يديرون محطـة انـذارهم والمصريين يديرون محطتهم، وكان اقتراح كسنجر بمثابة بشرى جيدة ولكنـه قـال انـه لم يحصـل على موافقة الرئيس السادات على هذا التغيير بعد أما أنا فقد اعتقدت انه ما كـان ليقـدم مثـل هذا الاقتراح لو لم يتأكد من موافقـة السـادات عليـه، وقـال كسـنجر ان الولايـات المتحـدة قـد

تقيم وتدير اربع محطات انذار أخرى على طول محاور الممرين بحيث يعمل في كل واحدة منها ١٥ - ٢٠ أمريكيا، وطلب كسنجر ابقاء موضوع الخط الجديد الذي ابدت إسرائيل استعدادا للانسحاب إليه سرا لانه ينوي تكليف السفير هيرمان ايلتس بابلاغ السادات بالامر ويطلعه على الجهد الكبير الذي تبذله الولايات التحدة لاقناع إسرائيل بالانسحاب إلى مسافة كبيرة كهذه.

ان كسنجر الخبير بالمفاوضات كان قد فشل مرة واراد تحاشي الوقوع في فشل آخر، ففي احدى المرات توجه إلى دمشق للقاء الاسد مزودا باستعداد إسرائيلي للانسحاب إلى خط معين في اطار اتفاق فصل القوات بين إسرائيل وسوريا ولكنه عرض على الرئيس السوري استعدادا إسرائيليا للانسحاب إلى مسافة اقل مما ابدت إسرائيل استعدادا له ولم يتزحزح الرئيس السوري العنيد والمتصلب عن موقفه ومطالبته بانسحاب إسرائيلي اكبر بينما كسنجر «يتراجع» ببطء إلى ان قال اخيرا: هذا هو! إن هذا اقصى ما تستطيع إسرائيل قبوله واذا اتفقنا على الانسحاب إلى هذا الخط فسوف اعود إلى إسرائيل واحاول اقناعها ولكنني لا استطيع ان اعدك بشيء، وعندئذ قرر الاسد وضع حد لهذه المناورة وفى احدى المرات النادره سمح لنفسه بالابتسام أيضاً وقال لكسنجر: الم تقرأ صحيفة هآرتس صباح اليوم؟! إقرأها ففيها وصف دقيق لخط الانسحاب الذي خولتك إسرائيل صلاحية ابلاغي به ان إسرائيل قد وافقت على هذا الخط ولن تبذل جهدا كبيرا في اقناعها وفى ذلك اليوم لم يكن كسنجر معجبا بصحيفة هآرتس.

لقد اتفقت مع كسنجر على ان تبدأ جولته المكوكية في النصف الثاني لشهر آب فغادرت المانيا الغربية يتملكني شعور بان الطريق إلى الاتفاق المرحلي اصبح ممهدا وفق الشروط التي تريدها إسرائيل وافضل من تلك الشروط التي فشلت مهمة كسنجر في آذار بسببها في آذار اصر المصريون بان هناك طريقين بيلين هما: مرابطة الجيشين المصري والإسرائيلي على جانبي الممرين أو ابتعادهما عنهما مسافة متساوية اما الآن فقد تم الاتفاق مع كسنجر على ان لا يتقدم

المصريون شرقا باتجاه المنطقة الفاصلة الحالية وان نقوم نحن باخلاء مداخل الممرين ولكننا سنضمن لانفسنا سيطرة جيدة على جميع منطقة الممرين وستبقى محطة الانذار في أم خشيبة تحت سيطرتنا وادارتنا وقد اوليت هذا الموضوع أهمية كبرى بسبب نوعية جهاز انذارنا وكفاءته.

لم اندم ابدا على عدم اقامة «مربع» مأهول بالجنود الأمريكيين لأنني لم اتحمس للفكرة من بدايتها ولكنني وافقت عليها مضطرا ولتحاشي وقوع نقاش داخل الحكومة وحزب العمل مع الزملاء الذين تحمسوا لفكرة التواجد العسكري الأمريكي ووافقت على بحث الموضوع مع الأمريكيين.

إن إسرائيل التي تورط جنودا أمريكيين في قضايا الشرق الاوسط كانت ستبدو في نظر الرأي العام الأمريكي بصورة سلبية وتسلبها الحق في مطالبة الولايات المتحدة بتزويدنا بالاسلحة لنتولى نحن مهمة الدفاع عن انفسنا وهي المطالبة التي كانت تروق للأمريكيين كما انني لم اتحمس لوجود عسكري أمريكي في المنطقة حتى لا يحد هذا الوجود من حريتنا في العمل وخشيت إذا لم نوافق على مبادرات سياسية أمريكية ان يقال لنا« انكم تهددون بعنادكم ارواح الشبان الأمريكيين وان تنشر الصحف الأمريكية المقالات المندده بإسرائيل ناكرة الجميل كما خشيت ان يقترح الأمريكيون اثناء البحث في التسوية الشاملة تواجدا عسكريا أمريكيا مقابل تنازلات كبيرة من جانبنا على مناطق محتلة اعتمادا على سابقة الاتفاق المرحلي لقناعتي بأنه لا بديل للجيش الإسرائيلي للمحافظة على أمن إسرائيل.

لتحاشي خطر أي فشل آخر ولتقليص الجولة المكوكية التي اعتزم كسنجر القيام بها فقد كلفت طاقما من كبار الموظفين والفنيين برئاسة مدير عام مكتب رئيس الوزراء مردخاي غازيت واشتراك المستشار القانوني للحكومة وآخرون بالسفر إلى الولايات المتحدة في مطلع شهر آب للتعاون مع المسؤولين الأمريكيين في صياغة جميع الوثائق المتعلقة بالاتفاق المرحلي

وخاصة الوثائق المتعلقة بالالتزام الأمريكي نحو إسرائيل ضمن الاتفاق المقترح. خلال الفترة ما بين ١ - ٣ آب كنت في السويد لحضور مؤتمر الزعماء الاشتراكيين وسنحت لي الفرصة مع رؤساء وزراء اوروبيين ورؤساء احزاب اشتراكيين حول تطورات المفاوضات في الشرق الاوسط وقبل مغادرتي ستوكهولم اجتمعت بالدكتور فالدهايم بناء على طلبه في المطار وقلت له انني متفائل ازاء امكانيات التوصل إلى اتفاق مرحلي مع مصر.

عندما وصل كسنجر إلى إسرائيل لبدء جولته المكوكية اقمنا له حفل استقبال حافلا في الكنيست دعي إلى حضوره الوزراء واعضاء الكنيست ورجال الصحافة وكبار المؤلفين ولم افاجأ من «الاستقبال» الذي نظمته حركة «غوش ايمونيم» لوزير الخارجية الأمريكي - اليهودي فهكذا تصرف زعماء الحركة في مناسبات سابقة وعلمت بانهم سيغتنمون الفرصة لابلاغ العالم اجمع بان إسرائيل تسمح باظهار مشاعر لا سامية خطيرة نحو وزير خارجية يهودي وقام زعماء الحركة باستغلال الدين لتحقير اليهود والوصول إلى ادنى درجة من الدناءة وقد خجلت ليس نحو كسنجر الذي ضبط مشاعره كيهودي وأمريكي ولم يعبر عن استيائه من هذا الاستقبال العاصف بل نحو العالم اجمع ونحو انفسنا ولم اتخيل ان من المكن ان نتدهور إلى هذا الدرك الاسفل وخجلت كثيرا عندما قام رجل دين يهودي مرموق بوصف كسنجر «بزوج الاجنبية» وقد دل قوله على تعصب ديني غير متسامح لرجل دين في إسرائيل وخجلت كثيرا عندما قام مفكر إسرائيلي بنشر مقال في صحيفة ادعى فيه بان مصير كسنجر يجب ان يكون كمصير الكونت برنادوت الوسيط الدولى الذي قتل في إسرائيل في اعقاب حرب عام ١٩٤٨.

لقد حاصر المتظاهرون مبنى الكنيست لافساد حفل الاستقبال المقام على شرف كسنجر ولم يتورعوا عن القيام بأي عنف وبصعوبة بالغة نجحنا في اخراج كسنجر عبر المدخل الخلفي المؤدي إلى طريق روبين وفي غداة اليوم التالي استدعيت القائد العام للشرطة الإسرائيلية

وقلت له: ليس من المعقول ان تسيطر الفوضى على الشارع الإسرائيلي، عليك ايقاف ذلك حتى لو دعت الحاجة إلى استخدام القوة.

في الحديث الأول الذي اجريته مع كسنجر اكتشفت نواياه بوضوح فقد بالغ في وصف الصعاب التي ينطوي عليها التواجد الأمريكي في سيناء واذا كان هذا مطلبا إسرائيليا فان من الممكن تحويل الاستجابة الأمريكية له إلى وسيلة للضغط على إسرائيل لكي توافق على تنازلات أخرى فقلت لكسنجر مذكرا بان السادات هو صاحب هذه الفكرة وقد تحدث بشأنها قبل وزير الدفاع شمعون بيرس، ولكن هذه الحقيقة لم تغير من الامر شيئا، فالسادات اشار إلى مثل هذا الاحتمال ولكن إسرائيل حولته إلى مطلب، وقال كسنجر ان هذا الطلب لم يجد التأييد في مجلس الامن القومي الامريكى وان معظم اعضاء المجلس مالوا إلى التهرب من مناقشته واضاف بأنه حاول اقناعهم رغم اعتقاده بأن إسرائيل ارتكبت خطأ سياسيا جسيما والحقت الضرر بنفسها بطلبها تواجدا أمريكيا في سيناء ولكنه سيستمر في تأييد الطلب على الرغم من ان السادات لم يوافق عليه بعد، وسالني كسنجر ماذا سيحدث لو عارض السادات ذلك، وكان سؤاله بمثابة «لعبة كسنجرية» لرفع الثمن وكنت اعلم بان كسنجر ما كان ليبدأ جولته المكوكية لولم يضمن موافقة السادات على التواجد المدنى الأمريكي سلفا.

بعد ذلك عاودنا البحث في موضوع الخطوط والانسحاب وفي هذه المرة كان الجانب الأمريكي مستعدا للبحث بصورة جذرية للغاية.

قبل وصول كسنجر زار إسرائيل فريق من الخبراء الأمريكيين في الشؤون الجغرافية والطوبوغرافية وبمساعدة رئيس الاركان تجولوا في المنطقة وقاموا بعمل رائع وزودوا كسنجر بصندوق كبير من الوثائق وخارطة تطهر مكان الممرين بدقة معتمدة عل صور التقطتها الاقمار الصناعية الأمريكية وكان عملهم يستحق التقدير فعلا وحمل الأمريكيون الوثائق من إسرائيل إلى مصر وهكذا دواليك ودارت جميع المناقشات حولها.

بتاريخ ٢٣ آب ١٩٧٥ عاد كسنجر من أسوان وقررنا اجراء المحادثات في منطقة تل ابيب ولكن مخبرين سريين ابلغوا حركة غوش ايمونيم بان المحادثات نقلت إلى مؤسسة امنية بمنطقة تل ابيب ولكن الشرطة عملت هذه المرة بحزم لوضع حد لاعمال الشغب وبعد ذلك اتهمت عناصر مختلفة قائد شرطة منطقة تل ابيب دافيد عوفر بأنه استخدم قوة كبيرة من الشرطة ضد متظاهري غوش ايمونيم ولكن الحقيقة هي ان عوفر عمل بناء على تعليماتي وانني اتحمل المسؤولية كاملة عن الاسلوب الذي اتبعته الشرطة في تفريق المظاهرات وقالت مصادر رفيعة المستوى في حزب العمل لمراسل صحيفة هآرتس ماتي غولان بأنني امرت الشرطة بتحطيم عظام رجال جماعة غوش ايمونيم وقام الصحفي بنشر ذلك في صحيفته وكان ذلك نموذجا اخر من التآمر الداخلي الذي مارسه «المنافسون الشرفاء» (بيرس) الذين كانوا معروفين لي ولا اريد الافصاح كيف اكتشفت هويتهم وكان ذلك دليلا آخر على اصرار اوساط رفيعة في حزب العمل على الاساءة الي بكافة الوسائل حتى لو كانت مصلحة الدولة الحيوية على كفة الميزان.

لقد استمرت المحادثات مع كسنجر من ٢١ آب إلى ٣١ آب ١٩٧٥ وجلسنا اياما وليالي وبدا لي احيانا باننا نطحن الماء وكنا احيانا نتفاوض لمدة خمس ساعات حول قطعة ارض مساحتها ١٠٠ متر واستمر النقاش ساعات وساعات وكان ذلك اختبارا لدى الصبر والمثابرة والعناد والقدرة البدنية أيضاً وبدا أكثر من مرة بان العيون قد اغمضت والرؤوس تهاوت من التعب.

لقد ابديت اهتماما خاصا للاستماع إلى انطباع كسنجر عن الشخصيات السياسية الرئيسة في مصر عدا الرئيس السادات وقال ان موقف مبارك من الاتفاق مع إسرائيل سلبي تعتريه الشكوك اما وزير الخارجية اسماعيل فهمي فموقفه الاساسي ايجابي ولكنه متحمس في اطلاع السادات على النتائج كون الاتفاق حساسا جدا ازاء الصيغ العلنية خشية صدور ردود فعل

عربية واشاد كسنجر بالجنرال الجمصي ووصفه بالمصري الوطني الذي يهمه أمن مصر بالدرجة الاولى ويناضل في سبيل كل من الانسحاب الإسرائيلي في ممري الجدي والميتله وفى أي مكان آخر وهو يريد السلام مع إسرائيل حقا ولو كان الحكم بيده لجلب السلام مع إسرائيل.

لا اعلم كيف عرض كسنجر على المصريين المفاوضين الإسرائيليين وكان كثيرا ما يطلب مني اظهار التفهم ازاء مصاعب السادات في مصر والعالم العربي واعتقد بان كسنجر كان يطلب من السادات اظهار التفاهم ازاء المصاعب التي يواجهها رابين في إسرائيل.

بتاريخ ٣١ آب استكمل الاتفاق المصري - الإسرائيلي ولم يستكمل بعد الاتفاق الإسرائيلي - الأمريكي واوضحت لكسنجر بان الحكومة الإسرائيلية لن تقر الاتفاق المصري - الإسرائيلي بدون ان يرافقه اتفاق إسرائيلي - أمريكي.

لقد اوصى مستشاري ارئيل شارون - خلافا لآراء أخرى - بان تقام محطة الانذار المصرية داخل الممرين بالقرب من القوات الإسرائيلية التي سترابط في الخطوط الجديدة وشجعتني وجهة نظر شارون الذي قال لى: انني اختلف معك في وجهة نظرك واعارض بشدة الاتفاق المرحلي ولكن طالما أنا اشغل منصب مستشارك فانني سأقدم لك افضل النصائح التي استطيع تقديمها في اطار سياستك وبهذا اظهر شارون اخلاصا وانصافا خلافا للبروفيسور يوفال نئمان مستشار وزير الدفاع الذي قام خلال توليه منصبه الرسمي بتحويل منزله إلى مقر لجماعة غوش ايمونيم ومنه انطلقت اشد الهجمات عنفا على رئيس الوزراء وقد برز نفاق نئمان عندما استقال في اعقاب التوصل إلى الاتفاق المرحلي لأن الحكومة تخلت عن النفط في ابو رديس كما اعلن ذلك بنفسه علما بان نئمان تسلم مهام منصبه كمستشار لوزير الدفاع في اعقاب الجولة المكوكية التي قام بها كسنجر في آذار ١٩٧٥ وعندما كان متفقا لدى الجميع بان إسرائيل ستتخلى عن حقول النفط وربما كان نئمان فيزيائيا كبيرا- رغم عدم

صلاحيتي للحكم على ذلك - لكنه كانسان اظهر عدم نزاهة موضوعية وقد كشفت المقارنة بين شارون ونئمان النزاهة مقابل النفاق ولم يكن من قبيل الصدفة ان يعمل نئمان في معية بيرس وان يعمل شارون في معيتي.

الفصل العاشر

أيلول ١٩٧٥ - التوصل إلى الاتفاق المرحلي مع مصر

لقد بدأ النقاش الاجمالى مع كسنجر حول «اتفاق التفاهم» بين إسرائيل والولايات المتحدة الذي يحدد الالتزامات الأمريكية نحو إسرائيل في اعقاب الاتفاق المرحلي بدأ في مساء يوم ٣١ آب ١٩٧٥ ولم ينته الا في الساعة السادسة من صبيحة اليوم التالي الأول من ايلول وكنت اعلم بان كسنجر يريد اجمال جميع النقاط في تلك الليلة وكنت مستعدا للنقاش المطول ففي ساعات الظهر - عندما قام كسنجر بزيارة اسوان اخذت قسطا كبيرا من النوم والراحة.

لقد بدأ النقاش بحضور اعضاء وفدي الجانبين الإسرائيلي والأمريكي ولكن التعب اصاب الجميع واخلدوا إلى النوم ولم يبق في الاجتماع سوى كسنجر وانا وتركنا النائمين في غرفة المحادثات وانتقلنا إلى مكتبي.

لقد اعتبرت اتفاق التفاهم مع الولايات التحدة احد الانجازات الكبرى لإسرائيل وقد تضمن الاتفاق من التزامات بعيدة الاثر نحو إسرائيل في مجالات عديدة ومتنوعة: التزامات سياسية هامة للمستقبل وتزويد إسرائيل بالاسلحة الجيدة والمتطورة وبمساعدات مالية وتزويد إسرائيل بالنفط إذا انقطعت عنها مصادر الطاقة وغيرها.

فى الساعة السادسة صباحا اجملنا كافة الوثائق والالتزامات المعروفة وغير المعروفة التي قدمتها الولايات المتحدة وكانت ذات طابع بعيد الاثر وتخدم إسرائيل حتى يومنا هذا. في ذلك اليوم اقرت الحكومة الاتفاقات مع مصر والولايات المتحدة وبعد أشهر طويلة من العمل المضني والشكوك والتوتر اصبحت اشعر بالارتياح الشديد.

لقد ادركت باننا قمنا بخطوة اولى - كبيرة وهامة - في الطريق الطويل والمعقد المؤدي إلى اخراج مصر من دائرة الحرب وتقريب امكانية دخولها إلى دائرة السلام. لقد اوجدنا عن طريق الاتفاق واقعا استراتيجيا جيدا في سيناء افضل من الواقع السابق سواء بالنسبة لمصر أو إسرائيل وحصلت مصر على شعور بالامن لاستئناف نشاط قناة السويس واعادة بناء مدن القناة وادى تسليم مصر حقول النفط إلى تخفيف حدة العداء المصري نحو إسرائيل ومنحها سببا جيدا للمحافظة على الاتفاق.

لقد عزز الاتفاق التطورات التي بدأت تحدث أيضاً قبل التوصل إليه ولكنه منحها دفعة قوية وهي ابتعاد السادات عن الاتحاد السوفياتي واضعاف الجيش المصري نتيجة اغلاق مستودعات الاسلحة السوفياتية أمامه واتساع رقعة الخلاف بين مصر وسوريا وهكذا ادخلنا السادات في طريق مسدود لا يوجد به سوى مخرج واحد: الحل السياسي وربما كان للمصريين طرق أخرى ولكن السادات لم يكن له طريق آخر.

لقد خرجت إسرائيل مستفيدة من الاتفاق من الناحية العسكرية أيضاً وتم حشد الجيش الإسرائيلي الآن حسب نظرية مختلفة تماما عن نظرية خط بارليف على طول قناة السويس ولم تعد هناك خطوط ثابتة بل حشد يساعد على شن معارك متحركة مع الشعور بالامن بأنه إذا فرضت الحرب علينا مرة أخرى فان الجيش الإسرائيلي سيتمكن من اظهار قوته وقدرته.

لقد اوجد الاتفاق المرحلي عالما جيدا من المفاهيم في العلاقات بين إسرائيل والولايات المتحدة اذ ارتفع حجم المساعدات المالية للعام المالى ٧٥-٧٦ إلى مستوى قياسى اذ بلغ ٢,٣٥ مليار دولار على الرغم من ان هذه المساعدات ستنخفض في العامين القادمين إلى ١،٨ مليار دولار سنويا فان هذا كان رقما لم يكن احد يتخيله من قبل ووافقت الولايات المتحدة أيضاً على تحويل مبالغ كبيرة من المساعدات إلى مساعدات مالية مباشرة بدون ربطها بشراء معدات ومنتجات أمريكية مثلما كان متبعا حتى الآن وكان ذلك مكسبا كبيرا لإسرائيل فقد تعهدت

الولايات المتحدة بتزويد إسرائيل بكميات كبيرة من الاسلحة بما في ذلك طائرات ف ١٦، وقد تأجل التوقيع على صفقة طائرات ف ١٦ وربطت اخيرا بصفقة الطائرات مع مصر والسعودية وكنا نحن سبب ذلك وكان الرئيس فورد والرئيس كارتر من بعده على استعداد لاصدار الاوامر للتوقيع على الصفقة مع إسرائيل بلا شروط وحسب ما نص عليه اتفاق التفاهم والحت علي ادارة الرئيس فورد بان اوقع على الصفقة ولكنني اخطأت عندما استجبت لضغوط وزير الدفاع بيرس بعدم التوقيع ما لم توافق الولايات المتحدة على انتاج جزء من تلك الطائرات في إسرائيل من قبل الصناعات الجوية الإسرائيلية، وكان احتمال الموافقة على هذا الشرط الإسرائيلي ضئيلا للغاية وعندما تنازلت إسرائيل عنه كان الوقت قد فات ولو كنا قد وقعنا على الصفقة لفشلت الصفقة الثلاثية ولما خرجت إلى حيز الوجود.

لقد التزمت الولايات المتحدة ضمن اتفاق التفاهم مع إسرائيل بتلبية احتياجات إسرائيل النفطية إذا لم تتمكن من ايجاد المصادر المناسبة لمدة خمس سنوات تبدأ منذ اللحظة التي سيبدأ الانسحاب الإسرائيلي من ابار النفط في ابو رديس كما تضمن الاتفاق سلسلة من المواضيع السياسية من بينها عدم اعتراف الولايات المتحدة بمنظمة التحرير الفلسطينية أو التفاوض معها ما لم تعترف المنظمة بحق إسرائيل في الوجود وما لم توافق على قرار مجلس الامن ٢٤٢ وان لا تقوم الولايات المتحدة بخطوات في الشرق الاوسط قبل التشاور مع إسرائيل وان لا تنحرف عن قراري مجلس الأمن ٢٤٢ و ٣٣٨ كاساس وحيد للبحث في حل النزاع في الشرق الاوسط وان تبذل كل جهد ممكن لمنع ادخال أي تعديل على هذين القرارين.

ان جميع الاحداث التي وقعت في الحلبة الشرق اوسطية منذ زيارة الرئيس السادات للقدس بتاريخ ٩ تشرين الثاني عام ١٩٧٧ بما في ذلك الزيارة نفسها ما كانت لتتم لولا الطريق الذي سرنا عليه في توقيعنا على الاتفاق المرحلي وان هذه السياسة التي اثارت غضب الليكود المعارض لم تمنع حكومة الليكود من جني ثمارها بعد وصول الليكود إلى الحكم.

فى جنيف تم الاتفاق والتوقيع على البروتوكول العسكري بين ممثلى مصر وإسرائيل، وهاج العالم العربي ووجه السوريون اقذر التهم لمصر ورئيسها وقالوا ان مصر غدرت بالمصالح العربية وطعنت الامة العربية في ظهرها وايد الاتحاد السوفياتي سوريا وانضمت دول عربية أخرى إلى ابواق التنديد والادانة وقامت مصر باغلاق مكاتب منظمة التحرير الفلسطينية وطردت الزعماء الفلسطينيين من اراضيها، وفى مقر الامم المتحدة اتخذت الجمعية العامة قرارا باعتبار الصهيونية حركة عنصرية واستعمارية وايدت القرار الدول الشيوعية والعربية والافريقية والمكسيك وكان للقرار اثر عكسي على اليهود الذين اعلنوا تضامنهم مع الصهيونية واظهروا تماسكهم في كل مرة يواجه اليهود فيها الكراهية من الخارج ووقف يهود العالم إلى جانب إسرائيل.

بتاريخ ٢٦ كانون الثاني ١٩٧٦ وصلت إلى الولايات المتحدة بناء على دعوة تلقيتها من الرئيس فورد وكنت اول رئيس وزراء يصل إلى الولايات المتحدة مع بدء الاحتفالات هناك بمناسبة مرور ٢٠٠ عام على استقلال الولايات المتحدة ورحب بي الاف الأمريكيين الذين اصطفوا على الطريق المؤدي إلى قصر الفنون في فيلادلفيا.

لقد اقام الرئيس فورد حفل استقبال لي في حديقة البيت الابيض وساد الحيث جو ودي للغاية واتضح لي بان سياسة اعادة تقييم العلاقات الأمريكية في الشرق الاوسط قد ولت إلى غير رجعة بعد التوقيع على الاتفاق المرحلي مع مصر، وقبل وصولي إلى الولايات المتحدة بيوم واحد استخدمت الولايات المتحدة حق النقض الفيتو - لاحباط محاولة عربية - سوفياتية لاتخاذ قرار ضد إسرائيل وكان ذلك دليلا على تصميم الولايات المتحدة على الوفاء بالتزامها المنصوص عليه في اتفاق التفاهم مع إسرائيل.

خلال الاجتماع اشاد الرئيس فورد بإسرائيل لمرونتها واكد بأنه سيزودها بالاسلحة وقال انه لا يوجد مبرر للاسراع الآن في المسيرة السياسية ولكن الجمود ليس مرغوبا به وان من

الممكن التفكير بعقد مؤتمر جنيف خلال عام ١٩٧٦ أو بالسعي للتوصل إلى انهاء حالة الحرب مع مصر وربما مع سوريا والاردن ايضا، وقلت للرئيس انه يجب ان ندع الاتفاق المرحلي يحقق نتائجه لندرسها فيما بعد على ضوء التطورات التي ستقع في مصر والعالم العربي في تلك الفترة كانت الحرب الاهلية في لبنان بين المسلمين والمسيحيين محتدمة على اشدها ولم يكن بمقدور إسرائيل التنكر لمصير الاقليات في الشرق الاوسط وقد قلت ذلك للرئيس فورد وللدكتور كسنجر واكدت ذلك على مسامع اعضاء في مجلسي الشيوخ والنواب والصحفيين وزعماء اليهود في الولايات المتحدة واضفت بأنه يجب على إسرائيل ان لا تتجاهل العبرة من الحرب في لبنان وهي ان المسلمين لا يحتملون وجود اقليات بين ظهرانيهم حتى لو كانت تنتمي إلى شعبهم بسبب اختلاف دينها فما بالك بالنسبة لشعوب اخرى.

لقد لفتت الانظار إلى الاعمال الوحشية الرهيبة التي يرتكبها المسلمون ضد النساء والاطفال والشيوخ المسيحيين وقلت ان إسرائيل لا تستطيع الوقوف مكتوفة الايدي ازاء مثل هذه الاعمال وانها ستقدم العون للمسحيين بما في ذلك في مجال الاسلحة واكدت بأنه إذا قام جيش سوري بغزو لبنان فاننا لا نستطيع السماح له بالسيطرة على منطقة جنوب لبنان على حدودنا الشمالية وسنضطر إلى نقل حدودنا الامنية حتى نهر الليطاني.

لقد زودني الرئيس فورد بقائمة المعدات العسكرية التي سيوافق على تزويدنا بها وفى اليوم التالي قال لي كسنجر ان الرئيس وافق على بيعنا اسلحة بمبلغ يزيد بنصف مليار دولار عن المبلغ الذي اقره مجلس الامن القومي وامر بوضع إسرائيل على راس قائمة الاولويات بالنسبة للتزويد بالاسلحة بعد الجيش الأمريكي مباشرة وقبل أي دولة أخرى في العالم. وبموجب ما تم الاتفاق عليه في إسرائيل قبل سفري إلى الولايات المتحدة فقد كررت الطلب بالموافقة على منح إسرائيل امتيازا بانتاج طائرات ف ١٦ ولكن احدا في الادارة الأمريكية لم يتحمس للفكرة.

لقد تأكد تزويد إسرائيل بطائرات ف ١٥ واف ١٦ برسالة رسمية وجهها الرئيس لي في اعقاب الاتفاق المرحلي وكنا قد طلبنا في القوائم التي قدمناها الحصول على ٢٥٠ طائرة اف

١٦ من بينها ١٠٠ طائرة نبتاعها من الولايات المتحدة و ١٥٠ طائرة نصنعها في المصانع الجوية الإسرائيلية ووافقت الادارة أيضاً على تزويدنا ب ٥٠ طائرة من طراز ف ١٥ ولكننا بسبب قيود مالية طلبنا ٢٥ طائرة فقط وكان ذلك خطأ ارتكبناه وخاصة في اعقاب الظروف التي نشأت في عام ١٩٧٧ حيث استبدلت الادارة الأمريكية برئاسة فورد بادارة جيدة برئاسة جيمي كارتر.

لقد اظهر كسنجر تفهما لمخاوف إسرائيل من سيطرة الجيش السوري على لبنان وخاصة على مناطقه الجنوبية ولكنه كرر اتهامه لإسرائيل بانها لم تظهر مبادرة وحساسية ومرونة وسعة خيال بقدر كاف للتوصل إلى اتفاق مع الاردن مما ادى إلى ارتفاع مكانة منظمة التحرير الفلسطينية وقال ان الفجوة الكبيرة القائمة بين مواقف إسرائيل والعرب تقضى على امكانيات التوصل إلى تسوية شاملة للنزاع في الوقت الراهن ولكنه اوضح بأنه يجب الاقتراح على سوريا ومصر والاردن بالتفاوض معها حول انهاء حالة الحرب واضاف: إنني اريد ان اقول لك بصدق اننا إذا توصلنا إلى مفاوضات حول انهاء حالة الحرب فلن تكون هناك حاجة عندئذ للتحدث عن انسحاب مسافة عشرة كيلومترات في سيناء وكيلومترين في الجولان وكيلومترين في الاردن لأن انهاء حالة الحرب هو امر جوهري وملموس بالنسبة لإسرائيل التي ستضطر إلى اظهار استعداد لتقديم تنازلات اقليمية تتناسب مع حجم الاتفاق. وقال ان الولايات المتحدة تفضل هذه الامكانية على استئناف مؤتمر جنيف ومن خلال ادراكها لمشاكل إسرائيل - عدم الاستعداد للعودة إلى حدود الرابع من حزيران ١٩٦٧ واقامة دولة فلسطينية فان هذه الامكانية محببة لديكم ايضا.

فأجبت:- اننا نؤيد محاولة اجراء مفاوضات لالغاء حالة الحرب مع مصر وسوريا لأن ذلك أسهل بكثير من اجراء مفاوضات مماثلة مع الاردن اذ ان التنازلات الاقليمية في الضفة الغربية تتطلب اجراء انتخابات جديدة في إسرائيل وانني افضل اجراء مفاوضات لالغاء حالة الحرب مع سوريا ومصر خلال العام الحالى ١٩٧٦ وتأجيل موضوع المفاوضات مع

الاردن إلى عام ١٩٧٧ الذي هو عام انتخابات في إسرائيل، فقال كسنجر إذا لم يشترك الاردن في مسيرة المفاوضات فان ذلك سيؤدي إلى زيادة نفوذ منظمة التحرير الفلسطينية.

فقلت مجددا انه يجب علينا التحلي بالصبر وعدم التسرع في القيام بخطوات جديدة قبل دراسة النتائج التي سيسفر عنها الاتفاق المرحلي مع مصر.

كسنجر:- ان احتمالات اجراء مفاوضات حول انهاء حالة الحرب ستكون قوية إذا قامت الولايات المتحدة بطرح الفكرة وانني اطلب منك ان توافق على قيام الولايات المتحدة بدراسة الفكرة دراسة مسبقة.

فقلت انني اتحمل مسؤولية الموافقة واطلب من الولايات المتحدة ان تقترح ذلك على كل من مصر وسوريا اما بالنسبة للأردن فيجب علي ان اعرض الفكرة على الحكومة الإسرائيلية لمناقشتها واتخاذ قرار بشانها.

وهنا عاد كسنجر إلى موضوع هضبة الجولان وقال ان انسحابكم يجب ان يصل إلى مسافة قد تؤثر على مستوطناتكم هناك. فقلت: ان إسرائيل ستوافق مقابل انهاء حالة الحرب مع سوريا على «حلول مؤلمة» وجعلت كسنجر يفهم بان مستوطنة أو مستوطنتين لن تقفا حجر عثرة امام الاتفاق إذا ابدت سوريا استعدادا للاتفاق السياسي الذي يعني انهاء حالة الحرب مع إسرائيل.

لقد كانت احدى المشاكل التي واجهتنا في محادثاتنا مع كسنجر هي ان وزير الخارجية الأمريكي رفض خلال زياراته المتكررة التجول في مناطق مختلفة للانطباع من الاوضاع والمخاطر والاحتياجات بصورة مباشرة، فقد زار متسادا والقدس وتل ابيب ولكنه رفض زيارة هضبة الجولان وسيناء وغور الاردن وربما خشي ان يؤثر اطلاعه على الواقع على نظرياته السياسية ويدحضها، ولهذا السبب فقد اضطررت إلى الاستعانة بالخرائط واطلعت كسنجر من خلالها على هضبة الجولان وقلت له: انظر إلى عمق تواجدنا وهو لا يزيد على ٢٠

كم عن حدودنا الدولية. واذا وافقنا على الانسحاب فانا لا نستطيع الانسحاب إلى مسافات بعيدة حتى مقابل اتفاق انهاء حالة الحرب وايضا مقابل السلام الكامل لا نستطيع النزول عن هضبة الجولان واسمح لي ان اذكرك بان الولايات المتحدة وعدت بعدم ممارسة الضغط علينا في هذا الموضوع. فاعترف كسنجر قائلا: حقا لم اكن اعلم واعتقدت بان عرض منطقة الجولان التي في ايديكم يصل إلى ٤٠ كم ولكنني لا اقترح البدء بالمفاوضات في مسائل الخطوط والانسحابات بل انوي قبل كل شيء جس نبض الدول العربية لمعرفة مدى استعدادها المبدئي للدخول في مفاوضات لالغاء حالة الحرب. انني أومن بامكانية التوصل إلى الغاء حالة الحرب مع مصر والاردن أكثر من ايماني بامكانية التوصل إلى مثل هذا الاتفاق مع سوريا التي ستحاول بالتأكيد تنسيق مواقفها مع الاتحاد السوفياتي وانني اشك في امكانية موافقة السوفييت على اتفاق يتم التوصل إليه في الشرق الاوسط بواسطة الولايات المتحدة.

عندما قلت ان إسرائيل مستعدة للانسحاب إلى خط العريش - راس محمد مقابل الغاء حالة الحرب مع مصر اعرب كسنجر عن شكه ازاء ذلك وقال انه غير كاف وان السادات قد قال له في حينه ان مصر مستعدة لالغاء حالة الحرب شريطة انسحاب إسرائيل حتى مسافة ٢٠ كم من الحدود الدولية ومرة أخرى لم استطع منع نفسي من القول ان شهية السادات كبيرة للغاية.

لقد اتفقنا على ان إسرائيل موافقة على ان تقوم الولايات المتحدة بدراسة مدى استعداد مصر وسوريا للبدء بمفاوضات حول الغاء حالة الحرب وان ترد على الولايات المتحدة بشأن الاردن في اعقاب مناقشة الأمر في الحكومة. ووافقت أيضاً على ان يضم الوفد الاردني إلى المفاوضات شخصيات فلسطينية من سكان الضفة الغربية شريطة ان تكون المفاوضات بين دولتين هما إسرائيل والاردن.

فى الاجتماع التالي مع الرئيس فورد استعرض كسنجر حديثه معي واعرب عن اعتقاده بان انعقاد مؤتمر جنيف ليس ممكنا من وجهة نظر العرب بدون اشتراك منظمة التحرير الفلسطينية الامر الذي تعارضه إسرائيل بشدة.

لقد استعنت «باتفاق التفاهم» المعقود بين الولايات المتحدة وإسرائيل لتأكيد الالتزام الأمـريكي بشـأن عدم الاعتراف بمنظمة التحريـر الفلسـطينية وعـدم اجـراء مفاوضـات معـه وعـدم ممارسـة ضـغوط علينـا باشراكها في المغفاوضات كما نص عليه «اتفاق التفاهم» بشأن منطمة التحرير الفلسطينية.

وعلى أي حال فان فورد وكسنجر لم يؤيدا اقامة دولة فلسطينية.

بعد ان ابلغ كسنجر الرئيس فورد بموافقتي على البدء بمشاورات مع سوريا ومصر حول امكانيـة الغـاء حالة الحرب قال الرئيس انه يجب البحث عـن اتجـاه لمواصـلة الخطـوات السياسـية وانـه لا يـرى امكانيـة للسعي نحو هدف سياسي بعيد المدى مع مصر وسوريا بدون عرض أي شيء على الاردن.

لقد اتفقنا على اجابته بشان الاردن بعـد عـودتى إلى إسرائيـل وفى اعقـاب مناقشـة الامـر في الحكومـة الإسرائيلية. لقد اوضح لي وزير الدفاع الجديد دونالد رامسـفيلد الـذي حـل محـل جـيمس شـليزنجر اثنـاء اجتماعي به في وزارة الدفاع الأمريكية بان هناك صعوبة في منح إسرائيل امتيـازا لصـنع طـائرات اف ١٦ في المصانع الجوية الإسرائيلية بسبب الاتفاقيات المعقدة التي وقعتها الولايـات المتحـدة مـع عـدد مـن الـدول الاوروبية لتزويدها بطائرات اف ١٦ ضمن الصفقة التـي اطلـق عليهـا اسـم «صـفقة القـرن» وكانـت تلـك الاتفاقيات تنص على عدم سماح الولايات المتحدة لاي دولة أخرى عـدا الـدول الاوروبيـة المعنيـة بالصـفقة بصنع تلك الطائرة في مصانعها.

لقــد شــعرت بعــدم ارتيــاح شــديد اثنــاء مثــولى امــام لجــان الكــونغرس واحرجتنـــي اســئلته حـول قائمـة المشـتريات العسـكرية التـي قـدمتها إسرائيـل للولايـات المتحـدة كالسـؤال:- لمـاذا تحتـاج إسرائيـل مجموعـة مـن الاقـمار الصـناعية التـي تبلـغ تكلفتهـا حـوالى مليـار دولار؟! ولم اجـد اجابـة عـلى ذلـك سـوى القـول اننـا لسـنا بحاجـة لمثـل هـذا النـوع مـن الاسـلحة وكانـت اجابـة صريحـة

وجادة تنم عن عدم الرضا على القائمة التي قدمتها إسرائيل في خضم المفاوضات حول الاتفاق المرحلي وكانت ثمرة خيال البروفيسور يوفال نتمان مستشار وزير الدفاع شمعون بيرس.

لقد كنت مقتنعا كرئيس اركان وكسفير وكرئيس للوزراء بان إسرائيل ملزمة بعرض احتياجاتها الامنية بشكل مشرف ولاقناع الجانب الاخر بانها فعلا بحاجة لتلك الانواع التي طلبتها.

لقد قلت في حديث خاص مع مجموعة من الصحفيين الإسرائيليين الذين يمثلون صحفهم في واشنطن ان إسرائيل تبالغ في مطالبها الامر الذي يلحق الضرر بالعلاقات الأمريكية - الإسرائيلية واعترف بأنني اخطأت عندما وصفت القوائم الإسرائيلية بانها مثيرة لغضب دافع الضرائب الأمريكي.

لقد قام الصحفيون بابلاغ صحفهم بمضمون المحادثة الخاصة التي اجريتها معهم واضافوا إليها اشياء لم اقلها ابدا وغذوا بذلك نار الحقد التي تشتعل في قلب بيرس لكي يقلل من أهمية زيارتي ومن النجاح الذي حققته خلالها، واحتلت اقوالي عنوان الصحف التي تجاهلت الاستجابة الأمريكية الشاملة لاحتياجاتنا الامنية والتفاهم الذي تم بين الولايات المتحدة وإسرائيل في المواضيع السياسية وركزت اهتمامها على زلة لسان رئيس الوزراء وقد اثلج ذلك صدر اعضاء في الحكومة والحزب الذي تآمروا والذين وجدوها فرصة سانحة لمهاجمتي والتنكر لانجازاتي التي حققتها في الولايات المتحدة.

لقد قمت بجولة شملت نيويورك وشيكاغو ولوس انجلوس اجتمعت خلالها بالزعماء اليهود وبممثلي وسائل الاعلام وطرحت مواقف إسرائيل واحتياجاتها ووجدت التعاطف والتأييد لدى الجميع بما في ذلك نجوم السينما والمخرجون والمنتجون النين اقاموا حفلا على شرف إسرائيل.

فى ساعة متأخرة من الليل اجتمعت في لوس انجلوس بالـدكتور كسـنجر لاجـمال مواضـيع المشـتريات العسكرية ومواضيع سياسية أخرى واكتشفت بان الادارة الأمريكية اظهرت رغبة قوية في مساعدة إسرائيـل عسكريا وماليا وانها تنوى تزويد مصر بست طائرات نقل من طراز S-130 (هيركوليس).

واوضح كسنجر بان مصر عزلت نفسها عن مصـادر الاسـلحة السـوفياتية بيـنما لم تقـدم لهـا الولايـات المتحدة شيئا سوى طائرة هيلوكبتر قدمها الـرئيس نيكسـون كهديـة للسـادات اثنـاء زيارتـه للقـاهرة وقـال كسنجر ان طائرات النقل ليست سلاحا هجوميا وان مصر ابتاعـت طـائرات بوينـغ لشركـة طيرانهـا وكـذلك طائرات هيركوليس نقل ولكنها عسكرية الطابع، لقـد رفضـت اقـوال كسـنجر هـذه لقنـاعتي بـأن طـائرات النقل ستكون بداية لتزويد مصر بالاسلحة الهجومية وقلت ان إسرائيل تعارض تزويد مصر بالاسـلحة طالمـا لا يوجد بينها وبين مصر اتفاق سلام أو تسوية سياسية بعيدة الاثر على الاقـل واننـا سنوضـح موقفنـا هـذا لاصدقائنا في الولايات المتحـدة فـرد كسـنجر قـائلا ان تزويـد مصر بطـائرات النقـل لا يمكـن ان يـتم بـدون موافقة الكونغرس.

بعد وصولى إلى إسرائيل واجهتني عاصفة قوائم المشتريات العسكرية التـي انتقـدتها اثنـاء وجـودي في الولايات المتحدة ولم يهتم احد بالمواضيع الاخرى التي بحثتهـا مـع المسـؤولين الأمـريكيين وكانـت معارضـة احزاب المعارضة علنية ومعتدلة بعض الشيء بينما كانت المعارضة الداخلية سرية وعنيفة.

لقد قررت الحكومة بالاجماع ابلاغ الولايات المتحـدة بموافقـة إسرائيـل عـلى قيـام الأمـريكيين بدراسـة امكانية الدخول في مفاوضات حول الغاء حالة الحرب مع جاراتها الـثلاث - مصر والاردن وسـوريا - ولكنهـا اشترطت التوصل إلى اتفاق بين إسرائيل والولايات المتحدة حول تفسير الغاء حالة الحرب كهدف سـياسي في طريق اتفاق السلام.

لقد اعتقدت بأن الولايات المتحدة لن تقوم في عام الانتخابات – ١٩٧٦- بخطوات ذات مغزى لدفع عجلة المفاوضات إلى الامام بل ستكتفي بعملية جس النبض واعتقدت بان السادات سيمتنع عن التقدم نحو اهداف سياسية أخرى مع إسرائيل لاعتقاده بان الادارة الأمريكية لا تستطيع ممارسة أي ضغوط على إسرائيل في عام الانتخابات.

لقد كانت مصر تعيش في عزلة وحرضت سوريا عليها معظم العالم العربي ولم يكن بمقدور مصر ان تتهم مرة أخرى بانها غدرت بالامة العربية وتوصلت إلى اتفاقيات منفردة مع إسرائيل.

لقد تميزت سنة ١٩٦٧ بحدوث تطورات وتيارات في الشرق الاوسط انتقلت من الحلبة التقليدية المتعلقة بالعلاقات الإسرائيلية - العربية إلى حلبة المشاحنات العربية حول الحرب الاهلية في لبنان التي لم تقف إسرائيل ازاءها موقف المتفرج بل قامت بدور فعال فيها.

لقد كانت لبنان الدولة العربية الوحيدة التي لا تعتبر الدين الاسلامي ديانتها الرئيسة وقد نص «الميثاق الوطني» الذي تقرر في عام ١٩٤٣ عشية انتهاء الانتداب الفرنسي على اعترافه بتفوق الطائفة المسيحية وتمتعها باغلبية في البرلمان اللبناني كما نص على ضرورة انتخاب رئيس مسيحي يتمتع بصلاحيات حكم واسعة وتعيين رئيس وزراء مسلم يتمتع بصلاحيات اقل من صلاحيات الرئيس ولكن هذا البنيان الائتلافى انهار بعد تزايد قوة القومية الاسلامية في الشرق الاوسط وبروز حركات يسارية في لبنان وفى عام ١٩٦٩ ادرك النظام اللبناني الخطر الذي يتربص به وطلب من العالم العربي ان يعمل على الحد من نشاطات الفدائيين الفلسطينيين في لبنان ضد إسرائيل وتم التوقيع على اتفاق القاهرة الذي يمنح الفلسطينيين السيطرة التامة على مخيمات اللاجئين في لبنان وحرية التنقل في الدوله ويسمح لهم بالعمل ضد إسرائيل شريطة ان لا يطلقوا النار من داخل الاراضي اللبنانية بل يتسللوا من لبنان إلى إسرائيل لتنفيذ العمليات الفدائية هناك. ولكن الامور انقلبت رأسا على عقب

ونقل الفدائيون في عام ١٩٧٠ قياداتهم وقواتهم إلى لبنان واقاموا دولة في قلب دولة وتحالفوا مع منظمات يسارية - اسلامية وقضوا بذلك على الاجهزة الحاكمة في لبنان واضطر المسيحيون إلى الدفاع عن انفسهم ووجدت سوريا الفرصة سانحة لتحقيق حلم «سوريا الكبرى» الذي كان من المقرر ان يكون لبنان حجر الزاوية فيه واستملت المرحلة الاولى من الحرب الاهلية في لبنان من نيسان ١٩٧٥ وحتى بداية عام ١٩٧٦ على تبادل اطلاق النار من مواقع ثابتة وليس على عمليات هجومية متحركة بين المسيحيين والفدائيين واتباعهم ووقف الجيشان اللبناني والسوري موقف المتفرج وانهارت اتفاقيات وقف اطلاق النار الواحدة تلو الاخرى كما انهارت جدران الكراهية بين الجانبين الفلسطيني واللبناني واشتملت المرحلة الثانية من الحرب الاهلية التي امتدت بين كانون الثاني وآيار ١٩٧٦ على تصعيد خطير للمعارك تخللته مجازر رهيبة ومروعة ومعارك للسيطرة على مناطق وانهار لبنان تماما مما ادى إلى تدخل سوريا سياسيا والتي استدعت اطراف النزاع إلى دمشق وفرضت عليهم بتاريخ ١٤ شباط« اتفاق دمشق» وثيقة الاصلاح» تلك محاولة يائسة للمحافظة على الكيان السياسي اللبناني واقتطاع معين من صلاحيات الرئيس المسيحي لصالح رئيس الوزراء المسلم.

الفصل الحادي عشر

إسرائيل تساعد المسيحيين في لبنان

لقد خرق اليساريون المتطرفون والفدائيون الفلسطينيون الاتفاق واغرقرا لبنان في بحر من الـدماء وفى يـوم ٨ أيار ١٩٧٦ انتخب البرلمان اللبناني الياس سركيس كرئيس جديد للبنان.

على أي حال فقد طرأ أمر جديد في ميدان القتال: فسوريا التي لا تستطيع التـذكر لتـدخلها بـدون ان تخسر جميع اسهمها في السوق العربية قد ارسلت إلى لبنان رجال منظمة «الصاعقة» الفدائية التابعـة لهـا بقيادة زهير محسن للقتال إلى جانب المسيحيين وضد المنظمات الفلسـطينية واليسـار اللبنـاني الـذي رفـض الرضوخ لارادة سوريا.

لقد سادت لبنان حالة من الفوضى ولم يعد باستطاعة المراقب التمييز بين المقاتلين وفى حزيـران ١٩٧٦ لم تستطع سوريا السيطرة على الاحداث بدون ان تدخل إلى سـوريا قـوات مـن جيشـها النظـامي ووجـدت مصر الفرصـة سـانحة للـرد عـلى سـوريا بالمثـل وانضـمت إلى العـراق وليبيـا المتطرفـة ومنظمـة التحريـر الفلسطينية للتنديد بالتدخل السوري في لبنان الذي ادى إلى فـرار آلاف الفـدائيين الفلسـطينيين إلى جنـوب لبنان وسيطروا عليه على طول حدود إسرائيل الشمالية وعززوا مواقعهم وجمعوا كميات كبيرة من الاسلحة ولم تستطع إسرائيل الوقوف مكتوفة الايدي ازاء ما يجري في لبنان ووجدنا ان من حق اقلية قومية - دينية تدافع عن نفسها ضد القومية الاسلامية المتعصبة في الشرق الاوسط ان تطلب العـون مـن إسرائيـل التـي لا تستطيع رفض مثل ذلك الطلب.

لقد اتخذ التدخل الإسرائيلي في لبنان وجوها عديـدة وفى اوقـات ومراحـل مختلفـة وفى المرحلـة الاولى احتجزنا سفينة محملة بذخيرة المدفعية، بينما كانت متجهة من الاسكندرية إلى صور لتفريغ حمولتها لـدى الفدائيين الفلسطينيين.

لقد ادى التدخل السوري في المعارك اللبنانية إلى اضعاف القوات السورية المرابطة على حدود إسرائيل وكانت سوريا قد خشيت التورط العسكري مع إسرائيل بينما تكون منشغلة في العرب في لبنان وعلاقاتها مع مصر مزعزعة ولهذا فقد اضطرت إلى تنسيق مواقفها مع الولايات المتحدة لكي لا يثير تدخلها في لبنان غضب إسرائيل، ولم يكن لدى سوريا ادنى شك بان منطقة جنوب لبنان في منطقة ممنوعة وان دخول قوات سورية إليها سيرغم إسرائيل على التدخل في لبنان وطرد السوريين من «الخط الاحمر» الكائن على الحدود اللبنانية - الإسرائيلية، وكان «الخط الاحمر» يمتد من جنوبي صيدا في خط مستقيم غربا إلى مسافة تصل إلى حوالى ٢٥ كم شمالا إلى نهر الليطاني وكان السوريون والأمريكيون يعلمون حدود المسموح والممنوع وكانت هناك ادلة عديدة فعندما جرت محاولة سورية محدودة لاجتياز الخط الاحمر ولمحت إسرائيل بصمت حازم بانها لا تنوي الوقوف مكتوفة الايدي - تراجعت سوريا.

لقد كان الشعب الإسرائيلي يعتقد خطأ بان غالبية المسيحيين يقيمون في جنوب لبنان ولكن الواقع مختلف تماما فمن بين مليون مسيحي لبنانى يعيش في جنوب لبنان ٢٠ ألف مسيحي فقط ويشكلون حوالى ٨ % من مجموع السكان المسلمين الشيعة اما البقية الباقية من ابناء الطائفة المسيحية فيقيمون شمالى وشرقي بيروت وان حسم اية مجابهة عسكرية وسياسية حول مصير لبنان سيكون هناك وليس في جنوب لبنان وكنت مقتنعا بان واجب إسرائيل يحتم عليها تقديم العون للمسيحيين ولكننى لم أكن ارغب ان يبدو العون وكأن إسرائيل تنوي ان تتحمل مسؤولية مصير المسيحيين في لبنان.

اعتمدت سياستنا على مبدأ «مساعدة المسيحيين على مساعدة انفسهم» وكان من بين زعماء المسيحيين الشبان من يرغب في جر إسرائيل إلى مجابهة عسكرية مع سوريا حول القضية اللبنانية ايمانا منهم بان ذلك سيكون في صالحهم.

لقد قررت بان نقوم بادا. واجبنا الاناني في منطقة جنوب لبنان وتقيم المساعدات للسكان ومنع الغدانيين من القضا، عليهم ولكن بدون ان نتحمل مسؤولية سيامية وعسكرية شاملة نحو مصير المسيحيين في لبنان وقد وفت إسرائيل التزاماتها ووسعت مع مرور الوقت حجم الامدادات للمسيحيين.

ان السوريين لم يرحموا الفدائيين والمنطمات اليسارية وضربوهم بشدة وخلال اشهر قليلة قتل السوريون عددا من الفدائيين يفوق عدد الذين قتلوا في جميع الاعمال الفدائية ضد إسرائيل وفى المواجهات التي وقعت بين الفدائيين والجيش الإسرائيلي وقد منعت إسرائيل القوات السورية من التوجه إلى جنوبي الليطاني ولكنها دفعت ثمن ذلك غاليا: اذ اصبحت منطقة جنوب لبنان ملجأ للفدائيين الذين فروا من بطش السوريين.

لقد توقعنا هذا الوضع ولكنا فضلنا، على سيطرة الجيش السوري على المنطقة المتاخمة للحدود الإسرائيلية - اللبنانية وكانت احدى مفارقات الشرق الاوسط عندما وجد الفدائيون ألد اعداء إسرائيل الامن في ظل القوة العسكرية الإسرائيلية التي ردعت السوريين.

لقد ادت الضائقة التي تعيشها سوريا والعزلة التي تعاني منها في العالم العربي واضطرارها لحشد قوات كبيرة في الحلبة اللبنانية إلى ارغام سوريا على البحث عن حل وسط مع مصر، ويبدو ان السعودية كانت البادرة لعقد مؤتمر الرياض(١٧-١٨ تشرين الأول ١٩٧٦) واستمراره في القاهرة(٢٥ - ٢٦ تشرين الأول ١٩٧٦) وقد استغلت مصر اللقاءات لخدمة مصالحها وسمحت سوريا لمصر بأن تواصل السير في المسيرة السياسية بعد الانتخابات الأمريكية بهدف عقد مؤتمر جنيف وتراجعت عن شن الحملات على مصر بسبب توقيعها على الاتفاق المرحلي مع إسرائيل ووافقت مصر على ان يشكل السوريون القوة المسيطرة في الجيش العربى المشترك الذي سيفرض النظام في لبنان ويمنع انفجار الموقف هناك وقامت

السعودية بتقديم المساعدات لكل من مصر وسوريا ولم يكن لدي ادنى شك بان الولايات المتحدة عملت من وراء الستار للتوصل إلى هذا الاتفاق بين مصر وسوريا والسعودية.

لقد كانت احدى نتائج الاتفاق المصري - السوري ان اشتدت حدة التوتر بين العراق وسوريا وحشدت قوات عسكرية عراقية وسورية ورابطت على جانبي الحدود المشتركة. لقد اثار الاتفاق المرحلي المصري - الإسرائيلي عدة هزات ارضية في الشرق الاوسط وحقق احدى النوايا الرئيسة التي سعت إليها السياسة الإسرائيلية وهي زرع بذور الشقاق في صفوف العالم العربي الذي اصبح يدور في حلقة مفرغة من المشاحنات والخصومات الداخلية وادى ذلك إلى اضعاف كراهيته ووحدته ضد إسرائيل ولم تقم الولايات المتحدة بالضغط على إسرائيل للقيام بخطوات متسرعة وحصلت إسرائيل على متسع من الوقت الذي كانت تحتاجه لتعزيز قوتها العسكرية.

وفى غضون ذلك كانت الحملة الانتخابية على اشدها في الولايات المتحدة بين الرئيس جيرالدفورد ومرشح الحزب اليموقراطي جيس كارتر وكان باستطاعة الرئيس فورد التباهي بما فعله من اجل إسرائيل ولكن كارتر أيضاً لم يبخل في اعطاء الوعود السخية لإسرائيل واتهمني البعض مثلما فعلوا اثناء اشغالى منصب سفير إسرائيل لدى الولايات المتحدة بالتدخل في الحملة الانتخابية الأمريكية ولكنني في الواقع كنت أؤدي واجبي في كلتا الحالتين في خدمة إسرائيل.

لقد كانت حصيلة فورد في تعامله مع إسرائيل ايجابية بشكل بارز وكنت في كلتا الحالتين اتعامل مع الحقائق أكثر من تعاملى مع الوعود ومع ذلك فقد امتنعت دائما عن التدخل في اختيار الناخب الأمريكي ولكنني وجدت من حقي ان اعرب عن رأيي نحو فورد ونظرته الايجابية نحو إسرائيل واذا كانت نتيجة ذلك ان اتهم تأييد فورد ضد كارتر فان هذا هو الثمن الذي يتوجب علي ان اتحمله، في تلك الفترة سالنى المسؤولون الأمريكيون مرارا وتكرارا لماذا

لم توقع إسرائيل على صفقة لشراء ٧٥ طائرة من طراز ف ١٦ وقد طرحت السؤال للنقاش في إسرائيل وفي كل مرة كنت اواجه معارضة قوية لدى وزارة الدفاع الإسرائيلية وخاصة رئيس الاركان ووزير الدفاع وكان موقفهما ينص على عدم طلب الطائرات ما لم توافق الولايات المتحدة على اشراك إسرائيل في انتاج الطائرات ولكن الولايات المتحدة لم توافق وكانت حكومتى اول وآخر حكومة إسرائيلية تشترط شراء طائرات حيوية بالمشاركة في انتاجها وانني لاشعر بأشد الاسف على ذلك فقد تغلبت اعتبارات الانتاج لدى الصناعة الجوية الإسرائيلية على اعتبارات تعاظم قوة الجيش الإسرائيلي واضرت بقوته. وقد تملكتني مخاوف بان وزارة الدفاع الإسرائيلية ليست راغبة بالطائرات لكي تضمن تطوير الطائرة الإسرائيلية «أريه» طائرة سنوات الثمانين الإسرائيلية الصنع.

بعد الانتخابات في أيار ١٩٧٧ وخلال الجلسات الاجمالية التي عقدتها الحكومة الإسرائيلية الانتقالية وقبل تسليم مقاليد الحكم للحكومة الجيدة عقدنا جلسة مشتركة بين الحكومة وهيئة اركان الجيش الإسرائيلي في مقر القيادة العليا. لقد استعرضنا الوضع الامني وفوجىء عدد من الوزراء من انجازات التسلح الهائلة التي حققتها الحكومة وقلت في الكلمة الاجمالية، انني اخطأت بعدم التوقيع على صفقة طائرات اف ١٦ بدون اشتراط مشاركة إسرائيل في انتاجها.

لقد كان ذلك في يوم الجمعة في الجلسة الاخيرة للحكومة برئاستى وبعد يومين أي في يوم الاحد اصدر وزير الدفاع بيرس بيانا مفاجئا قال فيه ان الاميركيين اقترحوا مرة أخرى التوقيع على صفقة طائرات اف ١٦ بدون مشاركة إسرائيل في منعها وانه أي وزير الدفاع الذي عارض ذلك بشدة قد وافق وأصدر اوامره بالتوقيع وكان تصرفا غريبا والاغرب من ذلك انه لم توقع آنذاك أي صفقة فهل اراد وزير الدفاع القيام بعمل يحرره من الذنب الذي اقترفه بمعارضة التوقيع على الصفقة؟!.

لقد حققت الحكومة التي ترأستها انجازات هامة مـن بينهـا مضـاعفة قـوة الجـيش الإسرائـيلي خـلال الفترة مـا بـين حـرب اكتـوبر ١٩٧٣ ونهايـة شـهر حزيـران ١٩٧٧، فقـد ازداد عـدد الـدبابات بحـوالى ٥٠ % والمدفعية باكثر من ١٠٠ % والمجنزرات بـ ٨٠٠ % والطائرات ٣٠ % وبنوعية عالية للغاية.

لقد كان من عجيب المفارقات وسخرية القدر ان تضطر حكومتي التي عززت قدرة الجيش الإسرائـيلي بشكل منقطع النظير إلى الاسـتقالة بسـبب حصـول إسرائيـل عـلى طـائرات اف ١٥ الحديثـة مـن الولايـات المتحدة، بدلا من اظهار الغبطة لدخول إسرائيل إلى عصر طائرات الثمانينات فقد اتهم المتدينون المتطرفون في الكنيست بان قدسية السبت قد استبيحت وانتهكت في حفل استقبال اول دفعة من طـائرات اف ١٥ في احد المطارات العسكرية الإسرائيلية وقدم اقتراح بحجب الثقة عن الحكومـة وامتنـع وزراء الحـزب الـديني الوطني المشارك في الائتلاف عن التصويت ولم اجد بدا من استخلاص النتـائج ازاء الـوزراء الـذين لم يمنحـوا ثقتهم للحكومة التي يشاركون في عضويتها والعمل على اقالتهم من الحكومة.

وبسبب انعدام اغلبية ائتلافية فقد ابلغـت رئـيس الدولـة باسـتقالتي التـي ادت بموجـب القـانون إلى استقالة الحكومة بأسرها واصبحت حكومتي حكومة انتقالية وجرى تقـديم موعـد الانتخابـات إلى ١٧ ايـار ١٩٧٧ .

فى مؤتمر حزب العمل الذي عقد في شباط ١٩٧٧ حاول شمعون بيرس مرة أخرى الفوز بترشيح الحـزب له ليترأس الحكومة ولم يحدث ابدا ان قـام وزيـر في الحكومـة والحـزب الـذي ينتمـي إليـه رئـيس الـوزراء بتحدي رئيسه ويناقشه على رئاسة الحكومة وفى هذه المرة أيضاً فزت ولكن باغلبية ضئيلة للغاية.

ولكــن بيــنما كنــا منشــغلين في خصــوماتنا ونســتعد للانتخابــات ونتنــافس عــلى الترشــيح لرئاســة الحكومــة فتــد دخــل جيمــي كــارتر إلى البيــت الأبــيض وكــرئيس جديــد فقــد قــرر الاسراع في

الجهود السياسية في الشرق الاوسط غير عابيء بالحملة الانتخابية الجارية في إسرائيل وتلقيت دعوة لزيـارة واشنطن في مطلع آذار ١٩٧٧ ولم تكن هناك فائدة من رفض الدعوة على الرغم من ادراكي بأنني لا استطيع التعهد بشيء حول مواقف إسرائيلية جديدة وبعيـدة الاثـر قبـل الانتخابـات للكنيسـت بفـترة وجيـزة مـن الزمن.

الفصل الثاني عشر

اللقاء بالرئيس كارتر

لقد وجدت في واشنطن رئيسا جديدا لم اعرف مثيلا له من قبل فقد كان ممتلئا بالرغبة في تحسين اوضاع الشعب الأمريكي وان يعيد إليه ثقته بالمؤسسة الرئاسية وكان يفاخر بمعتقداته الدينية وكان واثقا بان الشعب الأمريكي كلفه بمهمة هائلة وهي القيام بالتغيير الكبير في الاسلوب والمضمون.

عقدنا الاجتماع الأول وكانت اقوال كارتر تشتمل على التزام أمريكي عميق نحو إسرائيل وعلى عدم فرض الحل من الخارج وقال ان للولايات المتحدة مصالح والتزامات في الشرق الاوسط ليس نحو إسرائيل وحدها ولكن التزامها نحو امن إسرائيل يحتل مكان الاولوية ويعلو على أي مصلحة اخرى، واضاف انني ارجو ان تبلغني ما إذا كانت في قلوبكم مخاوف من أي نوع ما ازاء عمق الالتزام الأمريكي نحو إسرائيل وسوف نحاول نحن تبديد تلك المخاوف.

وسالني قائلا: هل توافق بان عام ١٩٧٧ مناسب لبذل جهد رئيس لتحقيق السلام؟! إذا كان الامر كذلك فمتى سنعقد مؤتمر جنيف؟ ومن سيشارك فيه؟ وكيف يمكن تسوية مسألة التمثيل الفلسطيني؟.

ان هناك بعض المشاكل بيننا وبين الولايات المتحدة وسوف نجلس اليوم وغدا لدراستها فقلت له: خلافا لزيارات سابقة لرؤساء حكومات إسرائيل في واشنطن فانه لا حاجة هذه المرة لاتخاذ قرار فوري، وبفضل السياسة الإسرائيلية - الأمريكية المشتركة نستطيع الآن دراسة خيارات وامكانيات مختلفة ولسنا مرغمين على اتخاذ قرارات تحت ضغط واقع ملح يجر احيانا قرارات غير مدروسة بما فيه الكفاية، انني لم اجيء حاملا سلة مشتريات ولن

ادرس نجاح زيارتي بمقياس استجابة الولايات المتحدة لتزويدنا باسلحة اضافية وطبيعي ان للولايات المتحدة مصالح وسياسات خاصة بها لايجاد حلول في الشرق الاوسط ولنا أيضاً مصالح وسياسات خاصة بنا واحيانا لا يكون هناك اختلاف بين مصالح وسياسات الجانبين ولكن التجارب قد برهنت على ان وجود قاسم مشترك يساعد على التغلب على الاختلاف في وجهات النظر من خلال محادثات مريحة وودية وستكون النتيجة في مصلحة الدولتين.

انني لم احاول مطلقا القيام بدور بروفسور خاص للرؤساء الأمريكيين في التاريخ اليهودي ولكنني في هذه المرة وعلى مسامع رئيس أمريكي جديد ادليت باقوال تتعلق بالتاريخ الطويل للشعب اليهودي والحافل بالمآسي والمجازر والاضطهاد الذي بلغ ذروته في الحرب العالمية الثانية باوروبا وقلت« لا يوجد رئيس وزراء في إسرائيل يستطيع التحدث باسم مواطني إسرائيل فقط بل لا بد له من ذكر ملايين الضحايا اليهود ومو يعلم بأن خطأ واحدا قد يعرض وجود إسرائيل ومواطنيها للخطر واوردت خلال حديثي عبارة للرئيس نيكسون قال فيها ان اطراف النزاع في الشرق الاوسط يجب ان يكونوا اطراف السلام أيضاً واتفقت مع الرئيس كارتر على ضرورة القيام بجهد خلال عام ١٩٧٧ للتوصل إلى سلام شامل وقلت ان كل عام مناسب لمثل هذا الجهد ولكن هيا ندرك معنى السلام ومغزاه وتعتبر كلمة «سلام» من أكثر الكلمات غموضا في القاموس الانجليزي وهناك كثير من المواضيع السياسية التي تحمل عبارة السلام بدون ان تكون هناك نية جادة لتحقيق السلام، ونحن نعتبر السلام امرا يتألف من شقين: الغاء حالة الحرب وخلق واقع جيد واقع سلمي يترجم إلى واقع عملى بعد صياغته على الورق الدبلوماسي وهذا هو الفرق بين الرئيس السادات وبيننا فهو مستعد لالغاء حالة الحرب مقابل انسحاب إسرائيلي شامل ولكنه ليس مستعدا لاقامة سلام حقيقي يترجم إلى واقع حياة يشعر به كل مواطن ويتحسسه.

وسألني كارتر:- ماذا اجيب إذا سألني السادات؟! هل إسرائيل مستعدة لفتح الحدود الإسرائيلية في وجه السواح والزوار المصريين؟!. فقلت:- سيدي الرئيس: ان اليوم الذي

سيقدم فيه الرئيس المصري مثل هذا الطلب لرئيس حكومة إسرائيل سيكون اسعد يوم في حياتي.

وهنا وجه الرئيس كارتر سؤالا لوزير الخارجية سايروس فانس حول انطباعاته من زيارته في شباط الماضي لعدة عواصم في الشرق الاوسط وما هو موقف الزعماء العرب ازاء جوهر السلام فقال فانس: لقد سمعت من كافة الزعماء العرب بان جوهر السلام هو مشكلة سيادية بالنسبة لهم وان قرار فتح الحدود مع إسرائيل أو اقامة علاقات تجارية أو دبلوماسية أو فتح الحدود في وجه السواح هو قرار خاص بهم وليس جزءا من شروط السلام وان الخطوة الاولى - في رايهم - يجب انهاء حالة الحرب وانهم على استعداد للبحث في هذا الموضوع فقط، وسألني الرئيس ما إذا كانت إسرائيل مستعدة للتقدم نحو السلام تدريجيا، فاجبت بان إسرائيل استجابت في شباط ١٩٧٦ لاقتراح الولايات المتحدة لدراسة امكانية اجراء مفاوضات مع مصر وسوريا والاردن حول انهاء حالة الحرب ونحن مستعدون الآن أيضاً لذلك.

الرئيس:- هل إسرائيل مستعدة للموافقة على تحديد الهدف النهائى على ان يتم التنفيذ على مراحل؟!

فادركت على الفور ما يرمي إليه الرئيس كارتر في سؤاله هذا وهو تنفيذ ما ورد في مشروع بروكنغز الذي جاء فيه بان السلام هو الهدف النهائى ومن اجل تحقيقه يتوجب على إسرائيل ان تنسحب من كافة المناطق التي احتلتها في عام ١٩٦٧ ولكن الانسحاب سيكون على مراحل وبعد استكماله سيسود السلام في الشرق الاوسط. فاجبت بحذر: إذا جرى الاتفاق على مبادىء السلام الشامل وعلى حدوده فليست هناك مشكلة ومن الممكن تنفيذ القرار على مراحل لقد تحدثنا حول الحدود وعرضت على الرئيس المبادىء التي نؤمن بها وهي: ان رسم الخرائط يجب ان يتم في مفاوضات السلام ولكن المبادىء هي: ان نحتفظ

بشرم الشيخ مع امتداد اقليمي إلى ايلات وان لا ننسحب من هضبة الجولان وان موضوع الضفة الغربية يجب ان يكون الموضوع الرئيس في الحملة الانتخابية القادمة في إسرائيل وقلت:

هناك نظريتان في إسرائيل الاولى للتجمع العمالى وتبدي استعدادا للتنازلات الاقليمية مع الاردن مع امكانية اجراء مفاوضات حول تسوية مرحلية تتقاسم بموجبه كل من الاردن وإسرائيل اعباء الحكم بحيث يتولى الاردن مسؤولية الجوانب الادارية والمدنية وان تتولى إسرائيل الجوانب الامنية على ان تحتفظ إسرائيل بحقها في الاستيطان في المناطق التي لا يوجد بها اكتظاظ سكاني عربي.

والنظرية الثانية هي نظرية حزب الليكود وهي ترفض تسليم أي شبر من اراضي الضفة الغربية وكلتا النظريتين ترفضان اقامة دولة فلسطينية بين إسرائيل والاردن أو اجراء مفاوضات مع منظمة التحرير الفلسطينية.

ولكن كارتر ظل متمسكا بالافكار الواردة في مشروع بروكنغز واخذ يقنعني به جرعة جرعة وقال الا يمكن ان يقام ما يشبه الاتحاد الفدرالى بين الدولتين الفلسطينية والاردنية على اساس النظام المتبع في الولايات المتحدة بحيث يكون الاشراف على المواضيع الخارجية والامنية من اختصاص الحكم المركزي وان تكون الضفة الغربية منطقة منزوعة السلاح وتتمتع بحكم ذاتى! إنني لا اقترح ذلك ولكنني احاول دراسة الامكانيات.

فقلت مرة اخرى« اننا نعارض بشدة اقامة دولة فلسطينية مستقلة بيننا وبين الاردن وأنا لا اعالج الآن الطريقة التي سيعبر فيها الفلسطينيون عن انفسهم في الكيان السياسي المسمى «االدولة الاردنية - الفلسطينية» ولكنني اعارض قيام دولة ثالثة في المنطقة.

فسألني الرئيس كارتر:- هل تعارض في تشكيل وفد عربي موحد إلى مؤتمر جنيف يضم ممثلين فلسطينيين ايضا؟! فاجبت: اننا لا نعارض في اشراك فلسطينيين في الوفد الاردني

ولكننا نريد التفاوض مع دول ذات سيادة ولا يهمنا إذا قامت الدول العربيـة بتنسـيق مواقفهـا في جنيـف طالما اننا نتفاوض مع كل واحدة من جاراتنا وكأننا نتفاوض مع دولـة عربيـة ذات سـيادة ومعهـا سنتوصـل إلى اتفاق.

الرئيس:- اننـي آمـل ان تبـدي انفتاحـا ازاء التمثيـل الفلسـطيني لدراسـة مختلـف الامكانيـات لعـدم التسبب في ايقاف المسيرة السياسية.

في ذلك اليوم -٧ آذار ١٩٧٧ تحدثت في حفل الغداء مع سايروس فانس حول مشاكل لبنان وبعد ذلك عدنا إلى موضوع المسيرة السياسية واتضـح لي مـرة تلـو الاخـرى بـان الادارة الأمريكيـة الجديـدة متمسـكة بمشروع بروكنغز فهي تبدي استعدادا لتبني مفاهيم إسرائيل حول جوهر السـلام ولكنهـا تطالـب إسرائيـل بالانسحاب إلى حدود حزيران ١٩٦٧ مع تعديلات طفيفة.

لقد اشترك ٦٠ شخصا في جلسة العمل مع الـرئيس كـارتر في مسـاء ذلـك اليـوم وكـان اشـد المتحـدثين قسوة توماس اونيل رئيس مجلس النـواب الأمـريكي الـذي قـال بلسـانه السـليط:- لمـاذا لا تتفاوضـون مـع منظمة التحرير الفلسطينية؟ ولماذا لا نستطيع الطلب منكم ان تفعلوا ما فعلناه نحـن؟ لقـد تفاوضـنا مـع الفيتكونغ وليس مع فيتنام الشمالية فحسب وجلسنا سنوات في مؤتمر السلام بباريس مع ممثلي الفيتكونغ فلماذا لا تسمحون لانفسكم ما سمحنا به لانفسنا نحن ممثلى الدولة العظمى؟! لمـاذا اسـتطاع الفرنسـيون التفـاوض مـع جبهـة التحريـر الـوطني الجزائـري والتوصـل معهـا إلى اتفـاق؟ ولمـاذا اسـتطاع الانجليـز التفاوض مع جميع المنظمات السرية في العالم ومعكم انتم بينما انتم لا تستطيعون التفـاوض مـع منظمـة التحريـر الفلسـطينية؟ مـا هـو المفتـاح هنـاك: هـل هـو اتبـاع اسـاليب الارهـاب التـي تتبناهـا المـنظمات الفلسطينية أم النظرة الموضوعية نحو المشكلة؟!. فاجبت:- هـل رفـض رجـال الفيتكونـغ الاعـتراف بوجـود الولايـات المتحـدة ودعـوا إلى القضـاء عليهـا؟ وهـل نـص ميثـاق الفيتكونـغ عـلى اقامـة دولـة فيتناميـة بـــدلا مـــن الولايـــات المتحـــدة؟ ايـــن وجـــه المقارنـــة في ذلـــك؟ وهـــل ارادت جبهـــة التحريـــر

الوطني الجزائري القضاء على فرنسا؟ وهل المنطمات السرية في إسرائيل واماكن أخرى هددت وجود بريطانيا العظمى بالخطر؟ أي اساس للتفاوض مع منظمة التحرير التي اعلنت بان الهدف من اقامتها هو القضاء على إسرائيل واقامة دولة فلسطينية بدلا منها ولكي تحقق المنظمات هذه الهدف لا تتورع هي عن قتل النساء والاطفال بلا تمييز.

وساد الصمت، فألقى الرئيس تحية المساء على الحضور ودعاني لاصطحابه إلى الطابق الثاني وهو مقر اقامة الرئيس وكنا وحدنا وقال لي الرئيس بحرارة:- هيا نزور ابنتي ايمي فقلت: ربما تكون نائمة الآن، فأجاب: كلا وقمنا بالزيارة وبعد ذلك نشرت مجلة تايم نبأ جاء فيه بان رفضي في البداية زيارة ايمي وعدم تقبيلها عندما زرتها خلقت لنفسي صفة سلبية في نظر الرئيس والحقيقة انني لم اقبل ايمي وانني اعتبر ذلك عيبا لم استطع التغلب عليه.

لقد تحدثت مع الرئيس على انفراد وسألني كارتر:- بماذا انت تفكر حقا؟ ولم يعجبني سؤاله هذا لانه يحمل في طياته افتراضا بأنني لم اطلعه بما افكر به حقا وان الرئيس كان يتوقع ان اطلعه في اجتماع مغلق على مكنون قلبي حول الطريق المؤدي إلى السلام واقدم له تنازلات إسرائيلية كبيرة، والحقيقة هي ان افتراضه لم يكن في محله وانه لم يكن لدي شيئ اضيفه على ما قلته بصدق وصراحه ولم يكن لدي موقف آخر.

لقد كان من حق الرئيس المطلق ان يتصرف على النحو الذي تصرف به لأن اسلوب الاقناع في الاجتماعات المغلقة كان متبعا وسائدا ولكن كان من حقي أيضاً ان اتخذ موقفا واضحا يضع الامور في نصابها ولا يدع مجالا لاي سوء تفاهم يحدث في المستقبل.

فى اعقاب ذلك سيطرت نبرة الاستياء على اقوال الرئيس كارتر ولكنه تغلب على استيائه بسرعة وعاد إلى لهجته الودية.

لقد تحدث الرئيس الأمريكي عن هدفه وهو اعادة ثقة الأمريكيين بالادارة الأمريكية واعرب عن ثقته بضرورة ازالة الصبغة السرية التي تتسم بها النشاطات السياسية وضرورة ممارستها بوضوح وقال انه يجب على الرئيس الأمريكي ان يعرض مواقف ونظريات ونوايا

واضحة حول اهداف سياسية وانه يجب عليه ان يوضح لشعبه ماذا يريد ان يحقق وكيف سيفعل ذلك.

لقد راودتني طيلة حديثي معه مخاوف بان يعلن الرئيس وجهة نظره حول قضايا الشرق الاوسط حسب ما يؤمن به وهي وجهة نظر تزيد الحديث الصريح والتصريح العلني وسوف تسعد العرب وتحزن إسرائيل لأن مشروع بروكنغز لا يعبر بأي حال عن نطرة إسرائيل ازاء حدود السلام.

لقد ابدى الرئيس كارتر اهتماما كبيرا بيجائيل يدين. ربما بسبب التشابه الكبير بينهما حيث كانا غير معروفين في العالم السياسي ببلادهما ولمعا بسرعة كما ابدى اهتماما كبيرا بشخصية غولدا مائير.

لقد تحدثنا حتى ساعة متأخرة من الليل وافترقنا. وبعد ذلك عقد لقاء ثالث بحضور اعضاء وفدي الدولتين واخذ الرئيس يكيل المديح لإسرائيل وتحدث عن اعجاب الشعب الأمريكي بإسرائيل الجريئة المتمسكة بالقيم الديموقراطية وبعد عبارات الافتتاح الودية جاء دور المواضيع الجوهرية وقال الرئيس ان الولايات المتحدة افترضت طيلة السنوات الماضية بأنه عندما ستبدو في الافق امكانيات التوصل إلى حل سياسي فان إسرائيل ستتحرك بنشاط لتحقيق هذا الهدف واعرب الرئيس عن اعتقاده بان هناك امكانيات جيدة للتقدم نحو السلام وان الأمريكيين يتفهمون مخاوف إسرائيل من اتخاذ خطوات مصيرية لمستقبلها ووعد بان يخصص جزءا كبيرا من وقته لدفع عجلة السلام إلى الامام لايمانه بضرورة التقدم خلال هذا العام إلى الامام.

لقد عرض الرئيس وجهة نظره حول المسيرة السياسية وقال ان الهدف الوحيد للسياسة الأمريكية هو السلام الشامل والتام في « الشرق الاوسط وان الادارة الأمريكية لم تعد متمسكة بسياسة التقدم نحو السلام عبر الاتفاقيات المرحلية ولا تؤمن بتحقيق السلام الا في كافة الجبهات في آن واحد.

وقال الرئيس ان التوصل إلى سلام شامل وتام يتطلب التفاوض لحل ثلاث مشاكل هي:. جوهر السلام وحدود السلام وحل القضية الفلسطينية، لقد اوضح الرئيس بأنه يقصد في جوهر السلام السلام التام بما في ذلك تطبيع العلاقات بين إسرائيل وجاراتها بما في ذلك حدود مفتوحة وعلاقات اقتصادية وثقافية وسياحية بين الدول والشعوب.

لاول مرة في تاريخ نزاع الشرق الاوسط يتبنى رئيس أمريكي التفسير الإسرائيلي التام لتحديد مفهوم السلام وجوهر وسررت لذلك من قرارة قلبي، ولكن مروري تلاشى عندما وصل الرئيس إلى موضوع الحدود اذ قال ان تحقيق السلام يتطلب من إسرائيل انسحابا إلى حدود الرابع من حزيران ١٩٦٧، لقد ميز الرئيس بين الحدود المصرية والسورية والحدود الاردنية وقطاع غزة وقال انه توجد بين إسرائيل وكل من مصر وسوريا حدود دولية وهو يعتقد بانها هي حدود السلام، اما في الواجهة الاردنية وقطاع غزة فلم تكن هناك حدود دولية ولهذا فان موقف الولايات المتحدة هو ان على إسرائيل ان تنسحب هناك إلى خطوط الرابع من حزيران ١٩٦٧ مع تعديلات حدود طفيفة وقال الرئيس أيضاً انه يدرك مشكلة إسرائيل الامنية على الواجهة الاردنية ولهذا فهو يميز بين الحدود السياسية والحدود الامنية وانه ليس من الضروري ان تكون متشابهه اذ ان الحدود السياسية يجب ان تعتمد في معظمها على الخط الاخضر الذي كان قائما قبل حرب حزيران ١٩٦٧ بينما تكون الحدود الامنية على نهر الاردن. لقد اضاف الرئيس في حديثنا ان ترتيبات امنية ستتخذ بين الحدود السياسية والحدود الامنية مثل اقامة مناطق منزوعة السلاح ومحطات انذار ومرابطة قوات دولية ويمكن التفكير أيضاً بوجود عسكري إسرائيلي في مناطق حساسه.

لقد ابقى الرئيس كارتر القضية الفلسطينية في هذا الحديث غامضة ولكنه تطرق إلى امكانية اشراك منظمة التحرير الفلسطينية في المفاوضات السياسية.

لقد كان واضحا بأنه كانت نظرة الرئيس تنص على ضرورة انسحاب إسرائيل في الضفة الغربية وقطاع غزة إلى الخط الاخضر - بشكل أو بآخر - فان السؤال هو: من سيحكم

الفلسطينيين المقيمين في الضفة والقطاع ويبدو انه كان يأمل ان تتمكن منظمة التحرير الفلسطينية من التفاوض باسم الفلسطينيين، وقال الرئيس ان توماس اونيل قد عبر أمس عن موقف الكثيرين هنا ازاء منظمة التحرير الفلسطينية، اننا نعارض الارهاب بشدة ولكن كانت هناك سوابق تاريخية لمفاوضات اجرتها دول مع منظمات من هذا النوع واننا لا نرى بين الفلسطينيين زعماء آخرين عدا الزعامة المتمثلة بمنظمة التحرير الفلسطينية ومن المحتمل ان نجد حلا وسطا يمكن قادة منظمة التحرير من الاندماج في وفد عربي وآمل ان تتمكن إسرائيل في اعقاب الانتخابات للكنيست من الموافقة على مثل هذه الصيغة وستكون هذه ضربة قوية للجمهور الأمريكي ولى إذا حال موضوع فني دون اشتراك إسرائيل في مؤتمر جنيف انني أيضاً سياسي وانا اتفهم مصاعبك ولكن يجب ان اكون في وضع يمكنني من الامل في الذهاب إلى جنيف وان تظهروا هناك مرونة في اعقاب الانتخابات في إسرائيل حتى لا تقضوا على هذا الامل.

فقلت ان الشعب اليهودي هو أكثر الشعوب تمسكا بالامل ونحن بحاجة للسلام ونريد السلام ومستعدون للمجازفة في سبيله ولكننا نقصد السلام الحقيقي وهو لا يمكن ان يتحقق الا إذا حصلت إسرائيل على حدود يمكن الدفاع عنها ونحن نشكر الولايات المتحدة على العون الذي قدمته لنا ولكن إذا اتخذتم مواقف حازمة ازاء طبيعة السلام والحدود والقضية الفلسطينية فانكم ستفقدون صفة الوسيط ويجب على الولايات المتحدة ان تركز جهودها على محاولة دؤوبه لتقليص الفجوة بين مواقف الجانبين وباستطاعتكم القيام بذلك إذا لم تتخذوا مواقف محددة وحازمة سلفا.

فقال الرئيس انه لا ينوي اتخاذ مواقف علنية ولكنه يريد ان افهم سبب قلقه: فهويريد ان يعرف بلا ابطاء كيف يمكن الوصول إلى جنيف ومن سيشترك في المؤتمر وما هو الحل الذي سيتحقق هناك؟!

وعدت فأكدت باننا لن نتفاوض مع منظمة التحرير الفلسطينية وان أي تغيير في موقف الولايات المتحدة نحو منظمة التحرير سيشجع عناصر غير مرغوب بها لدى الولايات المتحدة وإسرائيل معا وان الحزم الذي اتبعته الولايات المتحدة ازاء هذا الموضوع هو الذي ساعد على ايجاد تيارات ايجابية في مصر وسوريا، فوافق كارتر على هذا الرأي وقال انه لا تغيير على موقف الولايات المتحدة ازاء منظمة التحرير الفلسطينية ولكن وزير الخارجية سايروس فانر يعتقد بأنه إذا اصرت إسرائيل على رفضها الجلوس مع ممثلى منظمة التعرير الفلسطينية واشراكهم في مسيرة السلام فلن تغير المنظمة من موقفها.

لقد كانت تلك اشارة خطيرة الهدف منها التنديد بإسرائيل لنسفها مساعي السلام، وقلت اننا نريد الذهاب إلى جنيف للتوصل إلى السلام والامن ونحن نعرف مواقف منظمة التحرير الفلسطينية ولا اريد الآن الدخول في نقاش حول الاوضاع المتوقعة وماذا سيحدث إذا غيرت المنظمة من مواقفها، ولكن الرئيس لا يريد التحول عن الموضوع وسال ماذا سيحدث إذا اعلن الرئيس السادات بأنه يوافق على فتح الحدود في وجه السواح والبضائع شريطة ان تشترك منظمة التحرير الفلسطينية في جنيف ضمن الوفد الاردني فهل ستعارض إسرائيل ذلك؟ لقد بدا لي الرئيس كارتر ساذجا وعديم الخبرة ولم اجد بدا من القول له ان هناك خيارات مختلفة ولكن طالما ان احدا لا يعلم ما هي مواقف مصر وسوريا والاردن فانه لا فائدة من التخمينات، وقد استمع الرئيس في هذه المرحلة إلى مواقفنا وسوف يجتمع مع زعماء الدول العربية في اواخر شهر ايار وسيستمع إلى مواقفهم وبعدها ستدرس الولايات المتحدة امكانيات البدء بالمفاوضات، وكررت الطلب بان لا تتخذ الولايات المتحدة مواقف علنية حتى لا تضر باحتمالات السلام وقلت يجب ان لا ننمي لدى العرب الامال والاوهام ان باستطاعتهم الحصول على مبتغاهم عن طريق الضغوط الأمريكية، وعندما اضفت بان العرب يتربصون للخلافات العلنية بين الولايات المتحدة وإسرائيل وافقني الرئيس كارتر فقلت ان من المهم ان تجري الولايات المتحدة اتصالات ومشاورات ولكن يجب ان لا تلتزم بأي موقف.

ومرة أخرى قال الرئيس ان من غير الممكن ان تحول مشاكل شكلية دون انعقاد مؤتمر جنيف خلال العام الحالى وان الولايات المتحدة لا تستطيع السماح بحدوث مثل هذا الامر لانه لو حدث فسوف تكون له مضاعفات خطيرة لدى الشعب الأمريكي ولا تستطيع الولايات المتحدة اهدار مهمة الرئيس واضاعة عام ١٩٧٧، واعرب الرئيس كارتر عن اعتقاده بان تحقيق الحل الشامل للنزاع يحتم على إسرائيل ان تقدم مواقف مفغصلة وواضحة فقلت ان مواقفنا واضحة ونحن نميز بين ضرورة حل القصية الفلسطينية - وهي قضية قائمة ويجب حلها - وبين اشتراك منظمة التحرير الفلسطينية في المسيرة السياسية ونحن نؤمن بأنه يوجد حل للقضية الفلسطينية وباستطاعتنا حلها ولكن بدون منظمة التحرير الفلسطينية أو مشاركتها ولدينا متسع من الوقت وسنبحث ذلك في حزيران بعد الانتخابات العامة في إسرائيل

بعد ذلك انتقلنا للحديث حول العلاقات الأمريكية - الإسرائيلية وعرضت مشاكل تسليحنا وقلت: اننا نريد تحويل العبء الامني الهائل الذي يجثم على اقتصادنا إلى حافز للتقدم الاقتصادي والتكنولوجي ونحن نريد تطوير مؤسسات صناعية تلبي احتياجاتنا الامنية ونريد انتاج الاسلحة بانفسنا وبحاجة لترخيص من الولايات المتحدة بالنسبة للانتاج المحلي ولكي نصدر اسلحة تشتمل على معدات أمريكية واذا وقع سوء تفاهم كما حدث في موضوع الطائرات التي رغبنا في تصديرها للأكوادور فانني آسف لذلك ولكنني اريد التوصل إلى تفاهم حول الدول التي تعارضون ان نصدر الاسلحة إليها التي تتضمن معدات أمريكية والدول التي لا تعارضون، فتهرب الرئيس من الاجابة وقال: بالنسبة للدول التي لا نعارض تزويدها بالاسلحة فان السفير يستطيع الحصول على تفاصيل بشأنها من خلال اتصاله الدائم بوزارة الخارجية ووزارة الدفاع، واما بالنسبة لدول امريكا اللاتينية فان لنا سياسة ثابتة تعارض بيعها اية اسلحة واما فيما يتعلق بحصول إسرائيل على تراخيص لانتاج الاسلحة في إسرائيل فاننا زغب في عدم تسرب التكنولوجيا الأمريكية إلى الخارج وهذا ما

يحتمه علينا أمن الولايات المتحدة ولكن هذا القيد لا ينطبق على اسلحة معينة، فقلت: لقد طلبنا الحصول على ٢٥٠ طائرة من طراز اف ١٦ بحيث نقوم بتركيب وصنع بعض منها في المصانع الإسرائيلية.

وهنا تدخل سايروس فانس وتحدث عن المشاكل المعقدة الكامنة في الانتاج المشترك بسبب الاتفاق الموقع بين الولايات المتحدة وعدد من الدول الاوروبية حول انتاج تلك الطائرات.

الرئيس:- لست خبيرا بالموضوع وباستطاعة فانس توضيحه وقد علمت من خلال الملاحظات المقدمه الي استعدادا لحديثي معك ان الولايات المتحدة وافقت في حينه على بيعكم ١٢٥ طائرة من طراز اف ١٦.

فقلت:- لقد تحدثنا حول ٢٥٠ طائرة لمدة عشر سنوات ونحن اردنا شراء ١٢٥ طائرة لمدة خمس سنوات وكان متفقا لدى الجميع بأنه لا توجد هناك مشكلة امام إسرائيل لشراء طائرات اف ١٦ ولكن مشكلة الانتاج المشترك لم تحل بعد.

لقد شكرت الرئيس على قراره باعادة المساعدات لإسرائيل إلى مستواها السابق أي ١,٧٨٥ مليار دولار، وبعد ذلك تحدثنا عن مشكلة يهود الاتحاد السوفياتي وسوريا ووعد كارتر بتقديم المساعدة ولكنه طلب ابقاء الأمر طي الكتمان، وعدنا إلى الموضوع السياسي وقال الرئيس انه فيما يتعلق بتحديد ماهية السلام فان وجهات النظر الإسرائيلية مطابقة تماما لوجهات النظر الأمريكية وقد اخذت على عاتقي مهمة صعبة وهي تحقيق السلام الدائم في منطقتكم ومعنى ذلك ان إسرائيل ستنعم بالسلام والتجارة المفتوحة وحرية الملاحة في قناة السويس وستفتح في وجهها امكانيات سهلة للحصول على الطاقة التي تحتاجها من الدول النفطية وستحصل على دعم مكثف من الولايات المتحدة وستحظى باعتراف العالم اجمع ويجب ان لا يخامر احد شك باننا وانتم اصدقاء وحلفاء وان آمالك حول ماهية السلام صادقة وسنؤيدها ولن نتحدث مع العرب حول الحدود وسنضعكم في الصورة باستمرار

وسنرى ما إذا كان العرب متصلبين أم مرنين وهل هناك اساس لامكانية التقدم نحو تسوية شاملة أم لا.

وقبيل انتهاء الحديث ادلى الرئيس باقوال لم تعتد الاذن الإسرائيلية على الاستماع لمثلها من قبل اذ قال ان اقامة دولة إسرائيل كانت حسب معتقداته الدينية تحقيقا لحلم الانبياء الوارد في الكتب المقدسة وان هذا الشعور يخلق لدى الأمريكيين الالتزام الدائم والثابت نحو إسرائيل وقد كان انشاء إسرائيل تحقيقا للنبوءات الواردة في التوراه وان هذا الشعور يجب ان يبدد مخاوفكم وقد تحدثت عن ايمانى هذا خلال حملتي الانتخابية ليس امام الناخبين اليهود فحسب بل وامام الأمريكيين بكافة فئاتهم وطوائفهم. لقد تحدث الرئيس بتاثر بالغ ينم عن الايمان الديني العميق المترسخ في نفسه.

انني لم احاول ابدا اخفاء خطورة التصريحات حول القضية الفلسطينية عن الشعب الإسرائيلي ولكن رئيس الوزراء مناحم بيغن وصف في مناسبات عديدة حديثي مع كارتر على انه كان اصعب واقسى حديث يجريه رئيس وزراء إسرائيلي مع رئيس أمريكي وكان وصفا مليئا بالمبالغة فالى جانب شدة التصريحات حول القضية الفلسطينية فقد اشتمل الحديث أيضاً على اقوال ايجابية للغاية حول موضوع السلام والالتزام الامريكي نحو إسرائيل.

لقد كنت اعلم قبل توجهى إلى الولايات المتحدة بان ادارة الرئيس كارتر تختلف عن ادارتي نيكسون وفورد وحسب اسلوب العمل الذي اتبعه الرئيسان الجمهوريان فقد خصص دور حاسم لاشخاص امثال كسنجر وهيغ وسيسكو الذين استطعت معهم تسوية مشاكل عديدة وطرحت افكارا كثيرة اما ادارة الرئيس كارتر فلم تكن تضم شخصا بالمستوى السياسى والدبلوماسى الذي تمتع به كسنجر على الرغم من انه بدا بان الرئيس الجديد لا يميل إلى اعطاء بعض صلاحياته للعاملين في معيته ويبدي رغبة في وضع كل ثقله لدفع مواضيع يراها هامة في نظره ويعقد اتصالات شخصية مع الزعماء الذين يزورون واشنطن

ويعلن مواقفه ونظرياته لاشراك الرأي العام الامريكى في ممارسة الضغط على رافضي تبني آرانه.

لقد اجتمعت - كما جرت العادة - مع عدد من اعضاء مجلس الشيوخ والنواب ورجال الصحافة كما تحدثت مع جيمس شليزنجر مستشار الرئيس لشؤون الطاقة وفى اعقاب الحديث سيطر علي القلق واتضح لي بان الولايات المتحدة لا تسعى لايجاد وتطوير مواد بديلة للنفط وان الرئيس سيقترح على الكونغرس فرض ضريبة على الوقود لتقليص الاستهلاك وادركت من ذلك ان الولايات المتحدة ستحتاج لنفط الشرق الاوسط وسيزداد ارتباطها بالعرب ولم اخطىء في تصوري هذا.

لقد اشترك في حفل العشاء الذي اقيم في منزل السفير سيمحا دينتس اشخاص كثيرون من بينهم نائب الرنيس ووزير الخارجية واعضاء مجلس الشيوخ والنواب ووزراء ورجال الاعلام بالإضافة إلى الجنرال جورج براون رئيس الاركان المشتركة للجيش الامريكى الذي اشتهر بتصريحه المعادي لليهود ولكنني مضطر إلى القول انه ساهم أكثر من الاخرين ابان حرب اكتوبر في تزويد إسرائيل بالمعدات التي كانت بحاجة هامة إليها وكان آنذاك يشغل منصب رئيس اركان سلاح الجو الأمريكي.

لقد اقترب مني نائب الرئيس فالتر موند ووزير الخارجية فانس وابلغاني بان الرئيس يود ان يوضح بان ما قيل في محادثاتنا يجب ان لا يتسرب إلى الخارج ولكنني نطرت إلى اقوالهما بعين الشك كما لم اكن قادرا على منع التسرب من إسرائيل بعد ان اتحدث في جلسة الحكومة -كما يقتضيه واجبي عن تصريحات الرئيس حول التعديلات الطفيفة على الحدود وحول القضية الفلسطينية وسوف يقوم «اصدقائى» في الحكومة ببذل كل جهد ممكن لكي تتسرب اقوالي إلى الخارج.

لقد استجبت لاقتراح صديقي جوزيف سيسكو الذي اصبح الآن يشغل منصب رئيس « اميريكان يونيفرستى في واشنطن لمنحي دكتوراه فخرية من جامعته وبينما كنت في احدى

قاعات «مركز كندي» واصافح مهنني تلقيت تقريرا حول حادثين لا توجد اية علاقة بينهما ولكنهما كانا يبعثان على الاشمئزاز، الحادث الأول هو قيام مجموعة عنيفة لم تعرف هويتها بالاستيلاء على مركز منظمة «بني بريت» في واشنطن والثانى هو ان الرئيس كارتر تحدث في مؤتمر صحفي حول ما قاله لي بشأن التعديلات الطفيفة على الحدود وضرورة اجراء مفاوضات مع منظمة التحرير الفلسطينية واشراكها في مؤتمر جنيف إذا اعترفت بإسرائيل وتبنت قراري مجلس الامن ٢٤٢ و ٣٣٨ وعلمت عندئذ قيمة الوعود التي قطعها كارتر على نفسه بالمحافظة على سرية المحادثات ولكنى لم اتصور بان يعلن الرئيس خلال عشرة ايام عن ضرورة اعطاء وطن قومي للفلسطينيين.

فى حفل الغداء الذي اقيم في واشنطن برعاية مجلس الزعماء اليهود في الولايات المتحدة عقبت بشكل غير مباشر على تصريحات كارتر العلنية وقلت «ان موقف إسرائيل - إسرائيل بنفسها وليس أي احد سواها» عندما جاء فانس إلى بليرهاوس لتوديعي كان في شدة الدهشة من تصريحات الرئيس كارتر وقال لي صدقنى بأنني لم اتصور بان يدلي الرئيس بمثل هذا التصريح وليس لدي حتى نص ذلك التصريح الذي سيحرجني ليس نحوكم فقط بل في اتصالات مع العرب أيضاً الذين فوجئوا عندها تبنى الرئيس وجهة نظر إسرائيل حول ماهية السلام قبل بدء المحادثات والاتصالات بين الولايات المتحدة وزعماء الدول العربية.

لقد غادرت الولايات المتحدة بعد لقاءات أخرى مع زعماء اليهود وانا اشعر بأننا على وشك الوقوع في مجابهة خطيرة مع ادارة جديدة عديمة التجربة تريد اظهار وجودها على حسابنا في موضوعين رئيسين:- الموضوع الفلسطينى ومطالبة إسرائيل بالانسحاب إلى حدود الرابع من حزيران مع تعديلات طفيفة.

بتاريخ ١٨ آذار ١٩٧٧ أي بعد عودتى إلى إسرائيل بفترة وجيزة عبرت عن مخاوفى من مواجهة محتملة مع الولايات المتحدة وتحدثت في مقابلة اجرتها معى صحيفة معاريف

وادليت باقوال واضحة وصريحة وفي اليوم الذي نشرت فيه المقابلة تمادى الرئيس كارتر وتحدث علنا عن «وطن للفلسطينيين» ودلت اقواله على تمسك الادارة الأمريكية بمشروع بروكنغز رغم ارادة إسرائيل وخلافا لمصالحها الحيوية.

لقد الحقت تصريحات الرئيس كارثر العلنية الضرر بامكانيات نجاح التجمع العمالى في الانتخابات واذا كانت هذه هي مشاريع الولايات المتحدة فانه ينبغي على إسرائيل ان تتصلب ازاء المحاولات الرامية للمساس بمصالحها الحيوية واذا لم تعد قادرة على الاعتماد على صديقتها الكبرى فانه ينبغى عليها ان تعتمد من الآن فصاعدا على نفسها وتضع مصيرها في يد حكومة قوية ومتصلبة تؤكد للأمريكيين وللعالم اجمع معارضتها لاقامة دولة فلسطينية وتصميمها على السيطرة على مناطق ارض - إسرائيل الغربية.

لقد اتبعت ادارة كارتر اسلوبا جيدا في المواضيع المتعلقة بتسليح إسرائيل: ففي عهد الرئيسين نيكسون وفورد تمنعت إسرائيل بمكانة الصدارة في مجال التزود بالاسلعة واعتبرت في الولايات المتحدة كصاحبة حقوق مفضلة على دول حلف شمال الاطلسي وفي ايلول ١٩٧٤ استجاب فورد لاحتياجات إسرائيل حسب «قائمة الطوارىء» التي قدمنها له وأمر بتزويد إسرائيل من مستودعات الطوارىء الأمريكية على حساب وحدات الجيش الامريكى والأن جاء كارتر ووضع إسرائيل في مكانة متدنية جدا في موضوع التزود بالاسلحة الأمريكية الامر الذي حدا بالصحفي الأمريكي الشهير جيمس ريستون بوصف سياسة كارتر بسياسة الفم المفتوح » وبدون الاستعانة بهذا الوصف فانه لم يكن لدى ادنى شك بان التصريحات الملنية التي ادل بها الرئيس كارتر قد اضرت في حينها بمسيرة المفاوضات السياسية في الشرق الاوسط.

لفد كانت محاربة الارهاب الشغل الشاغل لكافة الحكومات الإسرائيلية وادى تطور المعدات العربية واستعداد الفدائيين للمجازفة بحياتهم والتضحية بها إلى ارغامنا على تطوير

طرقنا في محاربتهم وقبيل تسلمي منصب رئيس الوزراء عينت العميد الاحتياطي رحبعام زئيفى كمستشار لي لشؤون مكافحة الارهاب وقد فعلت ذلك من خلال تقديري للعميد زئيفى الذي اقام خلال توليه منصب قائد المنطقة الوسطى افضل الوسائل وانجعها لمكافحة الارهاب كما اجتمعت باعضاء لجنة حوريف التي حققت في حينه في الاحداث المؤسفة التي وقعت في معالوت ودرست التطورات بصورة جذرية وبلورت لنفسي موقفا شاملا في موضوع الارهاب وكلفت زئيفى بوضع الترتيبات الدقيقة التي تحدد مجالات المسؤولية بين الجيش والشرطة وتم تحميل الشرطة مسؤولية الامور الامنية اليومية وامرت باعادة قوات حرس الحدود من الضفة الغربية إلى حدود الخط الاخضر لمعالجة قضايا الامن اليومية وقمنا بتعزيز الخطوط اللبنانية لمنع حوادث التسلل إلى إسرائيل وتم تشكيل الحرس المدني لحماية المستوطنات والاحياء ولزرع روح التطوع في اوساط المواطنين الإسرائيليين.

لقد توصلت إلى قناعة مفادها ان الحوادث الفدائية التي يقصد منها المساومة هي اخطر العمليات الفدائية فعندما تحتجز مجموعة فدائية رهائن إسرائيليين في مبنى اوفندق أو طائرة فانك تتخبط في حيرة معذبة: هل تستسلم وترضخ لمطالب الفدائيين بالافراج عن زملائهم المسجونين لدينا وعندئذ تفقد حقك الأدبي بمطالبة اية جهة في العالم بمحاربة الارهاب والمجازفة بحياة مواطني دول اجنبية ليست طرفا في نزاع الشرق الاوسط أم تصدر الاوامر بالقيام بعملية عسكرية للافراج عن الرهائن وعندئذ تتصرف التصرف الصحيح الذي ينص على عدم الرضوخ لمطالب الفدائيين ولكنك تجازف بحياة الرهائن بما فيهم الرجال والنساء والاطفال والمسنون.

لقد بلورت لنفسي النظرية التالية:- إذا وقع الحادث الفدائي في مكان تستطيع استخدام القوة العسكرية فيجب عدم الاستسلام ويجب استخدام القوة لتخليص الرهائن بالسرعة الممكنة وبأفضل الطرق وباستغلال كافة القوى والوسائل المتوفرة اما إذا وقع الحادث في طائرة إسرائيلية أو اجنبية أو تم احتجاز مسافرين إسرائيليين في قاعة احد المطارات الاجنبية

أو الاستيلاء على مؤسسة إسرائيلية كسفارة أو قنصلية أو مكتب للوكالة اليهودية في دولة صديقة لإسرائيـل فسوف نطلب من سلطات تلك الدولة ان تستخدم القوة للافراج عن الرهائن وتعرضهم عليها مساعدة من إسرائيل واذا رفضت فسوف نشجعها على استخدام قواتها للافراج عن الرهائن.

واما إذا وقع الحادث الفدائي بعد ارغام طائرة وبها ركاب إسرائيليون على الهبوط في دولـة معاديـة أو في دولة غير صديقة لإسرائيل فان إسرائيل لا تستطيع التخل عـن مواطنيهـا الرهـائن وتعرضـهم للقتـل واذا كانت لديها امكانية العمل العسكري فيجب استخدام الخيار العسكري حتى لـو كـان الامـر يتعلـق بدولـة بعيدة وينطوي على المجازفة بحياة افراد القوة العسكرية والرهائن اما إذا لم تتـوفر لـديها امكانيـة العمـل العسكري فانه يتوجب عليها التفاوض مع المختطفين ليس لاهداف تكتيكية أو لكسب الوقت بـل للتوصـل إلى اتفاق للافراج عن الرهائن مقابل الاستجابة لمطالب المختطفين.

فور انتهاء حرب اكتوبر ١٩٧٣ وافقت حكومة إسرائيل على استبدال جواسـيس وفـدائيين عـرب كـانوا محتجزين في إسرائيل بجثث الجنود الإسرائيليـين الـذين سـقطوا ابـان الحـرب في يـد المصريـين ولـيس مـن المعقول ان توافق إسرائيل عـلى الافـراج عـن فـدائيين مقابـل جثـث الجنـود وتـرفض القيـام بـذلك مقابـل إسرائيليين احياء إذا لم يكن لها خيار آخر.

ان طبيعة العمليات المعسكرية مكشوفة لدى الجمهور وكافة تفصيلاتها معروفة وليس الامر كذلك في مجال آخر من مجالات محاربة المنطمات الغدائية وهو مجال العمل الاستخباري الـذي يعتـبر مجـالا سريـا وتعتبر السرية فيه سلاحا حيويا من الدرجة الاولى واستطيع القول بشكل عام بان الاسـتخبارات الإسرائيليـة حققت انجازات كبيرة لمنع وقوع اعمال تخريبية خطيرة واحباط مخططات فدائية وكشف خلايا فدائيـة في الضفة الغربية وقطاع غزة.

لقد تضمنت قضية المطران كبوشي اسرارا عديدة وبفضل اجهزتنا الاستخبارية استطعنا التعرف على جميع نشاطات «رجل الدين» وكانت الاسلحة والذخيرة التي يعمل على تهريبها تستخدم في اراقة دم المواطنين الإسرائيليين ولم نعتقله الا بعد ان توفرت لدينا معلومات اكيدة ودقيقة لا يرتقي إليها الشك حول نشاطاته في خدمة المنظمات الفدائية وقام قبل اعتقاله بنقل معدات حربية في مخبأ خاص وضع في سيارته في بيروت وعند اعتقاله علم رجال الاستخبارات بالمكان الذي خبئت فيه الاسلحة في سيارة كبوشي وماذا يوجد فيه وكنا نعلم بدقة لمن سترسل الاسلحة التي كان كبوشي ينقلها ولهذا السبب لم ننشر نبأ اعتقاله الا بعد استكمال عملية التعقيب للاشخاص المقرر لهم ان يتسلموا شحنات الاسلحة، ولانني كنت متأكدا من ادانة كبوشي فقد رفضت جميع الوساطات والضغوط التي تعرضت لها من عناصر دينية وسياسية في العالم للافراج عن كبوشي.

لقد ارتكبت خطأ فاحشا عندما سمحت باجراء الانتخابات البلدية في نيسان ١٩٧٦ في الضفة الغربية بشكلها وتوقيتها وقد اسفرت تلك الانتخابات عن نتائج

سلبية اذ اسفرت عن فوز اتباع منظمة التحرير الفلسطينية وساهم ذلك في اذكاء نار التطرف القومي في الضفة الغربية وساعد المنظمة على الادعاء بانها وحدها الممثل لسكان المناطق والمعبر عن أمانيهم وقد دحضت نتائج الانتخابات ادعاءنا بان العرب في المناطق المحتلة غير منقادين خلف منظمة التحرير الفلسطينية وان من الممكن بلورة زعامة عربية مؤثرة قد تمهد الطريق إلى الحل السلمي بدون الحاجة إلى اقامة دولة فلسطينية مستقلة.

عندما اعلنت نتائج الانتخابات لم يكن امامنا خيار آخر سوى الاعتراف بشرعية رؤساء السلطات المحلية المنتخبين ولكن ذلك الحق ضررا سياسيا بإسرائيل ذا أثر سلبي.

الفصل الثالث عشر

عملية عنتيبة

لم يحقق أي عمل تقوم به حكومة إسرائيل برئاستي من العطف والاعجاب بإسرائيل كعملية عنتيبه التي جرت في تموز ١٩٦٧ واود هنا ان اتحدث بعض الشيء حول خلفية هذه العملية: في اعقاب حرب اكتوبر ١٩٧٣ قررت منظمة الفدائيين الرئيسة - فتح - وقف نشاطاتها في اوروبا وافريقيا وانشقت منظمة وديع حداد عن منظمة جورج حبش المتطرفة ونفذت معظم العمليات الفدائية في الخارج ويبدو ان هذه النطمة التي تقيم على ما يبدو في العراق ولها قاعدة تدريب في اليمن الجنوبي هي أكثر المنظمات تطرفا ونشاطا وكانت لها علاقات مع منظمات ارهابية دولية امثال بادرماينهوف الالمانية والجيش الياباني الاحمر ونفذت معها عمليات مشتركة وكانت نشاطات المنظمة تعتمد على مستوى عال من التخطيط وبالتعاون مع اجهزة امنية تابعة لدول اوروبية تمكنا من احباط عمليات حاول وديع حداد تنفيذها في الخارج ولو قدر لها ان تنفذ لكانت نتائجها قاسية للغاية.

فى احدى هذه المحاولات تم القبض على اعضاء في منظمة وديع حداد في الخارج وتم نقلهم إلى إسرائيل وكان واضحا لنا ان وديع حداد سيحاول اختطاف رهائن واستبدالهم برجاله على الرغم من انه لم يكن يعلم في أي دولة هم محتجزون، وتأهبنا لهذا الاحتمال وخشينا ان يقوم حداد بعملية ضد شركات الطيران والمطارات الاجنبية التي لم تتبن الاجراءات الامنية المشددة المتبعة في شركة ال عال ومطار بن غوريون في اللد.

لقد كانت جلسة الحكومة الإسرائيلية التي عقدت في يوم الاحد الموافق ٢٧ حزيران ١٩٧٦ حافلة بالمواضيع الروتينية واثناء انعقاد الجلسة دخل سكرتيري العسكري العميد الثاني افرايم فوران بعد الساعة الثانية عشرة وكانت قسمات وجهه تعبر ان شيئا شاذا قد

حدث ومددت يدي لاستلام الورقة التي قدمها لي وجاء فيها ان طائرة تابعة لشركة ايرفرانس قد اختطفت بينما كانت في رحلتها رقم ١٣٩ من اللد إلى باريس بعد اقلاعها من اثينا ولم تتضمن الورقة اية معلومات عن عدد الإسرائيليين في الطائرة أو عدد المختطفين أو الجهة التي اتجهت إليها الطائرة المختطفة وتوالت الانباء وجاء فيها:- الطائرة ستهبط في بنغازي بليبيا وانها حمل ٢٣٠ راكبا من بينهم ٨٣ إسرائيليا وان الليبيين يعارضون هبوط الطائ في اراضيهم وان المختطفين يهددون بنسف الطائرة مما ارغم الليبيين على الرضوخ لمطالبهم.

وعلى الفور بدأ فريق من الوزراء معالجة القضية من بينهم نائب رئيس الوزراء ووزير الخارجية يجآل الون ووزير المواصلات جاد يعقوبي ووزير الدفاع شمعون بيرس ووزير العدلية حاييم تسادوك والوزير يسرائيل جليل وانا، وكانت المبادىء التي اعتمدنا عليها في معالجتنا للقضية تنص على ان إسرائيل تعتبر الحكومة الفرنسية مسؤولة عن مصير جميع ركاب طائرة ايرفرانس شركة الطيران الوطنية الفرنسية وان جميع السافرين هم برعاية السيادة الفرنسية ومن غير الممكن تخيل حدوث تمييز بين ركاب إسرائيليين وغير إسرائيليين واننا نطالب فرنسا بالعمل على وجه السرعة وابلاغنا بكافة اجراءاتها وقررنا ان يتولى وزير الخارجية الون معالجة موضوع الاتصالات مع فرنسا وان يتولى وزير المواصلات يعقوبي مهمة الاتصال بعائلات الركاب المختطفين.

لقد ابلغتنا الحكومة الفرنسية بانها تسلمت رسالتنا وان موقفها كموقفنا وانها تتحمل مسؤولية امن جميع ركاب الطائرة. لقد كانت هناك تخمينات مختلفة حول وجهة الطائرة بعد اقلاعها من ليبيا هل ستتجه إلى الصومال التي رحبت سلطاتها بوديع حداد وسمحت لرجاله بالعمل من اراضيها في محاولاتهم للاعتداء على طائرة إل عال في كينيا؟.

لقد طلب المخغتطفون السماح لهم بالهبوط في الخرطوم عاصمة السودان ولكن السلطات السودانية رفضت الطلب فهبطت الطائرة في عنتيبه باوغندا في يوم الاثنين الموافق ٢٨ حزيران

وفى الساعة الرابعة صباحا تقريبا وتم نقل الركاب إلى قاعة المسافرين القديمة وطوقت المنطقة بقوات تابعة للجيش الاوغندي، فشعرت عندئذ بالارتياح وكنت على خطأ وكنت اعتقد بان هبوط الطائرة في مطار اوغندي افضل بكثير من هبوطها في دولة عربية وعلى الرغم من معرفتى بجنون الدكتور الفيلدمارشال عيدي امين دادا الزعيم الطاغية والدموي لاوغندا فإنني لم اتصور بأنه سيتمادى إلى هذا الحد في التعاون مع المختطفين.

فى الوقت الذي كنا نجهل فيه مطالب المختطفين ابلغتنا الحكومة الفرنسية بانها تجري اتصالات مع اوغندا وان المختطفين قد اعلنوا بانهم يريدون تحاشي سفك الدماء وكان من الصعب علينا ان نستمد التشجيع من هذا القول ولكننا في الاوضاع الصعبة التي كنا نعيشها آنذاك اعتبرنا ذلك قولا مطمئنا بعض الشيء في يوم الثلاثاء ٢٩ حزيران ابلغت رئيس المعارضة مناحم بيغن بالتطورات وفى حوالى الساعة الثانية بعد الظهر اعلنت اذاعة اوغندا بان المختطفين يطالبون بالافراج عن ٥٣ من المحاربين من اجل الحرية المعتقلين في خمس دول على النحو التالى: ٤٠ في إسرائيل و ٦ مواطنين المان محتجزون في المانيا الغربية لانتمائهم إلى منظمة بادر ماينهوف وخمسة في كينيا وواحد في سويسرا واعلن المختطفون بأنه إذا لم يتم الافراج عن رفاقهم خلال ٤٨ ساعة ويصلون إلى عنتيبه في الأول من تموز في الساعة الثانية بعد الظهر فانهم سيقتلون الرهائن.

لقد وجدت حكومة المانيا الغربية نفسها في ازمة، فهي تعارض بشدة الافراج عن المعتقلين لديها بناء على طلب مختطفي الطائرة ولكنها لا تريد ان تتحمل مسؤولية قتل الركاب اليهود والإسرائيليين فقمنا بابلاغ الالمان بان الحكومة الإسرائيلية تعارض الرضوخ لمطالب المختطفين الابتزازية.

فى الساعة الخامسة والنصف من بعد ظهر يوم الثلاثاء عقدت اجتماعا للطاقم الوزاري الإسرائيلي وطلبت من رئيس مكتبي ايلي مزراحي بان يبلغ وزير الدفاع بأنني ارغب في ان

يشترك رئيس الاركان في الاجتماع وتلقى مزراحي ردا من السكرتير العسكري لوزير الدفاع ايلان تهيلا جاء فيه بان رئيس الاركان في طريقه لحضور تدريب عسكري في سيناء وانه لا يوجد سبب يدعو إلى تشويش برامجه وعلى الفور طلبت بحزم بان يبلغوا رئيس الاركان بضرورة المجيء إلى الاجتماع وفعلا تم استدعاؤه من سيناء إلى القدس في مستهل الجلسة توجهت بسؤال لرئيس الاركان قلت فيه: هل باستطاعة الجيش الإسرائيلي القيام بعملية عسكرية لتخليص الرهائن واذا كانت الاجابة نعم فان هذا الاحتمال يحتل الاولوية الاولى واذا كانت الاجابة لا فاننا سندرس امكانية التفاوض مع الخاطفين.

لقد فوجيء وزير الدفاع بيرس من السؤال ولم يخف مفاجأته وقال: لم يجر بعد أي نقاش حول ذلك في وزارة الدفاع ولم ابحث ذلك مع رئيس الاركان.

لقد قال بيرس الحقيقة ولكنها الحقيقة المحزنة فبعد ٥٣ ساعة من اختطاف الطائرة لم يقم وزير الدفاع بالحد الادنى لما يقتضيه عليه منصبه وهو اجراء حديث مع رئيس الاركان لبحث امكانية القيام بعمل عسكري لانقاذ الرهائن

لقد رفض رئيس الاركان محاولة بيرس منع مناقشة الحل العسكري وقال انه عندما استدعي للاجتماع بالطاقم الوزاري ادرك بانهم لا يتوقعون منه مشورات سياسية ولهذا فانه امر رئيس شعبة العمليات العميد يكوتئيل ادام بالقيام بدراسة اولية لمعرفة مدى وجود الخيار العسكري لدى الجيش الإسرائيلي وما هي احتمالات نجاحه وانه نفسه - رئيس الاركان - لم يكن لديه الوقت الكافي للتفكير بهذا الخيار.

على الرغم من عدم توفر معلومات لدينا حول معاملة عيدي امين وجيشه للمختطفين والرهائن فقد اعتقدنا بان الاوغنديين سيتعاونون مع القوة الإسرائيلية التي ستذهب لتخليص الرهائن ولولا تحقق هذا الاعتقاد لكانت مهمة الجيس الإسرائيلي اسهل وامكانيات نجاحه افضل وعندما اتضح بان عيدي امين وجيشه يتعاونان تعاونا تاما مع المختطفين ولم

يكن لدينا ادنى شك بان العملية العسكرية لتخليص الرهائن يجب ان تأخذ في الحسبان الجيش الاوغندي كأحد العناصر التي ستضطر القوات الإسرائيلية إلى محاربتها.

فى اعقاب الجلسة استدعيت رئيس الاركان مردخاي غور وقلت له: انه كلما اسرعنا في الاستعدادات العسكرية كلما كان من السهل علينا معالجة الوضع واختيار الحل العسكري أو التفاوض مع المختطفين.

فى الساعة التاسعة والنصف من صباح يوم الاربعاء اجتمعت بمناحم بيغن والدكتور اليميليخ ريمالت واسحق نافون رئيس لجنة الخارجية والامن التابعة للكنيست وابلغتهم بتطورات الموقف وفى الساعة الحادية عشرة عقدت جلسة للحكومة وابلغت الوزراء باننا ندرس الامكانيات العسكرية.

فى ساعات الظهر لم تكن لدى رئيس الاركان خطة للعمل العسكري فطلبت منه الاسراع في وضع الترتيبات وعرضها في المساء على الطاقم الوزاري بشكل مبلور.

خلال جلسة الطاقم الوزاري التي عقدت بعد الظهر القى وزير الدفاع بيرس خطابا حماسيا اعرب فيه عن معارضته الرضوخ للمختطفين اما رئيس الاركان فقد كان متزنا ومسؤولا وعرض افكارا عسكرية مختلفة ولكنه اضاف بأنه لا يوجد في الوقت الراهن أي اقتراح يستطيع عرضه على الوزراء ويوصي بالمصادقة عليه.

فى النقاش الذي جرى في لجنة الخارجية والامن التابعة للكنيست طلب بعض الاعضاء اجابات واضحة على اسئلة صريحة وكان على رأس السائلين عضو الكنيست شموئيل تمير اذ قال:- بعد فترة قصيرة سينتهي امد الانذار فما الذي قررت الحكومة عمله بهذا الشأن؟ هل يوجد لديكم خيار عسكري؟ واذا لم يكن الخيار العسكري موجودا فهل ستتفاوضون؟ ان عدم اتخاذ قرار مثله كمثل اتخاذ القرار في مثل هذه الظروف الخطرة.

في الساعة التاسعة مساء حدثت عاصفة في جلسة الطاقم الوزاري وطرحت مقترحات في غاية السخافة من بينها الاقتراح على البابا ان نفرج عن كبوتشي ليعمل على الافراج عن الرهائن في عنتيبه وكأن البابا يتمتع بتأثير على وديع حداد وكأن حداد يسعى للافراج عن كبوتشي وليس للافراج عن رفاقه الفدائيين الذين اعتقلوا في الخارج وسلموا لإسرائيل بانتظار محاكمتهم.

لقد سيطر القلق على قلوب الجميع، فغدا سينتهي موعد الانذار وقال رئيس الاركان ردا على سؤالى بأنه ليس لدى الجيش الإسرائيلي خطة عملية يستطيع التوصية بالمصادقة عليها ونتيجة لذلك لم اجد بدا من الاقتراح على الحكومة في جلستها صبيحة يوم الخميس بالبدء بالتفاوض مع المختطفين حول شروطهم لسبب بسيط وهو انه ليس من حقنا التخلى عن الرهائن، واذا لم نكن قادرين على تخليصهم بالقوة فانه يتوجب علينا مقايضتهم بالفدائيين المحتجزين لدينا ولم اكن اقصد الخداع أو المراوغة التكتيكية بهدف كسب الوقت بل اجراء مفاوضات جادة تنفذ إسرائيل ما يترتب عنها من نتائج.

لقد القى وزير الدفاع خطابا حماسيا حول مغزى الرضوخ لابتزاز الفدائيين وتحليت بقدر كبير من الصبر لكى لا اقاطعه وقلت بعد ذلك ان المشكلة في الوقت الحاضر ليست مشكلة خطب حماسية فهل لديك خطة عملية؟ هيا ماذا تقترح؟ فالتزم بيرس جانب الصمت ولم يقل شيئا.

لم اكتف هذه المرة -بسبب حساسية الموضوع- بموافقة متلعثمة من الوزراء بل طلبت اجراء تصويت على الاقتراح واقرت الحكومة بالاجماع اقتراحا يدعو إلى التفاوض للافراج عن الرهائن مقابل الفدائيين المحتجزين في إسرائيل.

لقد قلت للوزراء انه إذا جرى تمديد فترة الانذار فان وزارة الدفاع تعمل على وضع خطة عسكرية وستقوم الحكومة بمناقشتها بعد بلورتها وتوصية رئيس الاركان بتبنيها ولكن هذا لا

يقلل من قيمة القرار الذي اتخذته الحكومة باجراء مفاوضات مع المختطفين بواسطة الحكومة الفرنسية.

لقد خرجت من جلسة الحكومة للاشتراك في اجتماع لجنة الخارجية والامن التابعة للكنيست وسنحت لي فرصة تأكدت خلالها بأنه عندما يتعلق الامر بقضايا قومية وبمصير المواطنين فان مناحم بيغن يتغاضى عن الاعتبارات السياسية

الصغيرة وعرضت على اللجنة قرار الحكومة وقلت ان الوقت ضيق ويجب علينا منع ما حدث في معالوت وانه يجب تنفيذ قرار الحكومة وابلاغ الحكومة الفرنسية بتفاصيله لكي تقوم بدورها بابلاغ المختطفين به قبل نفاذ موعد الانذار اليوم في الثانية بعد الظهر.

لقد طلب بيغن مهلة قصيرة للتشاور وقال بعد عودته ان الموضوع ليس مثار نقاش بين المعارضة والائتلاف بل هو موضوع قومى من الدرجة الاولى واننا نؤيد موقف الحكومة وسوف نعلن هذا التأييد على الملأ.

لقد ابلغت الفرنسيين بقرارنا حول البدء بالتفاوض مع المختطفين الذين اعلنوا على الفور موافقتهم على تمديد الانذار حتى يوم الاحد الرابع من تموز وفى اعقاب ذلك ابلغت وزارة الدفاع بأنني على استعداد لتلقى أي خطة عسكرية للافراج عن الرهانن ولكن لم تكن هناك خطة كهذه وفى الساعة الواحدة والنصف من بعد ظهر يوم الخميس عرض علي اقتراح ايده وزير الدفاع ورئيس الاركان ولكنى رفضته بشدة وكان يقضي بان يتوجه موشه ديان إلى اوغندا للتحدث مع عيدي امين وكان اقتراحا غريبا من مطالبي العمل العسكري وهو ان نسلم الرئيس الاوغندي الغريب الاطوار شخصية هامة وخطيرة كموشه ديان لكي يعذبه مثلما فعل بجنرال بريطاني جاء كصديق للتحدث معه للافراج عن الرهائن.

عندئذ بدأ رئيس الاركان في عرض خطط عسكرية ولكنى رفضتها لانها بدت لي غير جادة بما فيه الكفاية.

لقد اوفدت رحبعام زئيفى إلى باريس لاجراء المفاوضات مع الفدائيين بواسطة الحكومة الفرنسية وكلفت الحكومة الفرنسية لهذه المهمة احد الرجال الاكفاء في قصر الرئاسة وهو فونسيه الذي يشغل منصب وزير الخارجية في الحكومة الفرنسية.

لقد ادى عزل الركاب الإسرائيليين عن سائر الركاب في عنتيبه إلى ازالة أي شك حول نوايا المختطفين وهو ان مصير الإسرائيليين لن يكون كمصير الاخرين وعندما ستحين لحظة القتل فسوف «يتمتع» الإسرائيليون بالاولوية التقليدية.

فى الساعة العاشرة والنصف من صبيعة يوم الجمعة الموافق ٢ - ٧ عرض رئيس الاركان ولاول مرة خطة عملية بدت لي من خلال خطوطها الرئيسة كمعقولة وممكنة التنفيذ وكانت خطة طائرات الهيركولس المتضمنة انزال قوة عسكرية في عنتيبه وليس بواسطة الطائرات التي كانت في تقديري خطرة وغير مضمونة النتائج.

لقد احترت ازاء عنصرين رئيسين من عناصر الخطة: كيف الوصول إلى المنطقة بصورة مفاجئة وكيف ستتم السيطرة بسرعة على المنطقة التي تسيطر عليها قوات الجيش الاوغندي والفدائيون قبل ان يجد هؤلاء الوقت الكافى لقتل الرهائن.

لقد اقتنعت من تقارير مختلفة بأنه يجب عدم الوثوق ببيانات المختطفين التي جاء فيها بان قامة المسافرين القديمة في عنتيبه التي احتجز فيها الرهائن قد لغمت، فقد اقام الجنود الاوغنديون في الطابق الثاني فوق القاعة القديمة ولم اتصور ان يوافق الاوغندويون على وضع حياة جنودهم تحت رحمة الفدائيين.

لم اوافق على اقتراح يدعو إلى تزويد طائرات الهيركوس بالوقود في عنتيبه وفضلت ان تزود بالوقود في نيروبى بكينيا اثناء عودتها من عملية تخليص الرهائن حتى لو ادى ذلك إلى اعتقال الرهائن ومنقذيهم من قبل السلطات الكينيه.

لقد زودت الطائرات بكمية كبيرة من الوقود بعد عودتها مـن العمليـة إلى كينيـا ورفضـت السـلطات الكينيه استيفاء ثمن الوقود وقالت ان هذه مساهمتنا المتواضعة في عمليتكم وهكذا تصرفت كينيا ازاء الجرحى الذين عولجوا في مستشفيات كينيا وعاملتهم معاملة انسانية.

فى يوم السبت الثالث من تموز وصل وزير الدفاع ووزير الخارجية ورئيس الاركان وقائد ملاح الجو ورئيس شعبة العمليات ومساعدوهم إلى مكتبي صباحا وعرضت علي الخطة النهائية التي بلورها الجشيش الإسرائيلي للقيام بعمل عسكري في عنتيبه وقال رئيس الاركان:- الآن وبعد ان اشتركت أمس في التدريب الذي جرى في شرم الشيخ فانني اوصي الحكومة بالموافقة على هذه الخطة.

لقد اقر الطاقم الوزاري الخطة ووافق على اقلاع الطائرات إلى شرم الشيخ للتزود بالوقود قبل التوجه إلى طريقها الطويل، وبعد ذلك عرضت الخطة على مجلس الوزراء الذي اقرها بالاجماع كما ايد الخطة كل من مناحيم بيغن واليميليخ ريمالت واسحق نافون وقررنا عدم الاعلان عن جلسة الحكومة وورد نبأ من الولايات المتحدة جاء فيه بان الأمريكيين يتحدثون عن قيام إسرائيل بطلاء ذيل طائرة بطلاء غريب في مطار اللد ولم يوجه الأمريكيون أي اسئلة ولم نتطوع نحن بكشف الامر عليهم.

بعد جلسة الحكومة عدت مساء يوم السبت إلى منزلى وكنت ولاول مرة هادىء النفس ومطمئنا إلى سلامة القرار وواثقا بالجنود الإسرائيليين الذين اختيروا للقيام بالعملية وكانوا من خيرة المقاتلين وايقنت بانهم سيتخذون العملية بجرأة وذكاء ولكنني لم استطع طرد القلق الذي تغلغل في نفسي على مصير الرهائن ولم اجرؤ على ذكر عدد الإسرائيليين الذين قد يتعرضرن للموت إذا استطاع المختطفون والجنود الاوغندويون البدء بعملية القتل قبل نجاح عملية تخليص الرهائن بالقوة، لقد اعتمدت على الطيارين وكان من بينهم من هبط عشرات المرات في عنتيبه وعرف المنطقة تماما.

عندما كانت الطائرات الإسرائيلية متجهة إلى عنتيبه اخلدت إلى النوم لفترة قصيرة حيث كنت بامس الحاجة إلى الراحة وبعد ذلك توجهت إلى مكتب وزير الدفاع ووضعنا هناك مكبرا للصوت لنقل التقارير من هيئة الاركان حول مراحل تنفيذ العملية وسرعان ما بدأت التقارير ترد حول نجاح العملية التي قام بها الجيش الإسرائيلي في ابعد عملية عن الحدود الإسرائيلية، فقد نفذته العملية بكافة تفاصيلها وعلى مستوى رفيع يفوق ما تضمنته الخطة واقلعت الطائرة الاولى بعد حوالى ٣٠ دقيقة من هبوطها وبداخلها الرهائن والجرحى وطاقم الطائرة الفرنسية وبعض افراد القوة المهاجمة وكان الالم شديدا لقتل يونتان نتانياهو الذي كان من خيرة المحاربين في الجيش الإسرائيلي، واسفرت العملية عن مقتل ثلاثة من الرهائن وبعد ذلك قتلت السيدة دورا بلوخ بوحشية من قبل السلطات الاوغندية وكان عدد القتلى اقل بكثير مما توقعت وبعد ورود نبأ حول اقلاع آخر الطائرات من اوغندا تبادلنا الانخاب وهنأنا بعضنا بعضا.

بعد ساعات قليلة سيرقص الناس في الشوارع وسترتفع المعنويات إلى الذرى وبعد ساعات سيبهر العالم اجمع بالعملية وسيمتنع الخصوم عن الاعتراف العلني ولكنهم سيعلمون في قرارة انفسهم بان إسرائيل الصغيرة تصدرت النضال من اجل العدالة وكرامة الانسان. لقد تأكد ايماني بان الجيش الإسرائيلي تكمن في طياته قوى هائلة إذا صادف التحيات الكبيرة.

لقد شكرته قوى عالية كبيرة إسرائيل لجرأتها ولتلقينها الرئيس الاوغندي درسا لن ينساه بتدميرها طائرات الميج السوفياتية الصنع التي بحوزته.

لقد بدت إسرائيل اثناء النقاش في الكنيست الذي اعقب نجاح العملية دولة متراصة الصفوف وهو من الظواهر النادرة الحدوث ولكن ذلك لم يمنع خصومي داخل الحكومة من التشهير بي فقد اتصل مراسل نيويورك تايمز بمدير مكتب رئيس الوزراء وطلب التعقيب

على اقوال سمعها من الناطق بلسان وزارة الدفاع وجاء فيها ان رابين عارض باسـتمرار العمليـة العسـكرية وان عناد بيرس هو الذي ارغم رابين على الموافقة على العملية وكانـت اقـوال النـاطق بلسـان وزارة الـدفاع مثالا قبيحا للتآمر المعتمد على الاكاذيب الذي يمارسه وزير الدفاع بيرس ضد رئيس الوزراء رابين.

لقد ادى هذا التآمر إلى انهيار حزب العمل وعرض الحكومة امام الجمهـور كـأداة هزيلـة مـما اوصـل شمعون بيرس في النهاية إلى المنصب المنشود وهو« رئيس المعارضة في إسرائيل».

الفصل الرابع عشر

نزاعات في الزعامة

منذ اليوم الذي خسر فيه شمعون بيرس الجولة لمنافستي على رئاسة الحكومة بتاريخ ٢٢ نيسان ١٩٧٤ كان واضحا لي ان بيرس مقتنع بأنه ورئاسة الحكومة في إسرائيل توأمان يجب ان لا ينفصلا عن بعضهما البعض وكان لهذا السبب لا يكف عن التأمر علي لايمانه بأنني اسد الطريق في وجهه للوصول إلى منصب رئيس الوزراء. حيث ان حكم حزب التجمع مضمون ويكفيه ان يزيحني عن طريقه حتى يؤدي اليمين القانونية كرئيس للوزراء من فوق المنصة العالية في الكنيست.

إن حماس بيرس للوصول إلى هذا المنصب لم يعرف الحدود واندفاعه لم يعرف القيود وكان لا يتورع عن القيام بأي عمل للتآمر على رئيس الوزراء وزعزعة استقرار الحكومة.

لقد بذلت عناصر ليس من الصعب التعرف على هويتها كل ما بوسعها للقدح بالحكومة ورئيسها ولم تتورع عن تزويد الصحفيين المقربين منها بمعلومات سرية للغاية فمثلا قامت تلك العناصر بتسريب معلومات سرية للصحفي ماتي جولان من صحيفة هارتس حول المحادثات الجارية مع كسنجر وزودته بوقائع كاملة للمحادثات بهدف زعزعة ثقة كسنجر بقدرته على اجراء مفاوضات سرية وصريحة مع حكومة إسرائيل وزعزعة مكانة إسرائيل في نظر الجمهور والبرهنة بان الحكومة غير قادرة على القيام بمهامها في الامور السياسية الخارجية كما قامت تلك المصادر بالمبالغة في وصف تعاظم القوة العسكرية لدى العرب بهدف تبرير المطالب للحصول على ميزانية عسكرية غير عادية واظهار رئيس الوزراء الذي يدعو إلى تقليص الميزانية العسكرية لتحسين اوضاع الاقتصاد الإسرائيلي بمظهر الشخص الذي يلحق الضرر بأمن إسرائيل.

إن تسرب المعلومات الذي تم خلال فترة تولى منصب رئيس الوزراء لم يكن عادة من جلسات الحكومة وكان مصر التسرب واحدا وكانت حول مواضيع لها علاقة بمجال اختاص مكتب رئيس الوزراء ووزارتى الخارجية والدفاع وكنت اعلم من الذي يقوم بتغذية الصحفيين بالمعلومات لاظهار عجز رئيس الوزراء في اداء مهام منصبه وقدرة وزارة الدفاع على القيام بواجبها على الوجه الاكمل.

انني لم استطع اجراء تحقيق حول جميع المعلومات المتسربة ولكنني لم استطع الوقوف مكتوف الايدي ازاء موضوع خطير للغاية يتعلق بزيارة سرية قام بها مندوبان سوفياتيان لإسرائيل واصدرت الاوامر لاجهزة الامن بالتحقيق لمعرفة مصدر تسرب النبأ وفعلا جرى التحقيق مع كافة الموظفين الذين كان لهم اطلاع على النبأ السري ووافق الجميع على اختبارهم بواسطة جهاز كشف الكذب وثبتت براتهم فاستدعيت لمقابلتي كلا من نائب رئيس الوزراء الون ووزير الدفاع بيرس وسألتهما: ما العمل؟! ان كبار الموظفين وغيرهم قد فحصوا بجهاز كشف الكذب ولم يتم اكتشاف الشخص الذي سرب النبأ فقال الون:- هيا نذهب نحن الثلاثة للفحص بواسطة جهاز كشف الكذب فامتقع وجه بيرس وقال: انني اعارض من ناحية مبدئية ان يفحص وزير بجهاز كشف الكذب وساستقيل إذا اتخذ قرار بفحصنا بواسطة الجهاز المذكور، فتبادلت النظرات مع ألون وتخليت عن ضرورة الفحص في الجهاز.

منذ حرب حزيران ١٩٦٧ حتمت المصالح المصرية الإسرائيلية على الدولتين المحافظة على هدوء نفطي في منطقة خليج السويس ونحن كنا ننتج النفط من ابار ابو رديس وكانت مصر تنتج النفط من حقل المرجان وحتى ابان حرب الاستنزاف حافظت الدولتان على مصادرهما النفطية.

بعد الاتفاق المرحلي طور المصريون حقل المرجان ووصلوا إلى منطقة بمحاذاة خط الفصل بين القوات وعلى الفور خاضت إسرائيل جدالا مع الشركة الأمريكية للتنقيب عن

النفط «أموكو»التي اتضح فيما بعد بانها شركة مصرية - أمريكية، وكانت الشركة الأمريكية تعتـزم الانتقـال إلى المنطقة البحرية التي تسيطر عليها إسرائيل ولكن سلاح البحرية الإسرائيلي احبط نواياها واردت تسـوية المشكلة من خلال الاتصال مع الولايات المتحـدة لتفـادي تـدهور الوضـع ولكـن بـيرس اراد الـتصرف بحـزم واستخلاص كافة حقوقنا القانونية.

وفى اعقاب ذلك اعد المستسـار القـانوني لـوزارة الخارجيـة مئـير روزن وجهـة نطـر قانونيـة بالغـت في وصف حقوقنا ولم اعتبرها في المجال السياسي «توراة نزلت في سيناء» والاساس الوحيد للعمل، وقـد وجـدت وجهة النطر السرية هذه طريقها إلى الصحف وطالب وزير العدلية والمستشـار القـانوني للحكومـة بـاجراء تحقيق مع جميع الاشخاص الذين اطلعوا عليها بما في ذلك فحصهم بواسطة جهاز كشف الكذب وفعلا تـم فحص جميع موظفي وزارة الخارجية ومكتب رئيس الوزراء وثبتت براءتهم

اما بيرس فقد ثار وغضب واعلن بأنه لن يسمح بفحص أي مـن مـوظفي وزارة الـدفاع بجهـاز كشـف الكذب على الـرغم مـن ان اولئـك المـوظفين قـد تعرضـوا للفحـص اثنـاء التحقيـق في النبـأ المتعلـق بزيـارة المبعوثين السوفياتيين لإسرائيل وفعلا نفذ موظفو وزارة الدفاع تعلـيمات الـوزير ورفضـوا الفحـص بواسـطة جهاز كشف الكذب والمساهمة في كشف الحقيقة.

لقد كانت العناصر التي ايدت زعامة بيرس في حزب العمل والحكومة تمثل اسوأ معارضة متـآمرة عـلى الحكومة ووصلت نشاطاتها إلى الذروة في المواضيع المتعلقـة بـوزارة الـدفاع ومـن الجـدير بالـذكر ان وزارة الدفاع كانت طيلة سنوات الدولة تحظى بأكبر نصيب مـن الميزانيـة. خـلال السـنوات التـي توليـت خلالهـا منصب رئيس الوزراء ازدادت الميزانية العسـكرية بنسـبة منقطعـة النظـير وبفضـل المسـاعدات الأمريكيـة تعاظمت قدرة الجيش الإسرائيلي ولكن شمعون بيرس وزير الدفاع استغل القيود الاقتصادية التـي تعيشـها إسرائيل وحول النقـاش حـول حجـم الميزانيـة العسـكرية إلى نقـاش عـام وذلـك لاول مـرة في تـاريخ دولـة إسرائيل.

فى آذار ١٩٧٦ وقع حادث مذهل: ففي اجتماع وزاري رسمي للبحث في الميزانية العسكرية تلا وزير الدفاع رسالة لرئيس الاركان بدون ان يطلعني عليها ملفا وكانت خلاصتها انه إذا لم تقر الميزانية المقترحة فان الجيش الإسرائيلي لن يتمكن من تنفيذ مهامه وسيصبح في المستقبل في نفس الوضع الذي واجهه عشية حرب اكتوبر ٧٣.

لقد كان للرسالة مغزى واحد وهو ان رئيس الاركان ووزير الدفاع يحرران نفسيهما من مسؤولية ما سيحدث لامن إسرائيل إذا اقرت الحكومة مشروع الموازنة العسكرية الذي اقترحته ولو حدث بعد آذار ١٩٧٦ أي خلل في المجال العسكري وتم تعيين لجنة تحقيق على غرار لجنة اغرانات للتحقيق في ملابسات ذلك الخلل ومعاقبة المسؤوولين عنه لتنصل من المسؤولية كل من وزير الدفاع ورئيس الاركان واتهما رئيس الوزراء بمسؤولية ما حدث لانه قلص الميزانية العسكرية. لقد تجاهلت الصيغة الشديدة اللهجة التي صاغ بها رئيس الاركان رسالته التي وجد وزير الدفاع ان من الضروري تلاوتها على مسامع الوزراء وتمسكت باقتراحي بشأن الميزانية العسكرية وتم اقراره في النهاية.

فى شباط ١٩٧٧ جاءني وزير الدفاع بتوصية لتمديد فترة عمل رئيس الاركان غور بعام آخر فقلت له: كلا ما لم يجىء غور امام نفس الوزراء الذين شاركوا في الاجتماع الذي تليت فيه رسالته ويتراجع عن مضمونها وسوف نقوم بتحليل ما حدث في العام الماضي حول تعاظم قوة الجيش الإسرائيلي بالنسبة للجيوش العربية. لقد وقعت في حزب العمل تطورات سلبية وخاصة لأن العمود الفقري منه المتمثل بكتلة مباي قد حلت وانهارت وحاول بيرس التسلل إلى الفراغ الذي نشأ واعتبر انهيار حزب مباي فرصة نادرة لتحقيق آماله.

انني رجل لا اتمسك بالاوهام ولم احاول التمسك بها مطلقا فقد علمت عندما تم اختياري لرئاسة الحكومة بأنني تسلمت المنصب في ظروف تعسة اعقبت حرب اكتوبر ٧٣ وقد اسفت لذلك كثيرا.

لقد وصلت إلى المنصب الرفيع بسبب حربين هـما: حـرب حزيـران ١٩٦٧ وحـرب اكتـوبر ١٩٧٣ الاولى لأنني اشتركت بها كرئيس لاركـان جـيش منـتصر والثانيـة لأننـي لم اشـترك بهـا وكنـت بعيـدا عـن اخطائهـا الحقيقية والوهمية.

يقول اصدقائي من وراء ظهري بأنني طيب القلب وهم يقصدون بـذلك مـديحي ولسـت متأكـدا بـان هذا مديح في الظروف السياسية السائدة في إسرائيل ولكنني لا انكر بأنني اعتقد بان رئـيس الـوزراء يجـب ان يهتم بالامور القومية وهي انقاذ إسرائيل من ازمتها السياسـية والعسـكرية ومعالجـة الشـعب مـن اثـار ماساة حرب اكتوبر ٧٣ وتحقيق التنسيق السياسي مع الولايات المتحدة وانعاش الاقتصاد الإسرائيلي وكشـف الفساد والتعبير عن ذلك بالاعمال وليس بالاقوال اللا معنى لها.

لقد كان بنحاس سبير الشخصية السياسية الرئيسة في حزب العمل وكـان في عهـد الحكومـات السـابقة يترأس جناح الحزب المؤيد لرئيس الوزراء وكان قراره الاستقاله من الحكومة وعـدم الانضـمام إلى حكـومتي على الرغم من جميع المحاولات التي بذلتها لاقناعه سببا في انهيار العمود الفقري الحزبي الرئيس الذي ادى إلى تشويش التوازن الداخلي في الحزب وتعزيز موقف بيرس وتشـجيعه عـلى المنافسـة عـلى منصـب رئـيس الوزراء بعد التخلص من رابين.

واخيرا حقق بيرس حلمه وتخلص مني ليس لانه نجح في اقناع حزب العمل بأنه افضل مني بل بسبب خطأ ارتكبته: حساب الدولارات الذي كنت امتلكه في أحد بنوك واشـنطن وانسـحابي مـن الترشـيح لمنصـب رئيس الوزراء ولكن عندما حانت اللحظة الكبرى التي كان ينتظرها واختاره حزب العمل كمرشـحه لرئاسـة الوزارة حصد ثمار الزرع المسموم الذي غرسه ، بعد أكثر من ثلاث سنوات من فشله الأول في منافستي عـلى رئاسة الحكومة وحتى فشله الثاني في مؤتمر حزب العمل قبل انتخابـات ايـار ١٩٧٧ لم يتـورع عـن بـذل أي جهد ممكن للمساس بمصداقية الحكومة.

لقد عمل بيرس طيلة ثلاث سنوات على تمهيد الطريق امام المنافسة بالتحذيرات وادعى بـان يسـتخدم الوسائل الديموقراطية للوصول إلى مبتغاه لقد اوضحوا لبيرس انه لم يحـدث في أي نظـام في العـالم ان اعلـن وزير في الحكومة تحديه لرئيس الحكومة ومنافسته على الرئاسة والاطاحه به على الـرغم مـن انـه لم يعلـن استقالته من منصبه. وقالوا لو ان وزير الـدفاع في حكومـة المانيـا اعلـن رغبتـه في منافسـة المستشـار عـلى منصب المستشارية مع البقاء في منصبه لوجد نفسه على الفور خارج التشكيل الـوزاري ونفـس الشيء كـان سيحدث في بريطانيا أو اية دولة ديموقراطية أخرى وابلغه وزير العدلية بان اقل ما يتوجب عليه عمله هـو ان يقدم استقالته من الحكومة التي يريد الاطاحة برئيسها ومنافسته بعد ذلك عـلى المنصـب لأن مـن غـير الممكن ان يستمر أي شخص في العمل تحت امرة شخص آخر لا يوافق على ترؤسه له ولكن جميع الاقـوال لم تجد طريقها إلى آذان بيرس التي كانت على ما يبدو صماء.

لقد حدث تطور في العلاقات بين الاحزاب المشتركة في الائتلاف الحكـومي وادى إلى نشـوء وضـع جيـد وهو انتهاك حرمة السبت من جـراء هبـوط طـائرات اف ١٥ الاولى في إسرائيـل. إننـي لم اكـن ارغـب في ان تصل الطائرات بعد ظهر يوم الجمعة ولكني أبلغت بان الامر لا يتعلق بنا بل بتخطيط أمـريكي معقـد، ولم اكن صاحب الفكرة لاقامة حفل استقبال علني للطائرات بل ان مـوظفى وزارة الـدفاع والجـيش الإسرائـيلي قد ابلغوني بأن الترتيبات قد وضعت وان الاحتفال سيكون متواضعا لأن وصول طائرات اف ٥ ا إلى إسرائيـل يمثل عهدا جديدا بالنسبة لسلاح الجو الإسرائيلي.

لقـد ادى الاحتفـال إلى انتهـاك حرمـة السـبت مـما حـدا بكتلـة غـودات يسرائيـل وحـزب المتـدينين الـوطنيين بـاعلان تأيـدهما للحكومـة وتأييـد اقـتراح حجـب الثقـة عـن الحكومـة وعـلى الفـور طالبـت باسـتقالة وزراء الحــزب الــديني الــوطني وبعــد ذلــك قــدمت اســتقالتي لــرئيس الدولــة واصــبحت حكــومتى حكومــة انتقاليــة وتقــرر اجــراء الانتخابــات في الســابع عشر مــن ايــار ١٩٧٧، ولم تكــن خطــوتي موجهــة ضــد الحركــة الديموقراطيــة للتغيــير أو ضــد بــيرس أو ضــد

الليكود بل كانت مستمدة من الاعتبارات السياسية الصحيحة التي تحتم ابعاد أي عنصر لا يوافق على سياسة الحكومة التي ينتمي اليها. لقد بدأنا الاستعداد للانتخابات العامة التي تقرر اجراؤها بتاريخ ١٧ أيار ١٩٧٧ وقمت بعملية حساب للنفس حول الاعمال التي قامت بها الحكومة برئاستى وتاكدت بأن السنوات الثلاث التي عاشتها حكومتى كانت حافلة بالانجازات.

لقد سجلنا صفحة رائعة في المجالات السياسية والعسكرية وعاشت علاقاتنا مع الولايات المتحدة افضل حالاتها وتوصلنا إلى تفاهم استراتيجي مع الولايات المتحدة وحققنا التنسيق التام في الاتصالات السياسية بين الدولتين وملأنا مستودعات الجيش الإسرائيلي بالاسلحة واعدنا بناء الجيش الإسرائيلي في اعقاب حرب اكتوبر وعززنا قوته بشكل منقطع النظير ووقعنا على اتفاق مرحلى مع مصر أبعد مصر عن دائرة الحرب ضد إسرائيل واوجد القطيعة بين مصر وسوريا وخلق العداء بين مصر و الاتحاد السوفياتي ولاول مرة منذ قيام الدولة اصبح هناك امل في التحرك الايجابي من الحرب إلى السلام.

لقد سعت إسرائيل دائما وابدا إلى التفاوض المباشر مع جاراتها ولكنها جوبهت دائما بالرفض وقد بذلت جهودا لاقامة اتصالات مع الزعماء العرب بكافة الطرق الممكنة.

بتاريخ ٢٩ تموز ١٩٧٦ زارنى العميد الاحتياطي الدكتور ماتر بيليد صديقي القديم وشريكي في

الخدمة في صفوف البلماخ منذ عام ١٩٤٣ وشخص احترمه جدا على الرغم من خلافاتنا السياسية وقال لي انه وعدد من رفاقه امثال لوفا الياف واوري افنيري ومئير بعيل وغيرهم قد اجتمعوا في باريس بفلسطينيين اعضاء في منظمة التحرير الفلسطينية وصدقته عندما قال انه ورفاقه يعتبرون انفسهم صهيونيين يؤمنون بان إسرائيل قادرة على التوصل إلى تفاهم مع منظمة التحرير الفلسطينية حول اقامة دولة فلسطينية تعيش في سلام وحسن جوار مع إسرائيل ولم اجد فائدة من المقول ان ماتي ورفاقه اجتمعوا بممثلي العدو مثلما فعل الآخرون ذلك لاننى لم اكن اهتم بهذه الشكليات التي لا أهمية لها. وقال لي ماتي: لقد استمعنا من الاشخاص الذين اجتمعنا بهم بانهم يعارضون اختطاف الطائرات وسألنى: ماذا سيكون

رد فعل إسرائيل إذا ما اعلن عرفات معارضته اختطاف الطائرات؟! فقلت:- إذا اعلن عرفات ذلك وندد باختطاف الطائرات فسوف اصرح علنا بأنني احترم واقدر بيانه واعتبر مثل هذا البيان مساهمة لتهدئة الاوضاع في المنطقة.

ففوجىء ماتي بيليد من اجابتى وقال:- هل انت متأكد من ذلك؟ فقلت: نعم، متأكد وبعد اسبوعين - ثلاثة عاد إلى مهيض الجناح وقال:- ان الاشخاص الذين التقينا بهم قد قالوا ان إسرائيل اعتدت على سفينة فلسطينية بينما كانت في طريقها إلى ميناء صور واغرقتها واعتقلت الفلسطينيين الذين كانوا على ظهرها ولهذا فان عرفات لا يستطيع الادلاء بتصريح حول معارضته اختطاف الطائرات،

فقلت لماتي بيليد:- لقد كذبوا عليك ، فقد وقع خلل في السفينة وتعطلت في عرض البحر وسارع سلاح البحرية الإسرائيلي لمساعدتها، وجرها إلى الشاطىء الإسرائيلي، وقد قمنا بتصليحها وكانت تحمل بحارة مصريين ولم نمسهم بأذى وبعد تصليحها اطلقنا سراحها بملاحيها بدون ان يتعرضوا لاي اذى وقد كانت السفينة تحمل ٢٠٠ طن من الذخيرة فهل تتوقع منا ان نسمح لها بالاقلاع وبها شحنتها من الذخيرة؟!.

لم يكن لدي ادنى شك بان الفلسطينيين يخدعون بيليد ورفاقه ولم اشمت بهم بل اسفت كثيرا لما يتعرض له إسرائيليون من ذوي النوايا الطيبة والنظريات السياسية الخاطئة، ولكن بيليد اصر بعناد على قناعته بان من الممكن شق الطريق نحو التفاهم وطلب وضعي في اختبار آخر وقال:- إذا عدلت منظمة التحرير الفلسطينية عشية انعقاد الجمعية العامة للامم المتحدة في عام ١٩٧٦ من موقفها وامتنعت عن المطالبة باتخاذ قرارات شديدة اللهجة ضد إسرائيل فهل انت على استعداد للقيام ببادرة طيبة واطلاق سراح سجناء سياسيين عربا من غير الفدائيين؟ فوافقته على طلبه على الرغم من انني لم اكن أومن بنجاحه بهذه المهمة وكنت للاسف الشديد على حق في ذلك.

الفصل الخامس عشر

مشاكل داخلية

عندما عدت من مهمة في واشنطن وجدت متسعا من الوقت للتجول في طول البلاد وعرضها والتعرف على المشاكل الاقتصادية والاجتماعية التي لم اعالجها في المناصب السابقة التي شغلتها.

لقد علمت بان المواطن الإسرائيلي يتحمل عبئا كبيرا وجسيما لا مثيل له في اية دولة أخرى في العالم وان الرغبة في العمل بسرعة على بناء دولة ومجتمع من ارقى المجتمعات في العالم والدمج بين مختلف الفئات والطوائف وتهيئة خدمات اجتماعية لكافة السكان والصمود في حرب دائمة ضد اعداء الدولة من الخارج كل هذه الامور تتطلب من الفرد والمجتمع بذل اقصر جهد ممكن وتقديم اكبر تضحية ممكنة فالمواطن الإسرائيلي مطالب باداء واجبه القومى في مجالان: الاول: الخدمة العسكرية التي تعتبر من اصعب الاعباء في العالم والثانى المشاركة الفعالة في بناء شعب ومجتمع مع استنفاذ قدرته البناءة في المجالات التي يؤدي واجبه فيها وتمويل ميزانية الدولة مع تحمل عبء ضرائبى جسيم لتحقيق اهداف الدولة الامنية منها والاجتماعية.

لقد بذلت حكومتي جهودا مكثفة وعنيدة لزيادة حجم الصادرات وتقليص حجم الواردات ونجحت في عام ١٩٧٦ في تقليص العجز في ميزان الدفوعات ب ٦٠٠ مليون دولار واستمر هذا الاتجاه حتى الاشهر الاولى من عام ١٩٧٧ واستمرت الحكومة في العمل تدريجيا على تقليص العجز بنسب كبيرة.

لقد كانت الاصلاحات التي اتبعت في مجال ضريبة الدخل خطوة جريئة وعظيمة الأهمية، فقد وضعت الاسس لنظام ضرائبى عادل ونزيه وادى ذلك إلى تقليص نسب

الضرائب إلى حد أعلى يصل إلى ٦٠٠ % وكنا نهدف بذلك إلى القضاء على المعتقدات الخاطئة التي سيطرت على حياتنا وفرضت علينا ضرائب باهظة لا تطاق بلغت ٥’ ٨٧ على المداخيل العالية بما فيها دخل العمال المهنيين.

بفضل الخبرة التي تمتع بها وزير الاسكان ابراهام عوفر قامت الحكومة الإسرائيلية بانجازات كبيرة في حل ازمة السكن في مختلف المناطق، واقيمت في الجليل والقدس والجنوب عشرات الاف المساكن للمهاجرين الجدد والازواج الشبان والاسر المتعددة الاطفال وكانت مساكن ذات مستوى اعلى من المستوى المعتاد وبذل الوزير عوفر جهودا كبيرة لتطوير الاحياء الجديدة وتحسين مستوى معيشة سكانها وحقق انجازات بارزة وكانت النتائج مذهلة: فخلال السنوات الثلاث التي عاشتها حكومتي اقيمت (١٣٥) ألف وحدة سكنية وكان ذلك عملا منقطع النظير لم تشهده الدولة منذ تأسيسها.

لقد اقامت حكومتى ٣٣ مستوطنة في المناطق المحتلة أي حوالى ٥٠ % من مجموع المستوطنات التي اقيمت وراء الخط الاخضر منذ عام ١٩٦٧ وقد اقيمت حسب مبادىء النظرية السياسية والامنية المتعلقة بحدود السلام في الشرق الاوسط كما تبنت الحكومة سياسة امنية محددة حول الاماكن التي يجب الاستيطان فيها وهى هضبة الجولان وغور الاردن ومنطقة القدس وغوش عصيون ومشارف رفح وتفادي اقامة المستوطنات في منطقة السامرة التي تعتبر قلب الضفة الغربية المزدحم بالسكان العرب لأن الاستيطان فيها ينطوي على التحدي والاستفزاز بالعرب بالولايات المتحدة وليس له أي مبرر امنى.

لقد كانت في الحكومة عناصر معارضة لهذه السياسة من بين هذه العناصر الحزب الدينى الوطني الذي دعا إلى الاستيطان في كافة انحاء «ارض إسرائيل » ولكنه انسجم مع رأي الاغلبية وكانت المشكلة الاساسية تكمن في عناصر داخل حزب العمل وعلى رأسها شمعون بيرس وزير الدفاع التي ساعدت حركة غوش ايمونيم بشكل غير مباشر وسعت للتقرب

منها كما اختلف بيرس بصورة علنية مع سياسة الحكومة المعلنة واذكر جيدا تصريحه الذي قال فيه ان جبال السامرة ليست اقل ارتفاعا من جبال الجولان وكأن السياسة هي سباق بين متسلقي الجبال.

لقد شجع هذا الواقع جماعة غوش ايمونيم الذين تمتعوا بتأييد حزب الليكود وفئة الشبان في الحزب الديني الوطنى وتلقوا الدعم من فئات معينة في حزب العمل ووسط هذه الاجواء جرت محاولة غوش ايمونيم للاستيطان في سبسطية وقد علمنا سلفا بنية جماعة غوش ايمونيم فاصدرنا الاوامر لمنعها من انتهاك قرارات الحكومة وكانت اوامر وزير الدفاع للجيش الإسرائيلي بايقاف المستوطنين ومنعهم من مواصلة طريقهم تفتقر إلى العزم أو انها نفذت بعدم اكتراث وكانت النتيجة ان تمكن عدد كبير من اعضاء حركة غوش ايمونيم من التسلل إلى سبسطية على الرغم من الحواجز التي اقامها الجيش الإسرائيلي وتلقى هؤلاء الدعم من اعضاء كنيست تابعين لحزب الليكود وحزب المتدينين الوطنيين وبعض العناصر في حزب العمل ايضا.

لقد نويت في هذه المرة أيضاً كما في الماضي ان استخدم الجيش الإسرائيلي لاخلاء المستوطنين ولكن الظروف كانت في هذه المرة صعبة للغاية وكان ذلك في اعقاب قرار الجمعية العامة للامم المتحدة الذي ندد بالصهيونية بصفتها «حركة عنصرية» وكان ذلك من أسوأ القرارات اللاسامية التي اتخذتها الامم المتحدة طيلة سنوات وجودها، لقد قررت كرد على قرار الامم المتحدة بالاتفاق مع أريه دولتسين رئيس الوكالة اليهودية على عقد مؤتمر التضامن اليهودي في القدس وكان استخدام الجيش الإسرائيلي ضد المستوطنين اثناء وصول اليهود من مختلف انحاء العالم إلى عامة إسرائيل للتعبير عن التضامن ووحدة المصير اليهودي سيركز الاهتمام على الخلافات والتناقضات بين اليهود في بلادهم ويسبب الارتياح لاعدائنا.

في اعقاب نقاش في الحكومة التي خولتني أنا ووزير الدفاع بيرس مسؤولية طرد افراد حركة غوش ايمونيم من سبسطيه استدعيت رئيس الاركان لاجتماح مغلق على انفراد وسالته

عن حجم القوة الذي سيتطلبه اخلاء المستوطنات وعن المدة التي ستستغرقه عملية الاخلاء وكان رد رئيس الاركان مذهلا حين قال: انه سيحتاج إلى أكثر من خمسة الاف جندي لاخلاء المستوطنات خلال بضعة ايام.

لم يحاول رئيس الاركان اخفاء عدم تحمسه لتنفيذ المهمة ولكنه لم يعبر عن ذلك صراحه وادركت بأنه سينفذ المهمة على مضض.

لقد شعرت بان من الصعب الاعتماد في هذا الشأن على وزارة الدفاع وتملكني الغضب وتوصلت إلى نتيجة بان الظروف المستجدة - مؤتمر القدس والاسلوب الذي اتبعته عناصر في وزارة الدفاح في تصرفاتها- تتطلب حلا من نوع آخر، وكلفت وزير الدفاع بالتفاوض مع جماعة غوش ايمونيم وفي نفس الوقت كلفت مستشاري اريئيل شارون بالاتصال بجماعة غوش ايمونيم لضمان اخلائهم من سبسطية إلى معسكر تابع للجيش الإسرائيلي وتم ابلاغهم بان الحكومة لا تتعهد بالموافقة على اقامة مستوطنة في المنطقة وان نقاشا سيجري بعد اخلائهم حول المكان الذي سيقيمون فيه مستوطنتهم.

في اعقاب ذلك خرجت الصحف بعناوين بارزة تتحدث عن رضوخ الحكومة للمتسوطنين وتجاهلت حقيقة واحدة وهي انني اوضحت لحركة غوش ايمونيم بان اية محاولة من جانبها للاستيطان بدون قرار من الحكومة ستؤدي إلى استخدام الجيش الإسرائيلي لطردهم ليس من المكان الجيد فحسب بل ومن معسكر كفر قدوم ايضا. لقد ادركت حركة غوش ايمونيم هذه الحقيقة ولم تقم منذ نهاية عام ١٩٧٥ وحتى منتصف عام ١٩٧٧ باية محاولة استيطانية في الضفة الغربية، وعندما نقلت نشاطاتها من السامرة إلى الخليل تصدت لها قوات الجيش الإسرائيلي.

لقد اعتبرت حركة غوش ايمونيم كظاهرة خطيرة للغاية وكسرطان في جسد الديمقراطية لإسرائيل وكان لا بد من شن حملة عقائدية لكشف المغزى الحقيقي لمواقف

غوش ايمونيم واساليبها ولا يمكن لمثل هذه الحملة ان تتم بواسطة حراب الجيش الإسرائيلي ولا يمكن لها ان تنجح طالما ان حزب العمل منقسم في موقفه من هذه الحركة التي وصفها وزير الدفاع بيرس بانها حركة عقائدية حقيقية » وايدها في السر والعلن.

لقد حاربت حكومتي الفساد وبكافة اشكاله و صوره وجوانبه وعملت على توطيد مبادىء المساواة بين المواطنين امام القانون وكشفت جميع التصرفات التي اعتبرتها خارجة على الشرف والاستقامة.

إن الحكومة ليست محكمة ولا تقرر من يجب محاكمته أم لا ولكنها تخلق الاجواء وتشجع الشرطة ودوائر الادعاء العام على العمل بدون خوف أو محاباه.

من بين القضايا الخطيرة التي واجهتها حكومتي القضية التي اشتهرت باسم قضية آشر يدلين والتي لا تزال اصداؤها تتردد حتى الآن.

لقد اقترح علي كل من وزير المالية ربينوفيتش ووزير العدلية حاييم تسادوك تعيين رئيس مؤسسة صندوق المرضى(كوبات حوليم) آشر يدلين بمنصب محافظ البنك المركزي الإسرائيلي وهو من اعلى المناصب في الخدمات العامة.

عندما عرض علي البعض تعيين يدلين كوزير للمالية في حكومتي رفضت وعندما اقترح علي تعيين يدلين كمحافظ للبنك المركزي الإسرائيلي لم اتحمس وفى كلتا المرتين لم يكن موقفي ناجما عن الشك بنزاهة يدلين وكان ربينوفيتش وتسادوك وانا نفضل في البداية تعيين ارنون جافني المحافظ الحالى للبنك الركزي لاشغال المنصب ولكن ربينوفيتش امر على بقاء جافني بمنصبه كمدير عام وزارة المالية وقال ان الوزارة لا تستطيع القيام بمهامها بدونه، فوافقت على ترشيح يدلين وابلغت بعض الوزراء بذلك وبعضهم لم يتحمس للتعيين ولكنهم لم يعربوا عن معارضتهم له واقرت الحكومة تعيين يدلين بمنصب محافظ البنك الركزي الاسرائيي والبقية معروفة.

فى مرحلة معينة وبعد أن امتلات خزائن الشرطة بالشكاوى ضد يدلين جاءني لمناقشة الامر كل من وزير العدلية ووزير المالية والمستشار القانوني للحكومة الذي قال لي ان التحقيق في الشرطة وصل إلى مرحلة لم يعد هناك مناصب من دعوة يدلين نفسه للتحقيق فقلت: يجب التصرف بموجب القانون وبلا ابطاء واقترحت على المستشار القانونى اهارون براك بان يستدعى يدلين لمقابلته ليطلعه على الشبهات التي تحوم حوله ويأمر بالبدء بالتحقيق بموجب القانون فقال البروفيسور براك انه سيفعل ذلك وسيقترح على يدلين ان يخضع للفحص بواسطة جهاز كشف الكذب.

لقد وافق يدلين على الفحص بالجهاز وبدأت النتائج تتحول إلى كرة من الثلج تكبر بالتدريج ويدلين نفسه الذي نفى قبل الفحص اية علاقة له بالتهم المنسوبة إليه قد بدأ يطلع محققيه على الحقائق ودوره في التهم التي نسبت اليه.

وعلى الرغم من ذلك فقد شعرت بعدم الارتياح عندما قرر المستشار القانوني للحكومة اصدار الامر باعتقال يدلين لاستكمال التحقيق ولم يخطر ببالى قط ان اتستر على اعمال كما لم احاول اخفاء الحقيقة على الجمهور ولكنني اعتبرت اعتقال شخص ما اهانة خطيرة له يجب عدم توجيهها له ما لم تكن هناك ادلة كافية تستوجب ذلك.

إن القانون الأمريكي لا يسمح باعتقال أي شخص على ذمة التحقيق بدون محاكمة مصغرة أو ادلة كافية تقتنع المحكمة بصحتها واعتقدت بأنه يجب عدم المساس بالحقوق الاساسية والطبيعية للفرد باسم محاربة الجريمة وانه يجب الحفاظ على المبدأ القانونى القائل ان أي انسان هو بريء ما لم تثبت ادانته ولكن اتضح بان الادلة المتوفرة لدى الشرطة والمستشار القانوني للحكومة تشير بشكل قاطع إلى ادانة يدلين وانه نفسه اعترف بجزء منها ولم يكن بدا من اعتقاله والغاء قرار تعيينه بمنصب محافظ البنك المركزي الإسرائيلي.

إن القضية المثيرة لم تنته باعتقال يدلين بل تحولت إلى وسيلة لممارسة الضغط على حزب العمل وضـد المجموعة الرئيسة في كتلـة مبـاي سـابقا التـي كانـت مرتبطـة بعلاقـات عمـل وصـداقة مـع بنحـاس سـبير ومتضامنة معه.

لقد ادعى البعض بان يدلين لم يختلس لنفسه بل كان يمول باعمالـه نفقـات الحـزب واسـتطيع القـول بان هذه تهم باطله ولا اساس لها من الصحة.

لقد كان قرار تعيين ابراهام عوفر بمنصب وزير الاسكان مثار امتعاض واستياء في اوسـاط عـدد مـن اعضـاء كتلة رافي في حزب العمل فقد كان الرجل يتمتع بقوة سياسية ملموسة وكانت سياسـته المعتدلـة سـببا في عـداء تلك الاوساط له وعندما قررت تعيينه كوزير للاسكان اعترافـا منـي بكفاءتـه الممتـازة بعـث الي بـيرس بملاحظـة مكتوبة عبر فيها عن تحفظه من التعيين.

إن ابراهام عوفر لم يخيب آمالي وتوقعاتي وقد ترك انتحاره اثرا عميقا في نفسي. لقـد تـرددت شـائعات مختلفة حول اعمال غير قانونية مرت عن عـوفر في المراحـل الاولى لظهـور قضـية يـدلين وتهـامس الـبعض «الآن سيجىء دور عـوفر» وكـأن يـدا خفيـة كانـت تعمـل بموجـب خطـة بعيـدة المـدى لازالـة المعارضـين السياسيين من طريقها.

فى العاشر من تشرين الثاني ١٩٧٦ قدم الصحفي يجأل لبيب من مجلة هعولام هزه شكوى إلى العميد يعقوب كدمي رئيس قسم التحقيقات في الشرطة الإسرائيلية تضـمنت اتهامـات في عشرة مواضـيع مختلفـة ضد ابراهام عوفر اثناء توليه منصب مدير عام شركة «شيكون عوفديم» للاسكان التابعة للهستدروت وهـو المنصب الذي شغله عوفر قبل تعيينه كوزير في الحكومة.

بعد التشاور وبموافقة الشرطة فقد أمر العميد كـدمي بدراسـة الشـكوى مـن قبـل لجنـة مؤلفـة مـن اربعة ضباط وفي ضوء االدراسة سيقرر المستشار القانوني للحكومة النتائج بشأن تلك الدراسة.

لقد استدعي الصحفي لبيب للاجتماع بلجنة الضباط وقدم المزيد من الشكاوى التي تدين عوفر، وبتاريخ ٢٩ تشرين الثاني وبتاريخ ١٤ كانون الأول ١٩٧٦ قدم لبيب شكاوى في مواضيع مختلفة.

لقد استعد عوفر للسفر إلى الخارج بتاريخ ٢٢ تشرين الثاني والعودة بتاريخ ١٤ كانون الأول وسالني ما إذا كان يستطيع السفر أم لا فقلت له: سافر، وانا آمل الحصول خلال فترة وجيزة على رد رسمي من الشرطة.

على الفور انقضت وسائل الاعلام على الموضوع وتلقفته بشوق وانتشرت في الشارع الإسرائيلي شائعات عديدة وشعرت بان الصحافة قد امرت حكمها على عوفر واهدرت دمه.

لقد عاد عوفر بتاريخ ١٤ كانون الأول والتقيت به بطريق الصدفة لدى السفير الأمريكي وعلى الرغم من هدوئه الظاهر فقد شعرت بالعاصفة تعتلج في نفسه وسالني: ماذا حدث فاجبت بأنني آمل في تلقي رد من الشرطة في اقرب فرصة ممكنة.

بتاريخ ١٦ كانون الأول ١٩٧٦ استدعيت المستشار القانوني للحكومة إلى منزلى وقلت له: هناك شكوى ضد وزير في الحكومة وتقوم الشرطة بتحقيق فيها وهي تعتقد بان الوقت لم يحن بعد للاتصال بالوزير عوفر وتمكينه من دحض التهم الموجهة ضده وان الصحافة تهاجم الوزير بعنف ولا تستطيع الحكومة الدفاع عنه ولكن الاجواء النفسية بدأت تتكهرب وان عوفر كانسان يعيش في ازمة نفسية رهيبة وقد انقضى شهر على دراسة القضية، متى سيصبح بالامكان معرفة نتائج الدراسة وماذا تنوي الشرطة عمله ازاء الموضوع فقال المستشار القانوني انه سيحث على استكمال الموضوع وسيحاول خلال ايام قليلة اطلاعي على نتائج الدراسة الاولية.

فى اليوم التالي لهذا الحديث بتاريخ ١٧ كانون الأول ١٩٧٦ وصلت اربع طائرات من طراز اف ١٥ إلى إسرائيل وبدأت الازمة الحكومية تتطور.

في حديث جرى في منزلي بيني وبين عوفر تحدثت معه حول تكليفه برئاسة الحملة الانتخابية لحزب العمل استعدادا للانتخابات التي اصبحت على الابواب وهو المنصب الذي شغله في انتخابات الكنيست عام ١٩٧٣ ولكنه اشتكى بان الدراسة استغرقت وقتا طويلا وانه محروم من الحق الذي يتمتع به كل مواطن وهو التصدي لمشوهي سمعته.

لقد تسرب نبأ اتجاه النية لتعيين عوفر كرئيس للحملة الانتخابية لحزب العمل ونشر في الصحف وزاد النار اشتعالا وكان لعوفر «اصدقاء» في حزب العمل تخوفوا منه ولم يتورعوا عن اتباع كافة الوسائل والاساليب للاساءة إليه .

لقد انقضى اسبوع على وعد المستشار القانوني لي بالاسراع في الموضوع وبتاريخ ٢٣ كانون الأول استدعيت وزير العدلية والمستشار القانوني للحكومة إلى منزلي وطلبت اجابة على سؤالي حول المرحلة التي وصلت إليه دراسة التهم المنسوبة للوزير عوفر من قبل الشرطة فقال المستشار ان الشرطة تطلب امهالها بضعة ايام أخرى لأن تطورات جديدة حدثت وهي ان الشرطة تأكدت بان التهم التي وردت في شكوى الصحفي يجآل لبيب ليس لها اساس من الصحة ولكن خلال التحقيق في قضية يدلين زودت الشرطة المستشار القانوني بمعلومات يرغب المستشار القانوني الاحتفاظ بها سرا وان الشرطة قالت ان المحامي حاييم غوشن الذي كان له ضلع في قضية يدلين قد ابلغ الشرطة: مثلما تصرفت مع يدلين تصرفت نفس الشيء مع عوفر وان هذه المعلومات تحتم على الشرطة التحقيق في اقوال المحامي غوشن.

بعد ساعتين استدعت عوفر وابلغته بتطورات دراسة موضوعه وبتاريخ ٢٧ كانون الأول اتصلت بالمستشار القانوني للحكومة الذي امهلني يومين وبتاريخ ٢٨ كانون الأول اتصلت به مرة أخرى فقال لي المستشار: ساتلقى تقريرا من العميد كدمي وسارسله للحكومة مرفقا بتوصيتي في الساعة السابعة مساء لم يأت تقرير ولم تأت توصية وعاد رئيس مكتبي ايلي مزراحي وسأل المستشار حول الموضوع فاجابه بان التقرير لن يكون جاهزا قبل نهاية

الاسبوع في اليوم التالي تحدثت مع عوفر وكان انسانا محطما ومكتئبا بعد ان مزقته الصحافة اربا اربا وحدثني عن شخصية المحامي غوشن فكررت له وعدي بطلب اجابة من الشرطة ومن المستشار القانوني للحكومة.

فى يوم الجمعة ٣١ كانون الثاني اتصل ايلى مزراحي في الثامنة صباحا بالمستشار القانوني اهارون براك الذي قال له ان بحوزته افادة خطية للمحامي حاييم غوشن وانه يريد ابلاغ رئيس الوزراء بها في كل لحظة وانه يفضل ان يتم ذلك بحضور وزير العدلية.

فى اليوم التالي السبت ١ كانون الثاني وصل إلى منزلي وزراء العدلية والمالية والشرطة والمستشار القانوني للحكومة وكان الصحفيون والمصورون بانتظارهم على مدخل منزلي في تل ابيب واستطيع ان اؤكد بان مكتبي لم يصدر عنه أي بيان حول موعد الاجتماع ومكانه.

لم اعبر للمستشار القانوني عن رأيي في اسلوب معالجته للموضوع على الرغم من انني شعرت بأنه يعمل حسب ضغط الرأي العام ويسعى لارضاء« الشارع » ولكسب صفة الرجل الجريء الذي لا يعرف المهادنة ولكنه في الواقع رضخ لاتجاهات الرأي العام واستسلم لها.

لقد سرد امامي افادة غوشن ضد عوفر التي لم تتأكد ولم تكن مدعمة بالبراهين فقلت له:- انك تقول ان ٣٢ ئكوى من اصل ٣٦ شكوى مقدمة ضد عوفر قد وجدت الشرطة بانها عارية عن الصحة اذن انني اطلب منك باعطائي غدا رسالة خطية تؤكد ذلك اما بالنسبة للشكاوى المتبقية فان الدراسة لا تزال مستمرة.

فى صبيعة يوم الاحد خرجت الصحف بعناوين كبيرة تقول ان اشياء جديدة ضد عوفر قد ظهرت خلال الاجتماع الذي عقد في منزلي، وقبل جلسة الحكومة بنصف ساعة اتصل رئيس مكتبي بالمستشار براك الذي اجابه بأنه سيجتمع في العاشرة صباحا مع ممثلى الشرطة لاعداد الرسالة ليقوم بارسالها خلال انعقاد جلسة الحكومة واقترح براك عدم ابلاغ عوفر بشيء حتى وصول الرسالة.

في الساعة الثانية عشرة واثناء جلسة الحكومة انقلبت الامور رأسا على عقب، فقد ابلغنى براك بان الشرطة تعارض في موضوع الرمالة التي تم الاتفاق بشأنها في منزلي يوم السبت وكرر طلبه مني بعدم ابلاغ عوفر بشيء واقترح ان تأتي لمقابلتى فور انتهاء جلسة الحكومة، في الثالثة بعد الظهر عقد اجتماع في مكتبي بحضور وزراء العدلية والمالية والشرطة والمستشار القانوني براك وكرر المستشار القول بان الشرطة تعارض في موضوع الرسالة.

بعد ذهاب الوزراء طلبت من المستشار القانوني البقاء في مكتبي وابديت له رأيى حول الطريقة التي عولجت بها القضية وقلت: انني كرئيس للوزراء اعيش وضعا غريبا واجد نفسي عاجزا عن الدفاع عن وزير في حكومتي وان اضمن له حقه في المثول للتحقيق امام الشرطة والدفاع عن نفسه فليس هناك تحقيق أو لائحة اتهام و انقضى شهر و نصف الشهر على دراسة الموضوع من قبل الشرطة وليس هناك من يستطيع ابلاغ الوزير بنوع التهم الموجهة إليه وكل التفاصيل تتسرب إلى الصحف، انكم تسيئون إلى شخصي بشكل خطر للغاية، ماذا سيحدث إذا اتخذت زمام المبادرة وقلت انه حسب التحقيق الذي اجرته الشرطة حتى الآن فانه لا توجد هناك اية شبهات حول نزاهة ابراهام عوفر؟!. فاجاب: انك تستطيع قول ذلك ولكنني إذا سئلت فسوف اقول انه على ضوء البينات المتوفرة لا استطيع الانضمام إلى رأي رئيس الوزراء ولا استطيع تأييده.

لقد اعتبرت المستشار القانونى شريكا في المماطلة التي تلحق اكبر الضرر بالوزير عوفر كما لم يبد وزير العدلية رغبة في تحمل المسؤولية والقاها كلها على عاتق المستشار القانونى وهكذا اصبح المستشار براك الصلاحية العليا وصاحب القرار الوحيد بهذا الشأن.

عندما زارنى ابراهام عوفر وجدنى في ازمة رهيبة ولم استطع تول أي شيء له و تحدث معى بألم ظاهر وبذل جهدا كبيرا للامتناع من البكاء وقال لي بصورة تخنقه العبرات:- صدقني يا اسحق بأنني لم أفعل اي شيء، مخالف للقانون صدقنى يا اسحق انهم يسفكون دمي ولم تعد لدي القوة على الصمود.

فقلت له:- إنني اصدقك يا ابراهام واذا قلت علنا بأنني اصدقك فسوف يناقضون اقوالى وهذا سيلعق الضرر بك لانهم سيقولون بانك مذنب واننى اتستر عليك ولكننـى اريـدك ان تعلـم بـأنني اصـدقك وأومـن باستقامتك واذا طلبت مني ان اصدر بيانا اعلن فيه ايمانى بنزاهتك فانني على استعداد لـذلك وارجـو منـك ان تتعلى بالصبر لمدة اسبوع آخر وبعد ذلك ستخرج الحقيقة إلى النور ويجب ان تكون قويا يا ابراهام.

لقد كانت اقوالى الصادقة والودية في تلك الظروف الحساسة عديمة القيمة وفى اليوم التالي الثالث مـن كانون الثانى عشر على جثة ابراهام عوفر بداخل سيارته بالقرب من شاطىء تل باروخ.

لقد كانت المحاولات التي قامت بها حكومتى للقضاء على الفساد سببا في توجيه الشـعب إلى انتقـاده للفساد واتهام حزب العمل بذلك ونسى بان هذه الحكومة كانت مخلصة لطريقها وتصـميمها عـلى كشـف الحقيقة ومدم مساعدة احد على الافلات من العقاب.

الفصل السادس عشر

حساب البنك في واشنطن

في الفترة ما بين شباط - آذار - نيسان ١٩٧٤ جرت اول محاولة للاساءة إلى شخصيا في المجال المالى عندما شغلت منصب وزير العمل في حكومة غولدا مائير ورشحت نفسي لرئاسة الحكومة مع شمعون بيرس واتهمني البعض بأنني خالفت الانظمة التي تسري على جميع موظفى الدولة والقيت محاضرات خلال اشغالي منصب سفير إسرائيل لدى الولايات المتحدة مقابل اجر مالي.

وكأي حملة تحقير هدفها الاضرار بسمعة شخص ما فقد كانت هذه الحملة ضدي حافلة باكاذيب وانصاف الحقائق وكل من ادعى بأنني خالفت انظمة الخدمة الحكومية فقد كذب عن قصد أو غير قصد فالمادة ٤٢، ٤٢٤ من انطمة الخدمة الحكومية تنص صراحة بأنه يحق للموظف نشر مقال أو كتاب أو تحرير صحيفة أو القاء محاضرة مقابل اجر مالى شريطة ان لا يفعل ذلك بشكل دائم وان لا يكون عمله هذا مهنة اضافية للموظف ولا يتضمن النظام أي تمييز بين موظف يعمل في الخارج أو في إسرائيل ولهذا فقد كانت جميع المحاضرات التي القيتها في الخارج تتفق والنطام وكنت القى محاضرة واحده كل ٦ - ٨ أسابيع ولم تكن المحاضرات باي شكل من الائكال مهنة فرعية لي بل على العكس: ففى جميع المحاضرات التي القيتها في المعاهد وامام الباحثين في الجامعات وغيرهم كنت استغل مهنتي الرئيسة كسفير وكنت اتحدث عن إسرائيل واشرح مواقفها وقضاياها وليس على حساب الجهات التي كانت تدعوني لالقاء المحاضرات ولم يحدث في يوم من الايام ان شغلتني محاضرة مدفوعة الاجر عن القيام بواجبي الاعلامي كسفير أو اشتراكى في حفل للجباية اليهودية أو سندات الاستقلال أو حضور الاجتماعات الخاصة بالمنظمات اليهودية وقد قمت بهذه المهام

بحماس كبير وبذلت بها كل جهد ممكن وكنت استخدم الاجر الذي اتلقاه لقاء المحاضرات في تمويل النشاطات المتعلقة بوظيفتي كسفير كالضيافة والتنقل من مكان إلى آخر والتى لم انفق عليها من ميزانية السفارة.

لقد كان من الممكن ان يظل هذا الموضوع طي النسيان لو لم تقم جهة ما خلال آذار - نيسان - ايار ١٩٧٧ باثارة موضوع حساب الدولارات الذي كنت وزوجتى نمتلكه في احد مصارف واشنطن.

قبل انتهاء زيارتى للرئيس كارتر في آذار ١٩٧٧ وقبل توجهى بالطائرة إلى نيويورك ومنها إلى إسرائيل جائنى مستشاري دان بيتر وقال ان دان مرجليت الصحفى في صحيفة هآرتس اتصل به وسأله عن حساب البنك باسمى واسم زوجتى ليئا في واشنطن فطلبت من بيتر ان لا يجيب على السؤال لاننى اردت التاكد من دقة التفاصيل لقد كنت اعلم بان حساب البنك الذي كان مفتوحا باسمى واسم زوجتى قد ظل مفتوحا في واشنطن لأن جميع السفراء يتلقون رواتبهم عن طريق حساباتهم في البنوك الأمريكية وكانت تلك حسابات علنية جدا.

على الرغم من ان وزارة المالية في منزلنا طيلة السنين كانت تتمثل في محفظة زوجتي ليئا، ولاننى لم احاول منافستها في مواهبها في هذا المجال فإنني لم اتصور ابدا ان لا احمل مسؤولية هذه المخالفة معها وكنت اعلم بأنه يحظ على أي مواطن إسرائيلي ان يحتفظ بحسابات بالعملات الاجنبية في المصارف الاجنبية وكنت اعلم بان هذا عمل مخالف للقانون حتى لو كان تاريخه يعود إلى الفترة التي يعتبر فيها عملا قانونيا وقد ارتكبنا خطأ فادحا لعدم قيامنا بتصفيته في الموعد الذي حدده القانون أي بعد انتهاء مهام عملى كسفير في واشنطن.

لقد سنحت لي فرصة لتصفية الحساب قبل نشر النبأ بشأنه ولكننى لم استغلها، فقبل اكتشاف امر الحساب بستة أشهر قام احد الصحفيين بابلاغ احد الاشخاص المقربين مني في مكتب رئيس الوزراء بمعلومات جاء فيها ان عناصر معينة «مقربة جدا من حزب العمل

تعلم بأنني امتلك حساب دولارات في مصرف اجنبي ولم تتم تصفيته عندما غادرت الولايات المتحدة في آذار ١٩٧٤ وانها تنوي استغلال هذه القضية ضدي في الوقت الذي تراه مناسبا.

لماذا لم اقم في تلك المرحلة باغلاق الحساب وتحويل باقي المبلغ إلى إسرائيل؟ لانني تجاهلت المعلومات ولاعتقادي بان قيامي بابلاغ وزارة المالية بالحادث الذي سقط سهوا كان سيثير ضجة كبيرة.

بتاريخ ١٥ آذار ١٩٧٧ أي بعد يومين من عودتى من الولايات المتحدة نشر الصحفي دان مرجليت تفاصيل القضية في صحيفة هارتس وفي اعقاب ذلك قام محامي شمعون الكسندرونى بابلاغ المراقب على العملات الاجنبية في وزارة المالية بأنه بقي في الحساب الذي املكه في واشنطن مبلغ الفى دولار وان الاوامر قد صدرت لتحويل المبلغ إلى إسرائيل.

لقد سحبنا مع مر السنين منذ مغادرتى واشنطن مبالغ مختلفة من الحساب المذكور وعندما رافقتني زوجتى ليئا في زيارتي الرسمية للولايات المتحدة لم تطلب ابدا مخصصات لها من العملات الاجنبية لتمويل نفقاتها وكانت تستخدم الاموال المودعه في الحساب بواشنطن وحتى عندما قامت بمهمات عامة ومختلفة في الولايات المتحدة واوروبا كانت الاموال المودعه في الحساب المذكور لتغطية نفقاتها بدون مخصصات من صندوق وزارة المالية الإسرائيلية.

لقد كان مصدر الاموال في حساب الصرف بواشنطن من المحاضرات المدفوعه الاجر ومن راتبي كسفير ولم احصل على قرش واحد من أي مصدر آخر، وبناء على طلب وزارة المالية فقد بعثت إليها بتفصيلات كاملة عن الحساب وعن السحوبات الالية التي جرت فيه منذ ان غادرت الولايات المتحدة، وقلت انني لم اودع أي مبلغ بل كنت اسحب فقط وان ذلك مدون في الوثائق الرسمية الخاصة بالمصرف ولهذا فقد تضال المبلغ باستمرار إلى ان تم تحويله بكامله إلى إسرائيل.

بعد نشر الموضوع استشرت الوزير يسرائيل غليلي الذي منحني ثقته التامه وقلت له انه إذا كان ترشيحي لرئاسة الوزارة عشية الانتخابات سيضر بامكانيات فوز حزب العمل في الانتخابات فإنني على استعداد لاعلان سحب ترشيعي ولكن غليلي رفض هذا الاقتراح بعد مشاورات مع اعضاء في الحزب.

لقد عاشت زوجتي ليئا لحظات عصيبة حيث ان الحديث حول حساب المصرف قد القى عليها عبء المسؤولية وبادرت إلى الاعلان في مقابلة اذاعية بان المسؤولية مشتركة بيننا ادبيا ورسميا وانه لا مجال للفصل بيني وبين زوجتى واننى اتحمل المسؤولية مثلها.

في اعقاب ذلك حدثت تطورات عديدة توصلت خلالها إلى نتيجة بأنني لا استطيع ترشيح نفسي لرئاسة الحكومة ليس بسبب خطورة المخالفة بل لأنني ارتكبت مخالفة ويجب علي ان ادفع الثمن شأني في ذلك شأن أي مواطن آخر.

لقد علمت بان «اصدقاء» في حزب العمل سيطيرون فرحا لقراري هذا الذي سيبعدني عن طريقهم للوصول إلى مبتغاهم وفى السابع من نيسان ١٩٧٧ اعلنت عبر التلفزيون الإسرائيلي قراري بالتنحي عن المنصب على الرغم من ان القانون يحظر استقالة حكومة انتقالية كحكومتي وفى العاشر من نيسان ١٩٧٧ حانت اللحظة الكبرى التي كان ينتظرها شمعون بيرس وانتخبه مركز حزب العمل كمرشح لرئاسة الوزراء بالاجماع وكان بيرس مرشحا وحيدا بدون منافس واصبح طريقه ممهدا للوصول إلى السلطة بعد زوال الحاجز المتمثل باسحق رابين من طريقه.

لقد جرت محاكمة لزوجتي بسبب حساب الدولارات في المصرف الأمريكي واصدر القاضي دوف ليفين حكما بتغريمها بمبلغ ربع مليون ليرة اسرئيلية وقررنا عدم استئناف الحكم وفى اعقاب اعلان الحكم تدفق سيل من الرسائل على منزلنا وعرض مرسلوها تقديم مساعدة مالية لدفع الغرامة وجلسنا ساعات طويلة للرد على الرسائل الشخصية لآلاف الاشخاص واعادة الحوالات المالية إلى أصحابها.

لقد اخطأ حزب العمل في حملتـه الانتخابيـة فبـدلا مـن الحـديث حـول انجـازات الحكومـة السـابقة والحكومات االتى سبقتها تحول الحزب إلى بوق دعاية لشمعون بيرس ولهذا السبب مني بالهزيمة في ١٧ أيـار وحصد ثمار التآمر والنزاعات والانقسامات.

لقد استمعت إلى النتائج الاولى للانتخابات وتوقعات التلفزيون للنتائج التي ستسفر عنهـا الانتخابـات في منزلى في تل ابيب ولم اصدق ان حزب العمـل خسر المعركـة وعنـدما نشـأ وضـع سـياسى جيـد لم تعرفـه إسرائيل من قبل قررت العودة إلى ممارسة مهام منصبي كرئيس للوزراء بعد اعتكاف تـولى خلالـه شـمعون بيرس رئاسة جلسات الحكومة وقد اتخذت قراري بالعودة لسببين: اجمال عمـل الحكومـة الحاليـة وضـمان تسليم مقاليد الحكم للحكومة الجديدة بشكل منتظم.

فى يوم الجمعة ٢٠ ايار ١٩٧٧ ابلغت بيرس بأنني عائد إلى ممارسـة مهـام منصـبى فثـار قـائلا:- لمـاذا؟ يجب التشاور مع الزملاء؟ فقلت لـه:- اننـي لا اسـألك ولا استشـيرك بـل ابلغـك واذا اردت التحـدث معـي تفضل فساكون في مكتبي بعـد الظهـر. وجـاء بـيرس وقـال: يجـب ان تحـدد المناصـب بيننـا، انـت كـرئيس للحكومة وانا كرئيس للمعارضة الجديدة فاوضحت لـه بـأنني عائـد إلى منصـبي بشـكل كامـل وان جميـع الترتيبات التي تمت خلال فترة اجازتي لاغية ملغيه.

فى اعقاب ظهور نتائج الانتخابات بدأت في العالم حملة تحقير شديدة الـلـهجة ضد مناحم بيغن وكـان من شأن ذلك ان يلحق الضرر بإسرائيل، في مساء يوم الجمعة ظهرت عـلى شاشـة التلفزيـون وقلـت انـه لا يوجد زعيم لاي حزب صهيوني في إسرائيل لا يرغـب في بـذل كـل جهـد ممكـن لمنـع الحـروب وابعـادخطر اندلاعها والعمل من اجل السلام مع الدول العربية.

لقد عدت لاشغال منصب رئيس الوزراء لفترة قصيرة وقمنا خلال جلسات الحكومة بـاجمال السـنوات الـــثلاث التـــي عاشـــتها وفـــوجئ الـــوزراء مـــن انجازاتهـــا وعـــلى الـــرغم مـــن ذلـــك فقـــد

كانت الحكومة الاولى في تاريخ إسرائيل التي تسلم مقاليد الحكم لحزب آخر وكان ذلك دليلا على القوة الهائلة التي يمتلكها الناخبون في نظام الحكم الديموقراطي.

الفصل السابع عشر

مناحم بيغن يتسلم رئاسة الحكومة

بتاريخ ٢١ حزيران ١٩٧٧ قمنا مناحم بيغن وانا بتنفيذ ارادة الشعب وقمت أنا بتسليم بيغن رئاسة الحكومة وقام هو باستلامها وذهب عضو الكنيست اسحق رابين إلى منزله واستغرقت مراسيم تبادل المناصب دقائق معدودة.

لم يكن بين مناحم بيغن وبيني خصام شخصي ابدا ربما لأن الفارق في السن بيننا قد قلص مجالات الاحتكاك وربما لأن طريقينا المختلفين التقيا في الحلبة السياسية في السنوات الاخيرة فقط وعلى الرغم من ذلك فانني عندما سلمت بيغن رئاسة الحكومة وذهبت وجدت نفسي غارقا في الذكريات: فقبل ٢٩ عاما ويوم واحد أي بتاريخ ٢٢ حزيران ١٩٤٨ شاءت الصدف ان اكون الشخص الذي كلف بقيادة قوة البلماح في المعركة الماساوية ضد سفينة ايتسل «التلينا».

ففي ذلك اليوم وبدون ان اعلم شيئا عن التطورات المؤسفة وصلت مع صديقتي ليئا إلى قيادة البلماخ في شارع «هيركون» بتل ابيب التي اقيمت آنذاك في فندق «ريتس»(مبنى السفارة الفرنسية حاليا)وكانت ليئا تعمل في قسم الاعلام التابع للبلماح. وكانت ترسو مقابل القيادة سفينة قيل لي انها السفينة التلينا وانها خلافا لتعليمات حكومة إسرائيل المؤقتة كانت تحاول تفريغ حمولتها من الاسلحة في شاطىء كفار فيتكن وعندما منعت من ذلك ابحرت إلى شاطىء تل ابيب ويحاول المقاتلون الذين على ظهرها الاستيلاء على الشاطىء وتفريغ الاسلحة فيه.

فى غضون ذلك انتشرت شائعات مفادها ان منظمة ايتسل تسعى إلى الاستيلاء على تل ابيب باسرها وانها لا تكتفي بذلك بل تسعى للاستيلاء على الحكم في الدولة الجديدة بالقوة

رغم انه لم ينقض على قيام الدولة سوى ٣٧ يوما وافادت الشائعات أيضاً بان وحدات ايتسل العاملة ضمن صفوف الجيش الإسرائيلي قد فرت من خط الجبهة وانضمت إلى المقاتلين في شاطىء تل ابيب.

لقد استدعى بن غوريون ويجائيل يدين يجآل الون إلى القيادة العامة وعيناه بمنصب قائد تل ابيب بدلا من قائدها الدائم وقام الون بتعييني كقائد قوة البلماح المرابطة في القيادة وكانت مؤلفة من جرحى الحرب الذين غادروا المستشفيات أو في لياقه بدنية متدنية ويحتاجون إلى فترة نقاهة ووجدت بين القادة عاموس حوريف وشالوم حفلين وتأهبنا لمنع رجال ايتسل من تفريغ سفينة الاسلحة واحباط أي محاولة لاحتلال قيادة البلماح بالقوة وقمت بتفقد الترتيبات الامنية في المنطقة وعبأنا اكياسا من الرمل ووضعناها وراء الابواب والنوافذ.

لقد تخلى رجال لواء «كرياتي» الذين امروا بالتأهب امام رجال ايتسل عن اسلحتهم وغادروا مواقعهم ولم تبق سوى فئة من لواء كرياتي في موقعها وانضم قائدها إلى قيادتي وفى هذه الاثناء تدفق مقاتلو ايتسل من السفينة إلى الشاطىء ومن اتجاه تل ابيب وبعد الساعة العاشرة صباحا بدقائق اطلقت النار على مقر قيادة البلماح وقمنا بالرد على النار بالمثل وبعد قليل توصلنا إلى اتفاق لوقف اطلاق النار وفجأة اطلق رجال ايتسل قذيفة مضادة للدبابات باتجاه قيادة البلماح ولم تحدث القذيفة أي اضرار لانها اصابت حائط المبنى ولكن ذلك اعتبر تصعيدا خطيرا للوضع واذا اصابت القذيفة الثانية الحائط الداخلى فسوف يشتد وضعنا خطورة.

لقد توصلت إلى قرار بضرورة ابعاد مجموعات ايتسل عن مبنى القيادة وصعدت أنا وعاموس حوريف إلى سطح البناية والقينا القنابل على المجموعات المنتشرة على الشاطىء فسكتت مصادر النيران ووقعت بعض الاصابات في صفوف رجال ايتسل ورفعت احدى

مجموعات ايتسل الراية البيضاء واعلنت استسلامها وطلبت السـماح لهـا بـاخلاء المصـابين فطلبنـا سـيارات اسعاف وتم اخلاء المصابين وبعد ذلك استؤنف اطلاق النار على فترات متقطعة حتى ساعات بعد الظهر.

لقد طلب قائد السفينة بواسطة مكبر للصوت الدخول في مفاوضات مـع الـبلماح وفعـلا تفـاوض مـع شالوم حفلين الذي طلب منه الاستسلام بدون قيد أو شرط وتسليم الاسلحة لقيادة البلماح.

لقد تم ابلاغي بأنه قد تقرر قصـف السـفينة بنـيران المدفعيـة وسـقطت القذيفـة الاولى بـالقرب مـن السفينة والقذيفة الثانية أو الثالثة اصابت السفينة اصابة دقيقة وكان الهدف من القصـف الاصـابة ولـيس ارهاب المقاتلين المتواجدين على ظهـر السـفينة وعـلى الفـور شـبت النـيران في السـفينة وسـمعت اصـوات الانفجارات تنبعث من داخلها وقفـز الاشـخاص الـذين كـانوا عـلى ظهرهـا إلى البحـر فصرخ رجـال ايتسـل المتواجدون في الشاطىء بهستيريا: ان بيغن في السفينة انقذوا بيغن، ولم اكـن اعلـم بـان بـيغن في السـفينة وكل ما علمته بان السفينة تحترق وان الموضوع قد انتهى ولا داعي لسقوط المزيد من الضحايا فبذلت كل جهد ممكن مع القادة الآخرين لوقف اطلاق النار.

بعد انتهاء هذه القضية أمر الون بتحرير كتائـب ايتسـل مـن السـلاح وبـاحتلال قواعـدها ومراكزهـا، واخيرا تغلب العقل على التعصب وفرضت سيطرة الدولة على كافة القوات المسلحة وتم حل قوات ايتسـل وانتهت المعركة.

بتاريخ ٢١ حزيران ١٩٧٧ لم يحاول بيغن الاستيلاء على الحكم بالقوة بل جاء إلى مكتب رئيس الـوزراء بالقدس لاستلام مقاليد الحكم بصورة مشروعة في دولة إسرائيل وبناء على رغبة الناخـب الإسرائـيلي ويحـق للناخب حسب المبادىء الديموقراطية ان يخطىء ايضا.

الفصل الثامن عشر

مخاطر السلام

إن هذه ليست نهاية القصة سواء قصتي أنا أم قصة العمل السياسى الذي بدأته حكومتي، وبالنسبة لي فان عملى في صفوف المعارضة لم يكن بعيدا عن تحمل عبء الواجبات السياسية بل على العكس فقد امضيت الفترة الماضية كعضو كنيست وكعضو في لجنة الخارجية والامن التابعة للكنيست في مراقبة فعالة للتطورات السياسية التي حدثت في إسرائيل والمنطقة وقمت بزيارات عديدة إلى الخارج والقيت محاضرات وكتبت تحليلات سياسية للصحف وخصصت جزءا لا يستهان به من وقتى للقضايا الداخلية في حزب العمل الذي حاول في فترة وجوده ضمن صفوف المعارضة استعادة قدرته الداخلية مع القيام بدوره كمراقب مسؤول للسياسة ومنتقد للمواقف التي تتعارض مع مصالح ناخبيه.

إن العمل ضمن صفوف المعارضة وخارج مسؤوليات الحكم يمنح الزعيم السياسى امكانية مراقبة الاحداث من وجهة نظر مختلفة وبما ان احداثا سياسية مثيرة عديدة وقعت في الشرق الاوسط منذ ان انهيت مهام منصبى كرئيس للوزراء فإنني اعتقد ان من المناسب القيام بتحليل التطورات التي اوصلت إسرائيل إلى عتبة عهد جديد والاجابة على السؤال: من نحن وماذا نريد ان نكون؟

عندما انهيت مهام منصبي في حزيران ١٩٧٧ كانت مواقف الدول الاكثر فعالية في عملية صنع السلام - أي مصر وإسرائيل والولايات المتحدة - تميل نحو نقاط رئيسة ومحددة وكنت اعتقد بان جهود مصر لتسوية النزاع بين العرب وإسرائيل بالطرق السلمية قد تحولت إلى سياسة بلغت مرحلة اللاعوده وفى صيف ١٩٧٧ لم يعد باستطاعة مصر برئاسة السادات التراجع عن طريقها بعد ان احرق السادات كافة الجسور مع السوفييت ولم يبق امامه سوى

خيار واحد فقط وهو التفاوض حول تسوية النزاع في الشرق الاوسط بدلا من استخدام القوة وقد استمد السادات التشجيع على السير في هذا الطريق في اعقاب اتفاقية الفصل بين القوات عام١٩٧٤ والاتفاقية المرحلية عام ١٩٧٥.

فى غضون ذلك استمرت الولايات المتحدة في عهد ادارة الرئيس كارتر بالسياسة التي وصفها الرئيس الامريكى قبل اجتماعى به في آذار ١٩٧٧ بانها سياسة السلام التام والشامل.

لقد كان الرئيس كارتر مصمما على تحقيق السلام بين إسرائيل وجاراتها في آن واحد وحل كافة المشاكل التي كانت سببا في استمرار النزاع بين العرب وإسرائيل فترة طويلة وكان ذلك هدفا طموحا ولكن ادارة الرئيس كارتر كانت مقتنعة بأنه بدون ايجاد حل للمشاكل الرئيسة الثلاث والمعقدة التي كانت سببا في النزاع لن يتحقق السلام الحقيقي.

لقد كانت للولايات المتحدة مواقف محددة للغاية ازاء المشاكل الرئيسة الثلاث فيما يتعلق بجوهر السلام فقد ايد الأمريكيون الغاء حالة الحرب والتطبيع التام للعلاقات وهما العنصران المكملان للسلام واما فيما يتعلق بحدود السلام فقد دعوا إسرائيل إلى الانسحاب إلى حدود ما قبل حرب حزيران ١٩٦٧ وأما بالنسبة لحل القضة الفلسطينية فقد ايدوا اقامة «وطن» فلسطيني في الضفة الغربية وقطاع غزة بعد انسحاب القوات الإسرائيلية منهما أي اقامة كيان فلسطيني مستقل يقرر الفلسطينيون انفسهم مستقبله بالتعاون مع دول عربية اخرى.

عندما وصل حزب الليكود إلى الحكم في إسرائيل وشكلت حكومة برئاسة مناحم بيغن كانت اول خطوة قامت بها هى الانحراف عن السياسة التي اتبعتها حكومتي، فمن جهة وافقت الحكومة الجديدة مع الرئيس كارتر بان الهدف العمل الوحيد يجب ان يكون السلام التام ولكن بعد ذلك اختلفت مواقف الحكومة الإسرائيلية عن مواقف الادارة الأمريكية برئاسة كارتر حول المناطق المحتلة اذ اتخذت حكومة بيغن موقفا متطرفا في مطالبتها بالسيادة

على الضفة الغربية وقطاع غزة وعارضت اقامة كيان فلسطينى في هاتين المنطقتين. وعندما رأى بيغن بان الفجوة بين مواقف حكومته والمواقف الأمريكية باتت هائلة وغير قابلة للتسوية اضطر إلى تغيير سياسته التقليدية والاعلان بان الولايات المتحدة وإسرائيل اتفقتا على عدم الاتفاق وهو بعمله هذا حرر الولايات المتحدة من ضرورة تنسيق مواقفها السياسية مع إسرائيل قبل قيامها بمبادرات سياسية ازاء الدول العربية حول موضوع المفاوضات للتسوية النهائية.

لقد ادت الولايات المتحدة خلال عام ١٩٧٧ في التمسك بسياستها و لأول مرة تعهدت الإدارة الأمريكية تأييد المطالبة بانسحاب إسرائيل إلى خطوط الرابع من حزيران ١٩٦٧ والموافقة على اقامة كيان فلسطيني مقابل التوصل إلى سلام تام وقام الرئيس كارتر بايضاح موقفه هذا لعدد من الزعماء العرب من بينهم الرئيس السادات والملك حسين وحافظ الاسد والملك خالد بن عبد العزيز.

ولكن في مساعيها على اساس الاعتقاد بامكانية تحقيق سلام بين إسرائيل وجاراتها في آن واحد كان لا بد من ان تجد الولايات المتحدة نفسها مضطرة للتودد نحو المتطرفين في العالم العربي امثال سوريا ومنظمة التحرير الفلسطنينية وكانت النتيجة ان سايروس فانس وزير الخارجية الأمريكي اقنع في صيف ١٩٧٧ كلا من مصر وإسرائيل بالموافقة على التنازلات التي طلبتها سوريا فقط وهو ان مؤتمر اللام الذي سيعقد في جنيف لن يضم وفودا عربية منفصلة بل يواجه إسرائيل وفد عربي موحد و في الواقع كانت مصر تعارض هذه الفكرة ولكن السادات اضطر إلى الموافقة عليها لأن الولايات المتحدة ايدتها.

اما بالنسبة لمنظمة التحرير الفلسطينية فقد شهدت إسرائيل تحولا مثيرا للقلق في السياسة الأمريكية وذلك خلال الجولة التي قام بها فانس للشرق الاوسط في عام ١٩٧٧، في مذكرة التفاهم التي تم التوصل إليها بين حكومتي إسرائيل والولايات المتحدة نتيجة للاتفاقية

المرحلية في ايلول ١٩٧٥ تعهدت الولايات المتحدة بعدم اجراء أي اتصال دبلوماسي مع منظمة التحرير الفلسطينية ما لم تقبل بقرار مجلس الامن ٢٤٢ وتعترف بحق إسرائيل في الوجود ولكن خلال وجود فانس في السعودية اثير اقتراح بان يعلن الرئيس الأمريكي بان الولايات المتحدة ستعتبر موافقة منظمة التحرير الفلسطينية على قرار مجلس ٢٤٢ بأنها اعتراف بحق إسرائيل في الوجود.

اثناء تواجد الوزير فانس في السعودية كان الرئيس كارتر يقضي اجازة نهاية الاسبوع في منزله بمدينة بلينس بولاية جورجيا وابلغ شبكات التلفزيون الأمريكية بالاقتراح الذي طرح على فانس في السعودية وعلى الرغم من ذلك لم تتزحزح منظمة التحرير عن موقفها ورفضت اعلان موافقتها على قرار مجلس الامن ٢٤٢ ولكن الولايات المتحدة لم تيأس من امكانية التوصل إلى سلام شامل واعتقدت بان الاتحاد السوفياتي يملك قوة التأثير على المتطرفين في العالم االعربي لتغيير مواقفهم وعلى اساس هذا الاعتقاد اجرت الولايات المتحدة مفاوضات مع السوفيات أسفرت عن صدور بيان سوفياتي - أمريكي مشترك في تشرين الأول ١٩٧٧.

لقد تأثرت إسرائيل كثيرا من جراء هذا التحول في السياسة الأمريكية ولكن الأهم من ذلك هو ان العودة إلى المحادثات المشتركة مع السوفيات كانت «القشة الاخيرة» في نظر الرئيس السادات فقد اوضح له البيان المشترك بان الأمريكيين يدفعونه في الواقع إلى وضع قد يلحق الضرر بنظام حكمه ، اولا لقد منحت سياسة الولايات المتحدة الرئيس السوري حق النقض «الفيتو» لاحباط أي قرار يتخذه السادات وادخلت الاتحاد السوفياتي في الصورة خلافا للسياسات التي اتبعتها الادارات الأمريكية السابقة في اعقاب حرب اكتوبر ٧٣ التي كانت تهدف إلى ابعاد العنصر السوفييتي عن المشكلة للتسبب في تغيير موقف مصر من سياسة الحرب إلى سياسة السلام.

لقد كان السادات - بعكس الأمريكيين - لا يؤمن بالدور الذي يقوم به السوفييت ويعلم بان احد أهداف الاتحاد السوفياتي هو التآمر على نظام حكمه والقيام بدور فعال في ايجاد «حل» للنزاع في الشرق الاوسط يخدم المصالح السوفياتية.

لقد ادى هذا التحول في السياسة الأمريكية إلى ارغام السادات على إعادة النظر في موقفه والوصول إلى نتيجة مفادها ان مؤتمر السلام في جنيف سيؤدي إلى تجميد الوضع ولن يستطيع حينئذ الخروج عن الموقف الذي سيؤيده كل من الاتحاد السوفياتي وسوريا ومنظمة التحرير الفلسطينية في المؤتمر بدلا من الاستمرار في العمل على اساس التفاهم السابق بين إسرائيل ومصر والولايات المتحدة بان تكون هذه الدول الثلاث صاحبة المبادرة في المنطقة.

ومن غريب المفارقات في الحياة السياسية في الشرق الاوسط ان تغيير السياسة الأمريكية في المنطقة كانت من الاسباب التي جعلت الرئيس السادات يتخذ قراره التاريخي بزيارة القدس.

لقد استغل السادات خطوط الاتصال بين مصر وإسرائيل التي افتتحت قبل عام ١٩٧٧، فخلال إشغالي منصب رئيس الوزراء جرت محاولة للوساطة بين حكومات إسرائيل ومصر وسوريا، وادرك المصريون جيدا بان باستطاعتهم الاتصال بإسرائيل بدون علم الولايات المتحدة بواسطة احدى الدول العربية وكانت الفكرة التي بدأت بمبادرة تلك الدولة العربية في عام ١٩٧٦ تقضي بان تجري الاطراف مفاوضات مباشرة بينها بعيدا عن تأثير أي من الدولتين العظميين.

وكما نشر علنا فقد جرى في المغرب لقاء بين نائب رئيس الوزراء المصري حسن التهامي ووزير الخارجية الإسرائيلي موشه ديان وقد مهد اللقاء الطريق امام زيارة الرئيس السادات للقدس.

لقد شاءت الصدف في اول تشرين الثاني ١٩٧٧ ان اكون في زيارة للولايات المتحدة عندما ادلى الرئيس السادات بتصريحه الشهير امام البرلمان المصري بأنه مستعد للذهاب إلى

نهاية العالم وحتى إلى القدس بحثا عن السلام وكنت قد اجتمعت فور وصولي إلى واشنطن بوزير الخارجية سايروس فانس وتحدثت معه حول الوضع في الشرق الاوسط وسالته عن رد فعل مصر على البيان السوفياتي - الأمريكي المشترك وذهلت لفداحة الخطأ الأمريكي في تفسير الوضع الحقيقي في المنطقة اذ قال لي ان رد مصر كان ايجابيا للغاية وردا على سؤلي له حول احتمالات عقد لقاء بين بيغن والسادات قال فانس ان الاحتمالات لا تزيد على ٥٠%.

عندما علمت بأن الرئيس المصري سيجيء إلى القدس فعلا اختصرت زيارتي للولايات المتحدة وسارعت في العودة إلى إسرائيل قبل الزيارة بيوم واحد ولم يساورني انذاك ادنى شك بان الرئيس السادات فتح في قراره صفحة جديدة في العلاقات بين الدول العربية - وخاصة مصر- وإسرائيل وكانت خطوة السادات في نظري جريئة ويائسة في آن واحد: جريئة لانه لم يخطر ببال احد ان يقوم بمثل هذه الخطوة ويائسة لأن السادات قد ادرك بأنه إذا استمرت السياسة الأمريكية في الاتجاه الذي اختطه الرئيس كارتر فسوف تنتهي إلى الأبد جهود استمرت اربع سنوات واسفرت عن مفاوضات للتوقيع على اتفاق بين مصر وإسرائيل.

لهذا فاني اعتقد بان السادات جاء إلى إسرائيل لهدف مزدوج: نسف اسوار الشك والحواجز النفسية التي كانت قائمة في إسرائيل ازاء نواياه وارغام الولايات المتحدة على تغيير سياستها في الشرق الاوسط.

إنني اعترف بأنني عندما وقفت بين مستقبلي السادات بانتظار وصول طائرته تملكني شعور غريب: فعلى الرغم من انني اشتركت في المفاوضات مع مصر في عام ١٩٤٩ فان الاحداث التي وقعت بعد ذلك قد عززت الاعتقاد الذي سيطر علي منذ نعومة اظفاري بان مصر هي العدو، وعلى الرغم من اننا بذلنا خلال اشغالى منصب رئيس الوزراء كل جهد ممكن للاقتراب من السلام فانني لا استطيع القول بأنني توقعت قيام زعيم مصري بزيارة إسرائيل علنا وبكافة المراسيم الرسمية.

عندما هبطت الطائرة التي اقلت الرئيس السادات في مطار اللد وفتح بابها وظهر الرئيس المصري على سلم الطائرة بلغ التأثر ذروته وكانت لحظة فريدة من نوعها ومن اللحظات التي تظل راسخة في الاذهان إلى الابد، وعندما عزفت موسيقى الجيش الإسرائيلي السلامين واستعرض الرئيس المصري حرس الشرف شعرت وكاننى اعيش في حلم وبدا لي ما يجري امام عيني بأنه شيء غير واقعي.

عندما استقبلت الرئيس السادات في المطار لم يكن لدينا وقت لتبادل ما هو أكثر من التحية المتبادلة وكانت تلك المرة الاولى التي ارى فيها السادات عن قرب وانطبعت كثيرا من ضبط النفس والهدوء الذي تحلى به في هذا الموقف الفريد من نوعه الذي التقى فيه باكبر اعدائه السابقين الواحد تلو الآخر ووجد العبارات المناسبه لتبادلها مع كل واحد منهم.

وإذا لم يكن هذا بكاف للسيطرة على قلوبنا فقد جاء خطاب السادات امام الكنيست الذي اقل ما يمكن وصفه بأنه كان خطوة سياسية رائعة.

لقد كانت اقوال السادات تقترح علينا الموافقة على مواقف الرئيس كارتر أي السلام الشامل وتطبيع العلاقات والانسحاب إلى خطوط الرابع من حزيران واقامة كيان فلسطيني مستقل على ان يقدم هو تنازلات تفوق ما ستعرضه الولايات المتحدة على إسرائيل.

لقد نجح السادات في تبديد بعض المخاوف العميقة الراسخة في قلوبنا عندما اعلن قائلا « انني ادرك حاجتكم إلى الامن ولا ادرك حاجتكم إلى المناطق المحتلة وعلى الرغم من وجود تناقض داخلى في هذا الاعلان فإن تلك كانت المرة الاولى التي يعلن فيها زعيم عربي بأنه يدرك حاجتنا إلى الامن وانه يجب ايجاد طريقه لتلبية احتياجات إسرائيل الامنية ولم نسمع من قبل مثل هذا التصريح حتى من افضل اصدقاء إسرائيل ، يضاف إلى ذلك ان السادات لم يطالب إسرائيل بالتفاوض مع منظمة التحرير الفلسطينية بل تحدث حول الفلسطينيين ولم يذكر منظمة التحرير بالاسم وكان بموقفه هذا اقرب إلى إسرائيل من الولايات المتحدة ومما

لا شك فيه انه لو ان السادات قدم اقتراحه هذا لإسرائيل في اجتماع سري مع رئيس الوزراء مناحم بيغن أو في خطاب القاه عبر التلفزيون في القاهرة ما كان ليحدث جزءا من الانطباع الرامي الذي نشر في إسرائيل وكانت فكرة السادات لعرض هذا الاقتراح على الشعب الإسرائيلي شخصيا وفي القدس بالذات فكرة تتسم بالعبقرية واعتقد بأنه لولا هذه الخطوة لما نشأ في اوساط الشعب الإسرائيلي الاستعداد لتقديم تنازلات كبيرة إلى هذا الحد.

اما بالنسبة للهدف الثانى لزيارة السادات فقد احتاجت الولايات المتحدة لحوالى اسبوعين من التردد لتعود نفسها على الواقع الجديد الذي نشأ نتيجة للمبادرة المصرية ورد فعل إسرائيل عليها قبل مجىء السادات إلى القدس وبعده وفي تلك الفترة وجدت الادارة الأمريكية نفسها مضطر للتخلى عن سياستها المعلنة وهي ان من المستحيل التوصل إلى سلام في احدى الجبهات فقط بل يجب تحقيقه في كافة الجبهات ذات العلاقة بالنزاع العربي الإسرائيلي معا وفي آن واحد.

لقد كان التأثير النفسي لزيارة السادات هائلا وكذلك الفجوة بين موقغفي الجانبين ولكن ظهوره امام الكنيست ارغم حكومة إسرائيل ومواطنيها على اعادة النظر في شروط السلام وعلى قيام مناحم بيغن بالاعلان عن مشروعه السلمي الذي تضمن موافقة إسرائيل ولاول مرة على اعادة السيادة المصرية على كافة شبه جزيرة سيناء وكما تضمن فكرة الحكم الذاتي للامتناع عن البحث في موضوع التغييرات على حدود ما قبل حرب حزيران في حدود إسرائيل الشرقية ولكنه بدلا من مواصلة الحوار المباشر مع مصر توجه اولا إلى الولايات المتحدة في محاولة لكسب التأييد لمشروع السلام الذي يقترحه، لقد علمت في المحادثات التي اجريتها فيما بعد مع دبلوماسيين أمريكيين بانهم فوجئوا من استعداد إسرائيل لتقديم التنازلات التي اقترحها بيغن اثناء زيارته للولايات المتحدة في كانون الأول ١٩٧٧ وعلى الرغم من ذلك فقد وقع سوء تفاهم حول ردود الفعل على مشروعه السلمي.

لقد عرض بيغن المشروع في اليوم الأول للزيارة اثناء اجتماعه بالرئيس كارتر وبعد ذلك اقترح الأمريكيون بان يبحثوا الافكار الواردة في المشروع الإسرائيلي مع المصريين للتعرف على رد فعل السادات عليها وربما كانت التعابير التي استعملها الأمريكيون قابلة للتفسير بطرق مختلفة ولهذا السبب عاد بيغن إلى إسرائيل وهو يعتقد بان مشروعه السلمي يحظى بتأييد المصريين ولكن اتضح بعد ذلك بايام قليلة - في مؤتمر الاسماعيلية بان هناك خلافات كبيرة بين موقفي مصر وإسرائيل هددت باعادة الوضع إلى جموده السابق وطالبت مصر بان تتعهد إسرائيل بالانسحاب من كافة الجبهات ولكن طلبها رفض بالطبع من قبل حكومة إسرائيل.

لقد استمر الجمود الذي نشأ مع فشل المحادثات التي جرت ضمن اللجنة السياسية في القدس خلال شهر شباط ١٩٧٨ طيلة فصلي الربيع والصيف ومع مرور الشهور رأيت بوضوح بأنه ما لم يبذل جهد شامل وعلى اعلى مستوى فان الانجازات ستذهب ادراج الرياح وانه لا بد من عقد مؤتمر على مستوى القمة.

إن في مصر رجلا واحدا يستطيع اتخاذ القرار وهو الرئيس السادات وفي الولايات المتحدة يعتبر الرئيس كارتر الرجل الوحيد القادر على اتخاذ القرار وفي إسرائيل يعتبر مناحم بيغن الرجل المؤثر داخل حزبه والقادر على اقناعه بالموافقة على التنازلات التي لا بد من تقديمها.

وعلى الرغم من الصعوبات التي كان بيغن يواجهها بين وقت وآخر ولكنه كان الرجل الوحيد - بصفته زعيم حزب حيروت ورئيس حزب ليكود - الذي يستطيع التأثير على اليمين الإسرائيلي والتسليم بالتنازلات الضرورية.

لقد شعرت قبل ايام قلائل من انعقاد مؤتمر القمة في كامب ديفيد بان اللحظة المناسبة قد اوشكت على الدنو وتوقعت في مقال نشرته في احدى الصحف الإسرائيلية ان تكون الخطوة التالية مؤتمر قمة والا فان كل شيء سيكون مصيره الفشل.

لقد كان التوقيت الذي اختاره الرئيس كارتر لعقد مؤتمر القمة مدروسا بعناية وكان بعد ثمانية اشهر من الجمود وبعد ان ادرك الجانبان بان هذا الوضع يجب ان لا يستمر وان مؤتمر القمة يجب ان يسفر عن نتائج ملموسة لانه يمثل اعلى مستوى.

لقد كان الرئيس كارتر محقا في قراره الانتظار حتى استنفاذ كافة الوسائل الاخرى وعقد المؤتمر لاتخاذ القرارات الحاسمة.

لقد اسفرت ١٣ يوما من المحادثات في كامب ديفيد عن التوصل إلى اتفاق حول اتفاقي اطار وبدون الخوض في الصياغات القانونية لكلا الاتفاقين فقد ظهرا لي كصفقه كاملة بسيطة وعملية قدم فيها الجانبان تنازلات مؤلمة وكانت الصفقة مؤلفة من ثلاثة اجزاء:

١) اتفاق بين إسرائيل ومصر للتوصل إلى سلام فوري(اي خلال ثلاثة اشهرا ولتحقيق هذا الاتفاق فقد تنازلت إسرائيل عن شبه جزيرة سيناء وانحرفت بذلك عن مشروعها السلمي السابق وتنازلت عن أي وجود عسكري أو مدني في سيناء بموجب جدول زمني محدد وبهذا تكون مصر قد استعادت كل شبر من الاراضي المصرية التي فقدتها في حرب حزيران ١٩٦٧.

اما التنازلات المصرية فقد اشتملت على موافقة مصر على بقاء قوات إسرائيلية في خط العريش - راس محمد أي في ٤٠% من سيناء طيلة ثلاث سنوات بعد اقرار المعاهدة ولكن الامم من ذلك ان تنشأ علاقات طبيعية كاملة بين الدولتين خلال أكثر من عامين من فترة الاعوام الثلاثة التي ستعقب اقرار المعاهدة أي خلال مرابطة القوات الإسرائيلية في حوالى ٤٠% من اراضي شبه جزيرة سيناء وكانت تلك الخطوة في منتهى الأهمية للتعرف على نوايا مصر وافعالها.

٢) اما النقطة الثانية في الصفقه فهي ان المصريين تمشيا مع سياستهم - فقد رفضوا التوقيع على وثيقة يمكن ان تفسر على انها «سلام منفرد» وطالبوا بالبدء بمسيرة لحل القضية الفلسطينية المعقدة ومستقبل الضفة الغربية وقطاع غزة والسلام مع الاردن.

وقد اظهرت محادثات كامب ديفيد مدى الفجوة الهائلة بين موقفى الجانبين حول هذه المسائل لدرجة يصعب التوفيق بينهما، وقد عرض كل جانب وجهات نظره ازاء الانسحاب والسيادة ومستقبل القدس وحل القضية الفلسطينية ومصير المستوطنات الإسرائيلية في الضفة الغربية وقطاع غزة ومستقبل الوجود العسكري الإسرائيلي في هذه الاماكن وكانت مواقف الاطراف متناقضة تماما ولهذا فقد اتفقت مصر وإسرائيل على عدم الاتفاق وتأجيل معالجة هذه القضايا عدة سنوات على ان لا تؤثر هذه الخلافات على اقامة السلام بين مصر وإسرائيل.

٣) اما النقطة الثالثة فهى ان الفترة التي سيجري العمل خلالها على اقامة علاقات سلام مع مصر وبلورة اتفاق حول التسوية الدائمة في شرق إسرائيل ستكون فترة انتقالية مدتها خمس سنوات يتمتع خلالها سكان الضفة الغربية وقطاع غزة بحكم ذاتى وكان اهم ما ورد في الصفقة الشاملة هو تمكين مصر وإسرائيل اولا من اقامة علاقات سلام بكل معنى الكلمة خلال فترة انتقالية مدتها خمس سنوات وقبيل انتهاء هذه الفترة يجب صياغة التسوية النهائية عن طريق المفاوضات، أي ان الاتفاق ركز الاهتمام على اقامة سلام مع مصر خلال المرحلة الاولى وتأجيل معالجة المواضيع الاكثر صعوبة إلى موعد آخر.

إلى جانب ذلك فقد تعهد الجانبان في الصفقه الشاملة بتنفيذ جدول زمنى محدد:

فخلال عام واحد من المصادقة عل معاهدة السلام تتفاوض مصر وإسرائيل للتوصل إلى اتفاق حول شكل الانتخابات لسلطة الادارة المدنية في الضفة الغربية وقطاع غزة وصلاحيات السلطة المنتخبة لادارة شؤون الحكم الذاتي، ولم يلزم الاتفاق إسرائيل بالتوصل إلى اتفاق خلال عام ولكنه يلزمها ببذل كل جهد ممكن لتحقيق ذلك وبعد ثلاث سنوات من اقامة سلطة الحكم الذاتي يتوجب على الجانبين البدء بمفاوضات للتوصل إلى تسوية نهائية وبذل الجهد لانهاء هذه المفاوضات قبيل انهاء الفترة الانتقالية ومدتها خمس سنوات.

عندما عاد بيغن من كامب ديفيد اثير موضوع الاتفاقيات التي وقعها امام الكنيست وصوتت إلى جانبها لأنني كنت مقتنعا دائما بان من المستحيل التوصل إلى سلام مع كافة الدول المجاورة دفعة واحدة وان مفتاح العلاقات المستقبلية بين الدول العربية وإسرائيل يكمن في علاقات إسرائيل مع مصر التي قادت الدول العربية في جميع الحروب ضد إسرائيل، وكانت اول دولة عربية توقع اتفاقيات معها ابتداء من اتفاقيات الهدنة عام ١٩٤٩ وحتى اتفاق السلام عام ١٩٧٩ وان أي اتفاق لم يوقع بين إسرائيل واي دولة عربية بدون ان توقع عليه مصر أولاً ووحدها.

على الرغم من اننا دفعنا ثمنا باهظا ومؤلما بموافقتنا على ازالة مستوطناتنا في سيناء، وعلى الرغم من عدم تأييدي للرأي القائل ان مشروع الحكم الذاتي يمكن ان يكون حلا دائما للقضية الفلسطينية ومفتاحا للسلام في حدودنا الشرقية فانني اعتقد بان واجب إسرائيل يحتم عليها التمسك باي امل للتقدم نحو السلام مع مصر لمدة ٣ - ٥ سنوات قبل ان نحول انظارنا للقضايا الاكثر تعقيدا ولو كان السلام مع مصر مشروطا بالتوصل إلى حل للقضايا المعقدة القائمة على الجبهة الشرقية ما كان باستطاعتنا التقدم ولو خطوة واحدة نحو حل النزاع الاكثر اتساعا ونأمل الآن ان يتحول السلام إلى واقع حياتي جديد لمصلحة الجانبين بعد ان يجرب الشعبان على جانبي الحدود حياة السلام والثقة المتبادلة.

على الرغم من طول الفترة التي احتاجها التوقيع على معاهدة السلام بين مصر وإسرائيل في اعقاب اتفاقيات كامب ديفيد فانه لم يراودني ادنى شك بان المعاهدة ستوقع في النهاية وقد تملكني شعور بالسعادة عندما تلقيت الدعوة للتوجه إلى واشنطن والانضمام إلى الوفد الإسرائيلي لحضور مراسيم التوقيع على المعاهدة.

لقد وجه الي مناحم بيغن الدعوة لي بصفتي رئيس وزراء سابق وربما اعترافا منه بالدور الذي قمت به للتمهيد لمسيرة السلام النهائي.

لقد اعتقدت بعد التوقيع على معاهدة السلام مع مصر بان الواجب يدعونا إلى التصدي للاخطار المحدقة بنا من حدودنا الشرقية وكنت اشك في قدرة كل من إسرائيل ومصر على التوصل إلى اتفاق حول الحكم الذاتى في الضفة الغربية وقطاع غزة واعتقدت أيضاً بان تطبيق الحكم الذاتي ما هو الا وسيلة لترسيخ دعائم السلام مع مصر خلال الفترة الانتقالية بدون الوقوع في ازمات واصطدام وتوتو حول القضية الفلسطينية وقدمت توصية لوضع تسوية ما بشأن الفلسطينيين باسرع وقت ممكن لكي نركز اهتمامنا خلال ٣ - ٤ سنوات في ترسيخ اسس السلام وحمايته من الاخطار المتربصة به.

إن القضية الفلسطينية المعقدة غير قابلة للحل حلا مثاليا فهذه المأساة الانسانية قد خلقتها الدول العربية قبل ٣٢ عاما عندما رفضت مشرور التقسيم الصادر عن منظمة الامم المتحدة وواصلت النضال ضد وجود دولة إسرائيل ولكن مهما كانت الجهة المسؤولة عن هذه القضية فانه يتوجب على إسرائيل ان تشارك بصورة فعاله في البحث عن حل للمشكلة التي ان لم يتم التوصل إلى حل لها فان من المستحيل التوصل في يوم ما إلى سلام شامل في منطقة الشرق الاوسط.

هناك ثلاثة خيارات اساسية لحل القضية الفلسطينية الأول الذي يدعو إليه المتطرفون الفلسطينيون وخاصة منظمة التحرير الفلسطينية وهو اقامة دولة فلسطينية ذات سيادة في الضفة الغربية وقطاع غزة، والثانى الذي تدعو إليه حكومة بيغن وهو يقضى بمنح العرب المقيمين في الضفة والقطاع الحق في ادارة شؤون حياتهم في ظل سلطة للحكم الذاتى على ان يمنح هؤلاء السكان الاختيار بين الجنسية الإسرائيلية أو الاحتفاظ بالجنسية الاردنية التي يتمتعون بها حاليا وبموجب هذه الخطة ستكون الضفة والقطاع جزءا لا يتجزأ من دولة إسرائيل ذات السيادة، وكان مناحم بيغن قد وافق في كامب ديفيد على ان يطبق مشروع الحكم الذاتى لمدة انتقالية تجري خلالها مفاوضات حول التسوية النهائية ولكن موقف حكومته كان ينص على ان الحكم الذاتى يجب ان يكون الحل الدائم للقضية الفلسطينية.

اما الخيار الثالث الذي أؤيده ويتمسك به حزب العمل فهو ان الحدود الاصلية «لارض إسرائيل»الانتدابية (التى تضم إسرائيل والضفة الغربية وقطاع غزة والمملكة الاردنية) يجب ان لا تضم أكثر من دولتين هما إسرائيل ودولة اردنية - فلسطينية تضم اجزاء كبيرة من الضفة الغربية و قطاع غزة وخاصة المناطق المزدحمة بالسكان وان الدولة الاردنية - الفلسطينية يجب ان تمنح الفلسطينيين حقوقا خاصة بالشكل الذي يختارونه ليعبروا عن حقهم في تقرير مصيرهم.

على الرغم من اختلاف وجهات النظر بين حزبي الليكود والمعراخ حول موضوع حل القضية الفلسطينية فانهما يعارضان بشدة اقامة «دويلة» فلسطينية في الضفة الغربية وقطاع غزة لأن مثل هذه الدولة لن تحل اية مشكلة ولن تستطيع استيعاب ١،٥ مليون فلسطيني يعيشون حاليا خارج الضفة والقطاع ولانها ستخضع لحكم التيار المتطرف في اوساط الشعب الفلسطيني أي منظمة التحرير الفلسطينية.

لقد كان من الممكن ان لا تهتم إسرائيل بالسياسة الفلسطينية الداخلية لولا اعلان زعماء منظمة التحرير الفلسطينية مرحلة اولى نحو اقامة فلسطين العلمانية والديموقراطية المقرر لها ان تقام على انقاض دولة إسرائيل بعد طرد اليهود الذين هاجروا إليها بعد عام ١٩١٧ (أو بعد عام ١٩٤٨) منها وفى ضوء هذا التصور فان من غير المستغرب ان يعرب معظم الإسرائيليين من معارضتهم الشديدة لهذا الخيار وعلى الرغم من ان هذه المواقف قد تغيرت ويمكن ان تتغير مرة أخرى خلال السنوات المقبلة فإنني اشك في قدرتنا على اظهار التفهم والاعتدال ازاء هذه الخطه التي ستلحق بنا الدمار.

إن امكانية ترسيخ دعائم السلام مع مصر وضمان حل معقول للقضية الفلسطينية مشروطة ببقاء إسرائيل قوية من الناحية العسكرية فحسب بل ومن الناحية الاخلاقية والاجتماعية لأن ثمن السلام المدروس لن يكون ضئيلا وان كل إسرائيلي يدرك الآن بان

للسلام ثمنا باهظا وخلال الفترة المقبلة التـي تـتراوح بـين ٣ - ٥ سـنوات سنضـطر إلى انفـاق مبلـغ مليـاري دولار لبناء منشآت بديلة لتلك التي اقامها الجيش الإسرائيلي في سيناء طيلة ١١ عاما بدون ان نضيف شـيئا إلى قوتنا العسكرية.

هناك أيضاً صعوبة بالغة في تقدير التأثير النفسي والاجتماعى للسـلام فقـد كـان الخطـر المـادي الـذي هددنا من الخارج اقوى عنصر من عناصر وحدتنا اما الان فـنحن نعـيش في فـترة السـلام والحـرب معـا ولم نعش مثل هذه الفترة من قبل ولا يستطيع احد ان يتخيل مدى تأثير هذا الوضع على دوافع شـعبنا وعـلى استعداده لحمل الاعباء الجسيمة المتعلقة ببناء الوطن وعلى العلاقـات بـين مختلـف الطوائـف والطبقـات الاجتماعية المختلفة.

واذا كان الشعور بالحصار والخطر الذي يتهددنا من الخـارج سـببا لوحـدة شـعبنا فـان تـلاشي الخطـر الخارجي قد يغلق تصدعا في وحدتنا الوطنية.

لقد استمعت مؤخرا إلى اقوال ادلى بها مؤلف إسرائـيلي شـاب واعجبتنـي كثـيرا كـما اعجبنـي تحليلـه لمغزى السلام بالنسبة لإسرائيل فقد قال المؤلف ان عصر السلام يشير إلى نهاية عصر تأسيس الدولة واقامـة إسرائيل كواقع في الشرق الاوسط وان الشعب الإسرائيلي احتاج إلى جيل كامل لتحقيق ذلك وبذل كل جهـد ممكن في سبيل البقاء وان الوقت قد حان للتكيف مع حالة السلام.

لقد وقف يهود العالم إلى جانب إسرائيل في كل مرة تعرضت فيها للخطر ودلت تجارب الماضي على ان يهود المهجر يتفرغون لمشاكلهم الخاصة عندما لا تكون إسرائيل في خطر ومن هنا يتوجب علينـا ان نعـرف كيف نحافظ على العلاقات مع اليهود بعد زوال الخطر عن إسرائيل.

إن السلام سيحتم علينا تغيير مواقف اساسية واتباع اساليب جديدة لتثقيف الشـعب وتحيـد اهـداف جديدة تحظى بتأييد اليهود في مختلف انحاء العالم وتدفعهم إلى الانضمام الينا.

إن السلام يحمل في طياته مخاطر جسيمة ولكن بصفتي الشخص الذي قاد نضال إسرائيل سواء كجندي في ميدان القتال أو كدبلوماسي ورئيس وزراء في مجال المفاوضات فإنه ليس لدي أدنى شك بأن أخطار السلام أفضل ألف مرة من أي حرب مهما كانت نتائجها.

انتهى

الكتب الصادرة عن دار الجليل

تسلسل	العنوان	المؤلف او المترجم
١.	عمود النار "الأسطورة التي قامت عليها إسرائيل"	ترجمة : غازي السعدي
٢.	الاستيطان "التطبيق العملي للصهيونية"	عبد الرحمن أبو عرفة
٣.	حرب الجليل (نافذ)	بدر عبد الحق وغازي السعدي
٤.	الكتاب السنوي "١٩٨١"	غازي السعدي ونواف الزرو وغسان كمال
٥.	الكتاب السنوي "١٩٨٢"	غازي السعدي ونواف الزرو وغسان كمال
٦.	الحرب الفلسطينية الإسرائيلية في لبنان (١) شهادات ميدانية	غازي السعدي وبدر عبد الحق
٧.	الحرب الفلسطينية الإسرائيلية في لبنان (٢) معركة بيروت	مايكل جانسن - ترجمة : محمود برهوم
٨.	الحرب الفلسطينية الإسرائيلية في لبنان (٣) وثيقة جرم وإدانة	غازي السعدي
٩.	الحرب الفلسطينية الإسرائيلية في لبنان (٤) أهداف لم تتحقق	غازي السعدي
١٠.	الحرب الفلسطينية الإسرائيلية في لبنان (٥) معتقل أنصار وصراع الإرادات (نافذ)	سليم الجنيدي
١١.	الحرب الفلسطينية الإسرائيلية في لبنان (٦) الحرب المضللة	زئيف شيف وايهود يعاري - ترجمة : غازي السعدي
١٢.	الحرب الفلسطينية الإسرائيلية في لبنان (٧) فظائع الحرب اللبنانية	دوف يرميا - ترجمة : زكي درويش
١٣.	الحرب الفلسطينية الإسرائيلية في لبنان (٨) هزيمة المنتصرين وانتصار القضية	إعداد : اللجنة ضد الحرب في لبنان
١٤.	الحرب الفلسطينية الإسرائيلية في لبنان (٩) الأسرى اليهود وصفقات المبادلة	غازي السعدي

تسلسل	العنوان	المؤلف او المترجم
١٥.	رسائل من قبل الحصار	أبو عمار
١٦.	يوميات من سجون الاحتلال "زنزانة رقم ٧"	فاضل يونس
١٧.	المثلث الإيراني: العلاقات السرية الإسرائيلية الإيرانية الأمريكية "الكتاب الأول"	شموئيل سيغف – ترجمة: دار الجليل
١٨.	المثلث الإيراني: العلاقات السرية الإسرائيلية الإيرانية الأمريكية "الكتاب الثاني"	شموئيل سيغف – ترجمة : دار الجليل
١٩.	هل يوجد حل للقضية الفلسطينية؟ "مواقف إسرائيلية"	ألوف هوروبين - ترجمة : غازي السعدي
٢٠.	عملية الدبويا كما يرويها منفذوها	درويش ناصر – محامي الدفاع
٢١.	مراكز القوى ونموذج صنع القرار السياسي في إسرائيل (نافذ)	د. نظام بركات
٢٢.	مشاريع التسوية للقضية الفلسطينية	منير الهور وطارق الموسى
٢٣.	غوش أيمونيم – الوجه الحقيقي للصهيونية	داني روبنشتاين ترجمة : غازي السعدي
٢٤.	رؤى مستقبلية عربية في الثمانينات	د. أحمد صدقي الدجاني
٢٥.	أيام دامية في المسجد الأقصى	د. أحمد العلمي
٢٦.	حق الشعب الفلسطيني في تقرير المصير	يوسف محمد القراعين
٢٧.	الأحد الأسود	توماس هارس – ترجمة: حسن مشعل
٢٨.	برتوكولات حكماء صهيون (المجلد الأول)	عجاج نويهض
٢٩.	برتوكولات حكماء صهيون (المجلد الثاني)	عجاج نويهض
٣٠.	الأردن وفلسطين	د. سعيد التل
٣١.	الاقتصاد الإسرائيلي بين دوافع الحرب والسلام	د. فؤاد بسيسو
٣٢.	الاستعمار وفلسطين	رفيق شاكر النتشة
٣٣.	الحرب من أجل السلام	عيزر وايزمن - ترجمة : غازي السعدي
٣٤.	الموساد "جهاز المخابرات الإسرائيلية"	دنيس ايزنبرغ - ايلي لاندو - واوري دان

تسلسل	العنوان	المؤلف او المترجم
٣٥.	التوازن العسكري في الشرق الأوسط	إعداد مركز الأبحاث الاستراتيجي التابع لجامعة تل أبيب
٣٦.	الكتاب الأسود عن يوم الأرض ٣٠ آذار ١٩٧٦	إصدار اللجنة القطرية للدفاع عن الأراضي العربية في فلسطين المحتلة
٣٧.	في سربية الصحراء	الشاعر سميح القاسم
٣٨.	الخيار النووي الإسرائيلي	شاي فيلدمان - ترجمة : غازي السعدي
٣٩.	انتهاك حقوق الإنسان في الأراضي المحتلة	إعداد منظمة القانون في خدمة الانسان ترجمة سليم أبو غوش
٤٠.	نقاط فوق الحروف	خالد الحسن
٤١.	قراءة سياسية في مبادرة ريغان	خالد الحسن
٤٢.	فلسطينيات	خالد الحسن
٤٣.	الاتفاق الأردني الفلسطيني	خالد الحسن
٤٤.	من ملفات الإرهاب الصهيوني في فلسطين (١) جرائم الأرغون وليحي	تأليف : يعقوب إلياب - ترجمة : غازي السعدي
٤٥.	من ملفات الإرهاب الصهيوني في فلسطين (٢) مجازر وممارسات	غازي السعدي
٤٦.	من ملفات الإرهاب الصهيوني في فلسطين (٣) دور الهاغناة في إنشاء إسرائيل	د. حمدان بدر
٤٧.	فلسطين تأريخا ونضالا	نجيب الأحمد
٤٨.	فلسطينيات في سجن النساء "طيور نفي ترتسا"	المحامي وليد الفاهوم
٤٩.	شوكة في عيونكم	مائير كهانا - ترجمة غازي السعدي
٥٠.	اتفاقيات السلم المصرية - الإسرائيلية	محمد الرفاعي
٥١.	الجذور "وثيقة الأوقاف الإسلامية"	فتحي فوراني
٥٢.	فلسطين الأرض والوطن "قرية الدوايمة"	موسى عبد السلام هديب
٥٣.	خط الدفاع في الضفة الغربية	آريبه شليف - ترجمة : غازي السعدي

تسلسل	العنوان	المؤلف او المترجم
٥٤.	تشريقة بني مازن	د. عبد اللطيف عقل
٥٥.	القمع والتنكيل في سجن الفارعة	إعداد : لجنة الحقوقيين الدولية
٥٦.	صورة العربي في الأدب اليهودي	د. رايز دومب – ترجمة : عارف عطاري
٥٧.	الشخصية العربية في الأدب العبري الحديث	غانم مزعل
٥٨.	فلسطين أرض وتاريخ	د. محمد نحال
٥٩.	القدس ماضيها حاضرها ومستقبلها	فايز فهد جابر
٦٠.	القضية الفلسطينية في القانون الدولي	د. جابر الراوي
٦١.	المؤسسة العسكرية الصهيونية في دائرة الضوء (١) إسرائيل عسكر وسلاح	بشير شريف البرغوثي
٦٢.	المؤسسة العسكرية الصهيونية في دائرة الضوء (٢) أزمة الاستخبارات الإسرائيلية	تسفي لينر
٦٣.	حرب الاستنزاف (نافذ)	د. محمد حمزة
٦٤.	المطامع الإسرائيلية في مياه فلسطين	بشير البرغوثي
٦٥.	إسرائيل عام ٢٠٠٠ "تصورات إسرائيلية"	إعداد : قسم الدراسات
٦٦.	القرار	رشاد أحمد الصغير
٦٧.	ندوة مشاكل التعليم الجامعي في الوطن المحتل والروح الجامعية	إعداد : المجلس الأعلى للتربية والثقافة والعلوم في منظمة التحرير
٦٨.	القضية الفلسطينية	أكرم زعيتر
٦٩.	شخصيات صهيونية (١) مذكرات رفائيل ايتان	ترجمة: غازي السعدي
٧٠.	شخصيات صهيونية (٢) شلومو هيلل وتهجير يهود العراق	ترجمة : غازي السعدي
٧١.	شخصيات صهيونية (٣) ثيودور هرتسل	إعداد : قسم الدراسات
٧٢.	شخصيات صهيونية (٤) آرئيل شارون	عوزي بنزيمان – ترجمة : غازي السعدي

تسلسل	العنوان	المؤلف او المترجم
٧٣.	شخصيات صهيونية (٥) آباء الحركة الصهيونية	ترجمة : عبد الكريم النقيب
٧٤.	شخصيات صهيونية (٦) موشيه ديان	ترجمة : غازي السعدي
٧٥.	شخصيات صهيونية (٧) بن غوريون والعرب	شبتاي تيبت - ترجمة : غازي السعدي
٧٦.	شخصيات صهيونية (٨) رسائل بن غوريون	ترجمة: الأميرة دينا عبد الحميد
٧٧.	شخصيات صهيونية (٩) حياتي - لجولدا مائير	ترجمة : دار الجليل
٧٨.	شخصيات صهيونية (١٠)حركة التصحيح الصهيونية	ليني برينر - ترجمة : دار الجليل
٧٩.	شخصيات صهيونية (١١) مذكرات اسحق رابين-جزآن	اسحق رابين
٨٠.	شخصيات صهيونية (١٢) ناحوم غولدمان	ترجمة دار الجليل
٨١.	شخصيات صهيونية (١٣)اسحق شامير	ترجمة : دار الجليل
٨٢.	شخصيات صهيونية (١٤)مكان تحت الشمس	بنيامين نتنياهو
٨٣.	فلسطين الأم وابنها البار عبد القادر الحسيني	عيسى خليل محسن
٨٤.	دعوى نزع الملكية	آرييه.ل.افنيري - ترجمة : بشير البرغوثي
٨٥.	شخص غير مرغوب فيه	قصائد : سميح القاسم
٨٦.	نادية برادلي "الفدائية المغربية الشقراء"	ترجمة : غسان كمال
٨٧.	عرب التركمان	علياء الخطيب
٨٨.	المرأة الفلسطينية والاحتلال الإسرائيلي	ميسون الوحيدي
٨٩.	الإعلام الإسرائيلي	غازي السعدي ومنير الهور

تسلسل	العنوان	المؤلف او المترجم
٩٠.	الوجه الحقيقي للموساد (نافذ)	د. وجيه أبو غالب وأنور خلف
٩١.	العمق الاستراتيجي في الحروب الحديثة	ترجمة : بدر عقيلي
٩٢.	آه يا بلدي	أكرم النجار
٩٣.	الحافلة رقم ٣٠٠	ترجمة : احمد بركات
٩٤.	من رواد النضال في فلسطين (١)	زياد عودة
٩٥.	من رواد النضال في فلسطين (٢)	زياد عودة
٩٦.	من رواد النضال في فلسطين (٣) (نافذ)	زياد عودة
٩٧.	فلسطين في سيرة البطل عبد الحليم الجيلاني	د. حسن صالح عثمان
٩٨.	الحركة العمالية في فلسطين	سليم الجنيدي
٩٩.	الموسوعة العسكرية الإسرائيلية (١) سلاح الجو الإسرائيلي	زئيف شيف - ترجمة : دار الجليل
١٠٠.	الموسوعة العسكرية الإسرائيلية (٢) سلاح الاستخبارات	عوديد غرانوت
١٠١.	الموسوعة العسكرية الإسرائيلية (٣) سلاح الهندسة	عمي شامير - ترجمة : دار الجليل
١٠٢.	الموسوعة العسكرية الإسرائيلية (٤) سلاح المشاة	نتان روعي - ترجمة : دار الجليل
١٠٣.	الموسوعة العسكرية الإسرائيلية (٥) سلاح المظليين	إيلان كفير
١٠٤.	الموسوعة العسكرية الإسرائيلية (٦)سلاح الدروع	ارييه حشافيا
١٠٥.	معجم المصطلحات الصهيونية	إعداد افرايم ومناحيم تلمي - ترجمة : أحمد بركات
١٠٦.	حرب سيناء ٥٦	مردخاي باراون
١٠٧.	وجه قبيح في المرآة	بروفيسور أدير كوهين
١٠٨.	تاريخ ما أهمله التاريخ (نافذ)	عبد الهادي جرار
١٠٩.	أيام الصبا	د. يوسف هيكل

تسلسل	العنوان	المؤلف او المترجم
١١٠.	جلسات في رغدان	د. يوسف هيكل
١١١.	ربيع الحياة	د. يوسف هيكل
١١٢.	الإعلام الفلسطيني	د. حسين أبو شنب
١١٣.	تحت السياط	فاضل يونس
١١٤.	دراسات في تعليم الكبار	د. عدنان أبو عمشة
١١٥.	النزاع العربي الإسرائيلي بين فكي كماشة الدول العظمى	بقلم : موشه زاك - ترجمة : دار الجليل
١١٦.	الغضب (نافذ)	أكرم النجار
١١٧.	منجل في النجمة السداسية	أيسر هارئيل - ترجمة : بدر عقيلي
١١٨.	صرخة في وجه العالم "ألبوم الانتفاضة"	إعداد : دار الجليل
١١٩.	اشكالية الديموقراطية والبديل الإسلامي	خالد الحسن
١٢٠.	الاستخبارات والأمن القومي	ترجمة : دار الجليل
١٢١.	الأحزاب والحكم في إسرائيل	غازي السعدي
١٢٢.	تعليم الفلسطينيين ماضيا وحاضرا ومستقبلا	الدكتور عبد القادر يوسف
١٢٣.	قبس من تراث المدينة والقرية الفلسطينية	صباح السيد عزازي
١٢٤.	اشتعالات حمدان	أكرم النجار
١٢٥.	من القمع إلى السلطة الثورية	قدري أبو بكر
١٢٦.	هذه قضيتك يا ولدي	سليم عبد العال القزق
١٢٧.	معجم الأمثال الشعبية الفلسطينية	فؤاد إبراهيم عباس - احمد عمر شاهين
١٢٨.	صناعة قرارات الأمن الوطني في إسرائيل	يهودا بن مئير - ترجمة : بدر عقيلي
١٢٩.	قمع شعب	بشير البرغوثي
١٣٠.	أسلحة وارهاب	أهارون كلايمن
١٣١.	جليلة	أكرم النجار
١٣٢.	حدود أرض إسرائيل	البروفيسور موشيه برافر- ترجمة : بدر عقيلي

تسلسل	العنوان	المؤلف او المترجم
١٣٣.	الأحواز في الماضي والحاضر والمستقبل	نصار أحمد الخزعلي
١٣٤.	الفاشية الإسرائيلية	المحامي درويش ناصر
١٣٥.	الأمن القومي العربي ونظرية تطبيقه في مواجهة الأمن الإسرائيلي	العميد محمد يوسف العملة
١٣٦.	النظرية العسكرية الإسرائيلية "دفاع وهجوم"	ارئيل لفيتا
١٣٧.	خرافات يهودية (نافذ)	أحمد الشقيري
١٣٨.	دقيقتان فوق تل أبيب	محمد أزوقة
١٣٩.	سياسة إسرائيل الأمنية	زئيف كلاين ويهودا شيف – ترجمة: بدر عقيلي
١٤٠.	الهجرة اليهودية "حقائق وأرقام"	د.عمران أبو صبيح
١٤١.	الانتفاضة	زئيف شيف وأيهود يعاري
١٤٢.	جواسيس المخابرات الإسرائيلية	يوسي ميلمان/دان رافيف- ترجمة : دار الجليل
١٤٣.	دولة إسرائيل زائلة	يعقوب شريت - ترجمة دار الجليل
١٤٤.	داود وسليمان في العهد القديم والقرآن الكريم	أحمد عيسى الأحمد
١٤٥.	الجماعة الأوروبية والقضية الفلسطينية	محمد خالد الأزعر
١٤٦.	بقايا من خبز وكتاب	أكرم النجار
١٤٧.	إسرائيل في حرب الخليج	غازي السعدي
١٤٨.	المثلث المحتوم	أحمد عز الدين بركات
١٤٩.	الاستيطان الإسرائيلي "جغرافيا وسياسيا"	اليشع ايفرات – ترجمة : دار الجليل
١٥٠.	حرب السكاكين	زياد أبو صالح ورشاد المدني
١٥١.	انتفاضة العصافير	نجوى قعوار
١٥٢.	انهيار نظرية الأمن الإسرائيلية	أحمد بركات
١٥٣.	موسوعة عشائر وعائلات فلسطين"١" القدس مدنها وقراها	فائز أبو فردة
١٥٤.	عشيرة آل العملة "العمرو"	محمد يوسف عمرو العملة
١٥٥.	الأسرة والانتفاضة	لجنة أبحاث المرأة/نابلس

تسلسل	العنوان	المؤلف او المترجم
١٥٦.	قصة جاسوس.. بولارد	برنارد ر.هندرسون – ترجمة: دار الجليل
١٥٧.	أبو عجاج العينبوسي "الدكتور الثائر	عيسى خليل محسن
١٥٨.	الأسلحة الكيميائية والبيولوجية وتأثيراتها البيئية	د.عادل أحمد جرار
١٥٩.	قناع القناع	العميد محمد نور الدين شحادة
١٦٠.	تشريعات القضاء في دولة فلسطين (نافذ)	أحمد محمد المبيض
١٦١.	الشبح	عبد الـلـه عواد
١٦٢.	دولة مجدو	عبد الـلـه عواد
١٦٣.	"هشاي" مخابرات منظمة الهجناة	إعداد دار الجليل
١٦٤.	أنساب العشائر الفلسطينية	العميد محمد يوسف العملة
١٦٥.	طرد الفلسطينيين وولادة مشكلة اللاجئين	بني موريس – ترجمة : دار الجليل
١٦٦.	الاستشراق وأبحاث الصراع لدى إسرائيل	إبراهيم عبد الكريم
١٦٧.	دليل المستوطنات الإسرائيلية في الأراضي المحتلة(١٩٦٧-١٩٩١)	د.عمران أبو صبيح
١٦٨.	حرب في الخليج "أبعاد على إسرائيل"	طاقم مركز الأبحاث الاستراتيجية الإسرائيلي - يافه ترجمة: بدر عقيلي
١٦٩.	ثلاثون قضية استخبارية وأمنية في إسرائيل	يوسف أرجمان - ترجمة: دار الجليل
١٧٠.	معجم المواقع الجغرافية في فلسطين (نافذ)	قسطندي نقولا أبو حمود
١٧١.	الشرق الأوسط الجديد	شمعون بيرس
١٧٢.	الأدب العربي في جزر البليار	عبد الرزاق حسين
١٧٣.	الأعياد والمناسبات والطقوس لدى اليهود	غازي السعدي
١٧٤.	أسلحة الدمار الشامل	وليم بوروس / روبرت ويندرم – ترجمة دار الجليل
١٧٥.	المفصل في تعلم اللغة العبرية مع الكاسيت. تعلم العبرية بدون كاسيت	بدر عقيلي
١٧٦.	القاموس العملي عبري-عربي	أمين أبو عيسى

تسلسل	العنوان	المؤلف او المترجم
١٧٧.	دوائر القمر	عبد الرزاق حسين
١٧٨.	أحاديث في العلم والقيم	يشعياهو ليفوفيتش- ترجمة: سلمان ناطور
١٧٩.	فلسطيني بلا هوية	صلاح خلف (أبو إياد)
١٨٠.	الحوار الفلسطيني-الأمريكي	د.محمد ربيع
١٨١.	قرية جمزو	عطية عبد الحفيظ النجار
١٨٢.	الانقلاب السياسي في إسرائيل	أوري أزولاي ترجمة:بدر عقيلي
١٨٣.	مشكلة الأراضي في النزاع القومي بين العرب وإسرائيل منذ وعد بلفور	جاك كنو- ترجمة : محمد الدويري
١٨٤.	الموساد في العراق	شلومو نكديمون - ترجمة: بدر عقيلي
١٨٥.	دولة فلسطين-الوضع القانوني	سالم أحمد قواطين
١٨٦.	اسحق رابين-اغتيال سياسي	أمنون كبليوك - ترجمة بدر عقيلي
١٨٧.	سومخي قصة للشبيبة عن الحب والمغامرات	عاموس عوز
١٨٨.	نايف حواتمة يتحدث	نايف حواتمة
١٨٩.	سورية وإسرائيل من الحرب إلى صناعة السلام	موشيه ماعوز – ترجمة : لينا وهيب
١٩٠.	اتفاقيات أوسلو	دار الجليل
١٩١.	الحرب الاقتصادية (١٠٠) سنة من المواجهة الاقتصادية بين اليهود والعرب	يوفال اليتسور – ترجمة: بدر عقيلي – محمد الدويري
١٩٢.	البستان – من الادب العبري	بنيامين تموز
١٩٣.	أنثولوجيا-الوجه الآخر	غرشون شكيد ودافيد سجيف – .ترجمة :دار الجليل
١٩٤.	المسيرة خفايا أوسلو من الألف إلى الياء	أوري سبير كبير المفاوضين ا لإسرائيليين في أوسلو. ترجمة بدر عقيلي
١٩٥.	أوسلو والسلام الآخر المتوازن	نايف حواتمة
١٩٦.	أيهود باراك.. الجندي الأول	بن كسبيت وإيلان بيران – ترجمة بدر عقيلي ونور البواطلة
١٩٧.	الصهيونية .. النظرية والتطبيق	يوئيل رفيل – ترجمة : نور البواطلة
١٩٨.	الحسين والسلام (مسلسل العلاقات الاردنية – الاسرائيلية)	موشيه زاك - ترجمة دار الجليل

تسلسل	العنوان	المؤلف او المترجم
١٩٩.	مهنتي كرجل مخابرات "٢٩ عاما من العمل في الشاباك"	يعقوب بيري رئيس جهاز الشاباك السابق - ترجمة : بدر عقيلي
٢٠٠.	أبعد من أسلو ... فلسطين الى أين	نايف حواتمة
٢٠١.	جاسوس إسرائيل في دمشق	يشيعياهو بن فورات و اوري دان - ترجمة : زكي درويش
٢٠٢.	انتفاضة الأقصى ٢٠٠٠ الكتاب الأول قصص دامية وحكايات الشهداء	إعداد دار الجليل
٢٠٣.	انتفاضة الأقصى ٢٠٠٠ الكتاب الثاني قصص دامية وحكايات الشهداء	إعداد دار الجليل
٢٠٤.	انتفاضة الأقصى ٢٠٠٠ الكتاب الثالث قصص دامية وحكايات الشهداء	إعداد دار الجليل
٢٠٥.	انتفاضة الأقصى ٢٠٠٠ الكتاب الرابع قصص دامية وحكايات الشهداء	إعداد دار الجليل
٢٠٦.	انتفاضة الأقصى ٢٠٠٠ الكتاب الخامس قصص دامية وحكايات الشهداء	إعداد دار الجليل
٢٠٧.	انتفاضة الأقصى ٢٠٠٠ الكتاب السادس قصص دامية وحكايات الشهداء	إعداد دار الجليل
٢٠٨.	انتفاضة الأقصى ٢٠٠٠ الكتاب السابع قصص دامية وحكايات الشهداء	إعداد دار الجليل
٢٠٩.	انتفاضة الأقصى ٢٠٠٠ الكتاب الثامن قصص دامية وحكايات الشهداء	إعداد دار الجليل
٢١٠.	انتفاضة الأقصى ٢٠٠٠ الكتاب التاسع قصص دامية وحكايات الشهداء	إعداد دار الجليل
٢١١.	انتفاضة الأقصى ٢٠٠٠ الكتاب العاشر قصص دامية وحكايات الشهداء	إعداد دار الجليل
٢١٢.	آرئيل شارون (سجل خدمة وعمليات انتقامية)	ترجمة وإعداد : دار الجليل
٢١٣.	قاب قوسين أو أدنى من السلام	غلعاد شير- ترجمة: بدر عقيلي
٢١٤.	إسرائيل والقنبلة النووية	أفنر كوهين –ترجمة: بدر عقيلي

تسلسل	العنوان	المؤلف او المترجم
٢١٥.	فلسطين تحطم الجدار	دار الجليل
٢١٦.	الجواسيس (عشرون قضية تجسس على إسرائيل	يوسي ميلمان وايتان هابر- ترجمة: خالد أبو ستة العياصرة
٢١٧.	قضية شراء الاراضي والاستيطان االصهيوني في الأردن وحوران والجولان	دراسة وإعداد : دار الجليل
٢١٨.	الرواية الجديدة عن حرب اكتوبر "دروس في علوم الحرب وصراع الجنرالات في إسرائيل"	خالد أبو ستة
٢١٩.	الانتفاضة الاستعصاء - فلسطين الى أين	نايف حواتمة
٢٢٠.	اليهودية "ديانة توحيدية أم شعب مختار"	عمر مصالحة
٢٢١.	تاريخ فلسطين قبل الميلاد	هشام أبو حاكمة
٢٢٢.	انقلاب عسكري في اسرائيل - الاحتمالات والوقائع	تسفيكة عميت- ترجمة: بدر عقيلي
٢٢٣.	كفاح شعب فلسطين ومسيرة حركته الوطنية	إعداد دار الجليل
٢٢٤.	التلمود"المرجعيةاليهودية للتشريعات الدينية والاجتماعية"	عمر مصالحة
٢٢٥.	الأساطير المؤسسة للتاريخ الاسرائيلي القديم	هشام أبو حاكمة
٢٢٦.	الوعد الصادق حزب الـلـه وإسرائيل وجها لوجه	هشام ابو حاكمة
٢٢٧.	رسالة الى شعب اسرائيل	محمد ابو سمرة
٢٢٨.	بين العسكرية والسياسة ذكريات	عبد الرزاق اليحيى
٢٢٩.	حروب الظلال الإسرائيلية وسياسة الاغتيالات	دار الجليل
٢٣٠.	السلام أولا .. تحديث مسارات السلام	أوري سافير
٢٣١.	مسجد داود وليس هيكل سليمان	هشام أبو حاكمة
٢٣٢.	مصطلحات ومناسبات وتواريخ وشخوص صهيونية	إعداد : دار الجليل
٢٣٣.	العرب الدروز والحركة الوطنية الفلسطينية حتى ال ٤٨	النائب سعيد نفاع
٢٣٤.	النظام الانتخابي الإسرائيلي انتخابات الكنيست ٢٠٠٩- الأحزاب الإسرائيلية- تشكيل الحكومة- برامجها السياسية	غازي السعدي
٢٣٥.	الموساد .. الشاباك.. أمان	دراسة/ بدر عقيلي

تسلسل	العنوان	المؤلف او المترجم
	وأسلحة الدمار الشامل الإسرائيلية	
٢٣٦.	اليسار العربي رؤيا النهوض الكبير (نقد وتوقعات)	نايف حواتمة
٢٣٧.	نجوم في سماء فلسطين	زياد عودة
٢٣٨.	جرائم الحرب الإسرائيلية في غزة	بدر عقيلي
٢٣٩.	هدنة – أمل من أجل الشرق الأوسط	أيال آرليخ
٢٤٠.	الإرهاب على فلسطين وشاهد من أهلها	مفيد المبسلط
٢٤١.	الموساد العمليات الكبرى	ميخائيل بار زوهر والصحفي نسيم مشعل ترجمة : بدر عقيلي
٢٤٢.	العداء الإسرائيلي للسياسة الواقعية الفلسطينية	حمادة فراعنة
٢٤٣.	العلاقات العربية – التركية	حمادة فراعنة
٢٤٤.	خطاب البرنامج الفلسطيني في مواجهة المشروع الإسرائيلي	حمادة فراعنة
٢٤٥.	المؤتمر السادس لحركة فتح وتداعياته	حمادة فراعنة
٢٤٦.	تطورات المشهد السياسي الأردني	حمادة فراعنة
٢٤٧.	المفاوضات وصلابة الموقف الفلسطيني	حمادة فراعنة
٢٤٨.	موسوعة المصطلحات والمفاهيم الفلسطينية	تحرير د. محمد شتية
٢٤٩.	تحديات الأمن الوطني الأردني وأثره على الاستقرار السياسي	رعد فواز الزبن
٢٥٠.	الثورة الشعبية العربية "أدواتها وأهدافها" ٢٠١١	حماد فراعنة
٢٥١.	الإخوان المسلمون ودورهم السياسي	حمادة فراعنة
٢٥٢.	ملفات ساخنة(١) حرب التحكم الآلي سلاح الحرب الخامس	دار الجليل
٢٥٣.	ملفات ساخنة (٢) الربيع العربي بعيون إسرائيلية	دار الجليل
٢٥٤.	ملفات ساخنة(٣) أضواء على الحكومة ال ٤٤ والكنيست ال ١٩ وبرامجهما	دار الجليل
٢٥٥.	ملفات ساخنة(٤)	دار الجليل

تسلسل	العنوان	المؤلف او المترجم
	دول الخليج العربي بعيون إسرائيلية	
٢٥٦.	تباين الحدود بين تاريخ بني إسرائيل وتاريخ اليهود في العصور القديمة	هشام أبو حاكمة

هذا الكتاب

الجزء الثاني من مذكرات رابين، وان كنا نميل الى تسميته بـ «المرحلة الثانية من حياة رابين والدولة العبرية»، ذلك ان هذا الرجل، الذي حمل الايدولوجية الصهيونية، على صهوة الارهاب العسكري، بدأ باعداد نفسه للجلوس على رأس هرم الحكم، باعتبار ذلك هدفاً وطنياً في ظاهره، وشخصياً طموحاً في باطنه.

بين صقرية العسكر وحمائمية العمل السياسي، شهد أداء رابين حالات من المد والجزر، اثبت موجوديته حينا، وكبا أحياناً أخرى، فمنصب رئيس الوزراء، وفي اسرائيل تحديدا، يستلزم شخصية مطاطية، قادرة على التعامل مع الأحداث الداخلية أولا، وهو الأمر الذي اغفله رابين، فسقط وحمل حزبه الى كراسي المعارضة، في مواجهة اليمين الاسرائيلي، بقيادة مناحيم بيغن.. عملاق حيروت والليكود دون منازع.

مرحلة صعبة عصفت بحزب العمل، سرعان ما قادت شمعون بيرس الى قيادته، ولم يجد متنفساً الا بأقوال نجم بيغن، وصعود شامير الى كرسي الرئاسة...

في انتخابات الكنيست عام ٩٢، كان لا بد لحزب العمل من إعادة رابين الى المقدمة، باعتباره الأقدر على مواجهة شامير، وكسب الجولة، ولو لم يكن ذلك في دائرة الطموح.

الأمن والاقتصاد والسلام، ثلاث ركائز لمسميات تعني الكثير لغالبية الشعب الاسرائيلي، حملها رابين العمالي لمواجهة شامير الليكودي، الذي حمل لواء «أرض اسرائيل التوراتية» و «السلام مقابل السلام».

وأنطلقت مسيرة السلام، بآلية جديدة، رغم أن خطوطها كانت قد رسمت في مدريد إبان عهد شامير، ومع أننا ندرك الفروق القائمة بين العمل / رابين، والليكود / شامير، بيد اننا نستطيع ببساطة، ان نلمح محاولات رابين الابقاء على المفاوضات بايقاع ورتم ليكوديين، فوجد نفسه يدور في حلقة مفرغة. الأمر الذي حدا به للتوجه مباشرة إلى منظمة التحرير، وعقد اتفاقية سلام معها، بعد الاعتراف بها، وبذلك خرج على بديهيات العمل الصهيوني.

ربما يجد القارئ في ما نقول، خروجا على الحقبة الزمنية، التي تؤرخ لها مذكرات رابين في جزئها الثاني، بيد اننا نسارع الى اثبات حقيقة، ان مذكرات رابين، وان ارتبطت باحداث بعينها، فهي الى ذلك، تربط ماضي الرجل بحاضره، فهل تحول الرجل ١٨٠ درجة مرة واحدة، كما يقولون؟

الحقيقة التي لا تقبل الجدل، أن رابين قد تحول، لأنه كان مؤهلا لذلك، ولو أن تسارع الاحداث العالميةن والشرق أوسطية، ساهم، إلى حد بعيد في ذلك، فتجرد من الأيدولوجية الصهيونية الصرفة، ونظر إلى المستقبل بعيون الواقع الصهيوني المؤدلج، وثمة فرق بين الحالتين.

صحيح ان رابين حاول أن يقبع في الظل، ودفع رفيق دربه بيرس لخوض التجربة، لكنه عندما نجحت، قفز إلى بؤرة الأحداث، ومن يدري، فلربما كان الرجل يخطط لحفر اسمه في ذاكرة التاريخ العبري، من خلال الجزء الثالث من مذكراته.. اذا سنحت له الظروف لكتابته.



هاتف: ٥١٥٥٦٢٧ - ٥١٥٧٦٢٧
فاكس: ٥١٥٣٦٦٨
عمان - ص.ب ٨٩٧٢ - رمز بريدي ١١١٢١
بريد الكتروني: darjaleel@gmail.com